

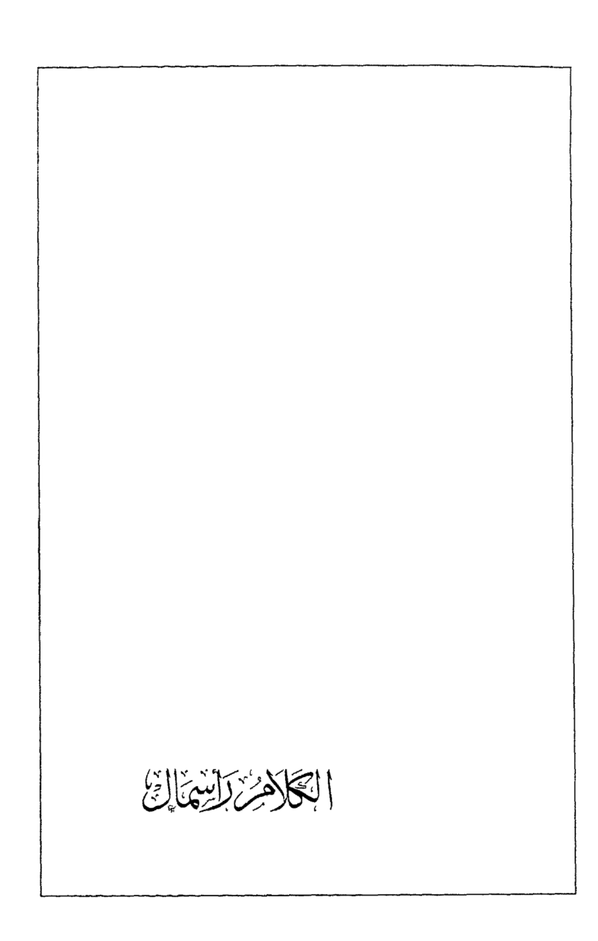
سلسلة الأدب

الكلام رأسمال

تأليف : الحاج أبوبكر إمام

ترجمة : مصطفى حجازى السيد
تقديم: محمود فهمى حجازى




الكلام رأسمال



برعاية السيدة

سوزان مبارك

المشرف العام
د . ناصر الأنصارى

تصميم الغلاف
د . مدحت متولى

الإشراف الطباعى
محمود عبد المجيد

الإشراف الفنى
على أبو الخير
ماجدة عبد العليم
صبرى عبد الواحد

الجهات المشاركة
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التربية والتعليم
وزارة التنمية المحلية
وزارة الشباب

التنفيذ
الهيئة المصرية العامة للكتاب

الكلام رأسمال

تأليف : الحاج أبو بكر إمام

تقديم: محمود فهمي حجازي

ترجمة: مصطفى حجازي السيد



الكلام رأسمال

لوحة للفنانة : زينب السجينى

كإضافة جديدة لمكتبة الأسرة قدمنا على غلاف كل كتاب لوحة تشكيلية لفنان مصرى معاصر من مختلف المدارس والأجيال وهذه اللوحات لا تعبر بالضرورة عن موضوع الكتاب.

وتتقدم مكتبة الأسرة بالشكر لقطاع الفنون التشكيلية بوزارة الثقافة ومتحف الفن المصرى الحديث على هذا التعاون.

إمام ، الحاج أبوبكر

الكلام رأسمال/ تأليف: الحاج أبوبكر إمام؛ ترجمة: مصطفى حجازى السيد؛ تقديم: محمود فهمى حجازى.- القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨.

٥٩٦ ص ؛ ٢٤سم.

تدمك : ٧ -٢٠٨- ٤٢٠ - ٩٧٧ - ٩٧٨ .

١ - القصص العربية القصيرة

٢ - القصص العربية

أ - السيد، مصطفى حجازى (مترجم)

ب - حجازى، محمود فهمى (مقدم)

رقم الإيداع بدار الكتب ٣٠٦٧ / ٢٠٠٨

I.S.B.N 978- 977-420-208 - 7

ديوى ٨١٢,٠١

توطئة

تعتبر القراءة منذ فجر التاريخ أول وأهم أدوات المعرفة، وعنصرًا لا غنى عنه من عناصر بناء الحضارة، فمنذ نقش حكيم مصرى قديم وصية لابنه على ورق البردى: «يا بنى ضع قلبك وراء كتبك، واحببها كما تحب أمك. فليس هناك شىء تعلو منزلته على الكتب»، ومذ أطلق د. طه حسين مقولته: «إن القراءة حق لكل إنسان، بل واجب محتوم على كل إنسان يريد أن يحيا حياة صالحة» ومذ كتب العقاد جملته الآسرة: «إنما أهوى القراءة؛ لأن عندى حياةً واحدةً فى هذه الدنيا، وحياة واحدة لا تكفينى»، ومذ قررت السيدة الفاضلة **سوزان مبارك** تحويل الحلم إلى واقع مؤكد منذ ستة عشر عامًا: «إن الحق فى المعرفة يتصدر أولويات العمل، ولا يقل عن الحقوق الصحية والاجتماعية»، ومسيرة القراءة للجميع تمضى بخطوات ثابتة وواسعة لتحقيق أهدافها فيلتف القراء حول أضخم مشروع نشر فى الوطن العربى، ويطالبون خلال السنوات السابقة باستمراره طوال العام، وها هو المشروع يقرر الاستمرار طوال العام بعد انتهاء فترة العطلة الصيفية ليتحقق شعاره بالفعل.. **القراءة للحياة.**

لقد استطاعت **مكتبة الأسرة** خلال مسيرتها تمكين الشاب والمواطن من الاطلاع على الأعمال الأدبية والإبداعية والدينية والفكرية، التى شكلت وجدانه وحضارته، وعملت على إشاعة الأفكار التنويرية الحقيقية، التى عكست جهود

التنوير للشعب المصرى فى العصر الحديث، وحرصت على تقديم أحدث الإنجازات العلمية بنشر أحدث مؤلفات العلماء التى تواكب التطور العلمى والتكنولوجى فى العالم، وأقامت جسرًا مع الحضارات الأخرى من خلال إعادة طبع كلاسيكيات ودرر العالم المترجمة، التى تعرض إنجازات الشعوب الأخرى فى المجالات الأدبية والفكرية والعلمية، وعملت على تأكيد الهوية القومية من خلال نشر التراث المستنير العربى والإسلامى، الذى مَثَّل نقطة انطلاق مضيئة فى مسيرة الإنسانية.

لقد أعادت **مكتبة الأسرة** للكتاب أهميته ومكانته كمصدر مهم وخالد من مصادر المعرفة، وأحدثت عبر عطائها المتميز وبنائها الدءوب الحقيقى صحوة ثقافية بالمجتمع المصرى تؤكدها المؤشرات العامة والأرقام، التى يتم رصدها وتحليلها منذ بداية المشروع، فالأرقام تسجل ارتفاعًا ملحوظًا فى نصيب المواطن المصرى من القراءة، وإصدار ملايين النسخ من الكتب ونفادها الفورى من الأسواق، وازدياد العناوين المطروحة عامًا بعد عام.

لقد بلغت عناوين **مكتبة الأسرة** أكثر من ثلاثة آلاف وخمسمائة عنوان فيما يربو عن واحدٍ وأربعين مليون نسخة، كنتاج فكرى وإبداعى لعدد من الكُتَّاب والمترجمين والرسامين يزيد عن ألفى مبدع ومفكر.

وما زالت **مكتبة الأسرة** التى أصبح لها فى كل بيت ركن مميز تواصل تقديم إصداراتها للعام الرابع عشر على التوالى، كرافد رئيسى من روافد القراءة للجميع، وصرح شامخ فى المكتبة العربية، يفتح نوافذ جديدة كل يوم على آفاق تنشر الخير والمعرفة والجمال والحق والسلام.

مكتبة الأسرة

تقديم

تمثل الآداب الإفريقية رافدًا شديد الأهمية من روافد العطاء الإبداعى، خاصة تلك المكتوبة باللغات المحلية فى الأقاليم المترامية فى أرجاء القارة السوداء وجنوب الصحراء.

وهذه المجموعة القصصية «الكلام رأسمال» قام بترجمتها عن اللغة الأصلية «لغة الهوسا»، إحدى أهم اللغات فى غربى إفريقيا، الدكتور مصطفى حجازى السيد، الحاصل على الدكتوراه فى لغة الهوسا، وهو أول من تخصص فى هذه اللغة ودرسها فى الجامعات المصرية والعربية.

يضم هذا المجلد الضخم، أكثر من ثمانين قصة قصيرة، تمثل النص الكامل لثلاث مجموعات قصصية، وصدر الجزء الأول منهم عام ١٩٣٧ والجزءان الآخران صدرا عام ١٩٣٨، وهذه القصص تبرز أهم سمات وملامح المؤلف الأدبية، كأول وأكبر قاص فى لغة «الهوسا».

أما المؤلف «أبو بكر إمام» فإلى جانب كونه مبدعًا كبيرًا، كتب فى مجالات شتى، فقد أصدر فى المجال الدينى (تاريخ النبى

محمد ﷺ) و(سيدنا أبو بكر رضي الله عنه) و(تاريخ الإسلام) و(الحج مفتاح العلم)، وله فى الكتب التعليمية (قدرة الله) و(زواج الأوروبية)، ومن إصداراته الأدبية (الماء الشافى) و(السفر مفتاح العلم).

ويسعد مكتبة الأسرة أن تتيح للقارئ العربى، أن يطالع هذا الكتاب، الذى يعد النبراس الذى سار على هديه كل كُتَّاب وأدباء الهوسا، مترجمًا، للغة العربية فى أول جهد لنقل هذه اللغة إلى العربية، وذلك عن طبعته الأولى الصادرة عام ٢٠٠٠.

تقديم

للقارئ العربي حق ثقافي في تعرف الآداب الإفريقية المدونة باللغات الوطنية والإقليمية الكبرى في القارة وجنوب الصحراء ، وهذه المجموعة القصصية الإفريقية تقدم اليوم مترجمة إلى اللغة العربية ، إنها من الجهود المصرية في هذا المجال ، وتعد من ثمار حركة الترجمة الأدبية من لغة الهوسا إلى اللغة العربية ، وفي هذا الصدد تفخر جامعة القاهرة بدور معهد البحوث والدراسات الإفريقية في دراسة اللغات والآداب المدونة بلغات هذه القارة، ولنشأة الاهتمام باللغات الإفريقية قصة مهمة ، كانت البداية عام ١٩٦٩ عندما كان التفكير على مستوى الجامعة في تحويل معهد الدراسات السودانية - التابع في ذلك الوقت لكلية الآداب - إلى معهد كامل ذى أقسام متعددة ومتكاملة يدرس القارة كلها ، ولا يقتصر على الجغرافيا والتاريخ بفروعهما ، بل يستوعب كل مجالات الدراسات العليا للقارة من حيث اللغات والآداب والتاريخ والنظم السياسية والموارد الاقتصادية والانثروبولوجيا مع الربط الجاد بالدول العربية الإفريقية وبالعربية لغة وثقافة وحرفا ، وفي مناقشة علمية مع المرحوم الأستاذ الدكتور محمد السيد غلاب اتفق الرأى لتحقيق الهدف الأكبر على أهمية الاهتمام أيضا باللغات الإفريقية.

وكان الدكتور غلاب صاحب رؤية لغوية جعلته فيما بعد عضوا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة فكلفنى المعهد بتدريس مقرر عام في هذا المجال لكل طلاب المعهد ، وهكذا كنت أول من درس تعريفا بالفصائل اللغوية واللغات الإفريقية وقضاياها لمدة عام دراسي واحد ١٩٦٩/١٩٧٠، ولكن الاتجاه العلمي إلى مزيد من الاهتمام باللغات الإفريقية أدى فور ذلك إلى إنشاء قسم كامل للغات الإفريقية على مستوى الدراسات ، وهكذا بدأ تكون أول مجموعة مصرية متخصصة في لغة الهوسا وآدابها بالجامعات المصرية ، وتكونت بعد ذلك أول مجموعة معينة باللغة السواحلية.

وفي هذا الإطار الجامعي الجاد كان دور الصديق الدكتور مصطفى حجازى السيد حجازي كبيرا ، لقد تخرجنا في قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٥٨، وبدأ سيادته منذ وقت مبكر الاهتمام بتاريخ القارة وثقافتها ولغاتها ، فحصل على دبلوم معهد الدراسات الإفريقية عام ١٩٦٩ وتخصص بعد ذلك في لغة الهوسا أهم اللغات في غربي إفريقيا ، وكان إصراره على إتقان هذه اللغة

نادراً ، على الرغم من الصعوبات ، سافر إلى نيجيريا وعاش بين أهلها ومثقفيها ، فأتقن هذه اللغة ومكنه ذلك التخصص فيها وكان أول من حصل على الدكتوراه في لغة الهوسا من جامعة القاهرة عام ١٩٧٦، وكان موضوع رسالته "دراسة نحوية وصفية للغة الهوسا" وهو أول من بحث هذه اللغة وقام بتدريسها في الجامعات المصرية والعربية ، وقد قام بسلسلة من الأبحاث على مدى عشرين عاما فيها نشر أكثرها في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، تناول فيها الأثر العربي في هذه اللغة من حيث الأصوات والصرف والدلالة ، وإلى جانب ذلك كله له مؤلفات فيها طبعت في جامعة أم القري بمكة المكرمة وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، وقد تدرج في عدة وظائف في معهد البحوث والدراسات الإفريقية بجامعة القاهرة ، فشغل وظيفة مدرس للغة الهوسا بقسم اللغات الإفريقية ، ثم كان أستاذاً مساعداً وأستاذاً ورئيسا للقسم فوكيلا للمعهد لشئون خدمة المجتمع والبيئة وأخيراً عضوا باللجنة الدائمة لترقية الأساتذة المساعدين بالمجلس الأعلى للجامعات وجامعة الأزهر في مجال تخصصه ، كما خطط لإنشاء مركز لتعليم اللغة العربية للأفارقة ، وفي هذا الإطار أشرف على عدد من الرسائل الجامعية تمثل في بداية الاهتمام لغة الهوسا وآدابها في الجامعات العربية ، لقد مكنه تخصصه في لغة الهوسا وآدابها ودراسة العلاقات اللغوية بين العربية والهوسا ، وها هو اليوم يقوم بترجمة هذه المجموعة من القصص من لغة الهوسا مباشرة ، وهو أول عربي يقوم بترجمة الأعمال الأدبية الهوسوية إلى العربية.

وقد كان الأديب المعاصر الراحل على شلش مهتما بالأدب الإفريقي ، إلا أن اهتمامه كان منصبا على ما كتب باللغات الأوربية ، وكان يلاحظ أن احدا لم يتناول الأدب الإفريقي الذى كتب باللغات المحلية الأصلية ، كالهوسا والسواحلية والتقي الأديب الراحل – وكان منتدبا لتدريس الأدب الإفريقي في معهد الدراسات الإفريقية مع المترجم – فطلب منه أن يقوم بترجمة قصة "الشيخ عمر" لأبى بكر تفاوا – أول رئيس الوزراء لنيجيريا بعد الاستقلال ، كان الأستاذ على شلش يرى أنها ترجمة لحياة أبى بكر ، إن رغبة المثقفين التى عبر عنها صديقنا الأديب بدأت تتحقق ونشرت هذه القصة ضمن كتب "أدب الهوسا الإسلامي" الذى تقوم بنشره حاليا – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، القصة بمعناها المعاصر لم تعرفها الهوسا إلا بعد سنة ١٩٣٤ .

ويسعدنى أن أقدم هذه المجموعة الجديدة لقراءة العربية تترجم لأول مرة مع التمهيد الذى كتبه المترجم لها تعريفا بلغة الهوسا ومتكلميها وعلاقتها باللغة العربية

وتأثرها بها من حيث الشكل والصور والأفكار وبعد ذلك تأتى القصص المترجمة ، هذه نماذج من الأدب الإفريقي المكتوبة بلغة الهوسا نضعها أمام الباحثين والدارسين وجمهور القراء لمعرفة المستوى الذى وصلت إليه القصة في قارتنا الإفريقية.

إن هذه المجموعة القصصية نرجو أن تكون لبنة فى صرح جديد يتكون ، ويدل على إهتمام أدبى وثقافى بالشعوب المختلفة فى القارة الإفريقية ، ولقد كتب الإفارقة جنوب الصحراء إنتاجهم الفكري تارة باللغة العربية وتارة بلغاتهم المحلية ، مدونة بالحرف العربي ولكنهم أخذوا بعد تغيير نظام الكتابة من الحرف العربي إلى الحرف اللاتيني في عدة مواقع أخري كثيرة ، ولغة الهوسا مثال لكل هذه الأنماط ، ولكنها تستحق الاهتمام الجاد بحثا وتأصيلا ومقارنة ، وإذا كان العالم المعاصر قد أصبح قرية اتصالية كبيرة ، فإن الوعي بالذاتية الثقافية للشعوب الإفريقية يصبح مطلبا جاداً.

ويطيب لى في ختام هذه المقدمة أن أشكر للأستاذ الدكتور مصطفي حجازى السيد حجازى هذا العمل ونأمل المزيد من العطاء في هذا المجال ، بقلمه وبجهود طلابه الذين يشكلون أول مجموعة مصرية متخصصة في اللغات الإفريقية وآدابها .

محمود فهمى حجازى

تمهيد

انتشرت اللغة العربية بإنتشار الإ سلام في غرب أفريقية بصفة عامة، وفي ولايات الهوسا بصفة خاصة ، وكيف كان علماء الدين الإسلامي في هذه البلاد يعتمدون في ثقافتهم الإسلامية على ما كتبه العلماء والأدباء فى المشرق الغربى دون أن يلجأوا إلى التأليف في هذه العلوم.

وكان العلماء من أمثال عبد الله بن فوديو شقيق الشيخ عثمان ، يجيد اللغتين العربية والهوسا ، فكان يقوم بترجمة ما يقرأ باللغة العربية إلى لغتى الهوسا والفولاتى ، حتى يتعلم المسلمون مبادئ الدين الإسلامي الحنيف ، وبذلك غرس بذور الترجمة من اللغة العربية إلى لغة الهوسا ، إلا أن حركة التأليف والترجمة لم تنشط إلا فيما بعد عندما وقعت البلاد تحت سيطرة الأستعمار البريطاني.

ففي سنة ١٩٠٠م تم الاستيلاء على المناطق الجنوبية التى سموها محمية نيجيريا الجنوبية ، ثم تم الاستيلاء سنة ١٩٠٣م على المناطق الشمالية أى ممالك الهوسا والبرنو وسموها محمية نيجيريا الشمالية ، وكان التعليم التبشيرى قد بدأ يتسرب إلى جنوب نيجيريا من وقت مبكر على أيدى المبشرين الاوربيين ، وأخذت المدارس التبشيرية تنمو وتتسع جنوباً في تلك الحقبة في حين أن الشمال لم تكن فيه أى حركة تعليمية تبشيرية ، وظل الأمر كذلك حتى بعد الاحتلال البريطانى ، وظل المبشرون سنين يحاولون التبشير بين المسلمين ولكن بدون جدوى ، وفي سنة ١٩٠٦م قام مبللر بتقديم مشروع للحكومة يقترح فيه إيجاد مدرسة داخلية فيها قسم لتربية أبناء الملوك والرؤساء المسلمين وقسم آخر غير داخلى للكبار الذين تأثروا شيئاً من الثقافة الإسلامية ، فوافقت الحكومة ، ولكن هذه المحاولة فشلت أخيراً.

وكان فشل هذه المحاولة وغيرها يرجع لكون الثقافة الغربية في ذلك الزمن ثقافة مسيحية صرفة ، فلذلك كرهها المسلمون ، ولم يروا فيها إلا حيلة لتغيير دينهم وثقافتهم الإسلامية ، وأن تلك الثقافة كانت بأيدي المبشرين الذين كان غرضهم الأساسي نشر الدين المسيحي لا التعليم ، وقطع التيار الإسلامي ووضع العقبات والحواجز دون

انتشاره وازدهاره وكون المسلمين يعتزون بثقافتهم التى ورثوها عن آبائهم وأجدادهم ، ولم يروا مبرراً لتركها والأخذ بثقافة أجنبية(١).

وفى سنة ١٩٠٨ أعير هنس بيشا من إدارة الإرساليات بالجنوب إلى التعليم ليقوم بتنظيم التعليم في الشمال ، وقبل أن يشرع في تنظيم التعليم قامت الحكومة بإرساله إلى بعض البلاد الإسلامية التى كان الإنجليز يستعمرونها حين ذاك كمصر والسودان ، وفي القاهرة والخرطوم رأى المناهج في المدارس تحتوى على شئ بسيط من الدراسات الإسلامية والغربية ، وزيادة في المواد الدينية فاقترح بعد عودته فتح أول مدرسة حكومية في كنو فوافقت الحكومة ، وبدأ بفصل التدريب للمدرسين الوطنيين الذين يمكنهم أن يساعدوا في التدريس بعد فتح المدارس.

وفي سنة ١٩١١ ظهرت ملامح النجاح في هذه المدرسة فبدأت تتسع ، عندما فكرت الحكومة في إنشاء مثلها في سكوتو وكسينا ، وكانت المواد التى تدرس في هذه المدارس هى القراءة والكتابة بلغة الهوسا بالحروف اللاتينية.

ونلاحظ أن الاحتلال البريطاني قد أثر في التعليم العربي في نيجيريا منذ وطئنها أقدامه.

أولاً: أدرك المستعمرون أهمية اللغة العربية في الشمال ، فهى اللغة الراعية والثقافية، كما رأينا سابقاً – فحاول بكل ما يستطيعه من قوة أن يستبدل بها لغته فجعل اللغة الإنجليزية هى اللغة الرسمية ، وأصبحت الدواوين والمكاتب الحكومية كلها عدا المحاكم الشرعية تستعملها بدلاً من العربية.

ثانياً: وجد المستعمر أن بعض اللغات المحلية كالهوسا والفولانى تكتب بالحروف العربية ، وبذلك يتعلم الناس الكتابة والقراءة بلغتهم المحلية ، فاستبدلوا بهذه الحروف ، الحروف اللاتينية في المدارس ، وجعل التلاميذ يتعلمون القراءة والكتابة بلغتهم المحلية بهذه الحروف ، ووجد ذلك تشجيعاً كبيراً من قبل الحكومة.

ثالثاً: قام المستعمرون بتكوين طائفة من الموظفين الذين يقومون بحمل أعباء الحكومة الجديدة ، ولم يكن المقصود أن ينال المتخرجون من المدارس التى أنشئت لهذا

(١) شيخو ص ٩١ ،٩٢

الغرض – حظاً من الثقافة الغربية الجديدة ، ولكن المراد أن يتعلموا شيئاً قليلا بحيث يستطيعون أن يقوموا ببعض الأعمال الإدارية فحسب(٢)

وكانت المواد العلمية مثل الرياضة والإنجليزية والهوسا والتاريخ والجغرافيا والفيزياء ، تكتب وتطبع في بريطانيا ، ثم تنقل بعد ذلك إلى نيجيريا ، فأدى ذلك إلى إنشاء مكتب للترجمة في مدينة زاريا في سنة ١٩٣٠ ، بمعرفة حكومة شمال نيجيريا حينئذ.

وفي ظل الحكم البريطاني جرت عدة محاولات لوضع أبجدية لاتينية للغة الهوسا ، ولكن استعمالها كان قاصراً على العلماء والباحثين الأوربيين ، الذين يدرسون اللغة وآدابها ، وقد بدأ ذلك بتسجيل التراث الشعبي الشفوي Oral Lore، "كما سترى فيما بعد" وقد بلغ هذا العمل أوجه في سنة ١٩١٣م بقيام أدجار فرنك Frank Idgar بطبع كتاب "أساطير الهوسا" Hausa Litafi Na Tsatsinyoyi Na كما ألف A.J.N. Tre- meame كتاباً في معتقدات الهوسا وعاداتهم Hausa Superstitions وألف R.S. Rattary كتاب فلكلور الهوسا Hausa Falldore ولم يتجاوز استعمال الحرف اللاتيني – حتى هذا الوقت – النصوص المسيحية ، والمعارف الشعبية التقليدية ، ولم يكن هذا التحول مقبولاً فى بداية الأمر ، فقد كانت كتابة اللغة العربية وقراءتها ميزة إذ أنها تستعمل في الواقع – وإن كان استعمالها فى هذا الوقت محدوداً – وهى لغة القرآن والحديث الشريف ، بينما كان استعمال الحرف اللاتينى مرتبطاً بالوثنيين ، وقاصراً على الباحثين الأوربيين وبمرور السنين تجاهل مثقفو الهوسا الحرف اللاتينى تماماً ، كما تغاضوا عن الامكانات المتاحة لكتابة القصص النثرى الذى بدأ بعمل إدخار . وحصروا أنفسهم فى الشعر العربى التقليدى(٣).

ونظراً لأهمية استعمال الحرف اللاتينى بالنسبة للاستعمار الأوربى، فقد أوحى إلى أنصاره خلال عام ١٩٣٠ بإصدار صحيفة الهوسا أطلق عليها اسم JaridarNijeriya Ta Arewa أى جريدة نيجيريا الشمالية ، وكانت تصدر عموداً بالهوسا ويقابله عمود بالعربية . وفى هذه السنة تأسس "مكتب الترجمة" فى مدينة زاريا تحت رئاسة رجل أوربى هو "تيلر "Tailor وكانت مهمة هذا المكتب هى ترجمة وتأليف الكتب التى تنقل من اللغات الأخرى إلى لغة الهوسا ، وبعد تيلر Tailorتولى المكتب ضابط مثقف هو

(٢) شيخو ص ٩١ ، ٩٢.
(٣) Albrt. S. Gerard, p. 62.

إيست R. M. East، واستمر فى هذا العمل ، وقد قام فى هذا الوقت بالاشتراك مع أبى بكر إمام وزملائه بوضع أسس كتابه الهوسا بالحرف اللاتينى، وتقويم قواعدِ كتابتها ، وقد بنيت على أساس لهجة كانو ، مع بعض التعديلات ، ولم يهمل المكتب التأليف تماماً. فقد كان هدف هذا المكتب يتركز فى :

١- ترجمة الكتب والمادة العلمية من اللغتين العربية والإنجليزية.

٢- كتابة الكتب بلغة الهوسا والحروف اللاتينية.

٣- تشجيع الكتب المدرسية.

٤- تشجيع الكتاب المحليين.

وكان إنشاء مكتب الترجمة نابعاً من الفكرة العامة التي ترى أن الترجمة من لغة إلى أخرى يثرى اللغة المترجم إليها ، من حيث المفردات اللغوية ، والأدب والثقافة بوجه عام ، وهذا ماحدث بالنسبة للغات الكبرى مثل العربية والانجليزية وإعمالاً لهذه الفكرة ، بدأ المكتب بترجمة الأعمال الأدبية من العربية والإنجليزية إلى لغة الهوسا فى وقت قصير . مثل كتب ألف ليلة الذى ترجم عن اللغة العربية .

- سيف الملك الذى ترجم عن اللغة العربية.

- أخبار الهوسا وجيرانهم . الذى ترجم عن المخطوطات العربية التى كانت لدى علماء الدين.

ولكن المكتب أدرك بعد ذلك أن هذه مجرد ترجمات وأن معظم المادة المترجمة بعيدة عن الخيال الأدبى ، فهى تعليمية بطبيعتها ، وفى سنة قرر المكتب أن ينظم مسابقة لكتابة القصة الخيالية ، على غرار القصص الانجليزى . ولإنجاز ذلك أرسلت نشرة إلى مدرسى المدارس الحكومية والموظفين الممتازين الذين تعلموا فى المدارس الابتدائية الاقليمية يحثونهم على الاشتراك فى مسابقة لكتابة القصة الخيالية بلغة الهوسا مع وعد بجوائز مجزية لأحسن القصص والقيام بطبعها.

يقول د/ إيست «للعثور على هذا الهدف المنشود زرت كل المدن الكبرى التى يتكلم سكانها بلغة الهوسا ، وأخذت أجمع أكبر عدد من المفكرين ، وقمت بشرح الموضوع لهم ، ودعوت كل من يجد فى نفسه القدرة على الكتابة أن يتقدم» وكانت أكبر صعوبة تواجه د/ إيست هى محاولة إقناع هؤلاء العلماء بكتابة القصص النثرى الهوساوى بحرف لاتينى ، ويقدم تفسيراً لذلك فيقول : كانت الصعوبة هى إقناع

المتعلمين بأن هذا الأمر ذو فائدة عظيمة، فقد كان فن الكتابة الأدبية من الصعب ممارسته ، إذ كانت الكتابة مرتبطة فى ذهن المسلم بالدين الإسلامي منذ النهضة الدينية فى نهاية القرن الماضى ، وكانت كل الأعمال العلمية التى ينتجها كتاب شمال نيجيريا تقريباً دينية خالصة ، أو تتصل بعلوم الدين ، وكان معظمها يكتب باللغة العربية ، التى كانت تشبه اللغة اللاتينية فى العصور الوسطى ، والتى كانت جديرة بكتابة أى عمل علمى أكثر من اللغة الأم ، وكان فن القصة معروفاً بين شعوب غرب أفريقية ، وفى شمال نيجيريا كما هو الحال فى كل مكان آخر ، ولكن ينظر إليه على أنه وسيلة لتسلية النساء والأطفال وأنه دون وقار الرجل الذى تقمص شخصية العالم[٤].

يقول "د/ إيست ومع هذا فقد كانت دهشتى عظيمة عندما وجدت أن الكتابات الأدبية التى وصلتنى مشجعة" وقد اختار منها خمسة أعمال طبعت فى نفس العام ١٩٣٣ وهى:

١- الماء الشافى Ruwan Bagaja، للحاج أبو بكر إمام.

٢- الشيخ عمر Shehu Umar، لأبى بكر تفارا.

٣- المغامر Gandoki، لبللو كاجرا.

٤- عين الشائل Idon Matambayi لمحمدو جوارزو.

٥- الجسم المتحدث Jiki Magayi، لتفيدو ساسا و د/إيست.

وقد جذبت قصة الماء الشافى انتباه د/ إيست فقرر دعوة الحاج أبو بكر إمام من مدينة كتسينا حيث كان يعمل مدرساً فى المدارس الحكومية ، ومترجما فى المحاكم الشرعية، فعرض عليه استعارته من الحكومة المحلية إلى مدينة زاريا" ليعمل معه فى المكتب لإنتاج الأعمال الأدبية.

أما أبو بكر تفاوا فقد تحول بعد ذلك إلى العمل السياسى ، وكان أول رئيس وزراء نيجيريا فى عهد الاستقلال ، واشتغل محمد بللو بالإدارة حتى صار والياً ، أما أبو بكر إمام فلم يكف عن المتابعة وممارسة الأدب.

لقد وضعت قصة الماء الشافى الحاج أبو بكر تحت الأضواء على المسرح الأدبى،

(٤) المرجع السابق ص ٦٣

لقد كان هذا الأمر ظاهراً من عمله الأدبى الأول الذى خرج إلى النور بقوة ، فقبل أن يأتى إلى زاريا ليعمل فى مكتب الترجمة ولكن على أساس مؤقت فى المرحلة لأولى، حيث إن عمله الأساسى كان فى الإدارة المحلية فى كتسينا.

التدريس فى مدينة كتسينا ويستقر معهم فى مدينة زاريا ، فقاموا بالاتصال بالحكومة المحلية حتى تحقق لهم هذا المطلب. فتقدم الحاكم بهذا الطلب إلى أمير كتسينا الحاج محمد ديكو فطلب الأمير الحاج أبو بكر إمام وقال له "إن الحاكم رجانى أن أسمح لك بالذهاب إلى زاريا لتبدأ فى عمل مهم هو إصدار صحيفة ، وقال أنه بحث فى كل أنحاء الشمال ليجد شخصاً أفضل منك فلم يجد ، وإنى مسرور أن يكون الشخص المفضل من إمارتى" فوافق أبو بكر إمام وتحرك إلى زاريا أو تضاعف دوره كأول قصاص فى لغة الهوسا ، بتكليفه برئاسة تحرير أول صحيفة هوساوية وهى -Gas kiya Tafi Kwabo، أى الحقيقة رأسمال بمساعدة جيلز L. C. Giles، وبواسطة هذه الصحيفة استطاع أن يبرز أسلوبه الطبيعى فى الكتابة ، الذى أوجد الاهتمام بالصحيفة من القراء. واستمر يعمل بالمكتب فى تحرير الصحيفة حتى سنة ١٩٥٤، حتى عين فى عمل آخر فى الحكومة ومع ذلك فقد استمر فى كتابة الكتب الدينية والكتب المتعلقة بالأمور المدنية ، ويمكن فى هذه العجالة أن نذكر أهم الكتب التى ألفها:

(أ) فى الكتب الدينية كتب:

١- تاريخ النبى محمد	1- Tarihin Annabi Muhammadu
٢- سيدنا أبو بكر	2- Sayyadina Abubakar
٣- تاريخ الإسلام	3- Tarihin Muasulunci
٤- عشرة أسئلة وعشرة إجابات	4- Tambayoyi Goma Amsa Goma
٥- الحج مفتاح العلم	5- Hajji Mabudin Ilmi

(ب) فى الكتب التعليمية كتب:

٦- قدرة الله – خمسة أجزاء	6- Ikan Allah
٧- زواج الأوربيين	7- Auren Turawa
	8- Auren Zobe
	9- Haben Abuja

وبناء على ذلك سافر إلى زاريا وزار مكتب الترجمة ، فقد كان الاتصال به حتى

هذه اللحظة يتم عن طريق البريد ، وبمجرد وصوله لاحظ خطأ على اللافتة المكتوبة على باب مكتب يقول "خلال زيارتى الأولى لزاريا وقبل أن ألتحق بالعمل ككاتب بدأت بنقد اسم المكتب فقد كان اسمه "Ofishin Juye" وهو ترجمة لعبارة "مكتب الترجمة" فوافق د/ إيست فى الحال على الترجمة الهوساوية ، فأصبح اسم المكتب "Ofishin Fassara" ثم تغير الاسم بعد إلى "مكتب التأليف" "Ofishin Talifi".

وهذا التعليق الذى قام به الحاج أبو بكر إمام لأول وهلة ، يظهر مهارته وإحساسه المرهف فى فن الترجمة ، وتحت هذا الاسم الجديد للمكتب تطورت المواد العلمية فى لغة الهوسا ، وطلب من أبى بكر إمام أن يكتب سلسلة من الكتب للاستفادة منها فى المدارس الحكومية ، يقول أبو بكر إمام "جمع د/ إيست مجموعات مختلفة من الكتب عن قصص الليالى فى اللغة العربية والانجليزية ، وقدمها إلى لتكون مصدراً للتأليف وقد قضيت ستة أشهر فى مدينة زاريا فى سنة ١٩٣٦، كتبت فيها ثلاثة أجزاء من كتاب Magana Jarice أى الكلام رأسمال.

وبعد إتمام هذه الأجزاء الثلاثة وتسليمها للمكتب لطبعها بصفة عاجلة ، مع التفسيرات والملاحق ، عاد إلى مقره فى مدينة كتسينا في سنة ١٩٣٦ وقد طبع الجزء الأول من الكتاب فى سنة ١٩٣٧ والجزءان الآخران فى سنة ١٩٣٨ .

وخلال إقامته في مدينة كتسينا كان على علاقة بالمكتب وفي سنة ١٩٣٨ طلب منه كتابة سلسلة مبسطة لقراء الهوسا من المستويات الدنيا حيث كانت السلسلة السابقة في مستوى المتقدمين من القراء ، فاستجاب لطلبهم ووضع كتابين وسمى السلسلة Karamin Sani Kukumi وهو مثل هوساوية معناه أن المعرفة القليلة قد تكون ضارة.

وحتى هذا الوقت لم يكن أبو بكر إمام متفرغاً للعمل في المكتب ، فطلب منه العمل معهم محرراً لصحيفة هوساوية ، ولكنه لم يوافق على أن يترك عمله فى

10- Karamin sani Kukumi (1-2)

11- Hausa Bakwai ولايات الهوسا السبع

(ج) الكتب الأدبية والخيالية:

12- Ruwan Bagaja ١٢- الماء الشافى

13- Magana Jari Ce (1-3) ١٣- الكلام رأسمال

١٤ – السفر مفتاح العلم 14- Tafiya Mabudin Ilmi

بالإضافة إلى هذه الكتب توجد كتب ترجمها ولم يوضع اسمه عليها مثل كتاب Hasken Muhukunta، الذى ترجمة عن كتاب "ضياء الحكم" للشيخ عبد الله بن فوديو وكتاب Hali Zanen Duste الذى ترجمه عن كتاب عربى عن تعليم الحرف والأخلاق(٥).

وكانت الكتب فى بداية الأمر تؤلف فى نيجيريا وتطبع فى لندن حتى تم إنشاء دار للنشر فى زاريا باسم شركة شمال نيجيريا للنشر Northern Nigerian publishing Company وأخذت تشجع المؤلفين والأدباء على نشر إنتاجهم الذى كان ينشر قبل ذلك بالحروف العبرية ويكتب بخط اليد أحياناً . وبذلك نشطت حركة الترجمة والتأليف فى جميع المجالات الأدبية والعلمية والدينية منها ما هو مترجم مثل ، كتاب ألف ليلة وليلة ، الذى ترجم عن العربية ، ورسالة أبى زيد القيروانى على فقه الامام مالك . ومنها ما هو شرح أو تفسير لبعض المؤلفات العربية مثل متن الربعين النووية. وكان أهم ما صدر من الشروح الدينية أو تفسيرها أو ترجمة معانيها هو ترجمة معانى القرآن الكريم وطبيعة العمل العلمى يختلف عن أى نص آخر من حيث الدقة المطلوبة فى ترجمة المعانى القرآنية لما فيه من كثرة التشبيه وغير ذلك من العلوم الإسلامية.

وبناء على تكليف شفوى من الدكتور جابر عصفور أمين عام المجلس الأعلى للثقافة قمت بترجمة كتاب "الكلام رأس مال Magana Jarice» من لغة الهوسا إلى اللغة العربية لأهميته ، وكونه النبراس الذى سار على هديه كتاب الهوسا وأدباؤهم فيما بعد ، وحتى يرى القارئ العربى لأول مرة ، جانباً من النهضة الأدبية فى جزء عزيز من قارتنا ،أثر اللغة العربية وأدبها .

وأخيراً أتقدم بالشكر إلى الأستاذ: إبراهيم بللو ، الهوساوى الأصول وطالب الدكتوراة بكلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر الشريف على مراجعته الدقيقة لهذه الترجمة حتى خرجت هذه الصورة .

مصطفى حجازى السيد حجازى

(٥) Ibrahim Yaro Yahaya, Harsunan Nijeriya XIV, Kano

مقدمة

هذه الكتب الثلاثة المسماة الكلام رأسمال Magana Jarice ألفها الحاج أبو بكر إمام O,B,E حوالى عام ١٩٣٧ ، وكان فى هذا الوقت يعمل معلما فى Midil فى كتسينا ، ومنها استعارته الحكومة للعمل فى مكتب التأليف فى " زاريا" ليؤلف لها هذه الكتب .

وحتى الآن يقول الحاج أبو بكر إمام إن هذا العمل الذى قام به لتأليف كتاب Magana Jarice الكلام رأسمال أفاده كثيرا ، فقد أتاح له فرصة الإقامة مع أحد الأوربيين المشهورين فى تأليف كتب الهوسا ، وهو الدكتور R.M.East, O.B.E، وأن على يديه تعلم كل صغيرة وكبيرة فى التأليف.

والملفت للنظر أن هذا الإنجليزي – الدكتور إست – فى المقدمة التى كتبها باللغة الإنجليزية عن كتاب .. الكلام رأسمال " يقول " نتقدم بالشكر إلى En'e، فى كتسينا لمساعدتهم وبعد نظرهم حتى وافقوا على إعارة الحاج أبى بكر أمام ، وأن يترك عمله حيث يدرس اللغة الإنجليزية فى مدرسة Midil فى مدينة كتسينا ، وينتقل إلى زاريا ويقيم ستة أشهر ليساعدنا على ظهور هذه الكتب بلغة الهوسا .

وأقصى ما فعله هذا المكتب – بكتب التأليف – أن هيأ له كل الأمور حتى تم طباعة هذه الكتب إلى جانب مساعدته فى جمع الكتب المختلفة لينسج على منوالها ، وإعدادها بعد الكتابة.

وإذا كان لدينا ما نفخر به ، فى تأليف هذا الكتاب فهو ما قمنا به من البحث حتى توصلنا إلى هذا " المؤلف"

صحيفة جاسكيا

١٩٦٢

Magana Jari Ce الكلام رأسمال

في إحدى مدن الشرق كان يعيش أمير عظيم ، كان يسمى عبد الرحمن بن الحاج، هيهات أن تجد رجلا ثريا مثله منذ عهد قارون ، كل من دخل منزله ورأى ما فيه من زخرف ومتاع ، لا يسعه إلا الدهشة والذهول ، بل إن الأمر يفوق الوصف ، وإذا حاول إنسان وصف قصره وما فيه من متاع لمن لم يره ظن أن ما يسمعه كذبا وهراء.

إلا أن كل هذا كان لدى الأمير لا قيمة له ، لأنه لم يرزق الأبناء وليس له أخ أصغر أو أكبر ، وكان له ابنة واحدة فقط تزوجت ، لذلك كان كل من يرى هذا الأمير يشعر أن الحزن قد استولى عليه ، فهو إذا مات انتقل أكثر هذه الثروة إلى ابنته ونسائه فقط ، والباقي يودع في بيت المال ، أما السلطة فيهبها الله لمن يشاء ، وكان إذا فكر في هذا صارت كل هذه النعم سببا في حزنه وشقائه.

وذات يوم وهو على هذه الحال أنجبت ابنته ولدا ذكرا ، فعم الفرح ، وسمى الولد محمودا ، ومع أن الأمير فرح جدا بوجود حفيد له ، إلا أن هذا السرور لم يكن تاما ، لأن ابن البنت لا يرث المال ولا السلطة.

وأثناء هذا الحزن الشديد جاءه أحد العلماء وقال له " لقد رأيت أمس في المنام من يقول لي أنك إذا جمعت أربعين عالماً ، وظلوا يدعون لك أربعين يوما ، إن شاء الله ستنجب الابن".

فرح الأمير بهذه الرؤيا وأخذ المال والثياب وقدمها لهذا العالم ، فقال العالم أنه لم يأت من أجل المال ، ولكن جاء ليبلغ أمرا ، واستأذن وخرج .

ولم يمض اليوم حتى أمر الأمير أن يجمع له أربعين عالما من كبار العلماء في البلاد ، وقال لهم ما يريد ، فقالوا له "نسأل الله أن يتقبل الدعاء" فقال الحاضرون: آمين، واستعدوا ودخلوا المسجد وأخذوا في الدعاء.

وكتب الله لهم التوفيق وتقبل منهم الدعاء ، ولم يمض أربعون يوما حتى شعرت زوجة الأمير بالحمل ، وبعد تسعة أشهر وضعت مولودا ذكرا، لا مثيل له في الجمال ، وعم الفرح المدينة كلها ، وكان السرور الذي شعر به الأمير لا حدود له ، إذا لم تروه بأعينكم لا استطيع أن أصفه لكم في هذا الكتاب الصغير ، وأطلق على هذا المولود اسم

موسى' ، وصار الفرق بينه وبين حفيد الأمير لا يزيد عن العام.

وتعلقت نفس الأمير بهذا الابن ، ومن المستحيل أن أصف ما يكنُّ من الحب لطفله الوليد.

ومرت الأيام ، وبعد عامين بلغ الابن سن الفطام ، فأمر الأمير بإحضار حفيده محمود ليفطما ويلعبا معا ، وشبا معا كالتوأم ، لا يفصلهما عن بعضهما شيء.

لقد كانت أمنية الوزير من قبل أن يظل الأمير بلا ابن ذكر ليستولى على السلطة إذا مات الأمير ، كان يتمنى أن يموت الأمير دون أن ينجب، إلا أن الله قدر أن يولد هذا الطفل ، ومنذ أن سمع الوزير الزغاريد فى قصر الأمير عقب ولادة موسى وهو فى حزن شديد.

ومنذ هذا اليوم أصبح لا يحب أن يسمع اسم موسى أو يراه ، وأخذ يفكر فى حيله يقتل بها موسى أو يجعله يهيم على وجهه فى الدنيا، إلا أن الأمر تعذر عليه ، حتى بلغ عمر الطفل خمسة عشر عاما ، وصار الأمير يصطحبه حيثما ذهب .

وذات يوم و الأمر على هذه الحال ، والوزير فى حيرة من أمره فكر فى حيلة ، وقال فى نفسه ' طالما أنه لا توجد فرصة لعزل موسى وحده فى أى مكان دون الأمير ، لا أجد ما أفعله ، فإذا وجدت فرصة لأفرق بين موسى ومحمود يكون أفضل ، وطالما أنهما متعلقان ببعضهما إذا فرقت بينهما سيغضب موسى ويطير عقله ويبحث عن طريقة يتسلل بها ليلا ليتبع أخاه ثم ضحك الوزير وأخذ يضرب الأرض بقدميه.

وفى اليوم التالى ذهب إلى قصر الأمير مع الحاشية ، وأخذوا يتحدثون فى أمور الدنيا ، حتى تطرق الحديث إلى أمور الحرب ، وهنا قال الوزير 'نحن الآن لا نهتم بشئون الدنيا ، ولا نعد لها شيئا ' فقال الأمير' ما سبب هذا الكلام أيها الوزير ؟ نحن الآن فى صلح ما شأننا وإعداد المحاربين؟ '

قال الوزير 'أنت تعرف أننا لا نعرف ماذا تعده البلاد الأخرى ، والأفضل أن نستعد، ولا نترك الأمور لتعد يوم الحرب'

قال الأمير 'أى استعداد أفضل مما نحن فيه الآن ؟ ها هو أمير الحرب، وهاك أمير الفرسان ، وأمير الخيالة ، كل منهم ينتظر صيحة الحرب للانطلاق .

قال الوزير ' هؤلاء جميعا صاروا شيوخا ، فأمير الحرب صار عمره الآن على الأقل بعد السبعين ، ومن كان كذلك ووهبه الله الوريث عليه أن يستريح ، وخطتى أن يعود محمود إلى منزله ، ويأخذ والده فى تدريبة على أمور القتال. '

وهنا تدخل موسى فى الحديث قائلا " إذا كان هذا الكلام لتفرق بين محمود وبينى ويتركنى وحيدا ، لا أوافق عليه ، لا بد أن نذهب ونتدرب معا. "

التفت الوزيرَ وقال غاضبا " ما شأنك وتعلم القتال ؟ ، يذهب الناس ويقاتلون عنك"

قال موسى " لا أوافق أن يفرق أحد بيننا ".

قال الأمير " طالما أن موسىٍ لم يوافق ، فلا فائدة من حيلتك أيها الوزير .

تجهم وجه الوزير ، وكان على وشك الكلام لولا أن دخل شخص فجأة وركع أمام الأمير قائلا " جاء وزير الأمير سينارى مع وفد من كبارْ مدينته ، يطلب الدخول " ، فسمح الأمير أن يدخل ، وعندما دخل أدى التحية وسلمه رسالة ، فأخذها قارىء الرسائل وفتحها فرأى أنها تقول:

" رسالة من أمير المؤمنين الأمير سينارى عبد العزيز بن الشيخ مختار إلى حبيبه وخليله الأمير عبد الرحمن ، تحية كبيرة ، وحب ورضا وأمان ، أما بعد أريد أن أوطد هذه الصداقة التى بيننا ، لذلك أقدم ابنى موسى لابنتك سينارتو ، إذا كبرا نقيم الأفراح ونستعد لزفافهما ونحن أحياء، هذا والسلام".

عندما سمع الأمير مضمون الرسالة ، قام غاضبا ، وجذب الرسالة من يد قارئها ومزقها ، وقام وجذب لحية وزير الأمير سينارى وألقاه جانبا فتدخل الأمراء بينهما وهم يقولون " هدىء من روعك ، عدم التعقل دفعه إلى ذلك".

قال الأمير " حتى لو فسد موسى هل يعقل أن يتزوج سينارتو ؟ ماذا يكون سينارى وماذا تكون ابنته سينارتو ؟؟".

ونظر الأمير إلى رجاله قائلا لهم : اتبعوهم ضربا حتى يخرجوا من بلدى.

أسرع وزير سينارى وامتطى صهوة جواده وتبعه رجاله ، ووراءهم أبناء المدينة يصيحون ، وعم الهرج والمرج بين رجال الحاشية وأخذ كل منهم ينظر للآخر وقال الإمام " نصرك الله ، ما حدث هذا ، هل يعقبه خير ؟".

قال الأمير " ماذا يخيفك ، حتى لو كان الأمير سينارى ، لو لطمته هل يتكلم ؟؟.

قال أمير الفرسان " الأمير سـيناري يرى نفسه الآن كفوا لكل إنسان ، لا أظن أن ما حدث الآن سيتركه" .

قال الأمير " أنت أيضا خائف مثل الإمام ؟ .

قال الوزير " ليس خوفا مـا نقول ، ولكنها الحقيقـة التى كنتُ أقولها الآن وهى أننا لسنا مستعدين"

قال الناس " حقا أيها الوزير ، ها أمير الحرب مـر عليه اليوم حوالى عشرين يوما لا يتحرك وليس له وريث" .

اشتد غضب الأمير وقال " ليس له وريث ، بدأتم تؤيدون كلام العجوز الفارغ ؟

إذا كنتم تتحدثون عن محمود ، أعدكم - حتى لو كان ، لا يعرف شيئا- أى حرب ستنشب سيكون فى المقدمـة " وانتهى الاجتماع وانصرف رجال الحاشيـة وخرجوا يغتابون الوزير.

عاد الوزير إلى منزله غاضبا ، وأخذ يفكر فيما يفعله مع الأمير ليشفى غليله ، وقد عز عليه النوم فى هذه الليلة ،أخذ يفكر فى حيلة ثم يغيرها ، حتى الصباح ، ولما أسفر الصبح، كتب رسالة إلى الأمير سيناري يقول " لا يفزعـك شيء من الأمير عبد الرحمن ، فهو كظل الشجرة الضخـمة ، وإذا وعدتنى بأن توليني أميرا على هذه البلاد ، فإنى أعـرف ما سأفعله لأساعدك للاسـتيلاء عليهـا ، لأن كل رجال البلاد ينفذون ما آمـرهم به ، وإذا عزمت على الهجـوم ، فـعليك أولا أن تستعد قبل أن يسـتعـد رجـال الأمـير عـبد الرحمن، وأن تسلك طريق قنطرة كمبا ، لأن هذا الطريق يوصلك إلى المدينة ، ولا يعـرفه أحد واصطحبوا معكم رسولى ليدلكم على الطريق الذى لا يعرفـه أحد غيره . " ، ثم سلم الرسالة إلى أحد خدمه المخلصين الذى يدعى بركَى Barakai وأخبره بما سيفعل وأذن له بالإنصراف.

ولم يعد الأمـير عبد الـرحمن يفكر مرة أخرى فى أمـر الأمير سـيناري، ومرت أيام على هذه الحال ، وأمر أن تعد الخيول لإحدى الرحلات ، وامتطى صهوة جواده ، وخرج مع خدمه للتنزهة ، حتى وصلوا إلى مستنـقع ، فنزلوا للاستراحة وإذا برجل عربى يحمل قفـصاً فيه ببغـاء ، ولما رفع موسى رأسه ورأى هذا الطائر صاح قائلا" هاببغاء أتشتريه لنا ؟"

وفى الحال ذهب أحد خدم الأمير ونادى الرجل العربى وسأله عن ثمن البيغاء ، فقال " إن لم يكن مائة جنيه لن أبيعه. "

عندما سمع الخادم ذلك قال " لا ، أتسخر من الأمير ؟ ، أتظن الأمير قد طلب منك أن تضرب له الأمثال "[1]

عندما قال الخادم ذلك أثار غضب الأمير ، فأمر أن يأتوا بهذا العربى، فهجم عليه الخدم وكادوا يفتكون به ، كأنهم سيلتهمونه نيئاً ، هو وطائره ولما رأى الطائر ذلك هز جناحيه قائلا " نصر الله الأمير " ، لا تغضب من صدق صاحبى ، إن المائة جنيه التى طلبها صاحبى، تبخس من قيمتى، مثلى لا يباع بمائه جنيه فقط . "

وهنا أمر الأمير خدمه أن يتوقفوا ، ونظر إلى هذا العصفور الصغير وقال " أيها الطائر الصغير ما دليلك على ما تقول. "

طأطأ الببغاء رأسه وقال " أطال الله عمرك أيها الأمير ، العظمة التى أشعر بها ليست لجمال شكلي فقط ، ولا لحلاوة حديثى التى وهبنيها الله، ولكن لهذه الموهبة التى وهبنيها الله، وهى المهارة فى التنجيم حتى وصلت إلى معرفة أخبار ما سيحدث مستقبلا ، فما بالك بما مضى ، وقد وهبنى الله من الكهانه ما لا حد له ، وإذا كنت تحب أن تسمع أخبار الجن

أو اللصوص أو الأمراء أقص عليك ، فإذا اشتريتنى لن يضيع مالك هباء ، وكأنك اشتريت كتاب " ألف ليلة وليلة " أو كتاب أحد الأوربيين التى تتناول الرحلات ، أو التاريخ والحساب أو الرعاية الصحية ، التى يملها الناس ، وإذا كنت تبحث عن الثراء ، بشرائى تتحقق أمانيك. "

فقال الأمير "هل أحصل على كل هذا من الثرثرة التى لا فائدة منها"

قال الببغاء " الثرثرة ليست شيئا مذموما فالكلام رأسمال"

وعندما سمع الكلام أنه يستطيع أن يروى القصص – وهو ما يحبونه – أخذوا يقفزون مرحا ، وأخذ الأمير يتعجب من أمر هذا الطائر، وقال الأمير للببغاء : كف عن هذا الهذيان ، مدح النفس ، جهل ، إذا كنت تملك الحكمة فقل لى ، كم عمر موسى اليوم ؟

انفجر رجال حاشية الأمير فى الضحك ، وقالوا " نصر الله الأمير، هكذا تسكته ، فليقل ، لنسمع أن لم يكن كاذباً. "

نظر البيغاء إلى موسى وقال " عمره اليوم أربع عشرة سنة وخمسة أشهر وثلاثة أيام. "

قال الناس " نصر الله الأمير ، إنه صادق"

قال الأمير " عجباً، لقد سمع هذا من بعض الناس ، أليست أخبار موسى تذاع فى كل مكان . " وقال للببغاء مرة أخرى : إنك تردد هذا الكلام الذى سمعته من الناس ، ولكن فى أى يوم ولد ؟. "

نظر الببغاء مرة أخرى إلى موسى وقال " يوم الجمعة عصرا . " قال الأمير "حقا" ثم قال " طالما أن لديك الحكمة ، فقل ماذا سيحدث له".

قال الببغاء " لن تحب أن تسمع هذا الأمر ، لأنه سيغضبك جدا ، والأفضل أن تترك الأمر مستورا . " ولكن الأمير أصر على أن يخبره ، وإذا امتنع سيأمر الخدم أن يضعوه الآن فى النار ويحرقوه حيا . "

وعندما أدرك الببغاء أن الأمير قد غضب قال " اغفر لى ياسيدى ما سأقول لك ، سيكون موسى سببا فى جرح الكثير وهلاك أرواح حوالى ألف من رجال هذا البلد ، وهذا الأمر سيحدث قريبا ، وعليك أن تستعد له من الآن. "

غضب الأمير عندما سمع أن ابنه سيكون سببا فى هلاك كثير من الأرواح ، وأخذ القفص وألقاه أرضا ، وتهيأ ليسحق هذا الطائر الصغير بقدميه ، وهجم الخدم على الرجل العربى وحدث الهرج فى المكان ، وإذا بفارس يقبل مسرعا على صهوة جواده دون سرج ، كل جسده ملطخ بالدماء، وهو فى منظر مؤلم ، وركع أمام الأمير وقال " واأسفاه أدركنا ، لقد هجم الأمير سينارى على البلد رغبة فى القتال ، وبعض البلاد الصغيرة على الحدود الشمالية صارت رمادا ، أقسم بعظمتك أننى وحدى ، الذى نجوت . "

صمت الأمير ورجاله جميعا ، وأخذ كل منهم ينظر إلى أخيه ، وإذا بمن يقهقه من خلفهم ، فالتفتوا مذعورين ، فسمعوا صوتاً من داخل القفص يقول " ها قد حدث ، لقد قلت لكم من قبل فهجمتم على لتقتلونى، لعلك أدركت الآن أن كلامنا ليس ككلامكم، لا يجب أن يحتقر"

لم يجد الأمير ما يقوله ، فاستطرد الببغاء قائلا" حتى الآن إذا عملت بمشورتى سينجيك الله ، ولن يضرك شيء . "

نظر الأمير إلى الببغاء بغضب وقال " اسكت، أية مشورة لديك؟. وتدخل موسى فى الحديث قائلا " نصرك الله" ما خاب من استشار دعه يقل لنسمع . "

قال الأمير " حسنا ، قل ، وإذا لم تفد مشورتك سألوى عنقك ويرتاح الجميع منك" .

قال الببغاء " الآن كاد الأمير سينارى أن يصل إلى قنطرة كمبا ، هدفه الوصول إلى تلال كمبا Kimba وأبندواكى Ubandawaki ويدور تجاه الشرق ويدخل المدينة من حيث لا تتوقع .

قال الأمير " لا يوجد مخلوق فى هذه المدينة يعرف هذا المكان ، فما بالك بالأمير سينارى ؟ . "

قال الببغاء " اسمع ما أقول لك ، عد الآن مسرعا إلى قصرك ، وابعث بالرماة ليحرسوا المدخل بين تلال كمبا وأبندواكى ، مهما كان عدد جنوده لو عشرة رجال أشداء سيردونه عن هذا المكان ، وقبل أن يستعد ، أعد الجيش الكبير . "

تعجب الأمير وقال موسى " هذا الببغاء الصغير يعرف ما لا تعرف، فلنتبع مشورته، ونرى . " كل ما يقول هذا الببغاء يسمعه الأمير كأنه يستمع إلى أسطورة ، ومع ذلك ، وبعد أن تدخل موسى فى الأمر ، ركب الأمير وعاد إلى قصره ، واختار مائة من النبالة الأشداء وبعث بهم إلى حيث أشار الببغاء ، وأيقظ الرسل وبعث بهم جنوبا وشمالا ، وشرقا وغربا ، ليأمروا الناس بالاستعداد للحرب بسرعة ، وبدأ الحدادون يعدون السلاح .

وهم على هذه الحال بعد خمسة أيام إذ برجل من النبالة التى بعث بهم الأمير يعود عدوا بالبشارة قائلا للأمير " نصرك الله ، هذه الخطة التى رسمتها قد نجحت ، فبينما كنا قابعين حيث أمرتنا رأينا فى ضحى الأمس الأول من بعيد الغبار يصعد إلى السماء ، ولم نر إلا أسنة الرماح تلمع ، والخيالة والرماة بلا حد ، ورأيناهم على مرمى البصر ، ولم نر نهايتهم، ونحن على هذه الحال تركنا مقدمة الجيش يقتربون منا ، وانهلنا عليهم بالنبال فسقطت عليهم كالمطر من السماء ، فأدارت المقدمة لنا ظهرها وتقابلت مع المؤخرة وحدث الهرج والمرج.

وفى مضيق صغير انزلقت الخيول وسقطت على بعضها ، ونحن ننهال عليهم بالنبال، وانقلب الأعلى على الأدنى تدوسهم أقدام الخيل . وقليل ممن فى المقدمة وجد السبيل إلى الفرار ، وبعد قليل قام بعضهم ليهجم علينا ، فلم يجدوا السبيل إلى ذلك لأن الممر بين الجبال كان ضيقا ففعلنا بهم ما فعلنا بالسابقين ، فبعثوا بآخرين فكان جزاؤهم نفس المصير حتى حان العصر ، وعندما لم يجدوا فرصة للنصر عادوا وتركوا جثث إخوتهم لا يستطيع الناظر عدها " .

عندما سمع الأمير ذلك كاد يطير فرحا ، ودخل وأخبر الببغاء وشكره، وكاد يعانقه وأخذ مائتى جنيه وقدمها للرجل العربى ثمنا للببغاء ، وأحضر حصانا معدا للركوب وقدمه إليه ، وأمده بسبعة من العبيد ، واثنى عشر ثوبا وأذن له بالرحيل.

وفى الليل عاد بركى Barakai وأخبر الوزير بكل ما حدث، وقال" نحن فى المقدمة،رأينا من يصبون على رؤوسنا النبال حتى أصابت حصانى، ولم أشعر إلا ونحن محاطون ، وعندما رأيت ذلك رقدت على الأرض كمن مات ، ولم أتحرك طوال هذا اليوم ، والحرب تدور رحاها من حولى، وعندما انتصف الليل وشعرت أن الحرب قد هدأت تسللت وعدت . "

بارك له الوزير العودة ، وقال " ألم يرك أحد ؟ . قال بركى " إنى متأكد أن أحدا لم يرنى . "

قال الوزير " الحمد لله" ولكنى أعجب كيف عرف الأمير أنهم سيأتون من هذا المكان "

قال بركى " وأنا كذلك لم تخرج كلمة واحدة من فمى . "

قال الوزير " لابد أن فى رجال سينارى منافقين ، ولكن لا بأس ، غدا يوم آخر "

بعد حوالى ثلاثة أيام سمعت صيحة الدعوة للحرب ، وامتلأت المدينة بالخيول والفرسان ، وخلت البلاد و القرى القريبة من الجنود وعندما رأى الأمير أن الجميع قد حضر منذ الصباح الباكر استدعى الوزير وكلفه بحراسة المدينة.

انحنى الوزير وقال " سأقبض على هذه الأمانة بيدى اليمنى ، وهو يبكى بكاء المنافقين. "

وقام الأمير ودخل المنزل واستدعى خمسة عشر من خدمه المخلصين وكلفهم بحراسة القصر ، ونبه عليهم ألا يدعوا موسى يخرج حتى يعيدهم الله سالمين ، وذهب واستدعى موسى والخدم أمام الببغاء وقال لهم « إذا أخطأتم وذهبتم خارج القصر أثناء غيابى لن أعفو عنكم، وإذا أردتم فعل أمر لم أصرح لكم به ، فلتأتوا وتستشيروا هذا الببغاء وما يقوله لكم حتى لو رأيتم أنه خطأ فافعلوه ».

انفجر الخدم فى البكاء وهم يقولون " سمعا وطاعة" ، وسنتبع أوامرك . التفت الأمير إلى الببغاء وقال " وأنت هذه أمانة ، إذا خنت أمانتى ، سيكون حسبى الله "

قال الببغاء " وهو كذلك ، أطال الله حياتك ، إن شاء الله يحدث كل ما تريد. "

قال الأمير " حسنا ، الحمد لله" ،وهم بالقيام ،ولكنه استدرك قائلا "لقد رأيت بالأمس ببغاءة فاشتريتها لأزوّجكها، لتكون لك أنيسة " ،وبعث من يحضرها وجمعهما معا ، فشكره الببغاء واستأذنوا من الأمير .

وحان الضحى ودقت طبول الرحيل ، ولما اعتلى الأمير صهوة جواده جاء الوزير وقال له " نصرك الله ، هل نسيت ؟ لقد وعدت أن تشرك محمود فى كل حرب تقع . "

تضايق الأمير ، فهو حزين لفراق أسرته ، ثم يسمع هذا الكلام الذى لا فائدة منه ، طلب الأمير محمود وقال له " ها الجواد اركب لتذهب معنا . "

فهيأ محمود الحصان وركبه.

قال موسى " سأذهب معكم"

قال الأمير " لن تذهب معنا" ، فانفجر موسى فى البكاء وقال " إنه لا يريد فراق محمود ، فزجره الأمير . . . وعاد إلى قصره ، واستدعى رئيس القصر والخدم الذين تركهم للحراسة ، وقال لهم " انتبهوا ولا تدعوا موسى يطل برأسه خارج القصر ، وإذا أصابه مكروه سأذبحكم . " فدخلوا به ، وذهب الجنود وتجمعوا حيث يلتقون بالأمير سينارى .

عندما شعر الوزير انه فرق بين موسى ومحمود ، وأن الأمير غادر البلاد ، عاد إلى منزله مسرورا ، وأخذ يفكر فيما يفعله ليهلك موسى قبل أن يعود الأمير ، لأنه إذا وجد

الفرصة للقضاء على موسى يصير الأمر إليه فيما بعد ، سواء انتصر الأمير أو هزم ، فإذا انتصر الأمير سينارى سيتحقق أمله ، وإذا انتصر الأمير عبد الرحمن فستنتقل السلطة إليه إن عاجلا وإن آجلا ، لأنه سيكون الوريث .

عندما انقشع غبار الخيل الراحلة ، نادى أربعة من عتاة خدمه المخلصين وقال لهم أنه فى حاجة إليهم ، وكل من أطاع أمره سيحرره.

قال الخدم فى وقت واحد ، " مُرنا وستجدنا قد وفينا الأمر . "

قال الوزير " أريد أن تقتلوا موسى ، بعد أن أغلق عليه قصر الأمير وكلف كل الخدم بحراسته. "

قال هؤلاء الخدم " إذا كان الأمر كذلك ، فماذا نْفعل لنقتله ؟. "

قال الوزير " استمعوا لى جيدا ، إن العمل الذى نريده لا يحتاج إلى ثرثرة ، الآن كل قلبه معلق بمحمود ، وأشعر أنه إذا هدأ الليل ونام الجميع سيخرج متسللا ليلحق به ، عليكم أن تبحثوا عن جوال ، وإذا أقبل الليل تذهبون إلى قصر الأمير ، وتبحثون عن مكان تختبئون فيه . وعندما ترونه أمسكوه ، وأغلقوا فمه وضعوه داخل الجوال ، واذهبوا به إلى النهر وألقوه فيه . "

قال الخدم " وهو كذلك. "

قضى موسى هذه الليلة صامتا ، فظن الناس أنه يفكر فى أبيه ، لذلك لم يهتموا بأمره، وعندما أقبل المغرب ، أغلق رئيس الحرس الأبواب كلها ، وسلم المفتاح لموسى من النافذة ، كما أمره الأمير أن يفعل كل يوم . ، وعاد إلى الدهليز حيث يسمر الخدم حتى اقترب الصباح وغلبهم النوم ، كل هذا وموسى لم ينم ، ينتظر أن ينام الحراس ، ليذهب ويطلب من الببغاء أن يتركه ليلحق بمحمود .

عندما شعر أنهم ناموا ، استعد ، وأخذ المفتاح ، ولبس لباس الحرب، وأخذ الدرع والسهم ، وقصد الببغاء ، فوجد الببغاء الذكر صاحب الكلام الساحر الذى اشتراه الأمير نائما، فقال " طالما أن هذا الببغاء قد نام فلأطلب من زوجته ، فالرجل وزوجته سواء ، ووقف أمام زوجة الببغاء وقال " جئت لأقول لكما كى تعوفا ، سأخرج وراء محمود، وما يصبه يصبنى معه "

فلما سمعت الببغاءة هذا أصابتها هزة وقالت " لا يمكن هذا كيف يتركك الأمير لدينا أمانة ثم نخونها ؟. "

عندما سمع موسى ذلك غـضب ونهر الببغاءة وقال " حتى أنت أيهـا الطائر الصغير تمنعينني من الخروج واللحـاق بأخى ، أنت لا تستطيعين ذلك ثم أمسكهـا ولوى عنقها ، وألقاها على الأرض ، وأثناء إلقـائها استـيقظ الببغـاء ، فالتفت موسى إليـه ، وقال . . وأنت الآخر ماذا تقول ؟ ،لقد جئت لأقول لك: إننى سألحق بمحمود الآن. "

سمع الببـغاء ذلك ، فنظر إلى زوجته ورأى مـا حدث لها ، لقد حمله الأمـير أمانة الغلام، فإذا تركه يخرج ، يكون قد خان الأمـانة ، وإذا منع الغلام من الخروج فسيحدث له ما حـدث لزوجتـه. وأخذ يفكر فـيمـا يخلصه من هذا المـوقف ، فقال مـوسى " لم أسمعك تقول شيئا ، ترى هل تمنعنى أنت أيضا ، كما منعتنى زوجتك ؟. "

رفع الببغاء جناحيه وطأطأ رأسه وقال " أمر عجيب أن تستشير المرأة فى هذا الأمر ، مثل هذا الأمر يكون بيننا نحن الرجال ، ولكنه تفكيـر النساء ، هل يقول الأخ أنه سيلحق بأخيـه ثم نمنعه ؟ اذهب بسـرعة ولا تخف شـيئـا . " لاشك أنك ولد طيب طالما أنك لا تخالف ما أمـرك به أبوك إذ قال لك أن تستشيرنى فى كل مـا تفعل . أنت تعرف أننى لا أساوى شـيئا، ولكن اذهب طالما أنك تفى بوعدك لـوالدك ، كل ما هو مطلوب أن يطيع الابن الطيب أمر والديه ، ومعلميه ، الشبـل الصغير الذى اتبع اخلاق أبناء هذا الزمان ، ورفض أن يطيع كلام من هو أكبر منه ، وقد عرفت كيف كانت نهايته"

قال موسى «الشبل الصغير ؟؟!! ، أى كلام رفض طاعته؟

هل تتكلم الحيوانات هى الأخرى ؟

قال الببغاء " إنهم يتكلمون مثلنا »،دعنى ، أقص لك ما حدث"

قصة الفلاتى والشبل.

ذات يوم اجتمعت حيوانات الغابة يتشاورون فى الحيلة التى يعملونها ليتجنبوا مضايقات بنى آدم ، ويتخلصوا من شراكه ، وأخذ كل واحد يذكر حيلته فيرفضها الآخرون ، حينئذ قال الثعلب " الأفضل أن نقيم مدرسة هنا فى الغابة ، ونحن الذين قاسينا من بنى آدم وعانينا من مكره ، نعلم أبناءنا حيلة " ، فوافقت باقى الحيوانات.

فقال الذئب " حسنا ، من الذى سيعلم ، تعرفون أن هذا عملنا . "

قال الأسد " حسنا ، قل لنا ما هى الحيل التى تقوم بها لنتخلص من بنى آدم ، لنعرفها، إذا كان أسلوبك مفيدا اتبعناه . "

قال الذئب " لا توجد حيلة تخلصنا من بنى آدم ، إلا أن تفتح فمك وتهجم عليه إذا اشتد عليك الأمر ، وإذا تعذر عليك الأمر اهرب وانج بنفسك . "

قال الأرنب " لعن الله هذه الحيلة ، إذا كانت لديك القوة للهجوم عليهم ، فهل لدينا هذه القوة ، ونظر إلى الأسد وقال . " نصر الله الملك، لا يوجد سوى حيلة واحدة ، إذا وجد كل منا جحرا فى الأرض وعمل له عشرة أبواب بعيدة عن بعضها ، فإذا دخل له من أحدها خرج من الآخر ، إذا تهدم واحد خرج من غيره . . "

نظرت البقرة الوحشية إلى الأرنب وابتسمت قائلة " هذا فقط ؟ . . ! الصغير صغير ، تتحدث عن بناء جحر ، أنا بجسمى الضخم أين الجحر الذى أستطيع أن أدخل فيه ؟ . "

قال الثعلب " قل هل تستطيع الدخول ، إذا تقابلتم فى المرعى ؟ أم تترك الطعام من شدة الخوف . "

قال الأرنب " هذا سهل بالنسبة له ، إذا تقابلتم سيجعل كلابه يطاردونك فتجرى أمامه وتثير الغبار وتعود للوراء ، وتبحث عن عش للنمل الكبير وتختفى فيه ، وتبعد عنه . "

هذا الكلام الذى قاله الأرنب أغضب الجميع ، حتى قام الفيل وكاد يطأه بقدمه ،

دون أن يشعر ، ونهـرته قائلة " أنت غبى ، إذا كنت تستطيع الاختبـاء فى عش الجراد ، فماذا نفعل نحن ؟ ، أنت الكلاب تضايقك ما هى الكلاب ؟ إذا قيست بالأشياء المخيفة ، هل الكلاب مخـيفة ؟ هذا ليس من إخوتنا ، الطمع جـعله ينضم إلى بنى آدم ، وقبل أن يحتقروه ، كأنه ابن حرام ، وأنت أيها الأرنب ألا تدرك ما تقول " .

أخذ كـل يعرض حـيلته ليـقبلوه مـعلما للغـابة ، ولكن إذا درس الآخرون الحـيلة رفضوها ، حـتى عجزوا ، وهنا قفز الثعلب أمـام كبير الغابة وقـال "حفظك الله من شر النـــاس ، سـأقوم أنا بالتـعليم ، لأنى عـرفت مكر الناس كلهم ، فـلا توجد حـيلة لم أعرفها . "

قـال الذئب " لم نسألك لتـقول هذا الكلام الـكثيـر ، قل خطتك التى ستـعملهـا لنسمعها وتنقذ رأسك من الهلاك إذا وافقنا . "

نظر الثعلب إلى الأسد وقـال « رفع الله شانك » لقد عرفت أن الصـراخ من الأشياء التى تكشـــفنا أمـام الناس ، لذلك إذا صـرخت جهـة الشرق أسـرع بالذهاب إلى جهـة الغرب ، وإذا صرخت جهـة الغرب أبادر بالذهاب تجاه الجنوب ، ولا انتظر أبدا فى المكان الذى سمعنى أصرخ فيه ، حتى لا يتبعنى . "

هز الأســـد رأسه وقـال " إ ن لديك فى هـــذا الأمر حيلة ، ولكن مـاذا تفعل لو نمت ؟ .أم ستظل مستيقظا تذهب هنا وهناك . "

قال الثعلب " نصـر الله كبير الغابة ، أنا لا أنام إلا وسط الأشجـار الضخمة ، وإذا سقط على شيء صغير حتى ولو كانت جـرادة استيقظ مسرعا ، وإذا رأيت الصوت توقف أتوقف ، وإن لـم يدلنى قلبى على الخطر أجرى . "

قال الأسد " حيلتك مفيده. "

قال الذئب " ياكبير الغابة إن الناس ، يضايقوننا فى مورد الماء ، إذا كانت هذه حيلته فى الخلاء، فماذا نفعل عند مورد الماء ؟. "

قال الثعلب " أنا لا أشرب الماء كما تشربون ، إذا شعرت بالعطش ذهبت إلى مجرى الماء ، وغمست ذيلى فيه . ، وإذا خرجت امتصه ، ثم أعود واكرر ذلك حتى أرتوى ،

ولا أُرى لأنى أخفى رأسى ، أما هذا الأسلوب الذى تشربون به لا يخلصكم ، فإذا تسلل أحد من خلفكم وقعت الكارثه. "

سمع النمر ذلك فـقال " الناس لا يتفوقون علينا هـنا ، ولكن الشىء الذى لا نعرفه هو نصب الشراك. "

قال الثعلب " ما أخفيه فى نفسى ، هو أنه كلما رأيت أغصان الشجر متشابكة ، ولا أثر للأوراق ، ولا جذور تحـتهـا ، أغير طريقى ، لأنى أعـرف أن الأشجـار لا تنمو إلا بالجذور ، والأوراق حـتى لو جفت يبـدو الدليل على وجودها . وإذا كنت اسـير ورأيت طعامى فى مكان لا يتواجد فيه عادة ، أبتعد عنه حتى لو كنت اشتهيه . "

قـال الأسد بعـد أن استـمع للحيـوانات " لا يصلح لهـذا العمل إلا الثـعلب نحن موافقون أن تكون معلم حيوانات الغـابة " ،وجمعوا أولادهم فى المدرسة ، وأخذ الثعلب يعلمهم أسـاليب المكر، وكان كلمـا جاء موعـد الدرس يعلمهم الحـيل التى يقومـون بها للتخلص من الناس ، وذات يوم قام أسـد صغير متمـرد وقال " من أجل هذا الإنسان ، المخلوق البسيط ، أضيع وقتى لسماع قصص مكره وخداعه ؟؟!!. "

وإذا حاول الثعلب أن يهدىء من غضبه ليتوقف إزداد تمردا ، ثم قال " إذا كان على الإنسان إن شاء الله عندمـا أقابله ، سأتعبه ، وإذا لقـيته سأمزق بطنه ، وأكـسر عظامه ، والتهم لحمه ، وأشرب دمه ، كى أشفى غليلى . "

ومرت الأيام ، وبينما كان هذا الشبل يتجول هو والزرافه ، رأيا من بعيد أحد الفلاتا ، قادما بالسـياط وكثيـر من الحبال ، وهجر إخـوته ، وتركهم وراءه وأسرع وسبـقهم حتى وصل المهجر ، فـأخذ يبحث عن مكان ليبنى فيـه كوخا ، وبينما كان يسـير منشدا بعض الأناشيـد بالفلاتا ، ويـتباهى بنـفسه كـالمجنون . . . ، رأته الزرافة تذكـرت الدرس الذى تعلمته من الثعلب وأدركت أن هذا هو الإنسان ، لذلك جرت ودخلت الغابة ، أما الأسد الصغير فقد وقف يتعجب من هذا المخلوق الغريب الذى لم يره من قبل .

ولما اقـتـرب الفلاتـى قال له الأسـد الصـغـير " أنـت ، قف ، أنت من تكون فى حيـــوانات الغابة ؟ لم أرك منذ شـببت عن الطوق ، ولمـاذا لم تأت إلى الحاشـية لأداء التحية ؟. "

وضع الفلاتى متاعه ، وركع أمام الأسد ، وقـال " أنا قوذجى - يخترع اسم حيوان - لم ترنى بين حيوانات الحاشية لأنى خـجول ، وكل حيوان له أربعة أرجل ، أما أنا فلى اثنان فقط وكل له ذيل وليس عندى ذيل ، وشـعركم كثير وليس لى شعـر مطلقا ، كمن خرج من النار فاحترق شعره . "

قال الأسد الصغير " حسنا ، أين ستذهب بهذه الأخشاب ؟.

قال الفلاتى "دعانى الذئب لأصنع له بيتا ، لأنه يخاف من الانسان"

قال الأسد الصغير " بالله عليك أخبرنى أين أذهب الآن لأرى هذا الانسان ؟ إننى تعبت من البحث عنه ، لم أره منذ مدة طويلة"

ركع الفلاتى وقال " أطال الله عمرك ، رويدا رويدا تراه ، ولكنه يخاف من لقائكم ، لا تضيع وقتى ، إنى متعجل لأبنى بيت الذئب ، ولولا الخوف من الإنسان لفضلت البقاء فى البيت ، لقد اشتدت حرارة الشمس ، ليس افضل من الاقامة فى المنزل "

قال الأسد الصغير " انتظر لتبنى لى بيتا ، ثم اذهب لبناء بيت الذئب. "

قال الفلاتى " أطال الله عمرك ، ليس لدى فرصة طالما أنى وعدت الذئب ان أبنى له بيتا ، الحر لا يخلف وعده ، إذا بنيته له سأعود لأبنى لك ، لأن مصلحتى عندكم . "

قال الأسد الصغير " كلام فارغ ، من هو الذئب حتى تقول أنك ستبنى له البيت أولا ثم تعود لتبنى لى ؟ ثم هجم على الفلاتى ليمزق سترته .

نظر الفلاتى إلى سترته فرآها قد تمزقت ثلاث قطع ، فكظم غيظه ، وقال " طالما أنك تريد . . ياكبير الغابة فسأنتظر لأبنى ما تريد . "

قال الأسد الصغير " لابد أن تفعل ذلك ، من لا يسمع الكلام لابد أن يفشل كما قالت أمى . "

جلس الفلاتى ليستعد لبناء البيت ، فأقام قمة البيت القوية ، فى وسط بعض الأشجار ، ثم أحضر كثيرا من العشب والحطب وجمعها ، ووضعها فى جانب واحد ، كمن سيوقد النار أسفل القدر ، ولما انتهى من تجميع كل ذلك ، أخذ يلقيها فوق قمة البيت ، وترك منفذا ضيقا ليدخل منه الأسد ، وعندما انتهى ركع أمام الأسد ، وطلب منه دخول البيت ، قائلا " أدخل لأرى ما إذا كان مناسبا لجسمك. "

دخل الأسد الصغير البيت ، فأغلق الفلاتا الباب بسرعة وأحضر الثقاب وأشعل النار فى الحطب الذى يحيط بالبيت ، وعندما شبت النار وتصاعد الدخان ، عجز الأسد الصغير عن التنفس ، فحاول الخروج ولكنه لم يتمكن ، ولما شعر بالاختناق أخذ يزأر ويقول " أيها الحيوان ، هذه الحجرة ضيقة ، ولا يمكن استنشاق الهواء بداخلها ، أخرجنى . "

قال الفـــلاتى : " ماذا تقـــول ، أرفع صـــوتك لأسمع ؟ ، لقـــد تأخرت . . . انا الانسان الذى ترجو لقاءه ، لقد التقيت به ، قـبل أن تتباهى بنفسك ، كان عليك أن تسأل والديك وتعرف مدى ما يقاسون منا . "

عندمـا أحس الأسـد الصغـيـر بالنار تقـترب منه أخـذ يصـيح قـائلا . " تبت، بالله أخرجنى. "

قال الفلاتى . " ويحك ، اصبر ، جف القلم. " والتهـمت النار الأسد الصغير تماما ، وواصل الفلاتى السير فى طريقه..

كل من يحتقر كلام من هو اكبر منه ، يفعل ما يشاء ، ولا يلومن إلا نفسه.

قال موسى " ماذا أسمع الآن ، إنه كأذان الصلاة ؟. "

أنصت البـبـغاء وقـال " إنه الأذان، هذا الأذان جـاء مـسـرعاً ، لقـد حـان وقت الصلاة. "

قام موسى ودخل القصر ولم يقل شيئا ، لأنه أدرك أن كل الخدم قد استيقظوا ، ولا فرصة للخروج . . "

قضى موسى هذا اليوم وهو يعض أنامله ، لأنه لم يجد فرصة للخروج . حتى أقبل الليل ، فجلس ينتظر أن ينام الخدم ، فلم يناموا إلا فى الصباح ، ولما أحس أنهم ناموا ، وأخذوا يغطون فى النوم ، قام وذهب إلى الببغاء ليطلب منه الإذن بالخروج.

قال البـبغاء " أطال الله عمـرك ، من أنا حتى أمنعك من الخروج ، كل مـا أرجوه لكل المسلمين ، هو الأخوة ، ولكن عليك أن تسرع فقد طلع الفجر.

تلفت موسى ليخرج فقال الببغاء " أطال الله عـمرك ، خذ المصباح ، لقد سمعتهم أمس يطاردون بعض اللصوص عند منزل كـاكاكى ، لقد سمعـت الحراس يقولون كل من يخرج بلا مصباح سنقبض عليه . "

قال موسى " كيف هذا ،لم أسمع أى صراخ ، كما أنى لم أنم ؟ "

قال الببغاء " لم تكن منتبهاً معنا ، عندما كنت تضحك ، دخل أحد اللصوص منزل كاكاكى ، وفرش بطانيـة ، وأخذ يستعد لربط ما سرقه ، فـدخل الحجرة لص آخر ، ولم يعرف أن لصا قد سبقه ، وعندما دخل ظن اللص الأول أنه صاحب البيت ، لذلك خرج من البيت مسرعـا ، أما الآخر الذى جاء بعد ذلك ، عندما شعـر أنهم قصدوا مكانه ظن

انهم يتبعونه ، فخرج هو الآخر جريا ، شر يطارد شراً ، وأخذ الحراس يطاردون اللصوص من مرزعه مداكى ، نائب السلطان "

قال موسى " هل حدثت سرقتان أمس بعد أن علموا أن الأمير غائب ؟؟ . "

قال الببغاء : " لا . . هذا شيء مختلف . "

عبث يطارد عبثاً Banza Ta Kori Wufi

فى سنة من السنين اشتد الجوع فى إحدى البلاد ، حتى صار الطعام لا يناله إلا الأثرياء، وليس لدى الفقراء والمساكين سوى الكسافا، وهذا الطعام لا يغنى من جوع ، لذلك دأب الذين لا يجدون حتى الكسافا على أن يقوموا بسرقة المزارع إذا انتصف الليل.

وفى هذه الظروف اتفق ثلاثة ممن لا يجدون الكسافا على سرقة مزرعة مساعد الحاكم Madaki، فأعدوا السلال، ولما انتصف الليل قصدوا المزرعة، أحدهم كان يسمى "قودوجو" والثانى "كَطَنْ "Kadan والثالث اسمه "كزنزمى "Kazunzumi فلما دخلوا همسوا فى آذان بعضهم قائلين "الأفضل أن نأكل فى المزرعة، حتى نشبع ، ثم نجمع الكسافا ونذهب بها فى اليوم التالى إلى السوق لبيعها، فجمعوها وانتحوا جانباً يأكلون ، ونظر قودوجو إلى رفيقيه وقال "عجباً ، كسافة هذا الرجل حلوة " .

وقال كطن "ويحك ، الحلاوة ليست مهمة ، المهم أن الطعم كالسكر" .

قال كزنزمى "اللهم افتح لنا أبواب الرزق" .

وأخذوا يتهامسون وقتاً طويلاً، وكأنهم يجلسون فى بيوتهم، ولما شبعوا ملأوا السلال وحملوها.

من المعروف أنه إذا انتصف الليل يسمع الكلام من بعيد حتى لو كان همساً لذلك سمعهم بعض الحراس، فتسللوا وقصدوهم صائحين " لا تدعهم يفرون ، اتبعهم، اطلق النار على كل من تراه واقتله" ، ثم أطلقوا السهام والحراب التى نزلت كالمطر.

كان هؤلاء الحراس من القرويين الأغنياء حديثى العهد بعمل الحراسة عندما تعرف كيف هجموا على اللصوص بجنون هكذا، تعرف أنهم أشبه بالمجانين الذين نشأوا بالقرى، فهم حراس أمناء . نصرك الله ، . . . . تسللوا حتى يقبضوا عليهم بأيديهم ، ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك وهكذا انتهى الأمر.

عندما أحس اللصوص بذلك جمعوا ما معهم وهربوا، وجرى خلفهم الحراس وهم

يقـولون "لا تدعهم يـهربون" ولأن الظلام كـان شديـداً لم ير أحد أحـداً، ومع ذلك أصروا على اللحاق بهم، ولكنهم فروا وكأنهم يفرون من الموت.

وأثناء الجرى قال قـودجو للآخرين بصوت خافت "لقـد تعبت، يجب أن نرمى هذه السلال التى فى أيدينا وننجو بأنفسنا .

قال كطن "هذا ما كنت أود أن أقوله لكما" .

عندما سمع كزنزمى ذلك قال " لاتخافوا بسرعة واصبروا قليلاً، واسمعوا حيلتى" ثم سقط على الأرض قـائلاً " يا إلهى لقد قتلنى ، هذه الحربة التى قلت أنهـا أصابتنى ، بدأ سمها يسرى ، ارحمونى يا إخوتى، وأنقذوا حياتى" ثم همس للآخرين بما يقولونه"

فقالوا " قم بالله نصل إلى المنزل ، ربما وجدنا دواء إذا شربته تتقيًّأ " .

قال كزنزمى "أنا حياتى انتهت ، كيف أقوم؟"

قال قودجو "تسللوا، إذا متِ، لابد أن نذهب بهم إلى قـصرالأمير، ونقول له أنهم قتلوك لأننا كنا نبحث عن جذور الكسافا لنأكلها حتى لا نموت جوعاً. "

ترنح كزنزمى وقال"هيا نذهب ونقول له إذا استطعت. "

قال اللـصوص ذلك ، وأخذوا يرددونـه ، وعندما سمـع الحراس نظر أحدهـما إلى رفيقه وقال "هل سمعت ما يقولون!؟" .

قال زميله "نعم سمعت" ونظر إلى الثالث وقال "سمعت ما يقولون؟.

قال الثـالث "سمعت يستـحقون كل ما أصـابهم، ولنسرع خلفهم لعلهم يرمـون ما سرقوه، فنراه ثم واصلوا الجرى وراءهم.

عندما شعر كزنـزمى أنهم يطاردونهم ، وقع مرة أخرى وقال "يا إلهى. . رأسى!! ، لقد قلت لكم أسرعوا واحملونى إلى المنزل ، لعلى أجد من يرعانى، حتى لا تنتفخ بطنى فى الصبـاح، ولكنى أشعر أن الســم بدأ يضعفنى حـاولوا أن تسرعوا، وصـبروا أولادى. وأخبروهـم أن كل حى سيموت" .

عندما سمع الحراس ذلك أنصتوا ، فأخـذ يكرر الكلام ويقول "اهتموا بوصيتى التى سأقـولها، واشهـدوا أننى وهبت ثلاثين شلناً من مالى والذى تـركته صـدقة، وأترك لكم أولادى أمانة، ارعـوهم جيداً حـتى لا يضلوا ، لقد انتـهت حياتى. . " ونطق الشـهادة، وعندما سمع الحراس ذلك أخذ كل منهم ينظر للآخر.

أخذ كل من قودجو وكطن يقلب كفيه ويقول "لا تظن أنك ستموت ميتة الكلب ، كما قتلوك ، كل من رماك بسهم سيقتله الأمير ، عندما يطلع النهار، لقد قالوا لهم أن يقبضوا على اللصوص، ولم يقولوا اقتلوهم، سننتظر إذا كان سيقتلك، يقتلنا معك، طالما أنهم سيفرقون بيننا وبين أخينا، لابد أنهم سيقتلونهم إذا قتلونا لأننا مسلمون ولسنا كفاراً . . " .

عندما سمع الحراس ذلك، ظنوا أنهم قتلوا هذا الرجل، لذلك أخذوا يفكرون فى الفرار، حتى لا يراهم أحد، واخذوا يفكرون في المكان الذى سيفرون إليه، سمعوا اللص الراقد بدأ حشرجة الموت، ثم تجشأ بقوة وسكت ، . . وقال باقى اللصوص لا حول ولا قوة إلا بالله لقد مات" .

عندما سمع الحراس لم يتوقفوا لاستكمال مشاوراتهم ، وأخذ كل منهم يفرهارباً، ولما شعر كزنزمى أن الحراس قد فروا ، قام وواصل السير وتبعه الآخران حتى المنزل. .

عندما وصلوا المنزل وجدوا ماءً بارداً فشربوا كثيراً . . لقد قلت لك أنهم أكلوا كثيراً من الكسافا غير الناضجة، وما أدراك ما الأكل الحرام، عندما شربوا الماء أخذت الكسافا تنتفخ وهم يلتوون من شدة المغص ويتنفسون بصعوبة وزاد انتفاخ بطونهم قبل صلاة الصبح وقد غرقوا فى التقيؤ والإسهال ولم تطلع عليهم الشمس إلا وقد فارقوا الحياة.

وفى الصباح وجدوا بطن كل واحد منهم قد انتفخ وصار كالقربة وهو غارق فى القئ والإسهال والكسافا تخرج من أنوفهم، وفى الركن تركوا السلال المملوءة بالكسافا غير الناضجة ، فتأكد الناس أن هذه الكسافا هى التى أهلكتهم ،أخذ الناس يبكون ، وأقاموا لهم الجنائز ، وانتهى الأمر.

هذه المدينة كانت كبيرة ولم يعرف هؤلاء الحراس ما حدث ، وعندما التقوا فى الضحى ، قال أحدهم للآخر "تظنون من الذى أصاب هذا الرجل أمس؟ ، إنى متأكد أنى لست مذنباً" .

قال الثانى "ولا أنا فقد كنت أسير وراءكم " .

قال الثالث وهو ينظر إلى الأول "إذا كنتم توجهون إلى الإتهام، فأنتم الذين أمرتم أن اطلق النار. " .

قال الأول "نعم حقاً ولكن أنت تعرف ما كنا نقصده، أنت أطلقت النار، وتجاوزت رأسه ، ولم تصبه" .

قال الثـالث "أظن أننى أطلقتهـا فى الهواء ، وأتعـجب كيف أصابتـه، ولكن القدر وقع، وانتهى الأجل".

قال الآخـرون " حقاً ، يجب أن نسـكت تماماً، حتى لا نكشف أنفـسنا" ومنذ هذا اليوم كلمـا التقى اثنان منهـما ، يتحـدثان فى هذا الأمر ، ويحـاولان الصاق التهـمة فى الثالث.. واستـمروا على هذه الحال حتى النهاية، وهم يظـنون أن الناس إن لم يعرفوهم اليوم فـسيعرفـونهم غدا. ولم يسمـعوا أى كلام فى هذا الموضـوع، ويريدون أن يسألوا ، ولكنهم يخشون أن يكشفهم السؤال أمام الناس.

قال موسى "هؤلاء الحراس كانوا فى غاية الغباء".

قال الببغاء "هم أعقل من الهوساوى الذى خرج للصيد فى بلاد اليوروبا.

قال موسى "هل فاق هؤلاء غباء " ؟! ويحك من يفوقهم غباءً يجب أن يقتل".

قال الببغاء :هيا نسمع قصته".

الأبله والغبى

فى يوم من الأيام خرج رجل هوساوى للصيد يسمى Wawa الغبى، واتجه إلى بلاد اليوروبا ، ولم يكن يعرف لغة اليوروبا ، وقابل بعض الناس فى المدينة مما لا يعرفون الهوسا ولكن لم يهتم واوا بهذا الأمر وأثناء السير وصل إلى باب المدينة، فرأى قطيعاً ضخماً من الأبقار البيضاء ترعى، تعجب واوا وقال فى نفسه إن من يملك هذا القطيع لابد أن يكون ثرياً وسأل رجلاً عند البوابة.وقال له : لمن هذا القطيع؟.

فرد عليه الرجل بلغة اليوروبا قائلاً "لا افهم" ، سمع واوا الغبى ذلك فظن أن مالك القطيع يسمى - لا أفهم - لذلك قال - لا أفهم هذا لابد أن يكون رجلاً ثرياً " ومضى فى طريقه حتى دخل المدينة، فرأى قصراً فرفع رأسه ، ورأى أن هذا القصر كبير ، فقال لصبى على باب القصر "بالله أيها الصبى لمن هذا القصر الكبير؟" .

كان الصبى لا يعرف لغة الهوسا فقال بلغته - اليوروبا "لا أفهم" عندما سمع واوا الغبى ذلك قال عجباً "لابد أن - لا أفهم - هذا لا يفوقه أحد فى الثراء فى هذه المدينة ، هذا القصر الكبير كأنه قصر أمير، إذا رأيت هذا القصر ـ حتى إذا لم يخبرك أحد - تعرف أنه قائم على كثير من المال ولبس حذاءه ومضى، حتى وصل إلى شاطئ نهر المدينة، عندما وصل وجد مركباً كبيراً مقبلاً عليه، وأخذ العمال يخرجون البضاعة منه، نظر واوا الغبى إلى البضاعة وقال "هذه المركب تحمل بضاعة كثيرة" ونظر إلى شخص بجواره وقال له "يا أخى كل هذه البضاعة لرجل واحد!!؟

ولكن اليوروباوى لم يفهم ما يقول فنظر إليه وقال "لا أفهم" عندما سمع واوا ذلك تعجب وقال "أهل المدينة أغنياء حقيقة، - لا أفهم - هذا نال ما يتمنى" متى يشاء الله والتقى بهذا الرجل ، لأمتعْ عينى بجماله وزينته" . ثم جلس يستريح ، فطلب ماء وشرب ثم اتخذ طريقه وسار حتى وصل إلى باب أحد القصور ، فرأى ميتاً ، حمله الناس ليدفنوه وهم يبكون، فوقف واوا ينظر إليهم وأخذته الشفقة واقترب من امرأة عجوز وقال لها "من هذا الذى سبقنا إلى دار الحق!؟

كانت العجوز لا تعرف لغة الهوسا ، فنظرت إليه وقالت " لا أفهم" فلما سمع واوا ذلك أمسك رأسه بيديه وقال "الله أكبر ، اعلم أن كل ما فى هذه الحياه الدنيا إلى فناء، لقد وقع فى مصيبة، بالله عليك انظر ما جمع - لا أفهم - وصار الآن خبرا يروى كأنه لم يكن مخلوقاً فى الحياة الدنيا ، انظر ماذا أخذ معه من كل ما جمع طالما الأمر كذلك ماذا يجبرنى الآن ويجعلنى أهجر منزلى ولا اقتنع؟؟ ها هو الله لم يحرمنى الطعام، لا يخرجنى من منزلى إلا التباهى والعصيان، اللهم احفظنا من عمل الشيطان، أحمد الله الذى جاء بى إلى هنا لأتعظ مما حدث للا أفهم ،- والأفضل أن أعود لبلدى وأصبر على مزرعتى الصغيرة التى وهبنيها الله" .

قام موسى وفتح الدهليز الأول فشعر أن الخدم مستيقظون . فتسلل وعاد.

عندما رأى الوزير أنه مر يومان ، وكل صباح يعود الخدم الذين أمرهم، يقولون لم يستطع أحد أن يطل برأسه داخل الدهليز حتى يئسوا قال "لا" لقد كنت أظن أنه سيخرج ، كيف لم يحدث هذا ؟! ولكن لا بأس ، لا تفسدوا أعمالكم ، عندى حيلة ونادى خادمته العجوز وشرح لها ما يريد أن تفعله في موسى ، وقال لها ، إذا نجحت فى مساعدته وجعلت موسى يخرج سيعطيها عشرة جنيهات ويحررها . وجاء بعشرة شلنات وقدمها لها، فالتهمتها.

قالت العجوز " أمر سهل" وجاء المغرب فدخلت قصر الأمير ببعض السلع لتبيعها، وترقبت عيون الناس ، وأشارت لموسى سراً وقالت "بعثنى محمود لأقول لك هل تقبل أن تضل وتمكث مع النساء؟، وطلب منى أن أقول لك الدنيا لا تحب الجبان" .

اقترب موسى من العجوز وقال لها "بالله يا أمى ، هل هو هناك يحارب؟ .

قالت العجوز "ويحك لا يوجد فى معسكره من لا يتحدث عن محمود ، لقد كنت فى المعسكر، أطهى لهم الطعام ، وأرسلنى محمود إليك" .

فقال " عودى وقولى له : غدا بإذن الله سيرانى" وعادت العجوز.

وعندما أقبل الليل ، وأحس موسى أن النوم تغلب على الخدم دخل ولبس لباس الحرب، وجاء إلى البيغاء ، وقال له "سمعت أن محمود هناك فى ميدان القتال ، يقوم بأعمال مجيدة وأنت تريد أن تفسدنى هنا ببقائى مع النساء" .

قال الببغاء "أطال الله حياتك، ومـا شأنى؟ لم أمنعك ، كيف يقول فارس مثلك أنه ذاهب للقتال وأمنعه. ؟ طالما نيتك أن تفعل مـا يسر قلب والدك، كل خطر يصيبك ينجيك الله منه، كما نجى "أوتو" Autuابن رئيس المزرعة من الحيوانات المفترسة".

قال موسى "ومـا هى المشكلة التي أوقعته فى أيدى حـيوانات الغابة." أخذ البـبغاء يقول:

قصة أوتو ابن رئيس المزرعة والحيوانات المفترسة

فى يوم من الأيام كان لمزارع ابن يدعى أوتو Auto، كان يذهب كل يوم إلى الغابة ويصطاد لهم ما يصنعون به الحساء، فيوما يصطاد أرنباً ويوماً آخر يصطاد غزالاً أو أى حيوان ، وذات يوم لم يجد شيئاً فغضب أبوه حتى ضربه.

واستمر على هذه الحال حتى تعبت حيوانات الغابة من كثرة القتل، فرفعوا شكوى إلى الأسد - ملكهم - ، فقال "ماذا نفعل؟ أنتم تعلمون أننا لا نخشى إلا الله والإنسان".

قال الذئب "أطال الله عمرك ، لا توجد حيلة إلا أن نحاول أن نأتيك بهذا الغلام ، وتعمل ما تراه مناسبا معه." .

قال باقى الحيوانات "وهو كذلك" ، ما قاله الذئب حقاً واستأذنوا من الأسد وانصرفوا.

وذات يوم كان الغلام يتجول للصيد ، فتقابل مع الثعلب ، فسحب القوس ليرميه فقال الثعلب "انتظر ، هل تريد طعاماً؟ تعال لأوصلك إلى حيث ترتاح من التعب" .

ظن أوتو أنه صادق فى قوله، وتبعه ، وسارا حتى وصلا إلى كهف كبير، حيث يمتد الملك الأسد ، وقبل دخولهما طلب الثعلب من الصبى أن يترك قوسه خارج الكهف، حتى لا يظن أنه صياد ، ودخلا ، فوجدا الأسد جالساً وتحيط به كل حيوانات الغابة وهم يسمرون. ركع الثعلب وأدى التحية فنظر الذئب إلى الغلام وقال "وأنت لماذا لا تحيى الملك؟!"

قال أوتو "هل هذا ما يضايقكم؟!!"

رد الذئب قائلاً "انه الأصلع ذات الرأس التى تشبه جوزة الهند المتحجرة "

قال الأسد لأوتو "أيها الشاب لماذا تقتل إخوتنا؟."

وقبل أن يرد على سؤال الأسد ، قال الذئب "أطال الله عمرك، يحتقرنا أنظر إلى جسمه ، ابن حرام ، وغد " .

ركع أوتو وقال "أطال الله عمرك ، هل أنت الملك ، أم الذئب؟؟ " .

عندما سمع الأسد ذلك غضب من الذئب، وقال "لا أريد أن أسمعك تتكلم مرة أخرى هنا، أكمل كلامك أيها الشاب."

ركع أوتو مرة أخرى وقال "كبار شيوخنا طلبوا أن آتى وأستمر فى قتلكم لترى إذا كان ما يقوله الذئب عنكم حقيقة أم كذبا؟!"

قال الأسد "وماذا يقول الذئب عن أخبارنا؟!"

قال أوتو "نريد أن نتخذ لنا ملكاً من الناس لأنه لا أسنان له، ونعينك ملكاً على الحيوانات كلها، ونتحد وراءك، ونفعل كل ما تأمرنا به، ونترك مالا تريده، ونحن نتشاور فى هذا. دخل الذئب المدينة وقال أنك أرسلته يقول أنه ليس بيننا وبينك سوى القتال، فسألناه فقال كل ملوك الحيوانات ظالمون مثلك، إذا أخطأ الإنسان فى حقك خطأ بسيطاً تقول اقتلوه، لذلك طلبوا منى أن أستمر فى قتلكم، لا أعرف ما إذا كنت ستقتلنى أم لا، إذا أمرت بقتلى، يكون كلام الذئب حقيقة، وإذا عفوت عنى يكون الذئب كاذباً".

نظر الأسد إلى الذئب ونهره، وقال "من بعثك إلى الناس؟ "فهب قائماً بعد أن أصابه الإسهال، يقول "كذاب، لم أدخل المدينة أبدا".

قال أوتو "من الكذاب الأسد نفسه، هل نسيت أننا قدمنا إليك كرسياً لتجلس عليه احتراما للملك الذى بعثك".

وقبل أن يتكلم انقض عليه الأسد، ونشب مخالبه فيه، وهجمت عليه كل من حيوانات الغابة، بكل مخلب وأسنان حتى قضوا عليه، وصرف الأسد الغلام.

بعد أن وهبه كثيراً من المتاع الذى يسلبونه من التجار فشكره الغلام وقال أنه سيعود إلى المدينة ليخبر الناس بما حدث - لذلك إذا قابلت الأسد فى الغابة وقلت له "أطال الله حياتك" لا يؤذيك."

نظر موسى فرأى النهار قد طلع، ولم يتوقف ليعرف ما إذا كانت القصة قد انتهت أم لا، ثم تعجب وتلفت ودخل القصر، ورفض طوال هذا اليوم أن يذهب إلى الببغاء، حتى حان المغرب، وتناول خدم الأمير الطعام وجلسوا يتسامرون حتى استولى عليهم النعاس.

وعندما شعر موسى أنهم ناموا، ذهب إلى الببغاء، فلما رآه الببغاء انفجر ضاحكاً، فنظر إليه موسى وقال "ماذا يضحك هكذا، وأنت وحدك كالمجنون؟!..

قال الببغاء "ألم تعرف ماذا حدث ليلة أمس، بمجرد دخولك سمعت الخدم يسمرون

فى الدهليـز الكبيـر، يقص عليهم رئيس الحـرس أسطورة، وعندما رأيت أن النـوم يفارق جفنى ذهبت لأشاركهم، ولما رأيت أن كبير الحـراس انتهى من أساطيره ، قصصت عليهم قصة القروى وابناء المدينة".

قال موسى "لقد هرم كبـير الحراس أيستطيع أن يحكى الأساطير؟! أيه قصـة سمعته يقصها عليهم."

قال الببغاء "ليست قصة جميلة ، أعرفها منذ كنت صغيراً ، الملاكمة التى حدثت فى القصة تثير ضحكى عندما أتذكرها".

قال موسى "ماذا فعلوا".

قال الببغاء:

قصة ساهورو وساهوراما

كان هناك شاب يسمى "ساهورو" Sahoro لا يعمل أى عمل إلا رعى عنزته، فيأخذها إلى مجرى الماء لترعى ، وفى المساء يحبسها ، وليس له طعام إلا لبن هذه العنزة ، إما أن يبيعه ويشترى شيئاً أو يشربه . وهكذا، إذا انفطمت العنزة يبيعها ويشترى أخرى ذات ولد.

كان لا يهمه شيء سوى رعى هذه العنزة وإذا عاد إلى منزله يقول "لا شك أنه لا يوجد عمل أصعب من رعى العنزة، هل فى هذا الوقت يوجد شيء أفضل من أن يضطجع الإنسان ويغط فى النوم؟ ولكن ليس هناك فرصة ، فلا بد أن يتتبعها الإنسان، وإذا لم يفعل ، تدخل إحدى المزارع وتفسد الزرع فأدفع غرامة أو ترفض العودة فيأكلها الذئب، لابد أن أجد وسيلة لأخلص نفسى من هذا العذاب. . " .

كان دائماً يفكر فى مشاكل الرعى، وفى ذات يوم قال فى نفسه "لابد أن افكر فى حيلة وليس أفضل من الزواج من "ساهوراما" Sahorama ، فلديها عنزة واحدة تقوم برعايتها ، فإذا تزوجتها ضممت عنزتى إلى عنزتها، فأجد الفرصة لقيلولة ولو قصيرة؟؟" .

طلب ساهوراما للزواج ، فوافق والدها وتم عقد القران والزفاف وأخذت ترعى العنزتين معاً ولما كان لا طعام لهما ، إلا ما يحصلون عليه من العنزتين "أخذ ساهورو يغط فى نوم عميق.

ولم يمض وقت طويل حتى قالت ساهوراما لساهورو "يا سيدى لقد تعبت من مشاكل الرعى، الذباب يعضنى ، وأتعثر فى الطريق ، بالله أنظر جسمى ، عندما جئت منزلك كان جسمى يلمع، والآن صار كله خشن من عض الذباب، لا أرضى أن يتلف جسمى وأنا فى سن الصِّبا. لابد أن نبحث عن حيلة" .

قال ساهورو "كلامك هذا حقيقى، أراك بدأت تسودين، وأرى أننى بدأت أسمن، فماذا سنفعل مع هذه المشاكل؟!!.

قالت ساهوراما "نعطى المعيز لدبو Dabo ونأخذ منه خلية نحل، نضعها خلف المنزل، وإذا بدأ النحل ينتج عسلاً ، نجمعه ونحصل على الطعام، ونرتاح من الرعى ومشاكله".

قال ساهورو" لقد أصبت الحيلة ، ولا يخفى أن العسل يفوق اللبن حلاوة."

وبعث امرأته لتتفق مع دبو ، فوافق على البدل، لأن هذا أكثر ربحاً له، وأعطاهم خلية واحدة، وأخذوا يحصلون على العسل منها ويشربونه وبحثوا عن قرعة وملأوها.

صار ساهورو ينام منذ الليل ولا يقوم إلا عندما تتوسط الشمس السماء، وكان يقول القيام مبكراً يمنع شعر-الحواجب من الظهور ، ويسبب العشى الليلى، وذات يوم استيقظ من النوم عند الظهر، فرأى زوجته أخذت قرعة العسل وذهبت لتقطفه وتعمل منه طعاماً يأكلونه، فتملكه الغضب وقال "أنتن أيتها النساء فسادكن أكبر منكن ، انظرى هذه القرعة كادت تفرغ ، هل العسل انتهى حتى بدأت تأخذين من القرعة؟ الأفضل أن نبيع قرعة العسل ونشترى دجاجاً وديكاً ، لتبيض لنا وتفقس كتاكيت".

قالت ساهوراما " إن كان الأمر كذلك نأتى بصبى يصب لها الماء والحب ، فأنا لا أقدر على تعب الدنيا كل يوم".

قال ساهورو "إن رعى الدجاج تعب شديد ، وأولاد هذا الزمان الكل يعرف أنهم كسالى، الآن لو فطمنا طفلاً ليلعب مع الدجاج ويرعاها ، ترين اللعب قد استولى على عقله، فلا يعمل عملاً طيباً".

قالت ساهوراما "إذا أخذنا أى صبى ، إذا رفض أداء العمل نضربه بهذه العصا" ومدت يدها وأخذت قطعة من الخشب، "لأضربه على رأسه" وضربت القرعة بالعصا، فانكسرَ القدر الذى يتفاخرون به ووقع العسل على الأرض.

قال ساهورو "خلاص ، الدجاج الذى سنشتريه، والولد الذى سنأخذه، كله نزل على الأرض، ولكن الحمد لله أن القرعة التى انكسرت لم تسقط على رجلى" ونظر لزوجته وقال "مدى يديك واجمعى ما وقع على الأرض قبل أن تشربه ، لنجد ما نبدأ به ، حتى لا يحرمنى الجوع من النوم ، إذا لم أشبع منه".

مدت ساهوراما يدها وجمعت العسل وأخذت تصب القليل الذى جمعته فى قدر، وتلحس جزءاً وتقص على زوجها قصة وتقول "ما فعلته الآن سنرى فائدته مستقبلاً، لأنى سمعت مرة أن السلحفاة دُعيت لعرس ، ومن بُطئها لم تصل إلى منزل العرس إلا بعد

أشهر ، فلما وصلت وجدتهم يحتفلون بسبوع ابن العروس التى جاءت لعرسها ، بعد أن انجبت ، وعندما أخبروها بذلك قالت "فى العجلة الندامة!!" .

رقد ساهورو فوق السرير ينظر إليها ، وهى تشرب العسل بمكرها ، وتسرد له كلاماً فارغاً، فتملكه الغضب، وقال لها ، "أى حكايات فارغة تقولينها ، لا أساس لها، وقد سبب كسلك لنا الخسارة ، لا تستطيعين رعى دجاجتين، وتطلبين خادماً، امرأة فاسدة طائشة" .

قالت ساهوراما "أنت الرجل الفاسد ، إذا نام المغرب لا يقوم من النوم إلا الظهر" .

قال ساهورو وهو يقوم من الرقاد "تسبين من يا ساهوراما ؟ إمرأة فاسدة كافرة!!" .

قالت ساهوراما "هل سمعتنى أسبك؟ أنت الكافر ، ولست أنا الكافرة إذا كنت حراً ولست ابن زنا احفر حفرة وادفنى فيها!" .

واشتد الغضب فقام ساهورو من الرقاد ، ونزل وأمسك زوجته وأخذ يكيل لها اللكمات، حتى تعب ورأى أنه لا يستطيع التغلب عليها، وأخذت ترميه بالحجارة ، فقال لها "أتركينى، أنت ترمينى. . أنا قلت نهايتك اليوم؟!! "

قالت ساهوراما "أتركك لاقع أنا؟ "

قال موسى "إن هذه المصارعة كانت مضحكة ، أى الأخبار قصصت عليهم، أخبار القروى وأبناء المدينة؟"

قال الببغاء " هذه أيضا مضحكة" .

قصة القروى وأبناء المدينة

فى يوم من الأيام كان يجلس بعض أبناء المدينة وإذا بقروى يأتى يقود حماره ليبيعه فى السوق، وأمام هذا القروى يسير مُهَرِج ، ذاهب إلى السوق ليؤدى ألعابه ، يسير ويطبلون له، وهو يرقص ، وهو يرمى فأسا إلى أعلى ثم يتلقفها.

عندما رأى المدنيون هذا القروى ، يفتح فمه عجباً وهو ينظر إلى المهرج، ولم ينتبه إلى الحمار الذى يقوده، قال واحد منهم "ألا تعرفون الآن أنه ممكن أن آخذ من هذا الطائش حماره، بسهوله لو أردت".

قال الباقون "إن لم يكن كلاماً للتسلية كيف تفعل ذلك؟ هل ستضربه وتأخذه لن تستطيع، نحن لسنا بالليل ، ولا تستطيع أن تسرقه".

ثم قام المدنى وسار خلف القروى ، ورفاقه يتسللون وراءه ، وحشر نفسه ووضع الحبل الذى حول رقبة الحمار فى رقبته ، وسلم الحمار لرفاقه، فأخذوه ، وطالما رأى صاحب الحمار أمراً مثيراً أمامه واصل السير فاغرا فاه من شدة الدهشة وهو يتفرج على هذ المهرج.

وعندما رأى هذا المدنى أن إخوته بعدوا بالحمار، أخذ يجمح ، فيشده القروى وينهره، ولكنه لم يلتفت ليرى ما حدث ، وآثر أن يتابع المهرج حتى لا يعمل ألعاباً مسلية ولا يراها . وعندما وجد الحمار لا يتبعه ، التفت ليضربه ويواصل السير، وبمجرد أن التفت وجد رجلاً بدلاً من الحمار، فتعجب وقال " أنت ، ماذا حدث؟"

قال المدنى "أنا حمارك ، انتظر لتسمع قصتى، لأن ماحدث أمر عجيب ، لم أكن حماراً فى الأصل، ولكنى إنسان مثلك، أعيش مع أمى، وذات يوم غرنى شبابى، فشربت الخمر، وذهبت إلى المنزل ، ولم تعرف أمى ما شربت، فلامتنى لوماً خفيفاً، ولم تغضب ، ولعلك تعرف أن من يسكر لا يشعر بنفسه فسببتها، فأمسكت رأسها من الألم ونظرت إلى وقالت "أنا تسبنى؟! هل عشت إلى اليوم الذى يسب فيه الابن والديه؟ ولعلك تعرف حال السكران فقلت لها "أسبك؟ من أنت لأسبك؟؟ فوضعت رأسها بين يديها وصرخت، وطلبت من الله أن أتحول حمارا، ومَنذ هذا اليوم وأنا حمار، حتى شاء الله أن أقع بين

يديك ، والآن أرى أنها قد غفرت لى، فعدت إنساناً" .

عندما سمع القـروى ذلك أخذته الشفقـة، فبحلق فيه وقـال "بالله عليك أطع كلام الديك ، لا تدع الشباب يـغرك، لا تتفاخر بالكذب ، منظرك شـاب وسيم ولكن قلبك سيئ" .

سكت المدنى وهو يسـمع الوعظ ثم قـال "سأعـمل بوعظك لى" ، وغافل القـروى وأخرج لسانه، فك القروى الحـبل وتركه يسير فذهب إلى رفاقه، أخـذوا الحمار إلى أحد المنازل وربطوه، وقبل يوم السوق ذهبوا لبيعه.

لم يذهب القروى إلى السـوق، وعاد إلى منزله وأخبـر زوجته ، بكل مـا حدث ، فشعروا بالشفقة على المدنى ، لأنهم احتقروه وظنوه حماراً وليس بنى آدم.

وذات يوم بعد ثلاثة أيام أخذ اللصوص الحمار وذهبوا به إلى السوق لبيعه، لينالوا ما ينفقونه فى المدينة؟ وتصادف أن ذهب القروى ليشتـرى حماراً، كان الحمار الذى سرق منه أنثى لذلك أراد أن يشترى حماراً ذكراً.

عندما وصل السـوق ونظر حوله رأى الحمارة التى سـرقت منه، فاقترب منـها وأخذ يحدق فيها، وهو يمص شفتـيه قائلاً "الله يلعنك كل الوعظ الذى قلته لك، لم تهتم به!؟ الإنسان لا يتـخلى عن طبعـه ، تسكرون وتسببـون للناس الخسـارة ، كل العذاب الذى أصابك عندى ولم تتب ، روح الـسوق ، احمل الخشب انـقله إلى السوق، كل هذا دون أن تعتذر، ثم تعود وتشرب الخمر، أما عـرفتك اذهبوا عند من تتكرر عنده الشفقة" وتركه ومضى.

قال ابن الأمير "هذا القروى بلغ الغاية فى الغباء.

قال الببغاء "كيف عرفت أنه بلغ الحـد فى الغباء ، اسمع باقى القصة . . عندما بحث ولم يجد حماراً يشتريه ، عاد إلى المنزل وقلبه مملوء حقداً على المدنيين.

وفى المساء خفضوا ثمن الحمار وباعوه وأخذوا الحلاوة" .

ولما حان موعـد السوق التالى ، أخذ القروى نقوده، وذهب إلى السـوق ليبحث عن حماره، وبالقرب من منزل الحاكم ، رأى المدنى الذى قال أنه تحول فاشتراه ، وقد ارتدى ثياباً نظيفة مزهرة متجهاً إلى السوق ، فلمـا رآه القروى عرفه، فتملكه الغيظ فقبض عليه، وقال فى نفسه "لا أقبل أن أخسر مالى من أجل هذا الفاسد" .

ثم نظر إلى المدنى وقال له "عجباً هل عدت رجلاً مرة أخرى؟!" .

سكت المدنى وكأنه لم يسمع شيئاً ، فهجم عليه القروى وأمسكه ، ووضع البردعة فوق ظهره ، وقال أنه سيركبه ويجعله يجرى به.

كان المدنى يظن أنه يمزح ، ولكنه رأى القروى ينهض ويركب على كتفيه، وكان يفوق المدنى فى القوة والمصارعة، فحاول اسقاطه فلم يستطع، تجمع الناس فى المكان ليروا حكمة الله ، ولكن القروى لم يهتم بهم، واستمر فى شأنه، وأخذ يهز رجليه كأنه يركب حماراً، ويضربه بكعبيه فى بطنه.

ولما رأى المدنى أنه لا مفر، رقد على الأرض، فركب عليه القروى وأخذ يضربه ليقوم ويذهب به ، وهو يقول "حتى لو سحبتك لابد أن آخذك إلى منزلى ، لقد أخذت مالى ولن أرضى أن يضيع هباء، سُب أمك لتعيدك حمارا، لقد اشتريتك ولم أعرف أنها ستعود وتغفر لك، وتعود إنساناً لقد خسرت ولن أتركك، يوم الثلاثاء عندما ذهبت إلى السوق وجدت أنك فعلت شيئاً فتحولت حمارا، اشتراك أحد الناس، واليوم أرى أنها غفرت لك فعدت إنسانا، تريد أن يخسر من اشتراك مثلى.؟! ونظر إلى الناس المحيطين به وقال "بالله عليكم أيها الناس ألا ترون أن ما أفعله من حقى، هل يمكن أن يحدث هذا ؟؟ أنت تعرف أنه لايوجد ما يمنعنى أن أتسوق به، أو يفدى نفسه.." . ثم انهال عليه ضرباً ، ليقوم ويذهب به إلى القرية.

وهم على هذه الحال جاء شرطى فأخذهما إلى منزل القاضى ، فسأل القروى عم فعل، فقص عليه كل شئ ، فلما سمع الناس ذلك لم يتمالكوا أنفسهم من الضحك ، سأل القاضى المدنى، أهكذا ، قال المدنى "لا ، لم أر هذا القروى إلا اليوم" .

كان القاضى يعرف طباع مثل هذا الرجل ، فطلب من الجنود أن يستجوبوه حتى يقول الحقيقة،عندما استلمه - هؤلاء الذين يغضبون لغضب الغير - وشعر بآلام الضرب قال "بالله عليكم انتظروا بالله عليكم انتظروا!!" فانتظروا فقص حكاية القروى ، واعترف بكل شئ ، فتعجب الناس وأمر القاضى أن يدفع ثمن حماره، أحد عشر جنيهاً وشلناً واحداً ، كما اشتراه القروى، ولعلك تعرف المال عندما يكون فى يد اللص لم يبق منه سوى ستة جنيهات وشلن مما قبضه من ثمن الحمار فى السوق السابق.

وأمر القاضى أن يسجن المدنى، ولما تسلم القروى المال ، انصرف لشأنه والقروى هو

القروى مـا زال يعتقد أن الرجل تحـول فعلاً، ولم يدرك الحـيلة التى فعلها اللص ليـسرق حماره.

نهض موسـى وهم بالخروج ، ولكنه سـمع كلاماً فى الدهليـز الكبيـر، فقـد ضايق البعوض بعض الخدم فعـجزوا عن النوم، فاستيقظوا وأخذوا يسمرون حـتى الصباح. فعاد موسى إلى القصر وهو مملوء غيظاً.

وبمجرد أن دخل القـصر لم يكن فى عـينيه إلا النوم ، لأنه لم يغـمض له جفن فى الأيام القليلة الماضية، وما كاد يرقد حتى أخـذه النوم ولم يستيقظ إلا العصر، فقام وصلى وبعد قليل حان المغرب فأكل ، وعاد الحراس يسمرون.

عندما أحس مـوسى أن الحراس نامـوا ، لبس ملابس الحرب ، وخـرج إلى الببـغاء وقال له "بالله عليك لا توقفنى اليوم، اسـمح لى أن أخرج ، أسأل الله أن يحفظنا ، لم أر طائراً ثرثاراً مثلك".

قفـز الببغـاء هنا وهناك ، الكل يعرف ثرثرتنا، ولكن إذا فكرتم فـيما نقـول لن تجد ثرثرتنا عبـثاً ، نحن ننذر، ولأننا لسنا منافـقين نكشف السر الذى نراه لدى من يضـمرون الشر لبنى آدم، لذلك فنحن الآن نرى أنه حيثما لايوجد سمر يكون مجلس النساء ، انتظر لتسـمع ماذا فعلت مع امرأة لكى تعرف أن أمرنا بيد الله ، وليس بيد عبيده".

قصة الببغاء وربة البيت

ذات يوم خرج ثرى للتجارة ، وترك زوجته فى المنزل ، وكان عنده ببغاء تركه مع زوجته فدأبت الزوجة على الخروج فى غياب الزوج ، وكان الخدم يرون منها ما يضايقهم ولكنهم لا يستطيعون الكلام، حتى لا تشى بهم عند عودة زوجها ، لذلك كانوا ينظرون إليها بأسف.

وهى على هذه الحال عاد الزوج ، لعلك تعرف طبائع الناس فى هذه الحياة، أَسَرَّ أحد الخدم ما فعلته الزوجة فى غيابه ، فلما سمع ناداها ولامها، وأخذ العصا وضربها.

عندما رأت الزوجة ذلك تركت المنزل ، فجاءوا بها ، فقالت فى نفسها "لم يذع السر إلا الببغاء" وأنت تعرفنا نصرك الله " نوصف دائماً بخفة الدم ، فما بالك بالنساء، يقلن أننا أكثر المخلوقات نميمة ، لذلك تركت الزوج يذهب إلى السوق، وأمسكت الببغاء ونتفت ريشه، وألقته خارج المنزل من النافذة، وهى تقول "بسببى ستكف عن النميمة" ، ولكن كتب الله للببغاء الحياة، فتسلل حتى وصل إلى إحدى الغابات ، فوجد قبراً فدخل فيه وهو يتألم.

وعندما عاد رب البيت ، قالت له الزوجة أنه بعد خروجه بقليل أكلت القطة الببغاء، فلما سمع ذلك أدرك أنها تكذب وأنها قتلته لأنها تظن أنه هو الذى أخبره أنها كانت تخرج أثناء غيابه، لذلك غضب غضباً شديدا، وأخذ يضربها ضرباً مؤلماً ، وطردها من المنزل، فذهبت إلى المقابر وهى تبكى، وتصادف وجود الببغاء بالقرب من إحدى المقابر، يسمعها، فقال لها "اسكتى ، كفى عن البكاء إن شاء الله تعودين إلى منزلك، ولكن بشرط واحد ، وهو أن تذهبى وتقصى شعر رأسك تماماً ، وتعودى هنا وغداً ساعدك للعودة إلى منزلك .

نظرت المرأة فلم تر أحدا، وما أدراك، النساء؟! ظنت أن أحد الأموات يحدثها، وفى الحال ذهبت إلى منزل والديها ، وجعلتهم يقصون شعرها، ولما طلع النهار، وجاء المغرب ، قصدت المقابر ، ورأسها يلمع كأنها رجل.

عند وصولها إلى المقابر ، ذهبت إلى القبر، وما ادراك ما الجاهلة ركعت وقالت : قصصت. فقال الببغاء "حسنا هل عرفت السبب الذى جعلنى أقول لك قصى شعر

رأسك؟ لأنك ظلمت طائراً صغيراً ، ولمتيه على ما لم يقل وما لم يفعل ، حتى نتفت شعره، ورميتيه خارج المنزل لهذا عفوت عنكِ وقلت لك قصى شعر رأسك ، ولكن إذاً أخطأتى وفعلت هذا مع طائر آخر ستبكين علىَ نفسك، وهذا الطائر الذى قتله سيعود إلى الحياة الدنيا كما سأعيدك إلى منزلك ، وسأعيده إليك، فاهتمى به جيداً، واجعلى زوجك يكلف خادماً عاقلاً برعايته ليقدم له الماء والسكر وامنعى الأطفال من ندائهم له بالببغاء المجذوم. فأطالت هذه المرأة ركوعها ، وقالت "سمعاً وطاعةً" .

وعندما همت بالقيام قال لها الببغاء "بقى أمر آخر، اليوم الثانى عشر من شهر صفر، فى مثل هذا اليوم من كل عام، قصى شعرك ليذكرك ، دائما بأن هذا الببغاء الذى ظننت أنه تافه ليس كذلك . ولكنه أمانة الله وضعها بين يدى بنى آدم، والأفضل أن ترعوه جيداً. وغدا ستعودين إن شاء الله إلى بيتك ، إذهبى إلى البيت لشأنك ، ولكن احفظى هذا التحذير الذى قلته لك جيداً ، وكونى طيبة ، واتبعى زوجك خطوة بخطوة، حتى يجمعنا الله فى دار السلام" .

عادت المرأة إلى منزل زوجها ، وطار الببغاء حتى وصل إلى بيت الثرى، وقال له "هل تعرفنى؟!" .

نظر الثرى إلى ببغاء بلا ريش وقال "ماذا أفعل لأعرفك ، لم أرك من قبل؟

قال الببغاء " لم ترنى من قبل؟ أنا ببغاؤك الذى أكلته القطة" .

قال الثرى "طالما أن القطة أكلتك ، فماذ حدث حتى تعود إلى الحياة؟

إنى أعرف أن القطة لم تأكلك، ماذا حدث لك" .

قال الببغاء " قدر لى أن أخرج من بطن القطة ، لأقول لك أن كل ما قالته زوجتك حقيقى، فقد أكلتنى القطة، فلا تلمها، ولكن إذا كنت تحبنى، سأنتظر عندك مدة أطول ، لينمو ريشى وأعود كما كنت من قبل ، حتى يمد الله حياتنا معاً على أن تعيد زوجتك وتعفو عنها ، وتعيشا فى سلام" .

قال رب البيت "حسنا " وبعث يطلب من زوجته أن تعود ليعيشا حياتهما ، وصارت امرأة طيبة منذ هذا اليوم ، لا تدانيها امرأة فى الطيبة فى المدينة كلها.

وقام موسى ليخرج ، فنظر إليه الببغاء وقال "والله أطال الله حياتك لم تر كيف تنتقم ، اذهب بسرعة ، لا تدع التفكير يهلكك عبثاً ، كما كاد يهلك أمير "زيرانا" .

التفت موسى وقال "أين زيرانا؟ وما هو التفكير الذى أهلكه ؟ قال الببغاء .

قصة الأمير زيرانا وكاهن المدينة

كان يعيش فى زيرندما يأتى الأطفال للشراء فقط عند ذلك يبدأ الصياح خفية ، عندما رآه الأطفال يطوف الشوارع وهو يصيح ، أقبلوا عليه وساروا وراءه يضحكون، ويقولون أنه يجيد الصياح ، إذا سمعته يخيل إليك أنك ديك ، من لديهم قليل من المكر من الأطفال كانوا يطلبون منه أن يستمر في الصياح بصوت مرتفع ، حتى يأتى غيرهم للشراء.

فكان صاحبنا هذا يستمر في الصياح منذ الصباح حتى العصر ، ولم يرفع طفل واحد رأسه ليرى الديوك التي في السلة ، ولكنهم كانوا يلهون مع سومالى فقط ، ويرون كيف يحرف فمه ، ويصيح مثل الديك ، فيضحكون ، فلما رأى أنه طاف السوئدة ، وبدلاً من أن ينقص وزنه أخذ يزداد كل صباح ، كأنهم يعطونه دواءً لزيادة السمنة، وعندما رأى الأمير ذلك ازداد حزناً ، وكاد أن يقتل نفسه من شدة الحزن، فقد وهبه الله الدنيا ، ولكن السمنة منعته من الاستمتاع بها .

وهو على هذه الحال سمع عن طبيب يسمى "جارا أبرقما" فبعث الأمير بمن يستدعيه، وشرح له حزنه ، وقال إذا شفاه سيقدم له هدية عظيمة تعجزه عن الشكر.

قال جارا "حسناً، نسأل الله المعونة ، ولكن إذا سمحت أطال الله عمرك - أريد أن تمهلنى ثلاثة أيام ، لأذهب لاستشارة أبرقما، جدتى ، وما تراه سأخبرك به " .

قال الأمير "حسنا، اذهب ، أعطيتك إذنا ثلاثة أيام ، ولكن لا نتجاوزها. ودعه جارا وخرج، وهو يفكر فى حيلة ليخدعه ، لقد شعر أنه لولا أن الأمير غبى ما فعل ذلك ، فأى طبيب يستطيع أن يوقف مشيئة الله؟" .

بعد ثلاثة أيام عاد جارا إلى الأمير وقال له "نصرك الله ، لقد عدت" .

قال الأمير "وهو كذلك ، ما الأخبار؟"

قال جارا "رفعك الله ، دع السر مستوراً، لقد ذهب الأمر بعقلى " .

قال الأمير "ماذا رأيت ، قل . اخبرنى لأسمع. "

قال جارا "أطال الله حياتك ، لا أستطيع أن أقول ما قالته جدتى لى، لأن الأمر محزن أقسم بعمامتك ، أننى لم أنم منذ الأمس ، ما رأيت أكثر من أن تبحث عن دواء ، استغفر الله" .

غضب الأمير وقال "أسمع اليوم كلاماً فارغاً ، قلت أن تقول لى ما رأيت أخذت تلف وتدور" .

قال جارا "رحم الله الأمير ، قالت لى جدتى . أنه بقى أربعون يوماً وتسبقنا إلى الدار الآخرة " .

غضب الأمير وأمر أن يقبضوا عليه ويلقوه فى السجن، فقبض عليه الجنود، فقال جارا "هذا ما كنت أخشاه عندما أقول لك الحق" فقادوه إلى السجن.

أخذ الأمير يفكر فيما قاله جارا ويقول "لقد عرفت أن جارا رجل مشهور فى علاقته بالجن، والأفضل أن أعد الأيام الباقية من المدة التى حددها ، فإذا مضى أربعون يوماً ولم أمت، أعرف أن جارا كذاب وإذا شعرت بمرض الحمى بعد ثمانية وثلاثين أو تسعة وثلاثين أعرف أن أجلى قد انتهى" .

هذا التفكير الذى استولى على الأمير يتغير ، فلم يعد يأكل طعاماً جيداً ، ولا يسر نفسه بملذات الدنيا ، كما أصابته النحافة من كثرة التفكير، ولم يدرك الناس السبب.

بعد ثلاثين يوماً من هذا العلاج ، ازداد غضب الأمير حتى تعبت رأسه وأخذ يمرض، وفى اليوم الثامن والثلاثين ، أخذ الصداع يزداد ، فنادى ابنه وسلمه مفاتيح خزائنه ، وأخذ يوصيه ، ويحذره ، ويقول له أن حياته قد انتهت ولم يعرف الصبى ماذا يعنى أبوه، فظن أن ذلك بسبب شيخوخته ، يريد أن يطلعه على أمور الدولة.

وهكذا حتى اكتملت الأربعون يوماً ، والأمير ينتظر الموت ، فلم ير أنه قد مات حتى مر خمسة وأربعون يوماً، ولم ير الأمير الموت، فبعث من يأتون له بجارا من السجن، وقال "لقد قلت أننى سأموت بعد أربعين يوماً، وها قد مضى اليوم خمسة وأربعون يوماً، على كلامك ولم أمت؟" .

قال جارا "لقد سألتنى دواءً لإزالة السمنة، هذا الكذب الذى قلته لك، وأنك ستموت بعد أربعين يوماً، هو العلاج ، اسأل كل إنسان فى البلد تسمع أن وزنك قد نقص".

عندما سمع الأمير ذلك هدأت نفسه، وانفجر فى الضحك، وأخذ الناس جميعاً يمدحونه ويقولون "لقد بلغ جارا غاية المهارة"

قال جارا للأمير "ليس هذا الأمر مزاحا ، يجب أن تعطينى ما وعدتنى به" .

فأمر الأمير أن يحضروا له ، قمصاناً وأقمشة وسراويل، وقال كل من يحبه يقدم لجارا الهدايا أخذ الناس يغدقون عليه المال ، فأخذ يشكرهم ، حتى بكى من شدة السرور وأذن له الأمير بالانصراف ، فجمع كل ما قدم له من الهدايا وخرج .

وكان كلما تذكر الأمير هذه القصة يضحك على نفسه ، إذا تذكر ليلة اكتمال الأربعين، وعندما كان يتجول داخل القصر وحده ، وهو فى حيرة يصلى على أفضل الخلق.

وعندما انتهى الببغاء من هذه القصة سمع موسى الديك يؤذن، وطلع النهار ، فلم يعرف ماذا يقول للببغاء ليشفى غليله، فدخل القصر ولم يقل للببغاء أى شيء.

وحان المغرب فعادت المرأة العجوز تحمل رسالة بعث بها الوزير كأنها من محمود، أعطتها لموسى ، فأخذها وقرأها ، وقال "لعن الله هذا المخلوق الصغير الذى منعنى من الخروج" .

قالت العجوز "أطال الله حياتك ، فى كل أنحاء الريف فى هذه الأيام لا تسمع رجلاً ولا أمرأة تنطق إلا اسم محمود ، ولم يعد للنساء غناء إلا اسم محمود.

قال موسى "هل النساء ينشدن الشعر فيه ، بالله عليك ، هل تستطيعين أن تنشدى شيئاً لأسمعه؟" هزت المرأة رأسها ، وأنشدت شعراً لم يسمعه من قبل.

عندما سمع موسى هذا الشعر ابيضت عيناه ، فقامت المرأة وذهبت إلى الوزير وأخبرته، فقدم إليها هدية.

وفى الصباح الباكر لبس موسى لباس الحرب ، وأخذ سكينا كبيراً ، وذهب إلى الببغاء، وقال له "سأذهب وافقت أم لم توافق" .

طأطأ الببغاء رأسه وقال " أطال الله حياتك ، هل لى القدرة أن أمنعك؟ اذهب ، وأحضر بعض القروش لتقدمها صدقة، وهبك الله السعادة" .

قال موسى "وهو كذلك" والتفت ليخرج . فقال الببغاء "هل تنتظر قليلاً لأخرج

من النافـذة لأحضر لك بعض الدواء الـواقى من الحديد الذى ورثتـه عن أجدادى؟' أنت تعرف أن الشجعان لا يتحركون إلا بعد الاستعداد'.

قال موسى : ذلك حق ، اذهب واحضره لى، ولكن لا تتأخر طويلاً.

خرج البـبغاء من النافـذة، وتسلق شجـرة ، ومكث فترة ، وبعـد أن اقترب مـوعد الصـلاة عاد ببـعض أوراق الشجـر، ولم يعـرف أى نوع من الأغصـان أحضـر ، وطار وأحضرها إلى موسى. أخذها موسى وقال 'ولكنك عطلتنى'.

قال الببغاء 'لو عرفت أقصى ما وصلـت إليه ، مالمتنى على التأخير، اجعلهم يغلونه لك، واستحم به ، ليس من أجل الحديد ، ولكن لشيء آخر'.

قال موسى 'سمعت الفجر يؤذن'.

قال الببغاء 'لا بأس ، اذهب غـدا ، الذهاب مبكراً أفضل من المال ، قبل أن ينادى للصلاة، دعنى أقول لك قصة قصيرة'.

قصة القط والفأر

كانت توجد مزرعة لرجل خلف المدينة، وكان فيها شجرة ضخمة يعيش فى جذعها فأر وفى كهفها قط. وكان القط يخرج كل يوم يعيث فى المزرعة فسادا ، فلما ضايقة ذلك أحضر قماشاً وصنع منه شركا، ليصطاد كل من يعبث فى مزرعته ، وفى صباح أحد الأيام رأى القط الفأر ، فهجم عليه ليقتله ، فوقع فى الشرك وحاول الخلاص ولكن عجز فلما التفت ورأى القط وقع فى الشرك، أخذ يرقص فرحاً وهو فى غمرة السرور نظر فى حطب المزرعة فرأى بالقرب من جحره ثعباناً ، ينتظر خلاصه من القط لينقض عليه ويلتهمه .ولما نظر إلى أعلى رأى حدأة تحوم حوله تنتظر الفرصة للانقضاض عليه. فوقف الفأر حائرا لا يدرى ماذا يفعل.

وهو على هذه الحال فكر فى حيلة ، وقال "لقد عرفت أن الثعبان والحدأة لا يستطيع أحد منهما أن يقترب من القط ، والأفضل أن اذهب إلى القط، وأجعله يقسم ألا يضرنى على أن اخلصه بقرض الحبال والشبكة.

وذهب ليعرض عليه الفكرة فقال القط "متى سنبدأ هذا العمل ؟ هل تخلصنى من الهلاك ثم أضرك ؟ خلصنى وسنكون أصدقاء إلى الأبد".

قال الفأر "هيا نجرب وعدك لنعرف ما إذا كان حقيقة أم لا، سأدخل فيما بين رجليك لأعرف ما إذا كنت ستؤذينى أم لا ، ولتعلم أنك إذا اهلكتنى أهلكت نفسك، قال القط "أنا لا أقول كلاماً وأنقضه".

أخذ الفأر يقرض فى كل مكان والقط لا يتحرك ، وعندما رأى الثعبان ذلك تسلل ، حتى لا يتخلص القط وينقض عليه، وانصرفت الحدأة خشية القط.

قال القط للفأر "يا عزيزى، بسرعة اقرض هذه الحبال ، لأنجو ، ففى كل حركة أشعر أنها تضغط علىّ".

قال الفأر "اصبر قليلاً، " إن الحبال متينة " متظاهراً أنه يجد فى عمله، وكأنه يقرض الشبكة بقوة، ولكن فى الواقع كان يعمل ببطء ، ويقول فى نفسه "إذا أسرعت فى العمل وخلصته ، لا أظن أنه سيتركنى ، ولكن إذا تراخيت فى العمل حتى يأتى صاحب

المزرعة، عند ذلك أعمل مسرعاً إذا رأيته فإذا تخلص القط هرب ، ولا يتوجه إلى" .

أخذ القط ينظر إلى الفأر ، ويقول "بالله عليك أسـرع لقد طلع النهار، والآن سيأتى صاحب المزرعة ويرى ما حدث ، فإذا وجدنى هلكت" .

قـال الفـأر "دع الخوف، إنى أعـمل بكل قـدرتى، مَنْ منَ الفـئـران غيـرى يقـبل مساعدتك" . واستمر فى القرض رويداً رويداً ، ويترك بعض الأماكن.

ومن بعيد رأيا صاحب المـزرعة قادماً مستنداً على آله الحفـر ، قال القط للفأر ها هو . قادم، ها هو قادم ، بالله أسرع " .

أسرع الفـأر فى عمله ، وقـبل أن يصل المزارع كان الفأر قـد قرض الشـبكة كلها ، فجرى القط ودخل الغابة ، وجرى الفأر ودخل جحره.

أخذ المزارع يقلب كفيه ويقول "يا خسارة لقد قطع الشبكة، ولكن صبراً ،غدا أبحث عن حيلة أخرى" وجمعها وعاد إلى المنزل.

وعندما طلع نهـار اليوم التالى ، جاء الـقط ووقف على مدخل جحر الفـأر وقال يا صديقى، يا صديقى ، اخرج لنتحدث حديث الأصدقاء.

ضحك الفـأر عندما سـمع كلام القط، "وقـال أية صداقـة؟ طالما أنك هنا لن ترانى أطل برأسى . القدر هو الذى جعلنا نأمن لبعضنا، ولن تدوم الصداقة ، إنها مجرد كلام، لقـد افتـرقنا منذ الأمس كمـا تكون الصداقـة بين الماء والنار تكون بيننا، لقـد صبـرت ، وتجاوزنا الخطر ، فإلى اللقاء" .

عندما سـمع القط ذلك ، ربص وأخذ يقسم ، ويـطمئنه قائلاً " أخـرج، لنبحث عن مكان للإقامة ولن أضرك ، ونظراً لكونى أكثر منك قوة، فسأرد عنك كل أذى وأنجيك منه" .

وأخذ يتـحايل على الفأر الصـغير حتى أقنـعه ووافق على كلامه ، وخـرج ، وأخذ يلف فلم يضره بشئ ، فقال "نعم، صدقت ، فى القطط كثير من أولاد حلال" .

قال القط : أنه سيجمع كل المتاع الذى ادخره ، ويعودان إلى الكهف ، فى الشجرة الكبيرة ، لأن هناك أوسع ، فأخذ الفأر يجمع الأشياء الكثيرة التى جمعها لوقت الشتاء حيث يمكث فى الجحر ولا يخرج خشية الإصابة بالبرد.

عندما رأى القط الأشياء التى جمعـها الفأر من دخن ، وزبدة ، ولحم وفُرا ، وجبنة وأشياء أخرى مـختلفة شعر بالخجل لعدم وجود شـئ من كل هذا فى منزله فسأل الفأر :

كيف جمعت ، كل هذا الطعام فى الغابة ؟ ، قال الفأر " لدى صاحب المزرعة الذى امسك ، كل يوم تأتى زوجته إلى المزرعة ، وقبل أن يصل إلى نهاية خط الزراعة ويأتى ليأكل ، اذهب واخطف شيئا وآتى به إلى جحرى ،ثم أعود مرة أخرى، والبعض الآخر ورثته عن أجدادى" .

قال القط "هذا فقط" ، اجتهد هو الآخر ، واجتهد الفأر وجمعا أكثر مما جاء به وعندما انتهيا وقفا يتشاوران فى مكان المخزن ، قال القط "أفضل مكان هو المصلى عند مدخل الباب" أخذا المتاع ، وبحثا عن مكان وأخفياه، وعادا إلى الجحر ، وأخذا يعيشان حياتهما.

وذات يوم وهما جالسان ، أحس القط بالكسل يستولى عليه، وأخذ يشعر بالجوع ولم يدخل حتى يسحب من المخزن، فذهب إلى الفأر وقال له " لقد بعثوا إلىّ من المدينة يخبروننى بأن أختى وضعت، واليوم موعد تسمية المولود وأريد أن أذهب الآن ، يجب عليك أن تبقى لتكنس المنزل، لأننا لن نذهب معاً، لأن أحوال بنى آدم ليست واحدة ، ما يراه أحدهم ويتركه، قدلا يتركه الآخر إذا رآه" .

قال الفأر " وهو كذلك ، ولكن لا تنسى عند توزيع السبوع " .

قال القط "ويحك ، إذا نسيتك، أتذكر من!؟ " وقصد المدينة .

لقد كان القط يكذب ، فلم يدعه أحد للسبوع ، ولكنه قصد مخزن الطعام المدخر ليأكل منه، ولما أكل وشبع بحث عن مكان ورقد فيه يلحس شاربيه، ويزوم . وبعد اشتداد حرارة الشمس ، عاد إلى الجحر.

ولما رآه الفأر من بعيد أقبل عليه مسروراً يظن أنه أحضر له شيئاً من الطعام ، فقال له ماذا ولدت ؟.

فقال "ذكراً" .

فقال الفأر "ماذا أسموه؟"

قال القط "العمل الجاد لم يأتى بعد" .

قال الفأر "العمل الجاد لم يأت بعد هذا اسم غريب ، أهكذا أسماء ذريتكم؟!" .

قال القط "ما هو الغريب فيه، وأنتم ماذا تسمون أبناءكم طمبرنتو؟"

فلما رأى الفــأر أنه غضب ، تركه ، وبــعد يومين ، قال القط ، لقــد حدثت ولادة أخرى فى عائلته ، سيذهب للسبوع.

قال الفــأر "و هو كذلك، ولكن بالله عليك لا تنسى هذه المرة، أنت لم تحـضر لى شيئاً فى المرة السابقة".

قال القط "لقــد مكثت طويلاً فى هذا المكان، ولكن اليــوم سأحاول أن آتــى بخمس قطع صغـيرة من اللحم، وخـرج ، ولم يتوقف إلا عنــد المصلى، فدخل وأخـرج الطعام المدخر وأخذ يأكل منه، حتى شبع ، واتخذ جــانباً ونام، وعندما اشتدت حرارة الشمس، قام وعاد.

سأله الفأر قائلاً "أين نصيبى من بقايا الوليمة، أم أن للمدعوين كانوا كثيرين؟

تغاضى القط عن الكلام، وتجاهل هذا السؤال، فقال الفأر "وما الاسم الذى سمى به المولود اليوم؟

قال القط "اليوم وغدا لن يبقى شئ".

قال الفأر "اليوم وغدا لن يبقى شئ، هذه الأسمــاء التى تسمونها لم أسمع عنها فى كتبنا".

لم يعره القط أى اهتمام، وذات يوم ادعى أنه وجــهت إليه الدعوة، فذهب وأكل ما تبقى من المدخرات فى المخزن ، وعاد.

سأله الفأر عن اسم المولود فقال له "كل شئ بدأ وانتهى ، وتحاشياً لغضب القط، لم يقل الفأر شيئاً ، واستأنفا حيــاتهما، ومنذ هذا اليوم لم يعد أحد يدعو القط لأى سبوع ، كأن أخوته جميعاً توقفوا عن الولادة.

ومرت الأيام ، وأخذ البرد يشتد ، فقال الفأر للقط "حان الوقت لنأتى بالطعام بى؟! ، الآن عرفت مــا حدث ، لقد كنت تأتى إلى هنــا، وتدعى أنك دعيت للسبــوع، اليوم الذى بدأت تأكل فيه قلــت أن اسم المولود "العمل الجاد لم يأت بعد" وعندمــا عدت قلت "اليوم وغداً لن يبقى شئ" ، وعندما أتيت على آخره، قلت اسم المولود.

غضب القط وقال "كف عن الكلام بالتى هى أحسن، إذا ســمعتك مرة أخرى تنطق حرفاً سأقضى عليك".

كان الفأر الصغيـر على وشك أن يقول "بدأت وانتهت" أسكته القط ، لذلك سكت قبل أن يخرج الحرف الأول من فمه، ولم ينتظر شيـئاً فانقض على الفأر والتهمه . نصرك الله، أرأيت كـيف يكون المخلوق السيئ ، مـا أريد أن أزدك به إذا كنت أميـراً ابحث عن الأمراء ، فالعلماء يبحثون عن العلماء ، الفقراء يبحثون عن الفقراء ، وكل من لم يتبع ما أقوله ، إذا لم يعاون الناس لايجد من يعاونه.

قام موسى ودخل القصر وأعطى الخدم الدواء الذى أحضره الببغاء لغليه، وانتظر هذا اليوم ليستحم به كما قال الببغاء.

عندما غربت الشمس أقيمت الصلاة، أخذ موسى يقرأ الورد، وقبل طلوع الفجر نام الخدم، فاستعدما وذهب إلى الببغاء، وقال "سأذهب".

قال الببـغاء "كل هذه الأناقة وتذهب إلى مـيدان القتال، لا يوجد شـئ جذاب مثل منظرك ، لا شك كل من تراه فى هذه الدنيا ، لديه الأعباء التى كلفه الله بها.

العالم يطلب العلم ، الساحر يطلب السـر ، الأمير يطلب الملك ، نصرك الله ، كل من غير نفسه فى الأمر الذى كلفه الله به ويحقد على الناس ، يجلب لنفسه المشاكل .

قال موسى "لولا عدم التعقل ما الذى يجعل الإنسان يهتم بهذا الأمر ؟

"كل إنسان يـعرف أن الله خلق الناس ، وفـتح لهم أبوابا مختـلفة يسلكونهـا طلباً للرزق" .

قال الببـغاء "أنت تعرف أن الله خلق الإنسان ، وكل له الرأى الذى يعـتقده ربما لم تسمع من قبل قصة الحمار والثور؟

قال موسى "لا" .

قال الببغاء إذا كان الأمر كذلك انتظر لتسمع.

قصة الحمار والثور

في يوم من الأيام كان يوجد رجل ثرى يسمى سالى، كان كل يوم يدعو الله أن يهبه القدرة على فهم لغة الحيوانات، وكان كلما سمع عن عالم مشهور ، يبعث له بالمال ويسأله الدعاء لكى يحقق الله رجاءه.

ومرت الأيام على هذه الحال ، حتى استجاب الله لدعائه ، فذات يوم كان سالى نائماً، فلما استيقظ فى الفجر سمع ديكا يقول "قيقرى" فقالت الدجاجة للديك "إن لك صوتًا. لا يوجد فى كل هذه المدينة من لم يسمع أذانك".

قال الديك وهو يهز جناحيه "إننى مصاب بالزكام اليوم، عندما كنت معافى كان يسمع صوتى كل من فى المدينة".

انفجر سالى فى الضحك، حتى كاد يخرج عن وعيه ، وشكر الله الذى استجاب

لدعائه ، وقام وتوضأ وصلى ، ثم خرج إلى الدهليز الذى يجلس فيه خدمه، يتحدثون فى شئون الدنيا، كل يقول ما يعن له.

وعندما اشتدت حرارة الشمس دخل سالى إلى المنزل ليستريح قبل الظهر، فلما صعد على السرير لينام تعذر عليه النوم، فأخذ الفروة وخرج ليجلس تحت الخميلة ، بجوار الإصطبل وبالقرب من الحظيرة، وأخذته سنة من النوم، وكان فى هذه الحظيرة ثور المزرعة وحمار الركوب مربوطين بجوار بعضهما ، فسمع الثور يقول للحمار"أنت سعيد ، كل الخدم فى هذا المنزل يرعونك ، يحمونك ويقدمون إليك كل ما تشتهى من طعام، أما أنا فكل يوم يعلقون لى المحراث، ويأمرون هؤلاء الخدم الحاقدين يذهبون بى إلى الحقل، فأعمل منذ طلوع الشمس حتى غروبها، وليس هذا فقط الذى يؤلمنى، ولكن ضربهم لى إذا أردت أن استريح قليلاً ، بالله عليك انظر إلى رقبتى ، كيف تسلخت من العمل، وعندما أعود إلى المنزل لا يقدم لى طعام شهى لآكله ، هل يكون الإنسان كذلك لأنه رأى حقد غيره، فلا يجب أن يرى غباءه".

عندما سمع الحمار ذلك قال "تهاونك فى حق نفسك هو الذى جعلهم يعاملونك

هكذا ، عندما يأتون ليربطوا لك المحراث انطح واحداً منهم، وإذا لم تنطح أحدهم فاهجم عليهم كأنك ستطأهم بـقدمك. فسترى أنهم يخففون عنـك العذاب لقد وهبك الله القوة التى تجعل نفسك محـترماً إذا استفدت بها. ولكن غـباءك منعك من هذا ، وإذا لم تفعل لهم ذلك ستراهم يأتون لك بالردة المعـفنة ، فإذا أحضروها لك فلا تأكلها ، إذا شـمـمتها امتنع عن أكلها، والله إذا عملت بمشورتى سترى الأمور تحسنت وتشكرنى" .

عمل الثور بمـا أشار عليه به الحمار وشكـره على هذه النصيحة ، وكـان سالى راقداً يستـمع إليهم، وعندما طلع النهـار أخذ الخدم المحراث وعلـقوا الثور فيـه ليذهب به إلى المزرعة فذهبوا وأدوا العمل وعادوا.

وعندما عاد الخادم بالليل، وذهب ليربط الثور . هجم عليه كأنه سيقتله ، ففر الخادم وعاد ، وأخذ الثور يخور ، ولم يستطع الخادم أن يربطه ، فأغلق باب الحظيرة وترك الثور حراً ، وأحضر الردة والطعام وتركها أمـامه ، وهو يقول "ربمآ هذا الثور مريض أو مجنون أو يشعر بالعطش " ، وذهب إلى البئر وأحضر له الماء، وقدمه إليه، فأبى الثور الشرب أو النظر إليه.

ولما طلع النهـار عـاد الخادم ليطمـئن على الثـور فوجـده راقـداً ممدداً أرجله يتنفس بصعـوبة، فنظر إلى سلة الردة والطعام فوجـدها كما تركـها، لم يمسهـا الثور وهكذا الماء الذى أحضره.

عندما رأى الخادم ذلك قال "ويحك لقد عرفت أن هذا سيحدث ، الوجوم الذى بدا على وجه الثـور أمس يدل على ذلك ، عنده حق ، فهـو وحده يعرف مـا يحس به اليوم لايجب أن أقوده إلى المزرعة " واسرع وذهب إلى سالى وأخبره بذلك .

ولما سمع سـالى أدرك أن الثور عمل بـنصيحـة الحمار، لذلك أمـر الخادم أن يذهب ويمسك الحمار ويذهب به إلى المزرعة، وأن يعلقه فى المحراث، ويحرث به بدلاً من الثور، ولا يرحمه فى العمل.

ذهب الخادم وأمسك الحـمار وذهب به إلى المزرعة وعلقه فى المحـراث وأخذ يحرث به، فإذا توقف الحـمار قليلاً لعدم تعـوده على هذا العمل ، يضربه الخادم بعـصاً غليظة، فيسرع، واستمر الحال على ذلك منذ الصباح الباكر حتى غابت الشمس ، فساقه إلى المنزل حتى وصل بمشقة.

كان سالى عند باب المنزل ، فـلما رآهم يعودون نظر إلى الحمار فـرأى شكله تغير ،

فسأل الخادم عم فعل مع الحمار ، فقص له كل شئ ، قال فى نفسه "هيا اتبع الحمار لأسمع ما سيقول للثور.

بمجرد ربط الحمار أخذ يتنفس بصعوبة ويقول للثور "ماذا تنوى أن تفعل إذا أحضر لك الطعام اليوم" .

قال الثور "هل توجد مشورة أفضل من التى قلتها لى ، ها اليوم طول النهار وأنا نائم فى الظل ، أتباهى بالراحة ، إن جيرتك لى أفادتنى كثيراً.

حدق فيه الحمار وقال "أنت غبى ، أنت هنا نائم ولا تعرف ما ينوون فعله معك ، الآن وأنا داخل سمعت صاحبنا يقول للخادم طالما أن الثور لا يستطيع الأكل ، ولا يعمل أى عمل، اذهب غدا وناد كبير القصابين ، ليذبحه ونوزع لحمه فإذا تركتك بعد أن سمعت هذا ،وبعد أن علمت بنصيحتى ، أكون قد خنت الأمانة ، وقد سمعتهم يقولون كل من خان أمانة غيره ، سيحاسبه الله فى الحال ، والأفضل الآن ، إذا أحضروا لك الطعام تأكله بشراهة حتى تشبع . والله إذالم تفعل ذلك أقول لك الحق غداً فى مثل هذه الساعة ستكون خبرا يروى" .

هذا الكلام أثر فى الثور بسرعة، أخذ يأكل بشراهة ، ويشكر الحمار على هذه النصيحة، التى قدمها له.

حدق سالى فى الثور، وضحك ، عندما رآه قد التهم الأكل ولم يرفع رأسه، فإذا أكل الردة، التفت إلى غيرها ، ويملأ فمه بالأكل كالمجنون.

تعجب سالى وأخذ يقول فى نفسه "كل ما نفعل فى الحيوانات يشعرون به، ولكن الله لم يهبهم اللسان الذى ينطقون به وسخرهم لخدمتنا وليس لقوتنا ، والأفضل أن نعاملهم معاملة حسنة، ونخفف عنهم ، ونتذكر أن كل ما نسمعه هم أيضا يسمعونه، ونرعاهم كما نرعى أنفسنا، وأن نشكر الله ، ونبتعد عن العمل السئ.

وقام ونادى الخدم، وأخذ يوصيهم برعاية الحيوانات رعاية طيّبة، ولا يحملونهم فوق طاقتهم.

قال موسى "هل الإنسان يستطيع أن يفهم لغة الحيوانات ، هذا الأمر عجيب" .

قال الببغاء "لقد أعطيت صاحبى دواء التصنت عندما تزوج امرأة سيئة تسبب له المشاكل ، وبهذه الطريقة فرقت بينهما، لا ينبغى أن أعطلك بالقصة، يجب أن تستعد وتخرج قبل أن يطلع الفجر" .

استعـد موسى ليخرج فســمع الآذان ، ولم تعد فرصة ليطل برأسه خـارج القصر ، طالما أن الجميع قد اسـتيقظ ، فعاد إلى المنزل ، ومنذ هذا الصبـاح حتى المغرب وهو يفكر فى الحيلة التى يقوم بها، ليسمح له البيغاء بالخروج دون أن يعطله.

وفى الصباح الباكر عندما شعر أن الحراس ناموا ، جاء إلى البيغاء وقال له " لا أريد سماع أية قصة اليوم، كل ما أريد أن أعـرفه هو أن تقول لى ماذا فعلت مع صاحبك الذى أعطيته الدواء لسماع لغة الحيـوان، وبعدها أخرج ، هذا فقط ما أريده منك ولا شيء غير ذلك" .

قال البيغاء لقد سألت الخبير ، ونزل إليه وأخذ يقول:

ما فعلناه مع سيدى أوجو

قبل أن انتقل إلى يد الرجل العربى الذى اشترانى الأمير عبد الرحمن منه، كنت عند رجل من اليوروبا يدعى أوجو، كان رجلاً غنياً ولا يوجد فى المدينة كلها رجل بلغ ما بلغه من الثـراء ومع ذلك تعجب إذا سـمعت أنه لم يكن له إلا زوجـة واحدة فقـط ، كان له ثلاث زوجات قبـل ذلك ، ثم تزوج امرأة مومساً ، عـندما تزوجها ودخلت بيـته أخذت تلجأ إلى السحرة والمشعوذين ، حتى يصنعوا لهـا علاجاً يفسد الزوجات الثلاث الأخريات ، وبمرور الوقت استطاعت أن تصل إلى هدفـها وكان أوجو لا يعجـبه إلا هذه المرأة المومس فكان يحبها حباً جماً حتى تزوجها.

عندما وجدت العـلاج الذى يفرق بين أوجو وزوجاته قالـت "حسنا" ولكن لا فائدة من الخطة الجيدة إذا لم تنفذ بعقل لذلـك أخذت تدبر المكائد ، وتفرق بين أوجو وزوجاته واحدة واحدة، فاليوم يطلق هذه وغـدا يطلق الأخرى حتى لم يبق فى المنزل سواها. وقد وهبها الله الحظوة عند الزوج، فـلا يفعل شيئاً إلا بإذنها فـإذا وضعت له عوداً من الحطب فى الطريق لا يتعداه إلا بإذنها وكـأنه رجل فقير لا يتمتع بهذا الثـراء ، وقد تجاوز نفوذها رب البيت إلى الخدم ، فـلا يستطيع الخادم أن يكح فى وجودها . إذا تكبر عليـها أحدهم جعلت زوجها يطرده من عمله، دعك من الناس حـتى أنا الطائر الصغير كنت أخاف منها كان الزوج رجلاً طيباً يريد أن يفعل شيئاً ولكن كان يخاف أن تغضب وتترك له المنزل .

ولما رأيت الأمور تغـيرت هكذا قلت "لابد أن أتدخل فى هذا الأمـر" ومكثت ثلاثة أيام أفكر فى وسيلة أتدخل بها فى هذا الأمر دون أن تشعر هذه المرأة حتى لا تهلكنى وألا يدرك أوجو هدفى تماماً حتى لا يكرهنى، لأنك تعرف أن المثل يقول "الحب يعمى ويصم" وعندما وجدت الحيلة هدأت نفسى، وذات يوم كنت مع أوجو فـرأيته يصغى إلى عصفور كان يبكى على النافذة، فنظرت إليه وقلت "لو سمعت ما يـقول هذا العصفور الصغير لم تعرف ماذا تفعل من شدة السرور".

قال أوجـو "ويحك" هل أسمع حـديث الطير "الحـيوانات" إلى جـانب أننى أغنى

رجل فى العالم هكذا" ، فقلت فى نفسى "هذا ممكن" ونظرت إليه وقلت "يوجد دواء إذا تناولته يتم ذلك المراد ولكن بشرط واحد صعب وهو ما يجعل الأمر غير مفيد تماماً. ولولا هذا لأعطيتك أياه، هذا الدواء لا يعرف أحد من الطيور سره، إلا ذريتنا فقط" .

قال أوجو "بالله عليك أخبرنى بهذا الشرط ومهما كانت صعوبته سأقدر عليه" ، وأخذت الح فى الرفض وهو يلح علىَّ فى الطلب ، عند ذلك ذهبت وأحضرت له هذا الدواء . وقدمته له ، وطلبت منه أن يدقه ويصب فيه ماءً ويضع المحلول فى أذنه عند النوم . سألنى بعد كم يوم أتوقف عن هذا العلاج، فقلت له عندما يحين موعد ترك العلاج لن أقول له ولكن سيشعر هو أن ما طلبته قد تحقق ، وتعجل الأمر وهم بالدخول إلى المنزل ليدقه، فقلت له "لمُ تسمع الشرط، انتظر ، فقلت "كل من يخصه الله بهذه النعمة لا ينبغى أن يطيع كلام النساء ، مهما تقل له المرأة، حتى لو كانت ابنة أمير، وحتى لو كان قولها الحق، ولو أخطأ واتبع مشورة النساء ، ولو مرة واحدة سيكون من الهالكين ، وإذا أباح السر لن يأتى عليه الليل؟ .

عندما سمع ذلك نهرنى قائلاً "هذا الشرط البسيط تقول أننى لا أقدر عليه ، ماذا تظننى؟ " .

قلت "وهو كذلك، مشكلة الموت فقط هى التى كنت أخشى عليك منها" .

مصمص شفتيه، ودخل المنزل ودق الدواء وأذابه فى الماء، ووضعه فى زجاجة صغيرة، وفى كل مساء تصب له المومس فى أذنه قبل النوم، وعندما تسأل عن سبب هذا العلاج ، يخبرها أن أذنه تؤلمه ، فوصف له الطبيب هذا العلاج ومرت الأيام، وذات يوم استيقظ من النوم فسمع فأراً صغير يقول لآخر "طمبرونتو" ، لماذا تأكلنا القطط؟ أليس لديهمَ طعام غيرنا؟ هكذا الحياة الدنيا ، من يفوق الآخر يأكله ، وكأنه لا يوجد من هو أقوى منه؟

قال طمبرونتو "ويحك يحتقروننا، وصاحب هذا البيت منافق كبير، لا هو أمير ولا وزير ومع ذلك يربى ثلاث قطط ، انظر بالله عليك كيف ينام ، فاتحاً فمه كأنه جوال" .

فرح أوجو جداً وكاد يضحك، ولكنه سكت حتى لا تهرب الفئران ، وأثناء صمته سمع الفأر الأول يقول "طمبرنتو" لف من هناك وأنا سأدور من هنا لنعض أذنه، ونشفى غليلنا" .

فلما سمع ذلك هب قائماً فهربت الفئران ، فانفجر فى الضحك وأخذ يشكر الله على هذه النعمة التى أنعم عليه بها.

وهو راقد على هذه الحـال، عجز عن النـوم من شدة السرور، حـتى نوى للصلاة، فطلب من زوجتـه أن تحضـر له ماء للوضوء ، فـوضعت الماء وذهبت ، فـخرج وبدأ فى الوضوء ، وكاد ينتهى من الوضـوء إذا ببرتو- نوع من الدجاج - يرعى، يذهب إلى إحدى الدجاجـات ، ويقول لها "أيتـها الدجاجـة ، أنتم تثيرون العـجب بفضولكم وخـيانتكم للأمانة".

قالت الدجاجة "ماذا رأيت حتى توبخنا هكذا؟".

قال برتو "انـظروا الخير الذى يقـدمه الناس لكم بالـنهار يقدمـون لكم الحب والماء، تشربون بسهولة ، وفى الليل يضعونكم فى حجرة ويغلقون عليكم وينتصتون عليكم خشية أن يؤذيكم قط أو ثعبان أو أى حيوان مفترس ، وإذا فـقستم وضعوا فراخكم فى حجرة ، ويقدمون لها الطعـام حتى يكبروا ولا يخرجونكم صغاراً فتتـخطفكم الحدأة، أو الصقر ، وبعد ذلك تعـيشـون فقط لا ينقصكم شـئ، ولو هموا بالقبض على واحـدة منكم تملأون الدنيا صـياحـاً، تقفزون فـوق سقف الحـجرة وتتـسلقون الممر ، إذا لم يكـن هذا ذكراناً للمعروف فماذا يكون ؟ وما هو عرفانكم بالجميل؟ "

نظرت له الدجاجة باحـتقار وقالت "وهو كذلك ، طالما أنك لـست منكراً للمعروف فقل لى فيما تفوقنا شكراً للإنسان".

قـال برتو "أنا خلقنى الله فـى الغابة ، لـيس مثـلكم، ولكن مع ذلك إذا أمـسكنى الإنسان ، يذهبـون بى إلى المنزل ، فأصبـر رغم أننى لم اتعود عليه، وأقـوم لهم بكل ما يريدون فيـضحكون علىّ ، وإذا نادونى ، أقبل عليـهم ، وإذا رأيت رب البيت اتبعـته ، وأجلس على فروته وألعب ، وإذا رمى شيئا أجرى وأمسكه ، ليضحك ،حسناً، هذا ليس نكراناً للمعروف. فماذا؟"

قالت الدجاجة "نعم لك حق أن تفخر بعرفانك للجميل، ولكن إذا رأيت الناس مرة يمسكون إخوتك ويذبحونها، ويشدون ريشها ويجـمعونها، كما نرى عادة يفعلون بأهلنا ، واليوم الذى يمسكونك ، تجرى وتـدخل الحجرة العليا وإذا قفـزت تدخل الغابة ولا يسمع عن أخبارك أحد ".

سكت برتو ولـم يسـتطع أن يقول شيـئاً للدجاجـة عن هذا الكلام، نهرته الدجـاجة والتفـتت وقالت "إذا كنتم ستـتكلمون انتظروا وفكروا ، وزنوا الكلام قـبل أن يخرج من

فمكم ويسمعه الناس، هكذا يحدث المخلوق، يتكلم كلاماً لا يعرف ما سيجر وراءه وتأتى بعد ذلك وتضايقه ، لعن الله حياة الغابة" .

عندما سمع أوجو ذلك انفجر ضاحكاً ، حتى رفس بقدميه إناء الوضوء دون أن يشعر، ولما انتهى من الضحك ، اكمل الوضوء ودخل الحجرة وأدى الصلاة، وعندما فرغ من الصلاة جاءت المومس وقالت له "يا سيدى، اليوم اشتهى الأرز، سأصنعه وأحمره فى الدهن" كاد يقول لها وهو كذلك ، ولكنه تذكر كلام الببغاء ، معتقداً أنه لو وافقها فسيموت، وفى نفس الوقت لا يريد أن يغضب زوجته ، وتذكر أنه لا شئ أحب إليه من نفسه، فهو إذا مات ستذهب وتتزوج غيره، وتنساه ، فقال لها " لا ، أريد اليوم حساء الذرة العويجة ". نظرت إليه فى امتعاض وتركته، تمص شفتيها وتقول "حتى لو ضربنى بيده ، لن يجعلنى أصنع حساء الذرة العويجة " . سأصنع حساء الأرز وأمسك دجاجة وأذبحها إذا لم يأت لى بدهن الجمل. وسأصنع ما أريد سواء أكل منه أم لم يأكل ، لا يهمنى ، ثم قامت وقصدت جوال الأرز وبدأت تغرف منه . رأى أوجو أنه لو تركها تفعل ما تريد سيموت ، فقام وأمسكها ونشبت بينهما معركة ومصارعة، وتذكر أوجو أنه رجل فأخذها وأوقعها على الأرض ، وأخذ يضربها.

وعندما سمع الناس صراخها تقول " تبت لن أعارضك بعد ذلك ، ارحمنى أسرع الناس ، وجاءوا ، وخلصوها بصعوبة . فتركت البيت.

بعد ثلاثة أيام ذهب أوجو إليها واسترضاها لتعود ، فقالت أنها إذا عادت سيكون هذا المنزل مقبرتها. وكادت تفعل به ما تفعل النسوة فى غضبهن ،وتفضح سره بين الناس، فألقى عليها يمين الطلاق.

وما أدراك ما الرجل الثرى، قبل مضى سبعة أيام ، طلب ثلاث نساء جميلات للزواج فقبل طلبه ، عندما استعد، طلب أن يوضع لهن الخضاب معاً، وتم الزفاف ، وانتهى حفل العرس، وعشت حياتى سالماً مع هؤلاء النسوة، ولم يسمع لإحداهن شكوى بعد ذلك .

ولما وصل الببغاء إلى هذه القصة وجد الفجر لم يبزغ فنظر إلى موسى وقال "بالله عليك حاول أن تعمل ما يشكرك الناس عليه، وتأكد أن حيلتك وخوفك لن يمنعا عنك الموت، لأنه إذا حان وقت الموت لا رادّ لقضائه ، حتى ولو كنت معافى ، ها هو أمير الحرب يعيش الآن سالماً، ولكن إذا حان أجله يجلب لنفسه الهلاك"

قال موسى "أمير الحرب معافى، وقد ذهب اليوم مع الأمير".

قال الببغاء "لا أتكلم عن أمير الحرب هذا الذى تعرفونه ، ولكن أتحدث عن أمير حرب نيرايني".

قال موسى "أين هو نيراينى ؟ لم أسمع اسم هذه المدينة ولا اسم أمير حربها، لماذا جلب لنفسه الهلاك؟" .

قال الببغاء "الآن تسمع القصة".

إذا حان الأجل تموت بلا مرض

في سنة من السنين شن رجال مدينة سُرِيدا Suraida الحرب على مدينة نيرايني Niraini وطارد رجال سُريدا نيرايني وقتلوا منهم كثيراً وبينما هم في نشوة النصر لدخولهم المدينة ، أعد أمير حرب نيرايني بعض الفرسان وتتبعوا رجال سريدا وأحاطوا بهم ، ومنعوهم من التقدم أو التقهقر وكان في رجال سريدا فارس يسمى بردي رأى أنهم سيهلكون بسبب الحصار والجوع ، فقال لرفاقه يجب أن نستميت في الحرب حتى لا نجلب العار لأبنائنا" فوافقوا على خطته وهجموا على جيش نيرايني واستبسل بردي في القتال حتى طعن شاباً وقتله ، وقتل رجال نيرايني أكثر رجال سريدا ، وقبض على بردي وهموا بقطع رقبته، إلا أن أمير الحرب أمرهم بتركه ، وحمله إلى منزله ، وأخذ يمرضه ليلاً ونهاراً ، وكان في صباح كل يوم يأتيه فيتحدث معه ويسأله عن صحته، فيرد قائلاً "الحمد لله"

واستمر بردي في منزل أمير الحرب شهراً ، ثم بدأ يسير معتمداً على عصاه ، وأمير الحرب يتتبع خطاه ، ويسنده إذا ترنح حتى لا يسقط ، وبعد عدة أسابيع بدأ يسير بلا عصا، وذات يوم وهو يتمشى نظر إليه أمير الحرب وقال له "اقفز لنرى مدى قدرتك" ، فهم بردي بالقفز ولكنه أدرك أنه لن يستطيع ، فنظر إلى أمير الحرب وقال له "يا أبتي لا أستطيع ، لابد أن انتظر يومين آخرين".

وبعد حوالي سبعة أيام ، أدرك أن بردي لابد أن يكون قد شفي الآن، فطلب منه أن يقفز ليرى ، فتهيأ للقفز، وضرب الأرض بقدميه ، ونظر إليه وركع وقال "أسأل الله أن يساعدك كما ساعدتني".

قال أمير الحرب "الحمد لله الذي عافك" ثم قصد المنزل وأخذ رمحين وخرج إلى بردي وقال "لنذهب خارج المدينة ، لنستنشق الهواء" قال بردي "وهو كذلك" فأخذ الرمح وسارا حتى وصلا خارج المدينة.

وعندما وصلاها قال له أمير الحرب "اختر واحداً".

قال بردي "ماذا سنفعل به؟"

قال أمير الحرب "قلت اختر واحداً منها" فاختار واحدا قصيراً وأعطاه الطويل.

فلما أخذه أمره أن يقف مكانه ، وتأخر هو للخلف قليلاً ليتحاربا حرباً حقيقية وليست مزاحاً ، ليحاول كل منهما قتل الآخر.

عندما شعر بردى بذلك ألقى رمحه ، وتقهقر للخلف وقال "سبحان الله اللهم احفظنا أأقاتلك!"

قال أمير الحرب "لو رفضت سأقاتلك ، فلا بد أن تقاتل، فالحرب التى خضناها معكم فى الأشهر الماضية ، قتلت ابنى طعنته بالرمح، وبحثت عنك فى كل مكان فى هذا الوقت فلم أعثر عليك ، ثم جرحت بعد ذلك وهموا بقتلك ، ورأيتك فشعرت أنه لو قتلوك لن أشفى غليلى، لأنك فى هذا الوقت ستكون مثل القتلى الآخرين لذلك أمرتهم أن يتركوك وعالجتك ، والآن عندما رأيتك قد شفيت وتستطيع أن تتألم كما كان يتألم ابنى، وأريد أن ننتقم له، حتى ولو كان ميتاً ، فقد طعنته فى غاية قوته، لذلك أريد أن أقتلك وأنت فى غاية قوتك، ولست مجرداً من السلاح، والآن سواء رضيت أو لم ترض لابد أن تأخذ الرمح وتنازلنى حينئذ أشعر أننى قتلتك".

حاول بردى استرضاءه بكل وسيلة وقال فى نفسه "لقد كنت بين الأموات من قبل وهو الذى أنقذنى، وقد أراد الله لى الحياة ، لأشرب شربة ماء، فشربتها وهو الذى نجانى من الموت من قبل ، وشكرته". وأخذ الرمح.

فلما رأى أمير الحرب أنه قد أخذ الرمح ، وهجم ليقتله . وقف لينطق الشهادتين - الله فعال لما يريد، والله ، أطال الله حياتك، قبل أن يصل إليه سقطت رجله فى جحر ستجاب ، فانغرس الرمح فى ظهره ، فأنتزعه بغضب شديد ثم وقع على الرمح، وفى الحال طعن نفسه، ولم يتحرك ، فلما رأى بردى ذلك أحتضنه وأخذ يبكى ، ووضع يده على رأسه ، وذهب إلى المدينة وأخبر الأمير بما حدث ، فجاءوا ورأوه فتعجبوا لهذا الأمر، وحملوه ودفنوه.

ومنذ هذا اليوم تعهد بردى أبناء أمير الحرب وأخذ يمد أولاده بالطعام والشراب وكان يأتى لهم أحيانا بالماعز لبيعها وشراء الحبوب رداً للمعروف الذى ناله من أمير الحرب.

قال موسى "والله لو كنت مكانه ما أعطيتهم ذرة من تراب طالما أن نيته لم تكن خيراً".

قال الببغاء "لست وحدك تقول هذا كل من سمع القصة يقول ذلك".

وهم موسى قائماً ، ولكنه سمع المؤذن ينادى للصلاة، وانعدمت فرصة الخروج بعد أن استيقظ الجميع.

بعد الظهر أدرك الوزير أنه لن يستطيع الوصول إلى موسى ، ليشعره أن محموداً فى ميدان المعركة يقوم بأعمال مجيدة ، فـفكر فى حيلة أخرى فكتب رسالة على أنها من محمود، وكلف العجوز بحملها إلى موسى، عندما قرأها وجد فيها "من محمود إلى أخيه موسى ، وتوأم روحه تحية كثيرة وحب ورضا، أما بعد ، موسى أنت الآن على قيد الحياة ، ومع ذلك رضيت أن يفرقوا بينى وبينك؟ وهو كذلك ، بالأمس التقيت بأحد الفرسان من جنود سينارى وأصابنى بعدة جراح، لم يترك جزءاً فى جسمى سليماً ولا أشعر بجسمى، وإلى اللقاء فى دار السلام . ويبدو أنك نسيتنى ولا تحاول أن تأتى لنغفر لبعضنا لا بأس، أسألك المغفرة، كل إنسان سيرى الموت ، يا موسى تذكر صداقتنا ، هذا والسلام.

عندما قرأ موسى هذه الرسالة فاضت عيناه بالدمع، وجلست العجوز تحكى له الأكاذيب ، وأنها كانت تمرضه ، وأنه سلمها هذه الرسالة بيده، انخدع موسى بهذا الكلام وتحير كل رجال القصر ولم ينم خدم القصر حتى الفجر استعد موسى وذهب إلى الببغاء وهو يبكى ، وأطلعه على الرسالة التى حملتها إليه العجوز ، لبس الببغاء النظارة وقرأها، وانفجر هو الآخر فى البكاء الكاذب رغم أنه يعرف أن محموداً لم يبعث بهذه الرسالة ، وأنها خدعة ومع ذلك قال لموسى "يجب أن تستعد للخروج".

قال موسى "أين أذهب الآن هاهم الخدم لم يناموا؟

لقد جئت إليك مبكراً لأريك هذه الرسالة ، وربما يكون عندك قصة تدخل السرور على نفسى فتقولها لى الآن ، لعلها تهدئ من روعى ، كى لا آتى بعد قليل ، إذا ناموا وتعطلنى حتى أتأخر".

قال الببغاء "ويحك أطال الله عمرك ، أعطلك بعد أن قرأت هذه الرسالة هل أنا مجنون؟ طالما أنك طلبت أن أقص لك قصة تدخل السرور على نفسك ، وتخفف عنك الحزن، هذا أمر سهل".

ها قصة قصيرة اجلس لأن الوقوف لا فائدة منه".

صعد موسى على الكرسى، وجلس منتظراً ، سلك البيغاء حنجرته وبصق اللعاب وبدأ يقول:

قصـة الأصدقاء الثلاثة

ذات يوم خرج ثلاثة أصدقاء قاصدين مـدينة يطلبون الزواج وقد غسل كل منهم ثيابه وتزين، واتخذوا سـبيلهم ، وأثناء الطريق قال صغـيرهم "استمـروا فى طريقكم وسألحق بكم بعد أن أقضى حاجتى".

مـضى الإثنان وانحرف الـثالث عن الطريق، وبـعد قليل وجـد صندوقـاً ، سرقـه اللصوص فوقع منهم ، فنظر شرقاً وغرباً فلم ير أحداً ، فانحنى وأخذ الصندوق فشعر أنه ثقيل ، فبـحث عن حجر وكسره، فوجد فـيه مالاً كثيراً ، فـجلس وأخذ يجمع المال فى قميصه، وأخذ يجرى ، وسار خلف رفيقيه يناديهما ، فلما سمعا النداء توقفا، فقال لهما "بشراكم".

قال "هل رأيتمـا ما عثرت عليه" فـلما حدق كل منهما وجـد مالاً كثيراً، فـفرحوا جميعا، واتخـذوا جانباً من الطريق وأخذوا يعدون المال ، فوجدوه أربعة وعـشرين جنيهاً وقرشاً واحداً، وكـان الشاب الذى عثر على المال طيباً ، لذلك قـال لهما "يجب أن نوزع هذا المال علينا فيـأخذ كل واحد ثمـانية جنيهـات ، ويبقى قرش واحـد نشترى به طعـاماً لنأكله".

عندما سمع كـبيرهـم ذلك قال "وهو كذلك ، الحـمد لله شكراً، نسأل الله أن يديم محبتنا ، ولكن الأفضل أن تذهب إلى المدينة بسرعة وتشترى لنا ثريدا وكباباً بهذا القرش، ونحن نحرس المال هنا ، وعندما تعود نقتسمه معاً".

قـام الشاب الذى وجـد المال ، وقصـد المدينة جريـا ، فلما اخـتفى عن النظر قـال كبيرهما "الأفضل أن ندبر حيلة ، ونأخذ هذا المال ونقتسمه بيننا نحن الاثنين ، فيأخذ كل واحد منا اثنى عشر جنيهاً".

قال الآخر "عندك حق، وهو كذلك فماذا تفعل؟"

قال الكبيـر "عندى حيلة هاك صياد يجلس بعيـداً نناديه ونطلب منه أن يدخل كهف الشجرة، فإذا خاطبناه يرد علينا".

نادوا الصياد وأخبروه بكل ما يريدان منه وما يريدان سلبه من أخيهم ، فلما سمع الصياد حديث المال وافق، ودخل الكهف حتى عاد الشاب، فلما رأوه من بعيد أخذوا يبكون ، فقال "خيرا؟ قالا "أين هو الخير؟ هذه الشجرة سلبت منا المال كله"

نظر الشاب إلى الشجرة وقال "لا" هذا كذب ، الشجرة لا تتكلم ، فكيف تسرق المال؟ أنتم غيرتم رأيكم".

عند ذلك رد الرجل من داخل كهف الشجرة قائلاً "أى رأى غيروه، أنا أخذت المال، وإذا كنت تظن أنك أكثر من رفاقك شجاعة تقدم وخذ المال، سخفاء أبناء هذا الزمان، لا يحترمون آباءهم ولا غيرهم".

عندما سمع الشاب ذلك جرى ولم يتوقف إلا فى دار الأمير ، وقص عليه كل ما حدث، من البداية حتى النهاية.

قال الأمير "هيا نذهب إلى هذا المنافق ، من يقول أن الشجرة تتكلم أين هم رفاقك؟"

قال الشاب "هم هناك أسفل الشجرة".

نظرا الوزير إلى الأمير وقال "أطال الله حياتك، دعنى أذهب لأرى ما إذا كان هذا الكلام حقيقة أم كذباً ، أنت تعرف أن قدرة الله تفوق ذلك".

قال الأمير "وهو كذلك ، إذهب لنرى".

ذهب الشاب أمامه حتى وصل إلى أسفل الشجرة ، فوجد رفيقيه هناك يبكيان بكاء كاذباً ، وكأن الأمر حقيقة . عندما رأيا الوزير قالا "الحمد لله وركعوا تحية له ، فنظر إليهم الوزير وقال "أنتما اللذان الذين سرقت الشجرة مالكما ؟"

قالوا "نعم، نحن أطال الله حياتك، ونحن جالسان تحتها نعد المال رأينا العاصفة تهب وتغطى المكان ولم نعرف ما نحن فيه، وبعد قليل انقشعت العاصفة بحثنا عن المال الذى كان أمامنا فلم نجد منه شيئاً ، وأخذنا نبحث عنه فى كل مكان لعل التراب أخفاه فلم نجد قرشاً واحداً، فأخذنا نتشاجر مع بعضنا كل منا يظن أن رفيقه قد أخفاه ، عندما هبت العاصفة وغطت المكان، ونحن نبحث فى كل مكان سمعنا صوتاً كأنه من السماء يقول "لاتلوموا بعضكم أنا الذى أخذت المال ، إذا لم تصدقونى تقدموا وخذوه" فنظرنا حولنا فلم نر أحداً ، إلا الصوت الذى تسمعه يخرج من هذ الشجرة".

فلما سمع الصياد ذلك داخل الكهف تنهد وقال "هذا حق واضح" نظر إليهم الوزير وقال "لا ، هذا حقيقة أمر واضح" .

قالت الشجرة ، لقد كنت تظن هذا كذبا ، تعال خذ المال" .

عندما سمع الوزير ذلك ، سد فمه وقال "اغفر لى، لا شأن لى ، لقد بعثونى" .

وفى الحال بعث للأمير أن يحضر بنفسه ليرى لأن الرؤية خير من السماع وبعد قليل أقبل الأمير وكل رجاله ، وعند وصولهم قال الوزير "أطال الله حياتك ، أرأيت هذه الشجرة الصغيرة التى تحاورنا؟"

عندما سمع الصياد ذلك قال "أنا شجرة صغيرة ، من أنت حتى تقول لى شجرة صغيرة ، حتى أن قزمك هذا يلومنى؟، من اليوم لن ترى مثلى شجرة تقول لها صغيرة" .

عند سماع ذلك خفق قلب الوزير، سجد أمام الشجرة يطلب العفو والمغفرة ، فوقف الأمير مذهولاً ، ينظر إل كهف الشجرة ، ولا حظ ان الإنسان يمكن أن يدخل فيه، ونظر إلى اسفلها فوجد أثر أقدام شخص يدخلها.، ونظر إلى أقدام الشباب الثلاثة أصحاب المال فلم يجد قدماً مثلها، وتذكر أنه لم يسمع من قبل أن الجان يحدث الإنس هكذا صراحة ، وأنه لم يسمع بهذا منذ وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وأدرك أن هذه مكيدة دبرها الاثنان لهذا الشاب . الذى عثر على المال ، فنظر إلى الوزير وقال له "قم أتسجد لكهف شجرة؟، والتفت إلى الشجرة وقال "ردى إليهم مالهم وإلا أشعلت فيك النار ، كل من يمس مملكتى بظلم سواء من الجن أو الانس يجب أن أقضى عليه" .

فقالت الشجرة "سلطتك على الناس ، ولكن إذا فرضتها على الجن ستكون نهايتك" .

نظر الأمير إلى الحاضرين وقال "اقطعوا أفرع هذه الشجرة" فأسرعوا فى الحال وانتشروا أسفل الشجرة وقطعوا فروعها" .

فقال "أحضروا النار" وقصد الشجرة وهم بإشعال النار فيها وسط دهشة الحاضرين ، فأدرك الصياد أنه لو انتظر دقيقتين سيهلك ، فصرخ وقال "بالله لا تشعل النار أطال الله حياتك أنا إنسان ، دعنى أنزل" .

وفى الحال خرج رجل من داخل الكهف والمال فى يده ، وركع وحيا الأمير وأخذ يقص عليه كل شئ.

تعجب الأمير ورجاله من هذا الأمـر ، وأخذ الناس يقولون "لابد أن هذا الأمير من الجن".

وفى الحال أمر الأمـير أن يجلد هذان الرجلان والصـياد خمسين جلدة ويحـبسوا فى السجـن ستة أشـهر، وأن يطاف بهم فى المدينـة ليراهم الجمـيع، وأخذ المال كله وسـلمه للشاب الذى عـثر عليه ، فـركع وحيا الأمير وقام وعاد إلى منزله ، وذهب الأمـير إلى قصره ، وكان كلما تذكر هذه الحـادثة نظر إلى الوزير وتذكر كيف جلس كالجمل بسرواله الواسع أمام الشجرة فيضحك.

ابتسم مـوسى وقال "ليس الأمـير فقط الذى يضـحك ، كل من سمع هذه القـصة يضحك ، النفاق لا فائدة منه".

قـال الببـغاء "كـيف تعرف أن النفـاق لا فائدة مـنه ، طالما لم تسمع قـصة كـاطوا واللصوص الثلاثة؟

قال موسى "هل أكثر من هذه القصة ، لا أظن ذلك؟ ماذا فعلوا؟ قل لأسمع".

قال الببغاء " هذا أفضل ، افتح لى أذنك.

النفاق يضر صاحبه

فى يوم من الأيام كان يوجد قروى يسمى كاطوا ، حمل فأسه وقصد الغابة ليقطع بعض الأخشاب، وكان فى هذه الغابة بعض اللصوص يعرفهم كل أهل القرية، توغل القروى فى الغابة ، فرأى من بعيد شيئاً يلمع ويأخذ بالأبصار ، فاقترب ليفحصه ، فوجد كومة من المال ، فتلفت حوله فلم يجد أحداً فانحنى وملأ جيب قميصه ، وحمل فأسه وأخذ يعدو قاصداً منزله.

وما كاد يبعد عن المكان الذى وجد فيه المال حتى التقى بثلاثة لصوص فقالوا له "أنت، قف ، لماذا تجرى؟"

ارتجف كاطوا وارتعش يحسب أنهم أصحاب هذا المال ، وقال "من ؟ أنا؟ نعم الموت هناك فى هذا الفضاء جعلنى أجرى" .

ضحك هؤلاء اللصوص وقالوا له "رأيت الموت بنفسه ، أم ثعباناً؟"

قال كاطوا "والله رأيت الموت بنفسه هناك مكوم ، لذلك لم اتوقف فى هذا المكان ، لكى لا يقال أننى رأيته ، وأخذت أجرى" .

ظن اللصوص أنه يخاف منهم لذلك يرتجف ، فقالو له "حسناً ، هيا نذهب لنراه معك" .

سار كاطوا وهم يتبعونه ، حيث تجمع هذا المال ، وقال "ها هو ، والله لم آخذ منه شيئاً ، لا تظنوا أنى أخذت منه " وهو يخفى جيبه ، يظن أنه مالهم ، لذلك كان مرتبكاً.

وشاء الله ألا ينظروا إلى جيبه، وقالوا "حسناً ، إذهب، إذا قلت شيئاً سنأتى بالليل ونقطع رقبتك" .

عندما سمع كاطوا ذلك جرى كما يجرى الكلب، ولم يتوقف إلا فى البيت وهو يلهث ، كأن روحه ستفارق جسده، وأخفى المال، وأمسك فمه ولم يتكلم . .

عندما رأى هؤلاء اللصوص أنه غاب عن الأنظار ، وقفوا يتعجبون من هذا المال ويقولون "ربما سرقه بعض اللصوص ، وعندما رأوا أنه كثير تركوا النصف هنا ، الله أكبر، وهذا القروى ظن أنه مالنا" .

قال كبيرهم "نعم ، ربما خاف ، والآن مضى وقت لعله وصل إلى منزله" .

قال الآخرون "ويحك، فكّر ، لقد جرى مسرعاً ، حتى السيارة لا تلحقه الآن" فضحكوا.

وأخذ كبيرهم جنيها واحداً وأعطاه لصغيرهم وقال بسرعة اذهب إلى السوق ، واشتر لنا طعاماً لنأكله لأننا جعنا ، وبعد ذلك نبحث كيف نقسم هذا المال" أخذ صغيرهم المال ، وارتدى ثيابه كأنه ليس لصاً ، ولف العمامة ؛ وذهب إلى السوق ، وقصد بائعة الثريد، واشترى منها ، ثم ذهب إلى القصاب واشترى لحما مجففاً ، وحمل الثريد واللحم وعاد إلى الغابة ، وهو يضمر فى نفسه ما يفعله ليسلب منهم المال وحده فرأى شجرة التينا السامة ، فوضع متاعه جانباً وقال "الحمد لله ، لآخذ عصير شجرة التينا واضعه فى هذا الطعام ، وأقدمه لهم، وإذا طلبوا منى ان آكل ادعى أننى أكلت فى السوق فإذا أكلوه كله ماتوا جميعاً ، فأجمع المال ، وأتجول فى المدينة وأتسوق واشترى ما أشاء" وكسر غصناً من شجرة التينا وصب فى الطعام.

سبحان الله ، قبل أن يعود تشاور رفاقه ، واتفقوا على أن يقتلوه بعد أن يعود ، ويأخذوا المال ويقتسموه وحدهم ، وقالوا هذا أفضل.

وبعد قليل وصل صغيرهم بالطعام فانهالوا عليه ضرباً ، ولم يستطع الخلاص منهم ولم يتركوه إلا بعد أن قتلوه، والتفتوا إلى الطعام والتهموه ، ولما انتهوا جمعوا المال ودفنوه فى مكان اتفقوا عليه ، وما كادوا ينتهون من الطعام حتى أخذ كل منهم يترنح ، ويسقط على الأرض ويقوم ، وفى الحال ماتوا جميعاً.

وبعد سبعة أيام ، قال كاطوا "فلأذهب إلى هذا المكان ، فإذا وجدتهم أخذوا المال، أبحث لعل الله يرزقنى بالقليل ، وإذا وجدتهم أدعى أننى جئت لأخبرهم أن الشرطة ستأتى للقبض عليهم غداً ، والأفضل أن ينجوا بأنفسهم ، وقد جئت لأخبرهم بذلك لأنهم رحمونى ربما يعطونى شيئاً والمال ها هو مكوم كما هو لم ينفد " .

ولما وصل إلى المكان وجدهم جميعاً أمواتا ، فأخذ يبحث عمن قتلهم، فلم يجد أحداً ، بل وجد الذئاب قد أكلتهم ، فظن أن الذئب قد قتلهم، ففرح فرحاً شديداً وبسط

رداءه وجمع المال ، وحفر حفرة صغيرة وصبه فيها، وعند المغرب نادى ابنه ، وذهبا وأحضرا الباقى ، وعاش ينفق ماله باتزان وتعقل ، هو وابنه دون أن يعلم أحد.

انفجر موسى فى الضحك وقال "الله أكبر، المقسوم لك لابد من نواله"

وأصغى قليلاً فسمع الآذان ، فقال للببغاء "هذا الآذان الأول أم الثانى"

قال الببغاء "الأول ، ولكن أنصت لنسمع" فسكتوا فسمعوا المؤذن يقول "الصلاة" .

قال موسى "سبحان الله ، لقد طلع الفجر دون أن نشعر " ثم قام ودخل القصر، وظل لا يأكل لقمة واحدة من الصباح حتى المغرب ، لشدة الحزن.

ومنذ غروب القمر حتى صلاة الصبح وموسى يستعد ، وجاء إلى الببغاء يقول "إلى اللقاء" .

قال الببغاء "عدت سالماً" ونظر مرة أخرى إلى موسى وقال "ولا الوزير ، هل يرى الإنسان ابن أمير قوياً مثلك ويمنعه من الذهاب إلى القتال؟ هل تكون أخلاق الوزير هكذا " .

قال موسى "أتركه ، عجوز أخرق ، حتى لو منعنى سأذهب الآن. "

قال الببغاء "اذهب لشأنك ، كل ما يفعله الإنسان سيرتد عليه إن عاجلاً وإن آجلاً ، إن شاء الله يسمع قصة هفرو وابنه ، الذى أجل بعض الأمور" .

قال موسى "ما هى قصة هفرو وابنه ؟ أخبرنى لعلى استفيد .

قال الببغاء :

ما يزرع الإنسان يحصده إن خيراً خيراً ، وإن شرًا شرًا

فى يوم من الأيام كان يوجد رجل لم يرزقه الله الابن ولا الحفيد، فأخذ كل عقاقير أدوية الدنيا لينجب، فلم يشأ الله ، حتى تعب فصبر.

وبينما كان يجلس أمام باب منزله ، رأى رجلاً أمسك ابنه وانهال عليه ضرباً مبرحاً، فقال "الله أكبر واحد رزقه الله الابن فينهال عليه ضرباً، وأنا أبحث عن الابن فلا يشاء الله، لو كان الله وهبنى هذا الابن، ما ضربته مهما كان عقوقه ، إذا كان الابن عاقاً ، أو غير عاق سواء ، ولكن سوء بصيرة من الناس".

ومرت الأيام وشاء الله لمن تحمل زوجة هذا الرجل ، وبعد تسعة أشهر أنجبت طفلاً ذكراً ، وأقيم السبوع وسمى المولود هفرو ، ونشأ الطفل مدللا ، مهما يفعل لا يقول له الأب شيئاً ، حتى وصل الأمر إلى عقوق الأب وعدم مساعدته ، بل إن حب الأب للولد جعله يأكل معه فى إناء واحد، بل إن الاثنان بعد الزواج لم ينفصلاً عن بعضهما أثناء الطعام.

ولما بلغ الأب سن الشيخوخة أخذ الابن يتضجر من الأكل مع أبيه ، فإذا أكلا معا منع الابن أباه أن يمس الطعام الذى أمامه ويدعى أن أباه شديد القذارة ، ويترك المخاط ينزل من أنفه دائماً يكح ولعابه يسيل ، فلا يقول الأب له شيئاً ، وكانت يده ترتعش فيقع الأكل من يده فى الإناء، فيزجره الابن ، ويجذب إناء الطعام من أمامه ، ويقول أنه سيقدم الطعام لأبيه بعد أن يأكل.

وذات يوم وهم على هذه الحال ، قال هفرو إن أباه لا يلعق الإناء، ويتركه قذراً، ويلوثه بلعابه، لذلك أحضر لأبيه إناء خشبياً وأخذ يضع فيه الطعام وذات يوم كان يأكل ، فارتعشت يده وسقط الإناء منه وانصب الثريد ، فجاء هفرو وزجره ، لرعشه يده، وذهب إلى السوق واشترى له مزوداً ، كالذى يوضع فيه طعام البقر، وأحضره إلى المنزل وأخذ يقدم له الطعام فيه، ويقول "اقلبه أيضاً، لنرى".

لم يفعل الأب شيئاً ، إلا أن الأمر ضايقه وأخذ يبكى ويقول "هذا ذنبى لأنى لم أحسن تربيته وهو صغير ، ولكن لا بأس ، الله ينتقم لى".

ومرت الأيام وشاء الله أن تحمل زوجة هفرو ، وولدت طفلاً ذكراً، وسمى إشيا، وعندما بلغ سن الرابعة، ونما عقله، صار لا يلعب ولا يأكل إلا مع جده، وحاول أبوه منعه من الأكل معه، ولكن الطفل رفض حتى كان يحمل السمن واللحم، وكل ما يناله من الطعام يذهب به إلى جده .

واستمر الحال على ذلك حتى بلغ إشيا سن السادسة، وذات يوم خرجوا إلى المزرعة وكان يمسك له قربة الماء، وعندما وصلوا أخذ الأب يعمل فى الحقل حتى توسطت الشمس السماء ، إذا بزوجته أم الطفل تأتى بالطعام، فترك عمله ، وجلس ليأكل ، وجلست زوجته بالقرب منه، فأخذ الطفل فأسا صغيرة ودخل المزرعة وأخذ يقطع قطعة من الخشب ، وعندما رآه أبوه قال له "ماذا تفعل؟ أترك هذا العمل الذى لا فائدة منه، وتعال كل الطعام، دائما تفعل هذا حتى تجرح قدمك، وتترك الناس يمرضونك" .

عندما سمع الطفل ذلك،قال لأبيه "كل أنت، واترك طعامى، وسأبقى هنا أقطع هذه الخشبة ، أريد أن أصلح هذا الفرع ، لأصنع به مزوداً صغيراً ، واذهب به إلى المنزل وأحفظه حتى تشيخ فأضع لك الطعام فيه" .

عندما سمع والد الطفل ذلك شعر بالندم، وتعجب "حقا ما يقوله الناس ما تزرعه تحصده" .

ولم يتم هفرو عمله فى المزرعة ، فقام وجمع متاعه ، ودفعوا الطفل أمامهم وعادوا إلى المنزل ، وعندما وصلوا المنزل أخذ هفرو يد ابنه وذهب به إلى جده ، وركع وقص على أبيه ما قاله الطفل فى المزرعة ، وركع مرة أخرى وأخذ يسأل أباه المغفرة وهو يبكى ندماً على ما فعله ، والطفل ينظر وأخذ يسأل أباه المغفرة وهو يبكى ندماً على ما فعله ، والطفل ينظر ولا يدرك ما يحدث أمامه، فقال الجد "كل ما حدث أنا السبب فيه، اذهب قد غفرت لك فى الدنيا والآخرة" .

قام هفرو مسروراً ، ومنذ هذا اليوم لم يعد يحتقر أباه، حتى شاء الله أن يموت بين يديه وافترقا على الخير ، وكان هفرو إذا رأى ابنه ، وتذكر الكلام الذى قال ، يتعجب ويقول "أبناء هذا الزمان عقلهم أكبر من عمرهم.

عندما شعر موسى أن الببغاء وصل إلى نهاية هذه القصة قال "هذه القصة تحذير مفيد لمن يسمعها" .

قال البـبغاء "ليـست هذه فقط ، كل القصص الذى أقـصه، إذا دققت فـيه تراه كله هكذا ، لا عيب فى الإنســان الذى يستطيع أن يتحكم فى لســانه، إليك مثالاً صغـيراً عن السلحفاة والطائر المتوج" .

احفظ لسانك قبل يدك

ذات يوم رأى طائران متوجان شجرة تين على شاطئ قناة، فكانا يطيران كل يوم ويقفان عليها ويأكلان ثمارها، وكان يعيش تحت هذه الشجرة سلحفاة ، فكان إذا أكل الطائران سقطت ثمار التين فتأكله ، فلما رأت السلحفاة أن الطائرين يسقطان لها التين ظنت أنهما يقدمان لها هدية لأنهما يحبانها . فلما رأت خيرهما كثيراً رفعت رأسها ذات يوم وقالت للطائر المتوج "يا إخوتى أشكركما ، كل يوم آكل التين الذى ترميانه لى، خيركم زاد كثيراً ، حتى أننى أخجل من شكركما جزاكما الله خيراً " .

فلما سمع الطائران ذلك نظرا إليها ، وأدركا ما يحدث. وكاد الكبير أن يقول لها أنهما لا يحبانها ولكن التين هو الذى يسقط ، ولكن زميله منعه ، ونظر إلى السلحفاة وقال "لأننا رأينا أنك لا تستطيعين الصعود، ونساعدك لأن الله خلق لنا جناحين ، لذلك لا تخجلى من هذا الأمر البسيط ، نسأل الله أن يديم المحبة" .

قالت السلحفاة "آمين ، وأنا بدورى أشكركما" وعاشوا على هذه الحال، وبدأ الأمر كالمزاح ثم تحول إلى صداقة حقيقية، وعندما يأتى الطائران فى الصباح لا يبدآن إلا بتحية السلحفاة والسؤال عن حالها، وعاشوا لا يودون أن أحداً يمس واحداً منهم بسوء" .

ونفذ التين بعد شهر واحد ، وعاد الطائران يبحثان عن ديدان الأرض، وبعد شهرين آخرين جف ماء النهر، وعاد المكان كما كان ، لا توجد فيه قطرة ماء، وعندما رأى الطائران ذلك فكرا فى ترك المكان والبحث عن مكان آخر ، حيث لا يستطيعان الحياة بلا ماء.

وعندما عزما على الرحيل، قالت الصغرى "يجب أن نذهب ونودع السلحفاة حتى لا تحزن وتظن أن أمراً سيئاً قد أصابنا" . وطارا وذهبا إلى السلحفاة ، وقالا لها أنهما مهاجران.

ولما سمعت السلحفاة ذلك قالت "لا تتركانى ، يجب أن نذهب معا، وما يصيبكم يصيبنى ، كيف أستطيع الحياة بدون ماء؟"

عندما سمع الطائران ذلك قالا :ماذا ستفعلين حتى تتبعينا وأنت بدون أجنحة؟"

قالت السلحفاة "يجب أن تحملانى، إذا حاولتما ستقدران على ذلك".

قال الطائر الكبير "من منا يستطيع أن يحمل شيئاً ضخماً مثلك؟ قولى ونحن نفعل ، كيف نستطيع إمساكك وجسمك كله أملس؟"

قال الطائر الصغير "دعها تذكر حيلتها ونسمعها ، ربما لديها حيلة ، إنهم يقولون الحى لا يعجز عن التفكير".

قالت السلحفاة "نعم ، إن لدى حيلة عرجاء قد تنفع ، إذا كنتم تقدران ، عليكما أن تحضرا ساقاً قوية من الحطب طولها حوالى ذراعين وأمسكها من الوسط بفمى واتعلق فيها وتطيران بى إلى حيث تريدان."

قال الطائر الكبير "هذه الحيلة لا تصلح مع مخلوق مثلك كثير الكلام".

قال الطائر الصغير " لا ، إذا قالت أنها تستطيع الكف عن الكلام ، نحملها ، وطار وأحضر ساقا قوية من الدخن وعاد به ووضعه أمام السلحفاة ونظر إليها وقال "بالله عليك إذا أمسكتها فلا تتكلمى".

قالت السلحفاة "ويحك ، هل تحثانى على ذلك ، كأنى طفل صغير؟ أنا أتكلم عندما أريد، واكف عن الكلام عندما أريد".

قال الطائران "الحمد لله ، وحملا الساق وطارا والسلحفاة معلقة بها.

وأثناء الطيران مروا فى طريقهم على السوق، وهما يطيران فوقه ، نظر الناس إلى أعلى فرأوهم فقالوا "هيا انظروا ، طائران يحملان سلحفاة، أيها الناس والأمور العجيبة لا تنتهى فى هذه الدنيا".

عندما سمعت السلحفاة ذلك، غضبت وقالت "لعن الله عيونكم أيها الناس لا ترون شيئا وتتركونه." ولم تكد تتم ما تقوله حتى سقطت على الأرض بحجمها الكبير واصطدمت بالأرض وماتت.

وواصل الطائران طيرانهما ، فى حزن شديد وهما يقولان "من لا يستطيع التحكم فى فمه يلقى الهلاك."

وأصغى موسى فسمع أحد الخدم يوقظ زميله ويقول له "لقد طلع الفجر ، فقطب جبينه، فقال الببغاء "اليوم لم ينقض عبثاً ، لأنى قصصت لك عظة".

قال موسى "عظة".

أخذ الببغاء يسليه ويهدأ من روعه ، ومضى الوقت فى حديث وسمر.

وعندما غربت الشمس ، وحان وقت خروج موسى، حضر وقال للببغاء "بالله عليك اتركنى أمضى ولا تقل شيئاً".

قال الببغاء "إلى اللقاء".

قال موسى "أى يوم تركتنى ولم تقص علىّ قصة" ووضع المفتاح وفتح باب الدهليز الأول ، وتهيأ للخروج ، وفتح الثانى ، والببغاء يتبعه، ويقول "الآن شئ عظيم خطر على بالى ، الأيام السابقة أعطيتك دواء للقوة، ولم أعطك دواء لتحاشى السهام ، إذا اخذته يساعدك على تفادى الحراب والسهام ".

قال موسى "لا أستطيع تحاشى الضربات ، إذا كان قريباً منك أحضره لى ، لا أحد يرفض المساعدة".

قال الببغاء "شجرة اللبلاب هنا قريبة ، انتظر حتى أذهب لإحضاره لك." وخرج من النافذة مسرعاً.

قال موسى "بالله عليك أسرع".

قال الببغاء "الله أكبر" وطار حتى وجد حديقة فأخذ يسرق منها التين ويأكل، وعندما شبع ، وشعر أن الفجر ظهر ولكنه كان ضوء القمر فقطع بعض أغصان التين وعاد يقول لموسى "ها هى ، ابحث عن قطعة قماش وضعها فيها بعد الخياطة ، واجعلها مع لباس الحرب حتى لو أمطروك بالسهام فلن تصيبك واحدة منها . ولكن بشرط واحد هو أن تتعلم كيف تتفادى الحراب، لأن هذا الحجاب لا يفيد إلا إذا تعلمت هذا الفن".

قال موسى "وهو كذلك" وفتح الممر الثانى ، فنظر الببغاء جهة الشرق لعله يرى أن موعد الصلاة قد اقترب ولكنه وجد أن ضوء القمر قد خدعه وأنه عاد مبكراً ، فأخذ يتبع موسى متسللا فوجده قد فتح باب الممر الثالث فقال دعنى أقص عليك قصة جميله، كان فى أحد الأيام بعض التلاميذ .

قال موسى "اذهب واتركنى لقد سئمت قصصك" وفتح باب الممر الرابع .

تبعه البـبغاء وهو يقول "نصـرك الله ، أنت بذلك ترفض قولى، ولكن طالما أنك لا ترفض قول والديك ، انظر إلى تحذير الأمـير لك فيما يتعلق بى ، أنت كنت مـتمسكاً بما أمرك به والدك الأسبوع الماضى منذ الأمس" .

التفت موسى وقال "اتعنى أننى ملتزم حتى مثل يوم أمس فقط ، فما بالك باليوم".

قال الببغاء "دائما أنت متمسك بكلام والدك " .

أسوأ الأمور أن يغضب الابن والديه

أظن لم أقل لك أبدا، فى أحد الأيام عقد لبعض التلاميذ اختباراً ، وكان من بينهم ابن إمام المدينة، وكان اسمه ، إيلو ، لا يهتم بعمله مطلقاً، وكان يلعب كلما شرح لهم المدرس الدرس، لذلك عندما عقد لهم هذا الاختبار لم ينل درجة واحدة ، مما أغضب معلميه فهو ابن أحد كبار المدينة، ومع ذلك فسد، لذلك ذهب المدرس وأخبر الإمام عن حال ابنه ، حتى لا يؤاخذهم بعد ذلك.

عندما قال المعلم للأب غضب ، ونادى ابنه وطلب منه أن يجتهد ، ونهره وقال له ، إن لم يجتهد ويتعلم القراءة والكتابة ، لن ترجى فائدة منه وسيجعله يحمل اللحم المجفف على رأسه ويبيعه فى السوق.

قام الولد غاضباً من كلام الأب، كيف يقول له أنك إذا لم تجتهد سأرسلك إلى القصاب لتبيع اللحم الجاف فى السوق، وعاد إلى الممر الضيق فى المنزل وجلس غضبان . ولما جاء وقت الطعام جاء أخوه الأصغر إبراهيم يدعوه للطعام ، فنظر إليه إيلو غاضباً وقال "إذهب كل أنت ، أما أنا فلن آكل" .

انفجر إبراهيم ضاحكاً وقال له "هل تظن أن أحداً يهتم بأمرك ، أكلت أم لم تأكل ؟ إذهب واسترح" وذهب وأخبر والديه.

قال الإمام "غضبان لأنى نهرته؟، وهو كذلك ، اتركه ، بجوعه" قالت الزوجة "مثل البنتَ التى ترفض العريس الغنى" وتقول الأم هذا ومع ذلك كان قلبها مع إيلو ، وغافلت الإمام وذهبت إلى الولد تستعطفه ولكنه رفض تناول الطعام، وحاولت كثيراً فنظر إليها وقال "ما شأنك بى، إذا كنتم تقولون أنه لا فائدة منى ، إلا أن أبيع اللحم؟ ما ذنبى إذا كان المعلم لا يحبنى ولايوجد فى الفصل عشرة أفضل منى" .

قالت الأم " هيا أواجهك به" .

قال الولد " لماذ تواجهونى به؟ حتى لو واجهتمونى به لن أتناول الطعام ، إذا تفعلون مع بائع اللحم المجفف؟"

عندما نظر الإمـام ولم يجد الزوجة ، ظن أنها عـند إيلو ، لذلك نادى إيلو قائلاً ". قم تعال كل ، لا تكن غبياً. "

قال إيلو "أنا لست غبياً ، أنا أذاكر، وأنا بائع لحم ، كيف سآكل معكم؟"

قال الإمام "ولد فاسد ، عنيد ، لعن الله أولاد هذا الزمان" .

قال إيلو "وصرت كذلك ولداً فاسداً ، بعد أن كنت صبى قصاب" .

نظر إبراهيم إلى أبيه وقال "لقد غضب ، يا أبتى" .

سمع إيلو هذا الكلام فقـال، وأنت الآخر ما شأنك ـ فغـضب إبراهيم، وقديماً قالوا الأرنب لا يغضب ممن سلخـه ولكن ممن أمسكه، فقـال "من الذى طلب منه الكلام حتى يتكلم ، وأنت تعرف أن إبراهيم يحـتقرنى" . وقام ودخل حجرة نومـه ، فلما دخل وجد سـروال إبراهيم على سريره فـألقـاه خارج الحـجرة قـائلاً "يكرهنى ويضع سـرواله على سريرى، لينتقل القمل إلى" وصعد سريره ونام ، وقد أخذ الجوع يشتد عليه.

وبينما هو راقد ، يتهيأ للخروج إذ بإبراهيم يأتى ويقول له "جاءك ضيف" .

نهره إيلو وقال "اخرج واتركنى" .

ابتسم ابراهيم وقال "صديقك جاء" .

قال إيلو "قلت لك اخرج واتركنى بالتى هى أحسن" .

خرج إبراهيم يقول "أعرف أن الجوع يثير غضبك ، ولكن لا بأس" .

لقد كـان إبراهيم صادقـاً ، قام إيلو وتحـير من شدة الجـــوع ، وفكـــر أن يعـود ويطلب الطعام الذى قدم له ، ولكنه خشى أن يسخـروا منه ، لذلك تحمل، وقرب العصر شعـر أنه لا يمكن الصبر على الجـوع، فأخذ سرواله ، وتسلل لـيذهب إلى السوق فشـعر بحركـة والده فى الممر، فادرك أنه إذا رآه سـيضربه ، لذلك عـاد ودخل من سور الحطب وخرج ، وقـصد السوق حـيث بائعى الملابس المستـعملة ، فوجـد خياطاً فـقال له "هل تشترى سروالا؟"

أخذ الخياط السروال ونظر إليه وقال "خـذ سروالك ، هذا ليس قماشاً، بل فضلات قماش، لا يبيعونه فى انجلترا ولكن يرمونه ، أو يعطونه صدقة ، ولكن لا بأس كم تبيعه، لأضعه فى الجزء الخلفى لبردعة حمارى" .

قال إيلو "كم ستدفع؟"

قال الخياط "أربعة قروش ، هل اشتريته غالياً؟"

قال إيلو "قالوا لى لا تبيعه بأقل من ثمانية قروش" .

فتح الخياط فمه كأن سيتثاءب ، وأعطى إيلو السروال وقال "إذا طفت به السوق لن تجد من يشتريه بشلن ، انظر إليه كيف هو جديد؟"

لاحظ إيلو أنه يسخر منه ، فسلمه السروال وقال "أربعة قروش"

فدفع له نقداً ، فقبض الثمن ودخل السوق يشترى طعاماً وعندما اقترب المغرب وتفرق الجميع، ولم يتبق أحد فى السوق ، قصد بائعى الكباب وجلس عندهم وطلب منهم بعض اللحم المدهن بأربعة قروش ، وأخذ يأكل حتى شبع ، وطلب ماء وشرب ، وقصد المنزل وهو يقول "طالما أنهم يلومونني ، فسأبيع ملابسى لآكل ، ولن آكل طعامهم مرة أخرى إلا إذا جاءوا واسترضونى."

ولما عاد إلى المنزل وجد أمه قد أرسلت إليه ثريدا بالعسل فى حجرته ، ففتحه ، ونظر فيه ، واغترف قليلا منه بالمغرفة وذاقه ، فوجده حلو المذاق ، قال "ها أنا أحب هذا الثريد ولكن إذا شربته سيسخرون منى ومع ذلك فلأشرب ثلاث ملاعق ، فلن يشعر أحد بها ، وجلس وشربها ، وما كاد ينتهى حتى دخل أخوه الصغير فقال "أين ذهبت ، ها هى أمى طلبت أن أحضر لك الثريد؟"

قال إيلو "ماشأنك بما ذهبت إليه ؟ وماذا أعطيت لى ؟ خذ الثريد لن أشرب شيئًا ، أنا غبى ، ولد فاسد ، ما شأنكم بى ، فلأذهب وأموت".

ما كاد يخرج إبراهيم بالثريد حتى أخذ ايلو يتلوى من المغص الذى أصابه من اللحم المدهن ، ويخرج ما فى بطنه ويتأوه على السرير.

عندما سمعت الأم نادت إبراهيم ليسرع ليعرف ما حدث ، فوجده يتقيأ وقد غارت عيناه، فسألوه عما أكل فقال "لحم".

فى الحال طلب أبوه احضار تمر هندى ، فأسرعت الأم ، بينما إيلو يصرخ ويتلوى ، وعجز عن النوم أو القيام ، وعندما أحضرت الأم التمر هندى نقعوه فى الماء وصبوه له فشرب وأخذ يفرغ ما فى جوفه ، وقبل العشاء تم له الشفاء . وقبل الفجر شفى تماما،

فذهب إلى والديه ، وطلب منهما المغفرة ، فقـال لن يعارضهما من اليوم وسيؤدى واجب المدرسة ، وسيسمعون خيراً إذا أجـرى له الاختبار مرة أخرى ، ومن هذا اليوم اصبح ولداً طيبا وليس له مثيل فى فصله.

نظر موسى فـوجد الشمس قـد طلعت فقال للببـغاء "رأيت لقـد كنت أريد الرحيل فأخرتنى بلا فائدة ها قد تأخرت" وعاد وهو مملوء بالغضب.

وقد منع تقـديم أى طعام للببـغاء طوال هذا اليـوم ، وعندما غربت الشـمس وجاء الصبح نظر الببغاء إلى الطريق الذى يخرج منه مـوسى ، فلما رآه خارجاً بالسيف مسلولاً ، قال له "خذنى ، أذهب معك".

نهره موسى قائلا "ماذا تفيدنى فى ميـدان القتال؟ طائر صغير ثرثار مثلك ؟ تريد ان أقول لك أخباراً؟"

قال الببغاء "ليس من أجل الأخبار ، الحرب خدعة وليست قوة، أظن أنك لم تسمع الحيلة التى فعلها الجدى حتى يطرد الذئب الذى ورث منزله.؟"

ضخم مجنون وصبي عاقل يفوقه

كان يعيش أحـد الذئاب الذئاب فى كهف فى الغابة زينة حتى أصـبح لا مثيل له فى كل الغابـة ، وكلف أحد القردة بحـراستـه فى غيابه ، حـتى لا يهاجـمه أحـد أثناء عدم تواجده فيـسرق متاعه ، فكان القـرد لا يغادر هذا المنزل أبدا، وذات يوم هبط على المنزل جدى وزوجته وأولاده الثلاثة ، منذ خرجوا للرعى ودخل عليهم الليل وضلوا الطريق ولم يستطيعوا العودة إلى المدينة ويخشون لقاء أسد أو ذئب .

فلما رآهم القرد قال لهم "أنتم من أين جئتم ؟ ومن أنتم ؟ هنا بيت الذئب ، اكتمو السر فى أنفسكم وعودوا ، وإلا ذهبت الآن وقلت له فيأتى و يأكلكم؟"

نظرت العنزة إلى الجدى وقالت " يا سيدى ما هربنا منه قد حدث وأوقعنا أنفسنا فى الهلاك، ليتنا نعرف كنا صبرنا على العـشب الذى يقدمه إلينا صاحبنا كل يوم فى المساء ، ها هى الشراهة وحب العشب الغض جلب لنا الهلاك".

نظر القرد إلى الجدى وقال "لقد قلت لكم اهربوا، وإلا أذهب وأخبره"

قال الجدى وهو ينهـر القرد "رجل فاسد ، هذا منزلى ورثته جدا عـن جد ، الأمير ماسـو ورثته ولن يسلبـه أحد منى فى هذه الـدنيا على سعـتهـا ، اذهب وقل له وأنا هنا منتظره".

جرى القرد وذهب إلى الذئب ، وبعد أن ذهب قـالت العنزة للجدى "ننجو قبل أن يأتى الذئب".

قال الجـدى "أنت عديمة العـقل ، إذا أظهرنا الآن أننا خـائفون هلكنا ، ولامـفر لنا حتى لو جرينا ، إذا رأينا الذئب قـادماً، قولى للأولاد أن يبكوا جميـعاً فى وقت واحد ، فإذا سألتك عن سبب بكائهم ، قـولى أنهم يشعرون بالجوع ، إنهم يريدون لحم الذئب ، لا يريدون لحم ذئب الأمس ، فقد تعفن"

أجابت العنزة قائلة "وهو كذلك ، ولكن لا أرى أن هذا سينجينا"

عندما وصل القرد إلى الذئب قال له "ها حيوان بأولاده جاء يقول أن هذا منزله" جدا عن جده الأمير ماسو ، فقلت له أن يهرب حتى لا تأتى فتأكله ، قال ، من أنت ؟ وقال كلاما لم أسمعه عنك من قبل."

قال الذئب "هل تعرفه"

قال القرد "لا، ولكن الغزال يقول أنه جدى"

قال الذئب "مع أنى لم أره ليس جديا، لا يفعل ذلك ، كيف شكله؟ وما حجمه؟"
قال القرد "أطول منى قليلا ، ولون شعره أحمر وغزير وله ظلف مثل الغزال"

قال الذئب "إذا تأكدت أنه لا يفوقنى قوة، نذهب لنراه ، كم عددهم؟

قال القرد "هو وأولاده خمسة"

قال الذئب "كم ، خمسة ، ليسوا قوة ، الكثرة تغلب الشجاعة"

قال القرد "كلهم صغار الكبير فيهم طوله قدم فقط ، وفى هذه الغابة لا يوجد من يفوقك قوة إلا الأسد والفيل".

قال الذئب "اسكت حيوانات الغابة التى تفوقنى قوة. من يعرف عددهم ، هيا لنراه إما أن ننتصر عليه وإما أن ننجوا بأنفسنا".

عندما رآهم الجدى من بعيد قال لزوجته أدخلى بالأولاد داخل الكهف ، واجعليهم يبكون فى وقت واحد".

فلما دخلوا انفجروا جميعا فى البكاء، ماء ماء ماء، فقال الجدى "ماذا أصاب هؤلاء الأولاد؟" قالت العنزة "يقولون كل هذا اللحم الذى فى الكهف لا يأكلونه يريدون أن يأكلوا لحم الذئب فقط لأنه لذيذ"

قال الجدى "وهو كذلك ، اعطيهم لحم الذئب الذى قتلته أمس ليأكلوه"

قالت العنزة "اعطيتهم ، يقولون ، لا يأكلون اللحم الذى بدأ يتعفن ، يريدون لحماً طازجاً".

قال الجدى "اصبروا قليلا ، ولا يتحركوا ، لأنى اسمع القرد قادماً بذئب لهم اليوم سأقتله إذا جاء به، سيرزقنا الله اللحم الكثير ، لأنى سمعت بأن لحمها كثير".

نظر الذئب للقرد وقال "سـمعت حقاً أنها تفوقنى قوة، لقـد قتلت أمس ذئبا ، إننى أعرف ان الجـدى لا يمكن أن يفعل ذلك ولا يستطيـع أن يخرج إلى الغابة ، لأنه يختبئ دائماً فى المدينة سأهرب قبل أن يرانى.

قال القرد "لا تهـتم، هذا كلام فارغ، فهى أكـاذيب يقولها لك ، لقد رأيتـه حيواناً صغيراً عندما تراه يمشى تعرف أنه جبان".

عندمـا سمع الذئب ذلك تشـجع قليـلاً وقال "وهو كـذلك نذهب" وعندما رآهمـا الجدى دفع أولاده داخل الكهف وأخذوا يبكون معـا، فقال للعنزة "بالله عليك قولى لهم أن يسكتوا لقـد وعدنى القرد أن يعـمل حيلة حتى يأتى بالذئب إلى منزلى ، فـإذا أحدثوا ضوضاء كـيف يأتى به، وكيف نقتله ، ونحـصل على الطعام؟ أنتم تعلمون أننا لـم نجهز طعاماً اليوم منتظرين ذلك"

عندما سمع الذئب ذلك امسك القرد وقـال "منافق ، دبرت المؤامرة لتقتلنى ؟ ولكن الله كشف سرك يا فـاسد ؟" وكاد يرفع مخلبه ويقـتله ، ولكن القرد تراجع وهرب وهو يسهل .

ولما رأى الجدى أنهم نجوا جمعوا كل ما فى منزل الذئب من متاع وعادوا إلى المدينة.

كنظر الببغاء إلى موسى وقال "وهو كذلك، هيا نذهب، ابن الحلال الطيب يفى بكل ما يعد به، ما يقع لمن يعد وعدا ولا يفى به، إذا سمعت سكت"

قـال موسى "مـاذا يقع لمن يخلف الوعـد، لأن الإنسـان ينوى عـمل شىء ويخلف وعده، ثم يصيبه شىء؟"

قال الببغاء "يصيبه أسوأ شىء"

قصة أمير المزمار

ما جعلنى أقـول ذلك أنه فى إحدى بلاد اليونان التى توجد وراء الـبحر المالح، منذ سنوات طويلة مضت أصيب سكان هذه البلاد ببـبلاء وهو وجود الفئران فى كل مكان فى المدينة، وأخذ عددها يزداد حتى عجز الناس عن مقاومتها، حيث ينظر الإنسان لا يرى إلا الفئران، وفى أى مكـان يذهب لينام فيه يجد أكـثر من عشرين من الفئـران الكبار تنام فى مضجـعه ، إذا خلع قبعـته أو رداءه قبل للصبـاح يجدها قد امتلأت بالـفئران ، ولا أطيل عليك لقد صار عـدد الفئران لا يعد ولا يحصى ، إذا اسـتطعت أن تعد الذباب فى المدينة فإنك لن تستطيع أن تعد هذه الفئران فهـى أكثر من ذلك مئات المرات حتى أصبح لا يخلو منها موضع قدم فى المدينة.

ومهـما كانت حيلة الإنسـان فلن يستطيع أن يحفـظ طعامه بعيـداً عنها ، إذا أراد أن يطهي طعـاماً فعليـه أن يطهى على قدر حـاجتـه ، حتى لو وضعت الطعـام فى صندوق وأغلقته جيداً يعرفون كيف ينفذون إليه ليأكلوه.

كل ما يصنع من الجلود قد أتو عليه ، فلا ترى حذاء ، أو وسادة أو حقيبة جلدية أو فروة فى المـدينة إلا أكلوها ، إذا وصلوا إلى شئ لا يأكلونه ، ثقـبوه ، وأفـسدوه ، وإذا وجدوا طفلاً رضيعاً نائماً هجموا عليه، عضوه وحاولوا أكله ، فإذا صرخ أنقذه أبواه.

وإذا أقبـل الليل منعوا الناس من النوم بـالصباح والجـرى، وإذا رأوا جسم الإنـسان مكشوفـاً عضـوه كأنهم سـيلتهمـونه. لا تلم سكان المدينة ولا تصـفهم بالغبـاء لأنهم لم يستطيعـوا قتلها ، بلاء لا يكشفه إلا الـله ، إذا رأوا الكلاب هجموا عليها واثبـتوا لها أن الكثرة تغلب الشجاعة. والقطة بالنسبة لها أمرها هين ، فلا يهتمون بها.

الأمر العجـيب أن الناس إذا حاولوا قتلها كأن عددها يزداد وأن تنصب لـها شركاً ، أو تضع لها سماً هذا أمر لا يخدعهم. إذا أحسوا بذلك طافوا حوله كأن أحد قد اخبرهم خبره.

وقد عجـز كل أهل المدينة عما سيفـعلون بها، فقصدوا حـاكم المدينة، وقالوا له إنه سيء الحظ، لأنه منذ أن خلق الله الأرض لم يـسمعـوا عن مثل هـذا البلاء إلا فى فـترة

حكمه، وقـالوا له إما أن تفعل مـا يقضى على هذه الفئـران وإما أن نخلعك ونطردك من البلاد.

تحير الأمير ولم يدر ما يفعل ، وازداد ضغط أهل المدينة عليه، وذات يوم كان يجلس مهمومـاً، تأتى مجموعة من كبـار أهل المدينة ويسبونه، وبعد قليل تأتى مجـموعة أخرى ينخزونه ويعضون ، ثم جاء رجل عجوز غريب عن المدينة وحياه.

نظر إليه الأمير فرآه غريباً، فقال "يا سيدى، من أين جئت؟ وما صناعتك؟"

قال العجوز "ها أنا، جئت من بعيد ، أما عن صناعتى فهى التزمير، حتى أن الناس تسمينى "أمير الزمارين".

قال الأمير "اذهب وانزل ضيفاً ، إذا كنت تستطيع أن تنزل هنا، إننا لا نهتم بالتزمير الآن ، ولكن نهتم الآن بانقاذ أنفسنا من هذا البلاء الذى نزل بنا.

قال أمير الزمارين "إنى لا أزمر عبـثاً، .أن الله قد وهبنى سراً، بحيث يتبعنى كل من سمعنى إذا زمرت . سواء مـن الضفادع أو الثعابين أو الفئران أو جميع الحـيوانات البحرية والبرية والطيور حتى السائرين على قدمين، كل من سمع المزمار لا يبقى فى مكانه فيتبعنى باستمـرار . إذا كانت هذه الفئران هى التى تضـايقكم فإذا أعطيتنى ما أطلبـه سأخلصكم منها.

قال الأمـير "بالله عـليك تساعـدنا، كل ما تطلبـه فى هذه الدنيا سـأعطيك، اطلب لنسمع".

قال أمير الزمارين "هل تعطينى مائه شلن، إذا خلصـتك منها ، نظر إليه الأمير وقال أرى اليوم عـجباً، مـا هى المائة شلن، إذا أردت عشرة آلاف شلـن أعطيتك، أهمْ شئ أن تخلصنا من هذا البلاء".

قال أميـر الزمارين "حسنا الحمد لله" ووضـع نوعاً من المزامير فى فمـه وأخذ يزمر ويتقدم إلى المدينة ، حارة حارة، وأخذت الفئران تخرج من كل مكان ، وتتبعه ، أفواجاً، بعضها الكبير والبعض صغير والآخـر متوسط والبعض هزيل وبعضها أحمر والآخر ابيض أو أزرق أو رمادى والبعض حـامل والبعض تجر أولادها وراءها وهى تقفز، وتصـيح كأنها فرحة مستبشرة.

وعندما جمعها ذهب بها إلى النهر وهو يزمر وهى تتبعه، والناس ينظرون ويفرحون، وعندما وصل شاطئ النهـر دخل الماء وهو يزمر، والفئران لم تشعر بنفسها إلا وهو داخل النهر، ولم ينج من الفئـران إلا واحداً، وأخذ الناس يهنئون بعضـهم البعض، إذا حاولت أن أصف لك مدى سرور هؤلاء الناس بخلاصهم من هذه الفئران لا أستطيع.

عندما رأى الأمير أمير الزمارين قـادماً قال للناس ليرجع كل إلى منزله، ويسد ثقوب الفئران بشيء من الطين.

وعندما وصل أمير الزمارين شكره الأمير كثيراً فقال أمير الزمارين الحمد لله - نصرك الله - عليك أن تفى بوعدك، فتـجهم وجه الأمير وقال فى نفسـه ، الآن إذا أعطيته شلنا واحداً واحداً حتى المائة، وفـعلت ذلك مع كل إنسان ماذا يتبقى لى؟ أما عن الفـئران فقد مـاتت على أعين الجمـيع، ولن تعود ، مـاذا يفعـل هذا الرجل العجـوز بمائة شلن لولا طمعه".

ونظر إلى أمـير الزمـارين وقال "كنت أمـزح معك عندمـا قلت لك سأمنحك مـائة شلن، عجباً ألا تعـرف المزاح ؟ ها هى خمسة شلنات تكفيك ماذا تفـعل بالمال الكثير وقد أصابك الكبر "

حملق أمير الزمـارين فيه وقال "هذا عبث، الست بشيخ أيضـاً تعد وتخلف؟ أسرع فى إعطائى إذا أردت أن تعطينى ، لأذهب لستم أول من أتعامل معه".

قال الأمـير "لولا خلل فى عقلك ، هل تظن أن مـا فعلته منذ وصـولك حتى الآن تستحق عليه مائة شلن ؟ حتى الخمسة عشر شلنا التى قلت سأمنحك إياها ، كان ذلك من شدة فـرحتى باحـترامك لى لو حسـبنا بدقة مـا كان لك أكثـر من ثلاثة شلنات ونصف، الإنسان يعمل من الصباح حتى العصر لاينال سوى نصف شلن فما بالك بمن أتى الآ".

قال أمير الزمارين "أن لم تعطنى ما وعدتنى به الآن ، سوف أغير مزمارى ، وسترى ما يحدث".

غضب وقال "غير ، هل تظننى أخـاف من التهديد ، كأننا لسنا من أهل المدينة؟ من مات لا يستطيع أن يحيه إلا الله."

قال أمـير الزمارين "أنا لم أقل لك أننى أسـتطيع إحياء الموتى ولكن سـوف ترى ما يحدث" ثم أخذ أحد المزامـير وأخذ يزمر ودخل المدينة شارعاً شـارعاً، وإذ بأطفال المدينة

كل من يستطيع السـير من سن ثلاث سنوات حتى عـشر أخذوا يخـرجون ويتبعـونه جرياً ويصفقون ويرقـصون، وطفل من أبناء الأمير متوسط العـمر أخذ يغنى والآخرون يرددون غناءه جميعاً قائلين .

تعالوا .. ها هى السعادة.. من يرفضها

هيا.. هيا.. للمتعة

كل من ترك هذه الفرصة

تعالوا تعالوا للمتعة

الثريد واللحم حتى نشبع

تعالوا تعالوا للمتعة

اللبن والعسل لا مزاحمة

تعالوا تعالوا للمتعة

نلبس الحرير النظيف يوم العيد

تعالوا تعالوا للمتعة

نرتاح من السب واللطم

تعالوا تعالوا للمتعة

لا نقوم بالأعمال الشاقة

تعالوا تعالوا للمتعة

ولم يعرف الناس مـا يفعلون مع الأميـر ، كانوا يظنون أن أميـر الزمارين يلعب مع أطفالهم ، فوقفوا يضحكون ، ليروا قدرة الله ، ولكنهم عندما رأوه يقصد النهر ، طارت عقولهم وظنوا أنه سيقتحمه.

وعندما خرج أمير الزمارين من المدينة، قـصد جبلاً بالقرب من المدينة، ووقف الأمير ورجاله ينظرون إليه ، وقال الأمير فى نفسه "أعرف أن هؤلاء الأطفال لا يستطيعون تسلق هذا الجبل ، فلأرى كيف سيفعل معهم".

ولما وصل أمير الزمارين إلى سفح الجبل رأى النـاس الجبل ينشق، ويدخل فيه وتبعه جميع الأطفال، ودخلوا جميعا عـدا طفلاً واحداً تركوه خلفهم لأنه كان يعرج ، ثم انغلق الجبل عليهم.

أخذ الناس يـبكون لأنهم فقـدوا أطفالهم وكان مـن بين هؤلاء الأطفال أبناء الأمـير الأربعة، فقدهم جميعاً.

عندما أحسن الـله إلى الأمير، لم يعرف الناس أن عدم وفـاء الأمير بعهـده سيجلب لهم هذا الأمر، فلمـا أدركوا ذلك اهلكوه هو وذريتـه ، ها هو قد فقـد كل رجاله ، إلى جانب المكر الذى أخذ يحدق به.

عندما رأى والـد الطفل الأعرج ما حـدث، أسرع وأخـذ ابنه ، وهو مسـرور وسأل الطفل عما جـعلهم يتبعون هذا الرجل؟ قـال الطفل "سمعناه يقول أن نتـبعه ، سننال كل ملذات الحـياة الدنيـا، قال لديه بحـيرة من عـسل ، ولبن ، نشرب منهـا، ولحم مـشوى ومـسـلوق، وسنرى أرزاً لا وصف له ، وأنا الآن حـزين لأنهم تـركـونى هنا وذهـبـوا للاستمتاع بكل هذا".

ذهب الفأر الذى نجـا وحده فوجـد بعض الفئران، ولكنهـا ليست مثل الفـئران التى وجدت فى حالة البلاء ، فـأخذ يقص عليها الأخبار، ويقول "ألا تعلمـون، لقد جمعت طعامـاً لذيذاً هناك خلف النهر يوجد رجل زمـار جمعنا ودلنا عـلى مكان الغلال واللحم والسمن ، وأنواع الطعام نأكل ولا أحـد يمنعنا ، وقال أن هذا المكان لا يعرف شيئـاً اسمه الكلب أو القطة، ولكنى سـمعت مـنذ قليل أنه غرق فى النهـر، والآن إخوتى هنـاك قد سمنوا من كثرة الأكل، ولكن سوء الحظ جعلنى أفشل".

قـالت الفـئـران "نرجو اللـه أن يأتى هذا الزمـار إلى هذه البـلاد فى يوم من الأيام ويذهب بنا إلى هناك".

بعث الأمير رجاله فى كل الدنيا ، لعله يجد خبراً عن المكان الذى ذهب أولاده إليه، وأخذ يبحث حتى أعياه البحث وأخيراً تزرع بالصبر.

قال الناس "لا، إذا لم نهاجمه، سنهلك جميعا".

ثم تجمعوا وذهبوا إلى قصر الأمير وأشعلوا فيه النار فخرج الأمير من القصر وهرب، فأتبعوه رجماً بالحـجارة، وطردوه من المدينة، وخرج من المدينة عريان، وأخرجوا أولاده،

وذهب الناس إلى قصره ونهبوا ثروته التى جمعها، وخزائنه المكدسة بالمال، وأحرقوا القصر حتى لا يصاب الأمير الجديد الذى سيختارونه بما أصاب سالفه من بؤس وسوء حظ.

هل سمعت جزاء من يعد وعداً ولا يفى به؟.

نظر موسى فرأى الضوء قد ملأ المكان، فأدرك أن الشمس قد طلعت دون أن يشعر بها، فقال للببغاء "سمعت ما وقع لمن يعد وعداً ولا يفى به، ماذا يحدث لأمثالكم الذين يمنعون الوفاء بالعهد؟ ولم ينتظر حتى يسمع الإجابة، ودخل القصر غاضباً.

وعند الظهر بعث الوزير من يستعدى المرأة العجوز وكال لها اللون لأنها عجزت حتى الآن عن حيلة تخرج بها موسى فقال العجوز "أحاول كل يوم "ولكن يمنعنى ببغاء صغير عن إخراجه بأن يقص له كل يوم قصة حتى طلوع الفجر".

قام الوزير ونهرها وقال "طالما أنه ليس لديك حيلة لتهدئى هذا الطائر الصغير، اذهبى وسأبحث عن غيرك اليوم" فنادى خادمه بركى الذى بعثه إلى الأمير سينارى منذ أيام وأخبره بما يريد، وكيف منع الببغاء موسى من الخروج بقصصه.

لبس بركى ثياب النساء وذهب إلى قصر الأمير، فوجد موسى حيث ذكرت المرأة العجوز، فذكر له أن محموداً فى ميدان القتال بين الحياة والموت، وادعى أن محموداً قال له أنه طالما لايريد الذهاب إليه ليودعه، فهو يرجو ألا يجمعهما الله فى الآخرة، فبكى موسى وقال "أريد أن أذهب وكل يوم يعطلنى هذا الببغاء بقصصه، وقد أمر الأمير ألا أفعل شيئاً إلا بعد أخذ مشورته، وإلا غضب علىَ فى الدنيا والآخرة".

قال بركى "إذا كان على هذا الطائر الصغير، اذهب اليوم» وسأبيت هنا، وإذا شعرت أن هؤلاء الخدم قد استيقظوا نذهب معاً ونستأذن الببغاء، وسأمنعه من تعطيلك".

قال موسى "أحسنت، وكان يظنه امرأة. وجلسا حتى تغلب النوم على الحراس، فقاما وذهبا إلى الببغاء".

فلما رآهما الببغاء من بعيد عرف أن بركى رجلاً وليس سيدة، لذلك قبل أن يصلا ويتكلما سارع وقال لهما "بالله عليك - أطال الله عمرك. اذهب اليوم لن استطيع أن أقص عليك اليوم شيئاً اذهب حيثما تريد".

نظر بركى إلـى البـبـغـاء وقـال "حـتى إذا لم تقل ذلك لا نريـد أن نسـمع اليـوم قصصك".

وضع الببغاء رأسه بين يديه، فأخذت الشفقة موسى فقال له "ماذا أصابك اليوم؟".

قال الببغاء "أفكر".

ولما كان موسى لا يريد أن يفعل أمراً يغضب هذا الببغاء وسأله عما يفكر فيه.

قال الببغاء "افكر فيما حدث للنجار الذى جمع أكثر مما وهبه الله".

قال موسى "هذا النجار جلب لنفسه الهلاك"

قال الببغاء "اسمع ما أصابه لو عرفت فساده تجد لا نهاية له".

ولم ينتظر أن يطلب منه سمع القصة وبدأ يقول.

كل من يحاول أن ينال أكثر مما كتبه الله له هلك

كان يعيش فى بلدة كتكو نجار، وله طفلة فى الخامسة عشر من عمرها اسمها حليمة، وإذا كان المعروف أن الصبى يجب أن يسأل عن كل شئ يسمعه أو يراه ، فإن حليمة تجاوزت هذا الأمر إلى حد بعيد.

ذات يوم كان أبوها جالساً يصلح إحد الكراسى ، فدخلت حليمة وقالت له "بابا ماما رأى القطة فقالت لها هرة، هل هى لا تعرف اسمها أم تعرف؟.

وقبل أن يشرح لها أن القطة هى الهرة ، سألته مرة أخرى، وقالت "بابا يقولون أنه يوجد*فيل يتجول فى السماء، وهو الذى يتبول فى الخريف، فنقول أن السماء تمطر، هل هذه حقيقة؟"

نفجر الأب فى الضحك ، وهم أن يبين لها أن هذا ليس حقيقة، فقالت "بابا هل ماما التى ولدتك؟"

رأى الأب أنها ستمنعه من العمل بثرثرتها ، فقال لها "اخرجى ، والعبى مع الأطفال وإذا انتهيت من عملى عودى".

فقامت مسرعة وخرجت ، فرأت الأطفال يتبعون قزماً ويقولون "أيها الطويل أيها الطويل".

جذب الفضول انتباه حليمة ، وعند رؤيته وقفت على مدخل الباب وقالت أيها القزم تعال ، بابا يناديك".

عندما سمع القزم ذلك قصد باب المنزل ، فجرت حليمة إلى أبيها، واحتضنته وهى تبكى ، تظن أن السلة الصغيرة التى يعلقها القزم خلف ظهره ليس فيها إلا أطفال صغار مثلها، فلما وصل القزم وركع أمام النجار قال "ها أنا ، فتاتك الصغيرة قالت أنك تريدنى."

أحضر النجار بعض الطعام وثمار الكولا والقروش وقدمها له صدقة ، وقال "طالما أن حليمة قد نادتك ، فلا بد أن أعطيك شيئاً" فشكره القزم وفتح السلة وأخرج منها نوعاً

من الكعك الذى يأخذه صدقة وقدمه إلى حليمة ، ولكنها رفضت أخذه ، لأنها لأول مرة تراه.

ومنذ ذلك اليوم كان إذا مر على هذا المكان يأتى إلى مدخل هذا المنزل فإذا راى حليمة خارج المنزل قدم لها بعضاً مما يتصدق الناس به، فتجرى ، ويوماً بعد يوم تعودت عليه وألفته وبدأت تقف وتأخذ ما يقدمه إليها.

وكان عندما يراها يجلس فتصعد على رجليه وتلعب معه، وإذا أخذت تسأل الأسئلة التى اعتاد أن يسألها الأطفال كان يجيب بما ينبغى أن يقال لمن فى عمرها فإذا سألته "ماذا فى سلتك؟ يرد عليها قائلاً "ثريد ولحم وسكر" فإذا قالت أين أمك؟" يشير إلى النسر أو الحدأة ويقول "ها هى تطير" ثم يضحكان، وكانت هذه الطفلة إذا رأت نسراً أو حدأة تقول

"ها أم القزم" وكانت تنظر إلى أمها وتقول "أمى ألا تستطيعين الطيران مثل أم القزم؟" فكانت الأم لا تعيرها اهتماماً إذا أخذت تسألها هذه الأسئلة.

وكان هذا القزم ساحراً ولكن لم يعرف هذا السر أحد ، واستمر الحال على هذا الأمر، وذات يوم جاء إلى النجار وهو يحمل كل متاعه وقال "لقد نويت أن أعود إلى بلدى اليوم ، ولكن إذا سألتك حليمة عن مكانى فقل لها أننى عملت أجنحة وطرت كأمى حتى لا تبكى، وكل يوم أخبروها أننى سأعود غداً".

حزن النجار لأن ابنته فقدت رفيق لعبها، فدخل المنزل وأحضر بعض الثياب القديمة وأعطاها لحليمة لتقدمها للقزم عند الباب ،فأخذت الطفلة الملابس وجرت وقدمتها له، وهى منتشية من السرور.

نظر إليها القزم وعيناه تفيضان بالدمع للفراق ، وأقام حتى المغرب ، وبعد الصلاة تناول الطعام ونادى النجار وذهبا خارج المدينة ، وسارا حوالى نصف ساعة فى الغابة ، حتى وصلا إلى جبل، فنظر القزم إلى النجار وقال "أنت تعرف أنهم يقولون المحبة توحد الدم ، أليس كذلك؟".

قال النجار "هكذا".

قال القزم "منذ أن جئت هذه المدينة، لم أر أحداً أحببته مثل ابنتك ، حليمة منذ

كانت تخـاف منى ، حتى أصـبحت لا تحب أن ترى أحـداً سواى، أى شئ تأكله تحـجز نصيبى ، وأنت كذلك قـدمت إلى ما استطعت من خـير ، لذلك سـأجازيك وإذا كنت ترانى هكذا فقـيراً فذلـك لأختبـر الناس لا تجد فى كل هذه المدينة من يكون على عـلاقة بالجن مثلى" وجلس وجمع بعض الأعشاب والأوراق من فوق الجبل وأحرقها كالبخور.

فغر النجار فاه عندما رأى العـجب ، فلما ارتفعت النار نظر القزم إلى الجبل وقال ، "فَيَوْ افتح جبل المال" فانشق الجبل فى الحال، فأخذ مـصباحاً صغيراً كان معلقاً فى الجبل وأشعله ، فنظر النجار داخل كهف الجبل ، فلم ير إلا الـنقود الحمراء داخل إحد القدور، ففغر فاه متعجباً.

قال القزم "سأعطيك كل ما فى هذا الجـبل ولكن بشرط واحد، عندما تأتى لا تأخذ أكثر من جنـيه واحد فى المرة الواحدة، أعرف أن جـنيهاً واحداً يكفيـك يوماً واحداً ، من اليوم حتى تموت لن ينقص هذا المال ، وإذا بلغت حليمـة سن الزواج جهزها جيداً ، هذه مساعدتى التى أقدمها لك.

انحنى النجـار شكراً له ، ويسأله المغـفرة إذا كان قـد أساء إليـه يوماً مـا ، وتبادلا المغفرة، قال القزم ، كل يوم تأتى وتأخـذ ما تحتاج ، ولا تخش من رؤية الناس لك . إذا جئت بالليل وخرجت أطلق بخور هذه الأوراق، تأكـد أنه لم يخيفك شئ ، لقد رأيت ما فعلته عندما جئت ليس أمراً صـعباً، فليس عليك إلا أن تأتى بهذه الأوراق من فوق الجبل وتطلق بخورها أسفل الجبل، وتقول فَيَوْ افتح جبل المال" فإذا دخلت تشعل هذا المصباح، إذا جئت بالليل. وإذا جئت نهاراً فلا شأن لك بها. وكن مطمئناً فأنت لا تسرق مال الجن وتخش شيئاً، إلا إذا أخذت أكثر من جنيه واحد".

نظر إلى النجار وقال "أبداً من اليوم" انحنى النجار وأخذ يعد الجنيه، وخرجا ، قال القزم "جَرَمَ ، اغلق جبل المال" فانغلق الجبل.

نظر القزم إلى النجـار وقال "حسناً، يجب أن نودع بعـضنا ، سأمضى" واسـتأذنا. ومضى القزم، وعاد النجار إلى منزله يتهلل فرحاً ، وقص على زوجته كل القصة، إلا ما يقوله للجبل لينفتح ففرحوا كثيراً.

وطلع الفجر ، ولما حان المغرب ، ذهب وطلـب جنيهاً، وأخذ يفعل ذلك كل يوم ، وقبل مـضى ثمانية أيام بنى سـوراً لمنزله من الطين بدلاً من الحطب، وأقام اثنى عـشر ممراً قبل دخول المنزل، وأدوارا عليا، وجمع كل أدوات النجارة وأحرقها.

وخلال أسبوع واحد تزوج ثلاث زوجات، وضمهم إلى زوجته فصرن أربعة، وصارت الحياة حلوة والنساء الجميلات يتحركن فى البيت ، ونسى الناس لقب الكرساتى ، يلقبونه رب البيت، وإذا طلب شيئاً هب الجميع لقضاء مطلبه، وحيثما دخل تسمع الخدم يقولون له "أحسن الله إلى رب البيت".

ولم يمض عام إلا وكان فى اصطبله اثنا عشر حصاناً لا تعمل شيئاً، إذا ركب أتبعه الخدم كالأمير ، وتعجب الناس من مصدر هذا الرزق ، فهو لا يبيع ولا يشترى ، ومع ذلك ثراؤه يزداد يوماً بعد يوم، حتى أخذ حاكم المدينة وبعض الناس يحسدونه ويغتابونه ، فلما رأوا أنهم كلما حسدوه زادت نعمته ، أخذوا ينافقونه.

لم يتكبر بذلك من قبل ، ولكن المداحين والطبالين ملأوه غروراً، حتى أخذ يتعالى ويتفاخر ، ولا سيما أنه رأى أن جبل المال لا ينتهى.

وذات يوم كان يجلس على الكرسى، فقال فى نفسه "لقد أضنانى الذهاب كل يوم إلى جبل المال، إنى أكبر من أن أذهب إلى الغابة كل يوم من أجل جنيه واحد، ولم يعد شئ أبغض إلى من الذهاب ، لذلك سأحاول أن أجمع ما أستطيع من مال ، غداً سآخذ جنيهين وأنظر ماذا سيحدث ، ربما القزم لا يتركنى لارتاح ، ولكن ما فائدة أن يقوم رجل مثلى ويدخل الغابة من أجل جنيه واحد ؟"

وعندما حان المغرب ذهب إلى جبل المال وأخذ جنيهين وخرج ، وقال "إنى أعرف أن هذا المال خصصه لى القزم، وطالما أنه ملكى ما الذى يجعله يقيدنى بجنيه واحد؟.

وظل حوالى شهر يأخذ كل يوم جنيهين وذات يوم قال "ما الذى يجعلنى أتعب نفسى من أجل جنيهين فقط؟ إننى لا أسرق ، حسناً - الا أحضره إلى المنزل ليرتاح الجميع وربما نفسى تهدأ ويزداد وزنى ، من الذهاب إلى الغابة ودخولها كل يوم كأننى أحد أفراد الشعب؟"

وأحضر عدة أكياس ملح وجهزها وقال "غداً أذهب بها وأملأها وأعود بها إلى المنزل حتى أجمع المال كله، وارتاح من البرد كل يوم"

وطلع النهار وجاء المغرب ، فجمع الأكياس وقصد الجبل وهو يختال كأنه ذكر البط، لأن العام والنصف الذى مضى زاد وزنه فيها حتى صار كالجوال من كثرة النعم فقد أخذ يصبغ شعره حتى تحول لونه الأبيض إلى الأسود وأخذ لون بشرته يلمع.

عندما وصل الجبل جلس ليستريح ، وأخذ يفكر فى نفسه فيما سيفعل ليجمع المال كله ويحلم بتغيير مبنى البيت ، وأن يطلق نساءه جميعهن، لأنهن مكثن أكثر من عام ونصف فى منزله.

وعندما انتهى من التفكير فيما سيفعله قام ودخل الكهف بأكياسه ، ووضعها على جانب، وأخذ واحداً منها ليملأه بما يستطيع ، ويحمله إلى المنزل ثم يعود ، فما كاد ينحنى ويمد يده ليأخذ المال وقعت القدر على الأرض واختفت واختفى الجبل وجلس النجار يقلب كفيه ويندم حيث لا ينفع الندم، فأخذ أكياسه وعاد إلى المنزل حزيناً.

لم يكن فى حاجة لجمع المال ، لم يمض ثلاثة أشهر حتى نفذ ما فى يده من مال، وباع خيوله ، ولما رأى الخدم سوء حاله انفضوا من حوله ، ولما نفذ ثمن الخيول التى باعها، باع بيته بثمن بخس واشترى الحبوب للطعام.

وقبل مضى عام نفذت هذه الحبوب فهجرته الزوجات الصغيرات، وتركته مع الزوجة العجوز ، وصدق المثل القائل الحصان العجوز يبقى لصاحبه.

لأختصر لك القصة ، اقسم بعمامتك - نصرك الله لم يمض عامان حتى عاد النسر إلى شجرة التمر هندى أو كما يقولون "رجعت ريمة لعادتها القديمة" هل سمعت ما يفعله الطمع ، كل من يحاول أن ينال أكثر مما قسمه الله له لابد أن يخسر.

وقبل أن ينتهى الببغاء من القصة طلع الفجر، فنظر موسى إلى بَرَكَىْ وقال "هل رأيت حاله"؟.

قال بركى "لا عندك حق ، لقد سمعت شيئاً كالسحر ، والله عندما بدأ القصة نسيت ماجئت من اجله ولكن لابأس ، سأعود فى المغرب" وخرج عائداً إلى منزله-وقال للوزير ماحدث ، فغضب الوزير وقال " حتى أنت خدعك هذا الطائر ؟ حسناً ، اخرج غداً بدونه وسترى ماسيحدث لك " .

عندما حان المغرب استعد بركى وعاد وقال لموسى " سأنام اليوم مكانك مرة أخرى ، اليوم لابد أن نخرج ، وجلسا يسمران ، ولما شعر أن الخدم سكتوا ذهبا إلى الببغاء ، وقال موسى " سأخرج ، ولقد وجدت اليوم رفيقا ".

نظر الببغاء من النافذة فلاحظ أن العاصفة تهب فقال لموسى " ويحكما هل جننتا حتى تخرجا الان في هذا المطر ؟ "

قال بركى " لم يبدأ المطر ، سنذهب الان " وأخذ الببغاء يجرهما في الأحاديث حتى نزل المطر ، فجلسا ينتظران انقطاع المطر .

نظر إليهما الببغاء وقال " بدلا من ضياع الوقت عبثا دعانى أقص لكما قصة قصيرة، نظر موسى إلى بركى وقال " لعلك تعرف صدقه ، فليقل لنا قصة قصيرة "

قال بركى " اتركه ، لا نريد، كل يوم تعطله بثرثرتك هذه العابثة ، فلاأنت تقول له حديثا ، ولا تقص له قصص الأنبياء ، . . . .

قال الببغاء " السبب الذى جعلنى لا أقص قصص الأنبياء هو الخوف من الجاهلين ، أنت تعرف أنه يوجد إناس اليوم كثيرون ليسوا علماء نابغين ولكن إذا سمعوا رجلا يتكلم قليلاً عن هؤلاء ينظرون إليه على أنه أذنب ، ولولا ذلك لقصصت عليك الكثير من قصص الأنبياء منذ آدم عليه السلام حتى سيد المرسلين ، فلا توجد قصة واحدة لا أعرفها.

قال موسى " حسنا إذا كان الأمر كذلك قل لنا قصة النبي سليمان ، الذى يقال أنه ملك الإنس والجن والطيور .

قال الببغاء " هذه مشهورة حتى الان لاتعرفها ؟ "

قال موسى " نعم ، سمعت أنه لايوجد في هذه الدنيا كلها من يفوقه ثراء "

قال الببغاء " هذا من قبل ، لانه عندما خصه الله بالنبوة خيره بين كل مايريد ،فقال إنه طالما أعطى ملك عباد الله ، لايريد إلا الحكم ، ليعرف كيف يسوسهم بالعدل ، فاختار ذلك ولم يختر المال ، وقد وهبه الله طول العمر ، والعظمة في الدنيا ، والحكمة التى فاق فيها كل الناس في زمانه ووهبه الله فوق ذلك اشياء لم يسألها " .

قال موسى " لم أجد من يبين لى هذا الأمر من قبل إلا أنت اليوم "

قال الببغاء " حتى القصة التى حكم فيها بين المرأتين ؟ "

قال موسى " والله لم أسمعها ، أى حُكْمٍ حكَم ؟" اقترب الببغاء من موسى ومال على كم ثوبه وقال :

قصة النبي سليمان

ذات يوم كان النبي سليمان عليه السلام جالسا ، فجاءته امرأتان ورفعتا شكواهما إليه، قالت إحداهما " يانبى الله ، انا وهذه المرأة نعيش في منزل واحد فولدت ابناً وبعد أن ولدت بثلاثة أيام ولدت هذه المرأة كذلك ، ولم يكن في هذا المنزل سوانا نحن الاثنين وذات يوم نامت على ابنها دون أن تشعر حتى مات ، فقامت في منتصف الليل وأخذت ابنى ووضعته مكان ابنها ، وحملت ابنها الميت ووضعته مكان ابنى ، كل هذا دون أن أعرف ، فلما استيقظت في الصباح لأرضع ابنى رأيته ميتا فلما نظرت إليه جيداً ، أدركت أنه ليس ابنى ، فقلت لها ذلك ، فقالت إننى كاذبة . الميت هو ابنى ، فاختلفنا ، فلما رأينا الأمر سيفسد مابيننا جئنا إليك لتفصل بيننا ، ياسيدنا "

قالت الاخرى " لا ، إنها تكذب ، ياسيدنا ، لقد ولدت قبلها بيومين ، وفى هذا اليوم وطات ابنها فمات ، فجاءت وغيرته بابنى "

قال الحاضرون " هذه المشكلة لايحلها الا الله يوم القيامة "

عندما سمع النبي سليمان كلام هذه المرأة طلب سيفا ليقسم الطفل نصفين ، وقال "طالما ان الأمر تعذر هكذا ، أمرٌ واحدٌ سيحسم النزاع ، سأقسم هذا الطفل إلى قسمين كل منكما تأخذ نصفا ، ويرتاح الجميع ، وتصبرا حتى يعوض الله عليكما بآخر "

عندما سمعت المرأة الأولى ذلك قالت " بالله لاتقتله ، اعطه لها رضيته لها " أما الأخرى فقالت " لا ، هذا حكم صحيح ، يانبى الله ، يجب أن تقطعه نصفين ، ليرتاح الجميع " .

عندما سمع النبي سليمان ذلك قال " اعطوا هذا الطفل الحى إلى تلك المرأة التى قالت لاتقتله ، إنه ابنها ، التى ولدته "

عندما سمع موسى الببغاء سكت قال " الآن كيف عرف أن هذه المرأة هى أم الطفل ؟ "

قال الببغاء " ويحك ألم تدرك ما يعنى ؟ لو كانت هذه المرأة ولدته تقول اقتله وتقف تتفرج عليـه وهو يقطع إرباً ؟" لم ينتظر أن يجد موسى فرصة لقـول شئ وقال " قبل ان تنتهوا من هذا التفكير ، انتظرا واستمعا كيف أصدر أحد الأمراء حكمه "

لايتعب إلا الشره

في الأيام السالفة كان يعيش أمير يحب المرح ، وذات يوم أصابته الكآبة ، حتى عجز عن النوم ، فنادى خادمه وقال له " اذهب إلى الوزير واخبره انني اريده "ذهب الخادم واخبر الوزير ، وحضرا معا ، ودخلا على الأمير .

فلما دخلا قال الأمير للوزير " اليوم اشعر بالحزن حتى تعذر عليَّ النوم ، أريد أن نخرج نسيرعلى النهر لعل نفسى تهدأ " .

قال الوزير " وهو كذلك ، هذا افضل أطال الله حياتك " فلما قال ذلك ، ضحك الخادم.

قال الملك " ماذا ؟ اتضحك عليَّ أم على الوزير .؟ "

قال " أطال الله حياتك ، مَنْ أنا حتى أضحك عليك ؟ شئ حدث أمس فخطر ببالى فاضحكنى "

قال الأمير" أى شئ ؟ "

قال الخادم " أطال الله حياتك ، أمس بينما كنت أتجول على شاطئ النهر ، وجدت رجلا ، أحاط به الناس وهو يضحكهم ".

قال الأمير " اذهب واستدعه ، ليأتى ويقول لى ما يضحكنى ، لَعلَّ نفسى تهدأ" ذهب الخادم إلى الرجل وقال له " الأمير يطلبك "

قال الرجل " وهو كذلك ولكن لماذا يستدعينى الأمير ؟ "

قال الخادم " الأمير حزين اليوم ، ويريد أن تأتى لتضحكه ، حتى تهدأ نفسه "

قال الرجل " هيا بنا "

قال الخادم " حسناً ، ولكن على شرط ، مايعطيك الأمير يقسم إلى ثلاثة أجزاء ، تأخذ جزءاً وأنا جزءين ، إذا رضيت بذلك سنذهب ، إذا لم ترض ، كن مكانك وأعود وأخبره أننى لم أجدك ".

فقال " وهو كذلك رضيت ، هيا نذهب " وقاده الخادم إلى الأمير .

قال الأمير للرجل " أريد أن تضحكنى ، فإذا ضحكت سأقدم لك مكافأة وإن لم أضحك جلدتك" .

وأخذ الرجل يقوم بأمور مضحكة وقصص شتى ، حتى تعب ولكن الأمير لم يضحك

قال الأمير " هل بقى لديك شئ آخر "

قال الرجل " لا "

قال الأمير " ها أنا لم أضحك أرقد حتى أجلدك "

تقدم الرجل ورقد وأخذ الأمير يضربه بالسوط بقوة ، فأخذ يصرخ صراخاً شديداً ويقول "انتظر أطال الله حياتك ، لقد أخذت نصيبى ، والباقى نصيب خادمك ، لأننا اشترطنا أن كل ما أناله آخذ جزءاً ويأخذ جزءين"

استدعى الأميرُ الخادم وقال "أعطيت هذا الرجل نصيبه ، وبقى نصيبك تقدم وخذه"

تقدم الخادم يظن أنه سينال مالاً ، فضربه الأمير بأقصى قوته بالسوط حتى صرخ الخادم من الألم ، فقال الأمير " لقد أخذت جزءاً واحداً وبقى جزء آخر "

قال الخادم " أطال الله حياتك هذا الجزء يكفينى وتركت لك الجزء الثانى " فلما سمع الأمير ذلك ضحك وزالت عنه الكآبة ، وجاء بمكافأة وقدمها لهما وصرفهما .

وقبل أن ينهى الببغاء هذه القصة طلع الفجر ، فعاد بركى وهو يعض نواجزه ، يبحث عن حجةَ يقولها لسيده .

فلما وصل نهره الوزير قائلاً " أشعر أنك لم تنه عملا ، ما السبب ؟ "

قال بركى " المطر"

قال الوزير " المطر ؟ أى مطر ؟ المطر الذى سقط توقف قبل آذان الفجر الأول "

قال بركى " ربما هنا عند منزلك توقف مبكراً ، ولكن عند قصر الأمير ظلت تمطر حتى طلوع الشمس .

غضب الوزير وامتلأ غيظاً ، وهجم عليه وكاد يفتك به ، وقال " قل لي الحقيقة وإلا قتلتك الان ، رجل فاسد ، منافق ، لابد أنك أنت الذى كشفت السر الذى كان بينى وبين الأمير سينارى ، لقد كنت أشك فى ذلك "

عندما سمع بركى ذلك أخذ جسمه يرتعد ويقول " نصرك الله لقد تبت ، سأقول لك الحقيقة الآن ، إن كلام البيغاء كأنه السحر ، إذ بدأ يقص قصة استولى على عقل الانسان ، فلا يعرف ماذا يفعل ، وطالما أن هذا البغاء على قيد الحياة ، لن تستطيع أن تخرج موسى من القصر حتى لو ذهبت أنت بنفسك " .

قال الوزير " اغلق فمك هذا الكذاب " واخذ السوط وضربه به حتى جرى . وعاد الوزير وجلس وحده غاضبا ، ويقول " أنا وزير كل هذه البلاد بطولها وعرضها ومخلوق صغير مثل هذا يمنعني من أن أصير أميراً ، طائر صغير يقول سيمنعني ، دعني له "

ثم بعث إلى موسى وقال أنه يريد أن يأتى البغاء اليوم ليسليه بالقصص ، أرسل حبلاً وقال إذا وافق موسى يربطون البيغاء ، ويأتون به ، فلما قالوا لموسى لم يدرك ما ينوى أن يفعله فقال إنه موافق ، وسيسأل البيغاء ليعرف رأيه وذهب ليسأل البيغاء ، فقال البيغاء "طالما أنك قلت أن نذهب ، يجب أن نذهب " أحضر الخادمُ المكلف بإحضار البيغاء حبلاً ليربط البيغاء به فقال البيغاء " لماذا الحبل لم أسرق متاع أحد ، ألم يقل أنه يريدنى لأسليه سر وسأقف فوق رأسك " وذهبوا إلى منزل الوزير فوجدوه عند باب منزله فهبط البيغاء ووقف قريباً منه فصرف الوزير الناس ، وفى نيته أن يبحث عن عصا غليظة ويخفيها ليقتل بها البيغاء ، ويرتاح منه فلما رأى البيغاء العصا مختفية فى ثوب الوزير تراجع إلى الخلف .

فقال الوزير " اقترب منى "

قال البيغاء " نصرك الله ، من أنا حتى أقترب منك ؟ "

قال الوزير " أريد أن تقص لى قصة ، أية قصة تريد ، فإذا وجدتها جميلة أعطيتك مكافأة "

قال البيغاء " حسنا عليك أن تجلس لأبدأ " جلس الوزير وبدأ البيغاء .

سرعة الغضب تجلب الندم

في يوم من الأيام كان الأميـر يتنزه ، فوجد جروا صغيـرا يرقد على الأرض ، وقد ملأ النمل الصغير فمه ، وأخذ يتنفس بصـعوبة ، كاد يموت من شدة الجوع ، وكان صغير السن حتى أنه لا يستطيع أن يطعم نفسه ، متى تم فطامه الله وحده أعلم .

عندما رآه الأمير أخـذته الشفقة به ، فجذب لجام الحـصان ووقف ، ونظر إلى اتباعه وقال لهم " انفضوا عن هذا الجرو النمل واحـملوه إلى منزليَ ، وقدموه إلى الطبيب بباني ليرعاه جيدا ، ويقدم له الطعام حتى يقوم إذا كان له بقية من حياة .

وفى الحال قبل أن ينتهى الأمـير من كلامه نزل الخدم وأمسكوا الكلب ومسـحوا فمه بأكمام ثيابهم ، ووضعه أحدهم على مـقدمة سرج الحصان ، وذهب به إلى المنزل وحمله إلى بباني ، وأخـبره بما قال الأمـير ، وعاد بحـصانه مسـرعاً حتى لحق بركب الأمـير ، وعندما غربت الشمس عادوا .

بعد حوالي ثلاثة أيام أفاق الكـلب الصغير ، حتى أخذ يسيـر ، وعندما أتم شهرين تغير شكله كأن لم يـكن به مرض ، وزاد وزنه وصار حيثما ذهب الأمـير يسير وراءه ولما كبر، كان كلما ذهب الأمير لينام جاء ورقد أمام باب حجرته ، ولا يستطيع أحد أن يقترب من الحجرة حـتى يطلع النهار ، لذلك كان الأمير يحـبه حباً جماً . فـلا يجرؤ أحد على ضربه أو زجره مخافة من غضب الأمير .

وذات يوم خرج الأمير صباح يوم العيد للصـلاة ، فتبعه هذا الكلب ، فتلفت الأمير فرآه ، فزجره ، فعاد إلى البيت ورقـد مكانه ، لأنه كان يعرف أن هذه هي عادة الأمير إذا لم يرد اصطحابه .

وبينما كـان راقداً أمام حـجرة الأمير ، وكـان على وشك العودة من صلاة العـيد ، وبعد أن انتهى الخـدم من شواء اللحم ، وحملت إحدى الخادمات إناءً به اللحـم ووضعته في الحجرة ، ولكـن بدلا من أن تغطى الإناء تركته مكشوفـا ، لانها تدرك أن هذا الكلب لن يقترب منه حتى لو تعفن .

وبينما كان الكلب راقدا إذ بثعبان كبير يزحف على حائط الحجرة ، ونزل من فوق الدعائم التي تحمل السقف ، ومد فمه في الطعام وأخذ يأكل منه ، خرج الكلب وأخذ ينبح لعل أحداً من الخدم يأتى ولكن لم يهتم به أحد ، ولما شعر النساء أنه ضايقهم نباحه تناولوا حجراً وأخذوا يقذفونه ، لأنهم يعرفون أن الأمير غائبٌ عن المنزل ، ولما أدرك الكلب أنهم لم يفهموا المقصود من نباحه تركهم ودخل الحجرة ورقد ، ولما أحس الثعبان بالشبع تسلل وعاد من حيث أتى .

وبعد قليل عاد الأمير فهنأه أولاده بسلامة الوصول ، وبعد أن انصرفوا توجه إلى مكان الطعام ليأكل ، وتبعه الكلب وهو يهز ذيله وكأنه يقول له " لا تأكل ، الثعبان نفث لك السم فيه " ولكن الله لم يهبه القدرة على الكلام .

غسل الأمير يده ووضعها في الطعام ، وقطع لقمة ، وأخذ الكلب يحوم حوله فظن الأمير أنه يريد طعاما ، فرمى له شيئاً فرفض أكله ، وظل ينبح على الأمير .

فتح الأمير فمه وسيضع فيه لقمة ، وأخذ عصاً ليطرد بها الكلب فقفز وضرب يد الأمير وأوقع اللقمة على الأرض ، فضم الأمير أصابعه وكاد يضرب الكلب ، ولكن الكلب أخذ يعوى ولم يهتم بما يفعل الأمير ، ومد فمه وأكل اللقمة التى سقطت من يد الأمير وهجم على باقي الطعام وأكله كله وظل الأمير يضربه والكلب ينبح حتى تعب فتركه ، ووقف واجماً ليرى قدرة الله .

ما كاد الكلب يلتهم الطعام حتى انتحى جانبا ورقد وفى الحال تمدد ومات .

هذا المنظر الذى رآه الأمير أثار شعوره ، وقال " لابد أن في هذا الطعام شئ ، ربما الخادمة جاءت ووضعت لى فيه سما لأكله فأموت .

خرج الأمير ونادى الجارية ، سألها فاقسمت بمن سيقبض روحها بأنها لم تضع شيئا في الطعام ، فسألها ربما تركته أمام إحدى ضراتها ، فقالت أنها عندما انتهت صبته في هذا الاناء وأحضرته .

قال الأمير " عندما خرجت هل دخل أحد بعدك ؟ "

قالت الجارية " لم يدخل أحد بعدى ، ولا أتهم أحداً ، إنى وحدى الذى جئت وفتحت الإناء ليبرد عندما علمت أنك قادم "

سكت الأمير وقال " لابد أنك تكذبين ، مَنْ مِنَ الناس لم يعرف مكركن ؟ لابد أن تقولى لى ماذا وضعت في الطعام وإلاَّ قتلتك "

ركعت الجارية وأخذت تصيح وتقسم قائلة أنها لم تضع شيئا في الطعام ، فنظر إليها وقال " أنت منافقة " وبعث من يستدعى الخدم ليقتلوها ، وفى الحال دخلوا وامسكوها وهى تبكى وخرجوا بها .

جلس الأمير واجماً في حجرته ، يتعجب ماذا فعل بهذه الجارية حتى تفكر في قتله ، ولكنه عجز عن معرفة السبب ، وبعد قليل شم رائحة كريهه في الحجرة ، فقام ونظر حيث يجلس فلم ير شيئاً ، فقام ونفض ثيابه لعل حشرة ذات رائحة كريهة تختفى فيها ، فلم يجد شيئا. ثم سمع صوتا كحفيف الثعبان يصدر من حوامل السقف ، فرفع رأسه فرأى ثعباناً كبيرا في أخشاب السقف ، فلما رآه أدرك أن هذا الثعبان نفث في الطعام عندما تُرِكَ مكشوفاً ، لذلك قام مسرعا وذهب حيث يقتل الخدم الجارية ، فوجدهم قد قيدوها وألقوها على الأرض وهموا بذبحها ، وهى تبكى وتدعو فقال " انتظروا ، انتظروا " ، انتظر الخدم وهم يرتعدون يظنون أن الأمير استبطأ عملهم . فقال الأمير " فكوا وثاقها " ، ونادى الخدم وذهب بهم إلى منزله، وأراهم الثعبان ، وقال لهم هذا الذى جعلنى أهم بقتل الجارية ، وقام الخدم بقتله في الحال فوقع على الأرض ، فأخرجوه ورموه في الخلاء .

جمع الأمير كل أولاده وقص لهم هذا الأمر وحذرهم من ترك الطعام مكشوفاً مرة أخرى ، وعفا عن الجارية أمامهم وعاد الجميع إلى شانه .

وأمر بإخراج الكلب وقص لكل الحاشية ورؤساء القصر ماحدث وأمر أن تبنى حجرة صغيرة عند باب قصره لتكون قبراً يدفن داخله الكلب ، وحذر رجاله من أمرين ، الأول: ألا تتسرعوا بالغضب ، كل أمر يقع قبل أن تحكموا فيه يجب أن تتمهلوا وتبحثوا الأمر ، لأن الخدم عندما أسرعوا لتنفيذ حكم الأمير الذى أصدره بقتل الجارية ، لو نفذه لندم فيما بعد .

الثانى: أن يحسنوا ويرحموا الحيوانات والطيور ، لأنهم لايملكون الحيلة والتفكير مثلنا، ولايعرفون أين تغيب الشمس ، كل إنسان ترونه في الدنيا له يوم ، لذلك قالوا افعل الخير لكل إنسان وجزاؤك عند الله .

عندما سـمع الوزير ذلك قال في نفسـه " لا ، ماذا يعنى بهذه القـصة ؟ هذا الطائر الصغـير مـشكلة، يظننى طفلاً ويعظـنى " ثم ابتلع غيظه وابتـسم ، وقال " هذه القـصة عظيمـة القيمـة"، دعنى أقدم لك هدية " ثم سـحب خاتماً ذهبيـاً من يده اليسرى وقـصد الببغاء ليقدمه له ، بيده اليمنى التى في القميص ، أخذ الببغاء يقفز ويتراجع إلى الوراء ، والوزير يتبعه ويقول "انتظر خذه " .

عندما لاحظ الوزير أن الببغاء أدرك قصده ، انزلق مرة واحدة وضربه، فرجع الببغاء إلى الخلف فتـزحلق الوزير وسقط ، وانجرح واصيـبت سنته وبرزت ، وقام أحمـر الوجه مخضبا بالدماء وفى الحال تورم فمه .

فلما رأى الببغاء ذلك صعد فـوق شجرة عالية أمام باب المنزل ، ونظر للوزير خلسة وأخذ يضحك ، فلما رأى الوزير قـد فتح عينيه قال " كيف حـالك ياعبدالله ، الاتعرف ياوزير ، أننى لم أشعر بالألم ،ألم تسمع قصة الطائر وصاحب الدراجة ، عندما أضمرت هذه النية لى ، هل تريد أن اقصها لك ؟ "

لم يقل الوزير شيـئاً ، ولكنه كان يعـانى مما أصابه ، فأخفى البـبغاء وجهـه وأخرج لسـانه للوزير ، وقال " الاتريد أن أقص لك ، إن مـهمـتى أن أقول لوجـه الله ، لذلك سأبدأ "

إن يُحتقر الشكل تر الانتقام

ذات يوم كان عصفور يرعى خلف المدينة ، فوقع في فخ صياد ، وحاول أن يتخلص منه ولكنه عجز ، وبينما هو يحاول الخلاص مر عليه كلب عجوز ، فلما رآه العصفور قال له " بالله عليك أيها الكلب ، باسم الصداقة ارحمنى ونجنى ، يساعدك الله "

وقف الكلب . وكاد يرفض ، ويرى أنه طائر صغير ، هل يأكله ، حتى لو أكله لن يشبعه لصغر حجمه ، واقترب منه ، ومد فمه وعض الشرك وقطعه وخلص العصفور ، فلما رأى العصفور أنه خلصه ، شكره وسأله عن وجهته ، فقال الكلب " إنه ذاهب يبحث عن طعام" .

قبل أن يقع الطائر في الشرك ، مر على عنزة ماتت ، فحملها أصحابها وألقوها أسفل شجرة . لذلك طلب من الكلب أن يأتى ليدله عليها قبل أن يدخل الليل وتأكلها الذئاب .

وطار العصفور واتبع الكلب ظله حتى وصلا إلى المكان . وقف الكلب وغرس أسنانه في العنزة وأخذ يأكل ، ويأكل حتى شبع . فقال له العصفور " طالما أنك شبعت هيا بنا لأريك عشى ، وإذا شعرت في أى وقت للحاجة إلى الطعام تأتينى ، فأطير وأحوم حول المدينة ، فإذا رأيت شيئاً تستطيع أن تأكله آتيك وأدلك عليهُ" .

قال " وهو كذلك ، الحمد لله "

عندما بدأ المسير . وصلا إلى شارع. فقال " والله هذا اللحم الذى أكلته ملأ بطنى ألا تنتظر قليلا حتى ارقد هنا لأرتاح "

قال العصفور " صدقت ، ارقد واسترح ، وإذا كنت تريد أن تنام فلا بأس وأنا سأصعد فوق الشجرة وانتظر ، فإذا رأيت الأطفال سأخبرك لتستيقظ ، حتى لايؤذوك. "

قال الكلب " الحمد لله " ولم يكد يرقد حتى غلبه النوم ، وبعد قليل جاء رجل بعربة يجرها ثوران ، وتحمل أكياس الدخن ، فلما رآه العصفور من بعيد قال له " أنت ياصاحب العربة انحرف عن الطريق ، حتى لاتطأ أخى ، الذى ينام "

نهره صاحب العربة بغضب وقال " من يكون أخوك الذى توقفنى من أجله ؟ ! "

فأشار إلى الكلب النائم وقال " هاهو " .

نظر صاحب العربة إلى الكلب ومص شفتيه وقال " أمن أجل كلب توقفنى ؟ ، ماذا يعنى الكلب ؟ لعنة الله عليك . " وساق الثيران فوطئت الكلب . فمات وبرزت أمعاؤه دون أن يتحرك .

طار العصفور وتبعه وهو يبكى ويقول له ." ويحك وياويلى قد قتلت أخى دون أن يفعل لك شيئا ، لقد قلت لك انتبه ، ولم تهتم لأنك تحتقرنى. كما جعلتنى اذرف الدمع عليه اليوم ، سأجعل دمعك يسيل غداً، ودعنا من الدموع ، فكما جعلت أخى يفارق هذه الدنيا اليوم . ستفارقها إن شاء الله "

ضحك صاحب العربة وقال " حتى أنت أيها العصفور الصغير ، تقول أنك تستطيع أن تجعلنى أبكى ؟ أنظر جيداً تعرف من أكون . "

قال العصفور "وهو كذلك إن تحتقر الشكل تر الانتقام من المحتقر"

وكان صاحب العربة يجلس في المقدمة ، خلفه أكياس الدخن ، فلما رأى العصفور أنه ساق العربة طار وكأنه سيعود إلى عشه ، ثم عاد وهبط على أكياس الدخن دون أن يشعر الرجل وأخذ ينقرها ويوسع ثقوبها ، حتى أخذ الدخن يتسرب منها دون أن يشعر الرجل وإذا شعر العصفور أنه سيلتفت اختبأ بين الأكياس ، وبعد قليل تسرب الدخن تماماً ، فشعر الرجل أن العربة خفت وأخذت تحدث صوتاً كأنها فارغة فأخذ يقلب كفيه .

طار العصفور وقال " هذا قليل . إن تحتقر الشكل تر الانتقام من المحتقر ؟ "

وطار وهبط عند عين أحد الثورين ، وأخذ ينقرها ، فأخذ الثور يقفز، رآه صاحب العربة فأخذ الفأس ليضربه بها فطار فهوت على رأس الثور ، فسقط الثور فى الحال ممداً، فقال الرجل " ياخسارة "

فقال العصفور "انتظر . لقد قلت لك إن تحتقر الشكل تر الانتقام ؟"

عض صاحب العربة على الشفاه وربط العربة في الثور الآخر وحده ، وركب وساقه وقصد المنزل ، فعاد العصفور ووقف على عين الثور وأخذ ينقرها ، أخذ الثور يرفس ، فنظر إليه صاحب العربة وقال " هذا الطائر المفسود عاد مرة أخرى " وأخذ الفأس .

ووقف ليحدد مكانه بدقة ويضربه، فلما ضربه طار العصفور فأصابت رأس الثور فسقط يرفص فنزل وهو عاجز عما يفعل ، فحمل فأسه على كتفه وقصد المنزل وهو يعض على النواجذ .

قال العصفور " هيا نذهب إلى المنزل لقد قلت لك . إن تحتقر الشكل تر الانتقام "

عندما رأته زوجته يدخل وهو يلعن ويسب قالت له " خيراً ، أمر خطير ، لماذا هذا الوجه العابس ؟ "

قال " أين هو الخير ؟ عصفور صغير جعلني اقتل الثورين ، لأنني وطأت كلباً في الطريق فقتلته ،.فالتفت فرأى العصفور يقف فوق القدر فقال هل رأيته إنه يتبعني المفسود " قالت زوجته " أنت رجل طائش ؟ كيف طائر صغير مثل هذا لايكفيني لقمة يُحيرك هكذا ؟! " وسحبت الفأس وهي غاضبة لتضرب بها الطائر فطار العصفور فأصابت القدر فانكسرت . طار العصفور ودخل حجرة المرأة ووقف وقال " إن تحتقر الشكل تر الانتقام " .

فلما التفتت المرأة ورأته أخذت الفأس مرة اخرى لتضربه بها فأصابت الأواني كلها فانكسرت ، لا أطيل عليك . ظلت تفعل ذلك حتى كسرت كل الأواني .

نظر إليهما العصفور وقال " إن تحتقر الشكل تر الانتقام "

وهنا خطر على بال الرجل حيلة ، اقترب من زوجته وهمس فى أذنها وقال " اغلقي النافذة بسرعة وأنا اغلق الباب ، ونحاصره ونمسكه ونقتله كما نريد "

واندفعا مرة واحدة وأغلقا الباب والنافذة ، وعادا واستعدا للإمساك به حتى أمسكوه بيدهما وفتحا النافذة والباب ، واختلفا في طريقة قتله ، الرجل يقول " نشعل النار ونلقيه فيها " والزوجة تقول "لا ، لانفعل ذلك، ننتف ريشه الآن ، ونطحن شطة ونعجنها ونغمسه فيها ، وإذا لم نفعل ذلك ، نسمل عينيه بالسكين اليوم وغدا نقطع رجلا واحدة ، وبعد غد نقطع جناحاً واحداً ، ونستمر هكذا نقطعه عضواً عضواً حتى يموت هذا المفسود"

عندما سمع العصفور ذلك قال "إن الله ليس ملكا لكما ، إن تحتقر الشكل تر الانتقام "

فلما سمعا ذلك غضبا ، وسحبت الزوجة سيف زوجها وقالت "دعني اقتله " رأى

الزوج أن الزوجة تأخرت فى قـتله ، فانحنى ليطأ عليه بقدمـه وكانت عين الزوجة لاترى من شدة الغضب ، فصوبت السيف على العصفـور بالضبط عندما كا زوجها منحنيا ليطأه بقدمه ، فقطعت رأس زوجها فسقط مـيتا ، فطار العصفور وخرج من المنزل . وهو يقول " الحمد لله . القذى الذى تستهين به هو الذى يؤذى عينيك .

رؤية هذا الحـدث جعل الزوجـة تجن فأخـذت الفأس وذهبت إلى الغـابة، ترمى كل عصفور تراه وتقول له "إن تحتقر الشكل تر الانتقام "

ولما انتهى الببغاء من هذه القصة طار وعاد إلى قصره .

فلما رآه موسى سأله عن القصة التى قصهـا للوزير فقال " قلت له قصة عمر معلقم والشيخ عثمان بن فوديو والكرامة التى أظهرها "

قال موسى " آيـة كرامة أظهرها الشـيخ المجدد لعمر مـعلقم التى لم اتذكرها مع ان قصص الشيخ ومعجزاته أقولها للناس ، ولأنتظر أن يقولها الناس لى "

قال البـبغاء " أطال الله حـياتك ، أنت تعرف صـعوبة هذا الأمر بالنسـبة له ، كل إنسان إذا عرف شيئا غابت عنه أشياء "

قال موسى " وهو كذلك ،، قل لى هذه القصة لأسمعها لعلى، أتذكرها ؟ "

قصة الشيخ المجددابن فوديو وعمر علقم

في يوم من الأيام عندمـا كان الشـيخ عثـمان بن فـوديو في سيـفاوا Sifawa اجتـمع أصحابه يتحدثون ، فنظر أحد أصحـابه وكان يسمى معلقم إلى الناس وقال " إنى أريد ثمار الكولا ، هل يوجد لدى احدكم شقا منها يعطين لى لأنصفه ؟ . فرد الناس جميعا بالنفى .

فنظر إليهم الشيخ وكأنه لم يسـمع شيئا وبعد قليل تغير مـجرى الحديث فنظر الشيخ إلى عمر معلقم وقال " قم نشم الهواء خارج المدينة "

قال عمر معلقم " وهو كذلك " قام وخرج ، الشيخ فى المقدمة والآخر يتبعه، وفى هذا الوقت حان العـصر ، وبعد أن خرجـا من بوابة المدينة ، وسارا قليلاً وصَـلا إلى نهر صغير ، فعبراه حتى وصلا إلى إحدى الغـابات ، نظر عمر معلقم فلم ير شيئا إلا أشجار ثمار الكولا فى كل مكان .

نظر إليه الشيخ وقال " قلت إنك تشتهى ثمار الكولا ، حسناً هاهى، خذ منها بقدر ما تستطيع . "

أخذ عمر معلقم يجمع ثمـار الكولا وهو مندهش ، هل توجد غابة بها ثمار الكولا قريبة من سيفاوا . ولم يعرف ؟ ، ملأ جيـبه وقال للشيخ بن فوديو " هذا يكفينى ، غفر الله لك ياسيدى " وفى الحال عبرا هذا النهر وعادا إلى المنزل .

وبعد أسابيع قليلة نفذت ثمار الكولا التى جمعهـا عمر معلقم مع الشيخ عثمان فلما أدرك أن غابة الكولا ليست بعيدة عنه ، قام وحده واتبع الطريق الذى سلكه الشيخ وأسرع الخطى حتى يذهب ويجنى الثمار ويعود قبل أن تشـتد حرارة الشمس فى الضحى ، وسار وسار حـتى توسطت الشمس السمـاء ولم ير مايدل على أنه اقتـرب من مقصـده ، حتى يئس، فالتفت وعاد ، ولم يصل إلا بعد العصـر ، ولم يتوقف إلا فى منزل الشيخ عثمان فتبادلا التحية، ونظر إلى الشيخ وقال " اليوم هلكت من السير " .

قال الشيخ " ماذا أصابك حتى تشكو مما أصابك من نصب ؟"

قال عمـر معلقم " قمت في الصـباح لأذهب إلى غابة ثمار الكولا التى ذهبنـا إليها معا عندما خـرجنا نشم الهواء فى الأيام الماضية لأتزود منها ببعض الثمـار ، فسرت حتى تعبت ، ولم أصل إلى هذا النهـر الصغيـر ، عندما رأيت أن الشمس توسطت السـماء ، فأشفقت على نفسى وعدت ، وجئت إلى هنا ولم أذهب إلى المنزل ولو لأشرب الماء . "

نظر إليه الشيخ عـثمان وابتسم وقال " لو تعلم أين ذهبنا عندما خـرجنا هذا اليوم ما فكرت أن تذهب بهذا الطريق ، لقد أخذتك إلى بلاد اليوروبا لتقطف ثمار الكولا . "

اندهش عمر معلقم . وقال الشيخ " هل تعرف هذا النهر الصغير الذى عبرناه معا ، قبل أن ندخل غابة الكولا ؟

قال عمر معلقم " عرفت "

قال الشيخ " هذا نهر كوارا بعد أن جف من الأمطار "

لم يجد عمر معلقم شيئا يقوله إلا أن يهز رأسه ويقول " الله يهبنا بركتكم "

عندما سمع موسى ذلك قال " اعتقـد أن هذا أول ما سمعت من كرامات الشيخ بن فوديو ، إذا كنت ستقص علىّ قصصا أخـرى ، فأنا موافق ، أما قـصص الشيخ ، فـأنا الذى أقصـها لأن كل قصص الجـهاد والمدن التى أسسـها والتى رفع فيـها أعلامـه ، كلها أعرفها جيدا . "

أصلح الببغـاء من جناحيه وقال " وأنا كـذلك - نصرك الله . رغـم أننى طائر . أنا الذى أقص أخبار فوديو ولايقصها لى أحد . "

عندما رأى مـوسى أن الببـغاء أخذ يمدح نفـسه قال " انتظـر ، لماذا التفاخـر ، مدح النفس جـهل ، أنا لا أمـلأ أذنك بالثـرثرة ، ولاتملأ أذنى بهـا ، سـأقص عليك الآن من كرامات الشيخ عـثمان بن فوديو ما لم تعرف ، لأقنعك ، ولن استدرجـك لاخبار الجهاد ولا أصله ولا تقل أننى تعمقت مما أعجزك ، ابدأ وأعـد ، وسأقول لك ثلاثاً لا تعرفها ، ثم ادخل لأصلى الظهر لانى أسمع الأذان "

قال الببغاء " وهو كذلك ، ألا تبدأ لنسمع ؟ إذا كان ذلك حدث فعلاً فسوف أرى "

قـال موسى " أولا ، أنت لاتعـرف هذه ، ذات يوم عندمـا كـان الشيخ بن فـوديو

صبياً، كانوا يـعيشون فى طاجل مع والده فوديو ، فدخل فوديو ليتـوضأ ليصلى الظهر ، ونادى الشيخ وقال " تعال لأرسلك إلى مرنونا . . .

هبَّ البيغاء قائماً وقال " عندمـا ذهب الشيخ وأحضر الكتاب وعاد قبل أن يتم الأب وضوءه وتوضأ الشيخ وتبعه وصلى خلفه ، فى حين أن ما بين طاجل ومرنونا مسيرة مابين طلوع الشمس وضحاها بالنسبة للتجار ؟ "

قال موسى " مـاهذا الذى تثيره لأنك تعرف أننى أبداً ؟ إذا عرفت شيـئاً هل تعرف الشئ الآخر ؟ "

قال الببغاء " وهو كذلك ، قل لنسمع ، نصرك الله "

قال موسى " ذات يوم بعث الأمير يونو نقاتا أمير جـوبير من يستدعى الشيخ عثمان احتراماً له "

فأخذ الببغاء الحديث وقال " عندما حفر حفرة عميقة ووضع فيها السيوف والسكاكين وأمر أن تغطى بالحصير حتى إذا جاء الشيخ طلب منه أن يجلس عليها فيسقط في الحفرة ؟ وجاء الشيخ وجلس ولم يسقط . فرفع أمير جوبيـر بندقية كانت لديه وصوبها نحو الشيخ ليقتله بها فانفجرت . فاحترق الأمير تماماً . إن لم تكن هذه الكرامة فما هى التى ستقولها لى لنسمعها ، نصرك الله ".

قال موسى " لا ، هذا الطائر الصغير ماذا أفعل معه ؟ . "

ونظر إلى الببغاء وقال " هل تعرف قصة الشيخ وكبير التجار ؟ "

قال الببغاء " الشيخ وكـبير التجار ، أية قصة للشيخ وكبيـر التجار التى لم أعرفها ؟ وماذا حدث معه ؟ نصرك الله ، قل لنسمع "

قال موسى :

قصة الشيخ ابن فوديو وكبير التجار

في يوم من الأيام كان أحد التـجار الكبار عائداً من جورجا ، فلمـا وصل نهر كوارا ركب مركبـا وبينما هم سائرون بهذه المركب ، ثارت الأمواج وأخـذت المركب تتمايل ثم انقلبت ، فاستغاث التاجر قائلاً " ياشيخ عثمان ساعدنا ، ياشيخ عثمان انقذنا ، والله إذا نجـوت من هذا الهلاك ، عندمـا أذهب إلى سكوتو اقـدم لك صدقـة عشـرة أكيـاس من الكولا " وما كاد ينتهى من كلامه حتى رأى شخصا يمد يده وينقذه مع متاعه، فنظر ليعرف من المنقذ فلم ير أحدا .

في هذا الوقت كـان الشيخ المجـدد ابن فوديو في مـدينة سكوتو يلقى الدرس ويعظ الناس، فرآه الناس يسكت ، وبعد قليل شـاهدوه يعصر أكمام ثيابه والماء يتـصبب منها ، فطلب منه الحاضرون تفسيراً لما شاهدوه .

قال الشيخ " أحـد عباد الله طلب مساعـدتناعندما جنحت مركبـهم في نهر كوارا ، وأراد الله أن أذهب وأساعده "

تعجب الناس وقـالوا " اللهم اجعلنا في حماية نبـيِّه ، ويهبنا بركتكـم يامجدد " ، وبعد شهرين تقريبا ، إذ بكبير التجار يأتى إلى سكوتو ويطلب ثلاثة أكياس من الكولا ، ويذهب بها إلى الشيخ ويقدمها إليه وفـاء بنذره ، ويطلب البركة، وبعد أن حياه وقصّ له كل ماحدث للمركب عندما كانوا وسط نهر كـوارا ، وكيف طلب مساعدته ، وكيف جاء وساعده ، وجـاء شخص ليخـرجه ولكن عندما نظر لم يجد احـدا ، ســأله الشيخ بن فوديو في أى يوم وقع هذا الحادث الخطر وفى أى شهر .

ذكر كبير التجار اليوم والشهر ، فـحسب وذكر اليوم والشهر الذى وقع فيه هذا الأمر وعندما حـسب تلاميذ الـشيخ فوجـدوه مطابقا لليوم الذى سـكت فيه الشـيخ المجدد عن الوعظ وأخذ يعصر كم قميصه ، ممازاد الأمر غرابة .

أخرج كبير التجار ثمار الكولا وقدمها للشيخ وقال " هاك ماوعدت أن أقدمه إن شاء الله ونجوت "

شكره الشيخ بن فوديو وأخـذه ووضعه وابتسم ونظر إلى كبيـر التجار وقال " ولكن لم تف بالوعد تماماً لقد نذرت عشرة أكياس ، وها أنت قد أحضرت ثلاثة " .

عجز الرجل عن الرد من شدة الخـجل وعاد إلى المنزل وملأ سبعة أكـياس وأحضرها للشيخ وانحنى شاكرا ، فأخذها الشيخ ووزعها على الناس صدقة .

نظر موسى إلى البيغاء وقال " سمعت قصة واحدة من كرامات الشيخ المجدد التى لم تسمـعهـا من قبل ، الآن قص واحـدة ، إذا كانت من أخـبار الشـيخ ، إذا بدأت الرواية سأستطيع أن أقص لك عشرة لاتجد فيها واحدة تعرفها . "

ذهب البيغاء هنا وهناك ووضع رأسه بين جناحيـه وقال " الله اكبر ، هذه القصة كل طفل يعرفـها ، ومع ذلك فقـد أخطأت فيهـا خطأ كبيـراً ، وهو ما أوقعنى في حـيرة ، وشعرت كاننى لم أسمعها "

قال موسى " وهو كذلك ، هل تبدأ ، لايستطيع أحـد أن يحسن شيئاً سواك ، هذه القصة سمعتها كثيرا ولكن لم أسمع أبداً موضع الخلاف "

قال البـبغاء " اسمع نصـرك الله ، كـل ماقلت لك من أخبار الشـيخ ابن فوديو ، عليك أن توافق عليـه ، كبيـر التجـار الذى قلت عنه ليس كذلك هو تاجـر ، وهو الخطأ الذى وقعت فيه .

قال موسى "والسلام" ، ألم تسمع ؟ ما الفرق بين الضرب والملاكمة ؟ "

ضحك البيغاء وقال " نصرك الله تبادل الشتائم "

ضحك موسى ومص شفتيه وقال " ألم تتعب من هذه الثرثرة ، الإنسان يثور عليك ويغضب منك ، ثم تضحكه ، اللهم احينا إلى الليل ، لتقص لى القصص التى لم يعرفها أحد إذا اتبعتك الآن حتى يمضى الوقت فلن أصلى "

هز البيغاء جناحـيه وقال " اللهم احينا ، ولكن استفتـيك ، بالله ياشيخنا ، لا يقال إن الإنسان جميل إلا إذا كانت أدوات الزينة كثيرة ؟ "

قال موسى " إنى أعـرفك ، بعض الأسئلة تلقيها للسـخرية ، ألا ترى بنفسك ؟ " حتى الطائر يعرف أنه لايعظم الانسان إلا أن يرتدى سروالاً مزركشـا ، وجبة وفوقها عباءة مزركشة ، بعد ذلك . . . .

قال الببغاء " نصرك الله ، الزينة انتهت ، لا أعطلك ، حتى الليل "

قال موسى " اللهم احينا على الخير "

عندم جاء اليل وغلب النوم موسى ، استيقظ في الصـباح فقام ولبس ملابس الحرب وأخذ الرمح وجاء البـبغاء وقال " الحمد لله ، كل من يكذب بالـليل يطلع عليه النهار ، لقد قلت أن اخبار الشـيخ عثمان التى قلتها أمس كل طفل يعـرفها ، وهو كذلك أريد أن أسمع قصتك التى لم يعرفها أحد . "

هز الببغاء جناحيه وطأطأ رأسه وقال " نصرك الله استمع الان "

قصة الشيخ ابن فوديو وأحد العلماء

ذات يوم سمع أحد علماء الشرق عن أخبار الشيخ فجاء إلى مدينة سكوتو ، ليرى بعينيه ما يقال لأنهم يقولون الرؤية خير من السماع ، وعندما اقترب من مدينة سكوتو استعد كالحجاج ، ولبس الثياب الغربية ، وذهب إلى الشيخ المجدد وقال " جئت استفتيك ياشيخنا "

رد الشيخ بن فوديو قائلا " اسأل الله أن يلهمنا المعرفة "قال الرجل" ياشيخنا من أى شئ يصنع الحساء في بلدكم ؟ "

قال الشيخ من أشياء مختلفة في بلدنا " فودع الشيخ وخرج ، واستمر الشيخ فيما كان فيه من شأن الجهاد ، واستولى على كثير من البلاد، وسلم الأعلام لبعض الناس ، وبعد عامين نسى هذا الرجل الذى سأله ، ثم عاد الرجل ولبس ثياب الهوساويين حتى لايدرك أحد أنه هو الذى جاء في العام قبل الماضى ، وذهب إلى الشيخ وحياه وقال " وماذا أيضا ؟ "

وعلى الرغم من أن هذا الأمر مضى عليه زمن بعيد إلا أن الشيخ تذكر سؤال العام قبل الماضى ، ونظر إلى الرجل وقال " إذا كان ثريا يضع بعض اللحم . "

عندما سمع هذا الغريب ذلك ركع وأخذ يطلب المغفرة من الشيخ بن فوديو واستأذنه وعاد إلى بلده.

" بينك وبين الله ، نصرك الله ، هل سمعت هذا الخبر عن الشيخ المجدد قبل اليوم ؟ "

قال موسى "الحقيقة . لم أسمعه ، بالله عليك هل اخترعته الآن ؟"

طأطأ الببغاء برأسه وقال " ويحك ، نصرك الله ، والله لم اخترعه الآن ، هكذا سمعته، لعل رجلا مجنونا ، مثل هذه الأكاذيب والخرافات تضاف لتاريخ الشيخ المجدد بن فوديو ، ليس هذا الموضوع للعبث .

قال موسى " وهو كذلك ، مهما يكن ألاتظن أن هذا اكثر مماقلت لك أمس إثارة للعجب ؟ "

قال الببغاء " نصرك الله أنا لا أختلف معك ، أمور الولى هذه إذا تعمقنا فيها ، قد نذنب ، ولاحيلة لنا ، اللهم هبنا بركتهم "

قال موسى " حقا ، اللهم نجنا من عذاب يوم الجمعة الذى لاسبت بعده ، من أجل أفضل الخلق " واستدار لينصرف .

قال الببغاء " نصرك الله ، ثم ، ماذا وجدت ؟ "

قال موسى " ماذا تقصد ، بماذا وجدت؟ ، عمن تتكلم ، أى شئ سأجد ؟ إذا كنت تسأل عن شئ قل لأسمع . لايغرنك إلا شبابك ، أنا فرغت لك "

طأطأ الببغاء رأسه وقال " هدأ الله من نفسك ، بقى السؤال الذى قلته لك أمس لقد كنت أريد أن أرى هل تستطيع أن ترد على الكلام الذى بدأت تقوله لى أمس، لانك قلت إن التاريخ الذى رويته الآن عن الشيخ المجدد ليس عجيبا كالذى قلته أمس"

قال موسى " أى سؤال قلته لى أمس ؟ "

ضحك الببغاء وقال " هل نسيت ماقلت أمس . أطال الله حياتك ، لقد سألتك ماذا يصنع الإنسان على جسمه حتى يصير جميلا وليس مزموما، حسنا - فمابالك بهذا الذى حدث من عامين "

نظر موسى إلى الببغاء وقال "أكره ، ألا تترك شيئاً مهما كانت الجهة التى يأتيك منها الإنسان تترقبه "

ثم نظر فرأى الفجر قد ظهر فنهر الببغاء وقال "إذا كان للسوء تفعل لى هذا الأمر لا بأس ، حسبى الله " ، ودخل المنزل وعندما حان الظهر إذ بالأمير عبد الرحمن يبعث رسولا بالبشرى فقد انتصر ، وغداً في الصباح سيحضر ، سأل موسى " أين محمود ؟ هل شفى ، قال حامل البشرى ، " لم يصبه مكروه ، وغداً ستراه " وقبل أن يجد موسى الفرصة ليسأله ركب وعاد ، لأنه أمر بألا يبقى . وضجت المدينة بالزغاريد والأفراح الكثيرة ، وقد وقع الخبر على الوزير كالموت ولما حان المغرب استدعى أربعة شبان من خدمه ، وأخبرهم بكل ما سيفعلونه ووعدهم إذا نجحوا في قتل موسى هذه الليلة أو قطعوا عنقه سيعطى كلا منهم عشرين جنيها .

قال هؤلاء الخـدم " هذا الأمر بسـيط " ودخلوا يبحـثون عن ملابس وحلـى النساء ليلبسوها " .

كان الببغاء يدرك أن هذا سيحدث ، فلما حان المغرب قال لموسى " أطال الله حياتك اليوم لاينبغى أن تنام ، ويجب أن تذهب للممر الكبير وتجلس مع الخدم للسمر "

قال موسى " وهو كذلك " أعد كرسى وجلس عليه موسى وأحاط به الخدم " وبعد قليل تبعهم الببغاء ونظر إلى الخدم فلم يجد أحداً منهم يحمل سلاحا بالقرب منه ، فقال " عجباً ، هل جميعكم نساء ، كـيف تقومون بالحراسة ولاتحملون حتى العصى ؟ ، هل نسيتم شر الدنيا ؟ " شـعر الخدم أنه محق في قوله ، فحمل كل سيفـه ووضعه إلى جانبه وبدأوا يسمرون .

وبعد العشاء دخل خمسة من خدم الوزير يرتدون ثياب النساء ومن بينهم بركى ،وقد أدرك الببغاء وحده أنهم رجال ، وبحثـوا عن ممر واختبأوا فيه ، لاهم داخل البيت ولاهم خارجه ، ومكثوا ينتظـرون موسى ، حتى يدخل ، فيلتقوا به ويقتلـوه ، لم ينته السمر ، إذا أدرك الببـغـاء أنهم سيتـوقفون بعد قليـل يقول لهم شيئـا مضحكاً وظل كـذلك حتى الصباح .

عندما أدرك الببغاء أنهم تعبوا من كثرة السمر ، واستولى على بعضهم النعاس قال " هيا أقص لكم قصةً جميلة "

قال موسى " إذا كان الأمر كـذلك انتظروا لتسمعوا فصاحة طائرنا الصـغير " ففرك من غلب عليهم النعـاس عيونهم ، وشرب البـبغاء ماء ، ونظف حنجـرته وبصق اللعاب وبدأ يقص .

التعجل يسبب التأخير

كان يعيــش هنا فى الشمـال أمير له طفل أصـغر إخوتـه لم ير أحد مثـيلاً له في الجمال ، فهو ليس بالنحيف جدا ولا السمين جداً وسطٌ بين ذلك ، كان عنقه قرعة لبن ، عيناه بيضاوان كاللبن ، شعر رأسه يجذب النظر ، كأنه يدهنه بالزيت ، إذا ضحك ورأيت أسنانه سبحان الله ، أقدامه . . .

قال موسى للبـبغاء " بالله عليك . إذا كنت ستقص علينا قـصة ، ابدأ وإلا فاتركنا كل يمضى إلى غايته . "

قال الببغاء " دعنى أزين لك القصة حتى تصير جميلة .

وذات يوم ركب هذا الأميـر وتبعه كل رجـاله ، ليطوف حول بلاده ليفـرض عليهم الخراج ، وأثناء السـير تخلف ابنه الأخيـر مع أحدِ الخدم عن الـركب ، وبعدا عن الركب يزيدان أن يعرفا أحـوال الدنيا ، فلما أدركا أن الركَب اختـفى أخذا يتحدثان ويقهـقهان ، وهكذا حتى وصلا إلى إحدى القرى الصغيـرة التى مر بها الأمير منذ قليل ، ولما أدركا أن موعد صلاة الظهـر قد حانت نزلا للصلاة ، وذهب الخادم إلى منزل حـاكم القرية وأخبره أن ابن الأمير هنا ويريد أن يصلى في قريتهم . . .

عندمـا رأى خدم الوزير أن الصـبح كـاد يشرق ، ولم يتـحـرك موسى ولم يجـدوا الفـرصة للقـضاء عليـه فكروا في الأمـر ، فجـاء أحدهم وركع أمـام موسى وقـال له " يطلبونك بالداخل " .

ظن موسى أنها إحدى خادماته فقال " إذهبى ، أنا قـادم " وعاد واستمر الببغاء في القصة التى كان يقصها ويسهب فيـها حتى لاينتهى منها قبل أن يطلع النهار ويطلب موسى الخروج .

« عندما مـضى الخادم إذ بفتـاة كأنها ابنة العـرب تخرج من أحـد المنازل بالقرب من المصلى ، تطل برأسهـا ، فأضاءت كل المكان ، إذا نظرت اليها ظننت أنـها لاتأكل الطعام مثلنا، جسمها اقسم بعظمتك إذا نظرت إليه كأنه النخـاع ، أنفها كانها صفته لنفسها ، إذا نظرت لعينيها اقسم بالله لاتغمض عينيك ، شعرها . . .

قال موسى " كفى هذا ، استمر في القصة ، لعلك سمعتهم ينادوننى بالمنزل "

قال الببغاء " سأستمر " وأخذ يسهب " رفع ابن هذا الأمير رأسه ونظر إليها من أسفل إلى أعلى ثم قال في نفسه " يقال أن ابن آدم كله لم يكمل عشرة ، واليوم هاهى تكمل اثنتى عشرة ".

ثم امعن النظر فيها وقال " من أين هذه الفتاة ؟ "

قالت " من ويلا فدما ، جئنا أمس هنا لحفل عرس وسنعود اليوم بعد الظهر "

تعجب ابن الأمير " ويلافدما ؟ ، فى اى منزل تقيمين لأعرفه ؟ "

قالت " هنا منزل حاكم المدينة ، أنا ابنته الكبرى ، لا أخرج ، من العرس للصلاة ، لذلك لم تعرفنى ، ولكن ها أنا أعرفك وإن كنت لاتعرف أخبار نانا يوقى ابنة ويلافدما "

سكت ابن الأمير وقال " والله ، سمعتهم يقصون أخبارها "

قالت " وهو كذلك ، ها أنا "

عندما سمع ابن الأمير ذلك فاتحها في أمر الزواج ، ورأى الدليل على أنها تريده ، الرجل السابق الذى طلبها للزواج كان رجلاً عجوزاً ذا لحية ، فقالت إنها لاتريد الزواج من ذى اللحية .

بعد أن بحث الأمر معها هنا ذهبت ، فأخذ الأبريق إلى المصلى ليتوضأ ودخل وأدى الصلاة ، وبعد أن سلم ، وبعد أن دعا أفضل الخلق سأل الله أن يتزوج هذه الفتاة ، حتى اخطأ في القول ، فقال إذا شاء الله وتزوجها سيقتل نفسه من السرور .

بعد أن خرج من المصلى تقابل مع حاكم المدينة فأكرمه ، وتبادلا التحية ، وسار مع خدمه ، وتتبعوا الأمير حتى أدركوه ، كان أثناء السير يقص للخادم قصة الفتاة .

عندما انتهى الأمير من طوافه عاد إلى منزله ، فأخبر ابن الأمير الوزير أنه يريد أن يطلب له ابنة ويلافدما للزواج ، فأخبر الوزيرُ الأمير ، فطلبها الأمير ووافق أبوها وأقيم حفل الزواج .

بعد ثلاث سنوات من الزواج ، قالت نانا ذات يوم أنها تريد أن يصحبها زوجها

لتـزور أهلهـا ، فـقال ابن الأمـيـر لأبيه ، ووافق الأب ، وطـلب من كبـيـر خدمـه أن يصطحبهم ، واستعدوا وركبوا الجمال وبدأوا الرحلة .

واستـمروا في الرحلـة حتى رأى ابن الأميـر المدينة التي رأى فـيها نـانا لأول مرة ، وتحدثا عن الزواج ، ووقـفوا بالقـرب من المصلى ، ليتـوضأ ويصلى الظهـر ، فلما دخل وادى الصلاة ، بدأ يخـتم الصلاة ، فـسمع من يقـول له " أين الوعد الذى قطعـته على نفسك ، عندما قلت إن شاء الله وتزوجت نانا سأقتل نفسى من السرور والشكر لله . ؟"

عندما سمع ابن الأمير ذلك ، تذكر هذا الوعـد فنظر شرقا وغرباً فلم ير أحداً يتكلم معه ، فأخـذ جسده يرتعش ، ويقول لاحول ولاقـوة إلا بالله، وقال إن اللسان هو الذى يقطع العنق ، وسحب السيف وقطع رأسه وسقط ميتا .

عندما وصل الببـغاء إلى هنا سمعـوا نداءَ الصلاة ، وجاء أحد خدم الوزير مـسرعاً وركع مرة أخرى أمام موسى وقال " ينادونك بسرعة بالداخل "

قال مـوسى " ويحكِ ، هم يضايقون الناس بهـذا النداء ، هل تظنين أننى أقوم دون أن أسمع نهاية القصة اللذيذَة ؟ إذا كانوا يريدون شيئاً فليذهب رئيس القصر "

عندما رأى هذا الخادم أن رئيس القصر سيـذهب ويتبعه قال " لا ، اجلس لشانك ، يا رئيس القصـر ، يريدونه هو ، إن لم يأت ، دعنى أذهب لأقول لهم ، ثم عاد وأخـبر رفاقه ، فخرجوا مسرعين يهنئون بعضـهم بأن رئيس المنزل لم يتبعهم ، وإلا كانوا ضيوفاً على الآخرة ، وذهبوا وأخبروا الوزير بما حدث ، فأمرهم الوزير بأن يعودوا ويحاولوا مرة أخرى، وسـيزيد كلاً منهم عشـرة جنيهات ، فـعادوا ودخلوا كالرجال ، وعـادوا . وقد استيقظت كل المدينة وأضاءت الشمس أرجاءها والببغاء يسهب في قصصه .

عندما رأت نانا أنه تأخر ولم يخـرج طلبت من الخادم أن يذهب ويرى أى ورد طويل هكذا يقـرأه وحتى الآن لم ينتـه منه ، فلمـا دخل وجده غـارقاً في دمـه ، دون رأس ، والسيف ملقى بجواره ، فأمسك رأسه وقال : الآن إذا خرجت وقلت ماحدث ، سيقولون أننى الذى قتلته ، ولن أجد وسيلة للخلاص إلا أن أقتل نفسى هنا معه ، فإذا رأوا ذلك ، سيظنون أننى حاولت الدفـاع عنه ففشلت فحدث ماحدث . وأخـذ السيف وقطع رأسـه ، وسقط ميتا .

نانا في الخارج تنتظر وقد عم السكون ، ولم تر أحداً يخرج ، فقالت " اليوم أرسل الرسول فلا يعود . لابد في الأمر شئ ؟ "

وصبرت حتى حان وقت العصر فقالت " رغم أن النساء لايدخلن المصلى ولكن لابد أن أذهب لأرى ماحدث "

ثم نزلت وما كـادت تدخل برأسهـا في المسجـد حتى رأت زوجـها وخـادمهـا بلا رأسيهما ، فتـراجعت إلى الوراء ، وأخذت تدور في المكان وتبكى ، فلما رأت أن البكاء لن يحيى ميتاً أخذت السيف وقالت " دعنى أقتل نفسى لأرتاح من هذا الحزن ، حياتى لا فائدة منها طالما أن زوجى فارق الحياة "

وسحـبت السيف لتقتـل نفسها ، فـسمعت من يقـول " انتظرى ، خذى رأسيهـما والصقيها لهما سيقومان "

فنظرت شرقاً وغرباً ، فلم تر من يكلمها ، فقامت وجسمها يرتعش وأخذت الرأسين والصقتهما في جسديهما .

من شدة السرور عنـدما شعرت أن زوجهـا سيقوم ارتبكت وأخـذت رأس ابن الأمير والصقتها على جسد الخادم ، وأخذت رأس الخـادم والصقتها على جسد ابن الأمير ، كل واحد بما الصق له ، حتى ارتبكت وكل منهما يقول أنها زوجته .

حسناً أيها الناس من تظنون أنه زوجها ؟ "

ونشب الخلاف بين الخدم ، بعـضهم يقول أنها زوجة ابن الأمير والبـعض يقول أنها زوجة صاحب الجسد ، وبينما هم في هذا الجدال كان خدم الوزير يقفون عند باب الممر ، لايعرف أحد ماذا ينتظرون سوى الببغاء، ثم سمعوا الطبول تدق ، فقد قدم الأمير ، وقبل ذلك كان باب القصر قد أعد لاستقبال البشرى .

عندما رأى خدم الوزير ضياع الفرصـة ، عادوا وأخبروا الوزير فأخذ يعض على يده من شدة الحزن ، وبعد قليل وصل الأمير ومحـمود في المقدمة وقد أحاط به الطبالون وهم يمدحونه وينشدون فيه الشعر ويقولون :

اصبر يامحمود وكن ذا عزيمة

لايعرف العظيم إلا بالتجربة

البقاء بالبيت للكسالى

ياأخ موسى قم لنقدم

محب الحرب فليأت لنا

إلى محمود الآن وليترك اللهو

أهل سينارى استجلبوا التعب لهم

أخ موسى رفع الله شانك

اترك الخوف والإهمال.

الدنيا لاتحب الغبى

أهل سينارى تابوا واتبعوك

أميرهم جاء لتغفر له

جمال الشاب في حمل رمحه

ليتميز غن النساء

أيها الناس فلنردد الزغاريد

محمود ولد يشبه الكبار

اللهم انظر إلينا بعين الرحمة

وارحم الأبوين وقولوا آمين

عندما وصلوا كـانت المدينة كلها في فرح ، ذهب مـوسى وقابل محـموداً على باب المنزل ، وعانقه في سرور ، وسأله كم يوما كان يمرض فيها ، فقال إنه لم تصبه وخزة منذ خرج ، لذلك لم يمرض من شئ ، تعـجب موسى فسأله عن موضـوع الرسالة التى بعث بها ، فـقال انه لم يبعث أحـداً، ذهب موسى ليحـضر الرسالة ، فلم يجـد شيئـاً ، لقد أخذها الببغاء وأخفاها .

جاء الوزير وهو يضـحك بعض الضحكات المصطنعة ، يتصنع السـرور، عندما ألح قال الببغاء لموسى "أشـعر أنك تبحث عن الرسائل التى بعثها محـمود لك عندما كان في ميـدان القتال . هاهـى لدى قد حفظتـها لك" ذهب وأخذها وأحـضرها لهم ، فـقرأوها وتعجبوا كثيراً، وأخفوا الرسائل ، وسكتوا .

عندما طلع النهار ، اخذوا هذه الرسائل إلى الأمير ، فنظر فيها وقال" خط الوزير " قال محمود " خط الوزير اقرأ لنسمع "

قرأ الأمير الرسالة ، فتعجب وقال " ماذا يقصد بهذا ؟ " ، والتفت إلى موسى وسأله كيف حدث هذا ، حتى يبعث له بهذه الرسائل ؟ .

قال موسى إنه لا يعرف سرّ هذا الأمر ، كان يظن أن محموداً هو الذى أرسلها ، وقال كل ما حدث أول الأمر ، وكل الأمور التى حدثت ، وكيف شغله الببغاء بالقصص حتى لم يجد الفرصة للخروج ، وقص للأمير كل شىء.

عندما سمع الأمير ذلك,قال " لا شك في الأمر شىء ، يستدعى الببغاء " وفى الحال جاءوا به ، فسأله الأمير ، جلس الببغاء وقص كيف حدث كل شىء ، حتى ما فعلوه مع الوزير عندما بعث ويأتوا به ، وأخبار هؤلاء الخدم الذين بعثهم ليلبسوا ملابس النساء ويأتين لقصر الأمير ، وحدث ليلة عودة الأمير ، حتى عادوا واندسوا في الخدم الذين تركهم الأمير للحراسة ، والذين أخذ يقص لهم القصص حتى لا يغلبهم النعاس وكيف تعب مع موسى حتى يمنعه من الخروج ، قص كل شىء .

عندما سمع الأمير كل ذلك فاضت عيناه بالدمع شفقة على الببغاء ، وأخذه وعانقه، وهو يقول " ماذا نفعل لنعالج هذا الأمر ؟"

قال الببغاء " كل هؤلاء الذين بعثهم الوزير في أى مكان يدخلون فيه، إذا رأيتهم أعرفهم ، دعنى أحوم حول منزل الوزير ، إذا رأيت واحداً منهم دعوته ليأتى ، إذا شدد عليه يقول ما كانوا ينوون فعله ، إذا قدر لى أن أرى المرأة العجوز ، وجاءت ستوضح كل شىء تماما " ثم وضعه أحد الخدم على عنقه ، ويتبعه ثلاثة من عتاة الخدم ، وأخذوا يطوفون به في حى الوزير ، حتى وصلوا إلى باب كوخ خرب فنظر فيه الببغاء وقال " هاهى "

دخل الأتباع العتاة الكوخ وجذبوها ودفعوها من قفاها حتى الأمير ، فلما رآها موسى قال " نعم ، انها هى ، هذا الببغاء أمره عجيب "

سألها الأمير عما أضمره الوزير بشأن موسى ، ارتبكت العجوز وقالت " نعم نصرك الله ، والله لقد أجبرونى " .

قام محمود ونظر إليها ، ولطمها على وجنتيها وقال "الأمير يسالك ، قولى له من الذى أجبرك على ذلك؟ " .

ركعت العجوز وقالت كل شيء ، فلما سمع الأمير ذلك ، بعث لكل رجال الشرطة فجاءوا ، فقال لهم " اذهبوا واحضروا لى الوزير " فأسرع الشرطة بالذهاب .

عندما قبض على هذه المرأة العجوز ، ذهب رجل إلى الوزير ، وقال " أطال الله عمرك " رأيت ثلاثة من خدم الأمير ومعهم ببغاء يأتون ويقبضون على خادمتك هنا خلف المنزل ، ماذا في الأمر ؟"

عندما سمع الوزير ذلك ، قال " خيراً " ولم يقل شيئاً ، ودخل المنزل ، وأمر أن يُعدُّ له الحصان ولم ينتظر أن يلف العمامة ، ولا الخادم ، وتسلل خلف المنزل وخرج ، دون أن يره أحد.

عندما جاء رجال الشرطه ودخلوا المنزل وجدوا الجارية ، فقالوا " أين الوزير ؟"

قالت الجارية " خيراً ، ماذا حدث حتى تدخلوا المنزل دون استئذان ؟"

دفعها رجال الشرطة وقالوا " اذهبى ، وادخلينا "

دخلت الجارية المنزل ، وبعد قليل خرجت وقالت " ليس بالمنزل " ظن الشرطه انها تكذب ، فتفرقوا في المنزل ، البعض يحرس باب الممر ، فلما بحثوا لم يجدوه ، فقبضوا على كل خدم المنزل ، وأخذوهم إلى الأمير ، وقالوا إنهم لم يجدوا الوزير .

نظر الببغاء إلى خدم الوزير الذين جاءوا بهم ، وقال " أطال الله حياتك ، هؤلاء هم الشهود على كل ما حدث " .

قال الأمير " هل عرفتهم ؟"

قال الببغاء " أعرف سبعة منهم ، وها هو الذى بعثه إلى الأمير سينارى "

قال الأمير " حسناً ، دلنى عليهم" .

طار الببغاء وقال لأحد رجال الشرطة " هذا وهذا ، أحضرهما هنا ، وانتم تعالوا هنا ، وأنت الذى تشعر بالخيانة ، كن مع هؤلاء " ونظر إلى الأمير وقال " ها هم ، هؤلاء ، الذين طلب منهم أن يختبئوا عند الباب فإذا خرج موسى يقتلونه ، وهؤلاء هم الذين لبسوا ثياب النساء وجاءوا أمس الأول مساء ، وهذا أيضا ، وأشار إلى بركى ، وهو كبير المنافقين ، الذى بدأ يعمل مع الأمير سينارى ، ودلهم على الطريق ، وهو الذى دخل المنزل بعد المرأة العجوز"

عندما سمع هؤلاء الخدم ذلك قالوا معا " والله هذا كذب ، نصرك الله ، نقسم بعمامتك لم ندخل هنا من قبل . "

نظر الأمير إلى الشرطة وقال " اسألوهم "

انهال عليهم الشرطة ضرباً ، وأخذوا يصرخون ، فقال بركى " سأقول الحقيقة ، لقد ضحيت بنفسى من أجل سيدى ، ولم انل شيئا إلا الضرب والحضور هنا ؟" واعترف للأمير بكل شيء ، فلما رأى الآخرون الا فرصة للانكار اعترفوا بالحقيقة ، فأمر الأمير بحبسهم داخل قصره .

ومضى يومان وفى ظهيرة اليوم الثالث ، إذا بالشرطة يدخلون بالوزير، وقد قبضوا عليه على الحدود ، كاد يعبرُ الحدود قاصدا الأمير سينارى ، عندما اجلسوه أمام الأمير تجهم وجهه وقام ثائراً ونظر للأمير وهو يقول " لماذا بعثت الشرطة للقبض علّى لم أسرق متاعَ أحد "

قام الأمير متعجبا وهو يقلب كفيه ويقول " لا ، قبضوا عليك ؟ "

نهر الوزير الشرطة وقال " قبضوا على "

قال الأمير " انا لم آمرهم أن يقبضوا عليك ، طلبت منهم أن يستدعوك ، لأطمئن على صحتك ، لانى لم أرك منذ العام الماضى "

عندما سمع الوزير كلاماً مطمئنا ، قال في نفسه " لئن لم يكشف سرى من قبل كنت سأكشفه بنفسى عبثاً ، لقد كنت أعرف أن هذا الأمير غبى ، لا يعرف شيئاً ، أم أنه ليس غبياً، ومن نوع الرجال الماكرين ، على كلٍ سنرى ، ثم قال " آسف خادمنا لم يقل لك ؟ ، لقد ذهبت لزيارة خالتى، التى أخبرتنى بأنها مريضة ، ولكن نصرك الله ، هؤلاء الشرطة أساءوا إلى . "

قال الأمير " اصبر عليهم ، لقد قلت لك انهم أغبياء ، فقلت انهم طيبون " نهر الوزير رجال الشرطة وقال " أقسم بعظمتك ، لن أعفو عنهم، طالما انهم أساءوا إلىّ هكذا ، سأسجنهم جميعا الآن ، لو كان شخصا معتوها ، لأدرك ما ينبغى فعله "

قال الأمير " أنت الذى يحكم ، فافعل ما تراه مناسباً معهم ، ولكن دعنى أسألك عما دفعنى لاستدعائك الان ، منذ عدت لم أجد الفرصة لسؤالك ، بشأن منزلى الذى تركته أمانة لديك " .

قال الوزير في نفسه " لا سمعت العجوز الخرفاء في هذا الأمر " فنظر إليه وقال " هل وجدت شيئا آثار غضبك ؟ انا لم أكن العب في هذا البيت ، بنفسى كنت أخرج فى منتصف الليل اتعسس "

قال الأمير " أعرف ذلك ، ولكن بعض الرسائل قدمها إليّ الببغاء لم أفهم مضمونها " فنظر للببغاء وقال " اذهب واحضرهم "

طار الببغاء وأحضرها وألقاها أمام الأمير ،

لما رأى الوزير هذه الرسائل اخذت بطنه تمغص ، وأخذها وفتحها وهو يضحك ويقول " شخص قلد خط يدى ، إذا تتبعت هذا الببغاء اللعين تعرف ، ولكن نصرك الله ، عليك أن تهدده ، إذا كان سيلعب يوجد من هو ند له وهو النسر والخفاش " ، وانفجر في الضحك ، أى أنه ماهر في السخرية ، ورفع رأسه ونظر للأمير فرآه لم يضحك ، ونظر إلى موسى ، فرآه كذلك لم يضحك ، فالتفت إلى محمود . فرآهم جميعا سواء حتى الببغاء ، كأن يلعب في الفول السودانى كأنه لم يسمع شيئاً مما يقال فكشفت عيناه السر.

نظر الأمير إلى رئيس الشرطة وقال " استدع هؤلاء الناس " ذهب رجال الشرطة بسرعة إلى منزل الأمير واحضروا خدم الوزير ، وقد قيدت يد كل منهم خلف ظهره ،

عندما رآهم الوزير خفق قلبه ، وغير جلسته ونظر شرقاً ونظر غرباً فأدرك أن الكل يحدق فيه .

ونظر الأمير إلى الوزير وقال " هل تعرف هؤلاء ؟ "

قال الوزير " نصرك الله ، تبت ، واتبعت الله واتبعتك .

قال الأمير " ماذا فعلت حتى تتوب ؟ هل لأنى قلت لك هل تعرفهم ؟ "

قال الوزير " ارحمنى ، واعفو عنى ، ولاتؤاخذنى" .

أهل المدينة الذين اجتمعوا أخذوا ينظرون إلى الوزير ، ولايعرفون مافى الأمر ، قام محمود ولطم الوزير وقال " الأمير يسألك ، هل تعرفهم، فتضايقه بالرجاءات التى لافائدة منها " .

نظر الوزير إلى بركى وقال " أنت الخادم الأمين بالله قل لهم الحقيقة تماماً ، هم يعرفون أنه لاذنب لى في هذا الأمر "

قال بركى " لا ، لست مذنبا ؟ ، إذاً فمن المــذنب ؟ خبيث عابث " ، وتقدم ورفع صوته واعتـرف بكل الحيل الماكرة التى فعلهـا الوزير لصالح الأمير سينـارى وللقضاء على موسى ، ولم يخف شيئاً.

عندما سمع الناس ذلك ، قالوا لاحول ولاقـوة الا بالله ، وهجموا على الوزير مرة واحدة كانهم سيأكلونه حياً ، إلا أن الشرطة تدخلت بينهم .

قال الأمير لهم " انتظروا لم ننته بعد " وقص لهم مافعله الببغاء حتى يخلصهم حتى لايصيروا عبيداً للأمير سينارى ، وكـيف منع موسى من مغادرة القصر لأنه يعرف مايكيده له الوزير ، فلما سـمع الناس ذلك أخذ كل منهم يقلب كـفيه ، وينظرون إلى الببـغاء ، وينظرون إلى الوزير ، وأخذوا يجـمعون التراب واسـتعدوا لإلقائه عليـه ، لولا أن الأمير زجرهم .

عندما سكتـوا نظر إليهم مرة أخـرى وقال " وهو كذلك ، أيـها الناس، انظروا إلى ذنب هذا الوزير ، من يفعل ذلك ما جزاؤه.؟ "

قال الناس مرة واحدة "يصلب" ، لم يكن أحد في المدينة يحبه لسوء خلقه.

قال الأمير " سمعت قوله ، وأنتم أيها الناس ؟ "

قال الناس " هم أيضا يصلبون ، ما أصابه يصيبهم "

قال موسى " لا ، طالما أن الله كشف نيتهم ، وجمعنا مع محمود سالمين ، وانتصر الأمير في الحرب ، الأفضل أن نعفو عنهم "

قال الأمير " حقاً ياموسى ، فك وثاقهم فكوا الأغـلال " ، فجاءوا وركعوا أمام الأمير وقدموا له الشكر . لأنهم كانوا متأكدين أنه سيقتلهم ، تعجب الناس من حكمة الأمير .

ثم قام الأمير واقفـاً وقال للناس " رأينا أين ذهبت بهؤلاء الناس نياتهم، ولكن لدىّ سؤال : لماذا يعين الوزير ؟ "

قال الناس " ليمـد الأمير بالمساعدة والمشورة ، ويـدفع مايمكن أن يضر الناس وليس كهذا الظالم ، اللهم احفظنا من شرّه "

قال الأمير إذا كان من أجل ذلـك فقد عينت هذا الببغاء وزيراً ، سأسـتشيره دائماً " ونظر إلى الناس وقال " أم أنكم ترونه انه لم يصل إلى درجة التشاور معه لأنه طائر ؟ "

قال الـناس " من وصل مثله ، هل من عـمل عملـه يقال أنه لايصلح ؟ هذا الطائر هـبةٌ خصنّا اللهُ بها ، من يستطيع أن يجادل في إرادة الله . والله نحن موافقون ، والله موافقون . "

نظر الأمير للشرطة ، وقال " خذوا الوزير ، واربطوه في الحقيبة التى أعدها لموسى، واذهبوا به وألقـوه في النهر ، كـما كان ينوى أن يفـعل مع موسى ، وأنتم أيهـا الرؤساء والطبالون اذهبوا واحملوا الوزير الببغاء إلى مقر الوزارة ، وأخرجوا زوجاته " ، ونُقِلَ كلُ مافى بيته وحُمِلَ معه .

قام الأميـر ودخل المنزل ، وضج كل رجال الحاشيـة ، بعضهم ذهب حيث سيقتل الوزير السـابق ، والبعض الآخر تـبع الوزير الجديد ، وهم يزمـرون ويطبلون ، والببـغاء متربعٌ على كرسىٌ من الذهب وقد أظلته مظلةٌ كبيرةٌ .

وصل الببغاء إلى مقر الوزارة ، فطلب ثلاثة من الخيول التى وجدت في منزل الوزير السابق فقدمها للطبالين الذين رافقوه ، وأمر الخدم أن ينضموا إلى خدمه ، وأقيمت أفراح السلطة لمدة سبعة أيام ، وبـعد عدة أيام بعث الأمير بزوجات الببـغاء الأربع فانضمت إلى الوزير الجديد ، وكلـما سمع الأمـير عن ببغـاء أنثى ، اشتراهـا وضمهـا إلى نساء وزيره لتكون ضمن جواريه .

وبعد عدة أسابيع وضـعت إحدى زوجات الببغاء بيضة ، وبعد حـوالى عشرين يوما فقست وأخرجت ببغاءً صغيراً ذكراً ، فأطلق عليه أسم فصيح، وخصص خادما لرعايته.

وعاش الوزير البـبغاء حيـاته ، يقاسى من السلطة ، فلا يشـرب الماء ولكن يقدم له السكر والأرز ، ولايأكله إلا بعد الطهى ووضع الملح والسمن به .

الكلام رأسمال

فى الجزء الأول تركنا الأمير عبد الرحمن بن الحاج ووزيره الببغاء يستمتعان بحياتهما ، وهما على هذه الحال انتشر خبر الوزير الببغاء فى كل البلاد ، حيثما تذهب تسمع الناس يلومون الأمير عبد الرحمن على بلاهته لتعيينه طائرا وزيرا له ، وإذا التقى أهل إحدى البلاد مع فرد من بلد الأمير عبد الرحمن يسخرون منه ويقولون " الإنسان فى بلدكم لا يستطيع أن يقول للببغاء يا مجذوم ، إذا قال الإنسان ذلك تقطع رقبته "

وإذا سمع أهل البلد الناس يلومون أميرهم على ذلك يقولون " نحن نعرف ما عليه وزيرنا أنتم تسمعون أخباره فقط ، أما نحن متحققون، دع الكلام عن الوزارة ، فلو ولى أميرا على البلاد فلا عيب فى ذلك ، أو لم يكن للأمير ولد وتوفى ولبناه الإمارة . لا نستطيع أن نوليه الإمامة فقط، لأن الببغاء لا يصلى بالناس ، هل بالقوة وحدها يكون الأمير ؟ ، أنتم تعرفون أن بالقوة رجلاً واحداً لا يستطيع أن يحكم آلاف الناس ، المطلوب من الأمير الحكمة والفصاحة والعدل ؟ وزيرنا قد فاق الجميع فى هذا إذا احتجوا بهذا الكلام يتركون وشأنهم. "

بالقرب من بلد الأمير عبد الرحمن توجد بلدة كبيرة لأمير اسمه جمعان أمير سيركا ، الذى قص قصته الحاج أبو بكر إمام فى كتاب يسمى " الماء الشافى" هذا الأمير صديق مخلص جدا للأمير عبد الرحمن . وذات يوم وصله خبر أن صديقه عين ببغاء وزيرا له ، سأل عن السبب ، فقيل له لأن الببغاء يقص قصصا جميلا.

قال أمير سيركا " للقصص أم لأمر آخر؟"

قال الرواة " من أجل القصص فقط استوزره ، حتى أنه وضع وزيره فى جوال وألقاه فى النهر ، لأنه لا يستطيع رواية القصص.

عندما سمع أمير سيركا ذلك قال لا حول ولا قوة إلا بالله ، وأخذ يقلب كفيه ، وعجز عن الكلام من شدة الغضب ، وأمسك القلم وأخذ ورقة وكتب يقول " من جمعان أمير سيركا إلى صديقه وحبيبه الأمير عبد الرحمن بن الحاج ، تحية كثيرة وحبا ورضا.

أما بعد لقد سمعت أخبارا ضايقتني جدا وأشك انها صادقة ، أو وشاية بعض الناس ، سمعت أنك عزلت وزيرك وعينت ببغاء ، إذا كنت قد عزلته اليوم فعلا ، فاقطع عنق هذا الببغاء حتى لا يشيع خبره في كل مكان ، والآن كيف نكون عاقلين وكل هذه الدنيا جنوبها وشمالها شرقها وغربها ، نخافها ثم نسمعهم يقولون رغبة في سماع القصص الجميل عين ببغاء وزيرا ، ماذا يفعل الببغاء ، وماذا تفعل قصصه ؟ إذا كان من أجل القصص ، دعك منها في هذا البلد ، ألا يوجد في هذه الدنيا ببغاء أرعاه وأربيه يفوق هذا الببغاء في رواية القصص ؟ مهما كان يروى الببغاء من أخبار، أقصى ما يعمل له هو أن يكلف أحد الخدم برعايته حتى لا تأكله القطة ، أما أن يعين وزيرا ، ويحك هل الأمر لعب وجنون ؟ إذا كان من أجل إمتاعنا نحن الأمراء هل يصل الأمر إلى هذا الحد ، هذا ليس متعه ، أطلق سراحه الآن .

وإذا كنت قد عينته وزيرا من أجل رواية القصص عند بزوغ هلال الشهر القادم سآتي لك ببغائي ، لتختبرهما معا ليحرج وزيرك بين الناس ، حينئذ نرى ماذا ستعينه ، وأعرف أنك ستتقبل وتوليه السلطة ، أى يصير الأمير والوزير من الطير، و تجلس أنت ليقص لك القصص ثم تضحك، أمرك هذا يثير دهشتى ، الإنسان يرى الكثير طالما على قيد الحياة .

والسلام "

عندما أحضر للأمير هذه الرسالة وقرأها ابتسم وسلمها إلى وزيره الببغاء، فلبس النظارة وقرأها، وانفجر ضاحكا ، وقال "الله أكبر، رغم شيخوخة أمير سيركا لم يعرف حتى الآن أنهم يسمون كل المعادن حديداً ، ولكن يوجد في المعادن ذهب وفضه ؟ اكتب له ، نسأل الله أن يحيينا إلى هلال الشهر القادم ، ولكن أخبره أنني أقول له إذا كان سيأتي يأخذ مفاتيح خزائنه ، التى أعطاها لربة البيت أمانة ، ويغلق الخزنة ، ويأتي بالمفاتيح ، ويركب الحصان الأسود ويأتى به ، ولا يتركه لابنه ، مهما ألح عليه ، وإذا سمع مشورتى ، لا يأمن لهذا الخادم الطويل الغريب الذى بايعه فى الشهر الماضى ، يطرده حالا ، لا يأمن له حتى يعرف سره . " كتب الأمير الرسالة ، وأرسل إلى أمير سيركا بكل ما قاله الببغاء .

عندما قُرئت الرسالة لأمير سيركا انفجر ضاحكا وطأطأ بشفتيه وقال "لا ، هل سمعت ؟ هذا الطائر الصغير يثير المشاكل ، هذه الأكاذيب التى يرويها للأمير عبد الرحمن

تنصره ، هل يظن أن كل الـناس أغبياء مـثله ؟ لقد سمع أخـبار الخادم الطويل والحـصان الأرقط، أنه يثير المشاكل مدعيا العلم والتنجـيم ، حتى لو مات ما شأنه ؟ أقول أقصى ما يحدث فى هذه الحياة أن يموت، كل إنسان يعرف أنه سيموت ؟ "

ثم مزق الرسالة ورماها ، وظل يسب ويلعن معتقدا أن الببغاء يحتقره، ونادى ببغاءه الذى يتباهى به ويطلق عليه اسم حاذق ، فلما جاء الببغاء قص له الأمير كل أخبار الببغاء الوزير ، وطلب منه أن يفكـر فى قصص جـميل ، إذا أفـحـمه ، سـيزيد له الرعـاية ، وسيلوى عنق ذلك الببغاء مثير المشاكل أمام الناس ليشهد الجميع .

ضحك حـاذق وقال " بعض الببـغاوات مشاكلهم تـفوقهم ، إذا وجدوا الفـرصة ، ولكن صاحبك هذا خـالف العادة ، ماذا سيقول الطائر أمـام الناس ؟ ولكن دعهم نصرك الله ، لا بأس، إذا كنت ابن حـلال سترى أنك لم تنفق مـالك عبثـا، وسيراق مـاء وجه ببغاء الأمير عبد الرحمن إذا كان يستحي .

قال أمـير سيـركا " خذ الحـذر لأنه ، لا يلقب الآن إلا بالوزير " انفجـر حاذق فى الضحك ومضى وهو يقول " اللهم أحينا إلى هذا الحين" قال الناس آمين.

وعـادوا إلى أمور المملكة ، وكلـما جلسـوا لم يكن لهم حـديث إلا أخبـار الوزير الببغاء. وفى يوم سبعة وعشرين استعـد أمير سيركا وركب وتبعه كل كبار رجال الإمارة ، وحمل البغـاء حاذق على حصان وخـرجوا بالطبل والزمر ، حتى وصلوا إلـى بلدة الأمير عبد الرحمن، فقابلوهـم وأنزلوهم فى ضيافتهم .

وبعد أن استراحوا وأقـبل الليل ، ذهب الأمير عبد الرحمن إلى صديقه أمـير سيركا وقضوا نصف الليل يتحـدثون عن الوزير الببغاء ، وما فعله حـتى ولاه الوزارة ، قال أمير سيركا " سمعت ، وأقصى ما كنت تفعله أن تخصص له من يمده بالماء المسكر ، ولكن لا توله الوزارة ، هل يستوزر الببـغاء على الناس؟ ويحك هل كل هذا لأنك تسمع من لسانه كلامـا جميـلا ؟ ، بالنسبة لى كل مـا قلته لى أرى أن أهم شئ جعـلك تجعله وزيرا لأنه يقص عليك القصص، لا لشيء آخر .

إذا كان لأنه أخبرك بمكان لقائك بسينارى هل هذا أمر عجيب بالنسبة لطائر ؟ يستطيع حتى فى الليل أن يطير ويقصد مكان معسكر جنود سينارى ويرى وجهتهم . ويأتى ويقول

لك فى الصباح ألهذا تعينه وزيرا ؟ ، وإذا قيل أنه فصيح ، إذا كان من أجل هذه الفصاحة التى تتباهى بها ، أرى أنك ستعين حاذقاً إذا تغلب على وزيرك .

قال الأمير عبد الرحمن " سمعت كلامك ، ولكن ينبغى أن تخصص مبلغا لهذه المباراة ، الببغاء الذى ينتصر نقدمها إليه . "

قال أمير سيركا " خصصت مائه جنيه ، إذا تغلب ببغاؤك أقدمها له "

قال الأمير عبد الرحمن " وأنا كذلك خصصت مائه جنيه إذا تغلب ببغاؤك قدمتها إليه، وأجعل وزيري خادماً لحاذق "

قال أمير سيركا أنه موافق على هذا ، وقال "غدا ترى فصاحة حاذق"

قال الأمير عبد الرحمن " نسأل الله أن يحيينا " وودعا بعضهما وافترقا .

طلع النهار وعندما حان وقت الظهر اجتمع كثير من الأمراء عند باب القصر ، وجاء أمير سيركا برجاله ، والجنود يسيرون أمامه يحيونه قائلين "تخطو خطى السلامة ، يامن بيدك قضاء حوائج الناس ، رجل عظيم ، وأعد له كرسيا بالقرب من الأمير عبد الرحمن فاعتلاه.

وبعد قليل جاء الوزير الببغاء ، البعض يحمله والبعض الآخر يهوى له بالمروحة ، فلما نزل ذهب إلى حيث أمير سيركا وحياه ، فلما رآه انفجر ضاحكا ، فلم يهتم به الوزير ، وطار وتوقف أمام أميره وحياه ، ثم جلس .

نظر حاذق ببغاء أمير سيركا إلى الوزير الببغاء يتعجب ، وبعد مدة نظر الأمير عبد الرحمن إلى وزيره وقال " لنبدأ بسم الله "

قال أمير سيركا " يجب أن نحضر لوحا ونكتب فيه الدرجة التى ينالها كل منهما ، حتى نجمعها إذا انتهينا ، ثم نخرج النسبة المئوية ، وما زاد على ذلك نتجاوزه مهما كانت قصته جميلة ، ولا نذكر الدرجة إلا بعد أن يوضح كل منهما أوجه الجمال فى القصة "

قال الأمير عبد الرحمن " هذا حق ، وهو كذلك ، من الذى سيذكر درجة كل قصة؟ "

قال أمير سيركا قاضى مدينتى وقاضى هذه المدينة.

قال الأمير عبد الرحمن " وهو كذلك " أحـضر اللوح والمحبرة ، وكتب فى صفحة اسم الوزير وفى الصفحة الأخرى اسم حاذق ،

نظر الوزير إلى حاذق وقال " ابدأ لأنك شاب " فبدأ حاذق قصته بالتورية يقول :

أيها الصبى الزم مكانك لا يغرنك أبناء الدنيا

كان يعيش ثلاثة شبان فى مدينة تسمى كونا ، أحدهما يسمى خليل دهاء ، والثانى عبده عناية والصغير ناهىء عقل ، لم يلقبوا بهذه الألقاب عبثا ، ولكن لأن حال كل واحد يناسب اسمه .

وذات يوم قال خليل دهاء " يجب أن نجول فى الدنيا لنجرب هذه الهبة التى وهبنا الله إياها ، لنرى أينا أفضل ليترك الآخرون له القيادة ، ولكن ماذا نستفيد الآن من بقائنا، نختلف ونثير المشاكل ؟"

قال الآخران " أنت على حق يا خليل ، قديما قالوا الرجال كالبندق لا تعرفها إلا إذا كسرتها " واستعدوا وخرجوا إلى مدينة بيلا .

عندما وصلوا طلبوا مقابلة الأمير ، فأخذوهم إليه ، فانحنوا وحيوه ، استجاب[1] لهم الشرطة ، سألهم الحرس عن أسمائهم وصناعتهم ، ومن أين جاءوا وما هى وجهتهم. فذكروا أسماءهم واحدا واحدا ، وأخبروه أنهم جاءوا من كونا ، وسيتجولون فى الدنيا ، لعل الله يهديهم إلى حيث يحسمون الخلافات التى بينهم .

ضحك الأمير عندما سمع أسماءهم ، ثم نظر إليهم ، وقال " ما هو الخلاف الذى فرق بينكم وجعلكم تتركون منزلكم ؟"

قال خليل " لقد وهبني الله الدهاء ، وأعتقد أنه لا شئ أفضل من الدهاء فى هذه الحياة الدنيا ، وهذا عبده يعتقد أنه لا شئ أفضل للإنسان من قوة الملاحظة ،والشاب الأصغر ناهىء وهو يقول أن العقل لا يقارن بشيء ، لذلك خرجنا ، لنبحث عمن يفض هذا الخلاف بيننا فنرتاح"

قال الأمير " وهو كذلك ، لابد أن هذا الخلاف وصل إلى الحد الذى يخرجكم من المنزل لتهيموا على وجوهكم خلاصا منه."

(١) من عادة الأمراء فى بلاد الهوسا إذ قدم عليهم ضيف وحيا الأمير لايرد الأمير التحية ولكن يردها الحرس بدلا منه .

وكان هذا الأمـير يربى حوالى مــائه طائر من فصيلة أبى قـردان ، ولعلك تعرف أن شكل هذا الطائر واحـد ، ومع ذلك فى هذه الطيـور طائر واحـد يفضـله الأميـر ، ليس لشيء إلا لأنه يألف بنى آدم ، كلما حان وقت الظهر تتجمع هذه الطيور وتأتى إلى القصر فينفـصل هذا الطائر عن إخوته ويقترب من الأمـير ويقف ليداعبـه ، ورغم أنه تعود على رؤيته ، إذا دخل وسط الطيور لا يسـتطيع تمييزه منها . لكثرتها واتفـاق شكلها . بعد أن انتهى هؤلاء الشبان من سرد قصتهم للأمير ، جاء هذا الطائر ووقف على كرسى الأمير .

عندما نظر إليه الأمير قال " الحمد لله ، لقد حان وقت فض الخلاف بينكم لترتاحوا من الهيام على وجـوهكم فى هذه الدنيا "وأمسكِ أبا قردان وقـدمه لهم وقال " كل منكم يحاول الاستفادة من الهبة التى وهبه الله ، ويفكر فيما يفعله ليخرج هذا الطائر ، حتى لو دخل بين ألف ، من إخوته"

لاحظ عبده صفاته جيدا ، من القدم إلى الرأس، ناهىء عقل لم ينظر إليه ، وعندما كان يلاحظ نوعـها ، كان خليل دهاء يغافل عـيونهم ويصب له عصيـر ثمار الكولا على جناحه، وبعد أن انتظر الطائر قليلا أمرهم الأمير بتركه ، فطار .

قال الأمير " سأجعل خمسة جنيهات ، وخـمسة خيول ، وخمسة جمال ، وخمس بقرات وخمسة من العبيد ، لمـن يستطيع إخراجه من بين إخوته ، بالإضافة إلى ذلك أبني له منزلا ، وأعينه رئيسا للحاشية. "

قال الشبان " وهو كذلك ، سمعا وشكرا ، نسأل الله أن يحيينا إلى الغد . "

وعندما طلع النهـار تجمعت الطيور على باب قصـر الأمير حيث يقـدم لها الطعام ، وخرَج العـبد المكلف برعايتهـا وقدم إليها الطعـام ، فنادى الأمير الشبـان وقال " ها هى الطيور قـد خرجت ، من سيـأتى أولا ؟" قال خليل دهاء أنه سـيبدأ ، وقـد مرت الليلة الماضية والسماء تمطر ، لذلك غسل مـاء المطر القليل من ثمار الكولا التى ميز بها الطائر ، فحاول أن يخرجه فلم يستطع ، فعاد وقال أنه فشل وليذهب الثانى.

نظر الأمـير إلى الآخـرين ، وقال " من سـيليه؟ " فـقال عـبده قـوى الملاحظة أنه سيتقدم، فقام وذهب إلى الطيور ، فوجد أن الأشـياء التى لاحظها فى جسمها ، موجودة عند الجمـيع. فلما أدرك أنه تحير وعـجز عن إخراج الطائر ، قال " من التى تحـب الأمير منكم ؟"

فردوا جميعا " أنا - أنا " من الذى لا يحب صاحبه الذى يرعاه جيدا ؟"

فلما رأى أنه لا يجد ما يستند عليه ، عاد ، وقال أنه عجز ، فابتسم الأمير ونظر إلى ناهيء ، وقال " إذا عجز الأول والثانى كيف سينجح الأخير " فقام ناهيء وخرج إلى الطيور .

عندما وصل نظر إليهم ، وأمسك ذقنه تعجبا وقال " عجبا ، أمس قضيتم الليل تغنون ولكن التى ذهبت إلى الأمير أمس الظهر ، وأشار إليهم بفمه وقال " صوتها فاق الجميع "

فلما سمع هذا الطائر أنه يمتدحه قال " ويحك أيها الشاب لقد رأيتني وأنا كبير السن، وعندما كنت صغيرا ، كان الجميع ينظر إلى وأنا أغنى "

قال ناهيء " حقا يبدو هذا " ومد يده وامسكه وأخذه إلى الأمير ، فعندما عرف الأمير الطائر تعجب من هذا الشاب الذى أخرجه ، وأحضر كل ما وعد به ، وقدمه إليه، وعينه رئيسا للحاشية ، وأنضم الآخران إلى حاشية الأمير ، وقدم لهم ناهيء رئيس الحاشية شيئا مما حصل عليه فتزوجوا وعاشوا ، وأخذوا يرسلون الرسائل إلى والديهم من وقت لآخر .

وذات يوم كانوا يجلسون بالليل مع الأمير ، فجاء أحد المداحين وأخذ يعظم الأمير ويمتدحه ، حتى بدأ يفتر بما يقوله ، فقال رئيس الحاشية " نصرك الله ، أتعرف أن بمثل هذا الإطراء خدعت أبا قردان فكشف لى عن نفسه " فخجل الأمير من كلام المداح والطبال .

ابتسم أهل مدينه سيركا عندما سمعوا ببغاءهم يقص هذه القصة وبعد أن انتهى لاحظ الوزير أن قصة حاذق مليئة بالتورية فبدأ يقول .

ما شأن الرزق بالشعر السيء من وهبه الله الصبر لا يلام

كان قـديما يوجد رجل ثرى اسمـه عيسى العـامرى . لم يكن له مثيل فى الثراء ، ولكثرة ماله كان إذا ذكر اسمه تسمع الناس يمدحونه قائلين "صاحب المال الكثير فى المدينة " وكان أكبر أمر ينقص سعادته فى الحـياة الدنيا ، أنه لم يرزق بالابن ولا الحفيد ، لذلك كان يقول أنه ليس له هدف من هذا المال المكنوز الذى وهبـه الله ، وكل ما كان يفعله هو الاستمتاع وأكل ثمار الكولا ، وتدخين التبغ ، رجل دنيوى محب للمتعه ، وكان إحسانه كمطر السماء ، وكان أهله دائما يحاولون منـع الخير الذى يفعله ، ويقولون له " ياعيسى المال لا يحب من ينفقه فى الملذات " فيقول لهم "وهو أيضا لا يحب أن يجمع ويكنز "

فلمـا شعر أن أقـاربه يضايقـونه ، خرج ذات يوم للنزهة ، تذكـر أن هذا المال الذى وهبه الله ليس لاجـتهاده ، فطلب أن يجمع له كل المســاكين العميان والعـجزة فى المدينة ووزع عليـهم ماله صدقـة لوجه الله ، ولم يبـق لنفسه إلا شلـنا . فدعى له الجمـيع بأن يرحمه الله كما رحمهم ، ويجازيه خيـرا مما قدمه إليهم . وانصرفوا ، وذاع خبره فى كل أنحاء المدينة ، فشعر أهله بأنهم سيمـوتون من الغيظ ، لقد كانوا يتمنون أن يرثوا ماله بعد أن يموت ، طالما ليس له ابن ولا حفيد.

حدث كل هذا فى شهر ربيع الأول ، شهر المولد الـنبوى ، ولم يكتمل اليوم العاشر من هذا الشهـر ، حتى صار عيـسى لا يجد ما يأكل سوى مـا يقدم إليه الجيـران ، وأخذ أهله يسخرون منه ويقولون " لقـد قلنا لك أن المال لا يحب الإسراف ، ها اليوم لم يمض سوى عشرة أيام فقط على تبذيرك للثروة حتى بدأت تتسول ، نسأل الله أن يزيدك. "

لم تغير أحداث الزمن قلب عيسى ، فكان عندمـا ينال قرشا يتصدق بنصفه والنصف الآخر يشـترى به طعاما ، ويدعـو أحد العجزة ليـأكل معه ، وإن لم يجد أحـدا ، يدعو الكلاب والقطط فتأكل معه .

وفى اليوم الثانى عشر من هذا الشهـر أى ليلة المولد ، كان نائما فرأى رؤية ، سمع من يقول له " فى ظهر الغـد سيأتيك رجل يرتدى ثياب الطوارق ويقف أمـامك ، فعندما

تراه وقف ، تأخذ عصا غليظة ، وتضربه ضربا كثيرا ، فستراه قد تحول إلى مال كثير فتجمعه ، لقد بدأ الله يجازيك على خيرك ، وقبل مرور العام فى مثل هذا اليوم ، ستحمل زوجتك ، وتنجب ذكرا ، فأطلق عليه اسم سعيد . "

وهنا هب من النوم فزعا ، وجلس ، وتلفت حوله لما سمع ، وقال "هذا الأمر رؤيا أم ماذا ؟! ، الأفضل أن انتظر حتى ظهر الغد لأرى ، إذا رأيت أحد الطوارق جاء ووقف أمامي ، سأضربه بالعصا ، إذا تحول مالا ، حينئذ أعرف أنه لم يكن حلما ، ولكن رؤيا صادقة ، وإذا لم يتحول ، حيث يريد أن يأخذني فليأخذني ، يفعل بى ما يشاء"

ونظر خارج المنزل فرأى النهار قد طلع ، فقام وصلى ، ويحث عن يد فأس كبيرة وأخذها ، ولم يخبر أحدا برؤياه ، وقرب الظهر إذا بحلاق أسمه شعيب ابن الحلاق صاحب السلاح الحاد . يأتى إليه فى الممر ليقص له شعره ، لأنه حلاقة منذ كان ثريا .

جلس ابن الحلاق ويبدأ عمله ، وأثناء عمله نظر فرأى على يمين عيسى يد الفأس فقال له " هذه الفأس ستصلحها ؟ "

قال عيسى العامرى " نعم ، أنت تعرف إذا كسدت التجارة أتحول إلى الزراعة " وبعد قليل كاد أن ينتهى من الحلاقة ، إذ بأحد الطوارق يدخل الممر ، ولم يقل شيئا ووقف عند رأس عيسى ، وعند رؤيته تذكر عيسى رؤيا الأمس ، فقال للحلاق " انتظر " توقف الحلاق ، وقام عيسى وأخذ يد الفأس وأخذ يضرب الرجل حتى سقط على الأرض ، ولم ينطق الرجل بحرف واحد ، فاستمر يضربه بالعصا .

وهم الحلاق بمنعه فقال له " لا شأن لك أنت لا تعرف ما بيننا . "

وعند سقوطه رأوه قد تحول ، وصار مالا مكوما ، تعجب شعيب ابن الحلاق ، وقال فى نفسه ، " إذا ضرب الإنسان رجلا من الطوارق تحول مالا " أخذ عيسى العامرى عشرة شلنات وقدمها للحلاق ، وجمع الباقى وتوجه به إلى المنزل .

عندما وضعها فى مكان واحد ، جلس يحمد الله ، على هذه الهبة التى ردها الله إليه ، وما كاد شعيب ذو السلاح الحاد يخرج ، حتى قصد السوق واشترى عصا غليظة وأخفاها ، وقصد مكان تجميع الطوارق إذا جاءوا لبيع التمر ، فوجدهم قد ملأوا المكان يشربون السفرا . وعند وصوله دخل فى وسطهم ، ورفع عصاه وانهال عليهم ضربا ، فخرجوا جميعا يجرون ، فأمسك واحداً منهم وأخذ يطأه بقدميه ، ويضربه ، فلما سمعوا

رفيقهم يصرخ ، عادوا وهجموا على شعيب ، وأمسكوه وقادوه إلى رئيس السوق ، فسار بهم حتى وصلوا إلى الأمير وقالوا " ها الرجل المجنون جرح رفيقنا "

نظر الأمير إلى الجريح وقال " لماذا حدث هذا الأمر ؟"

قال الطوارق " كنا نجلس فى الكوخ نشرب الفرا ، فجاء هذا الرجل ودخل علينا وانهال علينا ضربا ، فلما رأينا أنه سيقتل أخانا ، فقلنا أيها الرجل صبرا ، فأمسكناه وجئنا به إلى هنا " وشهد الناس جميعا بذلك ، نظر الأمير إلى الطوارق ، وقال " لقد أصيب بالجنون ، يجب أن تصبروا، سآمر بوضعه فى الأغلال "

عندما سمع الحلاق كلمة الأغلال ، نظر إلى الأمير وقال " لا، كيف أوضع فى الأغلال وصحتى جيدة .؟" "

ابتسم الأمير وقال " وهو كذلك ، أين هى الصحة الجيدة التى تجعلك تعمل هذا العمل؟"

قال الحلاق " يوجد سبب لذلك ، أطال الله حياتك ، فى ظهر هذا اليوم ، كنت أقص لعيسى العامرى شعره ، فدخل أحد رجال الطوارق المر ، وعند رؤيته قام عيسى وانهال عليه ضربا ، فرأيته قد تحول فى الحال مالا ، وقد أعطانى من هذا المال عشرة شلنات هاهى. "

عندما سمع رجال الحاشية ذلك انفجروا فى الضحك ، وقالوا " لابد أن هذا الحلاق جن ،ولكن لنستدعى عيسى العامرى لنسمع كلامه " ، وفى الحال استدعى عيسى العامرى فجاء .

سأله الأمير ، فقال " هذا كذب ، كيف يحدث هذا ؟ ، منذ دعوته ليحلق لى ، رأيت أن رأسه فى هذا اليوم لم يكن متزنا " فقد جذب عمامتى وقال " ترون أنه لم يتم قص شعره ، قام وجرى وتركنى . "

نظر شعيب بن الحلاق إلى عيسى العامرى وقال " ويحك يا عيسى ، قل الحق ، لأنك ضربته كثيرا ، تريد أن تنال هذا المال الكثير وحدك ؟ ، لا تريد أن يعرف أحد سرك ، إذن دعنى أضرب هذا الرجل ، وسترى، ما إذا كان سيتحول مالا أم لا ، لقد كاد يوشك أن يتحول مالا ، ولكن حقدنا نحن أبناء السوق أفسد على الأمر . "

عندما سمع الأمير ذلك قال " لابد أنه جن ، يجب أن ننقله إلى السجن . "

ولما هموا بالخروج به ،ركع عيسى العامرى أمام الأمير وقال " بفضل بركتك ، أطال الله حياتك ، إذا وافقت ، أريد أن تتركه لى ،لأذهب به إلى المنزل ، لأعمل له بعض التعاويذ، وقبل مضى ثلاثة أيام إن لم يشق، وتعذر الأمر على سآتيك به لتساعدنا . "

قال الأمير " وهو كذلك ، اذهبوا ، ربنا يشفيه . "

أخذ عيسى العامرى يده وهم بالخروج ، فنظر إلى الطوارق وقال "عجبا ،هذا المال بين أيديكم كثير ، وتتركونه ينصرف . " فانفجر الجميع فى الضحك ، وتفرقوا .

أخذه عيسى العامرى إلى المنزل ، وأخذ يهدىء من روعه ، ويقول " الله هذا حلم لا تتبعه لقد كاد يسجنك دون ذنب ، منذ أن جئت إلى فى هذا الممر وأنت تنفس ، وتأخذك سنة من النوم وأنت تقص شعرى ،أن لم يكن حلما هل رأيت من قبل رجلا يضرب فيتحول مالا ؟ فكر فى هذا بعقلك . " وأخذ يضرب له الأمثال ، حتى اقتنع بأنه كان حلما كاد يجنه عندما أدرك عيسى العامرى أنه اقتنع ، اصطحبه إلى المنزل وعاد به ، وكان كلما جاء ليقص شعره، يذكره بهذا العمل الذى قام به ، فيضحكون .

وبعد حوالى شهر ، حملت زوجة عيسى العامرى ، ولم يمر العام حتى أنجبت له مولودا ذكرا ، فلم ينس ما قيل له ، فأسماه سعيدا ، وأقيم له فرح كبير .

وحينما كان يذهب ابن الحلاق فى المدينة ، كانوا يسخرون منه ، ويقولون " ابن الحلاق صاحب الطوارق . "

عندما سمع أهل سيركا هذه القصة حدقوا فى الوزير الببغاء وهم يتعجبون ، ونظر أمير سيركا إلى الأمير عبد الرحمن وهز رأسه ، وهم حاذق فى أن يأخذ دوره فى القصص فقال أمير سيركا ، " يجب أن نذهب لصلاة العصر ، وأن يستأنفوا القصص فى الغد ، العمل الذى يؤدى للتسلية يكون عملا سهلا كأكل العمياء للبيض " ، وتشاور القضاة فى الدرجة التى تمنح لكل قصة ، فقالوا " قصة حاذق ثلاثون درجة وقصة الوزير خمسون " ، وتفرق الناس فقال أمير سيركا للقضاه " يجب مراعاة الحق . "

ثم قال القضاة لحاذق والوزير " نريد قصصا فقط دون تورية ، أنتم تعرفون أن مصلحة الأمير عبد الرحمن وأمير سيركا واحدة "

قال الوزير " وهو كذلك ، لقد غر الشباب حاذقاً ، ولكن لا بأس .

عندما وصلوا إلى المنزل نادى أمير سيركا حاذقاً وقـال " القصة التى قصصتها جميلة ، وعليـك أن تجـتهـد اليوم أيـضا ، وفكر فيـما هو أفـضل منها ، إذا اعطوه خـمسين هذا لايهم ، سنمكث حوالـى اثنى عشر يوما هـنا نروى القصص ، طالما أن القصص جـميلة سيترك لك المجال حتى تنتهى . "

قال حاذق " لأنني لم أعرف حقيقة أمره ، غدا سنلتقى . "

وبعد المغرب بعث الوزير إلى حاذق ليذهبا ليتناولا الطعام معا ، وحملا معا وأحضر لهما ألواناً شتى من الطعام ، فأكلا وشبعا وكان بعض الأطعمة لم يسمع حاذق اسمها من قبل .

عندما انتهيا من الطعام أمر الوزير أن يحضـر لهما ثمار الكولا ، المقطع ، فملأ فمه وأعطى حـاذقاً قطعـة ، فقـال حاذق ، " إنه لم يأكـل ثمار الكولا من قـبل ماذا يفـعل لمضـغه؟ " ابتـسم الوزير وأمر أن ينقل حـاذق إلى المنزل ، فـذهب وهو يتعـجب من هذه النعمة التى يتمتع بها الوزير .

وطلع الفجر ، وحان وقت الظهر ، فاجتمع الناس مرة أخرى وبدأ حاذق قصصه .

قصة كلالا وكلالة

كان يوجد رجل يسمى كلالا وله امـرأة تسمى كلالة ، لقد خلق الله كلالا من النوع الذى لا يكره شيئا كما يكره أن يأكل طعاما وحده ، وقد تعود أن يدعو جاره على الطعام وكان هذا الجار كثير النميمة ، فكان دائما يقول أن كلالة لا تجيد عمل الحساء ، فحساؤها دائما كثير الملح مما يجعلها تضيف إليه الكثير من الماء .

فلما لاحظ كلالا أن نميـمة جاره قد زادت عن الحد ، كف عن حـمل الطعام إليه ، وتعـود أن يخرج إلى الطريق ، ويبحث عن أى ضـيف ويأتى به إلى المنزل ليأكلا الطعام معا .

وكانت كـلالة لا تحب هذه العادة فى زوجها ، لأنـه على سبيل المثال ، عندمـا كان يذبح دجـاجتين ، يـكون أقصى نصـيب كـلالة فخـذة منهـا ، لأن كـلالا كان يحـمل الدجاجتين معا ويقدمهما للضـيف الذى يدعوه ، وقد حاولت كثيرا منعه من هذه العادة ، دون جدوى . لذلك رأت على أن تأكل نصف الدجاجة إذا قدمها إليها لتطهيها ، وإذا قال لها كلالا شيئا تدعى أنها احترقت . أو تقـول أنها نزلت ودخلت الحجرة لتحضر إناء وقبل أن تخرج وجدت القطه أكلت نصف الدجاجة ، وسبب هذا التـصرف هو ما كانت تعانيه كلالة كل يوم ، ولكن لما جبل عليه زوجها من الصبر لم يقل لها شيئا.

وذات يوم وجـد كلالا مـالا ، فذهب إلى السـوق وبحث عن دجـاجتين كـبيـرتين واشتراهما وتسـوق وعاد إلى المنزل ، وطلب من كلالة أن تحمر الدجاجتين مـعا ، فقامت بعد أن أعـدهما لها ووضعـتهمـا فى الإناء وبدأت تحمرهـمـا ، وما أدراك ما الدجاجـتان السمينتـان ملأ الدهن الإناء ، وأخذ صوت التـحمير يملأ الحجـرة إذا قلبتهمـا ، واستولى عليهـا الشوق للدجاج ، لقـد تسمرت عيناها واللـحم ، كأنها ذئب رأى فريسـة ، وأخذ لعابها يسـيل، فمدت إصبعهـا لتذوق ما إذا كان الملح مناسبا أم لا ، فـشعرت ، أن طعم الأكل قد سيطر عليـها ، فقالت " هاتان الدجاجتـان نضجتا اليوم بسرعـة ، ورغم أنهما دجاجتان فإن نصيبى لن يزيد عن فخذة واحدة منهما ، لقد حيرنى طبع هذا الرجل "

واستمرت فى تحمير الدجاجتين ، وقد انتشرت رائحتهما ، وحاولت أن تصبر ولكنها عجزت عن الصبر ، فأخذت قطعة وذاقتها ، فاشتهتها ، وقبل أن يتم تحميرهما كانت قد أكلت نصف دجاجة ، ونزلت وذهبت إلى زوجها وأخبرته أنها حمرتهما .

قال كلالا " وهو كذلك ، خذى فخذة واحدة لك ، واحفظى الباقى، حتى أخرج وأبحث عن ضيف " .

قالت كلالة " وهو كذلك " ، وخرجت وأكلت الفخذة التى قال أنها نصيبها ، وجلست تحدق فى الباقى ، والسمن يقطر منها ، وخرجت تطل من باب المنزل لعل زوجها يأتي بضيف ، فلم تر أحدا ، فعادت إلى الدجاجتين تحدق فيهما ، ثم قالت "لقد احترق الجناحان منذ قليل فلآكل الجناحين الآخرين حتى تتساوى الدجاجتان ، حتى لا يدركهما رب البيت" ، ثم أمسكت الجناحين وشدتهما والتهمتهما وخرجت مرة أخرى إلى الممر لترى لعل زوجها قد وصل ، فلم تر أحدا ، فعادت ووقفت أمام الإناء الذى تضع فيه الدجاجتين ، وقالت " هل رب البيت سيأتي ؟ ، ها الدجاجتان قد بردتا ، إذا جاء يا كلالة الآن ورأى هذه الدجاجة وقد نزعت جناحيها وسألنى ماذا أقول له ؟ ، الأفضل أن آكلها كلها ، وإذا سألنى عنها أقول " أن قطة البيت سرقتها " ثم جلست وأكلتها كلها ، وجمعت العظم ورمته فى الخلاء.

وعادت إلى باب الممر لتنظر زوجها فلم تره ، فعادت تقول فى نفسها " ترك الطعام ليبرد يجعله،من نصيب الغير ، هيا آخذ فخذة واحدة ، ليرتاح الجميع وإذا عاد ليكن ما يكون " ثم أخذت دجاجة وأكلتها ، وذهبت إلى الزير وملأت الإناء وشربت وتجشأت ، وقالت :

"الحمد لله ، ليكن ما يكون . "

وبعد أن جلست إذ برب البيت يدخل ، فقال لها " بسرعة اطحني الفلفل وانثريه على الدجاج ، تعرفين اليوم برد ، ولا شئ أكثر فائدة من التوابل ، لقد نسيت أن أقول لك ، اطحني الفلفل الآن ، اصبرى ، اليوم أنت مشغولة . "

قالت كلالة " لا بأس ، انتظرني قليلا . " ودخلت الحجرة تفكر فيما ستقوله لزوجها عما حدث للدجاج ، وأثناء وجودها فى الحجرة ، أخذ كلالا السكين وقصد المسن وأخذ يسنها ، حتى تكون حادة فيقطّع الدجاجة أجزاء صغيرة ، عندما تحضرها زوجته .

بينما كان كلالا يعـانى من سن السكين سمعت كلالة شخصـا يستأذن، فنظرت إليه وأبدت الدهشة وقالت " أنت الضـيف ، أنت الذى استدعاك رب البيت ، جـئتم لتأكلوا الطعام ؟ "

قال الضيف " نعم جزاكم الله خيرا "

قالت كـلاله " اذهب بسرعـة يا غبي ، أنت لا تـعرف ما فى الأمـر ، هل تظن أن رجلا عـاقلا يخـرج إلى الشارع يبحث عـن ضيف ليأكل ؟ ، إذا كنت أنـت خذ الطريق بسرعة وانج بنفسك . ألا تسمعـه هناك يسن السكين، سيقطع إحدى أذنيك ، يفعل ذلك كل يوم ، إنه مجنون . "

فلما أنصت الضـيف سمع كلالا يسن السكين ، فـوضع ذيله بين أسنانه واندفع فى الجرى ، وأسرعت كلالة إلى زوجهـا وقالت " تدعو كل من هب ودب ، دون أن تعرف نوع الناس الذين تدعوهم إلى المنزل . "

قال كلالا " مجنون ؟ "

قالت كلالة " مجنون أو عاقل لص ، الـلص والمجنون سواء ، ما كاد يرى الدجاج الذى نثرت عليه التـوابل ، حتى رأيته يهب قائما ويخطفه ، ويجـرى بهما ، ها هو هناك يجرى متجها إلى السوق . "

غضب كلالا وقـال " لعن الله ابن الحرام ، أبناء هذا الزمان لا يسـتطيع الإنسان أن يجادلهم ، ألا يـترك لى ولو واحدة لأجـد ما آكله ، أيأكل هاتين الدجـاجتين الكبـيرتين وحده ؟ دعينى انظر لعلى أراه نقتسمهما معا " وأسرع إلى الممر يتطلع إليه ، وإذا بالضيف يجرى مسرعا وكأنه يسابق الريح . فقال كلالا " يا صديقى ، انتظر ، بالله عليك أعطني ولو واحدة ، والله زوجتى لم تذقها " ، وكأن الضيف لم يسمع شيئا .

قالت كلالة للزوج " اتبعه ، بسرعة ، إنى متأكده أنه لن يستطيع الهرب منك ، كل هذا التـعب الذى عانيـته يذهب هـباء ، لم ألحس واحـدة منهمـا ، أنت تعرف أنه أخـذ حقنا . "

وأخذ كـلالا يجرى وراء الضـيف والسكين فى يده ويناديه قـائلا " بالله انتظر أريد واحدة فقط ، وأترك لك الباقى "

وكان الـضيف يظن أن كـلالا يقصـد أن يقطع أذنا واحدة فـقط ويترك لـه الأخرى فالتفت فرآة يجرى ووراءه رافعا السكين فى يده ، لذلك أخذ يزيد من سرعته وأخذ يفر من كلالا وكأنه لا يسمع ولا يرى .

فلما أدرك كلالا أنه لا فائدة ، استدار وعاد إلى منزله والسكين فى يده ، وهو يقول "حسبى الله ، حـسبى الله" ، فلما رأته الزوجة عائدا يسب ويلعن قـابلته وقالت " هل أعطاك ، هذا ما كنت أحذرك منه دائما "

قال كـلالا " لم الحقه ، هذا الملعـون يجرى جريا ، من يره يدرك أنه رجل عـجوز ولكن إذا اندفع فى الجرى أشعر كأن قدميه لا يمسان الأرض . دعيه يأكلهما لن أسامحه لا فى الدنيا ولا فى الآخـره ، حسبى الله " ، ومن يومـها حتى اليـوم ، لم يدع أى إنسان ليأكل معه الطعام ، طالما أن الدنيا تغيرت ، لعن الله المساكين ، لم يعد فيهم الصديق .

انفجر الناس الذين يسمعون القصة فى الضحك وعندما سكتوا بدأ الوزير قصته .

قصة يوشع الصخرة الذى لا يخاف

فيما مضى كان يوجد صبي خصه الله بقلب كالصخر لا يخاف شيئا، لذلك كان يفتخر بنفسه ويقول أنه لا يوجد فى كل هذه الدنيا ما يجعل قلبه يخاف أو يخفق ، وكان رفاقه من الصبية يدبرون له من الأمور ما يجعل قلبه يخفق ولكن دون جدوى . لذلك أطلقوا عليه لقب الصخرة ، فعندما يقابلونه يمدحونه بقولهم " يوشع بن نازعى الصخرة الذى لا يخاف "

ولما سمع جده ذلك ، قال لا بد أن يخيفه حتى يجعل قلبه يخفق ، ولم يعرف يوشع ذلك ، وذات يوم ذهب فى منتصف الليل ليسمر فى أحد الأحياء ، وانتصف الليل ولم يعد ، وعندما علم جده بذلك ؛ قام وأحضر بعض عيدان الحطب وربطها فى بعضها حتى صارت كخيال المآته ، وألبسه قميصاً أبيض ، وجعل له رأسا أبيض ، وقام وحمل خيال المآته ، ووضعه على رأسه ، وذهب إلى الطريق الذى يسلكه الصبى واختبأ .

وبعد منتصف الليل انقطعت حركة الناس ، فسمع الصبى قادما يغنى، فخرج من مخبئه ، وانقض عليه ، فلما أدرك يوشع أنه يقصده قال " أنت يا طويل ورفيع هل أنت من الجن ، لعل الله لم يخلقك سويا ، ها أنت رفيع جدا ولكن رأسك مثل رأس الفأس ، أم أنك عفريت ؟ إذا كنت عفريتا أريد أن أراك وأنت حى طول النخلة .

لم ينطق جده حرفا واحدا ، وتوجه إليه وطأ رجله ، فوقف وقال " لا، شقاوة الجن والعفاريت وصلت إلى ؟ ، أنت يا طويل لماذا تطأ قدمى ؟ ، رغم أن طولى لا يمكننى من أن أصفعك ولكن أستطيع ضربك بالعصا ." ثم ضرب جده بقبضة يده .

ورفع يده مرة أخرى ليضربه ، فألقى الجد بعيدان الحطب وقال " أنا جدك ناريمى لا تضربنى .

ابتسم الصبى وقال " جدى لماذا فعلت ذلك حتى جعلتنى أضربك ؟"

قال ناريمى " سمعت الناس يقولون ، لا يستطيع أحد أن يجعل قلبك يخفق ، لذلك عملت هذه الحيلة حتى أخيفك ، ولكن هم على حق ، غدا أذهب إلى الأمير وأخبره بشجاعتك . "

قال الصبى " يا جدى ما الذى يخيفنى ؟ لا أعرف ما يسمونه الخوف، هل يوجد الآن فى هذه الدنيا ما يجعل قلبى يخفق ؟" ابتسم الجد وعادا إلى المنزل .

ولما طلع النهار ذهب الجد إلى الأمير وقال له " إن لى حفيدا لا يوجد شئ يجعل قلبه يخفق من الخوف ، إذا كان الأمير يريد أن يرى ذلك فليرسل من يدعوه لتجربته " ، قال رجال الحاشية " أطال الله حياتك هذا الصبى مشهور بعدم الخوف ، منذ أن خلق لا يوجد ما يجعله يخاف ولو مرة واحدة . "

قال الأمير " وهو كذلك " الحمد لله ، غدا آتونى به لأجربه ، هل تجرب المصارعة بدون وجود الأرض التى يصارع عليها . "

عندما طلع الفجر نادى الجد الصبى وقال ما حدث عند الأمير ، فقال الصبى " وهو كذلك فلنذهب إنى أشك فيما سيفعل . "

وبعد صلاة الظهر ذهب الصبى وجده إلى قصر الأمير فوجدا القصر قد امتلأ ، وكل يقول ما يحق له ، فركعا وأديا التحية ، فقال الجنود " إنه يحييكم "

نظر إليهم الأمير وقال " حضرتم ؟"

قال الجد " نعم ، نصرك الله ، ها هو الصبى . "

نظر الأمير إلى الناس وقال " أرأيتم الصبى الذى يقال أن قلبه لا يخفق مطلقا من الخوف ، أريد أن أختبره ، ولكن اشهدوا ، إذا أهلكه الجن ، أو جن ، فلا تلومونى ، سأجعله ينام فى حجرة أسفل شجرة التمر هندى التى يسكنها الجن ، فإذا قام سليما صباح الغد ولم نسمعه يصرخ أو يخاف ، سأزوجه ابنتي . "

فلما سمع جد الصبى ذلك دمعت عيناه ، ونظر إليه جميع رجال الحاشية ، وضحكوا ، فالكل يعرف أن هذه الشجرة يسكنها ملك الجن وحاشيته ، إذا انتظر الأنسان حتى يأتى عليه المغرب أو تتوسط الشمس السماء وهو قريب من هذا المكان ،حكم على نفسه بالهلاك ، هذا الأمر ليس تشاؤما ولكنه حدث أكثر من مرة ، لذلك أطلقوا على هذا المكان "الموت القريب".

عندما سمع جد الصبى ذلك قال " أطال الله حياتك ، إذا كنت ستختبره بهذا ، فإنه لا يستطيع ، فقوته لم تصل إلى هذا الحد . "

فهب يوشع قائما وقال " لماذا تقول ذلك ؟ ، لا يوجد فى كل هذه الدنيا ما يجعل

قلبى يخفق خوفا ، ولا أصرخ ؟ ، ويحك أطال الله حياتك ، ألم تسمع أخبارى ؟ ، أنا الصخرة ابن ناريمى الذى لا يخاف ، أسأل الله أن يحيينا إلى المغرب "

وحاول جده كثيرا أن يمنعه ، فهب واقفا وأصر على النوم فى هذا المكان ، فلما يئس من منعه قال " اذهب ، من كتب عليه أن يضـرب لا يسمع النصح " واستأذنا من الأمير وذهابا إلى المنزل ، وناريمى يفكر فى هذا الأمر ويقول " إن الفم هو الذى يقطع العنق "

وعندما جاء المغرب أخـذ الصبى حصيرة صغيرة ، وذهب أسفل شـجرة التمر هندى ودخل الحجـرة ، وفرشها ، وأشـعل المصباح ، ورقـد ، وترك المصباح يضئ الحـجرة ، فجاءوا وأخـبروا الأمير ، فأمر أربعـه من العلماء أن يبحثوا عن مكان قـريب من الشجرة ويختفوا فيه ، ويقفوا حيث يستطيعون رؤية خيال الصبى داخل الحجرة ، حتى لا يخرج .

بينمـا هو راقد إذ بأحـد الجن يشق حائط الحـجرة ويخـرج ، لايزيد طوله عن زراع واحد ، ولكن رأسـه أكبر مـن حجم الزير ، وجلس أسفل المصـباح مع الصـبى ، وأخذ يحدق فـيه بعـينيه ، فـقال له يوشع " ماذا أعطـيتنى من الوديعة حـتـى تضايقـنى بهذه النظـرات هكذا ؟ أم لك طفل يشـبهنى ضــاع منـك ؟ " لـم يقل له هذا الجنى شيـئا ، وأخذ يلعق شفته بلسانه ، فـقــال الصبى " كل نفســك واشــرب من الماء القذر " فلم يقــل له الجنى شيئا .

وهما يجلســان على هذه الحال إذ بفخذ رجل تسـقط على الأرض وهى تقطر دما ، نظر يوشع إلى الفخذ وقــال " عجبا ، لابد أن صاحب هذه الفخذة كـان ضخم جدا قبل أن يموت ، ولكن مثل هذه الضخامة لا تنم عن قوة ، دعنى أرفع الفخذة ، لأعرف ما إذا كان قويا أم لا " .

رفع يوشع الفخذة فلاحظ أنهـا خفيفة ، فقال " لعنة الله ، ضخامـة لا قيمة لها ، كل هذه الضخامة لا فائدة منها " ثم القى بها ، وعاد وجلس بالقرب من الجنى القصير ، وأثناء جلوسة وجـد فخذة أخـرى تسقط بجوار الفخـذة الأولى وقبل أن يتحـرك سقطت بعض الأيدى ، ولم يفـعل الصبـى سوى الضـحك عليهـا ، وبعـد قليل سقط القـفص الصدرى وأخذ كل عضــو يلتصق بنده حتى اكتمل جسم إنســان وقام وتوجه إليه ، ولكن دون رأس فقـال الصبى " كـبير عـلى الفاضى ، ضخـم دون فائدة ، انتظر حتـى يسقط رأسك إذا أردت أن نسمر معا "

لم يقل الجنى شيئا ، ثم جاء إلى ذلك القصير الذى وصل فى بداية الأمر ، وداسه بقدمه وأمسك إحدى يديه وأخذ يكسرها إربا إربا ، وتركه يبكى ، وهم بالجرى وإذ بخمسة من الجنّ يشقون الحائط ويخرجون ، فلما رأوا ما حدث ، أخذوا يشفقون على أخيهم الذى تكسرت عظامه ، وقالوا " لا،لا ، كردمى أنت الذى كسرت طند جزجى ؟ والله إذا جاء ملك الجن سينتقم منك ومن هذا الصبى الذى يحمل المصباح .

فقال الصبى " إذا كنتم تعبثون بالقول لا تجعلونى معكم ، لعلكم ترون هذا الفاسد ذا الأذن الكبير ، كيف تقولونْ أننى سأهلك ؟

أختصر لكم القصة ، أخذ هؤلاء الجن يعرضون له مما يخيف ألوانا حتى طلع النهار، ولكن يوشع لم يخف ولم يخفق قلبه .

ولما طلع النهار أخذ حصيرته الصغيرة وتوجه إلى قصر الأمير وقال إنه عاد ، الذين كانوا يجادلون فى شجاعته قالوا إنه لم ينم ، ولكن العلماء الأربعة شهدوا أنه نام ، عجز الأمير عما يسره ، فقد وعده وعدا لا يستطيع التحلل منه ، والناس يتعجبون من شجاعة الصبى ، وجده سعد بنجاته .

قام الأمير ودخل القصر وهو غاضب ، واستدعى ابنته وأمها وقص عليهما هذا الأمر كله ، فلما رأت الفتاة غضب أبيها وأمها قالت " لا تغضبوا بلا فائدة ، قلت ولا خفقه " ، فقال " لم ير ما يجعل قلبه يخفق ؟"

قال الأب " نعم ، إنه على حق ، لا يوجد فى كل هذه الدنيا . "

قالت الفتاة " وهو كذلك ، هل انتهيتم ، أنتم الكبار ؟ ويبقى أن نفعل نحن الصغار ما نرى"

ضحك الأب وقال " أيه محاولة لديكم أنتم الصغار إلا اللهو ؟"

قالت الفتاة " أريد إذا وافقت ، أن تذهب الآن وتعلن وسط الجمع أنك وافقت ، ولكن بشرط واحد ، وهو إذا حدث أمر يجعل قلبه يخفق من اليوم وحتى مثل هذا اليوم فى الأسبوع القادم ، تفسخ الخطوبة "

ضحكت الأم وقالت " أسمعت هراء هذه الفتاة ، من نام فى حجرة الأصنام ولم يخف ، ماذا سيخيفه فى منزله ؟"

قال الأب " دعينى أذهب وأقول له ، حتى لا ندع حيلة تفوتنا . " ثم خرج إلى الممر وأخبر الناس بذلك ، وشهد الجميع ، ضحك يوشع واستأذن من الأمير وذهب إلى منزله ، فأخذت والدته تزغرد من شدة السرور ، وكانت الفتاة تعرف أنه طالما نام فى حجرة الأصنام أمس ، فلا بد أن الجن لم تدعه ينام ، وطالما ان الأمر كذلك فإنه سينام نوما عميقا هذه الليلة ، والليلة سيكون الجو غاية فى البرودة ، لذلك قامت الفتاة فى الصباح وطلبت من والديها أن يُبعث من يوقظ الوزير والقاضى وكبار رجال المدينة والأربعة العلماء الذين بعثهم الأمير لمراقبه الصبى ليله أمس الأول ، وعندما اجتمعوا طلبت الفتاة ماء بارداً جدا من زير جديد ، وأعطته لأمير الحرس ليحمله ، وذهب الجميع إلى المنزل .

عندما وصلوا إلى باب القصر ، طلبت منهم ألا يتكلموا ولا يتحركوا، وطلبت أن يتسلل احدهم ويوقظ جد الصبى ، وأخذ الكل يحدق فى الفتاة ليعرف ماذا ستفعل ، ثم طلبت من جد الصبى أن يدخل أمامها ويريها حجرة حفيده ، ولكن إذا دخل لا يوقظه ، أو يقوم بحركه شديدة هو أو غيره .

وصلوا فوجدوا الحجرة مغلقه بستارة صغيرة ، فمدت يدها بهدوء وجذبتها والصبى نائم ، وليس عليه إلا الستـرة ، وقد غلبه النوم حتى لم يشعر بالبطانية عندما جذبت من فوقه ، وأخذت الماء البارد وتسللت إلى الحجرة وسكبته على جسمه فما كاد هذا الماء ينصب عليه حتى انتفض وارتعد وقام ، وقال " من ؟ من ؟ فصفق كل الناس مرة واحدة وانفجروا فى الضحك وقالوا " لقد انتفض لقد انتفض "

عندما فتح يوشع عينيه ، وأدرك الحيلة الماكره شعر بالخجل ، ومن شدة الشعور بالخجل لم يدع الفجر يطلع عليه ، إلا وقد ترك المدينة ، وأخذ الناس يتعجبون من ذكاء هذه الفتاة .

عندما عاد الأمير إلى قصره وقال لأم الفتاة ما حدث عانقها الجميع من شدة السرور، ولما طلع النهار طلب الأمير الصبى ، فقالوا إنه ترك المدينة ، فجعل الناس يتبعونه ، وقبل الظهر عادوا به ، فعينه الأمير أميرا للحرب ، وأعطاه منزلاً كبيرا ، وزوجه الأمير امرأتين من أبناء عبيده ، وقد كان يكره أن يزوجه ابنته ، لأنه من أفراد الشعب وأمر الأمير بهدية كبيرة لجد هذا الصبى لشجاعة حفيده ، وأخذوا يستمتعون بحياتهم فى هدوء ، وكان كلما ذهب أمير الحرب إلى الحاشية يقول له الأمير " يوشع أمير الحرب ابن ناريمى الصخرة

الذى لا يخـاف " فـيرد قـائلا " إنى لا أخـاف إلا من الماء ، نصرك الله " فـيضـحك الجميع .

قال الناس" ليس أميرا فقط " ، كل من يسمع هذه القصة ، لابد أن يضحك ، قال القاضى "حاذق عشرون والوزير سبعون "

تجهم وجه أمير سيركا وقال " قاضيان فى النار وقاض فى الجنة "

وعادوا إلى المنزل ، فأمر الوزير من يذهب ويستدعى حاذقاً ، ليتناولا الغداء معا مرة أخرى ، وعندما انتهيا ، أمر أن يحملوه ويعودوا به إلى منزله .

وعندما طلع النهار وأدوا صلاة الظهر ، اجـتمع الناس مرة أخرى ، وجاء الناس من القرى البعيـدة ، ليسمعوا أخبار هذا الجمع الكبـير ، وأمر الناس بالسكوت ، وبدأ حاذق يقص قصته .

الكذاب يعرق حتى ولو كان فى الماء

ذات يوم خرج سبعة من الفلاتا من أكواخهم ليلعبوا لعبة الشارو ، وأثناء سيرهم وصلوا إلى إحدى المدن ، ورأوا أنهم إذا استمروا فى السير سيأتى عليهم الليل قبل أن يصلوا إلى المدينة التالية ، لذلك نزلوا فى ممر كبير بمنزل رئيس القصابين ، وكان مع أحدهم بعض المال دون أن يعرف أحدٌ من رفاقه بذلك ، وبينما كانوا يسمرون فى منتصف الليل أخذ ماله وعده فوجده خمسة عشر ، فأعاده وربط عليه السترة ، وقال " إذا عدنا سأتزوج " قال إخوته "إننا لم نأت بمال ، ونطمع أن تنال من فضله "

وكان أحدهم لا يملك شيئا وقلبه مملوء بالحقد ، فقام بالليل وسرق هذا المال ، وحفر حفرة ودفنه فيها ، وعاد ونام فى مكانه.

وعندما طلع النهار هموا بالرحيل ، فحل صاحب المال سترته ليأخذ المال ويعده، فوجده قد سرق ، فأخذ يلعن ويسب ،وقال أن إخوته سرقوه حقداً عليه .

عندما سمع رئيس القصابين هذا السباب فى الممر ، خرج وسألهم ، فقص صاحب المال الأمر كله ، فلما سمع رئيس القصابين ذلك ، حاول أن يعرف السارق ، ولكنه عجز .

فقال لصاحب المال " هل توافقون أن أذهب بكم إلى القاضى ؟"

قال صاحب المال " يجب أن نذهب إلى القاضى هذا ثمن بقرة واحدة ، لا يمكن ذلك " ، فأخذهم رئيس القصابين إلى مجلس القاضى ، سأل القاضى صاحب المال فقص عليه ما حدث، فلما سمع القاضى ذلك قال لباقى الفلاتا " إذا كان ما حدث ليس بقصد السرقة ، بالله عليكم ردوا إليه ماله ، واذهبوا لشأنكم ، وإذا كنتم أخذتم المال بقصد المزاح ، لا ينبغى أن أذهب بكم إلى المحكمة "

فقالوا جميعا فى وقت واحد " أطال الله حياتك ، لم نأخذ منه مالا "

قال القاضى " ويحكم ، أنتم تحبون المزاح كثيرا ، أقول لكم إذا كنتم تختبرونه لتعرفوا ما إذا كان يخاف أم لا ، فقد خاف ، فردوا إليه حاجته واذهبوا لشأنكم "

قال " الفلاتا حد الله بيننا وبينه لم نأخذ ماله " ، عندما قام القاضى بهذه الأفكار القضائية ولم تفلح أحضر ستة عصى طويلة ، وقاس طولها والجميع ينظرون إليه وقطعها قطعا متساوية ، ووزعها عليهم وقال لرئيس الشرطة " اذهب بهم إلى مكان الحجز حتى غد " ، وقال " لقد قلت لكم " إذا كنتم تمزحون ، قولوا الحقيقة وانصرفوا ولكنكم رفضتم ، وهو كذلك ، فأنا قاض لا أكذب ، وورثت القضاء جدا عن جد غدا إذا جئتم عصا اللص ستكون أطول من باقى العصيان شبرا ، أيها الناس ألا ترون أن أطوالها متساوية ؟" .

قال الناس " نعم ، غفر الله لك يا سيدى "

ونظر إلى الفلاتى وقال " أنتم ألستم ترون ذلك ؟"

قال الفلاتيون " نعم ، أطال اللهّ حياتك " قال القاضى " وهو كذلك ، يا رئيس الشرطة اذهب بهم ، وأنت يا كبير القصابين اذهب بصاحب المال إلى منزلك حتى الغد " فذهبوا ، وعندما انتصف الليل ، نام الجميع ، إلا أن اللص تحير ولم يعرف ماذا يفعل ، وتأكد أن القاضى سيسجنه صباح الغد ، إذا وجد عصاه قد زادت ، نصف شبر ، لذلك قاس نصف شبر وأخذ سكينة من خصره وقطعها ، وقال " غدا إذا زادت عصاه ستكون مساوية لعصى الآخرين " .

عندما طلع النهار جاء القاضى إلى المحكمة ، وطلب من رئيس القصابين أن يأتى بضيوفه وجاء رئيس الشرطة بالآخرين ومع كل منهم عصاه فى يده ، وعندما اجتمعوا قال القاضى " أيها الناس ، كل منكم يقترب لنرى " . عندما اقتربوا نظر الفلاتا ليروا قدرة القاضى ، فأخذ العصى وقاسها ، فإذ بعصا اللص أقصر من عصيهم نصف شبر ، انفجر القاضى فى الضحك وطلب من الشرطة أن تستجوبه ، حتى يدلهم على مكان المال، فلما شعر اللص أنه لا فرصة للإنكار قال " ليرسل القاضى معى أحدا لأحضره "

قال القاضى للشرطة ، اتركوه ، وأمر رئيس الشرطة أن يذهب معه ، حيث يخفى المال ، فكشف عنها وأخرجها ، فأخذ صاحب المال ماله ، وأمر القاضى بجلد اللص ست جلدات ، وسجنه ثلاثة أشهر وصرف الباقين فعادوا إلى أكواخهم يقصون القصة فلما أطلق سراحه أخذ إخوته يسخرون منه ، وينادونه قائلين " الطويل صاحب العصا القصيرة"

عندما وصل حاذق إلى نهـاية هذه القصة ، قال الوزير " هل قـرأت الكتاب العربى الذى يقال له بحر الأدب ؟

قال حاذق " ماذا تعنى ؟"

قال الوزير " أعرف أن قصتك فى هذا الكتاب "

قال حاذق "لا ، أنا ابتدعتها "

قال الوزير " لا تثر خلافا لست على حق فيه ، كل مـا غيرته فيها أمرين فقط الأول قلت أنه فلاتى ، والثانى أنك أطلقت على الشخص الذى نزلوا عليه اسم أمير القصابين ، ما عدا هذا لم تغـير شيئا ، وحـاولت أن تحكيها جيـدا عندما شعر حاذق أنه غـير صادق سكت ، حتى لا يطلب الكتاب ويفتحـه ويخجله أمام الناس ،عندما سكت الناس ، قال الوزير لحاذق " دعنى أقول لك عكس القصة التى رويتها . "

ليس من الصدق أن تهمل حكم الشرع لتنال السعادة

ذات يوم وضع أحد الخشابين الخشب على ظهر حماره وقصد السوق لبيعه ، وأثناء الطريق ناداه رجل وطلب منه أن يحمل الخشب إلى منزله ، فلما وصل تساوما ووافق الخشاب ، فأنزل الخشب وأدخله إلى الحظيرة .

فلما دخل القروى الممر الثانى شعر برائحة السمن تقتحم أنفه ، فنظر فوجد ربة البيت قد أحضرت لزوجها طعاما مملوءاً بالسمن ليأكل ، وكان الحساء كثير السمن والدجاجة فوق الثريد.

وقف القروى بالخشب وأخذ ينظر إلى رب البيت ويتعجب ، فلما رأى ذلك قال " اذهب وضع الخشب وتعال لنأكل معا ، حتى لا أغص بالأكل دون فائدة "

وضع القروى الخشب وجاء وجلس وبدآ يأكلان ، وكان قبل أن يأكل رب البيت لقمة يكون الخشاب قد أكل ثلاثة ، وعندما شبع وغسل يديه ، نظر إلى رب البيت وقال" يا أخى بالله عليك ، ما هى الصناعة التى تقوم بها حتى تنال هذا الرزق ؟ ، لقد قضيت ثلاثين عاما حتى اليوم فى قطع الأخشاب ، ومع ذلك لم آكل مثل هذا الطعام اللذيذ ولو مرة واحدة فى حياتى "

قال رب البيت " أنا ؟ ،أعمل بالسحر "

قال القروى " أنا أريد أن أتعلم السحر ، هل أستطيع ؟"

قال رب البيت " تستطيع ، هذا أمر سهل . "

قال القروى " بالله عليك قل لى كيف أفعل "

قال رب البيت " عليك أن تبيع حميرك هذه كلها ، وأن تشترى قميصا أسود وأبيض، وتلبسه ، وتشترى عمامة سوداء وسروالا واسعا وتلبسهما ، ثم تشترى الكتاب العربى الذى يسمى ألف ليلة وليلة ، وتأتى بلوح خشبى وتكتب عليه " أنا أمير السحر المعلم العامرى من يرى الأمعاء " ،وتثبته على باب منزلك .

عندما سمع القروى ذلك ، ظن الأمر حقيقة ، فلما عاد إلى المنزل فعل كل ما قاله رب البيت ، فلما رأى أهل قريته ذلك أخذتهم الدهشة ، وأخذوا يضحكون عليه . ويسخرون منه ، لهذا الغباء ، ولكنه لم يهتم بكل هذا ، وكان مغرب كل يوم يأخذ كتاب ألف ليلة وليلة ويفتحه ويتمتم بشفتيه وكأنه يقرأ شيئا ، واستمر كذلك حتى وصل إلى صفحة أحبها فكان يفتحها دائما لأن فيها صورا جميلة . "

وهو على هذه الحال ، وضع أحد جيرانه الخشب على حميره وذهب إلى المدينة لبيعها ، فلما وصل سمع الناس يسألون عن شئ ضائع ، فقد سرق من أحد الأثرياء ثلاثمائة جنيه ، فلما سمع الرجل ذلك ، ذهب إلى الرجل الثرى وقال له ساخرا " يوجد ساحر فى قريتنا ، يمدحونه يسمى المعلم العامرى - من يرى حتى الأمعاء - إذا ذهبت إليه ، أنا متأكد أنه يستطيع أن يدلك على هؤلاء اللصوص . " ، ثم ذهب الخشاب لشأنه وهو يضحك .

عندما سمع الثرى ذلك ركب سيارته ، وذهب إلى قرية المعلم العامرى ، ولما وصل إلى باب المنزل وجد مكتوبا عليه " أنا أمير السحر ، المعلم العامرى ، من يرى حتى الأمعاء " أخذ الثرى يتعجب واستأذن ، فأذن له المعلم العامرى ، فخرج له و هو يمسك كتاب ألف ليلة وليلة مفتوحا فى يده ، فذكر الثرى سبب حضوره وقص عليه كل شئ .

قال العامرى " هيا نذهب إلى منزلك لنرى " ونادى أخاه الأصغر ، وركبا سيارة الثرى وهما يحدقان فيها ، لأنهما لم يركبا سيارة من قبل ، وبعد قليل وصلوا إلى المدينة ، وأدخلهما إلى قرب ممر قريب من الحائط المواجه لباب المنزل ، وتركهما ، بينما كان القروى يفكر فيما سيقوله من أكاذيب إذا سأله الثرى ، وإذا بالثرى يأمر أحد الخدم بإحضار الطعام ، فلما دخل ووضعه وخرج ، قال القروى لأخيه " هذا هو الأول " يقصد أن هذا أول طعام يقدم . "

لقد كان الخادم يسترق السمع لدى الباب ، و كان من بين اللصوص الذين سرقوا الثلاثمائة جنيه ، فظن أن العامرى عرفه ، فقال هذا هو السارق الأول ، لذلك ذهب إلى رفاقه الذين اتفقوا معه على السرقة ، وقال رأيت أن سرنا سينكشف ، لقد عرفنى هذا المعلم ، عندما دخلت بالطعام "

قال رفاقه " ما العمل ؟ "

وبينما هم يتشاورون نادى الثرى أحدهم فـدخل ، ليحضر الماء المحفوظ فى الإناء ، ويقدمه للمـعلم العامرى فى الممر ، فوضعـه وعاد ، فقال العامرى لأخـيه الأصغر " هل رأيت الثانى " ، يقصد أن هذا الماء هو الشيء الثانى الذى يقدم إليهما ، وكان هذا الخادم يسترق السمع، فذهب وقال لإخوته " أن سرهم جميعا قد انكشف "

وهم على هذا أخذوا يفكرون فى الهرب ، فنادى التاجـر مرة أخرى ، فذهب الخادم الثالـث وأعطى ماء لغسـل الأيدى فذهب به إلى المعلم العـامرى، فـعندما دخل ووضـعه وخرج قـال العامـرى لأخيه الأصـغر هل رأيت الثـالث ؟ هذه الرحلة جلبت لنا الحظ السعيـد " يقصد أنهم سعـداء لأنهم وجدوا الطعام ، بينما ظن الخـدم أنهم سعدوا لأنهم عرفوهم فعاد إلى رفاقه وأخبرهم "

عندما سمـعوا ذلك قالوا " إذا هربنا لن ننجو ، والأفـضل أن نذهب إلى العامرى ونتوسل إليه بالله ورسوله ، ألا يكشف سرنـا ، وندله على المكان الذى أخفينا فيه المال ، ونسأله أن يكشف عنه ولكن دون أن يكشف سرنا ، وما يطلبه نقدمه له " ثم ذهبوا ونادوا العامرى وانتحـوا به جانبا ، وبينوا له كل ما هم فيه ، ودلوه على المكان الذى أخـفوا فيه المال، وقالوا إذا وعدهم ألا يكشف سرهم سيعطونه عشرين جنيها .

وافق المعلم العـامرى فأعطوه المال فـحفظها وعـاد إلى الممر وجلس ، وعندمـا جاء الثرى أخذ المعلم العامرى الكتاب وفتحه ، وبعد قليل قال "اذهبوا إلى مكان كذا وابحثوا، ستـروهـم ، لم ينقصـوا شيـئـا " ، فعندما ذهبـوا وجدوها كمـا هى ، فسر الثـرى غاية السرور ، وأحضر عشـرين جنيها وقدمها للعامرى ، وأركـبه السيارة وأوصله إلى منزله ، وطلب منه أن يزوره دائما .

عندما رأى العامـرى أنه أصبح لديه الآن أربعون جنيها نقدا ، قـام وقصد منزل هذا الرجل الذى علمـه كيف يكون السحـر ، وتبادلا التحـية ، وقـال " الا تعرف يا أخى ، السحر ليس صعبا لقد كسـبت أول أمس أربعين جنيها ، ها قد أحضرت لك خمسين شلنا لتشترى بها خشبا ، وأشكرك "

قال الناس " لقـد سعد هذا الرجل حـقيقـة ، لقد فاز بـأربعين جنيها كـاملة " قال القاضى " حاذق عشرة ، والوزير . . " وهنا هب أمير سيركا وقطع كلام القاضى وقال " لا نريد أن تعطوا درجات ، ولا تـكتبوا ، ألا نسـتطيع أن نتذكر ؟" ثم قـام وأخذ اللوح ومسح الكتابة التى به ورماه .

فلما رأى الأمـير عبـد الرحمن ذلك ، قـال ماذا نريد غيـر الضحك ، وتفـرقوا ،

وعندما وصلوا إلى القصر قال أميـر سيركا لحاذق " الآن يجب أن تهتم وإذا جلست تقص أفضل ما عندك ، لا أرضى أن تتخلف أو يقال أنك لم تتفوق ، ولكن على الأقل تكونان متساويين "

قال حاذق " إذا كـان الأمر كذلك لا بأس نسأل الله أن يحيـينا إلى الغد " . عندما طلع النهار ، بدأ حاذق قصصه ، فـقال نصرك الله ، منذ بدأت رواية القصص حتى اليوم لم أرو قصص اللصوص ، وأكون بذلك قد نسيت أمراً مهماً " .

قال الوزير "لا ، انـتظر ، نحن لا نحب قصص اللصـوص " تجهم وجـه حاذق ، وهز جناحيه وقال " لماذا تقول أنكم لا تحبون قصص اللصوص ؟ " هل فى قصص الحياة الدنيا وقصص اللصوص و النشالين ما يفوقها متعة وغرابة ؟ "

قال الوزير " سـبب عدم حبـها ، عندما كنا صـغارا ، كان أباؤنا يمنعـون الطيور أن تقص علينا قصص اللصوص حتى لا نتعلم حيل السرقة، وإذا كنت أروى قصصا فلا تظن أننى أرويها عبثا ولا أعرف ماذا أروى ، فقبل أن أروى القصة أبحثها جيدا حتى لا يلومنى أحد عليها ، ومع ذلك يقال أن أبناء الدنيا لا يعجبهم شئ ، فمنذ أن خلقت أقص للناس القصص حتى اليوم ، لم أقص أبدا قـصص النساء حتى لا أسمع كلاما سيئـا ، فيما عدا قصة النبى سليمان التى قصصتها مرة واحدة ، حتى اليوم لم أقص قصة نبى واحد ، رغم أن كل قصصهم أحفظها فى رأسى ، حتى لا يظن من يسمعها - ولا يفرق - أننى تعودت على هذا، وهو ما منعنى من رواية قصصهم ، رغم أنها تفوق كل شئ جمالا ، إذا كنت تجيد رواية قـصص اللصوص فعليك بزمن الجـاهلية ، الذين لو ذكرت حيلهم فـى السرقة لأبناء هذا الزمان المثقفين يتعجبون كيف كانوا ينخدعون فى حيل هذه القصص " .

قـال أميـر سيـركا " هذا كـلام صادق " ، والـوزير ينظر إلى حاذق وهو صـامت فيضحك عليه .

عندما سمع حاذق ذلك قال " رغم أننى لست من النوع الذى يحب أن يفسد أخلاق الناس "

قال الـوزير " وهو كذلك ، قص لنا قـصة واحـدة من قصص اللصـوص فى زمن الجاهلية لنسمعها ، إذا كانت جميلة تزيدنا منها مستقبلا ، وإذا كانت ليست جميلة نكتفى بها . "

هز حاذق رأسه وقال " وهو كذلك . "

قصة كبير المزارعين وأولاده

كان يوجد فى عصر الجاهلية مزارع اسمه طنأنى ، وكان له ثلاثة أولاد ذكور ، الأكبر كان يسمى جمرو والأوسط يسمى قوسو والأصغر نومو ، عندما بلغوا سن الرجولة جمعهم وقال " ترون الآن أننى كبرت ، لذلك رضيت لكل منكم أن يخرج للحياة الدنيا، ويتخذ الحرفة التى تناسبه ، واليوم هو الأول فى شهر العيد الكبير ، آذن لكم ، وفى العام القادم فى مثل هذا اليوم نلتقى إن شاء الله إن كنا أحياء ، أريد أن تجتمعوا جميعا هنا لنر الحرفة التى اتخذها كل منكم ، لقد غفرت لكم فى الدنيا والآخرة ، أسأل الله أن يجمعنا على الخير . "

ذهب الأولاد وطلبوا المغفرة من أمهم ، وخرجوا ، لا يعرفون وجهتهم ، خرجوا من بوابة المدينة ، حتى وصلوا إلى ملتقى أربعة طرق عند بوابة المدينة ، أحد هذه الطرق توصل إلى الشرق ، والأخرى تقصد الشمال ، والأخرى تتجه نحو الجنوب والرابعة جهة الغرب وهى التى يتبعها من يريد أن يدخل المدينة .

عندما وصلوا المكان قال جمرو لأخيه الصغير لنقف هنا ليتخذ كل طريقه ، إذا دارت الأيام وكنا أحياء للعام القادم ، حيثما كنا نحاول أن نلتقى هنا ، مهما كان الأمر نكون هنا فى ضحى مثل هذا اليوم فى العام المقبل ، ونعود إلى والدنا معا كما خرجنا معا .

قال الباقون " نسأل الله أن يهبنا الحياة والعافية " ، وودعوا بعضهم وافترقوا والدمع فى عيونهم .

اتخذ نومو الطريق المتجه إلى الشمال ، ومرت الأيام وهو يفكر أثناء السير ، دون أن يعرف الحرفة التى يحترفها ، ففكر فى الزراعة ، فرأى إذا كان على الزراعة فلماذا خرج من منزله ؟ ، فاستبعد هذه الحرفة ، فكر فى نسج الملابس ، رأى أنه لا يستطيع أن يصبر على الجلوس وربط الوسط طويلا ، فكر فى التطبيل ، فرأى أنه لا يستطيع الصراخ ورفع الصوت، قال التجارة ، قال أنه لا يستطيع النوم خارج المنزل ، كل حرفة تخطر على فكره ، إذا رآها غير صالحة له يستبعدها ، حتى تعب ، فقال " أى صناعة تقابلنى أول مرة سأحترفها . "

أثناء السير وصل إلى منتصف الغابة ، فهبت العاصفة وسقط المطر فى كل مكان ولم يجد مكانا يختبىء فيه ، أثناء البحث وجد كهفا صغيرا ، ووجد طريقا ضيقا فاتبعه وهو يقول " لأرى هذا الطريق ، إن لم يوصلنى إلى منزل ، يوصلنى إلى نهر . "

وأثناء السير قبل نزول المطر وصل إلى منزل صغير ،كان هو الوحيد وسط الغابة ، فوقف أمامه ، واستأذن ، فخرجت امرأة عجوز ، وقالت له " أيها الشاب ، هل ضللت الطريق ؟ الا تعرف أين جئت ، هنا منزل لصوص ، عد من حيث جئت بالتى هى أحسن قبل أن يعودوا . "

قال نومو " أعود ، من حيث جئت إلى أين فى هذا المطر ؟ أن أبقى يقتلنى إخوتى من الناس أفضل من أن أذهب فيأكلنى حيوان فى الغابة عبثا ، فهم على الأقل لو قتلونى سيدفنون عظامى ، حتى لا أسبب لهم رائحة كريهة . "

قالت العجوز " وهو كذلك ، ها هو ممر اجلس " دخل نومو الممر وجلس ، وأثناء ذلك سمع وقع أقدام ، فقد عاد اللصوص ، أربعة عشر لصا ضخام الأجسام ، فلما رأوه قال كبيرهم " أيها الشاب من أين ؟ " وكاد يرد عليهم ، ولكن بادرتهم العجوز قائلة لهم كل ما قالته له عند وصوله وكل ما قاله لها ، ثم سألوه مرة أخرى عن سبب مجيئه فقال لهم كل شئ ، حتى الطريق الذى جاء به إلى هنا .

قال الكبير " طالما الأمر كذلك فلن نضرك ، غدا ندلك على الطريق، لترحل "

قال نومو " إذا كنتم لا ترفضوننى أريد أن امكث هنا معكم ، لقد نويت من قبل أن أحترف أول حرفة أقابلها ، وطالما أن السرقة هى أول حرفة قابلتنى ، فسأحترفها ، لقد قال لى والدى أن احترف الحرفة التى أريدها . "

قال اللصوص " هل تستطيع أن تسرق ؟ ليست حرفة الكسلان ، ولا الأبناء الطيبين، ولا الرحماء العطوفين ، ولا الذين يفرون من العذاب ، إنها حرفه الفاسدين الذين استولى الشيطان على قلوبهم ، إذا كنت تستطيع ذلك ، فمهما حدث لك فى الدنيا أو الآخرة فلا تبكي على واحد منا . "

قال نومو أن أباه قال أية حرفة يريدها يحترفها ، فاتخذه اللصوص كخادم لهم ، وكلما ذهبوا للسرقة أخذوه معهم ، رويدا رويدا صار ماهرا، وظلوا على هذه الحال ولعلك تعرف أن السرقة ليست كالتجارة ، وذات يوم تجهمت الحياة لرئيسهم ، فقد تقابل مع رجل من الطوارق وكان هذا الرجل يفوقه قوة و كان يتباهى بأنه لا يوجد شئ يعجبه.

فاستل الطوارقى سكينا وطعن رئيس اللصوص فـانكسر السكين ثلاث قطع ، فهجم عليه كبير اللصوص ، فاستل الطوارقى السيف وهم بقطع رأسه فسقط نصل السيف .

عندما رأى الطوارقى أنه استعمل السلاح الذى لديه كله ولم يفـده ، قال " هيا أنا الرجل الذى شـرب دواء ضد الحـديد ، هل تتغلب على ؟ ، ثم خلـع ملابسـه ، وأخذا يتصارعان ، وكان الطوارقى يفوق كبير اللصوص قوة ، فحمله ودار به وألقاه على الأرض وركب فوقه ، ووطأ على يديه، وأمسك عنقه ولواه حتى قضى عليه ومضى وتركه ميتا .

ولما عاد رفاقـه إلى مخبئهم ، انتظروا رئيسـهم فلم يعد فاقتفـوا أثره ، وأثناء بحثهم وجدوه راقدا ميتا ، فأخذوه إلى المـنزل ودفنوه وهم يقولون " اليوم تجهم للشجعان " ولـم يعد أحد يفكر فيه أو يبكى عليه .

عندما طلع النهـار بدءوا يفكرون فيـمن سيكون الرئيس الجديد ، كل واحـد قال أنه سيـتولى الرئاسة وهنا قـالت المرأة العجوز " هـذا الأمر لا يستـحق الخلاف ، عليكم أن تخرجـوا كل من يجـد فى نفسـه القدرة اختـبروه بأمـر ، ومن يجد خطتـه مقنعـة يولى الرئاسة . "

قال اللصوص " نعم ، صدقت " ، اسـتعدوا للاختبار كما يسـتعد الناس الطيبون ، وخرجوا وقصدوا المدينة ، وجلسوا فى مـدخل السوق ، وبينما هم جالسون إذ رجل يأتى ومعه حـقيبة فى يده بهـا مائة جنيه ، قاصـدا منزله، نظر كبيرهم إلى إخـوته وقال " من يسرق هذه الحقيبة الآن بالنهار دون أن يقتل هذا الرجل يكفى هذا لنوليه رئيسا لنا "

قال واحـد منهم " هذا كلام معـقول ، من يستطيع أن يأخـذ هذه الحقيـبه من هذا الرجل الآن فى وضح النهار إلا الجن ؟ " ، ونظر إلى الآخرين وقال " أو متهوراً ؟ "

قال الآخرون " أمن أجل التفاخر هل يضحى الإنسان بنفسه ويهلكها عبثا ؟ "

قال نومو " أنا سأحاول ، عدم المساومـة تجعلك تترك الرخيص"، وقام وتتبع الرجل بهدوء حتى منزله وبحث عن مكان واختبأ فيه ، وأخذ يراقبه، ووضع الحقيبة فى الخارج، ولما وصل الرجل إلى باب حجرته ، وطلب من زوجتـه أن تحضر له الماء فى دوره المياه ، ليستـنجى ، أحضرت الماء وتبعـته إلى دورة المياه ، فجـاء نومو فى الحال وخطف الحقـيبة وجرى ، وحملهـا إلى رفاقه ، وقال "ها هى ، صـعوبة المكان عدم وجودنا فـيه"، وقال لهم كل ما فعله .

نظر اللصوص إلى الحقيبة ، وتعجبوا ، وهنا قال أحد الحاسدين منهم، أنت بهذا لم تفعل شيئا ، لأنه سيضرب المرأة الآن ويتهمها بأنها هى التى سرقت المال ، ولكن عليك أن تعمل حيلة حتى تخلص هذه المرأة من اللوم ، ثم تعود بالحقيبة ، بلا جدال تكون رئيسنا .

قال الآخرون " صدقت ، صدقت . "

لذلك أخذ نومو الحقيبة وعاد ، حتى وصل إلى منزل الرجل ودخل الممر ، وانتظر يتسمع فسمع الرجل يلوم زوجته ، ويقول لها لا بد أن تدله على المكان الذى وضعت فيه المال ، وإن لم تفعل ذلك الآن سيطلقها .

عندما سمع نومو ذلك ، استأذن ، فخرج رب البيت ، يسب ، فلما وصل إلى الممر وإذا بحقيبة المال فى يد نومو ، ففتح عينيه ليراها ، فقال نومو " الرجل الذى كنت تجلس فى كوخه فى السوق بعثنى لأحضر لك حقيبتك التى نسيتها فى الكوخ ، وقال عليك أن تهتم بمالك، وقال ليس كل الناس أمناء ، لو وقعت فى أيد سيئه لضاعت» .

انفجر الرجل فى الضحك ، وتنهد وقال " صدق " ومد يده ليأخذها وهو يقول " دعنى أذهب لأحضر لك البقشيش "

فرفض نومو أن يسلمها له وقال " كيف أسلمها لك ، فتأتى وتقول أننى لم أسلمها لك؟ " أو تقول أننى فتحتها وأخذت شيئا ، الأفضل أن تدخل وتكتب لى إيصالا صغيراً، وتأتى وتعد المال ، إذا كان المبلغ تاما تعطينى الوثيقة لأسلمها له» .

قال رب البيت " صدقت ، ولكن الأولاد الطيبين أمثالكم لا يلامون على هذا، انتظر قليلا حتى أفعل ما طلبت " ، وأسرع إلى المنزل وأخذ المحبرة والورقة ، فهرب نومو بالحقيبة .

لقد كان باقى اللصوص يتبعونه ليروا ماذا سيفعل ، حتى لا يكذب عليهم ويدعى أنه ذهب ، وعندما رأوا أنه خرج قابلوه وامتدحوه على حكمته ، وقصدوا منزلهم ، ونصبوه رئيسا لهم.

عندما خرج رب البيت ، لم يجد نومو ، أسرع إلى السوق فوجد صاحب الكوخ جالسا فقال " الولد الذى بعثته بحقيبة المال التى نسيتها هنا جاء بها إلى ، وطلبت أن

يسلمها إلى ، فقال أنه لـن يسلمها إلى إلا بعـد أن اكتب له إيصالا ليـأتيك به ، دخلت المنزل وأخذت المحبرة والورقة وخرجت فلم أجده ، لعله ضاق بى صبرا فعاد ؟»

قال صـاحب الكوخ " أنا لم أبعث أحـدا لك بمال ، أى مال سـأقدمـه لك ؟ أنت خرجت من هنا وحقيبتك فى يدك . "

قال رب البيت " أنا أيضا أتذكر ذلك "

قال الجالسون فى الكوخ " اطلب مساعدة الجن ، هم سرقوا منك المال ، يريدون أن يجننوك ، ربما هذا المال لم يكن حقيقيا ، مثل المال الذى يحضره الجن للناس ، هل تعرف نوع هذا المال ، أو أنك عثرت عليهم فعادوا إلى صاحبهم الأصلى . "

قال رب البـيت " لا بد أن الأمر كـذلك " ، وقصـد منزل أحد العلـماء ليعـمل له حجابا حتى لا يصاب بالجنون .

وظلوا على هذه الحال ، وقضى نومـو رئيس اللصوص معهم حوالى عـشرة أشهر ، حرموا أهل الريف من الراحـة من كثرة السرقة ، ولما تكرر الأمـر ، بحث الأمير المشكلة حتى توصل إلى المكان الذى يعـيشون فيه ، واستـعد لحربهم ، وهجم على مخـبئهم فى الليل ، وأحاط الجنود بهم ، وأحـرقوا المنزل فخرج اللصـوص ، فطاردوهم ، وضربوهم وقبـضوا عليـهم، ولكن نومو رئيس اللصـوص وجد ثقـبا فـخرج منه وهرب ، فـأخذوا يجرون وراءه ويطلبون المساعدة ، فتبعه جندى بحصان أحمر أعده للجرى السريع ، وأخذ الحصان يحاوره ولكن هذا المجرم استطاع الفرار فبحثوا عنه فى كل مكان فلم يعثروا عليه، وتسلل وأكمل رحلته وهو يلهث وهو عريان لا يرتدى سوى السترة والملاية التى ينام بهما.

لقد حان وقت عودته إلى مـنزله لذلك بحث عن عصا صغيرة وقصـد مدينتهم ، ها هو يسير بلا سترة ، وليس لديه ما يشـترى به حتى الثريد ليأكله فى الطريق ، لذلك أخذ يخطف،إذا وجد مطعما وقف ، وطلب طعامـا بنصف قرش أو بقرشين ، فإذا أكل وشبع يأخذ عصـاه ويتكىء عليها ويمضى ، إذا طلبت منه بائعة الثريد مـالا ، فر هاربا ، ويقول لها " اتبعينى وخذى " وظل كذلك حتى وصل . "

قـال الأمراء " لا، لا ، هكذا قـصص اللصوص الجـميلـة ، التى منعنا الوزير من سماعها ؟"

قــال الوزير «ألا يوجد أفـضل من قـصص اللصـوص جمــالا ؟، البـعض الذين لا يجيدون قـصص اللصوص ، يقصونها بحـيث يمكن تعلم السرقة منها ، مـثل هذه القصة كانت جيدة في البداية ، ولكن فيما بعد تحولت إلى الشكل الذى لا نريده ، حيث سرق بها هذه الحقيـبة ، ومع ذلك لا بأس» ،أراد حاذق أن يستمر فى قصص جـمرو وقوسو ، فقال القضاة «يكفى هذا الآن ، حتى يقص الوزير قصـته ، وبعد ذلك تستمر غدا »، قال حاذق " حسنا فليبدأ الوزير "

فبدأ الوزير قائلا:

عدم القيام أفضل من الرقص السيء

كان يوجد أمير له جارية غاية في الأمانة ، وكانت تحفظ له كل أمواله، إذا أراد شيئا يبعث فقط فتعطيه. وظل على هذه الحال فترة طويلة، وكان إذا حسب ماله يجده دائما ينتهى بسرعة ، وإذا حسب كل ما ينفقه فى اليوم يجده حوالى جنيهين ، وإذا دخل وسألها تقول له خمسة جنيهات أو ستة ، ضايق الأمير هذا الأمر ، ولكنه لم يظهر لها ذلك ، لأنه متأكد أنها لم تأخذ مليما واحدا ، إلا إذا أعطاها .

لذلك قال لها " منذ اليوم سآخذ من المال ما يكفى حاجتى مرة واحدة، وأضعه فى جيبى ، وإذا انتهى ، غدا تعطينى شيئا آخر ، لن أبعث أحدا وسآتى بنفسى ، إذا جئت مرة واحدة ، لآخذ المال ، لن آتى مرة أخرى فى هذا اليوم . "

قالت الجارية " نصرك الله ، وأنا أفضل ذلك ، لأرتاح من الحساب، وأقيد الوقت الذى تأخذ فيه المال ، حتى لا أخرج شيئا فى هذا اليوم "

قال الأمير " سآتى دائما فى العشاء ، عندما أدخل المنزل ، لبيبت معى ، وعندما يطلع النهار أخرج للحاشية دون أن أنتظر ، والأفضل أن تعطينى فى هذا الوقت ، لأننى أعرف أن فى هذا الوقت ، لا تريدين أن تذهبى إلى أى مكان ، فلا زعطلك، وفى هذا الوقت أيضا لا يضايقنى الناس".

قالت الجارية "وهو كذلك ، نصرك الله ، لنبدأ من الآن ، كم سأعطيك؟" ، قال الأمير "أعطنى جنيهين" فأعطته، فوضعهما فى جيبه وخرج .

لقد جرى هذا الحديث على مسمع من خادم الأصطبل الذى كان مختبئا يتسمع، عندما دخل الأمير عاد ونام، ولم يعرف أحد، وكان خادم الأصطبل هو الذى يأتى للجارية ويأخذ المال ويقول أن الأمير بعثه.

لقد كانت الجارية تعرف أنه مؤتمن، ولم تحاول تتبع كل ما يقول، واليوم بعد أن أدرك أن أسلوبه انكشف، وسدت عليه الطرق ظل يفكر أياما وأياما فى حيلة، ليتخلص من هذا الاتفاق الذى اتفق عليه الأمير مع الجارية، ولكنه عجز، حتى وجد حيلة فى يوم من الأيام.

لقد قلت لك أنه كان يسرق مال الأمير ، ومن كان هذا طبعه لا يمكن أن يمكث طويلا دون مال ، لذلك أخذ يلاحظ ملابس الأمير السوداء التى يرتديها إذا خرج للحاشية ليلا ، ونوع العطر الذى يضعه على ملابسه ، ولما اشتد الأمر على خادم الأصطبل ضيقا ، أخذ ما تبقى من ماله ، وذهب إلى بائع الملابس ، واشترى الملابس التى يرتديها الأمير إذا أقبل الليل ، واشترى نفس العطر الذى يتعطر به ، وأخفاه فى المنزل ، ولما أقبل الليل وأثناء وجود الأمير فى الحاشية ، قام خادم الأصطبل وارتدى هذه الملابس ، وتعطر بنفس العطر ، وقصد حجرة الجوارى ، فركعوا وأدوا التحية ، وقد ملأ العطر المنزل .

عند وصوله وجد الجارية ، وما يدريك ما العجوز ، قد أغلقت الباب على نفسها ، وملأ النوم عينيها ، فتسلل ودق الباب ، وكما يفعل الأمير عادة عندما تكون نائمة ، فقامت الجارية مذعورة تتمايل من النعاس وفتحت الباب وركعت ، وقالت " نصرك الله ، لقد نعست الآن ، حتى استولى على النوم ، كم سأعطيك ؟"

قال خادم الأصطبل ، وهو منتفخ كأنه الأمير " خمسة جنيهات "

قالت الجارية "خمسة جنيهات، هل ستعطى غدا ساعى أمير الجنوب"

قال خادم الأصطبل " أنوى ذلك " لقد كان دائما مع الأمير ، وتعود أن يسمع كلامه ، وماهر فى التقليد .عدت الجارية مائة شلن وسلمتها له ، فوضعها فى جيبه ، وخرج ، فقالت الجارية "حتى الآن لم تخرجوا ؟"

مضى خادم الأصطبل ولم يرد عليها ، وذهب وخلع هذه الملابس واختفى ودخل بين رفاقه ، ورقد ، وقلبه يخفق خشيه أن يعلم الأمير ، فيذبحه .

وعاد الأمير وصرف السمار ، ودخل المنزل ، وقصد حجرة الجارية وقال لها "أعطني جنيهين ، بل ثلاثين شلنا تكفى "

قالت الجارية " نصرك الله ، يبدو أن ضيوفك كثيرون اليوم ، أرى أنك خالفت ما اتفقنا عليه ، وهو أن تأتى مرة واحدة "

قال الأمير " كم مرة جئت ؟"

قالت الجارية " مرتين ، ألم تأت الآن وأخذت خمسة جنيهات ؟ أى أخذت اليوم ستة جنيهات وعشرة شلنات . "

عندما سمع الأمير ذلك عرف ما حدث ، لابد أن شخصا لبس لباسه وجاء وأخذ خمسة جنيهات ، ولم يمر أحد عليهم عندما كانوا يسمرون ، لذلك شك في خادم الأصطبل ولكن لأنه كان ذكيا لم يرد أن يكشف الأمر، حتى لا تذيعه الجارية فيشعر اللص ويختفي ، فابتسم وقال " إذا أخذت عشر مرات ، أقول كم ؟ " ومضى كأنه غاضب ، وخرج ، وقال في نفسه " إن من فعل هذا الأمر ينام الآن وقلبه يخفق ، إذا كان من خدم الأصطبل فلأذهب إلى حيث ينامون ، وأعدهم ، من لا أجده يكون هو اللص ، وإذا كانوا جميعا نائمين ، من ألمسه وأجد قلبه يدق اتهمه غدا " .

ثم قصد الأصطبل فوجد الخدم مبعثرين يغطون في النوم ويتنفسون في الظلام ، لذلك عد خيالاتهم التي يراها ، فرآهم خمسة وعشرين ، وهو عددهم تماما ، ثم تتبعهم وهو يضع يده على صدورهم ليرى كيف يدق صدر كل منهم ، حتى وصل إلى الخادم الذي قام بالسرقة ، لقد كانت عيناه مفتوحة ليسمع ، ولم ينم ، وينظر للأمير خلسة ، فلما رأى الأمير يقصد مكانه، تملكه الرعب ، وازداد خوفه ، ها الخوف مما فعل ، وها الخوف من الأمير يقترب منه ، ربما سيعرفه ، فأخذ قلبه يدق بسرعة شديدة، فلما لمس الأمير صدره شعر بذلك ، فتأكد أنه اللص.

ظن الأمير أنه كان نائما ، فحاول أن يرى وجهه ليعرف من هو ، فلم يكن الهلال ظاهرا ولا يحب أن يحضر مصباحاً حتى لا يثير ضوضاء أثناء الليل ، لذلك أحضر المقص، وقص له علامة عدم الصلاة في جبهته ، حتى يمكن معرفته وعاد إلى القصر لشأنه.

وما كاد يمضى حتى قام خادم الأصطبل وأحضر المقص ، وتتبع رفاقه وعمل لهم نفس العلامة في جبهتهم تماما مثله ، وعندما طلع النهار تجمعوا ليغسلوا وجوههم ، فنظر أحدهم إلى وجه أخيه وانفجر ضاحكا وقال " يا فلان هل بدأت تمتنع عن الصلاة؟

فنظر الآخر إليه وقال "أى امتناع عن الصلاة؟، أنت الذى كدت أن تكفر، ها أنت قد أوقفت الصلاة ، إذا كنت تريد المزاح بأنك تركت الصلاة ليعرف الناس ذلك فقد عرفوا" .

ثم نظر أحدهم إلى الآخر وقال "لستم أنتم وحدكم الذين قطعتم الصلاة حتى فلان انظروا إليه لتروا ، إذا كان بلاء ابتلاكم الشيطان به ، يجب أن تدعو الله أن يساعدنا ويرفعنا وينجينا " ، وبصق البصاق السئ على الشيطان.

لقد كـان هناك شخص يقف يراقب وجوههم ، فـقال "أنت تبصق بصاقـا كاذبا الا ترى وجهك؟ أم لأنهم يقولون" الحشرة ذات الرائحة الكريهة لا تشم رائحة نفسها؟"

فهب هذا قـائلا " أين هو؟ أين هو؟ " ونهره قائلا " أم أنت؟" ألا تقـول أنك قد اتبعت سبـيلهم، حقيقـة ما تقول " نظر إليه الباقـون فرأوه كذلك ، فقـالوا " ماذا حدث اليوم ؟»، ولمس كل واحـد جبهته ، فـشعر أنه قد قـصت خصلة من شعـره ، فأخذ كل يصفق بيديه .

فقال خادم الأصطبل " لا أحد ، حلاق الليل ، ألا تعرفون عمل الظالم"

قال الباقون " نعم ، صدقت ، إنه هو"

وهم على هذه الحال يتـعجبون ، كـيف تتبعـهم العشرين جمـيعا وعمل لهم عـملا واحدا ، وإذ بالأمير يخـرج ، فرآهم مجتمعين ، ولا يعرفون مـا حدث ، ووقف أمامهم وأول ما رأى رأى الذى وضعت له العـلامة في وجهه أولا ، فأمـسك يده وكاد يمضى به إلى القصر ليوجه إليه الأتهام، وإذا لم يقل الحقيقة يقطع رأسه وحدق بعينه فرأى شخصاً آخر والعلامة في جبهته ، فالتفت في الحال ونظر جيدا ، فرأى الجميع يحمل هذه العلامة مما أدهشه ، حتى ابتـسم ، عندما أدرك ما حدث وكـاد يتكلم ولكن أدرك أنه لا فائدة من الكلام ، وأنه سيثيـر أعصابه وأعصاب حاشيـته بلا فائدة ، ولن يعرف اللص ، ورأى أنه طالمـا أن الأمر وصل إلى هذا الحد فإن الحكمـاء يقـولون عـدم القيام أفضل من الرقص السئ ، ثم نظر إلـى خـدم الأصطبل وقـال " الذى فـعـل مـا جـعـلـنى أعـمـل هذه الضوضاء يعرف نفسه ، ويعرف ماذا فعل ، ويـعرف معرفة جيدة أن الله ستره هذه المرة ، ولكن ليعـلم إذا أخطـأ وتجرأ وعمل هذا مرة أخـري ، سأكشف سره ، وما كل مرة تسلم الجرة ، اذهبوا. "

تفرق خـدم الأصطبل وهم يسألون بعضـهم ، ولكن لم يعرف أحد مـاذا حدث ولا يعرفـون سبب خطاب الأميـر ، خادم الأصطبل هو وحـده فقط الذي يعرف المقـصود من الحديث، ولا فرصة لأن ينطق حرفا حتى لا يجلب التهمة لنفسه.

قال حـاذق "ها أنت قدمت قـصة عن اللصـوص ، إذ كان يوجـد قصة تعلـم منها السرقـة فهي قصـتك ، أراد الوزير أن يتحدث فـقال القضـاة" ، إذا تركنا سوف تستـمر الجلسة إلى مـا بعد المغـرب ، فقالوا يكـفي هذا المقدار ، فنودي للصـلاة وتفرق الناس ،

وبحلول المغرب أمر الوزير بقلي أنواع من الأطعمة وأحـضرت لخادمه ، قال لعله تعب من تكرار حضوره يوميا.

وفي اليوم التالي ، حضر الناس حـيث المجلس فصعد حاذق على المائدة ، وبدأ في رواية قصته ، يريد الشروع في قصة أولاد المزارع التي بدأها والذين خرجوا طلبا للرزق ، أمس قد أخبرهم عن قصة نومو ، واليوم سيقدم قصة جمرو فبدأ قائلا:

قصة جمرو ابن رئيس المزرعة الثاني

أما جمرو فـقد اتبع الطريق المؤدي إلى الجنوب ، واستمر في السـير حتى وصل إلى منزل صغير في وسط الغابة ، فاستأذن فرد عليه ، وإذ بولد صغير عمره حوالى سبع سنين يطل برأسه ويخرج فنظر إليه جمرو وقال " أين رب البيت؟"

قال الصبى "ماذا تريد منه؟"

قال جمرو "استاذن لى منه"

قال الصبى "قلت ماذا تريد ، أنا رب البيت"

قال جمرو " بالله عليك أيها الشـاب ، ادخل استأذن لي لعلك تعرف أننى تجاوزت سن المزاح معك".

قال الصـبى "هل تحتـقرني؟، أقـسم لك والله أنا رب البـيت ، اسال عمـا تريد ، لتسمع كل شئ "

عندما سمع جمرو ذلك شعر بالخجل ، وقال للصبي " وهو كذلك إذا سمحت أريد أن أبيت هنا ، وفي الصباح أمضى"

قال الصبى "ادخل ، من يرفض الضيف؟.

قام جمرو ، وأدخله إلى حـجرة صغيرة ، فوضع متـاعه ، وقلبه يخفق، ونظر إلى المنزل فلم ير دليلا على وجود أحد ، فنظر إلى الصبي مرة أخرى وقال " بالله عليك أيها الشاب ، أنت وحدك في هذا البيت؟، أم أن والديك ذهبا إلى المزرعة ، وتركاك تحرسه؟"

قال الصبي "هل تظن مثلى يحلف كذبا؟"

عندما سمع جمرو ذلك ، قال "لو سمحت أشعر أننى استرحت وأريد أن أمضى"

ابتسم الصبي وقال " تستـمر في الرحلة في هذا الليل ؟ ، ارحل في الصباح ، قبل أن يطلع الفـجر ، فتـصل الظهر ، إذا كنت تخـاف لأننى قلت أننى صاحـب البيت ، لا يخيفك شئ"

قال جمرو "وهو كذلك، فغمض إحدى عينيه وجلس ، فلما تبادلا التحية سأله الصبي عن مقصده ، قص له جمرو السبب الذى جعله يترك منزله ، وفي منتصف الليل أحضر الصبى لحما مشويا وأكلوا وأحضر أنواعا مختلفة من الطعام فأكلا من الطعام كثيرا ، ولكن لم يعرف جمرو متى صنعه الصبي ، ولم ير أحداً أحضره له ، وكاد يسأل الصبي ولكنه قاطعه وقال «انتظر، أهم شئ لا أريده هو السؤال ، كل ما تراه لا تسأل عنه " ، لم يقل جمرو شيئا مرة أخرى.

عندما طلع النهار قال جمرو أنه سيرحل فرجاه الصبي أن يبقى معه ، في هذا اليوم حاول الصبي أن يبقي جمرو معه ، طالما أنه خرج ليبحث عن عمل ، فقبل أن يبقى ، رويدا رويداً ألفا بعضهما وكان جمرو يرى أموراً عجيبة ويريد أن يسأل عنها ، فكان الصبي يقاطعه من البداية ، ومكث جمرو حوالى عشرة أشهر معه ، كان يفعل له كل الأعمال التى يكلفه بها، فيجصص له المنزل ، ويجدد له الممر ، وبنى له دوراً علوياً ، ومخزنا لحفظ الطعام ، وأصلح له كل المنزل ، ولما أتم الشهر العاشر ، طلب من الصبى أن يسمح له بالرحيل ليعود لبلده ، فشكره الصبي كثيرا ، وأحضر قطة وقدمها إليه ، وقال "هذا رزق أسلمه لك"

وكاد جمرو أن يحتقر هذه القطة الصغيرة التى قدمها إليه ، وهو يقول «أهذه جزاء ما قدمه إليه من أعمال ، ومع ذلك خشى أن يظهر هذا الاحتقار على وجهه فيشعر به الصبي، فشكره كثيرا كأنه أعطاه مائة جنيه، فأخذ القطة وذهب ، فقال الصبي " . . انتظر ، لقد كنت أظن أنك ستحتقر هذه القطة ، ولكن الآن عندما رأيت أنك لم تحتقرها وفرحت بها، سأقول لك كل فائدة ستقدمها إليك وأين تذهب بها وحيث تفيدك"

توجد عفريته تقطع طريق التجار وتقتلهم وتأكلهم وتسلب متاعهم ، وجمعت مالا وثروة كبيرة جمعتها في حقائب في منزلها ، وذكر الصبي كل أخبار هذه العفريتة وكيف تتحول لجمرو ، وذكر له اسم الغابة التى تسكنها ،والحيل التى يحتال بها وكيف تساعده هذه القطة فى الانتصار عليها ، وقتلها وجمع كل الأموال التى سلبتها .

شكره جمرو واستعد وقصد الغابة حيث تقيم العفريتة ، وهو يقول في نفسه « إذا كان ما قاله هذا الصبي حقيقة ، فقد قابلت هذه العفريتة هذا العام من سيقضي عليها"

عندما رأى رفاقه في الرحلة أنه يعاني دائما من حمل هذه القطة ، قالوا له " ماذا تفعل بهذه القطة ، تحملها دائما هكذا؟.

قال جمرو "هى دليلى" فيتمنون له السلامة.

عندما وصلوا إلى مفترق الطرق ، قرب منزل العفريتة ، أخذوا يسرعون الخطي ويخفضون صوتهم فرأوا جمرو يتخذ الطريق المؤدى إليها ، فتعجب رفاق الرحلة ، وأسرعوا حتى لا يصيبه شئ فقال "إنه يعرفهم"

عندما وصل المكان المقصود عند الظهر ، قصد منزل العفريتة ، وهو يخفى هذه القطة الصغيرة ، وكان على طول الطريق يرى العظام البشرية ملقاة ، فاستأذن فخرجت العفريتة ، بأسنانها البارزة ، فركع جمرو وحياها، فسألته عن وجهته ومن أين جاء ، وهى مسرورة ، وهى تلحس شفتيها ، وتقول "مرحبا بالمشوى"

فزمجر جمرو ، ونظر إليها وقال جاء لها من بلاد السودان ، فسألته، عما جاء يبحث عنه من بلاد السودان.

قال جمرو "أخبارك التى أذاعها التجار في كل مكان حتى وصلت بلاد السودان ،إنهم يقولون أنك تستطيعين التحول إلى كل شئ تريدينه ، لذلك جئت لأرى ، ما إذا كان حقيقه أم لا، لأنهم يقولون الرؤيا خير من السماع ، ولا أهتم بما إذا كنت ستقتلينني أم لا، طالما أرى أمراً عجيباً"

فلما سمعت العفريتة ذلك ، عرفت أنه لا يوجد مكان إلا وشهرتها قد وصلت إليه ، فجنت ، ونظرت إلى جمرو فرأت أنه سمين ، وكادت الفرحة تقتلها ، ونظرت إليه مرة أخرى وقالت " لا تخف ، الآن سترى ما سمعت أخباره تنتشر في كل الدنيا ، كل ما سمعت يقال عن أخبارى غير كامله ، أنا طنقوريا دودنيا ابنة دودنى" وفي الحال انتفض جسمها فصارت فيلا ضخما في الممر الذى تعيش فيه ، ثم انتفضت فصارت أسداً ، ثم ذئبا، ثم جاموسة صغيرة ، ثم بقرة وحشية ، ثم نعامة ، ولما انتهت من ذلك عادت إنسانا سويا كما كانت من قبل ، فنظر إليها جمرو وقال " لم يبق إلا شئ واحد، هل أنت الآن تستطيعين التحول إلى حيوانات صغيرة مثل الفأر؟"

قالت العفريتة " ما هو الفأر ؟، لقد تحولت فيلا فما بالك بالفأر؟" ، ونفضت جسمها فصارت فأرا ، فلما رآها جمرو قد تحولت فأرا ، أسرع وأطلق القطة عليها كما قال له الصبي ، فما كادت القطة ترى الفأر حتى قفزت عليه وأمسكته وقتلته وأكلته ، فلما أكلت العفريتة سمعت من يقول في البيت هاها جمرو لم تخطئ لقد انتصرت"

عندما سمع ذلك هرب دمه ، فتذكر أن الـصبي سبق أن قال له أن ذلك سيحدث ، لذلك قام ودخل المنزل وجمع كل ما سلبته هذه الملعونة ووضعته في صناديق تملأ حجرة ، وحصان ضخم وحوالى سبعة عشر حماراً ، كلها محملة بالمتاع ، ودخل حيث تخفى المال فوجدها أكواما ، جمع كل متاع البيت ولم يترك الإبرة ، وضعها على الحمير واعتلى ظهر حصانه ، وساقها أمامه وقصد منزله وهو يغنى ، فقد قضى حاجته.

قال الوزير "احيك هذه هى قصص اللصوص التى تريد سماعها"

قال الأمير عبد الرحمن "هذه ليست قصة لصوص"

ضحك الوزير وقال "نصرك الله ، ما الفرقُ بين الضرب والملاكمة؟، هل هذا ماله، هذا أفسد من اللصوص ، لم يسرق ولم يقتل"

انفجر الناس في الضحك، وعندما سكتوا ، بدأ الوزير يقص قصته:

قصة الأعمى

يوجد في مدينة بوبى رجل أعمي يسمى الأعمى الأسود ، السبب الذى جعل الناس يسمونه هكـذا هو ما وهبه الله من شدة الذكـاء ، ، كان كلما خرج للتسـول لا يتفق ماله عبثا ، فيبحث عن مكان أمين ويجمع فيه المال حتي صار كثيرا.

وفي يوم جمعة ، بعـد أن عاد من جولته جمع ماله كله وعـده فوجده قد بلغ ثلاثة جنيهات ، فلما وجدها قـد زادت هكذا خشئ أن يتركها في كوخه ، فيـأتى أحد ويسرقها ، لذلك بحث عن مكان يحـفظهـا فيـه ، ورأى أنه إذا أعطاها لأحـد وديعة ، ربما يخـون الأمانة، وبينما هو يفكر في وسيلة حفظها تذكر أنه لا يوجد مكان أكثر أمانا من المصلى ، لأنه يعرف أن اللص لا يظن وجود شئ في المصلى سوى الفرو وأواني الوضوء.

ورأى أنه إذا ذهب وقت الظهـر سيـجد بعض المصلين ، لذلك انتظر حـتى توسطت الشمس السماء ، فـأخذ ماله ووضعه في جيبـه وقصد المصلى ، ولما وصل لم يتوقف إلا أسفل المنبر ، وجلس صامتا لعله يسمع حركة بالداخل ، فلم يسمع أية حركة ، فقال في نفـسه " أنه لا يوجـد أحد ، من الذي يأتى إلى المـصلي في هذا الوقت من الظهيـرة ؟ " وكنس ، وحفـر حفرة أسـفل المنبر ، وصب المال وانصـرف ، وهو يقول في نفـسه ، إذا عدت إلى هذا المنبر هو علامة لي لا يتحرك"

كل ما فعل الأعمى كان يراقبه رجل خياط يجلس يقرأ وردا ، وما كاد الأعمى يمضى حتى قطع الخياط ورده ، وقال " لقد قضيت حاجـتى واستجاب الله لدعائى" وقام وحفر أسفل المنبر وأخذ المال وذهب.

وفي اليوم الـتالى أخرج أحـد الأثرياء أموال الزكـاة ، فنال الأعمى الأسـود حوالى خمـسة شلنات صدقة ، فـقصد المصلى مع ابنه الصـغير الذى يقوده ، وتركـه في الخارج ودخل ليتـحسس المنبر وحفـر تحته فلم يجـد المال ولم يجد أثرا له ، فأصـغى لعله يسمع حركة أحد ، فلم يسمع شيئا فـتعجب وقال لا حول ولا قوة إلا بالله ، قال " لاباس إذا كان مالى حلالاً سيعود إلى ولن يضيع"

وخرج فوجد ابنه فقال له "عندما كنا قادمين إلى هنا ، ألم تلاحظ أحدا يراقبنا ويضحك ؟ ".

قال الصبي "لم أر أحدا يضحك عليك سوى سندا الخياط الذى لا يعطينا صدقة إذا ذهبنا نتسول في السوق ، عندما مررنا به هنا عند قصر الأمير والتفت ،رأيته يخرج لسانه لك، ظننته رفيقك في اللعب لذلك لم أخبرك لأنك تمنعنى من التدخل في شئون الكبار.

قال الأعمى للصبي "وهو كذلك ، خذني إليه"

قال الصبي "وهو كذلك"، وأمسك عصا أبيه حتى وصل إلى محل سندا الخياط في السوق ، فوجدوه قد عاد من جولته.

فلما رآهم قال سندا " الأعمي الأسود ، ماذا جاء بك إلى هنا اليوم، اليوم ليس يوم جمعه؟ أنتم أيها العميان تضايقون الناس بتسولكم"

ضحك الأعمى وقال "أنت يا سندا لو كان من أجلك فقط جئت إلى السوق ،لمتنا من الجوع ، لم آت اليوم من أجل التسول ولكن لمسألة بينى وبينك اخرج لتسمع. "

خرج سندا ، واتخذا جانبا فقال الأعمى الأسود"، منذ مدة أريد أن أتشاور معك ، ولكنى كنت أنتظر حتى تنتهي من مواضيع الزكاة ، واليوم أرى أن المال الذى جمعته من أموال الزكاة زاد الآن كثيرا لذلك أريد إذا وافقت أن أعطيها لك لتتاجر لى فيها فتشترى بعض السلع وتبيعها ، أنت تستفيد وأنا أستفيد ، لأن الخياطة غير مربحة في فصل الخريف ، وأنت تترك الخياطه حتى فصل الحصاد ، واليوم سأذهب حيث أحفظ بعض الأموال لأضع جنيها حصلت عليه من بعض الأثرياء الذين يخرجون الزكاة، لقد وجدت مكانا أحفظ فيه المال حيث يوجد الناس ، لذلك انتظر حيث تتوسط الشمس وتخف الرجل عن السير وأذهب وآتى بها ، وغدا أذهب وأضع معهم ما أحصل عليه مما يخرجه الأمير ، وآتيك به ، لأنى أراك تحفظ الأمانة ، لذلك أقدمها لك ، ولكن بالله لا تخن أمانتى ، أنت تعرف أن كل من يخن أمانة الناس يضيع الله أمانته.

عندما سمع سندا الخياط ذلك فرح في نفسه وقال "سبحان الله" ليس بينى وبينك خيانة للأمانة ، ربما أنت لم تعرف لقد سمعت أخبارا من والدى ووالدك أنه ما كان شئ يفصلهما عن بعضهما وهما طفلان ، غدا في الظهر انتظرك هنا"

قـال الأعمى الأسـود "وهو كـذلك نسـأل الله أن يحـينا إلى الغـد"، ووافق سندا ودعه، وجذب الصبى عصا والده وعادا إلى المنزل.

ولما انصرفا أخرج سندا للأعمى لسانه ، وقال في نفسه هيا أذهب الآن وأعيد الثلاثة جنيهـات إلى المصلى ، حتى إذا مـضى وقت قصيـر وتوسطت الشمس السـماء ، وذهب الأعمى الأسود وأحضر الجنيه الذى تحدث عنه ووضعـه هناك ، فإذا وضعها اكتملت أربعة فإذا جاء المغرب أتسلل وآخذ المال كله ، وأتى واشترى مقطعا من القماش وأخيطه ، وقبل أن يأتى فصل الحصاد أشترى آله خياطة ، وأبدأ أفعل كل ما أريد.

وفي الحال أخذ هـذا المال وعده ، فوجد أنه قد نـقص ، فقد اشترى لـزوجته أمس قماشا بعشرة شلنات منه ، لذلك ذهب واقترض عشرة شلنات وأضافها حتى صارت ثلاثة جنيهات تماما. وذهب إلى المصلى وحفر أسفل المنبر ووضعها ، وقال "لاشك أن ما يقوله الناس حـقيقـة في ليلة واحدة يجـعل الله الخيـاط غنيا كـالأوربى ، انظر هذه الهبـة التى وهبنيها الله اليوم فأجد أربعة جنيهات لا بعت ولا اشتريت" واتخذ طريقه وانصرف.

عندما توسطت الـشمس السمـاء ، عاد الأعمى الأسـود إلى المصلى وحفر أسـفل المنبر، فوجد الثلاثة جنيهات كاملة ، فشكر الله الذى كلل حيلته بالنجاح وجمع ماله وعاد إلى المنزل.

وحان المغرب ، وسبق سندا الخياط الإمام إلى المصلي ، ولما قضيت الصلاة أخذ يقرأ ورده الكاذب حتـى ينصرف الناس ويتركـوه فيـحفر ليـأخذ المال ، فلمـا رأى الجمـيع قد انصرف ، قام وقصد أسفل المنبر ، وأخذ يحفر ويحفر فلم ير شيئا فغضب ، ليس لضياع الخمسين شلناً ولكن لضيـاع العشرة شلنات التى اقترضها ، وعندمـا هم بالخروج قال "ما الذى يغضبنى من هذا؟، لقـد أخذتهم من قبل ذنباً ، هذا العـبد الذى أخذتهم منه ، الله وحده الذى يعرف سرهم" ، ومـضى وهو يفكر فيما سيفعله ليـدفع للناس العشرة شلنات التى اقترضها منهم.

عندما طلـع النهار ظل ينتظر الأعـمى الأسود حتى بعـد أذان الظهر ، فلم يره فـقام وذهب إلى منزله ، وقال له "جئت حـسب الاتفاق الذى تم بيننا أمس ، أنت تعرفنى لم أوافق على أمر وأرجع فيه"

قال الأعمى الأسود "وأنا كذلك ، ولكن أمـوال هذا الزمان أمرها عجيب إذا نظرت إليها حـيث تضعها تجـدها ، وإذا نظرت إليها مرة أخـرى تجدها قد ذهبت تتـجول ، لقد

كنت سآتيك بها الآن ولكنى وجدتها قد خرجت تشم الهواء ، ليس مرة واحدة ، إذا عادوا سترانى معهم.

عندما شعر أن الأعمى الأسود يقصد السخرية منه غضب ونفض حذاءه ، وخرج وهو يقول "أهل هذا الزمن أفسد الأوربيون عقولهم بهذا الذكاء ، حيثما خرجت عليهم تجدهم يختبئون ويراقبونك"

ما كاد الوزير ينتهي من رواية القصة إذا برجل يأتى عدوا ويركع إمام أمير سيركا ويقول "أول أمس عندما ركب داود الحصان الرمادي وخرج يتنزه فرفع رجليه الأمامية وأوقعه فكسر يده ، وذهبنا نطلب المجبراتى فوجدناه قد سافر ، ووجدنا ابنه فقال أن العظمة منقولة.

عندما سمع الناس ذلك ، سكتوا جميعا ، لأن دودا هذا هو حفيد الأمير الذى لا يحب أحدا مثله.

حينئذ قال الوزير "عندما قلت، أن يرسل لك بالأ تدع له هذا الحصان، مهما الح عليك رفضت الاهتمام بقولى؟، لا بأس ، إذا اتبعت ما أقول لك».

نهره أمير سيركا وقال «بالله عليك أغلق فمك هذا على كلامك السخيف، لا تجعلنى أضربك، سواء جئت به، أو لم آت به ما قدر الله أن يحدث حدث . .».

قال الأمير عبد الرحمن «لا ترفض كلام وزيرى هذا، دعه يساعدك، أنت لا تعرف.

عندما غضب الوزير استرضاه، وقال «وهو كذلك دعنى أذهب لأحضر لك مساعدة من عندنا» ثم طار، وبعد قليل عاد ببعض الأوراق، وقدمها لأمير سيركا وقال يذهب ويغليها، ويغمس يده فى الماء، ولا يطلب المجبراتى مرة أخرى لمدة ثلاثة أيام، فجعل السيارة تحمل هذا العلاج فى الحال وتذهب به، فلما عاد إلى المنزل تعجب أهل سيريكا من أمر الوزير البيغاء.

قال حاذق «لا بأس ، مشكله ولكن سترون ما قلته لكم»

اليوم عندما طلع النهار استراحوا من سماع القصص بسبب هذا الحزن، قال الوزير الببغاء " لا بأس ، نستمر إذا توقفنا معناه أننا لم نتوكل، هل الانتظار يشفيه أو يمنعه من الشفاء؟"

قال أمير سيركا "صدقت يا وزير ، ها أنت طائر صغير وتعطينا الموعظة" ، ونظر إلى حاذق وقال "وهو كذلك ابدأ بسم الله"

أصلح حاذق صوته، وقال "أول أمس بدأت قـصة رئيس المزرعة وأولاده، وقصصت لكم قصة نومـو الذى تعلم السرقة، وأمس قصـصت لكم قصة جمرو وقطـته التى قتلت العفريـتة، وبسبب موتهـا حصل على ثروة كبيـرة من منزلها واليوم سأقص عليـكم قصة أكبرهم قوسو .

قصة قوسو ابن رئيس المزرعة الأول

أما قوسو فقد أتجه جهة الشرق ، وظل يسير أياما وأياما ، يصل إلى مدينة وينتقل منها إلى أخرى ، حتى أوصله الله إلى سابون برنى ، فلما وصل هذه المدينة سأل عن رجل ثرى ليعمل عنده خادما ، ولكن قلبه حدثه قائلا "الخدمة في المنزل عمل الكسلان ، والمثل يقول كل من يترك الوطن الوطن يتركه " ، لذلك بحث عن منزل رئيس المزراعين ، حتى وصل إليه فأستأذن ودخل عليه.

وبعد أن تبادلا التحية مع رئيس المزراعين ، قص عليه كل ما دفعه للخروج من منزله، عندما سمع كبير المزارعين ذلك قال "إذا كان الأمر كما تقول البقاء معى لن يفيدك لأنى مزارع ، ولو كان أبوك يريدك مزارعا لتركك معه ، الأفضل أن تبحث عن حرفة أخري لأنك إذا مكثت معى ، كأننا لم نفعل شيئا".

قال قوسو "أنا سأعيش معك والرازق علي الله"

قال كبير المزراعين "وهو كذلك" ، وعاشا معا وبذل قوسو في خدمته أقصى ما يستطيع، وعندما انقضى حوالى تسعة أشهر لم ير كبير المزراعين من قوسو ما يغضب الله، أو يغضبه ولو مرة واحدة ، وذات يوم استدعاه، وقال "ألم يقترب وقت عودتك إلى بلدك؟ قال قوسو "بلا ، في سبعة وعشرين من هذا الشهر أريد أن استعد للرحيل " .

وعندما حان الحين قال كبير المزراعين "الشهر التاسع في خدمتى ، ولم تغضبنى ولو مرة واحده منذ بدأت تعمل معى كل يوم ، واليوم لك عندى ثمانى جنيهات وعشرة شلنات عليك أن تختار ، إن لى أخا يهب التجار الذين يذهبون إلى بلاد اليوروبا الحظ السعيد ، إذا أردت اذهب معك ليهبك هذا الحظ السعيد ، وتعطيه هذا المال الذى أعطيته لك ، أو تأخذ مالك ها هو أسال الله أن يجمع وجوهنا على الخير.

قال قوسو "طالما الأمر كذلك يا أبتى ، أريد أن أنال الحظ السعيد ، يقولون قيراط حظ ولا فدان شطارة "

قال كبير المزارعين "أتفضل الحظ أكثر؟"

قال قوسو " نعم"

سار كـبير المزارعين وجعل قـوسو أمامه حـتى وصل إلى أخيه الأصغـر الذى يسمى العامري ، وقال له كل ما فعل مع قوسو.

عندما سمع العامرى ذلك نظر إلى قوسو وقال لقد دخلت في مضاربة أيها الشاب ، خذ مالك واذهب ، عصفور في اليد خير من عشرة على الشجرة"

قال قـوسو " أريد في قـرارة نفسى الحظ ، وفوضـتك في الأمر ، مـا تراه الأفضل سأفعله"

قال العـامرى "أحيك أيهـا الشاب ، عليك أن ترحل، غدا سـبعة وعشـرون بمجرد ظهور قرص الشمس ، اسأل الله أن يساعدك ، ولكن عليك أن تراعى هذه الأمور الثلاثة التى سـأقولهـا لك ، أولا ، كل مـدينة تدخلهـا أدخلها من الـباب الغـربي ، وإذا كنت ستخرج أخرج من الباب الشرقي ، الثاني ، لا تنم في مكان لا يوجد فيه ماء ، الثالث لا حظ مهما تكن خائفا لا تخطـئ وتدخل المدينة عند الغروب ، هاك ثلاثة شلنات اشتر بها زادا ،نسأل الله أن يساعدنا ، وخرج قوسو وكبير الزراع.

وعندما طلع النهار وظهر قـرص الشمس استعد قوسو واستـأذن من كبير المزارعين، ووجد بعض التـجار وسار مـعهم ، وذات يوم أثناء السـير وصلوا إلى مـدينة عند غروب الشـمس، وكاد قـوسو أن يدخـل ولكن وجد أن البـاب الذي سيـدخلون منه هو البـاب الشـمالي ، وقـد قيل له أن يـدخل دائما من البـاب الغـربي ، لذلك انفصل عن رفـاق الرحلة، وطاف حتى وصل إلي الباب الغربي ، ولما كانت المدينة كبيرة غربت الشمس قبل أن يصل ، لذلك بحث عن مكان خلف المدينة ومكث فـيه حتى طلع الفـجر ، ودخل ، لأن العامري عندما وهبه الحظ طلب منه ألا يدخل المدينة عند المغرب"

بينما هو جالس عند بوابة المدينة تذكر أن العـامري قال له ، ألا ينام حيث لا يوجد ماء ، لذلك لم يجد فـرصة للجلوس ، فقام وأخذ يتجـول خلف المدينة ، يبحث عن بئر أو مجرى مـائي ، لينام بالقرب منه ، حتى وصل بالقرب من مـقابر أهل المدينة ، فدخل وطاف ، وعاني من البحث عن الماء ، حتى شاء الله أن يجد مصادفة بحيرة وسط المقابر، فذهب إلى مدخلها ووضع متاعة البسيط ، واضطجع ، وبعد قليل قال في نفسه "بدلا من

ان أنام في هذه الغابة، أليس الأفـضل أن أقوم وأدعو لهـؤلاء المسلمين الذين دفنوا هنا" ، ثم قام وأخذ يدعو لهم .

وهو على هذه الحـال في الثلث الأخيـر من الليل هبت العاصـفة وسـقطت الأمطار الغزيرة ، وكأنك تصب الماء من الإناء ، وتحـير قوسو ولم يجد مكانا يختـبئ فيه ، وفكر أن يدخل في كهف أحد أشجار الباوباو ، القريبـة منه ، ولكنه رأى أنها ليست كبيرة حتى تخفيه ، لذلك اسـتسلم للموت وخرج وجلس يلوم نفسه وغـباءه الذى جعله يرفض المائة والسبعين شلنا ويرتاح من هذا العذاب.

بينمـا كان يجلس القـرفصاء يرتعش ، وبعـد أن انْقطَع المطر ، رأى رجلين وضـعا صندوقا فوق سـور المدينة ، فلما وقع على الأرض انزلق فاتبـعا مجراه وخـرجا ، وأخذا صندوقهـما وحمـلاه إلى كهف شجرة البـوباو التى كان قوسـو يفكر في الاختبـاء بها ، والقياه، وعادا إلى المدينة ، وكاد أحدهما يطأ قدم قوسو لأن الدنيا كانت مظلمة .

عندما انصرفا ظن قوسو أنهم لصوص سرقوا بعض المال وأخفوه ، لذلك قام مسرورا وهو يقـول «في نفسه حـان الحظ السعـيد" ، وذهب وأطل في الكهف وجـذب الصندوق فشعر أنه ثقيل وشـاء الله ألا يغلق بالقفل ، عندما وضعه على الأرض كان مشتـاقا لفتحه لجمع ما فيه ، فرأى الصندوق يتحرك ، فلما رأى ذلك تملكه الخوف ، حتى تراجع للوراء وكاد يجرى ، فتذكر أن الله واحد ، فعـاد وفتح الصندوق فوجد رجلا راقدا فيه ، يتنفس بصعوبة، فنظر إليه قوسو وقال "أنت أيها المخلوق إنس أم جن؟"

قال الرجل "لماذا تسأل؟ افعلوا ما تريدون واستريحوا ، ولكن اكتبوا ورقة وارموها ، حتى إذا رآها إخوتي تهدأ نفوسهم ويصبرون"

نظر إليه قوسو ودموعه تتساقط وكل الصندوق يقطر دما قال "نحن الآن في المقابر ، بعض الناس جاءوا بك إلى هنا لا شأن لى ، لقد كنت مختـبئا هنا فرأيتهم يلقونك داخل هذا الكهف ، فظننت أنـهم لصوص يخفـون مالا ، لـذلك جذبتك ، قل لـى قصـتك لأسمعها لعلى أستطيع مساعدتك." .

قال الرجل "أنا الأن قـريب من الموت ، لا أستطيع أن أقص عليك أية أخـبار ، إذا كنت تستطيع مساعدتـي ، فيما بعد إذا كان لى بقية من حيـاة ، وإذا لم تستطع مساعدتي بالله عليك تأخذ حجراً وتكسر رأسي لأموت وأستريح"

استولت الشفقة على قوسو وأخذ قطعة من عمامته وربط جرحه ، فقد كان الدم ينزف من فخذ هذا الرجل ، وعندما قرب الفجر على الظهور تسلل وذهب به إلى قرية صغيرة غرب المدينة ، وقال أن أخاه جرحه اللصوص ، فأنزلوه في حجرة وأخذ قوسو يمرضه حتى شاء الله أن يشفي تماما ، فلما شفي سأله عن اسمه وحرفته وسبب حدوث هذا الأمر.

قال الرجل "اسمى ميكوما وحرفتي الصيد ، وذات يوم جاء رجل عجوز صغير قصير أبيض أعور وطلب أن أعطيه صدقة لله ، فأشفقت عليه، فأعطيته شلنا وقميصا قديما لى وسروالا ، وقميصا وعمامة ، فشكرني كثيرا وانصرف.

وفي الليل عاد إلى منزلي ، وقال لى ماذا أطلب ليفعله لى ، أنت تعرف أن الأنسان لا يريد شيئا إلا أن يتفوق في حرفته ، لذلك قلت له لا أريد إلا شيئا واحد ، أن كل ما يدخل شبكتي يصير سمكاً ، حتى ولو كان ورقا ، فما بالك لو كانت ضفادع حية فابتسم هذا الرجل العجوز ، وقال لي في منتصف الليل ستأتيني جنية ، لا أخاف منها لأسألها عن الشئ الذي أريده ، وذكر لى بعض الأوراق وقال لى «كلما أردت رؤيتها أحرقها في حجرتي فتأتي في الحال.

وعندما انتصف الليل ، جاءت ، فسألتها ، فأعطتني هذه القدرة ، فلما رأى باقي إخوتي أنني أفوقهم في الصيد ، ولا تتحدث المدينة كلها إلا عنى ، حقدوا على ، ودبروا لى مكيدة ليبعدونى عن مدينتنا الشهر الماضي، لذلك جاءوا بي هنا الشهر الماضي ليقتلوني، هم الذين رايتهم يدفعون بي على سور المدينة ، ويظنون أنهم قتلوني ، ولم يعرفوا أنه ما زال في حياتي بقية ، والآن غدا ليلة الأحد ، سأقدم لك خيرا ، أنا أيضا إذا جاءت إلى هذه الجنية سأخبرها بكل ما حدث لى ، وسأطلب منها أن تساعدك إذا كان لديها فرصة.

شكره قوسو ثم قال "هل رأيت هذا العجوز الذى تقص أخباره ، لابد أنه هو الذي وهبني الحظ السعيد ، اسمه العامري ، ألم يقل لك؟"

قال ميكوما "العامري ، نعم هو العامري"

قال قوسو "لابد أنه عرف أن هذا سيحدث ، لذلك قال لي أن آتى لأساعدك" وقال له كل ما حدث ، بينه وبين العامري وميكوما فتعجبوا

وقبل أن تغيب الشمس بحث ميكوما عن هذه الأوراق وأعدها ، ثم تركها حتى تأكد من نوم جميع الناس ثم قام وأخذ هذه الأوراق وأطلق بخورها ، فما كاد بخورها يظهر حتى خرجت الجنيه ، فقص لها كل ما حدث له"

عندما سمعت ذلك قالت "ياويحك ، صدقت ، لقد انقطعت فترة طويلة عن استدعائنا ، أين الصبي الذي ساعدك؟، ها هو ينام ، وهو كذلك، أيقظه فنحن كذلك سنجازيه خيراً ، منذ شهر واحد العامري أخبرني قصته"، وأيقظ قوسو فحيا الجنية ولما انتهيا من التحية سألته عما يريد ، فقال أنه "لا يريد شيئا سوى أن يعود إلى منزله ، وأن يتفوق بعمله على إخوته.

أخذت الجنيه خاتما من الألمونيوم من إصبعها وقدمته إلى قوسو وقالت له "خذ هاهو جزاء عملك"

أخذه قوسو ووضعه في يديه ، ولم يعرف فائدة هذا الخاتم ، واختفت الجنية ، ونظر إلى الخاتم وقال لميكوما "هل تعرف فائدة هذا الخاتم؟، لو بعته لا يساوى نصف قرش"

قال ميكوما "والله ولا أنا أعرف فائدته ، أظننت أنها ستعطيك مالا أفضل من هذا قيمة، غدا تتبعنى إلى مدينتي لأمدك بالزاد ، حتى لا يضحك عليك إخوتك"

قال قوسو "ليس لدى فرصة للرجوع ، بقى الآن ثلاثة أيام ونلتقي حيث اتفقنا أنى أريد أن أسير طول النهار ، والآن طالما أنك شفيت يجب أن نودع بعضنا ، وفي الصباح أريد أن أرحل لعلى أقصر الطريق"، فودعا بعضهما بالبكاء لشدة الألفة.

وفي الصباح قام قوسو وأخذ الطريق ، وأخذ يسير ويسير ، وقد نال الحظ ، ولم ير الحظ السعيد ، وكاد يرمى هذا الخاتم من شدة الغيظ ، فرأى أنه إذا رماه ، لا شئ يريه لإخوته ولأبيه ، فتركه ، وأثناء السير ، وصل إلى غابة كثيفة ، فطلع الفجر ، فبحث عن الماء في كل مكان ليتوضأ ، فلم يجد ، فجلس ليضرب الأرض ليتيمم ، ويؤدى الفريضة فمابالك بغير المتعلم لم يحاول أن يخلع الخاتم أثناء التيمم ، فضرب الأرض به مرتين ثم مسحه ومسح وجهه ، ومسح ذراعه اليمنى وخلل أصابعه ، ثم مسح ذراع يده اليسرى ثم بدأ يخلل أصابعه ووصل إلى الأصابع التى بها الخاتم فمسحها فرأى فجأة شخصا ضخما كأنه نزل من السماء يقف أمامه ويقول "ها أنا ذا اطلب ما تريد أقدمه لك الأن"

لم يعرف قوسو متى قطع التيمم ، ظن أنه لص ، وقال "والله ، ليس معى ولا قرش ها متاعى افتحه وابحث فيه"

قال الرجل له "نصرك الله ، لا تخف منـى ، لست لصا ، أنا جنى ، أنا خادم هذا الخاتم الذي في يدك ، كل من يملكه ، أكون له خادما ، لقد شعرت أنك تمسحه ، لذلك ظهرت مرنى، تجد كل ما تأمر به"

وقلب قوسو يرتجف قـال له "وهو كذلك، احضر لى ماء لأغسل وجـهى" فما كاد يغلق فمـه حتى اختـفى الجن ، وبعد قليل ظهـر بقدر من الماء ، فغـسل قوسو وجـهه ، وتوضـأ وصلى، وقام وواصل السـير وهو يقـول "هل هذا الجنى يلعب بى ، أم هو أمـر حقيقى؟، هيا أجرب" ثم مسح الخاتم مرة أخرى.

خرج الجني وقال " ها أنا مرنى"

قـال قوسـو "إن كـان حقيقـة ما تقول وليس مزاحـا ، أحضر لى طعامـا" ، اختفى الجنى ، وبعد قليل عاد بأنواع شتى من الطعام ، أحضرها هو ثم جلس قوسو وأكل وشبع شبـعا شـديدا ، ولم يعرف من أين جـاء بهذا الطعام ولـكنه أكل ، لقد سمـع مثل هذه القصص في كـتاب ألف ليله وليله لـذلك زال عنه الخوف من هذا الجنى ، واتخـذ طريقه وقصد المـنزل ، يستفيـد من هذا الجنى كلما احتاج شـيئا ، وعندما تعب من السـير على قدميه طلب من الجنى أن يحضر له حصانا معدا للركب فركبه وسار به.

قال الناس في وقت واحد "هذا فاقهم جميعا حظا"

قال الوزير "اتركوا المديح ، طالما أن السرقة حرفـته ، سيأتى الوقت الذى لا تباع فيه السلعة المسروقة حين يسرق متاع الأمير".

قال الأمير عـبد الرحمن "لقد قلت أن جمرو لص ، وهذا قـوسو اين تكون السرقة هنا؟".

قال الوزير "أن لم يقل عن هذا اللص ، الـباقون ليسـوا لصوصا في الحيـاة الدنيا ، المال الذى جاء به الجنى له والمتاع هل نسجوه بأنـفسهم؟، أم أنه متاع خلق الله من أى بلد سرقوه وأحضروه له؟"

قال القضاة "صدقت ، يقال في القصص: صديق اللص لص"

قال الوزير "الأعمى عندمـا يريد الغيبه يقول راقبوا لى الطريـق. هذه القصة تذكرني بقصص داود وطنتيا.

رفض أكل القرد فأكل الثعلب

ذات يوم دخل نشال اسمه داود سوق كنو ، فتقابل مع نشال آخرَ كان يختفى خلف السوق ويمسك مسبحة في يده كالناس الصالحين ، فنظر إليه داود وقال "طنثيا ، أى شرك تنصبه اليوم هنا ، ألا تريد أن تتكلم مع الناس؟"

قال طنثيا "أي شرك أنصبه؟"

قال داود "هلا وجدت ما يسد جوعتك ، بالله عليك قم لندخل السوق نرى ما سيرزقنا الله ، أم أنك شبعت ، ولا تحتاج شيئا؟ ، ها اليوم قد استعد حي فاجى للاحتفال واللهو ، فكل أصحاب الكمان والعود في حي سابون جرى قد اجتمعوا"

قال طنثيا "لقد عقدت النية على أن أتوب عن النشل منذ الشهر الماضي ، والآن ليس لى عمل إلا العبادة ، إذا لم يجد الإنسان ما يحترفه منذ الطفولة يفسد"

قال داود "تركت النشل ، أمر عجيب ، ماذا تأكل؟"

قال طنثيا "لا آكل إلا الأشياء التي أنالها بحيلتي ، الفم الذى خلقه الله لا يحرمه من الرزق"

قال داود "غير أفكارك ، لا تنفع هذه الحيل في مدينة كنو ، ولابد من الأمر الواقع ، فهل هذه الحيل ستطعمك؟ ، لا تكن كمن يرفض أكل لحم الكلب فيأكل لحم الثعلب" .

قال طنثيا "لقد قلت لك أننى تبت عن السرقة ، وتركتها ، إذا كنت أسرق هل أخشى من القول لك ، ولماذا؟ ، هل يخفى عن الحانوتى خبر الموت؟ ، اذهب واتركنى لشأنى ، أي شئ تسرقه احضره هنا أحفظه لك حتى تعود ، حتى لا تظل ممسكا به في يدك فيراه الناس"

قال داود "وهو كذلك ، قول حسن" وقصد السوق.

قال طنثيا "الله يسعدك"

دخل داود السوق وأخذ يقطع جيوب القرويين ويسلب محتوياتها ، فيحفظها له طنثيا، وإن لم يجد مالا ، يخطف قبعة أو مقطعا من القماش من أحد التجار ، ويأتى به إلى طنثيا فيحفظها له في بطانية قديمة. كلما أحضر شيئا قال له طنثيا "خرجت اليوم وأنت محظوظ ، انتبه ، لاشك أن كل ما تركناه مغطى سوف تفتحونه ، عجبا بعد أن تركنا هذه الحرفة ، وجدنا من يرثنا"

قال داود "دعك من هذا ، الأوربيون لهم حيلهم ، إنهم يستعملون الشرطة ، ولم يعرفوا أنهم لو جعلوا كل هذه المدينة شرطة لا يستطيعون منعنا من النشل ، إلا إذا منعوا أهل الريف من الحضور إلى السوق ،ويحك لقد ولدنا في كنو وعشنا في كنو ، ثم يحتالون علينا في كنو ونحن في كنو؟!"

أخذ طنثيا يردد قوله "عظيمة كنو كبري بلاد الهوسا ، كل مدينة عدا كنو غابة من غابات الله ، الولد يأتى بكل شئ في مدينة كنو ، اجتهد لترى ، الابن يرث الكبير ، ترك الطعام ليبرد وهو الذي يجعله من نصيب الغير ، ودخل داود السوق وظل يعمل حتى كادت الشمس تغرب.

وفي العصر رأى طنثيا شرطيا فتعارك معه فوضع الشرطي القيد في يده ، ووقف على رأسه يضربه ، وربط وسطه بحبل وسحبه به ، فلما رأى طنثيا داود من بعيد قادما ببعض المسروقات قال "للشرطي "امسك هذا " ، فلطمه الشرطي ، فأخذ يصيح ويقول يا ويلى يا ويلي ، ليست حاجتى صاحبها قادم هاهو لقد تبت من الشهر الماضى".

عندما شعر داود بذلك غير طريقه فقال طنثيا " أين ستذهب؟ ، أقبل ها متاعك"

قال داود "أي متاع؟ ، اقسم بقبر أبى لم أعطك شيئا لتحفظه لى"

قال طنثيا "ويحك يا داود ، لأنك رأيت حظى سئ اليوم تفر منى هكذا؟ "

قال داود "متى فعلنا شيئا معا فأفر منك اليوم ؟ ، أنت من فاجى وأنا من هنا ، وما الذى يجمع الشامي على المغربي ، اذهب معه أنت الذى أذنبت"

قال طنثيا "الشيء الذى أعطيتنيه وديعة هل أنت مسامح فيه؟ ، واذهب بما تحكم به على المحكمة ، وبعد انتهاء الحكم آخذ ما عندى ، فلست أول من سجن في هذه المدينة ، قال داود "أنا لم أعطك وديعة من قبل ، اذهب لحالك لتنال ما تنال ،الحياة مهارة ومضى لشأنه"

فلما اختفى قال طنتيا للشرطى " فكنى "

قال الشرطي "كيف أفكك؟ ، غير كلامك ، كيف أقبض على لص وأتركه؟ ، ولماذا يستعملنا الأمير" ودفعه من عنقه إلى قاضى السوق.

سأل قاضى السوق طنتيا عما فعل ، فقال "غفر الله لك يا سيدى ، كيف أنشل اسأل الشرطي عما سرقته حتى يقبض على" ، التفت القاضى إلى الشرطي وقال "ماذا فعل حتى تقبض عليه؟"

ذكر الشرطي الأسباب التى دفعته ليقبض على طنتيا ، وكرر الحديث الذي دار بينه وبين داود.

أمر القاضي بجمع كل المال والمتاع ، وكلف من يبحث في السوق عن أصحابها ، "من الذي سرق الان؟ " فلم يرد عليه أحد ، ما بالك بسوق كبير كثير الحركة مثل كنو ، كل مشغول بما أمامه ، لا يعرف أحد أحدا ، ولو سمع الإنسان من يبحث عمن سرق منه حوالى عشرة شلنات ، وسمعت من يبحث عما سرق منه ثلاثة جنيهات وشلنان وقرش ونصف ، هل تجيب وتذهب إلى دار القضاء؟

لقد طاف الباحثون السوق فلم يجدوا أصحاب المتاع ، فقال قاضي السوق "الأن ليس لدى الدليل الذي أحكم به ولا أحكم بالظن في هذا الأمر ، لأنهم يقولون الظن إثم حتى لو صار حقيقة ، أيها الشرطي أطلق سراحه ، إذا كانت هذه عادته سوف يكررها ، وأطلق سراح طنتيا.

عندما فك وثاقه ركع أمام القاضي وحياه وقال "أصلح الله أمر القاضي أنا عندى شكوي ضد الشرطي لأنه اتهمنى زورا وسوء سمعتى في السوق يجب أن آخذ حقي منه"

دمعت عينا الشرطي ، فقال القاضي "الأفضل أن أسالك الان أن تغفر له وتعفو عن بعضكما ، وتذهب لحالك." . قال طنتيا "وهو كذلك، أحسن الله إليك يا سيدي لعظمتك غفرت له"

وقام وجمع ماله ومقاطعة الأربعة وخرج ، وقصد الشارع الذي يسكن فيه داود فوجده، فلما رآه انفجر ضاحكا ، وقال "كم جلدة؟"

قال طنثـيا "ويحك كم جلدة ، لو خربت لا أكون أحـد ابناء هذه المدينة ،..ها المتاع والمال تركوه لى كله"

قال داود "وهو كذلك ، علينا أن نقتسمه لأنه ملكي"

قال طنثيا "نفعل ماذا؟ نقتسمه؟ أتقول حقا أم تمزح؟"

لقد قـلت لك من قبل أننى تركت السـرقة ، وآكل بحـيلتى ، ها هى حيـلة واحده بدأت تراها من حيلى التى آكل الطعام عن طريقها ، هاك خمسة شلنات اشرب بها ثريدا .

رأى داود ألا يتركه عـبثا ، فأخـذها ونظر إلى طنثيا ، وقال "أذهب أيهـا الفاسد ، لابأس سرقة بيت اللص دين"

انفجر الناس في الضـحك وقالوا "لابد أن طنثيا هو الذى كـره أكل لحم القرد فأكل لحم الثعلب "وانصرفوا وهم يتعجبون من أبناء مدينة كنو.

لقاء قوسو وجمرو ونومو

في اليوم الأول من شهر عيد الأضـحي ، أي اليوم الذي قال كبير الزراع لأولاده أن يتقابلوا فيه فـي المنزل ، وإذا بهم جميعا يلتقون في مفتـرق الطرق الأربعة ، حيث وعدوا أن يلتقوا ، وصل جمرو أولا ، فأنزل المتاع من فوق ظهـور حميره في ظل شجرة وقيدها ، وأخذت ترعي ، وبحث عن مكان وجلس فوق حصيرة مستديرة.

وأثناء الجلوس رأى من بعيد شخصا قادما يـركب حصانا فلما اقترب أدرك أنه قوسو فأمسك له الحصان ونزل ، وجلسا يتبادلان التـحية ، وأهل المدينة ينظرون إليهما ، وامتنعا عن الدخول لأنهم وعدوا إن كتب الله لهم الحياة أن يجتمعوا ويدخلوا معا.

وهم على هذه الحال رأيـا من بعيد شـخصا يقـبل لا يملك إلا الرداء الذى يرتديه ، وعصا غليظة يعتمد عليها يغنى وهو سائر ، فلما اقترب أدركا أنه أخوهم الأصغر نومو ، فجاء وجلس فتبادلوا التحية ، فنظر إليه جمرو وقال "هل سرقت في الطريق؟"

قال نومو "سرقة ، لا يوجد من يسرقنى؟ ماذا ترى؟"

قال جمرو "لا بأس" وفـتح متاعه وأخذ قميـصا صغيرا ، وقدمه إلـيه ليرتديه حتى يدخلوا المدينة"

قال نومو "هل تحتـقر ما حصلت عليه؟ ، وهو كذلك ، هيـا نذهب ، أنا لا أحتقر شيئا ، أحمد الله ، خـذ قميصك ، يكفينى ما حصلت عليه" ، وأخذ قـميصه ووضعه في الصندوق واستعدوا ودخلوا المدينة معا ، كما خرجوا معا.

وكان أبوهم قـد أمر أن يكنس المنزل ويعد الطعام لأنه كـان يظن أنهم إذا لم يعودوا جميعا سـيعود واحد منهم ، وبينما هو جالس يرقب الطريق، وإذ بهم يأتون جمـيعا فقام أبوهم مذهولا من شدة السرور ، فأخذوا متـاع جمرو وأدخلوه ، وأنزلوا ما يحمل قوسو ، ودخل الأولاد المنزل وعانقوا أمهم في سرور.

ولما هدأت حرارة اللقـاء ، وخفت زيارة الناس ناداهم أبوهم في البهـو، وأخذ يسأل

كل واحد منهم عما فعله والحرفة التى اكتسبها ، وبدأ بجمرو لأنه الأخ الأكبر ، فقص له قصة هذا الصبي الصغير ، الذي كان يخدمه ، والقطة التى أعطاه إياها وما حدث بينه وبين العفريته ، كل هذا حكاه لأبيه وأخوته فاستولت عليه الدهشة.

عندما طلع النهار جمعهم والدهم مرة أخرى ، وقص لهم قوسو ما حدث بينه وبين صاحب المزرعة ، وكيف اختار الحظ السعيد من العامري ، حتى تقابل مع ميكوما ، والرجل الصياد ورفاقه ، الذين ضربوه ووضعوه في صندوق ووضعوه في كهف شجرة الباوباو ، وكيف ساعده ميكوما وأعطته الجنية الخاتم وشرح ،لهم كل فوائد هذا الخاتم ، ولكى يثبت لهم أن ما يقوله حقيقة وليس خيالا ، نظر إلى والده وقال "ماذا تريد يا أبتاه في هذه الحياة الدنيا ، تراه الآن أمامك؟"

قال والدهم "أريد لحما مشويا"

ونظر قوسو إلى جمرو وقال "وأنت ماذا تريد؟"

قال جمرو "كرسيا من ذهب"

وقال لنومو "وأنت؟"

قال نومو "طاقية الإخفاء"

نهره والده وقال "كل واحد طلب شيئا طيبا ، وأنت تطلب طاقية الإخفاء؟ ، هل ستعمل بالسرقة؟" قال نومو "لا تزد ، لقد قلت كل ما يخطر على قلب كل منا ، وهو ما خطر على قلبى " ، فلم يفهم أبوهم شيئا، فتركهم.

حك قوسو خاتمه ، فرأوا الجن يظهر أمامهم ، ويقف ويقول "نصرك الله ، قل حاجتك، وعلينا الإستجابة"

قال قوسو "أريد أن تحضر لنا الأن لحما مشويا ، وكرسيا ذهبيا ، إذا وجدت وطاقية الإخفاء ، إذا كانت لديك؟"

وقال الجنى "وهو كذلك لا شئ أعجز عن الإتيان به إلا ما لا يوجد في هذه الحياة الدنيا" ، ثم اختفى ، فتح والدهم عينيه يظنون أن قوسو تعلم السحر ، ولا شئ غير ذلك ، وأثناء ذلك ، إذا بالجنى يعود بكل ما طلب منه ، فمد نومو يده وأخذ طاقية الإخفاء ووضعها في جيبه.

وبمجرد أن كشف جمرو عن هذا الكرسي الـذهبى ، رأوا المكان يضاء، والتفوا حوله وهم يتعجبون ، فقال قوسو لجمرو "ها هو إذا أردت أن تجلس عليه اجلس " .

قال جمرو "بالله عليك أكتم السر ، لا تكن سببا في قطع رقبتى ، حتى أمير سيركا الذي ذكره الحاج أبو بكر إمام في قصة الماء الشافي ، لا يجلس على هذا الكرسى" وأمر جمرو الجنى أن يعيده إلى حيث جاء به ومد والدهم يده وأكل الطعام مع أولاده وتفرقوا.

وفي اليوم التالي تجـمعوا مرة أخري ، نظر الوالد إلى نومـو فقال للأخ الأصغ وأنت. أية حرفة احترفتها ، أرى أنك لم تأت بشئ ؟ " .

قال نومو "لعلك ترى أن رحلتى فاقت الجميع حظا ، فما وجدته يختلف تماما عنهم ، فهو ليس شيئا ملموسا ، لقد قال القدمآء ، كلٌ والمرعى الذي يعجبه ، إذا اشترى صاحب البيت ذئبا فما دخل الجار به"

قال الوالد "وهو كذلك ، فما هى الحرفة التى تعلمتها؟ و، ماذا نلت منها؟"

قال نومو "الحرفة التى تعلمتها ، ليست تجارة الكسالى ، لقد نلت العلم والذكاء"

فوضع الأب يده على رأسه وقال"لقد تعلمت شيئا عظيما ، أى فرع من فروع العلم تعلمت؟ ، التفسير أم اللغة أم النحو؟"

قال نومو "لا أتعبك يا أبتى أنا لم اتعلم شيـئا من هذه العلوم ، لقد تعلمت السرقة وتفوقت فيها حتى صرت رئيسا للصوص " .

قال الوالد "السرقة ، والعياذ بالله ، اللهم احفظنا من هذه الحرفة التى تعلمتها ، أي قلب أسود جعلك تحترف هذه الحرفة"

قال نومو "مـا ذنبى في هذا؟ ، لقد سمحت أن يحتـرف كل منا الحرفة التى يريدها وهو كذلك ، لقـد رأيت أن السرقة أكـثر ربحا لى لذلك احـترفتهـا" ، وقص له كل ما حدث بينه وبين اللصوص.

ضحك باقى إخـوته ساخرين منه وقالوا لن نعـيش معه مرة أخـرى ، فقال الأب ، صدقـتم فكيف يعيش ثرى مع لص في مـنزل واحد، إن هذه المعيـشة تكون كـاذبة ،قال إخـوته يجب أن يطرد من المنزل ، أو يخـبر الأب الأمـير لـيسـجن ، فقـال الأب" وهو كذلك، كيف تفـعل ذلك، هل يطعن الإنشان نفسه ويتفـاخر بذلك؟" ، ونظر إلى نومو وقال

"لا حول ولا قوة إلا بالله ، لقد صرت فينا كالعضو المصاب بالسرطان إذا تركناك ستصيب إخوتك ، وإذا قطعناك لا نجد لك بديلا " .

قال نومو "لا يا أبتى ، أرى أنك تلعننى ، لقد جعلتنى أفسد دون ذنب لى كما باركت ودعوت لكل واحد دعوت لى ، فعندما افترقنا لم تقل لنا ألا نختار حرفة السرقة، قلت الحرفة التى ترونها"

عجز الأب عن الرد ، وعفا عن نومو ، وعاشوا معا مرغمين ، ولكن كان إخوته يسخرون منه ، ويلومونه ، وإذا سار معهم في طريق يقولون "هذا الولد الشقى ليس أخونا"

وهم على هذه الحال رأى جمرو إبنة أمير المدينة فألح على والده ليتزوجها ، وما أدراك ما التنافس بين الإخوة ، رآها قتوسو ، فألح هو الأخر على والده ليتزوجها ، وسيفعل كل ما يطلبونه من أجلها ، ولم يتدخل نومو في الحديث ، وقال في نفسه "يجب أن أتدخل وأطلب هذه الفتاة للزواج مثلهم ، إنى أعرف طبع أبى ، إذا رأوا أننى تركت هذا الأمر ينظرون إلى نظرة وضيعه ، لأنى فقير"

فقال لوالده أنه يريد أن يتزوجها هو أيضا.

عندما سمع الأب كلام نومو قال "الحى لا يعدم الحركة ، فعليك أن تتحرك ، لقد سمعت إخوتك الأثرياء يخشون من الحديث معك ، فما بالك عندما تتفاخر بحرفة السرقة؟ ، كأنك لص كبير"

قال نومو "طالما أنك انجبتنى ، ولست ابن زنا ، لابد أن تفعل لى ما فعلت بإخوتى" ، فقال الأولاد معا لأبيهم لابد أن يخطب لهم ابنة هذا الأمير.

قال الأب "يجب أن تصبروا وتتركوها لواحد منكم ، إذا وافقتم اذهب أطلبها له" أصر كل واحد من الأولاد على أن يتقدم إليها وأنه لا يستطيع تركها ، إلا إذا عجز وخارت قواه، وأرغموا الأب على أن يذهب إلى الأمير ، ويبلغه رسالتهم جميعا ، وكاد الأمير أن يأمر بضرب والدهم، بسبب هذا التهور ، قال الوزير "نصرك الله ، من يقول أنه يريد توطيد علاقة الود معك لا يكرهك ، يقول الناس "إذا سمعت الأعمى يقول نلعب بالحجارة ، فاعلم أن في يده حجرا"

قال الأمير "كلامك هذا مسموع أيها الوزير؟ ولكن ، ماذا ترى أفضل ما نفعل؟"

قال الوزير "يجب أن نسأله عما يستطيع كل واحد من أبنائه أن يفعله بالنسبة لهذا الأمر ، فإذا علمنا كل ما يتفاخر به كل منهم ، نستطيع أن نجربه بالأسلوب الذى لا يستطيع القيام به ، وبذلك نتخلص منهم واحدا واحدا ، لعجزهم عما طلبنا منهم دون ضربهم.

قال الأمير "كلامك هذا لا يرد ، وأمر من ينادى كبير المزرعة طالما كان الوزير ينوى الحديث خرج كل الناس - فلما دخل كبير المزارعين ، سأله الأمير عن حرفة كل أبنائه، الأمر الذي جعلهم لا يريدون الزواج من أكفائهم ، ثم اتجهوا إلى ابنة الأمير ليتبارزوا في خطبتها.

قال كبير المزارعين "الكبير لا يملك إلا المال ، والذي يليه يستطيع أن يفعل كل ما تريده في الحياة الدنيا ، والصغير نصرك الله اغفر لى ، عندما خرج يبحث عن حرفة في هذه الدنيا تعلم السرقة ، حتى صار لشهرته رئيسا للصوص.

قال الوزير "ألم تسمع الآن ، نصرك الله ، يجب أن تحدد لكل منهم الصداق الذي يدفعه بالأسلوب الذى تميزه به.

قال الأمير "هذا الأمر فريضة أيها الوزير" ، ونظر إلى والدهم وهو يتبسم وقال "اذهب وأخبر ابنك الأكبر أن صداق ابنتى ألف جنيه يحضرها بسرعة ويستعد للزواج" أسرع أبوهم وقال لجمرو ، ولم يكد ينفض مجلس الحاشية حتى رأوا كبير المزارعين يحضر المال ويقدمه إلى الوزير فقدمه الوزير إلى الأمير.

نظر الأمير إلى الوزير وقال "أيها الوزير ها هو قد أحضر الصداق فما العمل؟" .

قال الوزير "نصرك الله ، الرجل الذي يقدم ألف جنيه صداقا ، لا يكون من عامة الشعب ، وهذا يستحق الزواج ولم يقل من قبل ذلك أن بنات الأمير لا يتزوجن الأثرياء، الأفضل أن نضع شروطا للباقين حتى يتركز اهتمامنا على هذا ونستريح من هذا الأمر ، ولو علمنا ذلك لحددنا صداق ابنتك بألفي جنيه".

قال الأمير "اسكت أنت "ونظر لكبير المزارعين وقال "اذهب وقل من يليه ، الذي قال أنه سيقدم كل ما أطلبه ، قبل الغد في مثل هذا الوقت يبنى لى منزلا طوله مائتا قدم،

وعرضـه مائه ، وارتفـاع الحائط لا يراه من يركب الحـصان ، ويكون له اثنا عـشر ممرا ، يعبـرها الإنسان قبل أن يدخل المنزل ، ويبنى فـيه أربع حجـرات وطرقه ،وأن يكون لكل الحجرات والممرات دعائم في السقف ، ويفرشـها بكل أنواع السجاد والقطيفة وكل أدوات الزينة.

شعر كبير المزارعين بالعجز ، لأنه رأى أن هذا الطلب من الصـعب تحقيقه ، فاستأذن من الأمير ، وقام ، وذهب فوجد قوسو ، فقال له كل ما حدث ، فقال قوسو "لا بأس، يصلح الله الأمر" ، وحك الخـاتم ، وفي الحال ظهر الجنى فـدله على المكان الذي طلب الأمير أن يبنى فيه القـصر قبل الصباح ، وكل التفاصيل التى طلبـها ، وسأله هل يستطيع مساعدته ، لأن الأمير وعده أن يكون هذا هو صداق ابنته التى يريد أن يتزوجها"

قال الجنى "هذا أمر يسـير ، طالما أنك تملك هذا الخاتم ، تأكد أن شيـئا واحداً ليس لى سلطان عليه هو الروح ، لا أستطيع أن أنفخها" ، ثم اختفي.

جلس الأمير مع الوزير يضحكان ، ويقولان " أرأيت لقد تخلصنا من هذا" ، وقام الأمير وانصرفت الحاشية.

عندما طلع النهار استيقظ الأمير فـأطل من النافذة ، فإذا بقصر ضخم كأنه هبط من السماء ، فلم ينتظر حتى يغسل عينيـه ، وقام وذهب إلى هذا القصر ودخل وأخذ يتجول فيـه وهو في غاية الدهشـة ، قصر من الطوب ولـكنه كالأسمنت ، كل ممر يـدخله يجد المقاعـد والسجـاجيد وأدوات الزينة أنواعـا مخـتلفة ، إذا تجاوزها ودخـل الأصطبل وجد الخيـول ، والطوارق الملثمين لاعـمل لها إلا قـضاء الوقت في اسـترخاء ، وعـندما دخل مخزن القصر رأى كل شئ معداً ، والخدم والجـوارى يروحون ويجيئون في القصر ، وكل حجرة نوم يدخلها إذا نظرت إلى السرائر والفرش والسجاجيد تأخذ بالأبصار ، ويري أنها أفضل مما رأى من قـبل ، المتاع الذى فرشت به كل حجـرة ، أفضل من السابقة علـيها ، أمر يفوق الوصف، فلما رأى ذلك بعث إلى الوزير ، فجاء فكان أكثر دهشة .

وهم على هذه الحـال عجزوا عـن الخروج من شدة الدهـشة ، وإذا بكبيـر المزارعين يدخل ، فركع وحيا الأمير وقال "ها هو القصر يقول أنه انتهى ، هل بناه كما تريد؟ ".

فأخذ الأمـير يقلب كفيه فـقال الوزير لكبير المزارعين " اذهب وقل له، لقـد أعجبنا كثيراً" فخرج كبير المزارعين.

قال الأمير للوزير "وهو كذلك ، ما العمل ، ماذا سنفعل الأن؟ لا بد أن هذا العمل عمل الجن"

قال الـوزير "هذا لا يحتـاج إلى كلام ، الأفـضل الآن أن نخبـر أبنه الأصغـر ماذا سيفعل بحرفة السـرقة ، حتى يعجز ، فلنستدعه ، ونفعل معـه كما فعلنا مع الأخرين ، لأن الذئب الهرم لا يخـاف من الكلب ، ولذلك حتى لو بارت ابنـتنا لا تتزوج من كبـير اللصوص"

قال الأمير "هل يقدم أحد على هذا ، ربنا، ييسر إن شاء الله وأحيانا في الغد أبعث إلى كبير المزارعين ليأتي مع أبنه الأصغر كبير اللصوص ، ونرى ما يتفاخر به.

قال الوزير "رفـعك الله ، وهو كذلك ، واليوم نفكر ليـلا في الأمور الصعـبة التى ستكلفه بسرقتها" ، وركع وقال للأمير " أتركك بسلامة الله " ، وقصد منزله.

عندما سمع الوزير البيـغاء وحاذق يتوقف فقال "بالله أمض وأكـمل القصة لنسمع ، إنها قصة واحده قطعتها لتقصها في عـدة أيام ، هذا عمل غير جميل وغير مفيد ، ويعلّم عملا سيئا، قال حاذق "لو لـم تتكلم اليوم لواصلت الحديث"

اختبار نومو كبير اللصوص

عندما طلع النهار ، بعث الأمير إلى كبير المزارعين ليأتي مع نومو ، وقال له "طالما قلت أن السرقة هى المهنة التى تتباهى بها إذا كنت ممن يطلبون ابنتى سأجربك بأربعة أشياء، إذا فشلت في واحدة أقتلك ، لأنك جئت لتسرقنى ، هل توافق؟ " .

قال الأمير "غدا تأتى وتسرق خاتمى ، ها هو سأضعه فوق المائدة بالنهار أثناء اجتماع رجال الحاشية ، ولا أوافق على استعمال طاقية الاخفاء" .

قال نومو "وهو كذلك اسأل الله أن يحيينا إلى الغد" ، وأستأذن وانصرف.

قال الناس غدا نستعد لرؤية الخوارق ، كيف سيسرق الخاتم أمامنا في وضح النهار، ونحن نرى ونسمع ، بدون طاقية الأخفاء.

وفي اليوم التالى أخرج الأمير الخاتم ووضعه على المائدة ، وأحاط به رجال الحاشية، وأخذوا يتحدثون ، وهم متأكدون أن الخاتم لم يسرق ، وبينما هم جالسون ، حضر رجل عجوز يحمل سلة ، وأطل في المجلس وهو يتسول ويقول "اللهم ارزقهم ، اللهم اجعلهم من الناجين"

فلما رآه أحد رجال الحاشية زجره وقال له "أنت اذهب من هنا ، الا تعرف أن هنا قصر؟ ، هل الشيخوخة جنون؟

قال الأمير "دعه يتسول ، الان هو في عقل الصبي ، وغافل العجوز عيونهم وأطلق من سلته أرنبا في الممر"

فلما رأى رجال الحاشية ذلك قالوا "ها أرنب ها أرنب!!"

قال الأمير "اتركوه ، وانتبهوا لما تعملون" ، ثم أطلق العجوز أرنبا آخر، فصاح رجال الحاشية "ها أرنب آخر ، لقد صار اثنين إنهما سمينان، ربما أنثى وذكر ، إن شكلهما مفرح، والأفضل أن تجمعهما مع الحيوانات التى يربيها الأمير"

قال الأمير "حتى الآن ما ربيت الأرانب قط ، ولكن استمروا في عملكم" ، والعجوز واقف بتسول ، فأطلق واحدا آخر.

فهب الأمير واقفا وقال "أسرعـوا وأحيطوا بهم وامسكوهم ، لأضمها إلى ما أرعى من الحيوانات ، قدم الناس وأخذوا يتتبعـون الأرانب في المنزل ليمسكوها ، وتركوا الخاتم فوق المائدة ، فلما أمسكوا الأرانب وعـادوا ، قال لا حول ولا قوة إلا بالله ، وقال " من الذي أخـذ الخاتم الذي كـان هنا الآن ؟" ، فلم يرد أحد ، وأخـذ كل رجال الحـاشيـة يبحثون في التراب فلم يجدوا الخاتم ولا أثر له.

وبعد الظهر إذ بنومو يأتي بخاتم الأمير ، ويحييه ويقول "ها هو نصرك الله"

أخذ الأمير الخاتم ونظر إليـه فتأكد أنه خاتمه فقال "أنت كذاب لقد اسـتعملت طاقية الاخفاء ، وأخذت الخاتم ، نحن اتفقنا على عدم استعمال طاقية الاخفاء".

قال نومـو "لم استعمل طاقـية الاخفـاء ، نصرك الله ، أنا الذي لبست كعـجوز ، وجئت لأتسول عندكم من قبل في الضحى ، وأطلقت الأرانب لتتبعوها ، فهذا ليس أمراً صعبا وعليكم أن تقول الاختبار الثاني.

تعجب الأمـير وقـال " وهو كذلك ، اليـوم تأتي بالليل وتسرق حـصاني الأصـفر الكميت طنتـينو نومو" . كبير اللـصوص حيا الأميـر وخرج قاصداً منزله، فـأخذ إخوته يضحكون عليه.

وقبل أن تغرب الشمس ذهب وبحث عن قدر للبيرة واشتراه ووضعه في المنزل ، ولما انتصف الليل ، لبس ثياب امرأة عجوز وأخذ قدر البـيرة ، وقصد قصر الأمير ، وقبل أن يصل هطل مطر غزير ، وأغـرقه المطر ، فوصل إلى قـصر الأمير مـبللا يرتعش من شدة البرد ، فوجد الأمير قد خصص ثمانيـة رجال من الشرطة لحراسة الحصان ، و يحمل كل منهم الجراب مملوءاً بالحـراب ،ووجد أربعة منهم يمسكون الحصـان ،أحدهم يمسك المؤخرة والثانـي يمسك زمامه وثالـث يمسك الذيل والرابع يمسك وهو راكب عليه ،وأحـدهم وهو الكبيـر يدور حول المنزل ليـحرسه ، عـندما خرج إلى ممر الأصطبـل وأطل منه رأى امراة عجوزاً بقدر تبـيع البيرة مبللة الثياب ، ترتعش وتصطك أسنـانها من شدة البرد. وتجلس القـرفصـاء تحت الحـائط من الخارج، فـخـرج وزجرها قـائلا "أنت أيتـهـا العجـوز أين ستذهبين؟".

ركعت العجوز وجسمها يهتز وارتعشت وقالت لهذا الشرطي "خرجت إلى السوق ، ودخل الليل علىّ، وفاجأني المطر ، لذلك جئت إلى هنا أختبئ ، جئت بالبيرة من القرية لأبيعها ، وها قد أقبل الليل ولم أصل إلى السوق" .

اقترب الشـرطي وسلب منها قدر البيـرة ، ورفع رأسه وأخذ يشرب البـيرة ، لعلاج النوم ، ولم يدر أنها مخلوطة بالمخدر ، فقـالت العجوز "بالله عليك ترفق حتى لا تكسر لي القدر"

فنهرها وقال "قدر ملعون أي قدر هذا الذي تملكينه؟"

وملأ بطنه بالبيرة ، وانتحى جانبا وأخذت رأسه تتمايل من النعاس ، وجلس ليرتاح ويعـود بعد ذلك إلـى عمله ، وأخذت البـيرة تستـولى على عقله ، وأخذ المخـدر يعمل عمله ، ولم يتركه إلا بعد أن نام ، فلما أدركت العجوز أنه قد نام ، قامت برفق وسلبت ملابسه وعمامتـه ، ولبستها، وأخذت حزامه وقصدت حيـث الشرطة يحرسون الحصان ، وقالت لهم على أنها رئيسهم "الا تعـرفون عند خروجي تقابلت مع هذا المجرم ، أعددت السهم لأصوبه عليه ، ركع وأخـذ يسألني المغفرة فأشفقت عليه وتركـته ، بعد أن جعلته يقسم بألا يعـود أبدا ، ولينم كل من أراد النوم ولا بأس ، ولا يخشى أحدكم شـيئا وإذا سألكم الأمير في الصـباح فأخبروه أننى الذى أمرتكم ، وإذا فضلتم البـقاء فلا بأس ، أما أنا فلن أتعب نفـسى من أجل خمـسة وعـشريـن شلنا ، أنتم ترون نومتى " ، ثم أخـذ يحدث صوتا كمن يغط في النوم .

ولما سمع باقي رجال الشرطة كبيـرهم يقول إذا حدث شئ في الصباح يقولون أنه هو الذى أمرهم ، فماذا يحملهم على التعب؟ ، فناموا جمـيعا وأخذوا في الشخير فلما رأى نومو أنهم غرقوا في النـوم حتى الشخير ،قام وخرج وأخـذ المتاع الذى أخفاه وبحث عن فروع خشب ذى شعبتين ، وحفر حفرة وثبـته فيها ، فرعان في الخلف وآخران في الأمام ووضع بعض الأخشـاب عليها كأنهـا منسوجة ، وأخذ مـا على الحصان ، ووضعـه فوق خيـال المآته ، وهو نائم لا يشعـر بشئ ، وأخذ حـبالا وربطها في هـذا الخشب، وأعطى الشرطي الذى يمسك ذيل الحصـان والذي يمسك زمامه الحبال ليمسكـها ، وهما نائمان لا يشعران بشئ والذين يمسكون الأرجل أعطى كل واحد منهم طرفـا من الشجرة وليمسكه ، وفك الحصان وربط له قطعا من القماش في الحـافر وسحبه وتسلل به وترك الجنود يغطون في نوم عميق ورئيسهم عند باب القصر قد سيطرت عليه البيرة.

عندما طلع النهار فتح الأمير القصر فرأى ما فعل نومو بكبير رجال الشرطة فانصرف وهو مملوء بالغضب ، ومع ذلك انفـجر في الضحك ، وخرج وتركـهم يغطون في نومهم العميق وبعضـهم يمسك بخشبة في يده ، والبعض الأخر يمسك حـبالا ، فبعث من يوقظ

الوزير فجاء وأخذوا يضحكون ثم أخذ الأمير سوطا ، وانهال عليهم ضربا فقاموا مذعورين يجرون.

وفي الضحى أقبل نومو وهو يسحب الحصان ، وقدمه للأمير ، فغضب وقال "تأتي اليوم ليلا وتدخل حجرتي وتسرق البطاطين التى أنام عليها ، وسأحمل بندقية إذا جئت ساقتلك بها ، وأريد أن تأتي اليوم ، وليس غدا أو بعد غد ، ولن أجعل أحدا يحرسك"

قال نومو كبير اللصوص اسأل الله أن يحيينا إلى الغد" ، وهب قائما، وقال "أنا القوى أنا نومو أبن كبير المزارعين"

وفي المغرب ذهب إلى المقابر ، وبحث عن قبر جديد ونبشه وأخذ جثة وحملها إلى المنزل وأحضر سلما وخبأه ، وفي الليل قام وأخذ الجثة والسلم وقصد قصر الأمير ودخله، وقصد الصالة فوجد النافذة مفتوحة ، والمصباح مشتعلاً كالشمس ، فأسند السلم على النافذة تماما ، وحمل الجثة على كتفه وصعد بها السلم ، حتى صار رأس الجثة مقابلا للنافذة تماما فرآه الأمير ، فصوب عليه البندقية تماما ، وأصاب الجثة في الرأس ، فترك كبير اللصوص الجثة تسقط على الأرض.

قال الأمير لربة البيت التى كانت معه «هل سمعت لقد قتلته ليرتاح الجميع ، هل يقال أن ابنتى لم تجد من تتزوجه إلا لصا ؟ ، لا يكون هذا" ، ثم قام وأخذ المصباح وتتبع السلم ونزل ليرى.

وأثناء نزوله دخل كبير اللصوص من النافذة ، وقال لامرأة الأمير "أعطنى هذه البطانية التى كنت أنام عليها لألتف بها ، هذه العاصفة الباردة كالثلج ، البرد الشديد لا يستطيع الأنسان أن يصبر حتى يمر"

كل هذا الأمر في الظلام فظنت المرأة أنه الأمير ، فأخذت البطانية من فوق السرير وركعت وسلمتها له ، وقالت "لقد استرحنا من هذا الملعون"

قال نومو "لقد كان مهملا من قبل ، ولم نعامله بشدة " ، ويقول هذا وهو يصلحها، وعندما سمع الأمير يصعد ، غير طريقه وخرج من النافذة، وذهب بالبطانية .

عندما صعد الأمير بالمصباح قال للمرأة "لقد قتلته ، ولكن أشعر أنه ليس هو لأن هذا له لحية ، والآخر شاب ، لم تكتمل لحينه ، ربما هذا المجرم قد تحول"

قالت المرأة "يستطيع"

نظر الأمير فلم ير البطانية ، فقال للمرأة "أين البطانية؟"

قالت المرأة "أية بطانية غير التى جئت وأخذتها الآن؟!"

قال الأمير "متى جئت وأخذت البطانية؟!"

شرحت لـه المرأة ما حدث ، فـلما سمـع ذلك قال "لا حول ولا قـوة إلا بالله" ، وأدرك ما حدث ، فلما طلع النهار قال للوزير ، وأثناء ذلك جـاء كبير اللصوص بالبطانية ، وحياهـم ، وسلم الأمير البطانية ، وإذن له الأمـير بالانصراف ، فعـاد إلى المنزل وتركهم ينفضونها.

وأثناء ذلك جاء إمام المدينة ومؤذنها وحيا الأمير ، وعندما سمعا الأشياء التي قام بها نومو مع الأمير تملكه الغضب ، فنظر إلى الأمـيـر وقال "نصرك الله ، هذا الخبر لا ينبغى أن نتـركه ليـسـمـعه الناس ، لكي لا يـضحكوا على غـبـائنا ، هذا خطأكم ، دائمـا لا تستشيرون أحدا ، كأن كل ما يقوله لك الوزير يكفى ، هل يستشار شخص واحد فقط؟. لو أخبرتمونى بهذا الأمر، ويحكم ، نومـو هذا عبث ، ألم تكن تمسح مخاطة منذ سنوات قليلة ؟" ، رأى الأمير أنه يحتقره ، ها هـو قد شاخ لذلك خفف الأمير عنه، ولم يدرك أن الأمير يهون عليه الأمر.

خرج الإمـام وترك الأمـيـر يعض نواجذه ، وإذ بكبـير اللصوص يدخل، فنـظر إليه الأمير غاضـبا وقال "اليوم تسرق لى الإمام في الليل ، وتأتينى بـه غدا في الصباح ، هذا هو عملك الرابع"

قال كـبيـر اللصوص "بالنسـبة لهـذا ، هذا أمر بسـيط جدا ، إننى لم أتـولّ رئاسة اللصوص إلا عن جدارة" ، وحيا الأمير وخرج.

عندما وصل إلى المنزل وسـمع اخوته ما حدث قالوا "دعـوه لا ينام الأنسان كل يوم على السـرير وليس كل مـرة تسلم الجـرة حتى لو كـان أمـهر اللصـوص ، وليس كـبيـر اللصوص كيف يستطيع أن يسرق إنسانا؟!

لم يقل لهم كبـير اللصوص شيـئا ، وخرج إلى مصب النهـر بسلة ، وأخذ يصطاد الكابوريا ويضعه في السلة ، وعندمـا امتلات تماما حملها وجاء بـها إلى المنزل وأخفاها ،

وذهب إلى السوق واشترى مجموعة من الشمع واشترى صندوقا وأحضره إلى المنزل ، وضمه إلى ما اشتراه وفي منتصف الليل خرج وقصد المصلي بهذه الأشياء ، وكانت المصلى قريبة من منزل الأمام ، وعند دخوله المسجد أخرج الكابوريا من السلة وأطلقها والصق لكل واحد منها شمعة ، وأشعل النار فوقها كالمصباح ، وفعل ذلك مع الجميع ، وأطلقها في المصلي تتجول ، ثم قام وأخذ يؤذن ، بعد أن لف جسده بملاءة ، من قماش أبيض.

عندما سمع الإمام الأذان ، خرج ظنا منه أن المؤذن خدعه ، وعند دخوله المنزل رأى أن المسجد كله مضاء ، ومئات من المخلوقات تتجول فيه، والمصابيح مشتعلة على ظهورها ، ورجل شديد البياض يمسك مسبحة ، فتراجع الإمام للوراء ، وهو يقول "لا حول ولا قوة إلا بالله" ، وكاد يجرى فقال له نومو "لا تخف لقد بعثت إليك ، وقيل أنه لولاك لكانت ذنوب الناس كافية للخسف بهم ، لذلك أمرت أن آتى وأذهب بك ليرى الناس مثالا من مدينتكم فيهتموا بأمور الدين"

نصرك الله لم أر إماما جاهلا أبدا مثل هذا الإمام ، لم يكن مسلما كاملا ، كان مثل المجوس الذين لا يعرفون حقيقة الإسلام ، استمع إلى كلام نومو وركع أمامه وقال "وهو كذلك"

أخذ نومو كبير اللصوص الصندوق وقال "ها ما امروني أن احملك فيه ، وأطير بك إلى السماء ، وعليك أن تبدأ التسبيح إذا طرت بك."

وبجسم يرتعش دخل الإمام الصندوق ، وتكور فيه ، وأغلق نومو الصندوق وأحضر حبلا وربطه ، بطريقة لا تسمح له بالخروج ، وربط الصندوق في حبل وأخذ يسحبه وقصد منزله ، بينما استمر الإمام في الذكر حتى جعلته حرارة الشمس يتوقف ، إذا صعدوا جبلا يشعر الإمام بضربة في أعلى الفخذ ، فيتألم حينئذ يقول كبير اللصوص "انصت ، لقد وصلنا إلى السماء الثانية ، وتجاوزنا السماء الأولي" وعندما دخلا حجرة واسعة تدحرج الصندوق ، فاصطدم فم الإمام بالأرض وشعر بالألم فأخذ يصرخ.

قال كبير اللصوص "انصت ، أكثر الذكر لقد وصلنا إلى السماء الرابعة"

اللهم احفظنا من أعمال الجهلاء ، وبعد ذلك أخذ نومو يجرى ويوحي إليه أنه يطير حتى وصل إلى بحيرة ، فسمع نقيق الضفادع في البحيرة ، فقال له "لقد وصلنا إلى السماء الخامسة ، الا تسمع ، إنهم يرحبون بك ، فأكثر من الذكر"

بالغ الإمام في الذكر ، وبعد قليل وصل نومو إلى منزله ، ففتح حجرة الحمام ، ودفع الإمام فيها وأغلقها ، وازداد هديل الحمام فقال نومو "نم واكثر من الذكر ، حتى يأذن الأمير بدخولك ، أنت الآن في السماء السابعة ، هذه التحركات التى تسمعها الملائكة الطيارون يرحبون بك ستسمعهم يقولون قو قو قو لغتهم كصوت الحمام ، وسأذهب للحصول على الإذن بدخولك" ، وذهب نومو ونام ، واستغرق في النوم وترك هذا الجاهل يذكر.

وعندما طلع النهار حضر نومو وفتح حجرة الحمام وسحب الصندوق وقال له "سمح أن أذهب بك إذا تنبهت ترى النور يسطع ، ليس كنور الدنيا التي تركناها" ، وأخذ يجره حتى قصر الأمير ، وحياه والإمام يتعجل فتح الصندوق ليرى ما سيرى ، قال كبير اللصوص للأمير " ها تحيه بسيطة من تحياتنا أحضرتها إليك ، افتح بنفسك لترى"

قام الأمير وفتح الصندوق ، وإذ بالإمام بداخله وقد احمرت عيناه ، وبيده المسبحة ويذكر الله ، كما قال له كبير اللصوص أن يفعل ، عندما رآه الأمير على هذه الحال ، لم يتمالك نفسه وانفجر في الضحك ، وكاد الحاضرون يغصون من كثرة الضحك ، وأمسك الأمير كبير اللصوص ، وجذب القبعة التي فوق رأسه ، والعمامة التي يلفها حولها ، وقال "لقد تأكدت من رئاستك للصوص ، أما مسألة الزواج فيجب أن أبحثها مع ابنتى، لشدة خجل هذا الإمام لم يستطع الخروج لذلك حملوه وأخذوه إلى منزله.

وعندما تفرقوا نظر الأمير إلى الوزير وقال "أيها الوزير ما قطع عنقك غير لسانك ما العمل الآن؟"

قال الوزير "لا شئ نفعله إلا أن نبحث عن وسيلة نهدأ بها الباقين حتى يصبروا ونزوجها لقوسو ، لأن من بنى مثل هذا القصر في ليلة واحدة لا يستطيع أحد أن يجادله"

قال الأمير "صدقت ، علينا أن نبعث لكبير المزارعين ليأتى بهم جميعا، وعندما جاء بهم أخذ الأمير يصبر جمرو ، ونومو ، حتى يزوج قوسو ابنته ، قال جمرو أنه موافق ، أما نومو فقال أنه لن يوافق على هذا أبدا ، إلا إذا منع بالقوة ، إن الأمير بذلك يكون قد حاد عن الحق"

عندما سمع الأمير ذلك ، نظر إلى الوزير ، غضب الوزير من كلام نومو ، وقال "ما هى صناعتك!"

قال "السرقة"

قال الوزير "وهو كذلك ، هل رأيت في حياتك أو يحتمل أن يقال أن ابنة الأمير لم تجد من تتزوجه إلا اللص؟ ، إذا كنا نحن الذين انجبنا ابنتنا فقد زوجناها قوسو.

عندما طلع النهار اجتمع الأمراء ، لعقد القران فأمر الأمير لرئيس القصر ، أن يذهب إلى الخزانة ليحضر لـه ملابس التشريفة ، ورتبه العظيمة، فأسـرع رئيس القصر ، ثم عاد مسـرعا ، فارتبك الجمـيع وركع أمام الأميـر وجسده يرتعش ، وقـال "نصرك الله ، كل خزائن الثياب قد سرقت ،كل الملابس لم يبق منها إلا هذه البطانيه القديمة ، التى كان فيها ثياب الأمير"

صمت الناس جميعا وهم يستمعون هـذا الحدث العجيب ، وكاد الأمير أن يفتح فمه ليتكلم ، وإذا بالمسئول المالي يدخل مسرعا ، وعـمامته في يده ، ويركع امام الأمير ويقول "نصرك الله ، ارحمنى ، تبت واتبعتك"

قال الناس "ماذا حدث"

قال المسـئول المالي "لقد سـرق اللصوص بيت المال اليوم تمامـا ، ولم يتركوا مليـما واحد إلا المليم الذي وجدته على الباب"

وأثناء رواية هذا الخبـر ، وإذا برئيس الحرس يدخل مـسرعا ويقـصد الحاشـية بدون سروال ، وكاد أحد رجـال الحاشية أن يكلمه فرآه يركع أمام الأمـير ويقول "نصرك الله ، الأصطبل خلى اليوم من الخيول ، فقد سرق الجميع"

هب الأمير واقفا ، واذا بالجارية تخرج من القصـر ، وتركع وتقول للأمير "اجتمعنا لنحنى العروسة فبحثنا في كل مكان في القصر فلم نعثر عليها"

فرأوا الأمـير يصمت ثم نظر إلى الـشرطة وفمه يـرتعش وقال "اذهبوا بسـرعة وأتونى بنومو" ، اندفع رجال الشرطة مسرعين ، وقصدوا منزل والد نومو وعادوا بعد قليل يقولون:

"لقد غادر المنزل منذ مـساء أمس ليلا" ، بعث الأمير الناس في كل مكان يبـحثون عنه ولكن لم يسمع أحد عنه خبرا"

نظر البـبغـاء الوزير إلى حاذق وقـال "هكذا؟ ، هذا ما كنا لا نريد أن نـسمعـه من قصص اللصوص ، وهو أنهم يجدون السعادة في انتصارهم على الناس الطيبين"

قال حاذق "من هم الناس الطيبون فيهم ، لقد قلت أنهم الثلاثة لصوص"

قال الوزير الببغاء "وهو كذلك ، قصتك هذه ضايقت الناس ثلاثة أيام، نقص قصة واحدة ، دعنى أقص لكم قصة قصيرة بعد أن نقوم للصلاة" .

قصة الخياطين الثلاثة

فى إحدى البلاد كـان يعيش ثلاثة خياطين ، لم يعرف أبـدا المكان الذى يشترون منه القماش الذى يخيطونه ، حتى ظن الناس أنهم يسـتوردونه من بلد آخر ، والبعض قال أنه ربما لديهم جن يأتون لهم بالقـماش ، ولكن لم يـكن شىء من هذا حقـيقة ، وإلـيك ما كانوا يفعلونه فكانوا يجـتمعون كل يوم فى منتصف الليل ، ويتخـذون طريقهم إلى مقابر المدينة ، حيث يدفن الموتى ، وينبشون المقابر الحديثة ، ويسحبون الأكفان من فوق الموتى، ثم يعودون بها إلى المنزل ، ويصنعون منها الثياب والسراويل ويبيعونها ·

وكان من عادة أهل هذا البلد إذا مات ثرى فيها ، يضعون معه متاعه كله ، فيحفرون حفرة كبيرة ويضعونه فيها ، ويأخـذون حجرا كبير ويضعونه على فوهة القبر ، وذات يوم مات وزير هذه المدينة ، فذهبوا إلى المقـابر وحفروا له قبرا كبيرا وفرشـوه بالقطيفة والحرير والبطاطين ، ولما انتهوا من إعداد المقبرة حمـلوا الوزير ، وألبسوه قفطانا وجبة ، وسروالا مزخرفـا ، ولفوة فى عباية ، إذا رأيته يخيـل إليك أنك إذا قلت له " أطال الله حياتك " سيرد عليك، وجاءوا بخاتم من ذهب ووضعوه فى إصبعه ، وحملوه إلى القبر ، ودفنوه، وأتوا بصخرة كبيرة وسدوا فوهة القبر·

ولما تفرق الناس ، حضر الخـياطون الثلاثة إلى القبر ، ليسرقوا مـا فيه، وكان كل ما يسد حاجتهم فى كل هذا هو الخاتم الذهبى ، لأنه يساوى فى القيمة كل ما فى القبر، عند وصولهم عند فـتحة القبر صـمتوا تماما ، وأخـذوا يفكرون فيمن سيدخل لـيسلم المتاع ، فتراجع كل واحد ورفض الدخـول ، وطلب من أخيه أن يدخل ، قال كبيـرهـم ، الصغير ينبغى أن يدخل، فقال الصغير " لا ، هذا المكان يدخله الكبار "وهكذا أخذوا يتحاورون، حتى بادر الصغيـر وقال أنه سيدخل ، وفتحت المقبـرة ، يقول المثل من كتب له أن يعيش للعام القادم سوف يـعيش. وعندما فتحت وهم بالدخول قـال من يليه " إذا أخذت الخاتم انتبه حتى لا يقع منك" ، التفت وقال " ما شأنك ، إذا وقع منى أو لم يقع ، ألم يمنعك الخوف من الدخول ؟" .

ودخل وأخذ يسلمهم المتاع ، وهم يأخذونه ويضعونه ، وأخذ الخاتم وأخفاه فى ثنية سرواله ، واستمر فى تسليمهم المتاع ، وبعد قليل بدأ يسلمهم الفراش ، فقال الكبير " ألم أقل لك خذ الخاتم ولا تنسه ؟"

قال " خذوا هذا وأنا خارج " ولما انتهى من تسليمهم باقى المتاع قال أنه بحث فى جسم الوزير فلم يجد الخاتم فى أى مكان.

قال الأوسط " انظر الإصبع أليسرى هاهى أمامك ، إن لم تكن مكرت بنا " فقال "أبدا" ونظر فى كل مكان فلم يره ، حاولوا معه بكل وسيلة ، قال أنه لم ير الخاتم ، وهو فى الواقع فى ثنايا سرواله .

عندما سمع الكبير ذلك قال " أهكذا تفعل بنا ؟، اذهب به لن يفيدك الخاتم شيئا فى الآخرة ، لن تشم به هواء الدنيا أبدا بعد ذلك . " وبعد أن قالوا ذلك أعادوا الحجر وسدوا فوهة الحفرة ، وانصرفوا .

قام اللص واتجه شرقا وغربا وجنوبا وشمالا ، فتحير ، فذهب ورقد بالقرب من الوزير ، وأخذ يصرخ ، فلما شعر أن الصراخ لا فائدة منه فى هذا المكان ، قام وقصد فوهة الحفرة ، وتمطع وحاول أن يحرك الصخرة فلم يستطع ، فقال " إذا جاء القدر لا مرد له سواء خرجت من هنا أو لم أخرج ، سيقع الموت ، لأن الدنيا ليست دار بقاء ، سنلقى أجدادنا هاهنا، لقد استرحت من عذاب الدنيا ومصائبها . "

وصعد على سرير الوزير ورقد فوقه وظل ينتظر لعل الموت يدركه بعد ثلاثة أيام ، فيموت ويستريح ، وبعد أن انتصف الليل ، سمع كلام بعض الناس قاصدين القبر ، وكاد يصرخ ليفتحوا له ، فأدرك أنهم حتى لو سمعوا سيمنعهم الخوف من الوقوف ، ولا يتتون ليعرفوه ، ويفتحوا له ، وأنهم لو فتحوا له لن يتركوه ، فسيقودونه إلى الأمير ، ولا شك أن الأمير إذا سمع ذلك سيأمر بقتله ، ويترك لأهله العار حتى نهاية حياتهم .

عندما فكر فى ذلك صبر ، وترك الأمر ، وبعد قليل سمع هؤلاء الناس يقبلون ويقفون على فوهة القبر ، فأصغى لعله يسمع بعض أصحابه اشفقوا عليه وجاءوا ليخرجوه ، فلم يسمع صوت أحد منهم ، لقد كانوا ثلاثة لصوص آخرين جاءوا إلى هذا القبر ، ليفتحوه ويسرقوا المتاع الذى بداخله ، ويأخذوا الخاتم الذى سمعوا عنه بالنهار ، ولم يعرفوا أن آخرين سبقوهم إليه ، فوقفوا صامتين على فوهة القبر ، ليتشاوروا من

سيدخل ليسلمهم المتاع ، فكل واحد يطلب منه الدخول يرفض ، فقال أحدهم إن رأسه تؤلمه وهو ما يمنعه من الدخول ، وقال الآخر "أنه أعشى" ، وأخذ كل منهم يحتج كما فعل الأول ، أخيرا أحد المتطفلين قال أنه سيدخل، هل الميت سيمسك الناس ، حتى يخافوا هكذا ؟ .

عندما سمع الرجل ذلك فرح حتى كادت الفرحة تقضى عليه ، وقام وجاء عند فتحة الحفرة واختبأ ، وفتحوا الحفرة ، وكاد المتطفل يدخل ، وشمر سرواله وأنزل قدمه ، ليدخل القبر ، وبمجرد أن رأى المحبوس قدمه تتدلى أمسكها وأخذ يجذبها ، فقال اللص "لا إله إلا الله، لقد أمسك قدمى ، ساعدونى ، سيجذبنى إليه ."

عندما سمع الآخران ذلك ، لاذا بالفرار ، وأخذا يجريان ، كل ينجو بنفسه ، عندما شعر المحبوس بالقبر أنهما هربا ، ترك قدم رفيقهم ، فلما شعر أن قدمه تركت انتفض وخرج، وأخذ يجرى ويتلفت حوله ، حتى لا يمسكه أحد من الخلف ، ولما شعر من بالحفرة أنهم فروا وتركوا الباب مفتوحا ، خرج بالخاتم وأخذ ينقص سرواله وسار فى سبيله ، ومنذ أن نجا من هذه الحفرة ، وتاب ولم يسرق بعد ذلك .

قال القضاة مرة واحدة " كل القصص التى رويت عن اللصوص ، ولكن هذه أجملها"

وقام كل مستمع وقصد منزاله ، وهو يضحك على هذا اللص وفى اليوم التالى بدأ حاذق يقص قصصه .

الذئب عند الطمع يموت

كاان يعـيش في إحدى المدن رجل فقـير يسمى ألتى ، ومـا يعرف عن المسلم أن أية مصيبـة تصيبـه ويذكر الله ، ولكنه كان لايبصـبر ولا يذكر الله ، وكان دائمـا يقول " لو كنت أجد أثناء سيرى صندوقا مملوءاً بالمال .

وهو هلى هذه الحـال كان يتـجول ذات يوم فى الـغابة ، قـرب غروب الشـمس يقطع الأخشاب للحـريق ، فاصطدمت رجله فى رجل عجوز جدا ، فلما رآه الرجل العـجوز تنهد وقال " يا عبد الله ارحمنى وساعدنى ، لقد ضللت الطريق ، منذ الصباح وأنا فى الغابة ، لا أعرف جهة الشرق ، وها الشمس كادت تغرب ، ولم يدخل فى جوفى حبة من الغلال . "

أشفق عـليه ألتى ، وأخـذ يده وأوصله إلى منزله ، وأحضـر طعامـا وقدمـه إليه ، ليأكله ، وعندمـا هدأت نفسه ، قال أنه سيـتحسس الطريق قبل أن تغـرب الشمس ، لعله يواصل السير .

قال ألتى " لا ، لابد أن تبـقى معنا حـتى الغد حتى تهـدأ نفسك تمامـا ، لا تخرج فتضل مرة أخرى ، ربما ذاكرتك لم تعد لك حتى الآن تماما . "

قال العجوز " أنه شفى ، وسيواصل السـير " فرفض ألتى ، وقال " ها الشمس قد أوشكت على المغيب ، وتقول أنك تسير فى الغابة وحدك؟ ، لابد أن تبقى حتى الغد . "

عندما رأى العجوز أنه حـاول كثيرا أن يتركه ألتى يسيـر ولكنه رفض ، قبل أن يبقى عنده هذه الليلة ، فأحضـر له حصيرة ووضعهـا فوق السرير ، فى الحجرة التى خـصصها للضيوف ، وأشعل له النار ، وأخذ العجوز يدلك جسده ويهرش وعاد ألتى إلى حجرته ، وترك له المكان ليستريح .

وعندما طلع النهار قال العجوز أنه سـيرحل ، فقال ألتى " وهو كذلك، فلأخرج لأودعك . "

عندما غابا عن أعين الناس ، رأى هذا العجوز ينفض جـمسه ، وفى الحال عاد إلى

صفة الجان ، فتراجع ألتى إلى الوراء ، وتهيأ للجرى ، فقال الجن " انتظر " ، فانتظر ، وركع أمامه ، وحياه فى أدب .

قال الجن " أنا لست أنسا بل جناً ، ولم أضل من قبل ، ولكن عندما كنت تقطع الأخشاب أمس قطعت فرعا ، فوقع على ابنى الذى كان يلعب أسفل الشجرة ، فكسرت يده ، لذلك جئت إليك فى هيئة عجوز ، لأختبرك لأعرف ما إذا كنت رجلا طيبا وجهلك هو الذى دفعك إلى هذا العمل فإن كان ذلك غفرت لك ، لأنهم يقولون الجهل يفوق الليل ظلمة ، وإذا رأيت أنك شقى ، عديم الشفقة قتلتك ، وقد علمت أنك لم تر ابنى عندما كنت تقطع الخشب ,ووقع عليه ، وقد جربت خيرك ورحمتك فوجدتك تفوق أبناء هذا الزمان ، لذلك سأعمل لك معروفا واحدا ، فقل لى رغبتين تريدهما ومهما كان الأمر سأحققهما لك ، جزاء لما قدمت إلى من خير . "

وقد قلت لكم من قبل أن ألتى لم يكن شىء يشغله إلا أن يجد المال، إذا علم أنك ستعطيه قرشا ، مهما كان مقدار الاحتقار الذى سيراه منك يتبعك ، حتى كان أهل قريته يسخرون منه بسبب ذلك ، ويقولون " ألتى يبيع عرضه من أجل المال . " و، هذا الخير الذى فعله ، فعله حتى يدعى له بتحقيق غرضه من المال ، ولذلك دون أن ينطق تستطيع أن تعرف ما فى نفسه ، بمجرد سماع كلام الجنى ركع وقال " لا أريد إلا المال ، إذا ناله الإنسان تحققت كل أمانيه فى الحياة الدنيا "

قال الجنى " وهو كذلك ، كيف تريد أن اهبك إياه ، هل تريد أن أدلك على خزائن الجن لتجمع منها ؟ ، أم تريد أن آمر لتحمل إليك فى بيتك ؟ "

قال ألتى " أنا أريد إذا كان ممكنا أن تكون لى السلطة أن أحول كل ما ألمسه إلى مال . "

قال الجنى " هذا ما تريده فقط ؟ "

قال ألتى " نعم ، إذا نلت هذه السلطة ، أطأ كل إنسان كما أشاء أى أعمل ما يعجبنى ولا يعاقبنى أحد . "

قال الجنى " وهو كذلك ، سمعت واحدة ، قل ما تريده عدا هذه الرغبة "

قال ألتى " إذا نلت هذه الرغبة تكفينى . "

قال الجنى "لقد وعدتك أن أحقق لك رغبتين ، اطلب واحدة أخرى"

قال ألتى " والله هذه تكفينى ، إذا نلت المال ، انتهت رغبتى فى هذه الحياة . "

قال الجنى " طالما أننى وعدتك أن أحقق لك رغبتين فلن أخلف وعدى ، عندما تريد شيئا آخر ، هاك الحبوب أطلق بخورها فى منتصف الليل ، واذكر اسمى ثلاث مرات " سم سم سم ، ترنى شققت الأرض وخرجت "

قال ألتى " وهو كذلك ، ولكن ليس لى حاجة أخرى أطلبك من أجلها ، طالما أننى نلت هذا . "

قال الجنى " إذا كان من أجل هذا فقد أعطيتك ، ولكن أى شيء يصيبك لا تلمنى، وتقول أننى رددت معروفك لى بالإساءة "

قال ألتى " إذا كان كل ما أمسه يتحول مالا ، ماذا أريد غير ذلك ؟ ، ويحك المال هو علاج الفقر "

قال الجنى " هو كذلك " واختفى ، وتوجه ألتى إلى المنزل وهو مسرور يتخيل ما يمكن فعله عندما ينال كل هذا المال ، وأثناء السير ، لدغته حشرة فى رأسه ، فمد يده ليضربها ، فرأى المال يسقط على الأرض ، فانحنى ليأخذه وهو مسرور ويقول " يا للعجب لقد صرت ماهرا منذ البداية ، ثم قصد مجموعة من الأعشاب ولمسها ، فصار الجميع مالا ، وجذب ملاءته يريد ضمها ، فصارت الملاءة هى الأخرى مالا ، وسقط على الأرض ، فتجهم وجه ألتى وقال " ليس كل شيء لأننى أستطيع شراء ملاءة أخرى بشلن ونصف . "

رأى ألتى أنه يستطيع أن يصب شيئا فيها ، فتركها وذهب إلى المنزل وقال " هذه أيضا لا تلمع ، ماذا سأفعل بها ؟ ، فجمع الناس وقال لهم أنه لديه القدرة أن يحول كل شيء يمسه إلى مال ، وكادوا يختلفون ، فمس بعض الحجارة أمامهم فصارت مالا فى الحال ، فجمعها وقدمها إلى الناس، وأخذ بعضها ، وطلب أن يشترى له بها بعض الثياب الجديدة ، وبمجرد أن لمس هذه الثياب الجديدة ليأخذها تحولت مالا ، فتركوه عريانا ، فلف جسده بسترة جديدة فصارت هى الأخرى مالا ، وهنا ضايقته أمور الدنيا ، ها هو عريان بين الناس ، يضحكون عليه ، ودفع ابنه من قفاه وقال له "اذهب إلى المنزل ، ليعطوك شيئا اتستر به أحضره لى". ، فعندما لمس قفا ابنه تحول مالا وسقط على الأرض.

عندما رأى الناس ذلك ، تفرقوا ، عنه وأخــذوا يفرون بعيدا ، وهم يقولون " الجن جننته، من ينتظر الشئوم ليمسه فيصير مالا بلا فائدة ؟"

لقد هجرته كل نسائه وأولاده وتركوه وحده فى المنزل ، وعندما أحس بالجوع خرج، فحيثما توجه يفر الناس من أمامه ولم يدعه أحد يمسه بيده .

عندما رأى ذلك الأمر قال " هيــا أذهب إلى الأطفال ، إذا تفرق الناس عنى ، لعلى أجد عندهم ما آكلــه " فعندما رآه الأطفال تفرقــوا عنه ، وتركوا المتاع الذى كانوا يبـيعونه مبعثرا ، ولما وصل وجد اللحم المشوى ، فجلس ليأخذ سيخا واحدا ليأكله ، فصار السيخ مالا ، فأعد آخــر بسرعة، وقبل أن تصل إلى فمه صارت مالا ، حــاول أن يجد طعاما ، فكلما وجد قبل أن يصل إلى فمه يتحول مالا .

فوجد حيلة أخرى ، وهى أن يمد فمه ويأكل كما تأكل الدواب ، ولكن دون فائدة ، فكان كل شيء يمس فمــه يتحول مالا ، فــعجز عمــا يسعده فى هذه الحيــاة فندم ، وأخذ يتجول عريان .

وعندما طلع النهار كــاد يفقد أعصابه ، وقضى النهار بلا فــائدة ، حتى المساء يروح ويغدو فى المدينة وهو يقول " لعنة الله عليهم ، المال لا فائدة منه ، لعن الله المال"

وهو على هذه الحال تذكر الجنى ، وأنــه قال له أن من حقه رغبة أخــرى، إذا سألها سيحــققها له ، وفى الحــال عمل ما نبه عليــه أن يعمله إذا أراده ، وذكر اسمــه سمسم ، ثلاث مرات ، فرآه يــشق الأرض ويخرج ، وقال " لماذا تضايقنى بهــذا النداء فى منتصف الليل ، ألم تعدنى بأنك لن تطلبنى مرة أخرى ؟"

قال ألتى " بالله عليك ارحمنى ، وارجعنى كما كنت من قبل "

قال الجنى " لقد قلت أن أهبك المال وليكن ما يكون "

قال ألتى " بالله عليك ارحنى من هذا المال ، والله لا أريده ، الأفضل أن أكون كما كنت من قبل ، حياة الفقراء سعيدة "

انفجر الجنــى فى الضحك وقال " أنت سعيــد ، بقيت لك رغبة واحــدة تستطيع أن تطلبها ، اذهب وستعود كما كنت . "

فرح ألتى ، وعاد إلى المنــزل ، فوجد الطعام فأكل ، ولما طلع النــهار قال للناس أنه

شفى ، ولكنهم أخذوا يتجنبونه حتى تحقـقوا من صدق كلامه وأنه شفى ، فاختلطوا به ، وأخذ الناس يضحكون عليه ، وينادونه " الذبابه تموت عند الطمع "

قال الببغـاء الوزير لحاذق ، منذ أن بدأت تقدم القصص ، اليوم فقط سـمعتك تقدم قصة لذيذه ، ولكن القصص الأخرى التى قدمتهـا ، سمعتها كأنك تحكى تاريخا ، حسنا طالما أنك بدأت تزيد ، حاول أن تقدم أفضل من هذه ، مستقبلا "

انفجـر الناس فى الضحك ، وبدا على الوزير أنه لم ير فـيما قاله شـيئا مـضحكا ، فاستمر فى تقديم قصته .

لا تفرح يا غلام إذا اصطاد كلبك أسدًا

كان يعيش فى مدينة تنجا رجل مؤذن محب للدنيا ، بلغ من الكبر عتيا ، ولكن لا يجب أن يقال أنه كبر ، له لحية حتى عارضيه ، وكان كلما ذهب إلى السوق صبغ لحيته عارضيه بالصبغة السوداء ، وإذا نظر فى المرآة ورأى شعرة بيضاء نبتت اقتلعها ، وكان دائما يقول عن نفسه أنه شاب، ولا تمر جمعه إلا ويغسل ملابسه ويكويها ، ويضع لها زهرة، ويحنى رجليه وقدميه ، إنه مؤذن ولكن عادته عادة الأشرار ، ولشدة سواد لحيته ،وعنايته بها، يسميه الناس " المؤذن ذو اللحية السوداء "

وذات يوم وكان يوم الأحد تزين المؤذن وقصد السوق ، وقد ملأ فمه بثمار الكولا ، والسيجارة فى فمه ينفث دخانها ، ومشى ، يشحر ، وقصد محل باعة الجلود وجلس ، كأنه محله ، وأثناء جلوسهم تطرق الحديث إلى تجارة الجلود ، فقال باعة الجلود " الجلود نادرة الآن ، كل واحد أخفاها ، حتى يزداد ربحها " .

وهنا تدخل المؤذن فى الحديث ، رغم أنه ليس بائع جلود ولا أى شىء ، وقال " الناس فى غاية الغباء ، إذا علمت أننى سأربح بعت مهما قل الربح "

عندما سمع أحد باعة الجلود ذلك قال " ويحك ياسيدى ، ليس كل شىء ، الآن إذا علمت أن لحيتك وعارضيك تباع هل تبيعهما ؟ " ، فانفجر الجميع فى الضحك .

وكان المؤذن من الرجال الذين وهبهم الله طبيعة خاصة ، كل شىء يعلم أنه سيكسبه قرشا يقدم عليه ، مهما كانت حقارته ، فعينه معلقة بالقرش ، وكل ما يأتى به فهو جميل، لذلك قال " أبيع ، إذا أراد أحد شراءها ودفع لىَ المبلغ الذى أطلبه "

قال بائع الجلود " إذا حددت مبلغا مناسبا أشترى "

وخز المؤذن شخصا بجواره ، وغمز لشخص بعيد عنه بعينيه ويشير إلى الجلاد بشفتيه ويقول " إذا كنت أنت الذى يريد الشراء أبيع لك بثمن أرخص "

قال الجلاد " بكم تستطيع أن تبيع لى ؟ "

قال المؤذن " أبيعها لك بثلاثين شلنا . " ، ونظر إلى الجالسين وغمز لهم بعينه يطلب منهم التغاضى عن الجلاد .

قال بائع الجلود " نعم ، ثلاثون شلنا ليست غالية على لحية كلحيتك، هل بعت لى؟"

قال المؤذن " نعم " ، وغافل عينيه وأخرج لسانه .

قال بائع الجلود " اللحية والعارضان كلاهما" .

قال المؤذن " نعم " وهو يبتسم.

قال بائع الجلود " اشتريت ، متى أقصها ؟"

قال المؤذن " لقد بعت لك ، متى شئت سأعطيها لك . "

هب بائع الجلود واقفا ، ونظر إلى الناس وقال " اشهدوا أيها الناس لقد اشتريت وباع لى ، ووافق أن آتى لأقصها عندما أرى أنها نمت ، لعل الله يبارك لى ، القرش يجلب قرشا"

انفجر الناس فى الضحك وقالوا " شهدنا لك فى الدنيا والآخرة" ، فأحضر بائع الجلود ثلاثين شلنا وقدمها إلى المؤذن.

وهم المؤذن بالقيام فقال الناس " ألا تدفع العادة ؟ ، ألا تريد أن نبارك لك فيها ؟ فأحضر شلنا وقدمها إليهم ليقتسموها ، وانصرف بباقى المال، ودخل السوق وهو يقول " هيا انفق المال هنا ، وأرى ماذا سيفعل بائع الجلود بشقاوته"

أخذ الجالسون يضحكون على بائع الجلود ، بسبب هذا الغباء الذى بدا منه، فطلب أن يكفوا عن الضحك عليه الآن حتى يروا أنه لم يربح.

وبعد عدة أسابيع ، كلما تقابل المؤذن مع بائع الجلود ، يضحك ويقول له " متى ستأخذ وديعتك ؟" ، فيطلب منه بائع الجلود أن يحفظها، ويداوم على دهانها بالصبغة والزيت . حتى تظل ناعمة ، عندما يحن اليوم الذى يأخذها فيه لن ينتظر حتى يذكره . وأنه يتذكر ، وهل ينسى الإنسان ثروته ؟ ، إن سوق بيعها لم يحن حينه ، إنه لا يريد أن يبيعها بثمن بخس، فيضحك الناس ويتفرقون .

ولما شعر المؤذن أن بائع الجلود لم يهتم به ، ظن أنه غبيا ، وأن المال عنده وفير ،

لذلك فهو يلجأ إلى المزاح هكذا ، لذلك ذهب واتفق مع أصدقائه على حيلة يحتال بها على بائع الجلود، وهى أن يذهب إلى بائع الجلود ويتباهى بأنه أكثر أهل مدينة كنو ثقافة.

وفى أحد أيام الجمعة ذهب بائع الجلود إلى محل الحلاقين ، فوجد المؤذن هناك ، يقص شعره ، وتناول المرآة وأخذ يمشط لحيته وعارضيه ، حتى يذهب إلى المصلى فى أجمل صورة ، فلما رأى بائع الجلود قال " الا تأتى لتأخذ لحيتك ؟"

قال بائع الجلود " ليس من أجل هذا جئت إلى هنا ، جئت لأقص شعرى ، اذهب. أنت لشأنك "

ابتسم المؤذن وقال ". أنا دائما مستعد ، إذا كنت تريدها ها هى " ، وأخذ عمامته وبدأ يلفها ، ليذهب إلى المصلى بسرعة .

جلس بائع الجلود ، حتى بدأ الحلاق ينثر الماء على رأسه ، ثم أعاد التفكير ، ونظر إلى المؤذن وقال " لقد فكرت مرة أخرى ، اجلس ليقص لى الحلاق لحيتك "

تجهم وجه المؤذن ، وحدق فى وجه الجلاد ، وقال " بالله عليك الا تتركها لى حتى انتهى من صلاة الجمعة اليوم ، وإذا اردت آتى ليقصها لك ؟"

قال بائع الجلود " أعلم أن اليوم الجمعة ، ولكن الا ترى أننى إذا قصصتها لك ، تشعر بالسعادة بين الناس ، ويصير وجهك جميلا ، ويلمع كأنك ابن عشرين عاما ، فلم اتحايل عليك ، لا أرى سببا يجعلنى أتركك لتذهب بلحيتى إلى المصلى اليوم ، اجلس واعطنى حاجتى"

حدق فيه المؤذن ولم يجد ما يقوله ، ثم كنس مكانا وجلس أمام الحلاق ، وهو يكلم نفسه ، وبلل الحلاق وجه المؤذن بالماء ، وأخذ الموسى وهم بالحلاقة ، فقال الجلاد " انتظر ، لا أريد اللحية اليوم ، اتركه يذهب لشأنه ، حتى يوم آخر عندما أريد قصها . "

هب المؤذن قائما وهو يزمجر ، ويقول " كلام فارغ ، كيف تجعله ينثر الماء على وجهى ، ثم تقول أنك لا تريدها اليوم ؟ ، يجب أن يقصها لك اليوم حتى استريح . "

قال بائع الجلود " إذا كان كلامى قد أغضبك يا والدى ، ها أنا انحنى لك ، لقد ظننت أن الانسان له السلطة أن يفعل ما يراه فى ماله ، لم أعرف أن الزمن تغير هكذا "

ثم قام ونفض قميصه ، وعوج الطاقية ، حتى استقرت على حاجبيه وخرج ، وترك المؤذن يجفف وجهه من الماء الذى بعثره عليه الحلاق .

وذات يوم كـان الجـلاد يجلس فى مـحل بيع الجلود ، فـرأى المؤذن فى السـوق ، والأطفال يسـيرون وراءه ويقولون " ها الذى جـعله الفقر يبـيع لحيتـه، والآن لا يستطيع حكها ، حتى لا تسقط شعرة واحدة فيراها الجلاد فيشكوه ويذله " ، وقد انتشر خبر بيعه للحيته فى كل المدينة .

وتحير المؤذن ، ولم يشعر بالسعادة ، وتمنى أن يـقصها حتى يستريح ، ها هو الزغب ملأ وجهه وازداد ، وليس لـه الحق فى أن يهذب لحيته ، حتى لا يجد الجـلاد ما يحتج به عليه، وأخذ يسترضى الجلاد حتى يقص له لحيته ويرتاح ، فيقول أنه لا يحتاجها الآن .

وذات يوم كـان بائع الجلود يجلس مع إخـوانه فى السوق ، الذيـن اشتـرى اللحيـة أمامهم، وجذب الحديث بعضه حتى تطرق إلى مسـألة اللحية التى اشتراها الجلاد ، فقالوا له " بالله عليك لا تطلبهـا إلا فى مثل هذا اليوم ، يوم الوقـفة ، لنرى المؤذن يذهب إلى صلاة العيد هكذا، أو ينام بها هكذا فيرسل إلى الإمام ويقول له أنه مريض " .

قال الجلاد " لن أطلبها منه يوم الوقفـة ، ولكن صباح يوم العيد قبل أن يذهب إلى الصلاة ، عندما يتزين ويأخذ عصاه ، ويذهب إلى منزل الإمام ليذهبا معاً ، قال الجالسون "والله صدقت ، هذا هو اليوم المناسب "

وفى صـباح يوم العـيد نادى الجـلاد شابـا ، وطلب منه أن يذهب وينادى المؤذن ، ولكن لا يدخل ويقف على باب المـنزل فقط ، حـتى يراه قد اسـتعـد ليذهب إلى صـلاة العيد.

ذهب الشـاب إلى ممر المنزل واختـبـأ ، وعند الضـحى رأى المؤذن يخـرج بالحـذاء والعصا، متجها إلى صلاة العيد ، وقد تزين تماما ، وأتى بالعمامة ولفها ، فقال له الشاب إن الجلاد يطلبه ، فتجهم وجهه لأنه أدرك ما فى الأمر ، ولا حيلة يفعلها ، وسار الشاب فى المقدمـه وتبعـه المؤذن ، حتى محل بـائع الجلود ، فلما وصلا وجـد المحل قد امـتلأ بالأولاد ، والبنات ، وباقى الناس الذين شـهدوا أن المؤذن باع لحيتـه بثلاثين شلنا ، وعند رؤيتهم خفق قلب المؤذن ، وقطب جبينه ، وأخذ ينفخ غضبا ، كمن لطم على وجنته فى معركـة ولم يستطع الانتقام حتى فض القتـال ، لم يسلم عليهم ، ودخل المحل ، ووقف أمام بائع الجلود واضعا يديه فى وسطه ، وقال " ها أنا ذا ، سمعت أنك تطلبنى " فقهقه كل الجالسين .

فقال الجلاد " ليس من أجل القتال دعوتك ، اجلس "

جلس المؤذن ، وأسند ظهره إلى الحائط ، وقـال " أفعل ما تريد ، لأذهب ، الإمام هناك الآن ينتظرنى ، كدنا نخرج لصلاة العيد "

قال الجـلاد " نعم ، صدقت ، إنكم الكبـار فى المدينة "والتفت وقـال" أين كبـير الحلاقين؟ ، قص لى لحيته وعارضيه . " فانفجر كل الناس فى الضحك .

نشـر الحلاق المـاء على وجه المؤذن ، وأخـرج الموس وبدأ الحـلاقـة ، وحلق نصف اللحية، فـتعجل المؤذن الحلاق لأنه يعلم أن الإمام ينتظره ، فـقال " بالله عليك أسرع ، وانتهى لأذهب ، إنى متعجل . "

وهنا قال الجلاد للحلاق ،" وهو كذلك طالما أنه مـتعجل ، اتركه هكذا ، يوما آخر اكمل لى الحلاقة ، لا ينبغى أن نعطله هكذا ، ونمنعه عن الذهاب إلى صلاة العيد ، لست متعجلا لتقصها لى الآن " ، فلما رآه الناس بنصف حلاقه أغرقوا فى الضحك .

أخذ المؤذن المرآه ونظر إلى وجـهه وكادت الدموع تتـساقط من عينيـه من الغضب ، ورجا الجلاد أن يحلقها كلها .

قال بائع الجلود " لقد اتفـقنا على أن آخذ حاجتى عندما أحتاجـها ، ولم نتفق على أن تجبـرنى على أخذها عندما لا أريد ، الـيوم احتاج الـنصف فقط ، فحـصلت عليه ، والباقى سآخذه عندما أحتاجه "

عندمـا رأى المؤذن أنه ليس فى نيتـه أخذ النصف الآخـر ، طلب من الحاضـرين أن يرجوا الجـلاد أن يبيع له النصف الآخر ، فرجـوه فى مسألة البـيع ، فقال لهم لا تتعـبوا انفسكم ، إنه يريد أن يحتفظ بحاجته ، لمدة شهرين أو ثلاثة ثم يأخذها .

فبدأ المؤذن يجادل فى بيعها له ، وقـال أنه سيعطيه عشرة شلنات ، فلم يوافق الجلاد على ذلك ، فقال سيعطيه عشرين شلنا ، فتضايق من كل ذلك ، فنظر إلى الجلاد وقال " هل تتركه بثلاثين شلنا ؟"

قـال الجلاد " ياسـيدى ، لقـد ملأت وجـهى رذاذا من فمك بلا جـدوى، لن أبيع لحيتى، الشهر القادم ، ولا الذى بعده ، أنا غير موافق "

قال المؤذن " باللـه عليك إذا كنت ستبـيع ، قل بكم سـتتركهـا لى ، والربح الذى ستحصل عليه إذا تركتها للشهر بعد القادم ، أعطيه لك الآن . "

قال الجلاد " الآن أرى أنك سلكت طريق الحق ، لأنك جئت لى عن طريق المساومة الودية ، وقد كنت أظن أنك تريـد أن تظهر لى أنك ثرى ، فأخـذت ترفع الثمن هكذا ، وفى هذه الحالة أقول بدورى مـهما ساومت لن أقبل ، إذا كنت سوف تعطينى ربحـاً كبيراً سوف أقبل ، كل أشيائنا للبيع" .

قال المؤذن " وهو كذلك ، بكم تريد أن تبيع ؟"

قال الجلاد " بستين شلنا ،.أنت تعرف أن القرش يجذب قرشا "

قال المؤذن "أليس بينى وبينك أى ود ؟"

قال الجلاد " لا ، ليست لدى فرصه ، لولا أنت ، ما خفضت لك هكذا "

قال المؤذن وهو يترجى " وهو كذلك ، إذا دفعت هـذا المبلغ ، ماذا أفعل؟ لقد قالوا قديما أن الطمع سـبب المشاكل ، هيا نذهب إلى المنزل لأعطـيك الثمن ، ولكن عليك أن تنتهى بمجرد قبض الثمن .

قال الجلاد " ليس بينا وبين هذا الأمر شيء ، لنذهب حتى تعطينى السلعة. " . قام المؤذن وسار أمامه ، والناس يتبعونه ، كـمن سرق شيئا ، وذهب إلى منزله وأخرج بعض قمصانه وأقمشة زوجته ، وثمنها ، ثم دخل وأحـضر ستة وعشرين شلنا كان يحفظها من ثمن الحمار الذى باعـه أمس ليشترى حـاجيات العيد ، جـمع كل هذا ولم تسد الدين ، فأخذ ثلاث عنزات لزوجته وخروف الضـحية ، وثمنها ، ولـم تسد الدين ، ثم خلع ثيابه التى يرتديها ، حـتى استطاع أن يحرر نفـسه ، ونظر إلى الحلاق وقـال له ، "بالله عليك قص لى بقيه لح لح لح لحيتى لأستريح من هذا العذاب" ، وجلس يقص له شعره .

وما كاد ينتـهى من قص شعره حتى بعث الإمام من يخـبره أنه فى انتظاره ، لماذا لم يأت، هل هو مريض ؟، قـال المؤذن " اذهب وأخبره أنه مصاب بمغص وعـليه أن يبحث عن شخص آخر يذهب معه ، فهو لا يستطيع الحضور "

انفجر الناس فى الضحك وأخذوا يقهقهون ، وانصرفوا وهم يسخرون من المؤذن .

وعندما رأى المؤذن أنه إذا أخطأ وانتظر حـتى يفرغ الناس من صلاة العيد ، سـيسمع الأمير وكبار المدينة هذا الخبر ، ستضيع هيـبته ، فجمع ما تبقى له من متاع قليل ، وجعل زوجته أمامه وترك المدينة قبل أن ينتهى الناس من صلاة العيد .

قال الناس " والله لقد قدمت لنا اليوم تحذيرا مفيدا "

قال الوزير " ليس اليـوم فقط ، كل قصة أقـدمها لو أمعنتم النظر فـيها تجدون فـيها العبرة" ، قام كل أمير وقصد منزله ، وتفرق الناس .

وعندماااجتمعوا اليوم فى الصباح قال حـاذق " سمعت أمس أنكم استمتعتم بالقصة التى قصـها الوزير ، وأنها صـارت تحذيرا لكم ، وهو كـذلك ، إذا كان الوعظ هو الذى جمعكم هنا ، مالذى يكفيكم ، فاستمعوا أقدم لكم عظة قصيرة" .

هديل الحمامة كلام لا يفهمه إلا العاقل

ذات يوم خرجت امرأه تسمى جـما من مدينتها قاصدة مـدينة تسمى سورد ، لتزور والديها اللذين يعيشـان فيها ، وأثناء الطريق قابلها بعض أطفال المدينة الأشـقياء ، وقاموا بالتهليل خلفها ورميها بالحجارة لأنها قروية، زينتها وملابسها مختلفه عنهم . وكانوا كلما رأوها تصرخ أمعنوا فى رميها بالحجارة ، ومنهم من أخذ يلطمها ، وأسقطوا بعض الهدايا التى أعدتها لوالديها .

أسرعت جما إلى منزل الأمير ، ورفعت إليه شكوى ، فقال لها الناس " الأفضل أن تصبرى من أن ترفعى الشكوى إلى الأمير ، ستـتعبين نفسك بلا فائدة إذا لم تصبرى ، إن الإبرة لا تحفر بئراً " .

قالـت جمـا ، " وهو كذلك ، إذا لم أصل إلى الأمـير ، هل تدفـعون لى ثمـن ما أفسدوه ؟ " ، قال لها الناس " ما هذا الكلام الفارغ ؟ ، اذهبى . "

وهمت جما بالذهاب ، فقال لها رجل عجوز ، " يا ابنتى لا ترفضى كلام الناس ، هذا الأمير وجوده كعدم وجوده ، فهو لا يهتم بمن يسبه ، ولا يهتم بمن يسب الناس حتى يحكم بينهم ، فهو طالما يملأ بطنه ، لا يهتم حتى لو لطمته ، أمره غريب لا يعرفه أحد ، إذا كان هذا صبـرا فقد تجاوز الإسـلام ، وإذا كان هذا غباء نسـأل الله أن يخفف عنه فى هذه المدينة، يسـرقك اللصـوص الآن فى وضح النهـار ، إذا كنت قوية ، تـستطيـعين أن ترديهم بقوتك ،

وإلا تصبرين وتسلمين أمرك لله . "

عندما سـمعت جما هذا الكلام ، انحـنت وشكرت هذا العجوز واتجهت إلى قـصر الأمير وهى تبكى ، فلما وصلت لم تتوقف إلا أمام مجلسه حيث يجتمع رجال الحاشية، وانحنت وقالت " نصـرك الله ،عندما كنت قادمة إلى هذه المدينة قـابلنى بعض الأطفال، وضربونى ، وأهدروا كـرامتى وسلبـوا بعض متـاعى وجروا ، وحاولت أن اكظـم غيظى وأتركهم ، فـعجزت، لـذلك جئت إليك الآن لتسـاعدنى ، لا أريد أن تجـمع أطفال هذه

المدينة وتضربهم أو تقدم إلى معروفا ، ما أريد أن تساعدنى به ، هو أن تعلمنى كيف أصبر ولا أهتم بما حدث من أمور ، كما سمعت أنك تفعل، وأن تساعدنى كما ساعدك الله ، حتى أصبر دائما على ما يفعله الناس بى، لأن الرؤساء لم يكونوا لتحذير الناس ، وليصبروهم ليعيشوا حياتهم ، ويتركوا الناس يعيشون حياة السمك فى الماء ، كل تحميه قوته . "

عندما سمع الأمير هذه المرأة ، فهم مقصدها ، وصار كمن استيقظ من النوم ، وبدأ يجمع هؤلاء الأطفال ، وعاقبهم على ما فعلوه لجما ، وأحضر مالا كثيرا وقدمه إليها ، تعويضا عما فعلوه بها ، ومنذ هذا اليوم أصبح يهتم بأمور ملكه ، .

قال الناس " إن هذا الكلام الذى قالته جما ، لايفهم معناه إلا أصحاب العقول فقط "

قال الوزير الببغاء للقاضى " هذه القصة قصيرة جدا ، لايجب أن تعطى درجه " ، واستعد ليقول قصته ، فقال القضاه " لا نريد وعظا ، نريد قصصا فقط ، مضحكه ولها معنى، وتكون كما يقصها الهوساويون "

قال الوزير " منذ ان بدأت ، وأنا أحاول ذلك ، هيا اسمعوا هذه القصة التى سأقصها . "

قصة أمير وخادمه

كان يوجد قديما أمير لم تكن له عادة إلا قراءة أخبار النساء ومكائدهم، فلما علم أن النساء بلـغن الغاية فى مكرهن ، رأى أنه لا شك حـيلهن ومكائدهن ، كل من نصبن له شركا ولا معين له يصطدنه ، ولشدة خوفه لم يوافق أن يقدم له أى إنسان الطعام ، فبحث عن صبى أمين وجعله يطهى له الطعام .

وهو على هذه الحال ، خرج الأمـير ذات يوم إلى الغابة ليصطاد ، فسـار حتى شاء الله أن يتعب ، ولم يصطد إلا طائرا واحدا ، وعند العصر ركب حصانه وعاد إلى قصره، وعندما وصل أحـضر الطائر وسلمـه للخادم ليطهـيه ، طهيـاً جيداً ، علـى الا يقطعه ، ويتركه سليمـا ، ذهب الغلام وغلى الماء وأسقط الطائر فيه ، وجذب سـكينا وشقها ، ثم نظفها تمـاما وبعد ذلك وضعهـا فى إناء كبير ، وطهـاها جيداً، ووضعهـا فى الإناء حتى تبرد، فلما بردت ، أخذ الطائر ووضعه فى إناء ، وهم بأخـذه وتقديمه إلى الأمير، وفجأه جاءت امرأة يسعى لزواجها ودخلت الحجرة .

بعد أن انحنت وحيته ، نظرت بعينها فـرأت الطائر المشوى ، فسال لعابها ، فطلبت أن يسلخ لها رجـلا واحدة لتذوقـها ، فقـال " لا ، إنها للأميـر ، ليس لدى السلطة أن أعطيك ولو جناحاً واحداً ، لقد قال الأمير أن أطهيها كاملة " .

نظرت إليه وقالت " وهو كذلك ، هل ما بيننا لا يسـاوى فخذ طائر ؟ هذا ما تفعله الآن، فماذا تفعل عندما آتى بيتك ، طالما أنك أحـرجتنى عندما سألتك ، والله لو منعتنى إياها ستكون سببا فى فساد ما بيننا" .

وكان هذا الغلام يحب الفتـاة حبا شديدا ، فأخذ السكين وقطع لهـا فخذة واحدة ، وأخذ الباقى وقدمه إلى الأمير .

فلما نظر الأمـير ولاحظ أنه قطع فخـذة قال له " أين هذه الرجل ؟ " ، الم أقل لك أن تطهيها كلها ، أنت الذى اخترتك ، تبدأ تخدعنى ؟ "

قـال الصبى " أطال اللـه حيـاتك ، هذه الطيـور لها رجلٍ واحـدة ، ها هى ، ألا تلاحظها ، هكذا جاءوا بها إلى"

فزجره الأمير وقال " غبى ، متى رأيت هذا الطائر برجل واحدة ؟"

قـال الغلام " أقـسم بعمـامتك أننى أراهـا دائما هكذا ، هذا أمـر عجـيب فى هذا الطائر، لايخفى على أحد ، إذا كنت تريد أن ترى - أطال الله حياتك - غدا فى الصباح آخذك لترى هذا بعينيك ؛

هذا الكلام الذى قاله الغبى جعل الأمير يكظم غيظه ، فلم يتكلم ، كلما اقترب من الطائر قال " هو كذلك ، اذهب ، أسال الله أن يحينا إلى الغد " .

انحنى الغلام ، وحيـا الأمير ، وعاد إلى حجرته ، وعندمـا ذهب لينام تجمعت فى رأسه كل هموم الدنيا ، وتمنى أنه لم يتعهد بهذا أمام الأمير ، وصمت وقال " إن الفم هو الذى يقطع العنق ، ولكن الأفـضل إذا ذهبنا لرؤية هذه الطيور أن أحـاول أن أثبت أن لها رجلا واحـدة ، مهما حـاول أن يثبت أننى لست على حق ، أصـر على رأيى ، أن يقال أننى غـبى أفضل من أن يقـال أننى سرقـت الأميـر ، فيطردنى ، ربما إذا رأى أننى غـبى يعيدنى إلى خدمته بعد أيام قليله . "

وهو على هذه الحال من الـتردد والتفكيـر لم يتنبه إلا والمؤذن ينادى للصـلاة ، فلما سمع المؤذن اخذ قـلبه يخفق ، فقام وتوضـأ وصلى ، وتناول المسبحة وأخـذ يذكر الله ، ويسأله أن ينصره فى هذا الأمر ، وعد على المسبحة دورتين وفى بداية الدورة الثالثة ، جاء رئيس الخـيالة يناديه ، فلمـا قال له " الأمـير بالخـارج ينتظرك " خـفق قلبه وأخـذ بطنه يمغص، فقام وخرجا .

عند خـروجهم وجـدوا جمـيع رجال الحـاشيـة ، وكبـار خدم الأمـير مجـتمـعين ينتظرونهم، فـانحنى وأدى التحـية ، فاسـتقـبلهم الأميـر ، وقال " هيـا نذهب " وسار أمامهم، والجميع يتبعونه ، يسير وكأنه بلا حـياة يتعثر وهو سائر رهبة من عظمة الأمير ، ينظر أمامـه وينظر خلفه لا يجد مكانا خـاليا ، فكبار الحـاشية يتبـعون الأمير ، والجـميع ينفذون أوامـره ، فلو طلب منهم أن يلقوا بأنـفسهم فى النار لفـعلوا قبل أن يغلق فـمه ، اعتمد على الله، وواصلوا السير حتى وصلوا إلى مـدخل المستنقع ، فوجدوا الطيور كثيرة تغط فى النوم .

وكـانت هذه الطيـور إذا نامت وقـفت عـلى رجل ووضـعت الرجل الأخـرى تحت جناحها، وإذا تعبت بدلت رجلا بالأخرى ، فتسحب التى على الأرض ، فلما نظر الغلام رآها واقفة على رجل واحـدة ، ابتسم وقال للأمير " نصرك الله ، إن - عـدم الرغبة فى جدالك أمس ، هو الذى جعلنى أسكت ، ولكن انظر ، تراها كلها لها رجل واحدة " .

نظر إليه الأمـير وقال " أنت غـبى ، هكذا ينامون ، يسـحبون رجـلا وينامون على الأخرى ، أنت تكذب ، ليس لها رجل واحدة،هيا لترى. "

ذهب الأمير وقـال لها " هر هر " فأنزلت كل الطيور رجلهـا الأخرى ووقفت على الاثنين ، ثم طارت ، قال الأمير " هل رأيت أن لكل منها رجلين "

قال الغلام " لقد رأيت الآن ، كل منها لها رجـلان ، عندما صرخت فيها ، ولكن - أطال الله حياتك - التى طهيتها لك بالأمس لم تصرخ فيها ، فعندما أحضرتها لك كان لها رجل واحدة ، لو صرخت فيهـا - نصرك الله - ، أخرجت الرجل الأخرى واسترحنا من هذه المشكلة ، طالما أن هذه عادتهم ، إذا زجرتها "

هذا الرد الغبى جعل الأمير ورجاله ينفـجرون فى الضحك ، ونظر الأمير إلى الغلام وقال " صدقت ، هذا الطـائر الذى أحضرته لى امس ، لم أصرخ فيـه ، هذا هو السبب الذى جعلنا نراه برجل واحدة " ، وعفـا عنه وعادوا إلى المنزل وهم يضحكون عليه لما هو عليه من غباء "

ضحك الناس الذين كانوا يجلسون على الجانب الآخـر ، وقالوا " هذه القصة فاقت كل القصص التى رويتها فى الأيام الماضية "

وعندما طلع النهـار إذ برجل يأتى من سيركـا ويقول للأميـر " نصرك الله ، الدواء الذى أرسلته إلينا ، لم نجد أبدا دواء لعـلاج الكسور مفيدا مثله، أقـسم بعظمتك . عندما غليناه ، وغمسنا فـيه اليد ، وفعلنا كذلك فى اليوم التالى ، لـم يطلع النهار إلا وكان قد شفى ، وعندما أخذت السيارة أمس فى المغرب ، تركته يركب الحصان للنزهة . "

تعجب أميـر سيركا ونظر إلى الأميـر عبد الرحمـن وقال " هل سـمعت ؟ " ، قال الأمير عبد الرحمن " هل بدأت ترى ما يفعله وزيرنا "

قال أمـير سيركـا " بالله عليك دعنا من وزيرك ، لقد اكتـسب المهارة فى الكلام ،

لابأس، ولكن هل تظن أن هذا الصبى قد انكسر ؟، لقد شرخت العظام فقط ، فتحير الجميع ، لقد صادف الحظ وزيرك ، ولكن إذا سمع الآن هذا سيضايقنا بجداله ، هيا ابعث له بمن يناديه ليسمع الثناء عليه بنفسه" ،وفى الحال بعثوا من ينادى الوزير الببغاء ، وقالوا له ما وصلهم من أخبار داود .

قال الوزير " طالما أنكم اتبعتم مشورتى ، إن شاء الله لا ترون ما يسوءوكم ، والآن يجب أن يعود ويشترى مسحوق جوز هندى من السوق ، ويخلطوه بدهن الأوز ، ويمسح به مع العلاج الذى سأقدمه لكم الآن ، سيشفى تماما . " ،وذهب وأحضر بعض الأوراق، وأعطاها للرسول ليعود بها ، وأمير سيركا ينظر إليه وهو يبتسم ، ويخشى أن يضحك بصوت مرتفع فيغضبه .

واستمروا فى هذا السمر حتى أقبل الظهر ، فقاموا وصلوا ، ولما انتهوا واجتمعوا بدأ حاذق يقص قصته .

الإلحاح فى الطلب لا يحضر المطلوب

كان يوجد رجل فقير جدا ، لا يملك إلا فأسا وحمارين ، وكانت حرفته هى الذهاب كل يوم إلى الغابة وقطع الأخشاب ، ويضعها على الحمارين ويذهب بها إلى السوق لبيعها . ويشترى الحبوب التى سيأكلها فى نفس اليوم ، لم يخلق الله هذا الرجل كسولا ، ولو ليوم واحد، لم ينقطع عن العمل سواء فى فصل الجفاف أو المطر ، مهما كان المطر ، ومهما كان البرد ، إذا انقطع ماذا سيأكلون ؟ ها الأطفال صغار ، والأولاد إذا كبروا هموا بمساعدته ، ولكن مع كثرتهم واجتهادهم لم يجمعوا شيئا يذكر ، فهو يعيش فى بؤسه .

وذات يوم تعب ويئست نفسه ، فجلس صامتاً فى حيرة مما يدخل الراحة على نفسه فى هذه الحياة الدنيا ، فقال " لقد تعبت من هذا الشقاء بلا فائدة ، الإنسان يتعب سنوات وسنوات ، ومع ذلك لا يملك شيئا ؟ ، غدا إن شاء الله أكف عن الذهاب إلى الغابة لقطع الأخشاب ، وأنام فى البيت ، وإذا شاء الله أن أنال الرزق وأنا راقد فوق السرير سيأتينى . "

وفى اليوم التالى رقد فى المنزل ، حتى حان وقت ذهابه إلى الغابة ، ومضى ولم يقم، وقامت زوجته وأنهت كل أعمال المنزل ، ولم تسمع حركة تدل على أن رب البيت قد استيقظ، فدخلت الحجرة لترى ، ربما يكون مريضاً ، فلما دخلت وجدته ممدداً على السرير ، فقالت له "ياسيدى هل أنت اليوم مريض ؟ ألم تشعر أن النهار قد طلع منذ مدة ؟، يجب أن تقوم، وتذهب للبحث عما سنأكله" .

فلم يرفع رب البيت رأسه لينظر إليها ، ثم قال " ويحك ياسيدتى ، أقوم لماذا ، ماذا أفعل لك ؟"

قالت " اليوم ألن تذهب إلى الغابة ؟"

قال " لن أذهب ، ما فائدة كل هذا التعب الذى عانيته سنوات و سنوات ، رغم أننى أخرج مبكراً جداً و أذهب إلى الغابة ، هل أجد ما تقتاتون به إلا بصعوبة؟".

قالت " وهو كـذلك ياسيدى ، هذا مـا قدره الله ، يجب أن نتـحرك حتى نجـد ما نأكل ، كل من تراه فى هذه الدنيا يفـعل ذلك ، لا أحد ينام فى السرير ، كـيف نحصل على الأكل ؟ »

قال رب البـيت " ما أقـوله لك الآن هو أننى تعبت من هذا السـعى وراء الرزق بلا فائدة، إذا كان لى نصـيب فى الرزق مستقبلا ، سـيأتينى فى سريرى ، ولكنى تركت هذا السعى غير المفيد للأبد . "

انحنت ربة البـيت وقالت " ويحك ياسـيدى ، لا تجعل البـؤس يجننك، من الذى رأيته فى كل هذه الدنيا ، ينام ويجد الرزق يأتيه إلى سريره ، إن لم يقم ويبحث عنه ؟ ، قم واحمل فأسـك واخرج حماريك إلى الغابـة ، واعمل ما تعودت أن تفعـله ، واحمد الله الذى وهبك القوة والعافية ، قم ، ليس عندنا اليوم ولا حبة غلال فى المنزل "

نهـرها الزوج وقال لهـا " هل قلت لك أننى لم أحمـد الله ؟ اغربى عن وجـهى ، عندنا حبوب ، أو ليس عندنا هذا لا يعنينى ،اذهبى لشأنـك، لا تتعبى نفسك بلا فائدة ، ليس فى هذه الدنيـا من يحملنى على الخـروج لقطع الأخشـاب" ، عبثـا حاولت زوجـته كثيرا، فلم تثنه عن عزمه، حتى تعبت من ثرثرته ، فانصرفت .

لم يمض وقت طويل على انصرافها حتى جاء أحد جيرانهم يسمى سمبو واستأذن ، خرجت الزوجة وتبادلا التحية ، فقال لها ، لقد جاء يبحث عن الرزق لدى زوجها ، هل يوافق أن يعيره حماريه ، فلديه عمل ويحتاجـهما ، وإذا كان رب البيت لديه عمل سيأتى ويساعده فيه.

دخلت الزوجة البـيت وقالت «شخص يستـأذن على باب المنزل »، التفت الزوج فى غضب وقال " سبق أن قلت لك أنه لا يوجد فى كل هذه المدينه من يخرجنى من السرير، مهما كان ، من أراد أن يرانى فليدخل "

عادت الزوجـه و قالت لسمبـو ، فدخل و كرر الكلام الذى قـاله للزوجه ، و لكن الزوج رد قـائلا " يا إلهى ، لقـد سـبق أن أقسـمت ألا أقـوم من هنا ، ولا يوجـد من يجعلنى أغير كلامى"

قال سمبو " وهو كذلك ، إذا لم تذهب ، أعرنى حماريك ، وإذا عدت سأساعدك بما تشترى به الطعام "

قال رب البيت " ويحك ، إذا كان هكذا ، اذهب بهم ، ثم عد" . أخذ سمبو الحمارين ووضع عليهما الغبيط وخرج ، لقد طلب سمبو الحمارين لأنه رأى بعض اللصوص يخفون المال فى حقيبة فى كهف فى بطن الجبل ، وكان يظن أن هذا المال ملك لأمير المدينة ، لأن بعض اللصوص سرقوا خزائن الأمير ، ولم يمض على هذا الحادث أكثر من ثلاثة أيام ، ومازال البحث جاريا على هذه الخزائن ، لذلك يريد أن يستولى على هذا المال كله قبل أن يعثروا عليه ، فلما وصل إلى المكان أخذ يصب المال فى الغبيطين ، وأخذ ما يمكن أن يحمله الحماران ، وبحث عن قطعه قماش وغطى بها الغبيطين ، حتى لا يرى أحداً ما فيهما ، واتخذ طريقا قصيرا ليعود إلى المنزل.

وأثناء السير رأى من بعيد اثنين من شرطة الأمير ، وما أدراك ما الكذاب ، لقد خشى أن يعرفوا ما فى الغبيطين ، فإذا أمسكوه يذهبان به إلى القاضى ، فيحكم عليه بالإعدام ، لذلك جرى وترك الحمارين ، فسارا فى الطريق الذى تعودا أن يسيرا فيه إذا عادا من قطع الأخشاب ، وقصدا المنزل ، ولم يتوقفا إلا فى مربطهما.

وكانت ربة البيت فى هذا الوقت خارج المنزل تقطف بعض النباتات ، فرأت الحمارين بما يحملان من متاع ، يجران أرجلها بصعوبة ، فذهبت مسرعة ونادت زوجها ليخرج ليرى الحمارين قد عادا يحملان شيئا ثقيلا .

عندما رأى رب البيت أنها ضايقته بالنداء ، قال " ويحك بالله لقد قلت لك ألا تضايقينى ، كم مرة قلت لك أننى لن أخرج ؟"

فلما رأت أن زوجها يرفض الخروج ، ذهبت إلى الحمارين وفتحت الغبيطين فرأت المال أكواما ، والشلنات حمراء ، تأخذ بالأبصار ، فلما رأت ذلك أسرعت وذهبت إليه وقالت له ، باللـه عليك اخرج مسرعاً ، صدقت عندما رفضت أن تخرج اليوم لقطع الأخشاب ، وانتظرت الرزق يأتى إليك حتى السرير ، ها هما الحماران قد عادا يحملان المال ، أقسم بقبر والدى أنه لا يوجد اليوم فى هذه المدينة من هو أغنى منا "

عندما سمع صاحبنا ذلك ، هب قائما من السرير ، وقصد مكانا واحدا وهو مربط الحمارين ، فأمسكت الزوجه الحمارين ، وأخذ ينزل الغبيطين ويفتحهما ، ونزل الدمع من عينيه من شدة السرور ، وحملاه وذهبا ووضعاه فى إناء كبير ، ونظر إلى زوجته وقال " ياسيدتى هل علمت الآن أن ما قلته لك كان حقا ؟"

الرزق شيء لا تعرفين له كيفية ، إذا كنت تبحثين عنه لا يأتيك مسرعا ، ولكن إذا تتركته يأتيك مسرعا ، ويبحث عنك حيثما تكونين . " قالت الزوجة " والله وافقت على كلامك ، صدقت ياسيدى " وما كاد يأتى الظهر حتى جاء سمبو ، سأل رب البيت عن المتاع الذى حمله الحماران ، فلما أدرك أن هذا المال ليس ملكا لسمبو ، وأنه لابد أن يكون احتال للحصول عليه، قال " لقد وهبنى الله هذا المال وأنا راقد فى السرير ، ولن يوجد من يأخذ كل هذا المال منى ، إذا كنت تشعر بشيء فارفع شكوى "

وكان سمبو يعرف أن هذا مال الأمير ، وأنه إذا شهد بأنه رآه سيقتل، لذلك قال

" اذهب ، لقد رزقك الله ، ولكن كما رزقك الله ، إذا كنت تحبه ساعدنى" ، دخل رب البيت وأحضر عشرين جنيها وقدمها لسمبو ، فأخذها وانصرف ، صفق كل الجالسين وقالوا " اليوم سمعنا أمرا عجبا ، الناس لا يعلمون ، أنهم يتعبون أنفسهم عبثا؟».

قال الوزير الببغاء " أطال الله حياتك ، لا تتبعوا هذا ، هل الإنسان ينام دائما فى السرير ، أى يوم حلو ويوم مر ، أمام سماجنتى ، الذى فعل هكذا لم يشعر بالسعادة ،

نظر أمير سيركا إلى الببغاء وقال " من هم سماجنتى ، هل هو الدجال ؟ ماذا فعل إمامهم ؟ ، بالله عليك قل لنا ، لنسمع قصة هؤلاء الناس » .

أصلح الوزير صوته وقال " نصرك الله لقد سألتم أمراً بسيطاً "

الله يساعد من يساعد نفسه

يوجد بعض الفولانى فى الشمال يعرفون باسم أبناء سماجنتى ، لا هم مسلمون ولا هم مسيحيون ، كالخفافيش ، لا شأن لهم هنا ولا هناك، ومع ذلك يرون الناس فى ضلال مبين، لذلك فهم لا يرضون لأى إنسان لم يدخل فى دينهم أن يدخل أية قرية يعيشون فيها ، هؤلاء الناس لا يرتدون ثيابا فيما عد السترة ، لا يغسلون ثيابهم ولا يستحمون ، ولا يشربون الحساء بالملح ، ولا يأكلون اللحم ، ولا يستمتعون بأى شىء لذيد فى هذه الدنيا ، بحجة أن كل هذا بدعة .

ونساؤهم لا ترى أحدا غير إخوتهن ، إذا اضطر غريب أن يدخل عندهم ، يحجبون نساءهم داخل المنزل حتى يقضى الغريب حاجته وينصرف .

الأمر الأكثر غرابة فى دينهم ، هو أن أصل دينهم ، شخص ذكر لهم مرة أن فى آخر هذا الزمان ، سيأتى عام يعطيهم الله فيه القدرة على الطيران مثل الطيور ، وطلب منهم الابتعاد عن الحياة الدنيا ، لأنها ستكون أكثر قذارة ، حتى أن الأطهار مثلهم لا يعيشون فيها ، لذلك فهم يصنعون فى كل عام ملابس ذات أكمام واسعة ، ويعطونها لأولادهم ، ويقولون لهم ربما يأتى الوقت الذى يطيرون فيه ، ثم يقولون لهم إذا لم يأت، تصنع لهم نساؤهم ملابس مثلهم ، وهم يصنعون ثيابا واسعة الأكمام ، لتكون لهم مثل أجنحة الطيور تساعدهم فى الطيران ، إذا ذهبوا يقفون أسفل إحدى الأشجار ويطلبون من إمامهم أن يبدأ ، لأنه أكثرهم جميعا طهارة ، فيصعد الإمام فوق شجرة حتى يصل إلى قمتها ، ثم يقفز ويترك الشجرة ، ويرفرف بأكمامه فيسقط على الأرض فيقولون " سماجنتى ، سماجنتى " حتى يهوى إلى الأرض ، وتسمع صوت الاصطدام فتتكسر عظامه تماما، ولا يتحرك ، فيحملونه إلى المنزل، ويدفنونه ويقولون لزوجته" لقد أخفق الإمام ، ليس له حظ هذا العام ، أحيانا الله إلى العام القادم " ، ثم يبحثون عن آخر يستحق أن يكون إماما لهم ، وهكذا يفعلون كل عام .

وكان أحد أئمتهم يتجول فى الغابة ، فرأى أحد النسور يأخذ فرخا صغيرا ويحضره إلى عش غراب ، ويشق بطنه بأسنانه ، ويقدمه للغربان الصغار ، فيبتلعونه ، ولم يأكل

النسر من هذا الفرخ شيئا ، فلما شبع هذا الغراب الصغير ، طار النسر وذهب ليبحث عن آخر.

عندما رأى الإمام ذلك تعجب وقال " طالما أنه هكذا أمر الله ، فلماذا أتعب نفسى عبثا، أذهب هنا وهناك لأبحث عن طعام ؟ ،أنظر إلى يدى كم صارت خشنه ، أنظر إلى قدمى كم أذاهما الشوك لجهلى ، أنظر كيف لدغنى الثعبان فى المزرعة فى العام الماضى ، كل ما أصابنى لا يؤسف عليه ، لأن عدم صبرى هو السبب فى ذلك ، والأفضل أن أبحث الآن عن كوخ صغير فى مزوعتى وأدخله وأنام فيه ، وأسأل الله أن يهبنى الطعام ، كما وهب هذا الغراب الصغير ، رغم أنه ليس من فصيله - النسر " ثم قام وقصد مزرعته ودخل الكوخ ونام ، وطلب من أولاده ألا يأتى إليه أحد، أو يأتون له بشىء ، وأنه لن يغادر كوخه إلا بعد أن يكون ولياً .

ورقد فى الكوخ حوالى ثلاثة أيام ، لا يصوم ولا يصلى ، ولا يدعو بأى دعاء ، حتى ذبل ونحف ، وصار لا يستطيع أن يقوم ليبول ، وظل على هذه الحال ينتظر طعاما يأتيه ليأكله ، وكان يتمنى أن يأتيه أنواع الطعام التى يفضلها ، حتى تعب فترك الاختيار قائلا "حتى إذا جاءوا لى بثريد أريده" .

وظل على هذه الحال ، وبعد ثلاثة أيام ساءت حالته فرأى فى المنام من يقول له" أنت لم تكذب ، هذا مخلوق ، والله يفعل ما يريد ، لأنه خالق كل شىء ، قادر على أن يجعل الليل نهارا والنهار ليلا ، هو الذى يطعم طيور السماء ، ويطعم السمك والضفادع فى الماء ، ويهيء للحيوانات والناس وسائل العمل لينالوا رزقهم ، وفى كل الكتب التى أنزلها يقال أن الله يساعد من يساعد نفسه ، وإذا كنت تريد أن تقلد هذا الطائر الذى رأيته مرتين ، عليك أن تقلد النسر الذى يطعم الغراب ، وليس الغراب الذى يأكل الغراب الصغير الذى لا يستطيع الطيران، ليبحث عن الوسيلة ، التى يساعده الله بها ليجد الطعام ، أما أنت فقد وهبك الله القوة والصحه ، وقد قال الله قم لأساعدك ، قم واجمع أولادك واقصد الناس واتبع الدين الحق ، وأترك الجهل ، حتى لا تموت على الكفر ولا تنال خير الدنيا ولا الآخرة . "

وهنا استيقظ الإمام من النوم ، وقد وفقه الله ، فما كاد يستيقظ حتى جاء أحد أبنائه وأخذ يطوف حوله ليرى ما إذا كان حيا أم لا ، فنأداه ، فجاء الغلام ، فوجد أباه قد تغير

شكله ولم يعــد يشبه الناس ، فــأسرع إلى المنزل وأخــبرهم ، فجــاءوا مســرعين وحملوه كالميت إلى المنزل ومرضوه ، وبصعوبة عاد إلى هيئته .

وعندما أفاق وعادت له قوته ، جمع أهل الحى كلهم وأخبرهم برؤياه، وقال لهم أنه من اليــوم خــرج من دين ســمــاجنتى ، وجــمع أولاده وعاد إلــى المدينة ، ودخل الدين الإسلامى ، أمــا الآخرون فقالوا أنــهم لن يتركوا الدين الذى ورثوه عن أجــدادهم وعينوا إماما آخر ، ودفعهم الشيطان إلى هذا الــضلال ، حيث قوى الجهل ، من الغباء أن يذهب الإنسان إلى هناك ويزعم أنه يريهم الحكمة ، اللهم احــفظنا ، آمين ». قال الأمراء " هل هؤلاء الفولانى بلغوا هذا الحد من الغباء ، بالله عليك أيها الــوزير هل هذه القصة حقيقية ؟ هل يوجد فولانى يسمون سماجنتى، أم هو خيال ؟ "

قال الوزير الببــغاء " نصرك الله ، أنا لا أكذب ، ولكن أزيــن القول ، لأن الحكماء قــالوا " الانسان طالما عــاش لابد أن يخطىء يومــا مــا " ، ولكن هنا فى الشــمال أقــسم بعظمتك يوجد فولانى يسمون أبناء سمــاجنتى ، لولا أننى أخشى ضياع وقتكم لقصصت لك قصة أخيهم ، الذى لم يعمل طيبا فى يوم من أيام حياته ، ثم صار وليا بعد موته "

قال أمــير سيركــا " بالله عليك استمــر، العصر لم يقــترب حينه ". استــعد الوزير للاستمــرار فى رواية القصص ، فرأوا من بعيد ســائق سيارة أمير سيــركا يأتى ، فانتظروا حتى دخل ، وانحنى أمام الأمير ، وقال " نصــرك الله ، لقد سرقت خزنتك اليوم ، ولم يتبق فــيها قــرش واحد، أمس فى الليل دخل اللصوص حــجرة ربة البيت ، وســرقوا كل مفاتيــحك التى لديها، وفتحوا الخزنه وســرقوا كل ما فيهــا ، وقد رأيت وكيل المدينة منذ الصبــاح يأمر الجنود والشرطة ورجال الأصطبــل أنْ يتتشرْوا فى كل مكان فى البلاد شــرقاً وغرباً ، وجنوباً وشمالاً، يبحثون حــتى اقترب ظهر اليوم ، لم يجد لهم أثرا ، فلما رأى ذلك طلب أن أركب مســرعا وآتى لأخبرك لعلك تعود فتبحث الأمر . "

صمت الناس الذين سمعوا هذا الخبر ، فقال أمير سيركا ، " اذهب وماذا أفعل ؟ ، هل عندى القــدرة أن أفعل مــالم يستطع أن يــفعله هؤلاء الرجــال الذين انتشــروا فى كل مكان؟، عليك أن تذهب وتقول لوكــيل المدينة أن يشدد البحث ، وسأحضــر عندما ينتهى الوزير الببغاء من قصصه . "

نظر الأمير عبد الرحــمن إلى الوزير الببغاء ، ونظر الببغاء الوزير إلى أمــير سيركا ،

وقال " نصرك الله " ألم أقل لك عندما بعثنا إليك أن تحضر بمفاتيح خزائنك ، رفضت قولى ؟"

قال أمير سيركا " والله لقد أخذت كلامك على أنك تسخر منى .

قال الأمير عبد الرحمن " لقد قلت لك أن الأفضل أن تسمع كلام وزيرنا الببغاء ، إنى أعرف من الذى وليته الوزاره ، ونظر إلى الببغاء وقال " بالله عليك يا وزيرى ، لا تغضب ، ساعدنا أكثر بما يجب أن نفعله " قال الوزير الببغاء " وهو كذلك ، لا بأس ، نسأل الله أن يساعدنا ، ولكننى أعجب كيف يحتقر أمير سيركا كلامنا هكذا ؟ وكأنه لا يعرف أن قدرة الله واسعة "

عجز أمير سيركا عن الرد ، هل غضب ، هل تعجب من أمر هذا الببغاء ،لا يعرف أحد ، وبعد قليل نظر الوزير الببغاء إلى سائق السيارة الذى حضر وقال " عد مسرعا إلى سيركا ، وابحث عن صبى صغير لم يبلغ الحلم ، واجعله يسير أمامك ، وقل له سنمر على الأحياء ، وسر خلفه وحيث ينحرف اتبعه ، لا توجهه ، وعند باب المنزل الذى يقف أمامه ويقول لك أنه تعب ، اجعل الشرطة تحيط به ، فاللصوص لم يغادروا المدينة "

ركب السائق وعاد فى الحال ، وأخذ الناس ينظرون إلى الوزير الببغاء، وأخذ حاذق يغمض عينيه ويفتحهما ويضحك عليه .

نظر الأمير عبد الرحمن إلى أمير سيركا وقال " يجب أن نقوم الآن حتى تهدأ النفوس ونستمر "

قال أمير سيركا " نقوم ؟ طالما أننى لا أستطيع العودة إلى سيركا ، ننتظر لنسمع آخر هذه القصص ، أنت تعرف أننى لا أستطيع القيام حتى يتمها "

ونظر إلى الوزير الببغاء وقال " بالله عليك ابدأ ، ما قدر الله أن يقع لا محالة ، قال الوزير " صدقت نصرك الله " وأصلح جلسته وأخذ يقول :

قصة جائر بن سماجنتى

تعب أحد أبناء سماجنتى من بقائه عديم الاستمتاع بالحياة الدنيا ، كما قلت لكم من قبل، رأى أنهم لا يفعلون عملاً ذا قيـمه أو قل بصيرة ، لذلك انفصل عنهم ، وهام على وجهه فى الحيـاة الدنيا ، حتى وصل إلى مدينة تسمى كـوكوكى ، وكان اسم هذا الرجل جائرو، ولكن عندما هجر مدينة ، قال إن اسمه " كل واحد تكفيه حيلته" ، وكان الناس ينادونه هكذا ، ولكن اختصارا للاسم الطويل ، كانوا ينادونه " كواً " فقط ربما يكون هذا الأمر يدعو لـلغرابة ، كيف فسّق هذا الفـلاتى مرة واحدة ، بمخالطتـه للناس ، لقد قلت لكم من قبل أنهم جعلوا كل شىء بدعة ، ولكن بمجرد أن اختلط كواً بالناس ، فاقهم فى الحياة ، رويدا رويدا حتى صـار معروفاً، وإذا قلت جائرو يشار إليـه بالبنان ، فاذا قصدته تعود إلى منزلك وقد قضيت حاجتك، لعلك تعرف أن الفلاتا سريعو الغضب ، ولكن إذا سببت أم كوا ، تراه لا يهتم ولا ينظر إليك ، ولكن يضحك ، وصار الكذب يجرى على لسان كوا ، حـتى وصل إلى السوق ، وبدأ فى كوكوكى بالحـاشية ، ففى شـهر واحد ، أطلق الأكاذيـب حتى أن أميـر المدينة أبعد أربعـه حكام عن السلطة ، كـانت عينه مـعلقه بالنساء كالكلب - أى محب للفـحشاء - حتى أصابع يده صارت تسعه فـقد قطع العاشر عندما طورد عندما أريد قطع رقبته بالسيف فلم يصب السيف سوى إصبعه ، والأمر الذى أكد سوء خلقه ، إذا أعطته أمه أمانة خانها.

وعندما تعب أمـير كوكولى من كـثرة الشكاوى التى تأتيه من الناس الذين خـان كوا أماناتهم ، أمر بأن يعلن على الناس أن كل من أعطى كوا شـيئا ، لا يلوم إلا نفسه ، فلا يشكوه إذا خان أمانته ، أمـا من حيث السحر فهو كأمهر السـحرة ،كأن دنكو ملك الجان رهن إشارته ،يأتيه الناس ليعمل لهم الأسحـار ، ويدعى أن دنكو يتحدث إليه ، ويتفاخر بنفسه ويدعى أنه جاتو حـفيد كسرى ! ، وفى كل مكان يضايق الناس ويغضـبهم بالتسول والبخل ، حتى الرضيع لا ينجـو من مضايقاته ، شخص لا يسمع شيئـا ولا يرى شيئا ، ولكن إذا طلبته فى شهادة يقول أنه رأى وسمع ، ويقسم الأيمان الكاذبة ، ويشهد الزور ، وإذا أعطيته ثلاثين شلنا ، ليشهد لك شهادة الصدق ، لا يفعل ذلك ، والأفضل أن تتركه

يستمر فى أكاذيبه ، من يشهد عليهم شهـادة الزور وكان سببا فى قتلهم كثيرون ، أما عن التفرقه بين محب وحبيبه ، فقد صار هذا العمل حرفة له ، حتى أن اليوم الذى لا يحدث فيه أيه خصومـة لا يكون مطمئنا ، فهو يدخل بين الابن وأبيه ويفسد مـا بينهما ، ويفرق بين المرأة وزوجـهـا ، إذا جلس يكون كـإبليس ، ولا يحـدث بين الناس سـوى النفـاق والوشاية والنميمة ، وكثيرا ما تراه بين اللصوص ، يذهب للسرقة أو قطع الطريق أو القتل - نصرك الله - حتى صار يستأجره الناس لقتل الآخرين ، ويدفعون له أجر ذلك ، فروح الإنسـان والذباب عنده سواء ، فى كل مكـان ترتكب فيـه الرذائل تجده فى مـقدمـه هذا المكان، لو توقفت لأصف لك أخـلاق كوآ ، تظن أنك فى عصر قـديم قبل بعث النبى ، لو وجد مثله أربعة فى مدينة خسفها الله لكثرة ذنوبهم.

واستمر على هذه الحال ، فلما ضايق أهل المدينة ، أجمعوا أمرهـم ، ومنعوا عنه كل شىء حتى مـاء الشرب ، فلمـا أدرك هذا الظالم ذلك ، أخذ يذهب إلى السـوق ويسرق الناس حتى ضايقـهم ، ولما سمع الأمير هذه الأخبار ، أمر الشـرطة أن يسألوه عن الباب الذى يفضل أن يخرج منه ، ورافقوه حتى أخرجوه وترك مدينتهم .

لما طردوه دخل الغابة ، وقال " بدلا من أن أذهـب إلى أية مدينة ، أعود إلى بلدى لأعلمهم أمور الدنيا ؟ " ، ثم انحرف وقصد مدينة سماجنتى.

بعد أن ارتكب هذا الذنب العظيم بانفصاله عن دين سماجنتى ، وذهاب بعض إخوته إلى مدينة كوكوكى ، بل بعض الناس من مدينته شاهدوا ذلك بأعينهم ، لقد كانوا يظنون أن ما يسمـعونه عن أعماله أخـبار غير صـادقة ، لذلك عندما عاد إلى مـدينتهم ، رفض إخوته أن يعيش معهم ، واستعـدوا لطرده ، وذات يوم أصابته الملاريا فضايقهم هذا الأمر فحمـلوه ووضعوه فى كوخ خـارج المنزل ، وكان فى بداية الأمر يستطيع الحـركة ، ولكن بعد ذلك صار كالحجر لا يتحرك.

كل هذه الأمـور ضـايقت أخوة جـائرو ، وصـار لهم مـثل القـذى فى العين ، لا يستطيـعون تركـه يموت ، فيقـول الناس أنهم قتلوا أخـاهم ، ولا يجب أن يجلسوا مـعه ليمرضوا هذا الكافر ، وهذا ذنب عظيم فى معتقداتهم ، فلما ضايق الأمر جميع إخوته ، اجتمعوا خلف الكوخ الذى يرقـد فيه جائرو ، يتشاورون فيما يفـعلون معه ، وليس فيهم شخص واحد مقرب يهتم بأمره ، لأن أباه وأمـه قد ماتا ، وليس له أخ أكبر ولا أصغر ، وليس له ابن ولا حـفيـد ، سـوى الأهل والأعمـام من الرجـال والنساء ، عندمـا بدأوا

يتشاورون قال بعضهم " الآن إذا حملناه إلى الغابة، سيكون أمراً مخجلاً لنا لأنه أخونا ، وإذا سمع الناس ذلك ، وقعنا فى مشكلة ، وإذا تركناه يموت سيزداد حزننا ، لأنه لن يأتى أحد جنازته ، فلا بد أن نحفر حفرة وندفنه فيها ، لأن الإمام إذا رفض الصلاة عليه من له القدرة أن يصلى عليه ، فيموت عبثا ؟ الله يلعنك فاسداً "

لقد كان كل ما قالوه على مسمع من جائرو ، كان يرقد ويسمع ما يقولون ، رد عليهم قائلا " لقد سمعت كل ما تقولون ، وأعرف أنكم على حق ، ولكن بالله عليكم لا تثيروا أعصابكم عبثا بسبب هذا ، الآن ما أريده منكم ، أن تذهبوا وتأتونى لى بالإمام، ليأتى وأقول له ما فعلت من ذنوب منذ ولدت حتى الآن ، إذا رأى أن أصحاب الذنوب مثلى يصلى عليهم ، فيصلى على ، وإذا رأى أنهم ليسوا مثلى ، يقول لكم ما تفعلونه بى ، وبذلك تتجنبون من لوم الناس .

عندما سمع إخوة جائرو هذا الكلام ابتسموا وقالوا " بدلا من أن نكشف سر أنفسنا أليس الأفضل أن نتركك ، إذا توفيت حينئذ نبحث لك عن حيلة ؟ ، وإذا أخطأنا وتركنا الإمام يسمع عن سوء خلقك ، دعك من الأعمال ، حتى نحن أقاربك سوف نُكره كراهة شديدة ، فلن نستطيع أن نشرب شربة فى المدينة .

ألح عليهم جائرو ليطلبوا له الإمام ، حتى وافقوا ، وعندما رأى أن الرجال أنصتوا لسماع كلامه ، قال لإحدى خالاته أن تذهب لا ستدعاء الإمام .

عند حضور الإمام قام أخوة جائرو وأختباوا خلف كوخ ، ليسمعوا ما سيقوله جائرو، جلس الإمام عند رأس السرير الذى ينام عليه بجائرو ، وحياه ، وسأله عما أوصله إلى هذه الحالة .

رد جائرو وقال له كل ما يقوله أخوته ، وما يريد أن يفعله الإمام معه ، قال الإمام "وهو كذلك ، أولا لماذا انفصلت عن والديك ، وهجرت المعتقدات التى ورثتها عن آبائك وأجدادك ؟ ، وطالما أنك فعلت هذا الأمر السيء ، فكل ما يقوله إخوتك حق" ، نظر جائرو إلى الإمام بطرف عنيه ، وقال " لاشك أننى أخطأت ، ياسيدنا ، ولكن غرنى الشباب والهروب من العار فيما بعد ، هما اللذان جعلانى أرفض الكشف عن سبب هجرى لمنزلى ، ولكن أقسم بعظمة احترامك لهذه المعتقدات ، وعظمة محاولتك هذه ، ولو انفصلت عن معتقدات سماجنتى ، إذا حان وقت الطيران فى أى عام ، سأذهب إلى

الغابة وأنتظر أسفل إحدى الأشجار وأفكر فيما تفعلونه فى هذا الوقت . ومما جعلنى أنفصل عنكم ، هو أننى سبق أن حاولت الاختلاط بالمسلمين ، وأرى ما هم فيه من ضلال ، وآتى لأقول لكم ، حتى نستعد للذهاب للجهاد ضدهم ، لأنه لا ينبغى لمثلك أن يعيش فى هذه الحياه ، وفيها كثير من الناس على ضلال ، ولا نتشاور فى أمرهم.

مسح الإمام على رأس جائرو وقال " هذه النية التى نويتها هى ما نريدها فى معتقداتنا، القله هى التى جعلتنا لا نتحرك ، رحلتك هذه لمناك عليها عمدا ، أجرك مساوٍ لمن أدى فريضة الحج ، بعد ذلك أريد أن أعرف ، ألم تقتل أبدا ؟ "

انتظر لتسمع فساد هذا الضال الذى كان يُستأجر للقتل مقابل المال ، ثم قال " لم أقل أننى لم افعل ذلك أبدا ، لأنه فى أحد الأيام قطع أحد اللصوص الطريق على أحد التجار ، وهجم على التاجر وكسره ، واستل سكنيا وهم بقتله وسلب متاعه ، ثم شاء الله ، أن أوجد فى هذا المكان ، وأظهرت له شجاعتى ففر هاربا ، وبينما كان يلتفت خلفه سقطَ فى حفرة وأنا أطارده ، فلما رأيت أنه لم يقم ، ذهبت لأرى ما حدث ، لعله جرح ، فوجدت أن سقطته هذه كسرت عنقه ، فأخذته ، حتى مات وسبقنا إلى الدار الآخرة ، وهكذا تسببت فى قتل هذا الرجل . "

قال الإمام " هذا لاذنب لك فيه ، ولكن ذنبه قضى عليه ، هذا ليس ذنبا ، ثم أريد أن أعرف ألم تكذب أبدا ؟ "

قال جائرو " لا مرة واحدة ولا مرتين ، إلا أن يغفر الله لى ، لأنه فى يوم من الأيام لما رأى رفيقى فى السفر أننى لا اتبع الدين الإسلامى وشى بى عند الأمير ، حتى يجعلنى أسلم ، وللنجاة من هذا قلت للأمير أننى مسلم ، هذه هى الكذبة التى كذبتها ، وذات يوم شهدت زورا على أحد جيرانى ، وكان السبب فى ذلك أننى كنت كل يوم فى المساء أسمعه يضرب زوجته ضربا شديدا ولا أعرف السبب ، وذات يوم سكر ، وانهال عليها ضربا وكاد يقتلها ، لذلك عندما رأيت أن هذا الأمر فاق الحد ، قلت لحاكم حينا ليزجرهم ، قلت أنها صاحبة الحق، وليس هو ، رغم أننى لم أعرف حقيقة الأمر"

عندما سمع الإمام ذلك تعجب ، وقال " إن أخلاقك هذه لا يوجد مثلها فى الدنيا، وهذه ليست ذنوبا " وربت على كتفه وقال " وهو كذلك وماذا عن النساء والسكر ؟ "

لفت جائرو رأسه وقال " أشعر بالخجل من قولى لك شيئا بشأنهم " قال الإمام:

"لا شيء يدعو للخجل بينى وبينك ، مهما كان قبح الذنوب التى فعلتها ، إذا سألنا عنها تجدها حسنات "

قال جـائرو " كل طريق أسير فيـه أشعر بذلك ، كلّ شيء حـدث لى ، إذا ذكرت اسمك ، أراه قد أنار لى الطريق"

ابتسم الإمـام ، وأدار جائرو الذى ليس لديه مشـروب سوى الخمر - رأسـه وأخرج لسانه ، وقال " عندما حـان موعد الطيران فى العام الماضى ، أخذت أعـبد ليلا ونهاراً ، وادعو أن يسعدك الحظ ونطير معا ، ولم أتناول طعـاما ، ولم أشعر بالجوع ، وفى مغرب اليوم العشرين ، أحضروا لى سمكا صدقـة ، فأكلت منه قليلا فوقفت شوكه فى حلقى ، فلما رأى أهل البيت أننى سأهلك ، أعطونى خمراً فـشربتها ، وقالوا لى أنها دواء، ولـم أكن أعرف أنها خمرا ، إلا بعد أن شفيت ، فقـالوا لى، فغضبت غضبا شديدا ، وهذا ما يمنعنى من القسم بأننى لم أشـرب الخمر أبدا " ، نظر إليه الإمام وهز رأسه ، فـقال جائرو " أما عن النساء فلن أقول أننى لم انفرد بواحدة منهن أبدا ، لأنه أثناء تجوالى ، نزلت فى إحـدى المدن ، ورأى أهل المدينة أننى رجل طيب ، لا ألهـو ولا اعـمل شـيئـا يخـالف معـتقداتنـا ، فأخذوا يظنون أننى مـتكبر، ثم أخـذوا يقولون أننى مثـل الأولياء الذين لا يعرفونهم ، لذلك أخذوا يعظموننى ، إذا أكلت طعامـا أخذوا يتخطفونه تبركا بى ، وكل من أصابه شيء جاءنى لأرقيه ، وإذا رقيتـه يشفى ، ولما رأيت أنهم سيدفعوننى للغرور ، ويمنعوننى من العـبادة عند ذلك اتفقت مع امرأة أن تأتينى حـجرتى ، حتى إذا رآها الناس يظنون أنى زان ، فيـتفرقـوا عنى لأتفرغ لعـبادتى ، أرأيت ، بعد أن فـعلت ذلك صرت عابدا، هيأك الله للطيران فى هذا العام ، أرأيت ما منعنى من القسم. "

عندما سمع الإمام ذلك تساقط الدمع من عينيه شفقة ، وقام واحتضنه وقال " هؤلاء الناس لم يكذبوا ، اللهم الحـقنا بك ، لاشيء يمكن أن الومك عليه " قـال جائرو " لا ، اسأل مـا تريد " وغافل عـينيه وأخرج لسـانه ، وقال " هناك ذنبـان لم أقل لك عليهـما خجلاً منك"

قـال الإمام " ويحك ، مـن مثل هذه الذنوب لا تخـجل ، نحن الذين يـشهـد لنا بالطهر ، إذا وجدنا أخلاقا مثل أخلاقك نشكر الله ، قل لنسمع"

لقد قلت لك من قبل أن جائرو يخون الأمـانة ، حتى أمه التى ولدته لو أعطته أمانة يخـونها ، ثم قـال " أولا ، لقد خنت الأمـانة مـرة واحدة ، وهذا لسـبب ، فى وقت الطيران فى العام قـبل الماضى ، وجدت شلنا ، فذهبت إلى السوق لأصرفـها ، وأتصدق بجزء ، اسال الله أن يهـيىء لك فرصة الطيران ، لأنى أرى أن الحياة الدنيـا قد فسدت ، وكثرت قذارتها ، وعندما عددت النقود التى صرفتها وجدت فيها مليما زائدا ، فعدت إلى السوق وأخذت أبحث عن الرجل الذى صـرف لى المال ، فلم أجده ، أخذت أبحث عنه لمدة عام ، فلما أدركت أننى لن أجده ، تصدقت بـهذا المليم ، هذه هى خيانة الأمانة التى فعلتها فى حياتى"

" الثانية ، لقـد وشيت مرة واحدة ، فذات يوم نزلـت فى أحد المنازل ، وكان منزل لصـوص ، وفى منتـصف الليل سـمعـتـهم يتشـاورون ويقـولون ، إذا انتـصف الليل ، سيقـصدون منزل إمام المدينة ويسرقونه ، ويقـتلونه ، وينهبون المنزل تماما ، فلمـا سمعت ذلك أخذتنى الشفقه ، وفكرت فيما سيحدث لك ، وأنهم سيقتلون أخاك ، رغم أنه يجر أهله إلى طريق الضلال ، وليس مثلـك ومع ذلك قمت عندما طلع الفجر وأخبـرت أمير المدينة ، فبعث الشرطة سرا ، ودخلوا منزل الإمـام، فجاءوا عندما شاء الله أن أخرج من المنزل، فقـبضوا عليهم وسـجنوهم، أسمعت الذنوب التى ارتكبـتها، وأخجل أن أقـولها لك"

فأهذه الإمام احـتضنه، وهو يقول "لاشك أنك ولى ، اسأل الله أن يهـبنا بركتك، ويجعلنا على طريقك" .

فغافل جائرو عيـنيه، وأظهر الاستخفاف به وقال فى نفســه "لو كانت طيباً لا زددتم فـاداً، وقل مـن قتلت من الناس، فقد قـتلت على الأقل مائة، أما الوشاية فـلا تفارقنى حتى العجوز التى تفـخر لو قيل لها افسدى ما بين أهل البيت وصلى أهـل السوق أفوقها فـاداً" .

وربت الإمام على كتف جائرو وقال"لقد نـسيت أن أسالك عن أمر كبير، ألم تعمل السـحر أبدا؟"

بصق جائرو وقال " إذا قيل مثلى يعمل السـحر ، من خرج ليجاهد هذا أمر مخيف، اللهم احفظ أبناء سماجتى من هذا "، ومط شفتيـه للإمام ، وقال فى نفسه "سحر يفوق

ما تفعلون؟، فى أى كتـاب وجدتم هذه المعتقدات؟ ، أفى معتـقدات سماجتنى ؟ إلا فى كتب الشيطان ، والذين يبحثون عن الضلال ، أنا وأنتم سواء "

قال الإمام " الحمد لله ، طالما لم تعمل السحر ، فكل ما تعمل طيبا " لقد كان كل ما يعـانى منه جائرو هو المغص والحـمى ، ولعلك تعرف المغص يجـعل المريض يتلوى ، وأثناء إنهاء هذا الحـديث شعر بالمغص ، فأخـذ يتلوى ويتنفس بصعوبة ويصـرخ من شدة الألم ، فلما رأى الإمام ذلك ، تضايق وقال " سيدى هل أنت مريض ؟"

دعك من هذا واسـمع عمل هذا الجائرو ، كـل هذا العذاب الذى كان يعـانى منه ، ومع ذلك يدعى أنه تذكر ذنبا عظيما عمله ، وهو الذى دفعه للبكاء .

قال الإمام " عجبـا ، ليس فيما فعلته أى ذنب ، مع كل هذه الأعمـال التى عملتها فـأنت رجل صـالح ، كـما ولدتك أمـك ، إذا شعـرت بهـذا الألم لا نعـرف الآن بماذا نسميك، ولكن قل لنسمع ما تتذكره . "

ولكن هذا الكافر الذى تعرفه العرسة لشهرته فى السرقة ، وأنه سجن خمس مرات، قال " كل ما حـدث فى حياتى ، والذى دفعنى للسرقـة ، أنه فى يوم من الأيام خرجت فى المغرب أتنزه ، كـما أفعل دائما إذا تعـبت من الورد الذى أقرأه ، وجدت حيـة تتسلل وتأكل طعام بعض التجار الذى حفظوه ، ودخلوا المزرعه ليحضروا لحميرهم عيدان الذرة، فلما رأيت ذلك غضبت ، وأخـذت أتلفت حولى لعلى أراهم ، فأقول لهم الا يأكلوا هذا الطعـام ، ولكن لم أرهم ، لذلك عنـدما انصـرفت هذه الحـيـة ، ذهبت وسـرقت هذا الطعـام، ودائما أحتـقر نفـسى إذا تذكرت هذا العـمل ، فينغص علـى حياتى ويدفـعنى للبكاء. "

لم يجد الإمـام ما يقولـه ، فعانقـه وأخذ يقبله ، ويقـول " بالله عليك ادع الله أن يهيأنى للطيران فى هذا العام ، فأمثالكم دعاؤهم مستجاب" .

هز هذا الخبـيث راسه ، وقال فى نفسـه " إذا كنت تعتمـد على دعائى ، دعك من كثرة الرجاء ، رأسك سوف يسقط على الأرض هذا العام . "

ثم خرج الإمـام وذهب حيث يجـتمع أهل المنزل ، وطلب منهم أن يأتوا ويـحملوا

جائرو ويعيدوه إلى المنزل ، وقال لهم أنه ولى ، وأن يهتموا به ، لعلهم ينالون البركة ، وفى الحال نفذوا ما طلبه منهم الإمام .

لقد ذكرت لكم أن كل ما يقوله كان على مسمع منهم ، لأنهم كانوا مختبئين يسمعون ما يقول ، لذلك تعجبوا من كلام هذا الجائرو ، ويقولون " بالله عليك انظر كيف استطاع هذا الكذاب أن يخدع الإمام بهذا الكلام ، حتى يأمرنا بإعادته إلى منزلنا ، والآن إذا ذهبنا إليه وقلنا له أنه يكذب ، سيقول أننا نحسده ، ولذلك الأفضل أن نكتم هذا السر ونتركه. "

لقد قلت لكم أن المغص يلازمه ، فلم يكد النهار يطلع حتى توفى ، اللهم احفظنا من أعمال الجهلاء ، فى الحال استدعوا الإمام فحضر ، فأمر أن يعلن فى المدينة أن كل من أراد أن ينال البركة ، يأتى لتشييع جنازة الولى ، ولما اجتمع عدد كبير وقاموا بما يقوم به الجهلاء ، دفنوه . وأمر الإمام أن تبنى قبة كبيرة حول قبره ، وأحضروا رمالا بيضاء من النهر وفرشوها .

وما يحدث بعد ذلك من أمور تعرفونها ، بدأ الشيطان يقودهم لزيارة هذا الجائر ، وتحمل إليه الصدقات ، ويأتى الناس للتسول ، أرأيتم ما صار إليه أمر هذا الشيطان الذى كانت كل أعماله سيئة ، بعد أن مات صار وليا كبيرا فى بلدهم.

نسأل الله أن يحفظنا من أخلاق هذا الجائر ، انظر بالله عليك ، عندما وصل الناس أخذوا يطلبون الهداية من الله ، وينطقون بكلمتى الشهاده ، فيأتى فجأه هذا الجائر ويحدث ما يحول بينهم وبين ذلك ، وقانا الله من أخلاق هذا الجائر.

عندما انتهى الببغاء من رواية هذه القصة ، وأعجبهم هذا ، أعجب بنفسه على الحكمة، ثم مال وهز رأسه ، وتهيأ يكمل قصته بالشعر ، ولم يعرف أنه مهما قدم من الحكم فى رواية القصص ، أن صوته سىء الإنشاد ، ولما بدأ هربت الطيور ودجاج المنزل، ظنوا أنهم يطردونهم ، هز صاحبك رأسه وتصور أن صوته جميل وأخذ ينشد.

انفجر أمير سيركا فى الضحك ، وقال " عجبا أتستطيع الغناء، إن صوتك لا مثيل له فى الجمال".

ظن الوزير الببغاء أنه يمدحه حقيقة فقفز قائلاً ، نظمت هذا وأنا متعجل لو كنت أعرف أن شعرى يعجبكم لختمت كل قصة بالشعر ، قال أمير سيركا «قصة هؤلاء الناس أكثر غرابة من كل شيء».

قال الوزير البـبغاء " لـم أذكر لك قصـة المهرجين الذين تقابلـوا مع هؤلاء الفولانى عندما اجتمعوا فى مسجدهم ، عندما قلت لكم أن جثه جائرو أحضرت للدفن" .

قال أمير سيركا " لما تجاوزت هذه القصة؟ ، بالله عليك استمر فى القصة " .

قال الوزير الببغاء " لتنتظر إلى الغد – نصرك الله- فلتذهب لأداء الفريضه " .

قال أمـير سـيركـا " صدقت ، ولـكن غدا بإذن الله سنبـدأ بها " ، وتفـرق الناس متعجبين .

وفى اليوم التالى ، عندما حان وقت الظهر ، جاء أمير سيركا أولا ، ثم بعث للأمير عبد الرحمن ، فخرج ، وبعد ذلك جاء الأمراء الصغار فملأوا باب القصر .

نظر أمير سيركا إلى الوزير الببغاء وقال " ابدأ ، وأكمل لنا قصة سماجنتى "

قال الوزير "نصرك الله " وتهيأ وبدأ فى القصص .

قصة بعض المهرجين وأبناء سماجنتى

لقد قلت لك أن هؤلاء الفولانيين تجمعوا فى مصلاهم عندما حملت جثه جائرو لتدفن ، وقد حاول كل واحد أن يلمسها لينال البركة ، كما أعلن الإمام أن يفعلوا ، العميان والعرج والمرضى أخذوا يفدون ليلمسوا جثته ، لعل بركته تكون سببا فى شفائهم.

وبينما كان أهل المدينة مشغولين فى هذا العمل ، وصل إلى هذه المدينة ثلاثة من المهرجين ، أحدهم يسمى كربى ، والثانى أنجو والثالث أمشى ، فلما رأوا المدينة كأنها فى حفل كبير ، وأن الناس يتجمعون فى المصلى ، يغدون ويروحون ، قابلوا صبيا فسألوه ، فأخبرهم بما يجرى ، فانتحوا جانبا يتشاورون فيما يفعلونه ليروا هذه الجثه ، حتى إذا عادوا يجدوا ما يقصونه للناس ، فعجزوا أولا عما يفعلون ، لأن الناس حولها كثيرون ، عند ذلك قال لهم كربى أن لدية حيلة ، فتمارض وادعى أنه مريض ، ثم انحشر بين الناس ، فلما اقتربوا وقف كربى ، وتأبطه أنجو وأمشى ، كأنه مريض جدا ، وذهبوا به وهما يسندانه ، ويقولان للناس " بالله عليكم أفسحوا لنا "

فلما رأى الناس أن كربى مريض جدا ، أشفقوا عليه ، وأفسحوا له الطريق ، وساعدوهم بأن طلبوا ممن أمامهم أن يفسحوا الطريق ، حتى يدخل عبد الله المريض ، وتوغلوا به وهو بين أيديهم حتى وصلوا إلى حيث يرقد جائرو ، وأجلسا كربى بالقرب منه ، وكأنه لا يستطيع القيام ، ومد يده بصعوبه كأنه لا يقدر ، ومس جسد جائرو بها ، ثم مد يده التى لمست جائرو مدعيا أنها شفيت ، ثم مد يده الأخرى بصعوبه ولمس جسد جائرو ، وادعى أن هذه الأخرى قد شفيت ، الفولانيون ينظرون ما يفعل ، الأمر الذى أدهشهم وجعلهم يظنون أن جائرو ولى حقيقة ، فها هو كربى قد لمسه فاستطاع أن يمد يديه ، ثم أنحنى كربى وأخذ يحتضن الجثة ، ثم هب بعد ذلك قائما يسير ، مدعيا أنه شفى تماما ، فلما رأى الفولانيون ذلك صاحوا جميعا ، واطلقوا الزغاريد قائلين أن جائرو صار وليا حقيقة .

وتصادف أنه يوجد من بين المشاهدين رجل من الطوارق من مدينة كنو ، يعرف المهرج كربى ، لأنهم فى المدينة يخافون شرورهم ، لم يعرف المهرج عندما دخلوا فى

بداية الأمر ، لأنه كان يتمارض ويدعى أن الجن أصابه بالشلل ، ولكنه عندما ادعى الشفاء وهب واقفا عرفه ، مما أثار استغرابه ودفعه للضحك ، فقال «لا حول ولا قوة إلا بالله» ، وقال " يا ابن الحرام ، " كربى المهرج ، كل من يراه عندما دخل هنا يقسم بالله أنه مريض حقيقة "

وكان أحد الفلاتا قريبا منه ، فلما سمع هذا الكلام نظر إلى الطوارقى وقال " لا ، ألم يكن مريضا عندما جاء إلى هنا الآن ؟ "

قال الطوارقى " بأى مرض ، إنه سليم ، كأى شخص هنا ، أنتم هنا لا تعرفونه، كل شخص فى مدينة كنو يعرف أنه مهرج ، اسمه كربى، واللذان أتيا به أحدهما يسمى أنجو والثانى أمشى، هكذا يفعلون دائما فى سوق كنو، إذا سمعوا أحدا ينادى زميلهم ليعطيه شيئا، إذا قال أمشى أو كربى أو أنجو.فمن يسمع اسمه منهم، يسرع بمد يده ويخرج يوقول " ها أنا ذا " فمن يسمعك تذكر اسمه لا يتركك حتى تعطيه قرشا أو نصف قرش"

فلما سمع الفلاتى هذا الكلام ، صرخ وقال للناس ما يعمل كربى، فلما سمعوا ذلك، أدركوا أنه يسخر من وليهم، فانهالوا عليه ضربا كأنهم يريدون القضاء عليه، فأخذ يصرخ ويقول " تبت إلى الله، واتبعتكم، إذا كنتم تحبون الله ارحمونى " ، ولكن دون جدوى حتى جاء بعض الناس لنجدته بالعصى.

عندما رأى أنجو وأمشى ذلك عجزا عما يفعلانه ، وليس لديهما فرصة ليخرجا لمساعدته فيضمانه إليهما ، وأن يفعلا ما يهلكهما أفضل من أن يفرا ويتركا ما يجلب لهما العار ، فأسرع أمشى إلى إمام المدينة وحاكمها وأخذ يبكى بكاء كاذبا ، ويقول " نصرك الله ، انقذنى ، إنهم هناك يضربون لصا ، سرق منى الآن من جيبى خمسة جنيهات جئت بها لأشترى أبقاراً " .

عندما سمع الإمام ذلك قال " أين المؤذن ، اذهب وفرق هؤلاء الناس ، وأحضر لى باللص " ، وأسرع المؤذن إلى هناك ، فلما رآه الناس تفرقوا وجاء بكربى .

فلما سمع الفولانيون أن كربى لص ، أدركوا أنه لا فائدة من الضرب ، وأن المؤذن فرقهم ، فاتبعه بعض الناس ، وقال أحدهم أنه سرق منه جنيهين أمس ، وقال آخر سرق منى عشرة شلنات ، وأخذوا يذكرون الأكاذيب بقصد إيجاد السبب لسجن كربى .

عندما سمع الإمام ذلك وجه الكلام قائلا "هل سمعت هذا الكلام" ، قال "إن هذا لم يحدث إنه لم يسرق أبدا " عندما رأى المؤذن والإمام أنه مصر على قوله أنه لم يسرق

متاع أحـد ، فأخذوا يحرضون الإمام ، فـأمر بعض الشباب باستجـوابه ، وقديما قالوا لا يوجد حـاكم سيىء إلا إذا ســاءت حاشيـته ، وافق الإمام على اقـتراحـهم ، وأمر بعض الشباب باستجوابه ، فأشبعوه ضربا حتى أخذ يصرخ ويتأوه .

فلما أدرك أمشى أن حيلته لم تثمر وأنه كما يقولون خرج من حفرة وقع فى منحدر ، وأن الأمور قـد تأزمت وضاقت الدنيـا فى نظره ، وليس هناك ما يؤكـد أنه كان يكذب ، طلب الإمام أن يعاقب حتى يقضى عليه ، وأنه لو تركه سيأمر الإمام بسجنه .

ومن ناحيه أخرى وقع انجو فى حيرة شـفقه عليه ، فخطرت على فكره حيلة ، وهى أن يذهب مسرعاً إلى بيت حاكم المدينة وهو يمسح دموعا كاذبة ، لأنه سبق أن جاء وحضر جنازه جائرو ، فحياه ، وقال " نصـرك الله ، هناك لص اسمه كربى ، قابلنى أول أمس فى الغابة وأنا قادم إلى هذه المدينة مع أخى الأصغـر ، فقتل أخى وسلب المتاع الذى جئنا به لبيعـه فى المدينة ، وهرب ، فاتبعته ، فلما وصلت اليـوم ، وجدته يسرق ، وهو الآن فى ممر منزل الإمام يحاكم بهذه التهمة" .

فلما سمـع الحاكم ذلك ، أرسل فى الحال شخـصا إلى منزل الإمام ليخـبره بكل ما فعل كربى ، فتـعجب الإمام ، فأمر الشرطة أن يذهبـوا ويحضروه ، هو و المدعين الذين سرق منهم المال بما فيهم أمشى ، فحضر الجميع واتبعوه إلى منزل الحاكم .

عندما وصلوا ، لـم يلتفت الحاكم إلى أصـحاب الدعوى الذيـن سرق منهم المال ، والتفت إلى انجو ، وطلب أن يذكر مرة أخرى مـا حدث بينه وبين كربى ، فأصلح جلسته وكرر ما سبق أن قاله للحاكم الأول .

فلما سمع الناس الذين اتبـعوه ذلك قالوا " أصلحك الله ، ولا شك أن هذا هو داؤ تاجـر الليل " ، قال آخـر " إذا كـان هو داؤ ، رفع الله قدرك ، فـهـو الذى قتل أخـتى الصـغرى " ، وأخـذ كل منهم يتذكـر الأشيـاء التى حـدثت له ، والذين سبق أن قـتلهم اللصوص من إخـوتهم ، حتى يجـدوا العذر لقـتل كربى ، حتى أن بعـضهم أخـذ يذكر التلف الذى أحدثه اللصوص أثناء حركة الجهـاد، كما سمعوا من آبائهم ، كل هذه التهم نسبوها لكربى .

عندمـا سمع هذا الحـاكم ذلك قال " لقـد سمـعت كل ما ذكـرتموه كلكم ، ولكن الأفضل الآن أن يذكر كل واحد على حدة ، لنـعرف الأشياء التى سرقت منه ، والأرواح

التى أهلكها ، كل هذا سنسمعه ، ويقوم الكاتب بحصرهم جميعا ، ثم نقوم ببحث هذه الحالات ونرى ما فيها، ونترك الذين شكواهم بسبب المال ، والذين يطلبون دية إخوتهم نبعث بهم إلى الأمير فى المدينة ، ويرتاح الجميع ، هل الذى قتل نفسا يجد جزاء سوى القتل ؟، ونظر إلى انجو وأمشى وقال " أنتما اللذان بدأتما بدأتم برفع الشكوى ، ابدآ احسبا لى الاشياء التى سلبها منكم عندما قتل أخوكم ، ثم نعود إلى أبناء المدينة .

سكتوا ، ولم يجدوا ما يقولانه ليخلصا أخاهم ، وها هو انجو نجا من جحر عقرب ليقع فى جحر ثعبان ، فأخذ انجو يعد الأشياء ويقول " أصلحك الله ، عندما قطع على الطريق، أنا وأخى ، بعد أن قتله كما ذكرت لكم ، سرق منى حقيبة كانت فى جيبى ، وأقسم لك بالعهد الذى بين الشريد واللبن ، فيها مائة قرش ، وخمس وعشرون علبة سجائر وخمسون قميصاً ، وتسعة سراويل وقبعه واحدة لطربوش العمة ، هذا كل ما سرقه منى ، وقانا الله شر الدجاج. "

عندما سمع الحاكم هذا الكلام الذى لا معنى له ، نظر إلى انجو وقال " كل هذه الأشياء كانت فى جيبك ؟"

قال انجو " كانت فى جيبى الصغير ، يلعب الإنسان حيث لا يضره اللعب" ، نظر الحاكم إلى الكاتب وقال " نعم ، كتبت كل هذا ، نصرك الله "، التفت الحاكم إلى أمشى وقال " وأنت ماذا سرق من جيبك ؟" ، قال أمشى " وقاك الله من شر الطعام، كان فى جيبى حقيبه صغيرة ، ومائه شلن وملابس وجبة ، وفأر وكلب وخمس قطط ، وباخرة ، ومدرسة ابتدائى ، وثلاثة تلاميذ ، ومكتب ، وطلحة ماشى ، وإذا سألتهم سيقولون لك أن كل ما قلته حقيقة "

وأجاب انجو قائلا " حفظك الله من شر أكل الفول بدون ماء ، وسرق منى حقيبتين، واحده تعودت أن أضعها فى جيب قميصى الكبير ، كل أهل المدينة يعرفوننى به، ليس فيه متاع كثير ، إلا بعض الكتب ، وبعض الجنود يتحاربون فيه ، وبعض الوحوش ، وقوس قزح، وغبيط حصى ، وزجاجة ياسمين ، وجبلا دلا وجورو ، ونهر كوارا ، ومكتب للتأليف ، والموظف الكبير بالمكتب ، الذى أعطانى ألف سكين لأقطع أذن الذى يكذبنى فيما أقول . "

تعجب الحاكم وكل رجاله ، وبعد أن تحير الحاكم ، نظر إلى انجو وقال " من أى نوع هؤلاء الناس ؟ ، أنتم عاقلون أم مجانين ؟"

فهب الثلاثة مرة واحدة ، وأمسكوا طبول المهـرجين الصغيرة وأخذوا يطبلون وكربى ينشد والآخران يرددان الإنشاد .

ثم هبوا وانحنوا جميعا مرة واحـدة وهم يصرخون قائلين "يا إلهى ، مرض الجوع ، أصابنا بالجـوع ، ولا علاج لنا إلا شـيئاً مكوراً ، الذى يبـاع فى السوق ، يسـمى الفول الصغير، يا حاكم البلد أنقذنا ، حتى لا نموت على بابك" .

عندما سمع الحاكم ورجاله ذلك انفـجروا فى الضحك ، وأمسك كل منهم صدره وهم يقولون " لعنهم الله ، إنهم كلهم مـهرجون ، أتعبنا أنفـسنا معهم عبثـا "، وأمر الحاكم أن يحضـروا لهم ثريدا ليشـربوه ، وسألهم ، فقـصوا عليه كـيف حدث هذا الأمـر كله، حتى ضرب أهل المدينة كربى ، فأحضر مالا وقدمه إليهم ، وسمح لهم بالإنصراف.

وهم على وشك الإنصراف قـال كربى للناس " ادعوا لحـاكم مدينتا ، بالسـعادة ثم ننصرف " ثم أخذ يدعو أدعـيتهم ويقول " اللهم احفظنا من شر النـساء ، اللائى يسبقن أزواجهن إلى اللحم ، اللهم لا تجمـعنا مع الرجل الذى لا يخجل من لعق الإناء ، اللهم نجنا من سماع ورؤية الأمر السيىء ، السماع السـيىء أن تجلس فى المر وتسمعهم يقولون أن الدجاجه أراقت ثريدك ، والرؤية السيئـة أن يوضع لك الثريد ويقلب فينكسر الإناء ، اللهم اجعلنا نموت ونحن أحيـاء ، الذى يأكل كثيرا فى الفرح حتى يكـون الاكل سببا فى وفـاته ، هذا الذى يموت وهو حى ، ولكـن الذى يقـتله الجـوع ، وهو الذى يموت وهو ميت، اللهم احفظنا من أمثال هذا الموت ، الفاتحة آمين .

أخذ الناس يصفقون من شدة السرور ، وأخذ أمير سـيركا خمسين جنيها وقدمها إلى الوزير البـبـغاء لروعة وجـمال هذه القصـة التى قدمهـا ، وكان كلما نظر إليـه تذكر هذه القصة، فينفجر ضاحكا هو وحده .

وبعد ذلك نظر الأميـر عبد الرحمن إلى حاذق وقال " وأنت أيضـا قدم لنا ما عندك لنستمتع. "

أصلح حاذق مـن صوته وبدأ يقول " قـصة أمـير فارس والرجل الهنـدى "، ابتسم الببغاء الوزير وقال " الهندى صاحب الحصان الخشبى ؟"

قال حاذق " هل علمت أننى لا أحب أن يبدأ الإنسان فى تقديم قصته وأقاطعه ، إذا كنت تعرفها هل باقى الناس الجالسين هنا يعرفونها ؟"

قال الأمير عبد الرحمن " نعم ، صدقت "

قال الببغاء الوزير " وهو كذلك ، كل القصص التى يقدمها أعرفها ، وما يمنعنى من الكلام هو ذلك " .

لم يقل حاذق شيئا ، وهم بالاستمرار فى قصته فقال الوزير الببغاء " انتظر ، أسمع صوتا كأنه سيارة أمير سيركا "، فسكت الجميع وأخذوا ينصتون ، فلم يسمع أحد أى صوت.

فقال الأمير عبد الرحمن " استمر يا حاذق ، لقد سمع الوزير صوت الهواء ، أنت تعرف أنه بدأ يشيخ "

قال الوزير " الآن ألا تسمعون صوت السيارة ؟، إن هذا الصوت ليس صوت الهواء، انتظروا واسمعوا ، فأنصتوا ، ، وبعد قليل سمعوا الصوت ، قال الوزير " ويحكم ، لقد قلت لكم "

وبعد قليل وصلت ، ونزل السائق ودخل وحياهم وقال الأمير سيركا ، " نصرك الله، اقسم بعمامتك ، أمر هذا الأمير صادق ، بمجرد وصولى إلى المنزل وبعد غروب الشمس جمعت أشخاصاً ضخاماً ، وجعلنا سندا ابن رئيس الحرس أمامهم ، وأخذ يتجول ونحن نسير خلفه كالمعتوهين ، أحيانا يسير فى الطريق ونحن نتبعه ، وأحيانا أخرى يرى أطفالاً يلعبون فيقف يتفرج عليهم ونحن نتبعه ، وأخذنا نسير خلفه كل الوقت من العصر حتى قرب غروب الشمس ، حتى وصلنا إلى حى مارينا ، وعند باب أحد المنازل توقف، وأخذ يبكى كثيرا يريد أن يحمله أحد لأنه تعب ، عند ذلك أمرت أن يحاصروا المنزل ، ودخله بعض الجنود ، وظللنا نحن بالخارج ، فسمعنا من يقول بالداخل " هل أحضرتم لنا النجدة" ، فدخل بعض رجالنا ، لا ختصر لك الخبر ، أخذنا اثنى عشر رجلا ضخما من هذا المنزل مجتمعين يلعبون الميسر ، كانوا اثنى عشر رجلا ، عندما رأى أحدهم أننا أحطنا بهم تسلل ، واتجه نحو دورة المياه وتسلق وسقط ، فقبض عليه أفراد الشرطة المحيطون بالدار فأخدوهم وربطوهم والآن الإثنا عشر هناك فى السجن ، والمال الذى وجدناه فى حقيبة الأمير ، أحصيناه مائه وسبعة وخمسين ، كانوا قد صبوه فى بئر قديمة وغمروه بالتراب ، وسألناهم عما أخذوه ، قالوا أنهم لم يأخذوا سوى اثنى عشر شلنا .

قال الأمير عبد الرحمن " الحمد لله ، هؤلاء الناس من بلدنا ؟"

رد الوزير الببغاء قائلا " لا ، لقد بعث بهم الأمير سَرَىْ ليفعلوا ذلك ، نظر الناس إلى الوزير ، وقال سائق السيارة " صدقت والله ، عندما أمر الوكيل بضربهم قالوا لنا ذلك "

نظر الناس إلى الببغاء الوزير ، وصفقوا جميعا وقالوا " يحيا وزير الوزراء " ، أخذ أمير سيركا الوزير الببغاء ، ووضعه على رجله ، وعجز عما يقوله من فرط السرور والتعجب .

نظر الأمير عبد الرحمن إلى أمير سيركا ، وقال " هل رأيت ما يفعله وزيرنا ؟، هذا قليل من أموره ، عليك أن تستعد الآن للعودة إلى بلدك ، حتى يعرفوا ما يفعلونه مع هؤلاء حتى تهدأ النفوس"

قال أمير سيركا " النفس هدأت منذ قبضوا عليهم ، ورأوا المال ،اُترك حاذق لينتهى من قصته التى بدأها ، ثم نبحث بعد ذلك ما نحن فيه"

قال الأمير عبد الرحمن " وهو كذلك ، يا حاذق ، استمر فى قصة أمير فارس التى بدأتها "

قال حاذق " وهو كذلك "

قصة أمير فارس والرجل الهندى

ذات يوم خرج أمير فارس للنزهة فى حديقته ، فجاء إليه رجل هندى وهو يحمل حصانا من الخشب صنعه بيده ، وانحنى وحياه ، فقال الجنود " الأمير يحييك "

قال الهندى " أطال الله حياتك ، جئت إليك من الهند وأحضرت إليك هذا الحصان لتشتريه . "

قال الأمير " لقد أتعبت نفسك بهذا المتاع عبثا ، وأنا لا أريده ، لأن النجارين فى بلدى يستطيعون أن يصنعوا لى أحسن من هذا الحصان ، إذا احتجت إليه ، وطالما أنك أتعبت نفسك، انتظر حتى نعود إلى المنزل لأعطيك ثمنه "

ركع الرجل الهندى مرة أخرى وقال " رفع الله مقامك ، شبيه الشىء ليس هو الشىء نفسه ، صدقت فيما قلت ، نجارو هذا البلد يستطيعون صنع أفضل من هذا الحصان الخشبى فى الشكل ، ولكن مع ذلك ، يسمح لى الأمير أن أقول أن هذا الحصان مسحور ، الآن إذا ركبته ، كل بلد أريد أن أذهب إليها يحملنى ، ويطير مثل الطائر ويذهب بى إليها . "

نظر الأمير إلى الوزير وقال " عند سماع ما يمكن ، يمكن تصديقه ،أيها الوزير هل يدخل هذا فى رأسك ، هذا الأمر الذى قاله" .

قال الوزير " فى بداية الأمر نصرك الله ، أما طالما الأمر كذلك ، ليجرب لنرى ، نظر الأمير للهندى وقال " بسم الله نبدأ" ، فركب الهندى الحصان ، وبمجرد أن لمس شيئا، إذ به يطير ، مثل الطائرة ، ولكن لا يضايق الناس بالصوت وعندما تعب من التجول هبط .

قال الأمير " نعم ، إن ما قلت ليس خيالا ، ولكن بكم سوف تبيعه لى؟"

قال الهندى " رفع الله قدرك ، إذا كنت تريده حقيقه ، لن أبيعه من أجل المال ، مهما كان الثمن . "

قال الأمير " طالما ان الأمر كـذلك ، وأنه ليس للبيع لماذا أتعبت نفسك وقطعت هذه المسافات الطويله . "

قال الهندى " إنه للبـيع ، لم أحضره لك من قبل للبيع ، لو أنـنى لا أريد بيعه هل كنت أحضره لك ؟ ولكن ليس بالمال ، إذا كنت تريده زوجنى ابنتك بدلا منه . "

نهر ابن الأمـير الهندى ، وقال " اليوم أرى رجـلا عابثا ، هل يزوجك ابنة الأمـير بهذه الخشبة ؟ " .

قال الهنـدى " يادؤد ، أنت لا تعرف جمـال هذا الحصـان، اركبه وجـربه إذا كنت تريده "

قال ابن الأمـير " وهو كذلك " ، والأمـير ينظر إليـه ، كأن فمـه قد أغلق ، ركب الغلام الحصـان ، ولمس المفتاح الذى جعله يطير ، فطار الحـصان به ، وظلوا ينظرون إليه حتى اختفى ، وبعـد قليل فكر ابن الأمير فى العودة ، فلمس مفتاحـا ، فرأى أن الحصان يرتفع إلى أعلى وبسرعة شديدة ، فخاف ، ولمس مفـتاحا آخر ، فطار الحصان كالريح ، فقال ابن الأمير " لاحول ولا قوة إلا بالله" ، فقد نسى أن يسأل الهندى عن المفتاح الذى إذا لمسه يهـبط الحصان ، وأخذ الحـصان يطير وابن الأمـير يجرب كل المفاتيح المخـتلفة ، حتى وفقه الله ، فرأى الحصان يخفف من سرعتـه ، ويهبط شيئا فشيئا ، فشكر الله الذى نجاه .

هاهو الآن فى الليل ، ولم يعرف أين سيهبط ، هل فى بحر أو فى غابة أو أشواك ، ومع ذلك لم يهتم بهـذا الأمر ، لم يكن له أى أمل سـوى أن يهبط على الأرض ، وأثناء الهبـوط شعـر أنه هبط فوق شيء مثل سـقف المنزل، فلم يكن هذا خيـالا ، ولكنه هبط فوق سـقف منزل أمـير البنغـول ، وبحث عن مكان ينزل منه فلم يجـد ، فنام فى نفس المكان .

عندما طلع النهار ، رأى الأمير شخصا فوق سقف منزله ، وليس وهما فى المنزل ، ظن الأمير أنه مجنون ، فـرأى أنه حتى لو كان مجنونا لا يوجد مكان ليصـعد منه ، فأمر الخدم يسألونه من هو ، فـسألوه ، فقال لهم انتظروا حتى أنزل ، فـركب حصانه ، وطار كالطائر حتى هبط على الأرض ، فـقد عرف ماذا يفعل ليطير وماذا يفـعل ليهبط ، طلب أولا الطعام ، فقدم له فـأكل ، ثم قص كل قصته للأمير ، فـتعجب ، ومكث فى المدينة

حوالى سبعة أيام ، فقالت ابنة الأمير أنـها لن تتزوج أحدا عدا ابن هذا الأمير ، وأقسمت • أنه إذا رفـضوا أن يزوجـوها له فلن تتزوج أحـدا غيـره أبدا ، هذه هى قصـة ابن الأمـير ' والحصان الخشبى .

أما أمير فارس ، فلما رأى ابنه ذهب ولم يعد ، أمر بسجن الهندى ، فذهبوا به إلى السجن ، وأخذ يعانى المشاكل .

قال الأميـر ' إذا لم يعد ابنى بعد شهـر واحد ، سآمر بقـتلك ، إذا تتبعت حقـيقه الأمر ، تجد أنهم اجتمعوا بك لتأتى لتفرق بينى وبين ابنى . '

وعلى هذه الحال ، بعد حوالى سبعة أيام - كـما قلت لكم - صممت الفتاة على أن تتزوجه ، فقال لها الأمير ' وهو كذلك ، أوافق ، ولكن بعد أن أمر كبار الخدم أن يتبعوه ويروا ما إذا كان صـادقا ، وأنه ابن أمير فارس ، ثم يعودون ويتـشاورون معى ومع والده ليتم الزواج .

نادى خادما آخر ، وطلب منه أن يراقب كل أحـوال هذا الأمير ، ويذهب بسيف ، فـإذا رأى أنه يكذب ، وأنه يحـبهـا فـقط ، يسـرق زهيرة ، ويقـتله ويعـود له بابنتـه ، ويستأذنون من الأمير ، ويركبون الحصان الخشبى ، لمس ابن الأمير المفتاح ، والخادم يراقبه ، فبـدأ الحصان يـطير ، وظل بهم حتى انـتصف النهار ، وشـاء الله أن يصلوا إلى بلاد فارس ، وقـصد ابن الأميـر الحديقة التى ركب مـنها ، ونزل فيـها ، وفرش لابنة الأمـير سجادة فى حجرة فى هذه الحديقة ، فجلست فوقها ، وقال لهم أنه سيذهب ليخبر الأمير ويحضر الناس ليأتوا لاستقبالها فى موكب .

لقد كان فى هذه الحديقة بعض الحـراس يعملون ، وكان فيهم هذا الهندى ، يراقب ما يفعله ابن الأمير ، أما الباقون فـقد كانوا وسط الأشجار ، ولم يعرفوا أنه وصل ، فلما رأى الهندى أنه مـضى ، تسلل وابتـعد عـن الجنود ، وهم هناك غـافلون ، لا يشعـرون بشىء ، فوجد قمـيصا أبيض لأحد الجنود ، فسرقـة وارتداه ، وجاء حيث تجلس زهيرة ، تنتظر أن يأتوا ليذهبوا بها . فركع وقال ' نصرك الله ' والخادم واقف عند رأسها بالسيف لم يسمح لشىء حتى الذبابة أن تمسها وقال ' ابنه أمير الدنيا تحييك '

قال الهندى ' قالوا - إذا سمحت - أن آتى لأدخل بك المدينة ' .

قال هذا الخادم ' هل عجزوا أن يجدوا فى كل هذه المدينة رجلاً طيباً يرسلونه ليذهب

بهـا، إلا أنت الصغـير بدون سـروال ولا قبـعة ؟، أهكذا تكـون مملكتكم التى تقصـون أخبارها؟، لعن الله أمثال هذه المملكة"

قال الهندى "الناس هناك يملأون بوابة القصر، حيث ستنزلين ، أما أنا فمجرد خادم، مـا شأنى بالزينة، أنـهم يعشـونى ، لأنى أنا فـقط الذى يعرف كـيف يقـود هذا الحصـان الخشبى، وقال الأمير ، أن آتى لآخذك فوقه لأنه أجمل من الجمل فى الركوب وأسرع".

امتـعض الخادم بشفـتيه ، وقـامت زهيرة وركبـت فوقه، وقـبل أن يلف هذا الخادم السجادة التى كانت تجـلس عليها، ليأتى ويركب معهم، فرأى الحـصان يرتفع فى الهواء، ويطيـر ، فقـال الخادم "لا حـول ولا قوة إلا بالله" ، وتحـير وقـال "لعنه الله على هذا الاختـيار وما كلفنى به الأمـير، ها هو قد خدعنى ، وأنـا الآن سأعود إلى بنجول فـماذا أقول للأمـير؟ أنى أعـرف أنه مهمـا قلت له لا يوجد مـا يمنعه من قتـلى"، وأخذ يرمى الحصان بالحجـارة دون فائدة ، ويصرخ كالمجنون ، وإذا بالناس يتجمعـون قادمين ليأخذوا العروس.

فلمـا رأوا ما حـدث ، عـادوا ، وكان أحـبـاء الأميـر فى غـاية الحزن ، وأعـداؤه يضحكون، وأمر الأمير بحبس هؤلاء الجنود، الذين كان غباؤهم سبباً فى هروب الهندى، قال ابن الأمير وهذا العـبد سيجدونها حيثـما ذهبت فى أى مكان فى هذه الدنيا، حتى لو ماتوا فى سبيل هذا المطلب واستعدوا وذهبوا ، رأينا بذلك نهاية هؤلاء.

أمـا الرجل الهندى فقـد أطلق للحـصان العنان ، وأخـذ يطيـر ويطير ، يتـرك هذه المدينة، ويعـبر هذا النهـر، ويتجاوز ذلك الجـبل منذ الصبـاح حتى العـصر ، فلمـا حان العصـر، وصل إلى مدينة كمشـير ، فهبـط خارج المدينة ، ودخل واشترى لهم طعـاماً ، وزهـيرة جالسه فـوق الحصان،

وإذا بحوالى عشرين فارساً يخـرجون للنزهة ، فلما رأتهم قالت "يا عباد الله ، من أجل الله ومن أجل النبى ساعدونى ، الرجل الذى جـاء بى إلى هنا سرقنى، وأنا ابنه أمير بنغول".

ومن حسن حظها ، أن أصحاب هذه الخيل أمير وحـاشيته ، خرجوا للنزهة فلما سمع ذلك، قال لها "تغاضى" ، ونزل هو أيضـا وجلس، وبعد قليل عاد الهندى ، ببعض اللحم المجفف والكعك والثريد، فلما وصل قال له الأمير "أين التقيت بهذه الفتاة؟"

قال الهندى "أين التقيت بها؟، رجل وزوجته أيسأل رجل مثل هذا السؤال؟ ".

قالت زهيرة "والله ليس هو زوجى ، لقد سرقنى"، وقصت كل قصتها ، فرأوا الرجل الهندى يقفز ليركب الحصان، فقالت زهيرة "سيطير" سيطير ، ساعدونى" .

نظر الأمير إلى الجنود وقال "اقبضوا عليه" ، وقبل أن يصل إلى الحصان ويركب عليه، إذ برأسه على الأرض ، وأسنانه تعض الأرض، فأمر الأمير أن يذهبوا بزهيرة إلى قصره، وأن يحملوا الحصان الخشبى على رأسهم، ويذهبوا به إلى المدينة، ولم يعرف أحد فائدته ، ووضعوه فى المخزن وأغلقوا عليه.

وبعد قليل أمر أن يعلن على الناس أنه سيتزوج زهيرة ابنه أمير البنغول، فلما سمعت الفتاة ذلك أخذت تبكى ، وتقول فى نفسها ، "لقد كنت أظن أن امير كشمير رجل طيب سيعيدنى إلى بلدى ، ولكن اتضح غير ذلك، والآن لو قلت له أننى لا أحبه ، لابد أنه سيقتلنى، والأفضل أن أقول له أننى موافقة ، ولكنى مريضة الآن، فيؤجل الفرح حتى أشفى"، لذلك استدعت الأمير وقالت له أنها تشعر كأنها مريضة ـ تشفى اليوم أو غدا الله أعلم ، ولكن المرض يزداد يوما بعد يوم . فبعث الأمير فى كل المدن ليبحث لها عن علاج ، فذهبوا وأحضروا بعض جذور النباتات وأوراق الأشجار ونبات اللبلاب ، ولكن دون فائدة ، هذه هى أخبار هؤلاء.

أما ابن أمير فارس ، فقد ذهب رجاله يسألون عن الأخبار ، ولكن لم يصلوا إلى شيئ، وذات يوم سمعوا بعض التجار يقولون "الشهر الماضى أحضروا حصاناً خشبياً إلى كشمير ولكنه عجيب ، وكانت تركبه ابنة أمير."

فاقترب منهم الأمير وقال "أين رأيتموهم ، هل هم من الجن؟"

قال أحد التجار" كيف من الجن ؟، إنها ابنه أمير البنغول سرقها رجل هندى ساحر، وأخذها فوق الحصان ، والحصان يطير مثل الطائر".

قال ابن الأمير "ليس حصاناً من الخشب، بل قل حصان من الجن ، وهو كذلك ، أين الهندى؟"

قال التاجر "منذ وصلوا لمر الأمير بقتله ، وسيتزوج ابنة الأمير ولكنها مريضة وعندما تشفى سيتم الزواج."

قال ابن الأمير "ما اسم ابنة الأمير؟"

قال التاجر "لقد جمعنى الله اليوم برجل كثير التساؤل، إنك كثير الإلحاح إذا كنت تريد أن تكذبنى ، اذهب فإننى أكذب عليك".

فلما سمع ابن الأمير والخدم ذلك ، فرحوا جداً، ودخل الاستراحة ثم قصدوا كشمير ، وبمرور الأيام وصلوا إليها ، فبحث ابن الأمير عن سلة وملأها بأوراق الشجر واللبلاب وجذور النباتات ، وأعطاها للخادم ليحملها ووصلوا إلى الأمير ، وبعد أن أدوا التحية ، قال أنه كاهن ، وسمع خبرا بأنك تبحث عن الأطباء، لذلك حضر.

قال الأمير "إننا نبحث عن أمثالكم"، وأمر أن يأخذوه حيث زهيرة تدعى المرض ، فلما رأته كادت تقول له كيف وصلت من شدة الدهشة والسرور، ولكنها أخفت ذلك حتى لا يُعرف أمرها، طلب ابن الأمير بعض الجذور وقدمها إليها لتشربها ، ثم هبت قائمة ووقفت، فذهبوا وأخبروا الأمير أن زهيرة قد شفيت ، طلب ابن الأمير بعض أوراق الشجر ، لم يعرف هو نفسه.فائدتها ، وأمر أن تتبخر بها.

عندما جاء الأمير ووجد أن زهيرة قد شفيت، كاد يعانق ابن الأمير من شدة السرور، وسأله عن المدينة التى جاء منها ، ادعى ابن الأمير كذبا أنه جاء من بلاد السودان ، وقال أنه كبير كهنة بلاد السودان ، وأن الجن طلبوا منه أن يأتى لمساعدته حتى لا تهلك فأعطوه منزلاً نزل فيه.

وعندما طلع النهار قال ابن الأمير "سيدتى التى قدمت لها العلاج ، قالت لى كيف أصابها هذا المرض، وكيف أحضرها الرجل الهندى إلى هنا ، فلما أخبرنى عرفت أن الأمر يسير، إنها بعض الأورواح ، لم تفارقها حتى الآن، ستظل تتردد عليها شهراً بعد شهر، إلا إذا عولجت مرة أخرى ، والأفضل أن آخذها هى والحصان الخشبى من هنا إلى هناك. حيث وجدهما ، وأبخرهما معا، وأبخر المكان كذلك ، وإن لم أفعل ذلك فلن ينفصل الجن عنها ، أما إذا كان من رأيك أن تترك وتصاب بالمرض شهرياً ، لابأس فأكون بذلك قد استرحت".

قال الأمير "كيف يكون ذلك؟، الأفضل أن تقوموا بكل شئ يمكن عمله للعلاج وأنتم هنا، كيف يمكن أن نتركك وتنتقل من هنا وهناك طلبا للعلاج" ، وأمر الأمير أن يحمل الحصان الخشبى إلى هناك فأتوا يحمل ليجمل زهيرة بعد أن جمعت كل متاعها

والأشياء التى تمتلكها ، ووضعتها فوق الجمل ، وأخذوها إلى المكان الفسيح الذى أعدوه.

وطلب ابن الأمير أن ينتظروا بعيدا وأمر أن يحمل الحصان الخشبى وأن يوضع على بعد حوالى عشرين ياردة من الناس ، كما أمر بإشعال النار قريباً من الحصان ، طلب من زهيرة أن تركب الحصان، فركبت وأخذ السلة التى بها العلاج وألقاها فى النار ، والناس يراقبونه ، ثم قام بسرعة وركب الحصان ، وأردف خلفه الخادم، ولمس مفتاح الطيران ، فطار الحصان.

نظر الأمير إلى رجاله ، وزجرهم وقال "لا تجعلوه يفر" ، فأخذ الناس الحجارة واخذوا يقذفونها عليه، فلم تصل إليهم ولا قريبا منهم؟، فالمتخلف ازداد تخلفا والبعيد ازداد بعدا . . . . . .

فقاطعه الوزير الببغاء قائلاً "إلى أين؟ القصة انتهت"

قال حاذق "هكذا سمعت، لم تنته بعد ، سأبين كيف تم الزواج" .

قال الناس "حقا حاذق ، كيف تقول ان القصة انتهت هكذا " .

قال الوزير الببغاء لحاذق "إنك تقدم قصصا فقط وليس تاريخاً، فماذا يضايقنا من قول ما يجب أن يحدث ؟، الناس لا يعرفون أين يجب أن تنتهى القصة فيسردونها ، ويقفون حيث يشتهى الناس استكمالها لسماع قصة لذيذة ، النهاية سخيفة ، والآن إذا زدت كلمة واحدة مكان هذا الخبر أفسدت جماله" .

قال القضاة "هل تقصد أن النهاية التى يختم بها هنا ، هى التى تظن أنها ستجعل القصة جميلة؟"

قال الوزير الببغاء "نعم ، إذا ترك هذه القصة حيث قلت أن يقف ، إذا نظرت إلى قصة ألتى والجنى ، كل ما فى القصص التى قدمها لا يوجد واحدة تفوق هذه جمالاً" .

امتعض هؤلاء القضاة ، وقالوا "لقد أوقفته دون فائدة . طالما أننا نسمع قصصا حتى لو كانت مثل قصة العنكبوت وقوقى لن نسمع شيئا مثل هذه أبدا، وإذا ترك هنا ، فهى ليست جميلة "، وتفرق الناس وهم يضحكون.

عندما تفرق الناس أخذ أمير سيركا الببغاء الوزير وعانقه ، وطلب منه المغفرة على ما سبق أن أظهر من احتقار له فى بداية الأمر ، انحنى الوزير الببغاء وقال هو الآخر يغفر

له، ونظر أميـر سيركـا مرة أخرى إلى البـبغاء واجـماً ونظر للأميـر عبد الرحـمن وقال "وزيرك هذا ، لو لم يكن لك ابن ومت عين مكانك ، وكل من يعـارضه يجب أن يقتل ثم نظر مـرة أخرى إلى الوزير الببـغاء وقـال "وهو كذلك، والآن ماذا ترى أن نـفعل مع هؤلاء اللصوص".

قال الوزير " يجـب أن تتركهم هنا فى السـجن ، ثم تعود ، وتفـعل معـهم ما تراه مناسبا".

قال أمير سيركا "وما العمل مع الولد الطويل، الذى يتكلمون عنه؟"

قـال الوزير "أى كلام؟، ألم تطرده هو الآخـر ؟ وهو كـذلك ، إذا عاد سـائق هذه السيارة، يؤتى بالولد الطويل مقيدا، ليـعرف ما فى الأمر والذى جعلنى أقول لك لا تأمن له" ، وأذن للسائق بالعودة.

وعاد كل أمير إلى منـزله ، وتعجب أهل سيركا من أمر البـبغاء الوزير ، وكان أهل بلد الأمير عبد الـرحمن إذا سمعوا الثناء على الوزير الببغاء يقـولون "ويحكم ماذا تعرفون من أمـر هذا الوزير؟، نحن نعـرف أنه إذا كان من أجل المشـورة يعين الوزير وليس ليـؤم الناس فى الصلاة ، كل ما نقول عن وزيرنا ، لا يعـيرنا أحد به ، لأن كل هذه الحدود لا نشك فى تجربـتها ، عند سـماع القصـص تعرف أنه ليس بجاهل" ، وأخـذ أهل سيـركا يقولون "كل ما ترونه مناسبا قولوه ، أخبار وزيركم هنا أرتنا العجب صراحة."

وبعد أن طلع الفجـر تجمعوا مرة أخرى عند بوابة الأمـير عبد الرحمن ، فقـال أمير سيركا للوزير "إن عدم المعرفة هو الذى جعلنا نقول أننا سنأتى للمحاورة ، أما الآن فنحن قد اعتـرفنا ، والآن نجعل القصص لمجـرد التسلية ، إذا قدمت قـصة ، يقدم حاذق قـصة وبعد ثلاثة أو أربعة أيام نرحل".

قال الوزير "وهو كذلك، الحـمد لله" ، ونظر إلى حاذق وقال "هيا ابدأ كـما تعودنا أن نفعل".

قال حاذق "وهو كذلك وبدأ".

قصة الشبان الثلاثة

ذات يوم كان ثلاثة شبان يتجولون، فتقابلوا مع قافلة للحجاج متجهة إلى مكة، وكان كل من هؤلاء الشبان يحمل شيئاً في يده، لذلك عندما رأوا هذه القافلة أعجبهم الأمر، فعرضوا على قائد القافلة أن يحملهم معه إذا وافق ليذهبوا إلى مكة.

قال قائد القافلة "ماذا يمنع، أمثالكم الذين ينوون هذه النية كثيرون، إذا كان لديكم الزاد الكافي نذهب"، عاد الشبان إلى منازلهم، واستعدوا. وبعد يومين تقابلوا، وودعوا أهلهم، والتحقوا بالقافلة، وساروا معها.

ومرت الأيام حتى توغلوا في الصحراء، فجمع القائد الناس وقال لهم " لايحاول أحد منكم أن ينفصل عن القافلة طالما أننا وصلنا إلى هنا، ومن يخطئ ويتخلف ولو قليلاً، لا بد سيهلك".

قال الناس "وهو كذلك ربنا يسهل"، وواصلوا السير، وذات يوم تعب هؤلاء الشبان الثلاثة الذين التحقوا بالقافلة في الأيام الأخيرة، فتوقفوا وحدهم وجلسوا ليستريحوا قليلا، ثم يسرعوا ويلحقوا القافلة، وما كادوا يجلسون حتى غلبهم النعاس، وسيطر عليهم النوم. وبعد قليل استيقظوا، فلم يروا القافلة ولا أثرها، فنظروا لعلهم يعرفون الطريق الذي يسلكونه، إلا أن الرياح جعلت الرمال تخفي معالمه، فقالوا لا حول ولا قوة إلا بالله، وتوجهوا إلى الجهة التي سلكتها القافلة، وأخذوا يسيرون، وبعد قليل رأوا من بعيد شيئا يتحرك، فظنوا أنه حيوان مفترس، فاتجهوا إليه فلما اقتربوا منه وجدوه رجلا يركب جملاً، فلما التقوا به وجدوه يسحب سيفا، فتملكهم الخوف، فانحنوا وقالوا له "صباح الخير يا سيدي"، فلم يرد عليهم، ثم توجه إلى رأس اثنين منهما وقطعهما بالسيف، ونزل ووضع السيف في غمده، وتوجه إلى جيوب هذين الشابين وسلب نقودهما.

عندما رأى الشاب الثالث ذلك، أدرك أنه لابد هالك، فتحايل وأخذ سيفه دون أن يراه قاطع الطريق، وبادر بقطع راسه، وأسترد المال الذي سلبه منهم، وأخذ الجمل

وركبه ، واستـولى على السيف المعلق فى كتفه ، وهب الجمل واقـفاً ، وهو فوقه دون أن يعرف الطريق الذى سيسلكه ، وبعدت القافلة ، وقـد أرهقه الجوع والعطش ، فاتجه جهـة الشـــرق وقال "يا سفيان ماذا سأفعل الآن؟، ياليتنى تركته يقتلنى فأستريح" ثم فكر وقال "أنا لا أعرف الطريق، وهذا الجمل يعرف منزله فلأدعـه يسير بى إليه وليكن ما يكون" ، وأرخى الزمام للجـمل وضربه فـانطلق يعدو، ولـم يتوقف إلا فـى حى صغيـر خرج منه اللص.

عندما رأى أهل الحى جمل أخيهم وسفيان فوقه ، هجموا عليه كأنهم سيأكلونه نيئا، وهم يقولون "ها هو شخـص غريب فوق جمل فارس ، كـيف وجدت هذا الجمل؟ وأين صاحبه؟"

فقـال سفـيان "أعطونى مـاء لأشرب أولا ، ثم أخـبركم بخـبر أخيكم" ، فـدخلوا وأحضروا له ماء فـشرب ، وقدموا له تمرا فأكل وشبع ، وهو مـا زال على ظهر الجمل لم ينزل.

وعندمـا هدأت نفسـه قال "أخـوكم هناك لدى قافلتـنا حجـزناه ، لأنه هجم علينا وحده، ونحن حوالى مائة وسـتين ، كلنا تجار ، وقد عاث فينا كثـيراً ، فلما رأينا أننا لو تفرقنا سيقتلنا تجمعنا وأحطنا به جميـعاً ، وقبضنا عليه ، وحجزناه ، وقال بعضنا أن نقتله انتقاما منـه ، ولكن قائدنا أمر بأن نتركه طالما أبدى هذه الشجـاعة ، على أن يدفع دية ما قتل منا، وحـسبنا ما عليـه فوجدناه ثمانين جنيـهاً ، وقال قائـدنا إن لم يستطع دفع الدية نقتله ، فقـال إنه يستطيع ، على أن يأتى أحد إلى هنا ليأخذها ، وبحـثوا عمن يأتى إلى هنا فلم يجدوا ، خاف كل شخص أن يأتى إلى هنا فتقتلوه ، عندما لم يجدوا أحدا ليأتى إليكم لأخذها ، أخذ القائد السيف وهمّ بقطع عنقه، فأخـذتنى الشفقة ، فقلت سأضحى بنفسى وآتى ، وقلت لهم إذا مضى ثلاثة أيام ولـم أعد ، يفعلون ما يشاءون بفارس . فإذا قتلتمونى ، نتبادل القـتل ، والآن عليكم أن تفكروا فى الأفضل لكم، هل تقتلونى ويقتل فارس ، أم تعطونى الدية لأوصلها ويحرر أخوكم.

عندما سمعوا ذلك اجتمـعوا يتشاورون وقالوا "لابد أن كلام هذا الرجل صدق، لأن الكثرة تغلب الشجاعة، ولا يمكن أن نظن أن هذا الرجل الضعيف قد قتله".

فقال رجل عجوز منهم "اسألوا هذا الـشاب ، لماذا جاء بالجمل ، وأخذ السيف ولا تقولوا أنه من المحتمل أن يكون هو الذى قتل فارس".

فالتفتوا إلى سـفيان وقالوا "إذا كنت صادقا فيما تـقول ، لماذا جئت بجمله وأخذت سيفه؟، ولم تركب أى جمل آخر؟"

قال سفيان "إذا ركبت جملاً آخر غـير جمله ، مهما أقول لكم تقولون أنى كذاب، فركـبت جمله وحملـت سيفـه ليكونا لى شاهدين ، وما كنت لأعـرف الطريق لولا هذا الجمل ، فهو الذى يدلنى على الطريق ، ويكون أكبر شاهد لى على ما أقول".

فلما سمعوا ذلك وافقوا على كل ما يقوله سـفيان، وأخذوا ثمانين جنيهاً وقدموها له ، ليذهب ، ولكن هذا الرجل العـجوز قال "لا ، أيكون ذلك؟ ،لابد أن يذهب معـه تسعة أو عشرة رجال."

فقالوا "صدقت ، يا سفيان تقدمنا ، ونحن نحمل المال بأنفسنا ، لنشكر القائد على هذا المعروف الذى قدمه إلينا، بأن أشار برأى مثل هذا ، فعلينا أن نذهب ونشكره".

قال سفيان "أنا الآن فى حيرة ولا أعرف الطريق، فلابد أن يتقدم أحدكم ليدلنا على الطريق المتجه إلى مكة".

تقدم أحدهم وأخذوا يتوغلون فى الطريق ، حـيث شاء الله أن يحسن إلى سفيان ، حتى لحقوا بالقـافلة ، فقال سفيان "انتظروا هنا حتى أذهب إلى قـائد القافلة وأخبره أنكم أتيتم ، حتى لا يظن أنكم بعض المجرمين".

قالوا "صـدقت" ، وانتظروا واندفع حتى وصل إلى قائد القـافلة ، وقص له كل ما حدث منذ البداية حتى النهاية، وقفت القافلة ، وقال قائد القافلة الإخوة فارس أنهم جاءوا فلما جاءوا أمر أن يقبضوا عليهم جمـيعا ، وقال "فارس قتل منا رجلين ، إذا كنا سنتركه ، لا نرى أن النفس بالنفس ، لذلك قـتلناه ، أين المال الذى أحضـرتموه؟ آتونى به إنه دية الرجل الآخر الذى قـتله ، وعليكم أن تقسمـوا ألا تقطعوا الطريق بعد اليـوم وإلا قتلتكم واحدا واحدا".

رأى هؤلاء الرجال ألا مخرج ، فأقسموا ألا يقطعوا الطريق بعد اليوم، وقالوا "طالما أنكم قتلتم فايساً نقسم ، انتهى الأمر" فتركوهم وذهبوا.

قال سفيان "هذا الجمل أجرى لن أعطيـه لهم" واستمرت القافلة إلى مكة ، وعندما عادوا قدم لوالدى المقتتولين ثمانين جنيها دية ابنيهما ، وتعجب الجميع من ذكاء سفيان.

نظر الوزير الببغـاء إلى حاذق وضحك فقال "لعلك نسيـت اسمه وسميتـه سفيان؟، أنهم يسمونه فى النص الأصلى زفرنسو وليس سفيان" .

ابتسم الأمير عبد الرحمن وقال "أيها الوزير إذا قـال سفيان أو زفرنسو كلاهما واحد طالما صحت القصة" .

قال الوزير "نصرك الله ليس كلاهما واحداً ، لو عرفت القصة التى تقدمها ، فلا بد أن تقدمـها كما يعـرفها الناس، حتى لا يـقال أنك لم تعرفهـا جيدا، وإن لم تعرفـها ، اخترعتها كالقصص التى نقدمها ، حيئنذ كل ما تراه مناسباً ، فلا يستطيع أحد أن يجادلك فيه" .

قال أمير سيركا "والله صدقت ، وأنت أيها الوزير قص علينا واحدة لنستمتع" .

قال الوزير "الآن" وبدأ.

شكل الشخص ليس هو نفسه

في بلاد نيسُوْ كان يعيش أمير عظيم يسمى ناصرو ، كان أهل البلاد لا يرون أحداً مثله، فهو جميل الوجه ، والأسنان منسقة ويفوق الجميع في الذكاء والعقل ، وفي ساحة النزال يفوق الجميع كأنه عنترة ،وأن عنترة يعرف شجاعته.

وذات يوم استعد هو ورجاله وركب وخرجوا للصيد ، فلما وصلوا إلى الغابة رأوا غزالة ، فقال الأمير لرجاله "لا تدعوها تهرب" نحن وكلنا بها وسوف نفعل ما أمرنا به ، أطلقوا عنان الخيل وطاردوها ، الأمير في المقدمة وهم يتبعونه ، وكانت الغزالة تتسلق المرتفعات ، وتترك خلفها الغبار ، وأخيرا عجز عبيد الأمير أن يتتبعوها ، فتركوا حصان الأمير وحده يطاردها . ولكن رغم سرعة جرى هذا الحصان نجت الغزالة من المطاردة ، وبعد غروب الشمس يئس الأمير ، فتوقف وعزم على العودة، وأخذ يتعرف الطريق فعجز، وها الشمس قد غربت ، وقد تعب هو وحصانه.

فوجد شاطئ أحد الأنهار فرقد، وترك حصانه يرعى ، ونام ولم يستيقظ من النوم إلا بعد طلوع الفجر، فلما طلعت الشمس تنبه، وقام فوجد نفسه قد تحير وازداد نسيانا، ولم يعرف الشرق ولا الغرب ، فأمسك حصانه وركبه، وأخذ يتجول حتى وصل إلى جبل ، فقال في نفسه "ربما لو حاولت ، أن أصعد هذا الجبل أرى معالم المدينة" . ثم تسلق الجبل بعد أن ربط حصانه وتركه يرعى ، وأثناء تسلق الجبل أدخل رأسه فرأى كهفا واسعا، فتناول حصوة صغيرة ورماها بداخله ليعرف مداه ، دون أن يعرف ما بداخله ، فرأى شخصا يخرج منه ويحتضنه ، ويدخل به، فقد القى الحصاة في كهف ملك الجن فلما دخل به وجد الملك يجلس على كرسي ويهون له ، فنظر إليه ملك الجن وقال "من أنت؟ ومن أين جئت؟"

انحنى الأمير وقال "أنا ناصرو أمير نيسو، خرجت للصيد ظهر أمس، وتتبعت غزالا، وشاء القدر أن أنفصل عن رجالي حتى آتي إلى هنا" .

قال ملك الجن "حتى أنت يا أمير جئت هنا لترميني بالحجارة ؟، هل تتعالى بعظمتك اليوم، ستقول لهم أن النار شديدة الحرارة" .

فأخذ الأمير ناصرو يرجوه ليعفو عنه ، ويقول " أنه لم يعرف ، وأن الجهل أشد من الليل ظلمة" .

قال أحد خدم ملك الجن له "إن كنت لا تعرف ، ألا ترى ؟، أم أنت أعمى؟"

قال الأمير " لو كنت أرى ماذا يحملنى على رميكم بالحجارة؟"

قال ملك الجن "سأعفو عنك ، إذا وافقت على شيء واحد ، منذ خلقت لم أعش أبدا بين الإنس ، ففى الجن ولدت ، وبينها كبرت حتى ورثت أجدادى ، والآن ما أريده أن تعيرنى ثيابك لأرتديها ، وأعود إلى نيسو اليوم فقط لأرى أسلوب حكمكم للناس ، وأنت تقيم هنا فى منزلى حتى يطلع فجر الله ، وأعود غدا ، وماذا يجعلنى انتظر حتى الليل؟ ،عندما يحين المغرب تترانى اليوم، لأننى لا أستطيع أن أكل طعامكم . "

قال أمير نيسو "وهو كذلك" ، وخلع ملابسه كلها وقدمها لملك الجن ، وأخذ بعضها ولبسها ، وأخذ العمامة وقدمها للجنى ولفها له، ونزل وركب الحصان وقصد المدينة .

فلما دخل ملك الجن المدينة ، لم يعرف الطريق الذى يسلكه ليدخل منزل الأمير ، فأخذ يتجول فى شوارع المدينة، والناس ينحنون تحية لأميرهم، فرأى شابا فقال له "أيها الشاب سر أمامى لنذهب إلى منزلى" فسار الشاب أمامه حتى القصر.

فلما رأى الحراس الأمير قادما ، أقبلوا عليه، وامسكوا الحصان لينزل، وتبعه الجنود يقولون له "خطوات السلامة يا أمير . . أمير المسلمين" وأوصلوه إلى المجلس وجلس ، وأخذ الناس يفدون عليه يباركون وصوله، وهو يقول كلمة استحسان ولم يعرف أحدا منهم ، ولم يناد أحدا باسمه.

عندما انتهوا من استقباله ، جلس الوزير يرعى الأمير ، فرأى أن دخوله كدخول أميرهم، ولكن طبيعته وصوته كأنه ليس هو ، وحاول أن يرى وجهه فلم يستطع ، لأنه مغطى ، وهو يعرف أن صوت الأمير رفيع قليلا، واليوم يسمعه مبحوحا، لذلك لم يستطع سماعه، قال "نصرك الله، أين نمت أمس؟ ،أسمع صوتك مبحوحا ، كمن أصابه البرد" .

قال ملك الجن "ويحك ،اترك هذا الكلام ، لقد تعبت أمس، أترى عندما خرجنا للصيد أمس ، وأنتم تتبعوننى. . . "

قال الوزير "نصرك الله ، أنا لم أخرج معكم ، ألم تقل لى أن انتظر لأحرس المدينة؟"

قال الأمير "نعم ، أنت الذى تركت ليحرس المدينة، ذهبنا مع العمدة ؟"

قال الوزير "عمدة المدينة هو الذى كلفته بالذهاب إلى أمير الشمال ليساعده فى جباية الخراج أما الذى خرج معك فهو ولى العهد ورئيس الحرس".

قال الأمير "هكذا ، نادهم لنسمع منهم ماذا فعلوا بعد أن تفرقنا.

قال الوزير "ها هم أمامك"

قال الأمير "لقد ارتبكت ، لم استطع الرؤية جيدا" ، ونظر إليهم وقال "ماذا فعلتم بعد ما تفرقنا ؟، أمس اختبرنى الله بغزاله تجرى ، ورغم سرعة حصانى فقد هربت منى"

فقال خادم الأمير "عندما رأينا الغبار عجزنا فعدنا إلى المنزل ، لقد عرفنا أنك ستعود إلينا ، إلا إذا كتب عليك الموت. ولكن سمعناك تقول أنها غزالة كبيرة هل اتبعت بعد ذلك غزالة أخرى؟ ،لأن الغزالة التى وجدناها معك فى البداية ، غزالة صغيرة" .

قال الأمير "أين؟، ابنة صغيرة جعلتها تجرى، أنتم تعرفون أننى كنت فى المقدمة وأقرب منكم إليها، وكانت كبيرة ، عندما تركتها هربت منى ، وهممت بالعودة إلى المنزل، فلم أجد فرصة ، فقد أقبل الليل وصرت أنا وحصانى كالبقرة العجوز تنام هى ورضيعها، فبحثت عن ماء، وسقيت حصانى ، وكنست مكاناً ونمت ، وأخذ الحصان يرعى قليلا حتى الصباح، وعندما طلع النهار اليوم حضرت".

قال الناس "مشكلة الخراج التى حدثتك عنها أمس ، لم تقل شيئا عنها ، وخرجتم للصيد".

قال الأمير "هل انتهيت ،ودفعوا جميعا؟"

ابتسم الوزير وقال "دفعوا وانتهى الأمر؟، نصرك الله ، كل ما حددته الشهر الماضى دفع الآن؟، اليوم أنت تشعر بكل النشاط، كل من فينا من الناس كأنك لا تعرف أحداً منهم ، وحتى الآن لم تناد أحدا منهم باسمه، وكل من حياك تقول له سيدى".

قال الأمير "حيرتى هذه بلغت حدا كبيراً ، ومشكلة الخراج التى تتكلم عنها؟"

قال الوزير "أمير الغرب قال أن رجاله هاجروا ، بعث عندما أمرت أن نأخذ حيواناتهم، ونبيعها رغما عنه".

قال الأمير "وهو كذلك لنتشاور فيما يجب أن يكون"

وجاء كاتب القاضى، وهو ابن الأمير ناصرو الكبير، وأدى التحية ، وقال "جئت بشأن مشكلة حسن جولومبى، الذى لم يؤد الدين الذى فرض عليه وقدره ثلاثة شلنات ونصف ، حتى الآن لم يدفعها" "

قال ملك الجن "يجب أن يسجن سبعين عاما".

ضحك الكاتب وقال "سبعون عاماً ، نصرك الله".

قال الأمير "هل هذا قليل؟ زد عليها عشرة"

فلم يجد الكاتب ما يقوله، فقال الأمير "تكلم ، لماذا عينتك قاضيا، إن لم يكن لذلك"

ضحك الوزير وقال "ليس هو القاضى إنه الكاتب".

قال الأمير "لقد تحيرت بسبب هذه الليلة التى نمتها فى الغابة "انقل تحيتى للقاضى وأخبره أننى عدت ، لماذا لم يأت؟"

وكان القاضى أمامه ، فقال "نصرك الله ، إنى هنا منذ فترة ، أنا والوزير"

نظر إليه الأمير وقال "لم انتبه للجميع، إن العقل هو الذى يرى وليس العين، أين الوزير الذى جئت معه؟"

قال الوزير "نصرك الله ، منذ فترة أتكلم معك"

قال الأمير "علمت ، ظننت أنه يقصد الوزير المساعد، ألسنا نتكلم فى مشكلة الخراج من فترة؟."

قال الوزير "نصرك الله ، لا يوجد وزير مساعد فى هذه المدينة ، أم أنك عينت وزيراً ولم نعرف؟"

قال الأمير "اليوم التبس على الأمر كله ، لعلى أرى الناس غير واضحين".

قال الوزير "يبدو رفعك الله، أنه ينبغى أن نتركك ، حتى إذا هدأت نفسك ، نستمر غداً فى بحث شأن الملك، نتركك بالسلامة" وانصرفوا.

قام الأمير وقصد المنزل وهو لا يعرف الطريق ، حتى دلوه عليه، فذهب ووجد الخدم والنساء، فأخـذ يتكلم معهم كلامـا فارغا كمـا حدث فى المجلس ، فتحـيروا فى أمره ، فظنوا أنه أصيب بالجنون ، عندما نام فى الغابة.

وعندما حان المغرب ذهب إلى دورة المياة ثم اختـفى ، وذهب أمير الجن فوجد الأمير ناصرو ، فقال "لقد سمعت اليوم ثرثرات كثيرة ، ثرثرتكم أيها البشر ليس أصعب منها ، طول النهـار لا يغلق الناس أفواههم، جـاء الوزير بمشكلة الخراج، وجـاء الكاتب بمشكلة القضاء، وجاءت الجارية لتتحدث عن الطعام، ويحكم ألا تتركون الإنسان يستريح ؟"

عقد الأميـر ناصرو صداقة مع ملك الجن، وأمر الجن أن يحـملوه ويعيدوه إلى منزله قبل أن يغمض عينيه، وأعطاه مالاً كثيراً.

عندما طلع النهار خرج الأمـير إلى الحاشية، وتجمع الناس ، وحيـاه الجميع ، وأخذ ينادى كلا منهم باسمه ، ويسأله عن الأخبار كما تعود تماماً، وليس كما حدث بالأمس .

قال الوزير "نصرك الـله ، ما نوع الدواء الذى شفاك من الزكام هـكذا؟، لقد جئت بالأمس وصوتك مـبحوح تماماً ، واليـوم عدت كما كنت من قـبل، أمس لم تكن تعرف أحـدا، نصرك الله كـنت فى حيـرة. لم تسـتطع رؤية الكاتب، ولا أى أحـد، ظننا أنك أصبت بالجنون، حـتى أننا حزنا ، عندما أنكر حسن جـولومبى ثلاثة شلنات ونصف دينا ولم يؤده ، قلت يسجن سبعين عاماً ، هل قتل نفسا؟"

انفـجر الأمـيـر فى الضـحك وقص لهم كل مـا حدث بيـنه وبين ملك الجن، فلم يتمالكوا أنفـسهم من الضحك ، وقال الوزير "ويحك ، نصـرك الله ، والله لقد أدركت ذلك، ولكن الخوف منعنـى من الكلام، كل من يتدخل ويبتـعد عمـا أمره الله به ويضع نفسه فى مكان آخر، يجلب لنفسه الكلام" ، هنا أخذ مداحو الأمير يمدحونه قائلين.

ها هو شخص أتى شبيه ناصرو

التشبه بالملك يكون صعبا

فى الوجه كاد أن يكون هو

ها هى الهيئة فى الجسم والجمال

لبس العباءة والصديرى

ولكن حاله مختلف

نظر حاذق إلى الوزير البـبغاء وقـال "من أى نوع هذا الشعر القـصير، والذى يشـبه الكلام العادى، وليس كلاما مثل الشعر ، لم أعرف أين ينشد هذا الشعر"

ابتسم الوزير وقال "الصغير طول عمره صغير ،هل ينشد شعر هكذا ؟"

الـم تسمع أننى سأبدا أقول فخراً ؟ مثل فـخر هذا البلد، وليس كشعركم الذى ينشد منذ الآباء والأجداد.

وفى اليوم التالى ، عندما اجتمعـوا ، طلبوا من حاذق أن يبدأ ، فصمت وأخذ يفكر ، وبعد قليل قال ، قصة قمرالزمان بن الأمير شهر الزمان"

عندما سمع الوزير الببـغاء عنوان القصة ، انفجر فى الضحك ، وقال أمـير سيركا « لماذا هذا الضحك أيها الوزير؟ »

قال الوزير "ظننت أن قصص حاذق قد انتـهت، فسمعت أنه بدأ يأخذ من ألف ليلة وليلة الجزء الثالث صفحة ١٧٧٧ ، ويتذكر ما حفظه".

نظر أمير سيركا إلى حاذق ، وقال "أحقا ستقدم لنا من كتاب ألف ليلة وليلة؟"

قال حاذق "نعم ، إنها جميلة"

قال أمير سيركا "طالما أن الكل هنا يعرفها ، قدم لنا قصة أخرى"

قال حاذق "نصرك الله ، أقول لك الحقيقة ، لا أخفى عليك أن قصصى كلها انتهت".

عندما سمع الناس ذلك انفجروا فى الضحك ، فقد فاز وزيرهم ، وأخذوا يصفقون جميعا.

قال الأمير عبد الرحمن لحاذق " إذا قص علينا القصة التى بدأتها ، وطالما أنك بدأت فلا بد أن نتركك حتى تنتهى ، فـمن أراد أن يسمع فليسمع، ومن لم يرد ينصرف فى هذا الجمع ، فيما عدا الوزير لا يستطيع أحد تقديم ما قدمت.

قال حاذق "وهو كذلك" ، ثم استمر فى روايته.

قصة قمر الزمان بن الأمير شهر الزمان

فى قديم الزمان كان يعيش فى بلاد الشرق أميـر يسمى شهر الزمان، كان ثراؤه يفوق الحديث ، ثراء لايمكن وصـفه، وقد تأكـد عدم وجود مثـيل له فى زمانه ، وكان مما يثـير شفقتك أن تسمع أن مع كل ما جمعه هذا الأمير لا وريث له، سوى الإخوة من الأب.

وكان كل ما يحزنه .. أنه لا يملك إلا التفكير كلما جلس ، وذات يوم وهو على هذه الحال جاء إليه رجل عجوز ، وقال "أفضل ما أراه فى هذا الأمر ، أن تأمر بجمع كل كبار علماء هذا البلد ويدعون الله لك".

قال الأمير "صدقت يا سيدى" ثم بعث فى كل البلاد فجمع له كل كبار العلماء التى فيها، فاجـتمعوا وقال لهم الأمير حاجـته ، وأخذ كل منهم يدعوالله دون نوم لمدة أربعين يوماً.

الله سميع لدعـاء عبيده، لم تتم الأربعـون يوماً حتى حملت إحـدى نسائه ، وبعد حوالى ثلاثة أشهر ظهر الحمل ، ففرحت كل المدينة بهذا.

وعندما بلغ الحـمل تسعـة أشهر أنجبت هذه المرأة مولودا ذكراً ، عـندما ولد همس الناس قائلين لشـدة جماله أن هذا ليس بشراً بـل جنى، وعندما أتم سبعـة أيام أطلق عليه اسم قمر الزمان، لا يستطيع أحد أن يصف مدى سرور الأمير بهذا .

وكبر الولد بسرعة ، حتى بلغ سنه اثنى عـشر عاما، فلما رأى والده أنه كبر هكذا ، قال أنه سيزوجه ، وأنه سيستقيل ويعين الابن طالما هو حى.

قال قـمر الزمان "إنه سـيتولى السلطة ولكن لا يـريد الزواج أبدا، تجاهل الأب هذا الكلام، وبعد مضى حوالى عام واحـد ، واجه الابن بمشكلة الزواج ، قال الابن "نصرك الله ، لقد قلت لك أننى لا أرغب الزواج أبدا" .

فلما رأى الأمير إصرار الولد على ذلك ، اسـتدعى وزيره وقال له ما حدث من أمر الولد، وشاوره فى حيلة يفعلانها ليتغلب عليه.

قال الوزير "لا شئ نستطيع فعله إلا إذا اجتمع حكام وأمراء وقضاة هذا البلد كلهم وقت الصيد، ويستدعى وسط هذا الجمع وأساله ، وأعرف أنه فى وجود هؤلاء لن يجادلنا" .

قال الأمير "وهو كذلك ، يجب أن نبحث الأمر" ، وفى يوم العيد اجتمع الأمراء، وذهبوا لتحية الأمير ، فنادى الأمير قمر الزمان ، وواجهه بهذا الأمر.

حنى قمر الزمان رأسه وقال "نصرك الله ، منذ العام قبل الماضى ، سألتنى هذا الأمر، فقلت لك ، لن أتزوج حتى أموت " .

غضب الأمير لأن الولد أحرجه وسط الجميع ، فأمر الشرطة أن تقبض عليه ويحملوه إلى منزل قديم بعيد قرب النهر ويحبسوه ، وعندما إنصرف الناس نظر الأمير إلى الوزير وقال "عجوز فاسد، أشار علـى برأى فاسد ، جعل ابنى يحرجنى وسط الجمع ، وهو كذلك لابد أن تقول افضل ما ترى أن نفعله له ، لنسمع" .

قال الوزير " هدأ الله من روعك ، يجب أن نتركه هناك عند شاطئ النهر لنرى ، لعله يخاف ويعمل بمشورتنا" .

قال الأمير " وهو كذلك " ، وتركوا الولد هناك أياماً وأياماً ، لا أحد يذهب إليه، ولا يسمح له أن يذهب إلى أحد، وبعد سبعة أيام ، يذهب إليه الأمير ومعه الوزير ، ويسألانه هل وافق على أن يتزوج ؟، فإذا قال أنه لن يتزوج إلى الآن، خرجوا هذه هى قصة قمر الزمان.

وهو كذلك ، وفى بلاد الصين كانت توجد فتاة ابنه أمير كبير هو جايورا ، حاولوا معها هى الأخرى أن تتزوج ، فكانت ترفض ، وكان اسم هذه الفتاة ابنه الأمير بدور وكان لم يخلق في مثل جمالها أحد وهذا ما جلعها ترفض الزواج ، وكان لها عذرها ، ففى أحد الأيام كانت تستنشق الهواء، فرأت شركا يصطاد قنبرة ذكرا، ورأت زوجته جاءت وحاولت أن تخلصه من الشرك بفمها، فوقفت بدور تتأمله، وقد أخذتها الشفقة عليه، وأمرت أن يفك العصفور ويطلق صراحه.

وذات يوم وكأنه أمر مقدر، خرجت تتجول، فرأت شركا اصطاد قنبرة أنثى ، ولكن عندما رآها زوجها ، أخذ يبكى ، ثم هرب ، ولم يتوقف ليخلصها ، فلما رأت بدور هذا الأمر أمرت أن يطلق صراح العصفورة وقالت "أهكذا يكون حال الرجال، لن أتزوج إلى الأبد" ، هذا سبب رفضها للزواج.

عندما سمع والدها الأمير جايورا هذا ، أخذ يسترضى الفتاه ، ولكنها رفضت الزواج، فأمر أن تنقل إلى منزل خارج المدينة ، وفرض عليها الحراسة ، لعلها تشعر بالخوف ، فتوافق ، بين مدينة الأمير شهر الزمان ومدينة الأمير جايورا مسافة كبيرة وبعيدة، لا يعرف أحدهما ما يجرى فى مدينة الآخر. هذه قصة بدور .

وذات يوم كان قمر الزمان ينام بالليل ، وإذا بابنه ملك الجن التى تسمى ميمونه تطير، فشمت رائحة مسك يخرج من المنزل المحبوس فيه قمر الزمان ، وكانت تعرف أن هذا المنزل لا يسكنه أحد ، فنزلت ودخلت الحجرة التى ينام فيها قمر الزمان ونظرت إليه، فقالت «لا حول ولا قولة إلا بالله» ، وقالت "تأكدت أن الله يخلق ما يشاء حتى بين الناس يولد الجان؟، دعك من الإنس حتى فى الجن لا يكاد يوجد مثل هذا الجمال" . ثم طارت وأخذت تتجول.

وأثناء تجوالها تقابلت مع أحد خدم والدها من الجان يسمى دنهاشى، وكان أثناء تجواله فى بلاد الصين قد رأى بدور تنام ، فتعجب من جمالها ، لذلك عندما تقابل مع ميمونه حياها ، وقال لها "نصرك الله، انت لم تسألينى عن أية أخبار ، عندى خبر لا أستطيع إخفاءه" .

قالت ميمونه "أى خبر تريد ان تقوله ، انا كذلك لدى خبر أريد أن أقوله ، وبحثت عمن أقوله له فلم أجد، حتى أتى الله بك إلى ، ولكن قل لى خبرك أولا لأسمعه" .

قال دنهاشى "رفعك الله ، لقد رأيت اليوم فتاة ابنة أمير تنام ، أقسم لك بعظمتك، لو حاولت أن تبحثى عمن يشبهها فى هذه الدنيا كلها لن تجدى مثلها بين الإنس والجان ، لشدة جمالها" .

نظرت إليه ميمونة وقالت "أغبياء كذابون تبالغون ، لا تعرفون حيثما جعل الله نعمته، ابن الأمير الذى رأيته اليوم، منذ خلقك الله هل رأيت مثله فى الجمال حتى بين الجان؟، وهو الخبر الذى كنت أريد أن أقوله لك" .

ثم قامت بينهما خلافات ، كل منهما يظن أن من رآه أجمل ، ثم طارا معا وذهبا حيث قصر قمر الزمان، ونظرا إليه جيدا وهو نائم ، قال دنهاشى "نعم ، إن هذا لا عيب فيه ، ولكن من رأيتها تفوقه جمالا" .

غضبت ميمونه وزجرته ، وطلبت أن يذهبا إلى بلاد الصين ليريا بدور، وفى الحال

وصلا بسرعة ، نظرت ميمونة إلى بدور وقالت " نعم صدقت إلى حد ما، ولكن إذا تكلمنا عن الولد السابق لا يمكن أن نقول شيئا ، إذا استثنيناه، لن تجد مثيلا له فى الدنيا"

قال دنهاشى "رفعك الله ، إذا كنت تقصدين استثناء هذه ، فلا يوجد مثله فى هذه الدنيا" ، فغضبت ميمونه وضربت الأرض برجلها ، فرأت جنياً اسمه كشكش يشق الأرض ويخرج وينحنى أمامها ويحييها ، فأمرته هو ودنهاش أن يحملا بدور إلى قمر الزمان ليعرف أيهما أجمل.

نفذ الجن أمر ميمونة ، وحملاها ووضعاها على سرير واحد وهما نائمان ، نظرت ميمونة إلى كشكش وقالت "ترى من منهما أجمل؟، انظر جيدا تر" .

قال كشكش "لا أحد يفوق الآخر جمالا" .

قالت ميمونة "رجل عابث لا يعرف الجمال ، أيقظهما واحداً واحدا لنرى من يميل إلى أخيه أكثر ، يكون هو الأجمل" .

أيقظا قمر الزمان ، فلما استيقظ شعر بإنسان خلفه، ونظر فرأى فتاة لا مثيل لها فى الحياة الدنيا ، فقال فى نفسه "لو زوجت هذه لوافقت" ، وهم بايقاظها ، فخشى أن يكون قد جاءوا بها لتسلب عقله، لذلك صمت وأخفى حبه ، ثم جعله الجن ينام ، وهما ينظران إليه وهو لا يراهما.

عندما نام، أيقظا بدور ليعرفا ماذا ستفعل ، وبمجرد استيقاظها رأت قمر الزمان، فقالت "لا لا لا" ، إذا كان بابا يريد أن يزوجنيه ، فأنا موافقة" ، وحدقت فيه بعينها، لم تغمضهما ، ثم خلعت الخاتم من أصبعها ووضعته فى إصبعه ، وخلعت الخاتم من أصبعه ووضعته فى إصبعها ، ثم جعلها الجن تنام ، وحملاها وأعاداها إلى بلاد الصين . وقالا لميمونة «قمر الزمان أجمل ، حتى لا تغضب ، هذا ما انتهيا إليه».

وعندما طلع النهار قال قمر الزمان للحارس الذى يحرسه "إذا كانت الفتاة التى أمر الأمير أن تأتى إلى هنا أمس ابنة أمير ، إذا كانت هى التى يريدون تزويجها لى فأنا موافق على الزواج منها؟"

قال الخادم "نصرك الله ، لم يأتوا بأحد هنا مساء أمس"

قال قمر الزمان " لا تقل كلاماً فارغا ، هل أمزح معك؟، اذهب وأخبر الأمير أننى أحبها" .

وقف الخادم صـامتا ، فهـو لم ير أية فتاة ، ولما غضب قـمر الزمان ، أمسك لحـية الخادم وأخـذ يضربه ، ليقـول له الحقيـقة ، فلمـا شعر الخـادم أنه سيهلكه قـال "عرفت المشكلة، لقد جاءوا بها ليروا لعلك تحبها".

قـال قمـر الزمان "لولا أنى أمـرتك أن تقول بالـتى هى أحسن مـا قلت ، فعندمـا ارغمتك تكلمت" ، فلما رأى الخادم أنه نجا.

عندما سمع الأمير ذلك انفجر ضاحكا ، وظن أنه كاد أن يهتدى ، فبعث إلى الوزير ليذهب إليه، فلما وصل الوزير قال له قـمر الزمان "إذا كنتم تريدون أن أتزوج الفتاة التى جئتمونى بها مساء أمس سأتزوجها ، ولكن إذا كان غيرها ، فلن اتزوج .

ومن المعروف أن هذا الأمـر لا يعلم به أحد سواهمـا. لذلك قال الوزير أنه لا يعلم شيئا بخصوص هذا الأمر ، فأخـذ قمر الزمان يلح عليه ، ولكن الوزير أخذ يقسم أنه لم يحضر أية فتـاة ، فانهال عليه قمر الزمان ضرباً ، فـنجا منه الوزير بصعوبة ، وذهب إلى الأمير وقص له كل ما حدث وقال "لابد أن الجن قد مسه أمس".

نظر إليه الأمير وقال "أنت رجل عجوز ، أنت تعرف أننى سجنته هناك ، وتأكد أنه إذا أصابه مكروه، فلا تلوم إلا نفسك" ، قام وذهب إلى مكان الحجز بنفسه والوزير يتبعه، فلما وصلا ، قام الابن وحـيا والده بلسان طيب ، فرد عليه الأمير التـحية ، ثم نظر إليه وقال "أية فتاة رأيتها ، والتى سمعت أنك تحبها؟"

طأطأ قمر الزمان رأسه خجلا وقـال "التى جئتم بها إلى أمس ، والتى بدلت خاتمها بخاتمى ، ها هو ، ولا أريد كلاما ، فاطلبوها لى لأتزوجها".

قال الأمير "والله لم نحضر لك أحدا ، ولعل الجن قد مسك ؟، هيا نبحث الأمر ما هو اليوم؟"

قال قمر الزمان "اليوم الأحد وغدا الاثنين ، ثـم الثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة والسبت ، أم ليس كذلك؟"

قال "هو كذلك ، إن عندك بقية من عقل ، ولكن لم نحضر أحدا هنا"

قال قـمر الزمـان "لقد قلت أننى سأتزوجـها ، فلمـاذا يرفضون الـرد على؟ ، كيف تقولون أنكم لم تحـضروا أحدا؟، ها هو الخـاتم ، كل واحد يعـرف أنه ليس خاتمى ، هل رأيتم رجلا يحلم أنه يقاتل ثم يستيقظ فيجد السيف فى يده؟".

غضب الأمير عندما رأى الولد فى حيرة ، وأمر العلماء والكهان أن يأتوا ليبحثوا عن علاج للجن، ولكن دون فائدة ، وكان الأمـير يرى دائما أن هذا خطأ الوزير ، ويقول أنه هو الذى أشار عليه بذلك.

شيئا فشيئا صار الأمر بالنسبة لقمر الزمان كالمرض ، وامتنع عن الأكل والشرب أياما وأياما ، وبصعوبة قدموا إليه ثريدا ، لعلك تعرف أن الحب شيء عظيم، هذا هو ما حدث لقمر الزمان.

ولكن ما حدث لبدور، يثـير العجب إذا سمعته ، وهو نفس مـا حدث للولد ، فقد قضت الـيوم لاطعامٍ ولا شـراب ، وبحثـوا عن العلماء والكهنـة، فأعطوها عـلاجاً لمس الجن.

لقد قلت لك إن قمر الزمان حجز بالقـرب من نهر ، منذ أن تحير الولد بهذه الصورة نقل مقر الحـاشية إلى ممر المنزل، وذات يوم كـانوا جالسين رأوا من بعيد رجـلا غارقا فى النهر، فقاموا وأخرجوه ، وضغطوا على بطنه فخرج الماء ، ومرضوه حتى شفى بعد ثلاثة أيام.

لقد كان هذا الرجل تاجرا ، لا يوجـد مكان إلا وطاف فيه ، حتى بلاد الصين ذهب إليهـا ، وقد جاء الآن من هذه البـلاد، وقد ترك بدور ابنة أميـر الصين ، تعانى من حب ولد رأته فى الليل حـتى بدلت خاتمهـا بخاتمه، لعلـه جاء إلى هنا ليـعرف مـا عليه قـمر الزمان، وعرف أن الأحداث التى وقعت له هى نفس مـا وقع لبدور، فقال فى نفسه "ربما أن الجن قد جمـعوا هذا الولد بها، وربما هذا الولد هو الذى تحـبه ، ولكن هيا أرى ، إذا رأيت جماله يماثل جمالها، تكون قد أحبته ، فأكون سعدت بتجارتى"

فأوصلوه إلى قمـر الزمان ، فلما رآه قال "لا شك إنه هو"، ونظر إلى الأمـير وقال إنه لديه العلاج، ولكن عليهم أن ينصرفوا ويتركوهما وحدهما.

قال الأمـير "إذا كنت ستـشفيـه ، سأقدم لك هدية سـتكفيك فى الحيـاة الدنيا أنت وأولادك".

قال التاجـر "وهو كذلك ، الحمد لله"، ودخل الحجـرة فوجد قمر الزمـان ، فقال "بشراك"، قال قمر الزمان "ثمار الكولا".

قال التاجر "لقد قضيت حاجتك"، وقال له كل أخبار بدور ووصفها لقمر الزمان، فلما سمع قمر الزمان أنه يذكر صفاتها تماما، وكما رآها فى الليل، هب قائماً وعانق التاجر وقال "ماذا نفعل لنقابل أمير الصين؟"

قال التاجر "نصرك الله، من هنا إلى بلاد الصين سفر طويل، والأفضل الآن أن تقول أنك شفيت، ولكن لا تقل لأحد ما بيننا، وإذا مكثنا حوالى شهر، تقول أننا سنخرج للنزهة، وتأخذ حوالى مائة أو خمسمائة جنيه وتضعها فى مكان ما، وتخفيها فيه كمصروف ومن حيث خرجنا للنزهة نسافر، أنت تعرف إذا لم نفعل ذلك لن يتركنا الأمير نرحل".

قال قمر الزمان "وهو كذلك"

نادى التاجر الأمير وقال "لقد شفى قمر الزمان، لقد مسه الجن، ودعوت له". السرور الذى عم الناس فى هذا اليوم لا يمكن وصفه، فقد دقت الطبول، وهدأت نفس كل إنسان، ولا سيما الوزير الذى كاد يسجن، والخير الذى ناله هذا التاجر لا يمكن وصفه وهم على هذه الحال، وبعد مضى شهر، فعل قمر الزمان ما أشار به التاجر فخرجا، وعندما توغلوا فى الغابة اشتريا معيز بعض الفولانى، وذبحوها، ونثروا الدم فى كل مكان، وألقى قمر الزمان ثيابه فى الدماء، وهكذا فعل التاجر، وكانت هذه الخطة لتهدىء نفوسهم، ويصبروا إذا جاءوا يبحثون عنهم ورأوا ذلك. وركبا الخيل وواصلا السفر، وكان التاجر صديقا وخادماً، هذا هو ما حدث لقمر الزمان.

أما شهر الزمان، فلما حان العصر ولم يعودا ركبوا الخيل وتتبعوهما، وبحثوا عنهما حتى الليل، فلم يجدوهما، فعادوا، وفى الصباح أمر الأمير أن يواصلوا، ولا يعد أحد إلا بعد أن يعرفوا أين قمر الزمان، وإذا لم يروه يقتفوا أثره جميعا حتى لو ماتوا فى سبيل البحث. انتشر الناس يبحثون فى كل مكان، وبعد ذلك وجد البعض ثياب قمر الزمان، ملطخة بالدماء فى كل مكان، فأسرعوا باكين، وأخبروا الأمير، فركب وذهب ليرى بعينيه، ومنذ هذا اليوم عم الحزن المدينة ومنزل شهر الزمان، ثم أتركك إذا كنت تستطيع أن تتخيل آخر القصة بنفسك، وهكذا انتهت القصة. ولنعد بك الآن إلى قمر الزمان، وبينما هما يسيران، بمرور الأيام وصلا إلى بلاد الصين، وقبل أن يصلا باعا خيولهما، ووصلا إلى البلد، وبمجرد وصولهما وجدا أن أمير الصين قد تعب من الناس الذين يقولون كذبا أن لديهم العلاج، حتى أنه وعد أن كل من ير بدور ويعطيها دواء ولا تشفى يقتله، وإذا شفيت ستكون زوجة له، سواء رضيت أم لم ترض، وقد قتل رجالا كثيرين حاولوا علاجها وفشلوا.

عند وصول قمر الزمان ، ذهب إلى الحاشية ، وقال إن لدية العلاج ، نظر إليه الأمير وقال "عجبا، هذا الغلام من الإنس أم الجن؟ ، الأفضل أن تكتم سرك ، وأن تصبر على هذه الهبة التى خصك الله بها".

قال قمر الزمان "إذا كنت قلت أن كل من يرها ولم يشفها ، ستقتله، إن دوائى ليس برؤيتها ، ولكن أن توصلنى إلى حجرتها ، واقف خارج الحجرة لأحاول ، إذا عجزت أعرف إذا كنت تعاقبنى . عاقبينى".

ابتسم الأمير وأمر ان يوصل إلى باب حجرتها ، وطلب أن يحضروا له قلما ومحبرة ووصف لها نفسه وكيف تقابلا ، وأخذ خاتمها الذى استبدلت به خاتمه ، ولفه فى الرسالة وبعثه إليها ، وهو على باب الحجرة، فلما أخذت الرسالة وفتحتها ورأت خاتمها ، خفق قلبها، ولما قرأت الرسالة، هبت قائمة وفتحت الباب وأطلت ، فرأت قمر الزمان فعانقته.

وفى الحال ذهبوا إلى الأمير وأخبروه أن ابنته قد شفيت ، فدخل بسرعة ليرى فأخذت خاتمها القديم وقدمته إلى والدها، فقال الأمير "عندما رأيته عرفت، أنه لا يناسب أى فتاة فى الدنيا سواك"، وسألوا قمر الزمان عن كل شيء ، فقال احسبوا الأيام، حسبوا الأيام ، رأوا أنه نفس اليوم والصباح الذى قامت فيه بدور من النوم مجنونة بحبه، فتعجبوا وقالوا إن الجن جمعهما. لأنهم رأوا أنه لا يوجد من هو فى جمالهما فى الدنيا .

قال الأمير "طالما أن الله أراد ذلك ، الأفضل أن نزوجهما ، فالأمور كلها متوافقه ، فهو ابن أمير وهى ابنة أمير ، وجمعوا الناس وأخبروهم ، وعم السرور الناس، وأصبح الأمير سعيدا.

ولما مضى حوالى خمسة عشر شهرا فى هذه الأفراح ، وبدأت أمور العرس ، وأقيم فرح لم يسمع خبر عن مثله أبدا.

وبينما هم يستمتعون بحياتهم فى الصين مع صديقهم التاجر، رأى قمر الزمان فى الليل رؤيا عن أبيه، فلما طلع النهار ذهب وأخبر الأمير أنه يريد أن يسافر إلى بلده ليرى والده إذا وافق، حتى تهدأ نفسه ويعرف أنه لم يمت".

قال الأمير "هذا هو العقل، عليك أن تأخذ زوجتك وتستعدا للرحيل، ولكن لا تغيبا، وعودا مسرعين".

استعد قمر الزمان وأخذ من الجمال والمتاع والخدم والمال، مالا يمكن وصفه، وجعل زوجته بدور فى المقدمة، وقصدوا بلاد شهر الزمان.

وهم على هذه الحال يسيرون ليلا ونهارا، وذات يوم فى المغرف وصلا إلى مكان فيه ماء".

فقال قمر الزمان هيا ننزل لنقدم للإبل ، فنزلوا وقدموا لها الماء،وتركوها تستريح ، وترعى قليلا قبل الصباح ، وبعد منتصف الليل نام الجميع ، وأخذ قمر الزمان إناء الماء وانحرف عن الطريق ليقضى حاجته ، وجلس أسفل شجرة تمر هندى ، فسمع من يقول له "بهدوء حتى لا تكسر لى الأوانى ، التى أجففها".

نظر قمر الزمان فلم ير أحدا، فخاف والتفت خلفه ، وبمجرد أن رفع قدمه سمع من يقول "هل تطأها بتمردك ، هل تتباهى بجمالك؟، أنت تعرف أن العناد لا فائدة منه"، فشعر وكأن إنساناً يطير به إلى السماء ، وأخذ يطير به دون أن يرى من يطير به ، حتى وصلوا إلى حديقة بعيدة فى جزيرة وأنزلوه ، ولم يعرف مكانه فى الدنيا.

استمر راقدا حتى طلع النهار ، فقام وأخذ يطوف حول الحديقة،فوجد رجلا عجوزا ، كان هذا العجوز هو صاحب الحديقة ، قص قمر الزمان لهذا العجوز كل ما حدث ، فقال العجوز " لقد وطأت متاع الجن ، ولكن لا بأس ، طالما أنهم لم يهلكوك ، تأتى إلى هنا بعض المراكب ، ولكن من سنة إلى أخرى ، وها أنت سعيد الحظ ، فقد بقى شهر وتأتى إحداها ، إذا جاءوا سأجعل واحدة تحملك وتوصلك إلى بلدك" ، فرح قمر الزمان وأقام مع صاحب الحديقة، ينظف له مجرى المياه إذا هم يرى الحديقة ، هذا ما حدث لقمر الزمان.

أما بدور فقد قامت فى الصباح الباكر ، تبحث عن زوجها فلم تجده، فخطر على فكرها أمر الجن، لأنها تذكرت ما حدث لهما فى بداية الأمر، فقامت وطافت حول المكان، حتى وصلت إلى أسفل شجرة التمر هندى ، فرأت الإناء ملقى على الأرض ، فعادت وتأكدت أن الجن قد خطفه، وعجزت عما تفعله ، هل تعود وتتركه ، أم تواصل رحلتها ، وماذا تقول؟، ثم عادت وفكرت فى حيلة ، لعلك تذكر أنهما متشابهان ، فلبست ثيابا تشبهه ، وركبت جمله ، وأمرت أحد الخدم أن يرتدى ثيابها ، وغطى وجهه كما كانت تفعل ، وركبت جملها . ووصلوا السير ، ولم يعرف هذا الأمر أحد سواهما،

وبحيلة بدور وصلوا إلى مـدينة إيبونى، حيث تعودوا أن يروا قمـر الزمان ، مختفـيا حتى تسمع أخباره.

عندما نزلت بدور فى المدينة ، وجدت أن أمير المدينة ، ليس له إلا فتاه واحدة تسمى حياة النفوس ، ليس له ابن ولا حفيد ، إلا هذه الفتاه فقط، وفى هذه المدينة كلها لم تجد من هو فى جمالها.

لقد سبق أن قلت أن بدور ارتدت ثيـاب الرجال، حتى العمامة لفتـها وأرسلتها على صدرها ، عندما أحضر خدم إيبونى الطعام ، رأوا جمالها ، وذهبوا وأخبروا حياة النفوس فتسللت امرأة عجوز معها لتـرى جمال بدور . فقالت البنت إنها لا تحب أحد سوى هذا الضيف ابن الأمير تقصد بدور ، ولـم يعرفوا أنها امرأة.

عندما سأل الأمـير أحد الخدم عن اسم رب أسـرتهم ، قال "قمر الزمــان بن الأمير شهر الزمان وزوجته التى لم توافق على أن يروا وجهها خجلا ، ابنة أمير بلاد الصين".

وطلبوا من بدور أن تتزوج حـياة النفوس ، ولـم تجد فرصـة للرفض، فوافقت، وتم الزواج ، وأقيمت الأفراح الكثيرة ، ولـم يعرفوا أن امرأة تتزوج امرأة.

وبعد قليل ، رأت بدور أن حياة النفوس امرأة طيـبة ، فقالت لها "أتقسمين الآن إذا قلت لك قصتى كلها تساعديننى، ولا تكشفين سرى".

أقسمت حيـاة النفوس ، فقصت لها كل قصتـها ، فلما سمعتها الفـتاة انفجرت فى البكاء شفـقة عليهـا ، وقالت "إن شاء اللـه لن يسمع أحد هذا، إن شـاء الله وعاد ، أو عرفت أخباره ، إذا أراد أن يتزوجنى نذهب معا، لأننى لا أستطيع الآن الانفصال عنك ، لأننا ألفنا بعضنا ومهمـا كان قبح زوجك سأتزوجه من أجلك . وكتما السـر وعاشا معا، وأخذت بدور تذهب إلى المجلس وتجلس كالرجل ، ولما رأى أمير إيبونى ذكاء بدور اطمأن على ابنته ، واستقال، وتولت بدور السلطة ، امرأة وامرأتان ، وهى تتولى السلطة، ولكن لم يعرفوا أنها امرأة ، هذه هى قصة بدور .

أما قمر الزمان فقد ظل يعمل كثـيراً فى الحديقة ، حتى يجر الشادوف، وبعد حوالى شهرين ، جـاءت مركب، فأحضـر صاحب الحديقة سلة، ومـلأها لقمر الزمان بـالفواكه كالتين وثمار الدوم وأنواع الفواكه الأخرى ، وأخذ قمر الزمان خاتم بدور الذى بدله الجن ، ووضعه فى أسـفل السلة، ووضع هذه الفواكه ، وقد خلع هـذا الخاتم من إصبع يده،

لأنه صار هزيلا جدا، بسبب المشاكل وفراق الحبيب ، حتى صار الخاتم لا يستقر فى إصبعه ويفلت ويسقط . وخوفا من أن يضيع ويحزن عليه ، خلعه ووضعه فى أسفل السلة.

عندما ذهب صاحب الحديقة لقمر الزمان استأجر ما ستحمله إلى مدينة إيبونى لأن هناك موقف البواخر، أى حيث تولت السلطة بدور زوجته، ودفع صاحب الحديقة أجر سفر قمر الزمان ، ووضع متاعه داخل المراكب ، وعاد ليودع صاحب الحديقة ، فضاق صدر صاحب المركب من طول الانتظار ، فلما رآه تأخر فى العودة ، تحرك ومعه متاع قمر الزمان داخل المركب ، وبعد ثلاثة أيام وصل إلى مدينة إيبونى. هذا كل ما حدث.

وعندما انتهى قمر الزمان من توديع الرجل العجوز ، اصطحبه إلى المركب وهو يبكى، فرأيا المركب تدخل البحر ، فأخذا يناديان بصوت مرتفع ، فلم يسمعهما ، وترك قمر الزمان حزينا وفى حالة لا يمكن وصفها، وأكثر ما جعله حزينا ، هو انفصاله عن خاتم بدور الذى كان كلما رآه تذكرها ، فيهدأ قلبه ، هذا فعل القدر.

عندما وصل صاحب المركب إلى إيبونى ، وإذا بخدم بعثت بهم الأمير بدور ليحضروا لها بعض الفاكهة ، فقد كان كل من يريد شراء فاكهة يذهب إلى هذه المركب القادمة من الجزيرة .

عندما سألوا أصحاب المراكب قالوا باعوا كل الفواكه وبقيت سلة واحدة ، وضعها شخص ، ولكنه تأخر فتركناه ، اشترى الخدم السلة، وحملوها إلى بدور.

وعندما ذهبوا ووضعوها ، وإذا بخاتمها يلمع ويأخذ بالأبصار ، فخفق قلبها وقامت وأخذته ، ونظرت إليه ، وصرفت الخدم ، وأرته لزوجتها حياة النفوس وقالت "بشراك" .

فقالت حياة النفوس "ثمار الكولا"

قالت بدور "هل رأيت هذا الخاتم ، إنه خاتم زوجى" .

وفى الحال بعثت الجنود فجاءوا بصاحب المركب، وسألته الأميرة بدور، عن صاحب هذا المتاع الذى اشترته" .

قال صاحب المركب كل ما حدث حتى تركه فى الجزيرة ، فأمرت أن يعود الآن ويأتى به، قام صاحب المركب وجسمه يرتعش ، وقاد المركب حتى وصل إلى الجزيرة

فوجد صاحب الحديقة ، فقال له "الولد الجميل ، جماله لا يفيده، إنه لص ، أمرونى أن أعود به الآن. "

وفى الحال استأذن قمر الزمان من صاحب الحديقة ، وأعطاه مرة أخرى بعض الفواكه ، وقادوا المراكب ولم تتوقف إلا فى مدينة إيبونى ، ولم يعرف قمر الزمان سبب ذلك، وظن أن بدور عادت إلى مدينتهم.

وبمجرد وصولهم ، ذهبوا بقمر الزمان إلى الأميرة بدور، فنظرت فرأت قمر الزمان أما هو فلم يعرفها ، لأنها لفت العمامة ، وارتدت الثياب والسروال المزركش ، وملابس الأمراء، وجلس فوق كرسى الحكم وسط الحاشية، وتصرفت كأنها لم تعرفه ، وأمرت رئيس الحرس أن يعطيه حجرة ليضع متاعه.

ولما حان الليل استدعته ، وأخذته إلى حياه النفوس وجذبت العمامة، فلما رآها عرفها، فتعانقا وهما يبكيان من شدة السرور ، ولم تكن حياة النفوس تعرفه؛ شفقة بهما أخذت تبكى معهما.

وعندما جففوا دموعهم ، قالت بدور كل ما حدث منذ افترقا ، ونظر قمر الزمان لحياة النفوس وقال "بارك الله فيك ، أنت إنسانه وفية، ونشكرك على هذا السر الذى صنته" ، وقال لهم كل أخباره ، فانفجروا مرة أخرى فى البكاء شفقة وسرورا .

وفى هذه الليلة ذهب الثلاثة إلى والد حياة النفوس ، وشرحوا له كل ما حدث من البداية حتى النهاية ، وقال لهم قمر الزمان ما حدث حتى تزوج بدور، وكيف افترقا فتعجب الأمير من هذا الأمر.

ولما طلع النهار جمع أهل المدينة، وقص لهم كل ما حدث، فتعجبوا من هذا الأمر.

وطلب قمر الزمان الزواج من حياة النفوس ، فوافق الأمير ، فأقاموا أفراحا لا يمكن وصفها فى هذا الوقت الوجيز ، وتولى قمر الزمان السلطة بدلا من بدور، وعاشوا حياتهم.

قال الوزير الببغاء "وهو كذلك ، ولنذهب الآن ، لنقص قصة أسد وأمجد".

قال حاذق "من هما أسد وأمجد؟، أنا لم أعرفهما".

انفجر الوزير فى الضحك وقال "إن حديثك بلا فائدة إذا توقفت هنا، ما معنى هذه

القصة؟، إذا سألت الحاضرين يقولون أنهم سمـعوا قصة طويلة فقط، ولكن لم ينتهوا إلى شيء، ليتك أكملت قـصة أولاده أمجد وأسد لكان أمتع ، وإذا كنت لا تعـرف بقية هذه القصة كـان يمكن أن تحفظ قصة حسن صـاحب الحبل أو قصة امينة مـيًا ، أو الأحدب ، هذه القصص قصـيرة وجميلة ، لقد عـجزت أن تتناول واحدة وتحفظها ، فـقصصت هذه التى لم تستطع إكمالها؟، ولو لم تبدأ القصة لكان أفضل ، لأن عدم القيام للرقص أفضل من الرقص السيئ، دعنى أكمل لـكم أيها الناس حتى لا نفترق ، فنكون قـضينا اليوم بلا فائدة منا، ثم بدأ يقول. . .

قصة أمجد وأسد

عاش قمر الزمان فى إيبونى يستمتع بحياته ، حتى شاء الله أن تحمل بدور وتلد ذكرا وسمى أمجد ولم يمض شهر واحد على وضع بدور لطفلها، حتى ولدت حياة النفوس ولدا ذكراً، وسمى أسداً وشبا معا كتوءمين، إذا رأيتهما كأنك ترى الأب، إذا تذكرتم كيف وصف جمال أبيهم من قبل، فليس من الرضورى أن أصف لك جمال هذين الولدين.

عندما بلغ الطفلان من العمر اثنى عشر عام، بدأ قمر الزمان يعلمهما شئون الملك، وإذا طاف فى البلاد يتركهما فى المنزل يتوليان السلطة، وأن يقتسماها معا، إذا اعتلى العرش أحدهما هذا اليوم يعتليه الآخر غدا، وأى شىء يعملانه يستمر.

وذات يوم كان أمجد يتوى السلطة، فكتبت إحدى جوارى والده الماكرات رسالة، قالت له ينبغى أن تنتبه، لأن حياة النفوس تبحث عن دواء لتقتله به، وتقتل بدور ليتولى ابنها السلطة، وقالت "علينا أن نحترس، ونسبقهم، وسأبحث عن سم وأقدمه لك، لتضعه فى طعام أسد ووالدته، فإذا أكلاه ماتا واسترحنا منهما. وإذا توليت السلطة تجعلنى الجارية المقربة، ولعلك تعرف المثل القائل اقتل عدوك قبل أن يقتلك، وإذا كنت لا تستطيع ذلك، اعطنى إذنا أفعل كل شىء".

عندما قرأ الولد هذه الرسالة أخذ يبكى ، وأمر بقتل العجوز التى أحضرتها ، وبحث عن سبب فلم يجد ،ولم يخبر أمه بشيء . وأخذ الرسالة ووضعها فى جيبه، وعندما طلع النهار اعتلى أسد كرسى السلطة ، وإذا برسالة من إحدى الجوارى تصل إلى أسد ففتحها، وقرأها ، فوجدها نفس الرسالة بالضبط التى أرسلت إلى أمجد، فتعقل اسد كما تعقل أمجد، أنهم يدبرون لأمه، سيقتلونه هو وحياة النفوس.

وعندما قرأ هو الآخر الرسالة فعل كل ما فعله أخوه الأكبر أمجد ، ولم يقولا ما حدث لأحد ، السبب الذى جعل هؤلاء الجوارى يفعلن ذلك، هو الحقد والحسد لأنهن رأين أنفسهن بلا أولاد، ولا يهتم الأمير بهما كما يهتم ببدور وحياة النفوس ، فهما ليستا

أمين ولكن يعـاملهما كـالإماء ، لأنه لا يسـتجاب لكلامـهمـا فى القصر كـبدور وحـياة النفوس، فاتفقا علـى أن يبعثا هذه الرسائل ، حتى يهاجم كل أخ أخاه ، فـتشتعل الفتنة دون أن تعرف الأمهات ذلك ، حتى يقتل كل أخ أخاه فتصير الحظوة لهما.

فلما رأيا مـا فعل هذان الغلامـان ، ظنا أنهما سيـريان هاتين الرسالتين لقمـر الزمان عندما يعود ، ورأيا أن الأمير إذا رأى هاتين الرسالتين لا شيء يمنعـه من القضاء عليهما ، لذلك اجتمعا ، وأخذا يتشاوران فيما سيقولان للأمير عندما يعود، ليسبقا هذين الولدين، لعل الله يسعدهما بالنجاة، وظلا يفكران حتى توصلا إلى حيلة.

وبعد مدة عـاد الأمير من رحلته ، ولما نزل لم يتـركاه يخرج حتى قـابلاه، وقالتا إن لديهما مـشكلة ، فانفرد بهمـا ، فأخذتا تقصـان له الأكاذيب، وقصتا مـشكلة الرسالتين اللتين بعثا بهما ، وقالتا إن الولدين بعثا لهـما ليساعداهما ، وقالتا إن كل واحد منهما لم يعرف بما فـعل أخوه، وقالت إن هؤلاء العبـيد الذين سمع أنهم قتلوا هم الذين بـعثهم ، حتى لا يشكوه فيأمر بقتلهما . فكُر النساء يعرفه الجميع ، حتى ما لا يمكن قوله ، وقالت هاتان المرأتان أن الولدين فعلاه ، عندما كان الأمير غائبـا ، وقالتا أنهما أخبرتاه ، حتى لا يتحير فى الأمر مستقبـلا، دون أن يعرف السبب "وإذا كنت تظن أننا نكذب ، فاستدعهما واحدا واحدا ، واسألهما لعلهما يقولان لك السبب الذى جعل أخاه يقتل الخادمة ، لعلك تعرف لو كانا يعيشان فى أمان ، كان كل ما يفـعله أحدهما يعرفه الآخر، ستسمع أن كلا منهما يقول «لا أعرف» ، وأن أخاه لم يخبره" .

عندما سمـع الأمير ذلك استدعـى الولدين وسألهما واحـد واحدا، فلم يستطيعـا قـــول أى شيء ، لأنهما لم يقولا لبعضهـما ، سألهمـــا على انفـــراد كذلك عن سبب قتل الخادمة، فلم يقولا كلا ما يعتـمد عليه ، لأن كل منهما لا يريد أن يكشف السر تماما حتى لا يأمـر الأمير بقـتل هاتين المرأتين، ويريان أنهما لو فـعلا ذلك لقيل لأنهـما ليسـتا أميهما.

عندما رأى الأمير أنهما لم يقولا قولاً طيبا ، غضب ، وابيضت عيناه، وقام وهو لا يرى ما أمامـه، وأمر بأن ينادى الرجل العجوز ، والد حياة النفـوس، وقال له كل ما فى الأمر، غضب الأمير العجوز وقال "لقد حـدث هذا ونحن على قيد الحياة؟، فماذا يحدث لو متنا ولم يتوقف قمر الزمان عن طلب المشـورة ، ثم استدعى السياف بالليل ، وأمره أن يذهب بولديه هذين إلى الغابة، ويقطع رقبتيهما.

وقف السياف متـرددا فزجره الأمير وقال "لماذا وضعـتك فى هذا العمل، ألم تعدنى بأنك لا تخالفنى فيما أمرتك به، مهما كان حبك لهما، أحبهما أكثر منك ، طالما سمعتنى أقول لك اقتلهما ، لا تخالف ، إن ما يجعل الفأر يهرب ويقفز فى النار ، يكون أشد من النار حرارة" .

أخذ السـياف السيف وعلقه عـلي كتفه ، وخـرج للتنفيذ ، وأيقظ الولدين مـعا فى منتـصف الليل ، دون أن يعرف أحـد ما فى الأمـر ، سوى السـياف والأمـير ، وخـرج ودخلوا الغابة ، وواصلوا السير حتى طلع الفجر، وقال لهـما السياف ، "قمر الزمان أمر أن أقتلكما ، ولكنى لا أعرف السبب، وعلى أن أنفـذ الوعد ولا أخالف أمر الأمير ، ولو قال قمر الزمان أن أقتل أباه شهر الزمان لقتلته" .

قال الولدان "أطال الـله حياة أبينا ، إذا رفـضت تنفيـذ أمره ، ما فـائدة توليك هذا العمل؟"

كل واحد من الولدين يعرف أن ذنبه هو قتل هذه الخادمـة التى بعثتها جارية أبيهم ، ولكن حتى الآن لم يقل أحدهما لأخيه ، لماذا هو قتل الخادمة يوم تولى السلطة.

قال السياف "وهو كذلك ، ابتعدا عن بعضكما بمن سأبدأ؟"

قال أمجد "أبدأ بى ألست أنا الأكبر؟"

قال أسـد "لا ، إذا بدأ برأسك ربما شـعرت بالخوف فـأتحرك ، إذا جـاء الدور على رأسى ، فليبدأ برأسى حتى لا أشعر بالخوف".

قال أمجد "لا أستطيع أن أرى رأسك تقطع ، قـبل أن يأتى لقطع رأسى ، فسيقتلنى الحزن" .

ووقع الخلاف بينهـما ، كل يطلب أن يبدأ به، فـقال السيـاف "إذا لم تقولا لى بمن سأبدا بقطع رأسه ، قفا وضما ظهريكما وأنتـما واقفان ، وأربطكما بحبل معا من أيديكم أعتافكم، حتى لا يفلت أحدكم ، وأضرب بالسـيف مرتين ، وأكون بذلك قد وفيت بأمر الأمير إذ عدته أنه مهما تكن ضخامة الإنسان أقطع رقبته مرة واحدة .

قال الأطفال "نعم ، هكذا يجب أن يكون." وربطهما السياف بالحبل جيدا، قال أمجد "عليك أن تقوم من أمامنا ، وتبدأ القتل ، حتى لا يرى أسد عندما تُقتل فيغضب" .

والتفت السياف أمامهما وهم بالقتل ، فخاف حصانه ، مما رآه فاندفع فى الغابة جريا، يعلم الله وحده ، رمى السياف السيف ، وتبع الحصان حتي لا يضل ، وترك الولدين واقفين ، منذ الصباح حتى الظهيرة ، ولم يتحركا.

فلما رأيا أنه لم يعد قالا "يجب أن نريح أنفسنا إذا استطعنا ، ونأخذ السيف ونقتفى أثره ليقتلنا ونستريح ، ها الجوع والعطش يتعبنا بلا فائدة"، وحاولا حتى يريحا نفسيهما، وأخذ كل منهما يقول لأخيه سبب قتل الخادمة ،فعلما أن السبب واحد ، وأخرج كل منهما الرسالة التى بعثتها له جارية الأمير . فقرأها ، وأدركا المؤامرة التى عقدتاها هاتان المرأتان لخداع الأمير، وتركا الأمر ولم يقولا شيئا ، حتى وصل الأمر إلى ما هو عليه.

عندما وجداه كان بهذه الغابة لبؤة ذات أولاد صغار ، جعل الحصان السياف يطأ هؤلاء الصغار دون أن يعرف ، انقضت اللبؤة عليه وكادت تقتله ، وإذ بالولدين يصلان ، فقتل أمجد اللبؤة ، ونجا السياف وقلبه يخفق.

قال أسد لأمجد "إعطه السيف بسرعة ليقتلنا ، لنرتاح نحن كذلك، إننى أشعر بالجوع."

نظر إليهما السياف وجسده يرتعش ، ها هى اللبؤة راقدة مقتولة ، والدماء تلوث المكان ، فقال "اكتما السر ، كيف أقتلكما ؟، لولاكما لكنت خبرا يسمع ، عليكما أن تذهبا حيث تريدان ، وسأقول للأمير أننى قتلتكما."

قال أمجد "لا ، يجب أن تقتلنا لنرتاح ، أين سنذهب ؟ ،لماذا ولاك الأمير؟"

قال السياف "دعوا هذا الكلام ، منذ اليوم تبت عن قتل الناس ، اتركانى، إنى أعرف ماذا سأفعل ، اذهبا ، وإذا كان لكما بقية من الحياة ، إن لم يكن ، فلا يكون هذا الأمر بسببى".

حاول الولدان اقناعه ولكن رفض قتلهما ، فأخرجا رسالتى الجاريتين وقدماها إليه، وقالا "إذا وصلت قدم لأبينا هاتين الرسالتين ، وقل له أنك لم تقتلنا ، وقلنا لك أن تقول له " إن كل من يأخذ بكلام النساء على أنه صدق ، يشعر فيما بعد بالندم، ولكننا نطلب أن يغفر لنا".

أخذ السياف ثيابهما وغسها فى دماء اللبؤة ، وركب حصانه ، وذهب إلى المدينة بالقمصان الملوثة بالدماء ، كشاهد بأنه نفذ أمر الأمير.

عندما رأى الأمير ذلك فرح ، ولكن بعد أن قدم له السياف الرسالتين، وقرأهما واحدة واحدة وقال له الرسالة التى حملاها لـه ، وقع الأمير قمر الزمان من فوق الكرسى مغشياً عليه، فنثروا على وجهه الماء حتى أفاق.

وأخذ هاتين الرسالتين وقدمهما إلى حماه ، فقرأهما وقدمها إلى والدتى الولدين فقرأتاهما ،وأحضر المرأتين ووضعهما فى الأغلال ، وطافوا بهما فى المدينة ، . ليلعنهما الجميع، وأمر الأمير بقطع رقبتيهما ، وتركهما معلقتين ويفتحان فمهما حتى ماتا، ولم يقل السياف أنه أطلق سراح الوالدين ، حتى يتبعوهما ، ولكن حزن الأمير قمر الزمان وحميه والواالديتين ، إذا ذكر لك مدى حزنهما ، أنت نفسك لن تشعر بجمال القصة ، بسبب الحزن ، والأفضل أن نسكت ، هذه هى قصة قمر الزمان وولديه.

أما الولدان ، فعندما رأيا السياف قد ذهب ، سارا فى الغابة ، لا يعرفان لهما وجهة، ليس لهما طعام إلا ثمار الأشجار ، إذا أقبل عليهما الليل يبحثان عن شجرة وتسلقا عليها وناما فوقها ، وفى الصباح يقومان ويواصلان السير ، واستمرا على ذلك خمسة عشر يوما ، دون أن يصلا إلى أية مدينة.

وذات يوم أثناء سيرهما وجدا غزالا ميتة ، لم يعرفا ما قتلها ، ففرحا وأخذاها فحصلا على لحم مشوى فى الشمس ، فأخذا يقطعان هذه الغزالة شرائح وجففاها ، فلما جف اللحم أخذا يأكلانه ، ويجمعان ثمار الأشجار، وواصلا السير أسابيع ، حتى وصلا إلى مدينة كبيرة ، فقال أمجد لأسد "يجب أن تنتظر هنا ، وأدخل المدينة لأتسول وإذا رأيت أن أهل المدينة طيبون ، آتى وأناديك ، وندخل ونبحث عن منزل نخدم فيه " .

قال أسد "لا ، لابد أن أذهب معك لا أستطيع البقاء وحدى فى الغابة. "، تركه أمجد ودخل المدينة.

فلما دخل ، وصل أول الأمر إلى منزل رجل، فوقف على باب المنزل يقول "يا أهل المنزل ساعدونى بصدقة ، بحق حبك للنبى سيد الخلق ، يا أهل المنزل ارحمونى كما يرحمكم الله" .

وأثناء التسول ، خرج رجل عجوز ، وقال له " ايها الشاب يبدو عليك غريباً؟"

قال أسد "نعم ، ودخلت الآن فقط ، أخى هنا خلف المدينة وجئت لأبحث عن طعام" ، أبدى العجوز أنه يشفق عليه، وأمسك يده وقال "ادخل لأحضر لك ما تأكله ،

هل سمعت؟" ،قال أسد "وهو كذلك" وتبعه وهو يقول "الله يتقبل ، ويشكركم النبى ، اللهم يجعلنا فى شفاعته" وأنصت فلم يسمع العجوز يقول آمين ، حتى دخلا وسارا حتى آخر المنزل.، وأدخله حجرة وأغلق الباب، وكلف فتاة برعايته كما يراعى الخروف ، وطلب منهما أن تقدم له الطعام كل يوم مرتين ، فى الصباح والمساء والماء كذلك مرتين كل يوم.

لقد كان هذا الرجل مجوسياً ، كان يسمى كبير السحرة ، وكان يفعل ذلك كل عام، فيقبض على مسلم للتضحية به إذا أقبل شهر صعود السحرة على جبلهم ، فيذبحون المسلم ويقدمون دمه قربانا للأصنام ، وبعض الوثنيين يقدمون خرافا، والبعض الآخر يقدم أبقارا ، والفقير يقدم دجاجة ، أما هو كبير السحرة فلا بد أن يقدم إنسانا كل عام ، والآن شهر الصعود على الجبل لتقديم الضحية للأصنام قد اقترب ، ولذلك أخذه وسجنه ليقدمه قربانا . هذه هى قصة أسد.

أما أمجد فقد انتظر حتى قرب غروب الشمس ، فلم يعد أخوه ، فتبعه ليبحث عنه ولما دخل المدينة تقابل مع رجل مسلم ، فسأله هل رأى أخاه خرج من هنا وأعطاه أوصافه.

قال الرجل "لا لم يره " ، وقال "لعلك غريب" .

قال أمجد "نعم"

قال هذا الرجل "ألا تعرفون ما فى هذه المدينة ، يوجد بعض المجوس يعبدون النار والأصنام ، إذا وقع فى يد واحد منهم ، لا يراه أحد إلا بمشيئة الله ، والأفضل أن تنجو بنفسك طالما أن المغرب اقترب ، وينبغى أن تتبعنى حتى نذهب إلى منزلى ، لتعيش معى، وتدخل المدينة كل يوم لتبحث عن أخيك ، وإذا شاء الله وكان لكما نصيب تلتقيان .

قال أمجد "وهو كذلك "،واتبعه وذهب إلى منزله ، وكان هذا الرجل يعمل إسكافيا، عاش معه أمجد يتعلم حرفة الإسكافى ، وفى النهار يذهب إلى المدينة ليبحث عن أسد وكان ينادى دائما ، وأسد هو الآخر مسجون كذلك دائما ،ولا يعرف أحدهما أين أخوه .

وذات يوم كان أمجد يتجول ، فتقابل مع مومس ، فلما رأته طلبت أن يتزوجها ، فرفض ، لأنه صبى، صغير أين هو والزواج من مومس ؟، فهو لم يتزوج من قبل ،

فتبعته المرأة ، وقالت "حيثمـا يدخل ستتبعه حتى ترى منزله ، وأنها لا تريد أحدا سواه ، ولابد أن يتزوجها" ، وعجز أمجد عما يفعله مع هذه المومس ، فحيثما يضع قدمه يجدها خلفه ، ولايستطيع أن يعرفها منزله خجلا ، ولذلك أخذ يتجول فى المدينة ، يدخل حارة ويخرج منها إلى أخرى ، وكـان يعتقد أنها إذا تعبت من التجـول انصرفت عنه ، فيذهب إلى منزل ، إذا سـألته أين المنزل يقـول لها "اقتـربنا منه"، ولعلك تعـرف الأمر بالنسـبة للغريب وأثناء السير سلك طريقا ضيقا ، وكان فى آخره منزل ، فوجد الباب مغلقا.

قالت المومس . "هذا منـزلك ؟ ، إنه جميل ، هل كل خـدمك خرجوا يتـجولون؟ ،أرى المنزل مغلقا" .

عجز أمجد عمـا يقوله ، وليس هناك فرصة لأن يقول أن هذا ليس منزله طالم–ا أن الط–ريق جـاء بهما إلى هنـا، وهل ينسى الإنسان طريق منزله ؟، ولا يريد أن يـقول أنه غريب ، لأنه لا يعرف سلطة من سيدخل ، لذلك قال "نعم ، أنا بعثتهم" .

قالت المومس "إذا لم يعودوا نكسر قفـل الباب لأرى منزلك ، حتى أعود يوما، إنى إذا لـم أتزوجك لن تهدأ نفسى" .

قال أمجد "وهو كذلك ، ننتظر حتى يعودوا. "

انتظرت المومس فلم يأت أحد ، فأخذت حجرا وكسرت الباب ، وقالت "أنا لم آت للانتظار لأرى منزلك فقط للمـستقبل" ثم دخلت ، وخـيل لأمجد أن يهرب ويتـركها ، ولكنه دخل رغم أنه لا يعرف صاحب المنزل.

فلمـا دخلا وجـدا المنزل مفـروشاً ، والطعـام ألوانا ، وضع فوق المائـدة وكرسـيان معدان، فـجلست المومس على إحدهما وفتحت إناء الطعـام وأخذت تأكل ، وهى تقول "خدمك هؤلاء ممتازون ، هل هم الذين طهوا؟"

قال أمجد "نعم" ،وطلبت منه أن يجلس ويأكل ، وقلبه يخفق ، فهو لم يعرف صاحب هذا المنزل الذى دخله ، فلما رأته المومس صامتا ، تحدثت إليه وسألته« هل أنت مريض؟»

قال "صحتى جيدة ، لقد أضاع الخدم بعض مالى" .

وهما على هذه الحـال سمعا شخـصا قادما ، فـقام أمجد وقابله ، لـقد كان رئيس حاشية المدينة ، وهذا منزله ، أمر أن يبنى له ليسـتريح فيه ، والطعام الذى قلت لك أنهما أحضروه له من منزله الكبي ؛ لأنه سيأتى اليوم هنا ليستريح .

عندما رآه أمجد قص له كل قصته ، وقال إذا كنت ستقتلنى ، فاقتلنى، فهو لا يبالى بالموت بعد أن فقد أسداً.

قال له رئيس الحاشية "لن أقتلك ، طالما أنك قلت أنه منزلك ، فإذا دخلت فعاملنى كخادمك . وعاتبنى على سبب خروجى ، وأمرنى بعمل بعض الأعمال" .

قال أمجد "وهو كذلك" .

وعندما عاد تبعه رئيس الحاشية ،فأخذ يعاتبه ، لماذا خرج يتجول ، وقد طلب منه أن يكنس المنزل ، وأن يهويه.

انحنى رئيس الحاشية يعلن توبته ، فقالت المومس "الأفضل أن تضربه" .

قال أمجد "أنت على حق ، ولكن إذا كرر ذلك" ، وأكلا الطعام معا، وأحضر رئيس الحاشية لهما الماء ليغسلا أيديهما ، واتخذ جانبا ، حتى غلبه النوم.

فلما غلبه النوم ، قالت المومس لأمجد أن يقتله ، لأنها تكرهه ، وطالما هو فى المنزل فلن تتزوجه، وادعت أنه قبيح المنظر ، ومثل أمجد لا يحب أن يكون خادم منزله بهذه القباحة.

قال أمجد إنه لن يقتله ، فقالت المومس « إنه لم يقتله ستقتله هى» ، وقامت وأخذت السيف وهمت بقطع عنقه ، فأخذ منها السيف ، وطلب أن تتركه ليقتله بنفسه ، فأعطته السيف ، فقطع رأسها ، وأنقذ رئيس الحاشية ، وأخبره بكل ما حدث ، فتعجب وقال يجب أن يلفاها فى حصيرة ، وطالما أنه من أهل المدينة يحملها فى هذه الليلة إلى البحر ، ويلقيه. قال أمجد "وهو كذلك" ،فقام وساعده ولف المومس فى حصيرة ، وسلمها لرئيس الحاشية ، وعاد هو إلى منزل الاسكافى الذى يعيش فيه.

وعندما جاء الليل أخذ رئيس الحاشية المومس وقصد البحر ، وتصادف وجود قاضى المدينة هناك يتنسم الهواء بالليل ، فلما رأى رئيس الحاشية ، قال "أين ستذهب يا رئيس الحاشية بهذا المتاع بالليل؟"

عجز رئيس الحاشية عما يقول ، فاقترب منه القاضى ، وقال لابد أن يرى ما يحمل، فلما رأى امرأة ميته ، قال " لا ، لا ، هل بدأت تقتل الناس وتسلب أموالهم ؟ ،لقد كنت أعرف أن أموالك ليست حلالا ، وعندما انصرف لم يتوقف إلا فى منزل الأمير،

وقص له كل خبر رئيس الحاشية ، فلما سمع الأمير ذلك بعث من يستدعى رئيس الحاشية، وسأله، لم يستطع أن ينكر لأنه لا توجد فرصة للإنكار".

عندما طلع النهار أمر الأمير الشرطة أن يطلبوا رئيس الحاشية ، ويذهبوا به إلى السوق حيث تقطع رأسه ، ومر المعلن في المدينة حارة حارة، ليعلن على الناس ما فعل رئيس الحاشية ، وكيف وجدوه ، والحكم الذي أصدره الأمير عليه ، ويقول «لا يتخلف أحد عن الخروج إلى السوق ليراه ، ليكون عبرة لمن يراه».

وكان أمجد بالمنزل يخيط حذاء ، فسمع الإعلان ، فعرف ما حدث ، فترك أدوات الخياطة ، وأسرع إلى السوق ، فوجد الأمير قد خرج ، وأحاطوا برئيس الحاشية ليقتلوه ، فتقدم أمجد ووصل إلى الأمير وقال له " إن رئيس الحاشية ليس مذنبا لأنه لم يقتلها ، أنا المذنب ، أنا الذى قتلتها"

سأله الأمير عن قصته ، فقصها له حتى أخذه إلى حيث التقى بهذه المرأة ، وكيف قتلها ، عندما سمع الأمير ذلك أمر أن يطلق صراح رئيس الحاشية ، وأمر الناس بالإنصراف، وتعجب من أمر أمجد ، وهذا الوعد الذي وفي به ، وقال له "إنه ليسمع عن قصة الأمير قمر الزمان منذ مدة طويلة ، والسفر من هنا إلى مدينته يستغرق شهرين ، دون التوقف في الاستراحة ، ومن أجل هذه الشجاعة التى ابداها ، وقصته التي بعثت الشفقة ، ولأنه ابن أمير ، عينه وزير المدينة.

وزاد احترام الناس لرئيس الحاشية ، للحرية التى نالها ، وعاشوا معا هو والأمير والوزير.

وأمر ألأمير الناس أن يتفقدوا المدينة لعلهم يرون أسداً ، فلم يره أحد لأنه مسجون في منزل كبير السحرة ، في حجرة الماعز ، لا يذهب إلى هذا المكان سوى الساحر وابنته، التى تحرس الولد ، هذه هى قصة أمجد.

أما أسد فكان كلما مر عليه هذا المجوسى يجلده خمسين جلدة ، واستمر على هذه الحال مدة ثلاثة أشهر ، حتى حان.وقت الذهاب إلى مكان تجمع السحرة ، فوضع أسداً في صندوق وأغلق عليه ، وحمله إلى شاطئ البحر ، ووضعه في المركب ، واستعدوا للرحيل وإذا برسل الوزير أمجد ، جاءوا ليبحثوا لعلهم يجدون أسدا حتى تهدأ نفسه ، ومع ذلك كان لا يكف دائما عن البكاء ، وإرسال الرسل في كل مكان لعلهم يعثرون

على أخيه، فـفحصوا الناس جـميعا لعلهم يجـدون أسدا ، فعادوا ، وسارت الـسفينة ، وأثناء السفـر في البحـر بعد أن قضـوا ثلاثة أيام هبت الرياح ، وهاجت أمواج البـحر ، وغيرت المركب طريقـها ،وذهبت بهم إلى جزيرة كبـيرة لم تكن هدفهم ، فوجـدوا أميرة مسلمة تملكها اسمها ميجيانتو.

وكان هؤلاء الوثـنيون يعرفـون أن هذه الأميـرة مسلمـة ، لذلك عندما سألـتهم عن وجهتهم قـالوا ألهم تجار للعبيد ، وباعـوا كل ما جمعوا ، إلا عبـدا واحدا ، وأخرجوا أسدا ، وعرضوه عليها ، وقالوا " أما هذا فلن يبيعوه "

نظرت الأميرة إلى أسـد ، فرأت نور الإسلام يضئ جبينه ، ورأت أنه ليس شـخصا عاديا ، لذلك حـاولت كثيرا أن يبـيعوه لهـا ، فرفضوا ، فنظرت إلى أسـد وقالت "هل تعرف الكتابة ؟"

قال أسد " نعم نصرك الله "

فأمـرت أن يأتوا لها بقلم ومحـبرة وكتب لهـا قصته كلهـا ، وعندما قرأتهـا فاضت عيناها من الدمع ، ونـظرت إلى هؤلاء الوثنيين وقالت "لقد طلبت مـنكم بيع هذا الغلام لى فرفضتم فاذهبوا لقد اسـتوليت عليه منكم"، ذهب أصحاب المركب إلى منزله ، وهم في حزن لسلب أسد منهم ، ولم يعرفوا ما يفعلون ، هل يعودون أم يواصلون الرحلة.

وقدمت له الأميرة طعاما عاديا فأكل وشبع ، وجلسا وأخذ يقص عليها قصته كلها ، وعندما حان المغـرب دلته الأميرة على الحجـرة التى ينام فيها ، ليرتاح قـبل أن تعيده إلى مدينتهم ، فدخل ونام ، وأثناء النوم شعر أن كل جسمه يؤلمه ، لعلك تعرف من ظل ستة اشهـر سجينا فـي حجرة ، وثلاثة أيام مـوضوعا في صندوق لا يـريد شيئـا سوى أن يمد رجليه ، لذلك قـام وقصد باب المنزل ، ومـد رجليه فرأى بئرا صـغيرا فـجلس بجوارها ليتنسم الهـواء ، ما أدراك ما التعب، أخـذه النوم ، وأثناء النوم على حافة البـئر ، خرج كبيـر السحرة من منزله يتـجول ، وهو في غاية الحزن يبـحث، لعل الله يرزقه ولو بطفل رضيع يسرقونه ويهربون به.

وإذا بهم يعثرون على طفل نائم لم يعـرف من هو ، فنادى إخوته وحملوه بهدوء ، ووضعوه في الصندوق الذى أخـرجوا أسد منه ، وأغلقوه، وركبوا مـركبهم ، وهربوا في الليل.

فلما استيقظ أسد وجد نفسه داخل صندوق ، فقال لا حول ولا قوة إلا بالله ، ولما رأى كبير السحرة أسداً تنهد مسرورا ، وقال هو الكافر ابن الكافر حفيد الكافر ، لقد تزوجته النار وهو تزوجها، ونظر إلى إخوته ، وأراهم أنه أعاد أسدا ، حيثما يذهب سيعود مرة أخرى ، وقال أنه طالما نوى أن يقدم للأصنام دماء أسد فحيثما ذهب سيعود، وقال أن سحره لا يعلى عليه ، فإني قد ورثته ، وركبوا مركبهم وهربوا في الليل.

وعندما طلع النهار بحثت الأميرة عن أسد فلم تجده ، فسألت عن أصحاب المراكب فقالوا أنهم رحلوا منذ الليل ، فحزنت وعرفت أنهم سرقوه منذ وقت قصير ، فقالت لا حول ولا قوة إلا بالله ، واستعدت للحرب لتتبعهم ، ولما كانت مركبها أسرع من مركبهم، رأوا قرب العصر مركبها تقدم عليهم ، وعادوا إلى المكان الذى خرجوا منه ، قرب المدينة التى تولى أمجد الوزراة فيها لأنهم اتخذوا الطريق الذي يعرفونه ، فلما رأوها قادمة شعروا بالخوف ، لأنها إذا رأت أسدا معهم ستهلكهم ، لذلك أخذوا أسدا وألقوه في البحر ، حتى إذا جاءت وفحصت المركب ولم تجده لا تهلكهم.

وألقوا الصندوق وما فيه بيد ترتعش من الخوف ،وشاء الله أن يسعد أسد ، أمسك في الصندوق ودفعته الرياح بسرعة ، وعند المغرب لم يعرف كيف حدث هذا الأمر ، وإذا به عند المدينة التى يتولى أخوه أمجد الوزراة فيها ، ولم يعرف ما حدث لأخيه فيسأل عن منزل.

فلما رأى أن المغرب قد خيم على المدينة ، خشى أن يدخل المدينة في هذا الوقت فيقع في يد رجل سيئ فتحير ولم يعرف أية مدينة هى ، وأثناء هذا التفكير رأى من الأفضل أن يدخل أحد القبور القريبة منه وينام فيها ، وإذا طلع النهار يدخل المدينة ، وما قدر الله ،قدرته تفوق كل شئ ودخل ونام ، هذا ما حدث لأسد.

أما مجيانتو عندما تقابلت مع هؤلاء الوثنيين سألتهم عن أسد فقالوا 'نصرك الله ، لم نره منذ سلبته منا ، وكنا على وشك تتبعه لنراه ، فدخلت به في منزلك، فأمرت أن يفحص كل المتاع فلم يروا احدا ، لذلك عادت إلى منزلها ، وأخذت تستعد ، وتقول لو خطفه الجن أو سرقه الناس ، طالما فيه نفس يصعد وحيثما كان في هذه الدنيا ، حتى لو وهنت قوتى من البحث لا بد أن أصل إليه ، وأخذت تبحث في كل مكان ،وطافت بنفسها الدنيا مع رجالها ، هذا ما حدث لهذه الأميرة.

أما أسد فلما طلع النهار خرج من القبر ، وإذا بأحد الشرطة عائداً من حراسة الميناء لأن الوزير أمجد أمر بأن يحرسه، وكل سفينه تدخل يفحصها جيدا ، لعلهم يجدون أسداً.

فلما رأى الشرطي أسداً ، غريبا ، وشكله تغير عما وصفه الوزير ، ظنه لصا فزجره وسأله من أين جاء ، فاستولى عليه الخوف ، ولم يستطع الرد ، فلم ينتظر الشرطى ، فوضع القيد في يديه ، وأخذه مع الصندوق الذى خرج به من البحر، يظن أنه سرقه ، ودفعه أمامه حتى منزل الوزير،وتبعه أولاد المدينة يهللون.

عندما خرج الأمير وعرض عليه الشرطي أسدا ، فقال له اذهب به إلى مكتب الوزير، وكتب أسمه ، وبعث به إلى القاضي ، بتهمته ، وليعرف أين وجد الصندوق، وما جعله ينام في المقابر بنفسه.

وعندما دخلوا به عند الوزير ، واقتربا من بعضهما سقط كل منهما مغشيا عليه ولم يعرف الناس ما حدث ، فنثروا على وجهيهما الماء ، حتى أفاقا ، فلما رأى الشرطي ذلك، أسرع وفك القيد.

والآن ماذا تظن مدى السرور الذى شعر به أمجد وأسد؟ إذا تركتك، وما تتخيله بنفسك عن مدى السرور الذى حدث ، عليك أن تتخيل أقصى ما يكون من السرور، ولشدة السرور ، لم يفعل أى شئ معهما سوى أن أمر بالعفو عن المسجونين في المدينة ،وأطلق سراحهم ، وأنعم على الشرطي الذى عثر عليه بالخير الكثير، شئ لا يستطيع الإنسان وصفه.

وأثناء هذا السرور كانت تدق الطبول ، رأوا الغبار يعلو ويسد عنان السماء ، فقال الأمير للوزير امجد أن يذهب ويرى ما في الأمر ، إن كانت حربا فاستعد لها ، فلما وصل أوصلوه إلى الأمير ، فوجد القائد ليس أميرا ولكن أميرة ، كانت مجيانتو التى خلصت أسد من كبير السحرة.

ولما سألها الوزير عما جاء بها ، قالت أنها جاءت تبحث عن شاب ، شكله كذا وكذا ويسمى أسد إذا كان هنا يقدمه لها لتعود ، إذا رفضتم ، فإن الآخرة الذ لكم من الحياة الدنيا.

سألها الوزير عن سبب البحث عنه ، فقالت له القصة التى قصها لها عندما خلصته

من الساحر ، وقالت أنها تريد أن تعيده إلى مدينتهم ، ونظرت إلى الوزير وقالت " عجبا، أنتما متشابهان ، لولا أنك أكبر منه سنة ، لقلت أنك هو" .

ابتسم الوزير وقال "نعم أنا أخوه الكبير الذي أخبرك عنى ، وهو هنا في المدينة وصل اليوم ، ثم مضى أمامها ويتبعها رجالها المحاربون ، حتى المدينة حيث الأمير ، وقالوا له ما جاء بها ، وجاء أسد فعانقا بعضهما فى سرور ، وعاد الأمر جميلا.

وبينما هم في غاية السرور ، عند منتصف النهار رأوا على البعد غبارا كثيفا يأتى من جهة الغرب ، فدقت الطبول ، وأمر الأمير أن يذهب الوزير أمجد ويرى ما في الأمر ، قالت مجيانتو "يرى ماذا به، دعوا أى أمير يأتى، أيا كان القادم سيرى نده"

قال الأمير "لا أذهب وانظر: عاد الوزير بهمه ، فلما وصل قادوه إلى الأمير فانحنى وأدى له التحية ، كانت الخيول بلا حد ، كأنها الجراد ، عندما سأل هذا الأمير عما جاء به ، قال الأمير "أنا أمير بلاد الصين ، جئت أبحث عن ابنتى التى تسمى بدور ، تزوجت قمر الزمان ابن الأمير شهر الزمان ، إذا كانت هنا قدموها إلى لأستريح ، وإذا رفضتم ، كل هذه المدينة وما فيها سيتحول الآن إلى تراب ، اليوم مضى على سنوات طويلة وأنا أبحث عنها ولم أرها"

عندما سمع الوزير ذلك انفجر في البكاء لعلك تعرف أنه جده ، وقال له أنه حفيده، وقال له كل أخباره ، وتعجبوا كثيرا ، قال الأمير ، ظننت ذلك لأننى عندما رأيتك أدركت أنك تشبه قمر الزمان ، ودخلوا المدينة وعندما سمع الناس أخبار أمير الصين ، أى سرور نستطيع أن نصفه؟ لا يمكن.

وعلى هذه الحال امتلأت المدينة بخيول أمير الصين ، حتى ربطوها خارج المدينة، ثم رأوا غبارا من جهة الشمال ، فقال الأمير للوزير "اذهب أسال الله أن يجعل هذا اليوم يوما سعيدا" ذهب الوزير ، وقدموه للأمير ، فعندما اقتربا ، لم يستطع الاثنان الكلام ، فقد كان أبوه قمر الزمان والعجوز أمير أبونى ، أى والد حياة النفوس والدة أسد ، عندما قال لهم السياف أنه لم يقتلهما، خرجوا يبحثون عنهما ، قام الوزير وأراه قمر الزمان الجمل الذى تركبه والدتاهما بدور وحياة النفوس ، ورأى أمير بلاد الصين ابنته، لا يمكن وصف السرور في هذا المكان ، فسار في المقدمة ، ووصلوا المدينة ، رأى أسد قمر الزمان، ورأى حياة النفوس وأمه وبدور ، وأمير بلاد الصين رأى ابنته بدور ، يا الهى لقد كان السرور في هذا اليوم يفوق الوصف.

وعلى هذه الحال عم الفـرح أنحاء المدينة من طبل وغناء ، ومزمـار، شيء لم يسمع عنه أحد ، ثم رأوا من بعيد غبارا يرتفع في السماء ، حتى حجب عين الشمس ، فأرسل الوزير أمجد لينظـر ما في الأمر ، فرأى الأميـر شهر الزمان جدهم ، والد قـمر الزمان، وسمع أخبـارا بأنه لم يمت ، تركوا قميـصه في الدم حتى يستمـروا في البحث عنه ، هو الذى جعلهم يواصلون البحث عنه في الدنيا.

عندما رأى أمجد قال "أيها الشاب ، من أين جئت ، أنت من هنا ، هذا دمي"

شرح الوزير أمجد من هو ، فأغـمى على العجوز من شدة السرور ، ووصلوا المدينة فرأى قمـر الزمان والده شهر الزمان ، بدور وحيـاة النفوس رأيا حماهما ، أمـجد وأسد رأيا جدهما ، إن الأمر أكبر مما يوصف ، ولم يستطع الإنسان سوى الذهول ، المدينة التى اجتمع فيها خمسة أمراء ، يكون الجمع جمع فرح وسرور، والمكان الذى يقول الإنسان أنه سيوضح أمـرا فيه لعلك تعرف السـمك في البئر ، هو الذى لم يعرف مـا هى الدنيا. ثم يقول أنه سيكذب الإنسان عبثا ، والافضل أن نترك السر مكتوما.

عندما مـضي سبعـة أيام ، لا نوم في المدينة ، حتى لو أردت النوم لا تجد الفـرصة لكثرة الطبل والغناء والزمـر ، كل من رأى هذا يظن نهاية السرور في العـالم ، ولا يوجد مخلوق واحد خارج هذا المكان ، فهنا تجمع البشر.

ولما دارت الأيام أي بعد سبـعة أيام ، كما قلت الآن وتجمعوا قص لـهم شهر الزمان الصعاب التى عاناهـا في البحث عن قمر الزمان ، وقص لهم أمير مـدينة الصين ما عاناه في البحث عن بدور ، وقمر الزمان وحموه أمير إيبونى ، والد حياة النفوس ، قصا أخبار معاناتهما في البحث عن أمجد وأسد ، وقصت لهم الأميرة مجيانتو الصعوبة التى واجهتها أثناء البحث عن أسـد ، وما فعـلوا مع المومس ، حتى تولى السلطة وقـد تألم كل واحد منهم لما عاناه الآخرون ، ولما بدأ أسد يقص ما عاناه أثناء العـقوبة منذ أن انفصل عن أمجد حتى اليوم الذي تقابلا فيه مرة أخري الأسبوع الماضي، انفجر كل الخمسة في البكاء شفقة عليه.

أمر أمير المدينة الشرطة بالقبض على كبيـر السحرة ، وعند قطع رقبته نطق الشهادتين وقال أنه أسلم ، وفي الحـال أحرقوا أدوات السحر وتركـوه ، واتبع طريق أفضل الخلق ، ولما قضوا سبعة أيام يقصون الأخبار ، ولما انتهت الأخبار واستراح بعضهم سبعة أيام ، أي أحد وعشـرين يوما ، قصد هؤلاء الأمـراء الخمسة المدينة التي تملكهـا الأميرة مجـيانتو ، وجمعوا أمـراء البلاد واقاموا الفرح ، وتزوجت أسدا ، وأمرت وكـيل المدينة ، واتبعته ،

وذهبوا مـرة أخري إلى بلد شهـر الزمان ، وعين قمر الزمـان أميرا مكان والده الذي كـبر سنه، وعاشوا مع بدور وحياة النفوس.

وذهبوا إلى بلاد الصين وعين أمجد أميرا لأنه ابن بدور ، أى حفيد أمير بلاد الصين، وعادوا إلى إيبـونى وعين أسد أمـيرا ، لأنه هو أيضـا ابن حيـاة النفوس ، أى ابنة أمـير البلاد، وعاش مـعه هو وزوجته الأميرة مـجيانتو ، ولما مضى ثلاثة أشـهر هنا ، ذهبا إلى هناك ليقـضيا ثلاثة أشهـر، أما الأمير الذي ولي أمـجد الوزارة زوجه ابنته ، وعـاشا هنا وصارت الدنيا بين أيديهما ، إذا أراد أحدهما الاستمتاع والراحة ذهب إلى مدينة الآخ.

الله أكبر ، حيثما تكون في هذه الدنيا من يرد أن يستـمتع بها يجدها كأنها في قبضة اليد، يا الله ، من أجل نبيك الطاهر ، اجعلنا من الذين لا يموتون حتى يستمتعوا بالحياة الدنيا ، ونترك التابعين الأخيار.

نظر الوزير إلى أمير سيركا وقال "نصرك الله ،هل سـمعت قصة أمجد وأسد الكبار أصحاب الدنيا ، والأمراء الذين يفعلون ما يشاءون ، استمدوا ملكهم منك ، وقد وصلت في الدنيا إلى كل غايتك"

صفق الناس وقالوا "طالما أنك تقص الأخبـار ، لم تقدم أبدا مثل هذه القصة ، في كل هذه الدنيا لم يسمع أحد قصة جميلة.مثل هذه ، توجد قصة جميلة سننصرف دون أن نسمعها"

قال أمير سيركا " ها قصـة بعد قصة ، ولكن يريد أن يبقى واحدة ، ولكن جمعت في خـمسة أمـراء في مديـنة واحدة ، وقلت أنهم طبلوا وغنوا، وهـا قمر الـزمان ورث منازلهم ، أمجد تولى السلطة وكذلك أسد ، ولكن كـل ذلك ولم أسمع شعرا ولا لأمير واحد منهم ، أين هي فصاحة هذه البـلاد ، أنت تعنينا ولكن بالتورية تقول لنا سمكا في بئر؟ ، لقد قلت لك أنه لا يمتعنى لا أن تنتهى القصة بالشعر لجمال صوتك"

هز الوزير الببغاء جناحيه وقال "الآن تسمع ، سـأنشد لك شعر أمجد وأسد فقط ، إذا قلت سأنشد شعرا آخر ، لن يكون الشعر جميلا ، هذا ما يريده أمير سيركا لأنه يعرف أن صوت الـوزير الببـغاء ليس جـميـلا لا يستـمتع به أحـد، يريد أن يجره للغناء حـتى يضحك.

أصلح الوزير الببغاء من صوته وقال" شعـر أمجد أمير بلاد الصين، سأبدأ وبعد ذلك استمر في شعر أسد أخيه الأصغر" ،وأمال رأسه واخذ يقول

" نصرك الله ،لقد سمعت إحدى القصائد مما قيل في أمجد أمير بلاد الصين ، فتح أذنيك لتسمع ما قيل في أسد أمير إيبوني " .

قال أمير سيركا "سأجلس ،ولكن أقسم بعمامة الأمير عبد الرحمن بن الحاج منذ خلقت ، لم تنشد شعرا جميلا مثل هذا الشعر ها الصوت الجميل يفوق صوتنا جميعا"

سمع الوزير الببغاء لسانا معسولا ، يمدحه ، فهز رأسه وبدأ ينشد شعرا في أسد وقد طارت الطيور ظنا منها أنهم يطردونها.

نظر الوزير الببغاء إلى أمير سيركا وقال "نصرك الله ، أتسمع شعره أيضا"

قال الأمراء " إنها جميلة ، ولكن من هو الذي نغمه ، الا تذكر اسمه لنعرفه " .

قال الوزير الببغاء " أحد كبار المدينة ، يريد أن توليه السلطة ، التى تركتها للوكيل عندما ذهب الناس للبحث عن الأولاد"

قال أمير سيركا " هذا الخبر فاق كل شئ جمالا ، ولكن ما يثير دهشتى كيف اجتمع هؤلاء الأمراء الخمسة كلهم في مدينة واحدة ، وفي يوم واحد ، دون أن يتفقوا على هذا اللقاء" ، قال الوزير الببغاء " ألم تبدأ؟ ، اطال الله حياتك ، الإنسان دائما يقدم قصته ، ثم تبحث عما ستقوله لتنتقد شيئا فيها ، إني أقدم لك قصة وليس تاريخا ، فلا تقل أننى أقدم حقائق فيها ، من أين قصصى؟ ،لقد قلت لكم منذ البداية أنها من قصص الف ليلة وليلة ، وحاذق هو الذي بدأها"

قال الأمير عبد الرحمن "هدأ الله من روعك ، ببغاء مجذوم"

قال الببغاء "نصرك الله ،لا أحب أن يقال ببغاء مجذوم هذه ، كيف يكون الإنسان صحته جيدة ، وتناديه بالمريض؟، انظر لإصبعى ، أنا متاكد لا يوجد الآن في الناس من يملك إصبعا جميلا مثل إصبعي ، إلا بعد بحث كثير الصغر عندما جمال تشعر بالسعادة إذا رأيتنا، لا تجد فينا شيئا مذموما، نشكر الله ،حتى حاذق عندما خلقنا جمال، تبارك الله ، بسم الله" انفجر الناس في الضحك ، وتفرقوا.

في اليوم الثاني ، عندما اجتمعوا ، نظر الوزير إلى حاذق وقال "بسم الله قال حاذق " لقد قلت لكم منذ الأمس أن قصصى انتهت ، لماذا مضايقتى؟"

قال الوزير الببغاء "صبرك الله وهو كذلك، اسمع لتستفيد "، ثم استمر :

اترك الحاقد فى حاله بعد قليل يكشفه الزمان

يوجد رجلان في الشمال يعيشان في قرية واحدة أحدهما يسمى سيدى ،والآخر يسمى تنكو ، ومع أنهما يعيشان متجاورين إلا أن طباعهما مختلفة ، لأن سيدي خلقه الله صبورا كالصخر ومحسناً وشفوقاً ، بصورة لا يمكن وصفها ، أما تنكو فحيثما يكون الظالمون تجده يفوقهم في القسوة، كأنه رجل شرطة بخيل يضرب به المثل.

كانا يعيشان معا على كل حال ، ولا يعرف ذلك إلا القريب منهما، لا توجد مضايقات في الحياة إلا وفعلها لجاره ، ومع ذلك لا يهتم سيدى بذلك "إذا ضايقه أمريتنهد ويقول "الصبر ثراء" .

وكان سيدى يمتلك حصانا أسود فحلاً لا يوجد مثله في كل المدينة ، أما تنكو فلا يملك إلا حمارة عرجاء تملكها زوجته ، أما هو فمعدم ، ولا شئ يؤذى عين تنكو إلا أن يرى سيدى يركب حصانه ويخرج به للنزهة ، حتى أن تنكو أخذ يفكر فيما يفعله ليسرق حصانه ويبيعه للفرنسيين.

وهما على هذه الحال ، رأى تنكو ذات يوم سيدى يركب حصانه ، ويذهب إلى قرية صغيره ليزور خالته المريضة ، فاستعد ليسير خلفه ، وفكر أن يقتله ويأخذ الحصان ويهرب به ، فرأى ربما يراه أحد ،وربما لا يراه أحد،وإذا جرب قوته وما يأكل من ثريد فلن يستطيع أن ينتصر على سيدى، لذلك غير الحيلة وأتى بخرقة بالية ولبسها ، ودهن وجهه بالنيلة ، وربط رجله بخرقة كأنه مريض ، وخطف قبعة من الخوص وعصا طويله ووضعها ، وجمع ملابسه الجيدة وأخفاها في مكان بعيد على أن يعود لها بعد ذلك ، وأخذ يتوكأ على العصا ، كأنه لا يستطيع المشى بسهولة .

وبعد قليل عاد سيدى ، فلما رآه تنكو ، كلمه بطريقة ماكرة ، وقال " ياعبد الله ارحمنى وأردفنى على حصانك ، إنى أعانى من المرض ، خرجت من الصلاة يوم الخميس، ولكن حتى الآن لم أصل إلى المدينة ، بحثت عن مكان أتسول فيه الطعام فلم أجد ، ومنذ مغرب الأمس لم أضع شيئا فى فمى "

عندما سمع سيدى ذلك أشفق عليه ، ونزل ، ووضع يده فى جيبه وأخذ قرشا وقال " ها صدقة لوجـه الله ، إذا وصلنا إلى المدينة اشترى بهـا طعاما " ،وجذبه ليـركبه على الحـصان ، وهم هو الأخـر أن يركب ، ولكن تنكو ضـرب الحصـان بالمغمـاز واندفع فى الجرى ، ولما رأى أنه بعـد عن سيـدى ، ولا سبيل للإمـساك به ، جـذب مقود الحـصان والتفـت وقال له "أنا لص ، وصحـتى جيـدة ، وأريد أن أسرق حـصانك ، وانتـصرت عليك، وها أنا أرحل "

قال سيدى " بالله انتظر اسمع كلمـة واحدة"، إذا وصلت لا تخبر الناس بهذه الحيلة التى فعلتها وأخذت الحصان "

قـال تنكو " ماذا يمنـعنى أن أخبـر إخـوتى ، سيـشكروننى على هذا الذكـاء الذى أظهرته"

قال سـيدى " إنى لا أخاف من شىء ، إلا أنك إذا قـلت ، وسمع الناس ،إذا رأوا مريضا صادقا بعد ذلك فى الطريق ، وطلب مـساعدتهم ، لن يساعدوه ، لأنهم سيظنون كل الناس مثلك ، أرأيت أن فـعلتك هذه ستسد الـطريق على العاجزين ، حتى يتـركهم الناس يهلكون بسبب الخوف "

قال تنكو " كلام فـارغ ، ما شأنك بهذا ؟" ، واندفع فى الجرى ، وجـمع ملابسه الجيدة ، ورمى الخرق البالية ، وقبل حلول المغرب تخطى الحدود ، ولما كانت المدينة قريبة من الحدود ، باع الحصان واشترى إحدى عشرة بقـرة وساقها، وبعد خمسة أيام وصل إلى المنزل ، وربط الأبقار ، وتركها ترعى ، وتعجب الناس كيف صار ثريا بسرعة هكذا ، أما سيـدى ، فمنذ أن سـرق منه الحصـان عرف صوته ، فلـما عاد إلى المنزل سـأل عنه فلم يجده، فتأكد ، ومع ذلك لم يقل لأى إنسان.

وذات يوم اشترى خال سيدى عشـر بقرات ، وطلب من سيدى أن يرعاها ، قبل أن يعود من فرح دعى إليه، فربط سيدى الأبقار عند منزله .

فلما رأى تنكو الأبقار عند سـيدى ، بدأ يشعر بالحقد ، فذهـب إلى بيته وقال له " لأنك رأيتنى أرعى الأبقـار ، لتقلدنى ذهبت واشـتريت ، وهو كذلـك ، ولكن احذر لا تخطىء وتترك واحدة منهـا تدخل مزرعتى ، وتأكل ورقه واحـدة من العشب الجاف الذى تركته لتأكله أبقارى مسـتقبلا ، واعلم تمام العلم ، إذا رأيت ثورك فى مزرعتى ، لابد أن أقتله" .

قال سيدى " سمعت ، الله يصلح " ،ومرت الأيام ، لعلك تعرف أنه لا يعلم الغيب إلا الله ،ذات يوم خرجت بقرة من أبقار سيدى بالليل ودخلت إلى مزرعة تنكو خطأ ،وأخذت تأكل العشب الجاف ، فلما سمعت زوجة تنكو حركة فى المزرعة قامت ونظرت ، فوجدت من بعيد ثورا ، فجاءت وأيقظت زوجها وقالت " أتعرف أن سيدى يحتقرك ، إن ما حذرتك منه قد حدث ، لقد قلت له ألا يترك أبقاره تأكل عشبنا الجاف ، هاهى هناك لقد أطلق واحدة عمدا فأكلت العشب كله . "

عندما سمع تنكو ذلك ، قام غاضبا ، وأخذ القوس والجراب وذهب إلى المزرعة ، ونظر إلى الثور وأطلق عليه سهما فسقط ميتا ، وفى الصباح ذهب بلا حياء ,ولا خوف وقال لسيدى ما فعله .

قال سيدى " ياخسارة اللهم احفظنا" ،وسحب الثور وذهب به إلى الغابه وألقاه ، تضايق الناس وتضايقت زوجته ، وقالوا لابد أن يرفع شكوى ، فقال أنه لن يفعل ذلك ، الصبر نعمة "

غضبت امرأته وقالت " أنت تركته أما أنا فأعرف ماذا أفعل لأنتقم ، إذا كنت تتباهى بالصبر فانا لا أستطيع أن أصبر ، ماذا نقول نحن النساء ، أيقال أننا تركناه خوفا منه "

وصبرت زوجة سيدى حتى مر حوالى عشرة أيام ، حتى نسى الجميع هذه الحادثة ، وقامت ذات يوم بالليل وتتسلل ، وذهبت إلى حظيرة تنكو، وأطلقت سراح كل الأبقار وطردتها من الحظيرة إلى مزرعته ، فأخذت تأكل العشب الجاف الذى يتكلم عنه ، فلما سمعت زوجته قامت تنظر ، فرأت من بعيد أبقارا بيضاء فى المزرعة تأكل العشب الجاف، فظنت أنها أبقار سيدى، فأيقظت زوجها وقالت له " واخسارتاه ، غدا نستعد للمشاكل "

فقال لها تنكو " أى مشاكل ؟ ، خيرا ؟ وأى مشاكل ؟"

قالت الزوجة " لأنك قتلت لسيدى عجلا صغيرا منذ أيام يغضب اليوم ، ويطلق كل الأبقار وتأكل كل العشب الجاف ، فليفعل كل ما يريد، أنت تعرف كل هذا الاحتقار الذى بينك وبين سيدى ، لا نهاية له "

عندما سمع الزوج ذلك ، غضب ، وأخذ القوس والجراب ودخل المزرعة ، وأطلقها على كل الأبقار فماتت ، وعاد إلى المنزل وقال لزوجته " قتلتهم جميعا ، وغدا يكن ما يكون وأعرف أنه لن يقتلنى لأنى قتلت ثورا واحدا" .

قالت الزوجة " دعك من مشكلة القتل ، لن يستطيع أن يحدق فيك بعينيه ، الم تحذره من البداية" .

وعندما طلع النهار ذهب تنكو إلى سيدى ، وقال " قتلت كل أبقارك التى تركتها تدخل مزرعتى ، أى مكان تأخذنى إليه ، اذهب وخذنى" .

قال سيدى " أما كل أبقارى هنا مربوطة ، خرجت الآن من عندها ، ربما تكون لأحد آخر ، أهل هذا الزمان لا يسمعون الكلام . "

عاد تنكو إلى المنزل ، وذهب إلى الحظيرة ، فلم يجد ثورا واحدا ، فأمسك رأسة بين يديه وأخذ يقول «لا حول ولا قوة إلا بالله »، خرجت زوجة سيدى وقالت " أنا الذى أطلقتهم ، اذهب أنت أيضا حيث تريد أن تشكو " .

عجز تنكو عما يمكن أن يقوله ، ثم انهال على زوجته لوما ، يقول هى التى جعلته يقتلهم ،وانهال عليها ضربا ، حتى كاد يقضى عليها ، ووقف على قلبها ، فسقطت ميتة، فقبضت عليه الشرطة وقادوه إلى منزل الأمير ، فسأله ،فذكر السبب الذى جعله يقتل زوجته ، وقال كل شىء .

قال الوزير " من أى حى هو ؟" ونظر إليه ، وقال " إنى أعرف أنك لا تملك دجاجة ، من أين حصلت على عشر بقرات ؟»

قال تنكو " نعم ، غفر الله لك ياسيدى ، الله رزقنى بها "

عندما أدرك الأمير أنه غير صادق ، جعل الشرطة تستجوبه ، فأخذوه، وانهالوا عليه بالسياط كالمطر، حتى قال الحقيقة ، وكيف سرق الحصان من سيدى ، وما قاله له سيدى قبل أن يتركه .

أمر الأمير أن يستدعى سيدى ، وسأله عما فعل بحصانه ، فقال كل شىء للأمير ، فوجد أن كل ما قاله مطابق تماما لما قال تنكو ، فدعى له الأمير بالبركة ، وفى الحال عينه أمينا على بيت مال المدينة ، بدلا من الذى مات ، حيث بحثوا عن شخص لا يخون الأمانه فلم يجدوا .

وأخذوا تنكو إلى السجن ، وبدأوا فى مراسم توليه السلطة ، ولما انتهوا قرب الظهر أمر الأمير أن يأتوا بتنكو ، وقام الأمير بنفسه ، وأخذه إلى السوق مع أمين الخزانة سيدى، وأعلن الناس بالاجتماع ، وقال الأمير لتنكو أن يقول كل ما فعل مع سيدى منذ

البداية حتى النهاية ، وعندما انتـهى ، قال كل الناس الحاضرين فى السوق "الله يلعنك يا تنكو" .

أمر الأمـير أن يطعن ، فلما نظروا إلى سـيدى وجدوا دموعـه تتساقط من عـينيه ، وانحنى للأمير وقال أنه يرجو الأمير أن يعفو عن تنكو ، إذا كان القتل بسببه.

قال الأمير "لا فـرصة للعفو ،كل من قتل شخصـا لابد أن يقتل ، وإذا وافقت هل يوافق والداها، ليس هذا هو أول ذنب يرتكبه لك ، سأقتله لأنه قتل زوجته ، ولكن طالما سألت الصلح معـه ، وافقت على طلبك ، فبدلا من طعنه سآمر أن تقطـع رقبته ، ونظر إلى السياف وقال "اقطع رقبة هذا الظالم" .

وفى لمح البصر ، كـان السياف قد قطع رأسه وسـقطت على الأرض ، وفمه يعض التراب ، اللهم احفظنا من خيانة الأمانة ، والحقد ، والظلم ، آمين.

والتف الأطفـال حول أحـد الأبناء الذين أنجبـهم تنكو وأخـذوا يعيـرونه ، إذا تكلم يقولون له "حتى أنت لا تخجل من الكلام؟"، الظالمون الذين خلـقهم الله فى الحياة الدنيا اثنان أبوك والذئب ، وقد رأينا نهاية أبيك، ولا ننتظر الآن إلا أن نرى نهاية الذئب" .

تعجب الناس من صبـر سيدى ، وكادوا ينصرفون ، وإذا ببعض جـنود سيركا يأتون بالولد الطويل . فلمـا تبادلوا التحـية معـهم ، وقدموا لهم الطـعام وأكلوا ، التفت أمـير سيركـا إلى الولد الطويل وأمره أن يقول حـقيقة مـا جاء به إلى سيركا واسـمه الأصلى ، والمدينة التى جاء منها.

نظر الولد الطويل إلى الأمير وقـال "لقد قلت لك أن أسمى الولد الطويل وقلت لك اسم مدينتى تسـا وهى هنا فى الشرق، ومنذ أن خرجت من مدينتـنا لم أسرق أحدا ، إذا تعبت من بقائى ، ألا تدعنى انصرف ، ثم تبعث لأوضع فى القيد ،

لقد جئت للزيارة وأنال بركتكم ، ولم أنلها ، ولكن نلت السجن" .

نظر إليه الوزير الببغاء وقال "نحن لا نريد الشـرثرة ، قل لنا الحقيقة ، عندما خرجت من سَرَى، وعدك أمـير سرى بخمـسمائة جنيه ، فمـا هو الأمر الذى طلب منك أن تفى به؟"

نظر الناس إلى الببغاء الوزير ، ولم يعرفوا ماذا يقصد ، ورأوا الولد الطويل يغير من جلسـته ، ويقول "نعم ، نصرك الله ، والله يكذب"

قال الوزير الببغاء "كل سرك مكشوف ، قل الحقيقة ، إذا كنت تبقى على حياتك"

قال الولد الطويل " والله تالله كذب"

نظر الوزير الببغاء إلى السياف وقال "أخرج به ، وقدم لنا رأسه ، طالما أنه يرفض قول الحقيقة" ، أسرع السياف ورفعه إلى أعلى.

فلما رأى الولد الطويل أن الشجعان ذهبوا ، قال "انتظروا ، والله سأقول الحقيقة ، طالما أنك قلت إذا قلتها سأنجو ، أمرني أمير سرى أن آتى وأحاول قتل أمير سيركا ، وسيعطينى خمسمائة جنيه"

قال الوزير الببغاء "أكمل ، لست وحدك ، أنت والحارس الشخصى لسيركا ، ومن أيضا ضمه إلحكم ، والحارس الشخصى يجلس هنا أمام أمير سيركا ، فلما سمع اسمه يذكر ، قام واقفا ويقول "ما شأنى، ما شأنى ؟، أنت أيها الببغاء الصغير ، هكذا تثير الخصومة"

قال الولد الطويل "أى نوع من الخصومة بينى وبينك ؟، والكاتب العجوز ، ورئيس الحرس المقال وحاكم باسو"

قال الوزير الببغاء "لقد عرفنا ذلك من قبل ، كيف عزمت على أن تقتلوه عند قنطرة نهر كتنجا ؟ " .وجم الناس جميعا وحدقوا فيه.

نظر الولد الطويل إلى الببغاء وقال "هؤلاء الناس ، وضعناهم عند شاطئ القنطرة،وعندما نسمع أن الأمير عائد بعد غد ، وفى نيتهم أن يكسروا دعائم القنطرة ، ويدعوها تنهار، حتى إذا جاء بالسيارة تتهدم ، وإذا رأوه مات فى هذا الوقت يتم كل شيء، فيذهبون ويأخذون هذه المئات من أمير سرى ، وإذا رأوا أنه لم يمت ، يندفعون كأنهم يريدون مساعدته، ويقتلونه ، هذا الأمر الذى ذكرته ، وقدموا لى القرآن للقسم عليه ألا أخالفه ، هذه حقيقة" .

قام الحارس الشخصى وأخذ يكرر القسم أن هذا كذب ، وأنه لا شأن له ، وفى الحال ضربه الشرطة، وقيدوه ، فخرج وهو يكرر القسم ، وبعثوا بالشرطة بسرعة ليحضروا الكاتب العجوز ورئيس الحرس الذى خرج وحاكم باساوا.

وقبل أن يخرجوا ، قال الوزير للشرطة "إذا وصلتم بالقرب من قنطرة فى كتنجا ،

أطفئوا النار ، وتسللوا فى الغابة إلى الغرب من الطريق واقبضوا على كل من ترونه ، وانطلقت السيارة بينما وجم الناس ، ينظرون إلى الوزير الببغاء ، وعجز أمير سيركا عما يقوله للوزير ، وكان يحدق فيه فقط ، وبعد قليل قام الجميع وذهبوا إلى المنزل ، أما أهل سيركا الذين أخذوا يتعجبون من أمر الببغاء صمتوا.

وعندما طلع النهار ، اجتمعوا مرة أخرى فى مجلس الأمير عبد الرحمن، فقال أمير سيركا للوزير الببغاء" بعد غد ، سأذهب إلى بلدى لأبحث ما فى الأمر ، ولكن لن أمكث أكثر من ثلاثة أشهر وسأعود إلى بلدكم هذا"

قال الوزير الببغاء " إن شاء الله ، ولكن دعنى أقول لك بعض القصص القصيرة ، التى تسرك ، قبل أن يعود هؤلاء الناس " إنى أراك غاضبا"

قال أمير سيركا "إنى غاضب ، بالله عليك قص ، لعلى أكون مسرورا"

قال الوزير الببغاء "وهو كذلك ، وربنا يصلح".

إذا كان الساحر غاضبًا فسد سحره

في إحدى المدن في كنو ، كان يعيش رجلان ، أحدهما يسمى جاتو، والثاني يسمى طنسندا ، ليس لهما أية صناعة إلا أن يذهبا إلى الغابة لقطع الأخشاب وبيعها ، ولما كانت صناعتهما واحدة ، تصادقا مع بعضهما ، الليل فقط يفصلهما عن بعضهما ، لعلك تعرف أن الإنسان ليس له حديث إلا عن صناعته ، ولذلك كان حديثهما دائما ، أين سيذهبان ليجدا خشبا جيدا.

وهما على هذه الحال، قالت زوجة طنسندا له ألا ينتظر جاتو اليوم، ويذهب وحده لقطع الأخشاب ، لأنه دائما إذا ذهب مع جاتو لايجدان خشبا كثيرا ، وإذا وجداه لا يبيعانه بسرعة ، وقالت له جاتو سئ الحظ، لذلك رأت أن تبعده عن زوجها حتى لا ينحسه.

عندما جاء وقت الخروج ذهب جاتو إلى منزل طنسندا ليذهبا معا، فقالت زوجته "سبقك وخرج" ، فتعجب مما جعله يسبقه ويخرج ، ولم يجد سببا ، وذهب إلى مكانه، وسار حتى وصل إلى الغابة ، ثم توغل فيها فوجد صندوقا في أحد كهوف الأشجار، فجذبه وفتحه، وإذا بمال كثير ، سرقه اللصوص وأخفوه، فوقف يشكر الله ، فأخذه وغطى فرع الشجرة ، وعاد إلى المنزل.

ولما وصل المدينة قصد منزل صديقه طنسندا ، فوجده قد عاد منذ قليل، فأعطاه هذا الصندوق أمانة ، لأن منزله لا يوجد فيه مكان أمين ، أخذ طنسندا الصندوق ، وأثناء الليل قالت له زوجته "لابد أن نفتحه لنرى هذا الشيء الثقيل الذى بداخله".

وفتحا الصندوق فوجدا المال الكثير ، فلما رأت ذلك قالت لزوجها "إذا سألك قل أنه لم يعطك شيئا ، وأنه يكذب ، ويذهب حيثما يريد ، ومهما أذاقوك من عذاب لا تكشف السر ثم لعلك تعرف أن الراحة تكون بعد التعب ، رجل مثلك لا يضعف أمام الصعاب".

فقال "ربنا يسهل ،هل مثلي يجبن .تعرفين أننا لو حصلنا على هذا نسعد"

قالت "أمسك لسانك أنت" وأخفيا الصندوق.

وبعد حوالى ثلاثة أيام ، جاء جاتو وقال "طنسندا أريد الصندوق"

قال طنسندا "أى صندوق لك؟، أنت لم تعطنى شيئا"

قال جاتو "ألا تكف عن المزاح ، بالله عليك أعطنى إنى متعجل"

قال طنسندا "والله ليس علي لك شيئ عندى"

قال جاتو "حتى تقسم بالله"

قال طنسندا "الله ، أنا لا ألعب معك ، كيف ذلك؟،رويدا رويدا ، وصل الأمر إلى القاضى"

بعد أن كرر الكلام ، بحثه القاضى الأمر بقدر ما يستطيع ، فرأى أنه لا يوجد سند يعتمد عليه ، وتركهم حتى الغد.

عندما طلع النهار ، عاد إلى منزل القاضى ، حاول القاضى كثيرا، رفض طنسندا قول الحقيقة ، وهم أن يحلفه ، فقال جاتو "أتركه حسبى الله".

عند عودة جاتو إلى المنزل ، فكر كثيرا ، وعمل شبه إنسان من الحطب ، وصنع له رأسا صغيرا ، وأيد صغيرة.

ولما انتهى حمله ووضعه فى كوخه ، وكان يوجد ثوب قديم لطنسندا عنده ، لأن حاجتهم واحدة، ثم أخذه وألبسه لخيال المآتة ، وذهب إلى القرية وأحضر كلبين صغيرين ، وجاء بهما إلى الكوخ وغطاهما ، وكان كلما أحضر الطعام وضعه على كُم قميص خيال المآتة ، حتى تعودا على شم رائحته، ولا يلعبون إلا فوقه.

ومرت الأيام ، وذات يوم جاء أبناء طنسندا لتحية صديق أبيهم ، وهذان الولدان لم يبلغا الخامسة ، فلما رآهما جاتو ، أمسكهما وأخذهما إلى قرية صغيرة ، وطلب أن يحرسوهما، ويقدمون لهما السكر إذا بكيا ، وعاد وأخذ الجروين ، وذهب إلى منزل طنسندا ، وهو يبكى.

سأله طنسندا وقال «سلامتك؟»

قال جاتو "أين هى السلامة ، جاء ولداك لتحيتى ، فصارا كلبين"

دق طنسندا وزوجته صدريهما ، وقالا "غير ممكن ، إنه يكذب ، كيف يحدث ذلك، تقول أن الإنسان تحول كلبا؟"

وعندما قام طنسندا لم يتوقف إلا فى منزل القاضى ، وقال له كل ما حدث ، وفى البداية عارض القاضى ، وفى الحال بعث من يستدعى جاتو، فسأله فكرر الكلام.

قال القاضى "قل لنا الحقيقة".

قال جاتو "مغفرة يا سيدى ، هل هذا أمر عجيب فى خلق الله ، الذى له القدرة على كل شيء ، يحيى من مات ، ويميت الحى ، رازق الفقير ، ومفقر الغنى"

عندما سمع القاضى ذلك قال "هكذا يفعل الله"

قال جاتو "وهو كذلك إذا كنتم تظنون أننى أكذب دعنى استدعى هؤلاء الأولاد الكلاب ، وأحضرهم هنا"

وفى الحال أسرع وأحضر هذين الكلبين وتركهم وسط الناس ولعلك تعرف الكلاب والقدرة على تمييز الرائحة ، ما كاد يضعهما وشما رائحة طنسندا توجها إليه وأخذا يشمان رائحة خيال المآتة ، الذى صب لهما الطعام فوق قميصه ، لقد كانا يشعران بالجوع فهجما على طنسندا يشمان ، لعلهما يجدان الطعام الذى تعودا على أكله.

عندما رأى الجالسون ذلك ، قالوا «لا حول ولا قوة إلا بالله »، وأخذ كل يقول "عرفا أباهما ، أن بين الابن وأبيه أمر عظيم"

نظر القاضى إلى طنسندا وقال "عليك أن تذهب وتطلب من العلماء أن يدعوا لك ، لعل الله يعيدهما آدميين ،وأستأذنوا من القاضى ،وأخذ طنسندا الكلاب فى كم قميصه وخرج.

عندما وصل المنزل قال لزوجته كل ما حدث ، فأخذت تبكى ، لا تأكل ولا تشرب ، قال الزوج "لعل قول جاتو حسبى الله أخذت تصيبنا ، أنت التى قلت لا نعطيه ماله ، هذا ما أصابنا بسببه ، لعن الله الظالمة ، كنت مع صديقى ، جعلتنى أخون أمانته ، إن لم نذهب ، ونعيد له ماله، ونتوب ، لابد أن نتحول نحن أيضا إلى كلاب.

وقاما وحملا مال جاتو كله وذهبا إلى منزله ، وانحنيا أمامه وأعلنا توبتهما فأخذ ماله، وذهب وأحضر لهما ابنيهما ، وقال "ها ولداكما ، إناس عابثون يخونون الأمانة ، لولا الحيلة التى فعلتها ما أخذت مالى ، لعنكم الله ، فقاما وقد غطى الخجل وجهيهما ، وضحكا كثيرا من ذكاء جاتو ، والخبر الذى نشره فى المدينة ، وأخذ الجميع يضحك عليهما ، حتى جمعا متاعهما وغادرا المدينة.

قال الناس " قد استسلمنا فى كل أمور الدنيا مهما كان الإنسان ، لابد أن يوجد من هو أفضل منه ، كل إنسان يوجد من هو أفضل منه" .

ما كاد الوزير ينتهى من هذه القصة وإذا بسيارة سيركا تعود بالناس الذين قيل أنهم وجدوهم، حتى الستة الكبار من رجال سرى.

عندما سألوهم أصروا على الإنكار فى بداية الأمر ، وعندما رأوا أن أمير سيركا خرج لهم من خلف البيت ، سيأمر بقتلهم ، كشف واحد منهم كل ما حدث ، وجاءوا بالولد الطويل والحاجب ،وتأكدوا من أن كل ما قاله الولد الطويل صحيح . أمر أمير سيركا أن يعاد حبسهم مرة أخرى ، وطلب أن يعادوا إلى سيركا ، حتى يعود ويعرف ماذا سيفعل معهم هم واللصوص ، وذهبوا بهم.

نظر الناس إلى الوزير الببغاء وذهبوا ، فانحنوا جميعا وحيوه ، نظر أمير سيركا إلى الأمير عبد الرحمن وقال "مهما أفعل الآن لهذا الوزير فى هذه الدنيا ، خلاف الشكر لن أوفيه حقه ، هذا الأمر فاق الشكر" .

وأخذت قصة الوزير الببغاء تنتشر فى البلاد، وبدأ الأمراء يستعدون للعودة إلى منازلهم ، قال أمير سيركا "بعد غد ، إن شاء الله ، كما قلت لكم آنفا سأرحل بعد غد لأعرف ما حدث ، وفى اليوم التالى ، عندما عادوا قال أمير سيركا للوزير الببغاء ، لقد قلت أنك ستقص علينا قصة سارة ، وبدأت قصة جميلة أمس ، بالله استمر اليوم أيضا بأخرى جميلة مثل أمس

قال الوزير الببغاء "حتى أجمل منها إذا شئت أن تسمع" ، ثم بدأ .

القدرة على الرؤية كالقدرة على الترك

ذات يوم كان أحد الصيادين يتجول فوجد ثعبانا وقعت صخرة عليه ، وحاول أن يتخلص منها ، ولكنه عجز ، فلما رأى الثعبان الصياد، نظر إليه وقال "لو كنت تحب أن ترى رسول الله ، أيها الإنسان انقذنى من الهلاك ، يجزيك الله خيرا" .

قال الصياد "لن أنقذك، إنى أخاف ، أشعر بالخوف من حالكم مع أبناء الدنيا ، يعمل لكم المعروف فتردونه بالإساءة " .

أمال الثعبان رأسه وقال "سبحان الله ، يا عبد الله كيف تقول ذلك ؟، ويحك لا شاء الله ذلك" .

قال الصياد "طالما أنك وعدت ألا تضرنى ، دعنى أساعدك ، كل له يوم ، لم أعرف أين شاء الله أن تنتقم منى" ، ومد يده ورفع الصخرة ، وما كاد يرفع الحجر حتى هجم عليه الثعبان ليلدغه ، فوضع خرقه عليه ونجا منه ، ولدغ الخرقة ، قال الصياد "أحقا ما تفعل أم هو مزاح؟، إذا كنت تمزح معى بالله عليك اتركنى ، مثل هذا المزاح لا أمان له"

قال الثعبان " لا أين المزاح؟، دعنى وانظر إذا كنت أمزح ،هل العداوة بيننا وبينكم يا بنى آدم ، خفية ؟، عينى على الإنسان حتى ألدغه" وحاول مرة أخرى لدغه فحجزه بالخرقة.

قال الصياد " رغم ما فعلناه ، وعدت ألا تؤذينى ، أهكذا حال أبناء هذا الزمان الآن؟"

قال الثعبان "ومع ذلك وعدتك هذا الوعد، أنت تعرف لو أن شخصا عاقلا سمع هذا الكلام منى ، يعرف أننى لا أقول الحق ، هل فى كتبكم أنتم البشر أن الإنسان إذا قابله ما يؤذيه يقتله قبل أن يضره ، أتعرف أن بيننا وبينكم ما بين النار والقطن ، إذا كان فيه أمانة " .

قال الصياد "كل ما قلت صحيح ، ولكن اسألك أمرا واحدا" .

قال الثعبان "ماذا ؟ قل بسرعة لأسمع إذا كنت أستطيع"

قال الصياد "كما حلفتني بالله ، حتى وافقت أن أنقذك ، أنا أيضا أريد أن استحلفك أنت أيضا بالله أن توافق أن ندخل الغابة ، ونبحث عن ثلاثة قضاة يحكمون بيننا ، إذا قالوا أن الشريعة تقضى بأن تقتلنى ، إقتلنى ، وإذا قالوا بأن الشريعة لا تقضى بقتلى اتركنى" .

قال الثعبان "أنه موافق " ، وسارا ، وسار فى المقدمة وتبعه الصياد، كل هذا والصياد ليس معه عصا ولا رمح، فقد وضعهـا كلها فى كوخ فى مزرعته ، وليست لديه فرصة ليكسر خشبا ، حتى لا يدرك الثعبان ما ينوى فعله فيسبقه.

وأثناء السير تقابلا مع حصان عجوز ، شرح له الصياد ما حدث بينه وبين الثعبان ، وسأله عما يرى فى هذا الأمر.

قال الحصان "لا شيء فيما رأيت إلا أن يلتهمك ، فأنتم أيها الناس من يعمل لكم خيرا الآن تقابلوه بالنكران . فأنا عندما كنت فى غاية قوتى كنت عند رجل أوربى، كنت أدخل السباق ، وفى هذا الوقت كان يكسب من عدوى خمسين جنيها، ثم يكسب مائة ، وإذا ذهبنا ميدان السباق ، إذا نظرت إلى مكان بعيد ، وأحاول أن أرفض الجرى ، فأشعر بعذاب السوط والمهماز ، لعلك تعرف أن ميدان السباق مهما كان الإنسان قويا ، إذا صرخ، لا يسمعه من فى الطرف الآخر ، ومع ذلك ، أصبر وأجرى ، وتكاد روحى تخرج ، والأوربى فوق ظهرى ، يدفعنى ، ويطعننى وينخسنى كعبده ، لأجرى حتى أسبق الآخرين.

وفى هذا الوقت لم يكن يحب أن يمسنى أحد ولو قليلا ، ولو رأى قذى صغيرا تعلق فى شعرى ، يلتقطها لى، وإذا علقت بى قذارة يشترى صابونا ، ويكلف رجلا أسود قاسياً ، يذهب بى إلى النهر ، ويغسل جسمى ، ويخرج بى ويركبنى ، ويذهب بى إلى الغابة ويعدو بى كثيرا بدون فائدة ، يريد بذلك أن ينال جزاء تعبه ، لأن الأوربى لا يدفع له أجر عمله كاملا، وبعد أن يتعب يغسلنى لأخرج نظيفا . أما الغذاء فيقدم إلى الطعام الذى أحبه ، ولتعلم أن كل هذا المال الذى يكسبه من عدوى لم يكفه ، فيجعلنى أعمل الأعمال التى لا فائدة منها ، فيركبوننا ، ويأخذون عصا ويلعبون الكرة، ويضربون بعضهم ، إذا جاءت هذه الكرة فى رجلك ، فتصير كمن يصرخ من شدة الألم، وكثيرا ما

يضربك أحدهم بالعصا أثناء اللعب ، وانظر الآن لأنه رآني كبرت ، وضربني كثيرا على ساقي استبعدني تماما ، حتى أنني لا أستطيع الكسب في ميدان السباق ، فيحاول أن يقتلني . بقصد أن أستريح ، وهل أستريح بالموت؟ ، وعندما رأيت ذات يوم أنه أحضر بندقيه، هربت ، أسمعت عدم وفاء بني آدم" .

قال الثعبان للرجل "ارأيت هذا القاضي ، هل هو من طرفنا ، هيا نستمر ، ونسمع الاثنين الباقيين" .

وهما على وشك المسير ، قال الحصان للثعبان "ماذا تنتظر معه؟ ، الا تعرف حال هذا الوغد ، انتظر قليلا لأقول لك تاريخهم ، أنت تعرف أن الأذن أكبر سنا من الجد " ، وقف الثعبان .

قال الحصان "عندما كان الناس قديما لا يعرفون طريقة بناء المدينة ، وبناء المنازل والمباني ليدخلوا فيها ، كانوا يعيشون في الغابة معا مع أجدادنا ، وكانوا يأكلون ما تأكل الحيوانات ،وذات يوم كان اختلاطهم بالناس ، ووجد أحدهم الحجارة الكبيرة ليرمي كبير الغابة، حتى كسر عينه فلما رأى كبير الغابة ذلك أمر حيوانات الغابة أن تنتشر، وحيثما يره يقتله ، فلما سمع أجدادنا ذلك بحثوا عنه ونموا له ليختفي إذا كان سيختفي ، ولعلك تعرف أنه لا يوجد أجبن من الإنسان ، عندما رأى عملا سيئا ، حيره هذا الكلام ، انحنى كأنه يطلب الصلح ، وسأل أجدادنا أن يخفوه ، ووعدهم أن يعمل لهم كل ما يريدون ، فحملوه إلى المنزل وأخفوه وهم على هذه الحال ، عندما بدا أنهم يفهمونه ، طلب منهم أن يفروا ويعودا إلى مكان ما ، فوافقوا وقاموا ، فأخذوا متاعهم البسيط ، وعادوا إلى الغابة ، ووجدوامكانا فسيحا فبحث عن بعض الأعشاب وصنعوا منها أكواخا ووقف هو وبعض أقاربه في الخارج يحرسونهم، أرأيت الآن نكران بني آدم للمعروف ، عندما رأوا أنهم صاروا أقوياء ، وأنهم يفوقون أجدادنا قوة ، طردوهم من الأكواخ ، واحتلوا مكانهم، ويحبون التدخل في الأمور ، عادوا وقالوا لكبير الغابة أنهم صبروا على قضاء الله ، وتقدم المتأخر على المتقدم ، انظر بالله عليك الآن لولا جحود بني آدم ، عبدنا الذي ورثناه يقول أنه سيكشف سرنا هكذا ، حتى يأخذ بندقية ليطلقها علي ؟، أتعرف الآن إذا كان على حكم الشريعة لدينا السلطة أن نبيع بني آدم ونأكله كله. "

واتخذ الثعبان طريقه وكاد يمضي ، التفت له الحصان وقال "ألم تعرف شيئا مؤلما أيضا ؟ "

قال الثعبان "ماذا؟"

قال الحصان "رغم أننا تركناهم ، يتبعوننا ، يظنون ذلك خوفا منا ، ولم يعرفوا أننا تركناهم لأننا نتنفع من ورائهم ، ترى الآن أن السماء إذا أمطرت يخرجون رغما عنهم ويحضرون لنا العشب ، ويزرعون ويعطوننا الحبوب لنأكل ، وإذا رفضوا نمسكهم واحدا واحدا ونبيعه ، حلالا" ، ونظر إلى هذا الرجل وقال "بالله عليك انظر إليه جيدا كأنه مؤمن ولكن جحوده غالب عليه ، والتفت وسار فى طريقه وهو يقول " لا دخل لى ، قلت لك الحقيقة فرفضت ، تدعى أنك تحب حكم القضاء" .

وسار الثعبان والرجل يتبعه ، حتى وجدا قردا فوق شجرة ، فلما رأياه ناداه الثعبان ، فلما جاء قص له كل ما حدث بينه وبين الصياد.

قال القرد "أمن أجل هذا نتوقف ونطلب قاضيا ؟، ألا تعرف الإنسان ، انظر إليه جيدا تعرفه ، أفى كل هذه الدنيا يوجد أكثر من الإنسان جحودا ؟، إخواننا خلقوا بأربعة أرجل مثلنا ، ولشدة مخالفته ، ترى كيف يرفع رجليه الأماميتين ، ويمشى دائما على الخلفيتين، إذا نظرت إلى وجهه ، ونظرت إلى وجهنا ، تلاحظ وجود قرابة بيننا ، فى كل الحيوانات لا يوجد من له رأس مثلنا إلا الإنسان ، انظر إلى أنفنا ويدنا وانظر إلى أنفه ويديه ومع ذلك ليس بيننا وبينه الآن شيء حتى التحية ، لو كبير الغابة وافق على أن ندخل مع الإنسان فى معركة

لأهلكناهم ، ودخلنا بيوتهم ، واستمتعنا بحياتنا"

ونظر القرد إلى الرجل مرة ثانية ، وقال " لعنك الله يا فاسد ، بالله انظر كيف احرقت شعرك هكذا؟، أين ذيلك ؟ يوجد فى هذا تداخل ، انظر، اسماؤنا كلها واحدة . . . قرد ، ولكن تراه دائما يسمونه اسماء مختلفة ويقولون أنه إنسان" ، ونهر الرجل وقال "ابن حرام الكلب، الأجرب لا يقبل أن يعضك ، لا أعطلكم ، إذا-كنت تريد أن تقتله ، فاقتله إنهم يقولون اقتل عدوك قبل أن يقتلك " وأخذ يأكل ثمار الأشجار الدانية.

نظر الثعبان إلى الرجل وقال "وهو كذلك ، سمعنا الآن إلى قاضيين ، وبقى واحد، فنسمع حكمه" .

امتلأت عينا الرجل بالدموع وقال " نعم ، لنذهب ، ربنا يسهل وسارا ، والرجل يتخيل ما يمكن أن يفعله الثعبان فلم يستطع ، وسار طويلا ثم قابلا كلبا ، فلما رآه الصياد

قال "أيها الكلب بالله عليك أقبل واستمع إلى هذا الأمر ، كنت أتجول فرأيت هذا الثعبان وقد سقطت فوقه صخرة ، وحاول أن يخرج فلم يستطع ، استحلفنى بالله أن أنقذه ، فانحنيت وحركت الحجر وخرج ، فلما خرج قال، لن يلدغك أحد غيرى ، هل ترى أنه محق فى ذلك؟ "

عندما سمع الكلب ذلك قال "إذا كنتما تريدان أن أحكم بينكما ، فلنعد ونر كيف وجدته لأن القاضى لا ينبغى أن يحكم إلا على ما رآه جيدا ، أو يجد العدول الذين يشهدون ،قال الرجل "صدقت"، وسار الثلاثة إلى مكان الحجر.

فلما وصلوا ، قال الكلب للثعبان " أرقد كما وجدك " ، رقد الثعبان ، ونظر إلى الرجل وقال " وأنت ضع الصخرة فوق الثعبان كما وجدتها "، أخذ الصياد الصخرة ووضعها فوق الثعبان ، نظر الكلب إلى الثعبان وقال " هكذا وجدك؟"

قال الثعبان " نعم "

قال الكلب " وهو كذلك، امكث حتى يشاء الله أن يأتيك بشخص كثر عنده الفضول حتى يخرجك ".

وانصرفا وتركاه تحت الصخرة يموت ، وفرح الصياد بهذا الحكم الذى أصدره

الكلب ، لذلك حتى الآن لم ير الصياد حيوانا مثل الكلب ، وأن تضرب ابنه أرحم من أن تضرب كلبه .

عندما انتهى الوزير من هذه القصة ، ولشدة جمالها أخذ أمير سيركا مائة جنيه ، وقدمها له ، فلما رأى حاذق ذلك ، قال " إن ما جعله يتفوق على ، هو أننا لم نتعرض للألغاز".

قال الوزير " هل تقدر عليها ؟"

قال حاذق " نعم "

نظر الوزير إلى هؤلاء الأمراء " غدا بإذن الله سنكمل قصصنا ، نصركم الله ، يا أمير سيركا ، وإذا كنت تريد قصصا ، اذهب إلى المنزل واسترح ، ابعث لى آتى إليك فى مدينتك ، إذا انتهينا من أمر الخراج ، أقص لك قصصا حتى تتعب، لعلك ترى أن الله لم يحرمنى المخ الذى يتذكرها"

تفرق الناس ، وهم يقولون " اللهم احينا إلى الغد "

عندما عاد إلى المنزل ، قال حاذق لأمير سيركا ، " غدا نصرك الله ، سترى أين يسقط الماهر فى الرقص "

قال أمير سيركا " حاذق، بالله عليك أبعد نفسك عن الصعاب "

قال حاذق " إذا كنت تقصد السخرية ، يحينا الله إلى الغد ، ترى بعينيك "

قال أمير سيركا " وهو كذلك ، آمين "

اليوم الأخير

وفى اليوم التالى اجتمع كل الناس على باب قصر الأمير وهم فى شوق إلى أن يأتى الظهر ليعرفوا مـاذا سيحدث فى هذا اليوم الأخير ، تجمعـوا منذ منتصف النهار ، وعندما حان وقت الظهر جاء الأمراء ، وجلسوا فوق كراسيهم ، يهون لهم .

وعندما استعد الجميع ، نظر أمير سيركا إلى الوزير الببغاء وقال " بسم الله "

نظر الوزير الببغـاء إلى حاذق وقال " هل تعرف الألغاز الـتى تريد أن تقولها ، ابدأ لنسمع

قال حاذق " وهو كذلك ، استمع : فوق حى ، وأسفل حى ، والوسط حيلة ، ما هى ؟"

قال الناس مرة واحدة " عرفنا هذه منذ كنا أطفالا ، الحصان والسرج . "

أجاب الوزير الببغاء قائلا " وصاحب الحصان ؟"

قال حـاذق " لقد بدأت بهـذه لأختبـر مقدرتكم ، ولكـن ها أخرى، شىء حى ، ولكن لا يأكل طعاما بدونه ، لا يرى الناس شيئـا ، وإذا كثر يكرهونه ، وفى مكان القتال يبذل أقصى ما فى وسعه لمساعدة الناس ، ولكن هم لا يحبونه ، ودائما يطلبونه لقتله . "

صمت الناس الآخـرون ، وعجـزوا عن الإجابة ، فهب الوزير البـبغـاء وقال "الله أكبر، المعرفة الناقصة جهل ، إنها الظفر، هل تظن أنها لا تأكل طعاما ؟"

هب حاذق قـائلا " هل بدأت بكلامك هذا ؟ ، وهو كذلك ، أيـن رأيت الظفر يأكل طعاما؟"

قال الببغاء " إذا قلت أنها لا تأكـل طعاما ، وهو كذلك ، لماذا إذا مات الإنسان لا تستمر ؟ ، دم الإنسـان هو طعامها . "

قال حاذق " هل بدأت ، هل رأيت مرة ميتا مكشوفا ، أو رأيت ظفره ؟"

وهم الوزير الببغاء إعطاءة الكثير من الأمـثلة ، ولكن تذكر أنهم يقولون عندما يكثر الجهل لا يعـترف بقيمـة العلماء لذلك قال " صـدقت ، لقد كان سـهوا منى ولكن قلت لعلى أرد على سؤالك ؟"

قال حاذق " نعم ، وأما عن السؤال فقد أجبت عنه"

قال الوزير " وهو كذلك ، الحمد لله ، استمر لنسمع "

قال حاذق " ها هى أخـرى ، يوجد رجل يسمى مينالنجـا ، ذهب إلى أحد العلماء وقال " غفر الله لك ياسيـدى ، أقيم فى هذه المدينة ، ولكن كل واحد يكرهنى ، بسبب سوء خلقى ، وعجزت عما أفعله، لا أستـريح ، لذلك أريد أن تختار لى ا شيئا الأفضل أن أتركه لأننى لا أستطيع أن أترك أمرين "

قال العالم " اذكرها لنسمعها "

قال مـينالنجا للعـالم " أولا، شره ، حتى الرضـيع لا يفوق بخـلا ، يسرق ، وإذا طلب شخص ماهر فى إيقاع الخصومة بين الناس ، تجده فتستريح ، قال فى المكر لا يفوقه أحد حتى النساء ، مكروه ، بالاضافة إلى ذلك ، يقال أنه يجيد كل شىء حتى السحر ، أى صفة فى هذه الصفات يشير عليه العالم بتركها ؟"

قال وزير سيـركا ، " المكر" قال العمـدة " السرقة " أمير سـيركا والأميـر عبد الرحمن والقاضى قالوا " السحر "

الوزير البيغاء ابتسم وقال " حاولوا أكثر من ذلك " ، فتوقفوا ، وقال كل شخص أنه صادق ، وأخذوا يقيمون الأدلة

نظر حاذق إلى الوزير البيـغاء وهو يهز رأسه ، وكأنه قـال شيئا طيبـا ، فقال الوزير البـبغاء " أعـجب من هذه الأسـئلة التى تسألهـا الآن والتى لا فائدة منهـا ، وأرى أنك خرجت عن الألغاز ، وعدت للحديث ، ولم تقل لنا حـديثا ، حتى نقدم لك صدقة " ، فانفجر الناس ضاحكين، قال حاذق " اذهب ، هل قلت حديثا ، أجب عما قلنا "

ابتسم الوزيـر البيغـاء وقال " هل هذا يجـعل الإنسان يتوقف ليـفكر ؟ ، الذين سمعتهم أخطأوا فى إعطائك الاجابة ، لانهم لم يظنوا أنك عدت إلى الكلام ، أقصى ما فى علمنا ليس أفـضل من أن يقال أن يترك الكذب ، لأنه إن لم يـترك الكذب ، كل هذا الأمور التى قالها غير ممكنه . "

صمت حاذق ، قال الأمير عبد الرحمن " أين المثال ، وقفت عند قولك غير ممكن ، غير ممكن أى لا يوجد مثال "

قال الوزير الببغاء " قال ، قال أنه بخيل ؟ ، وهو كذلك ، إذا طلب منه شىء ، قال عنده، هل تظنون أنه سيمتنع عن البذل بعد ذلك ؟ "

قال الناس " لا ، ليس كثيرا ، نادرا ما يمنع" .

قال الوزير الببغاء " هل ترون ترك الكذب يجعله يترك البخل ، وإذا ذهب للسرقة ، وعند وصوله سيقول حقيقة ما جاء به ، هل تظنون أنه سيترك ليسرق "

قال الناس "لا ، صدقت " ، لو كان السحرة صادقين ، هل الإنسان يتجول فقط فى الغابة ، وإذا رأى شجرة جافة وربط بها قماشا ، وكنس تحتها ونثر الرمال يقول أنه سيعبدها؟ ، حتى إذا رأيت يوما أنه جاء إلى هذه الشجرة تقول للناس أن الشجرة قالت افعل كذا وكذا ، هل هذا صدق ؟"

قال الناس " والله لا يكون "

نظر الوزير الببغاء إلى حاذق وقال " هل أنا أخطأت ؟"

قال حاذق "صدقت"

قال الوزير الببغاء " وهو كذلك ، اسأل سؤالا آخر . "

قال حاذق " والله هذه هى أصعب ما عندى ، طالما أنك عرفتها فستعرف الباقى ، اسأل أنت لنسمع " ، انفجر الناس فى الضحك .

أصلح الوزير الببغاء من جناحيه ، وقال " وهو كذلك ، الحمد لله ، هاهى واحدة ، كان يوجد أمير ظالم، كل من يذنب فى حقه وأراد أن يقتله يكلفه بعمل لا يمكن عمله، ويطلب منه عمله ، فإذا عجز وجد الحجة لقتله ، وذات يوم ، اخطأ وزير خطأ غير مقصود ، وادعى مالا يمكن عمله ، فجاءوا وأخبروا الأمير ، وكان هذا الأمير لم يعبه أبدا ، فنادى الرجل الذى أذنب وقال له " عفوت عنك ، اذهب ولا تكرر هذا الذنب " ، ولم ينجه ، وكان دائما يتسرع فى الحكم . "

قال حاذق " ما تقوله هذا ليس لغزا ؟ لقد بدأت تقول قصصا ، لا أساس لها " ، نهر الشرطة حاذق ، وقالوا له " تأدب ، أنت لا تتكلم مع ند لك ، أنت تتكلم مع وزير"

قال الوزير البيغاء " اتركوه ، إنه يمزح " ونظر إليـه وقال " عدم الصبر الذى يجعل الإنسان يسأل الفلاح ماذا تزرع - ولو صبر يعرف "

قال الأمـير عبد الرحـمن "لا ، صدق حاذق ، إن لم يقل لك ذلك سـتظل كذلك حتى العصر ، ولا تقول ما تريد قـوله ، أنت لا تتركنا نقوم برحلتنا ، بالله عليك قل ما تريد أن تقوله ،إن كنت ستقول قصة ، قل لنعرف ما فيها . "

قال الوزير البيغاء " قيل لهذا الأمير ما قاله وزيره ، فأمر باستدعائه وأخبره أنه سمع بما قاله ،وقال له غدا إذا خرجت للمجلس ، يريد أن يجـد الوزير ، واقفا ، جالسا باكيا ضاحكا ، باصقا ، عريان ، فى وقت واحد ، وقال أنه إذا وجده فى حالة غير التى قالها سيـقتله ، وهو كذلك ، من يسـتطيع أن يقول لى ، مـاذا سيفعل هـذا الوزير لينجو من الهلاك ؟"

قال حاذق " أيها الوزير، حتى الدجال لا يستطيع أن ينقذه من الهلاك ، إذا فعل كل هذا سينجو ، ولا يوجد من يستطيع كل هذا ، فعليـه أن يصبر وأمره إلى الله ، ما يفعله بعبده هو الأفضل "

قال الناس " والله صدقت ياحاذق ، لاسبيل للخلاص أفضل من ذلك "

أصلح الوزير البيـغاء شعره ، وقـال " ما قلتم ، لاشك حق ، ولكن اسمـحوا لى واسمعوا . "

قال أمير سيركا " سمعنا "

قال الوزير البيغاء " ما يفعله لينجو ، يصنع قـميصا شفافا ، ويرتديه وحده ، ويأتى ببصل شديد الرائحة ، ويقلب الهاون ويجلس عليه ، ويأكل البصل ، ويضحك "

قال حاذق " وهو كذلك ، ماذا يحدث ؟ ، لم أر وسيلة للخلاص بهذه الحيلة"

قال قاضى سيـركا " ألم تفهموا ؟ ترون أنه إذا جلس فوق الـهاون ، الجميع يراه ، سيظن أنه واقف،

قال حـاذق " نعم ، صدقت فى هذا ، وما فـائدة أكل البصل ؟ لم يقل الأمـير أنه يريد أن يشم رائحة فمه ؟ "

قال قاضى سيركـا " ألم تلاحظ أنه إذا أكل البصل ذا الرائحة لابد أن تدمع عيناه ، فإذا أخرج الدموع ، تنتهى مشكلة البكاء ، كيف البكاء إذا لم يكن هناك دموع ؟"

هب حاذق قائلا " والقماش الشفاف ، لا يستطيع الإنسان أن يصنع ثوبا منه ويذهب به وحده إلى السوق ؟" بدون سروال أو ستـرة ، لعلك تعرف أن الإنسان إذا ارتداه وحده يكون عريان "

ضحك الناس وقالوا " دون أن تقل هذا كل الناس تعرفه "

نظر الوزير الببغاء إلى حاذق وقال " وإليك واحدة أخرى : ذات يوم كان ثلاث نساء يردن الماء ، فـجاءت امـرأة عجـوز إلى شاطىء النهـر ، ووقفـت تطلب منهن بعض الماء لتشرب فأبين إعطاءها ، فـرجتهن فأبين ، تضايق اثنتان منهن من كثـرة السؤال ، فأخذن يؤنبنها ، قالت واحدة " اتركن تأنيـبها ، لن نعطيها ماء ، إذا كانت ستـموت تموت بعيدا عنا " .

وكانت هذه المرأة تتـحول ، فنظرت إلى هؤلاء النسوة وقالت " كلكن تتـحولن إلى نبات تبغ ، " ولم تغلق فمـها حتى تحولن الثلاثة ، وصـرن نبات تبغ ، متشابهـات مرتبه وتهيأت العجوز للـسير ، وتذكرت أن إحداهن منعتهن من سبهـا ، ولذلك التفتت وقالت لهذه النبتة ، " أنت امرأة طيبة منعتـهن من سبى ، انصحك نصيحة واحدة ، عندما يأتى المغرب ستـصيرين إنسـانا فاذهبى إلى منزلك ونامى ، وإذا نودى على الصـلاة لن تعرفى كيف تـكون الصلاة ، ستـرين أنك تحولت إلـى نبات ، فعـودى إلى شاطى النـهر ، مع إخوتك " وانصرفت العفريتة .

عندمـا جاء المغرب رأت هـذه المرأة أنها عـادت إنسانا ، فـقامت وقصـدت المنزل ، وقالت لزوجـها كل ما حدث ، حـزن زوجها جدا ، وظلوا على ذلك ، فى الليل تـصير امرأة ، وعند صلاة الفجر تصير نباتا ، وهكذا أياما وأياما .

وهم على هذه الحال ، ذات يوم رأت رؤية قـيل لها " إذا كنت تريدين أن تصـيرى امـرأه دائما ، قـولى لزوجك ، عند طلوع فـجر الغـد ، الأول من رجب ، يذهب إلى شاطىء النهر ، وينزع النبات الذى تحولـت إليه ، وإذا أخطأ فى هذا اليوم ، حاولى العام القادم " ، عندما انتهت هذه الرؤيا ، أيقظت زوجها وقالت له الرؤيا "

ولما جـاء وقت الصـلاة صارت وردة وعـادت ، ولما رأى الزوج أن الشـمس طلعت ذهب إلى شاطىء النهر ، حـيث قالت له أن ينام ، فوجد ثلاثة نباتات تبغ كـما قالت له وكلها متشابهة ، ماذا يفعل ليعرف زوجته ؟"

قال أمير سيركا " زوجته منذ أخطأ هذه ، ثم صبر ، حتى العام القادم "

قال حاذق " هذا الكلام واضح "

انفجر الوزير فى الضحك ،وقال " وهو كذلك ، اسمحوا لى إذا عجزتم . "

قال الأمير عبد الرحمن " سمحنا لك "

قـــال الوزير " يمسح النبـــات ، ليعـرف من لم يصبهـــا الندى ،فتكون هى زوجـته فينزعها "، انفجر حاذق في الضحك وقال " ما المقصود بقولك يمسح ليخس الندى ؟"

قال الوزير " أليس الآن منذ الصلاة انفصل عن زوجته ؟ فلما عادت نباتا ، لم ينزل عليها الندى ، لأنها عادت بعد نزول الندى "

قال الناس جميعا فى وقت واحد " صدقت وزير الوزراء "

نظر إليهم الوزير البـبغاء وقال " وهـو كذلك اسمعـوا الثانية ما هى الدابة الحـية ، ولكن لا تتحرك ؟"

قال الأمـير عبد الرحـمن ، " أقصى ما فى علمنا أن هذه الدابة ليـست فى الدنيا ، نحن عاجزون عن الإجابة فقل لنسمع "

قال الوزير الببغاء " البيضة التى كادت تفقس "

قال حـاذق " نعم ، هكذا ، لأنك إذا كسرتها ، سـترى كتكوتا حـيا ؟، ولكن مع ذلك ، لم ير أبدا البيـضة تتحرك "، فـعجز الناس عمـا يقولون ، قال الوزير البـبغاء " اسمعوا الثالثة ، ذات يوم كره الأميـر أهل قرية صغيرة ، فناداهم يريد أن يقتلهم ، ولكن لم يجد سببا لذلك ، لذلك قال لهم ،قبل شهر واحد يبنون له منزلا فى الهواء ، دون أن يجعلوا شيئا يرفعه ، يريد أن يتدلى مثل الطائر ، وإذا عجزوا سيقتلهم

جميعا ، أيها الناس من منكم يعرف طريق الخلاص من هذا الهلاك ؟"

قال أمير سيركا " أية طريقة تبحث عنها لنجاتهم أيها الوزير ؟، إنهم هالكون ، طالما أنه طلب منهم هذا "

قال الوزير الببغاء " وهو كذلك ، هل عجزتم وتسمحون لى أن أقول لكم "

قال الأمير عبد الرحمن " أعطيناك "

قال الوزير " يجب أن يطلبوا منه أن يريهم ، ليروا كيف سيضعون الأساس ، ونرى إذا استطاع ذلك "

انفجر الناس فى الضحك ، وقالوا " والله ، لا علاج لهذا الأمير إلا هذا إذا استطاع الرسم فهم سيبنون "

قال الوزير " انتهينا من أربع وهاكم الخامس ، وعندما بدأوا من الرقم الأول عملوا الثانى والثالث والرابع والخامس عملوا السادس ، وبعد ذلك ماذا فعلوا ؟"

هب حاذق قائلا " ثم عملوا السابقة "

انفجر الوزير الببغاء فى الضحك ، حتى دمعت عيناه لإجابة حاذق .

قال أمير سيركا " وهو كذلك ، سمحنا لك "

قال الوزير الببغاء " نصرك الله اغفر لى ، هذه جعلتها محالة ، من الآن حتى نهاية حياتى ، كل من فهم إجابة هذا السؤال يأتى به إلى ، وإذا رأيته صحيحا سأعطية مائه جنيه " ، انصرف الناس جميعا ، وهم يرفعون للبغاء القبعه تعظيما، قال أمير سيركا " والآن نكتفى بذلك ، ولنذهب لنستعد للسفر غدا مبكرا " ، وجاء بخمسمائه جنيه وقدمها للوزير الببغاء ، وأخذ الوزير مائة منها وقدمها إلى حاذق ، وأخذ مائة وطلب أن توزع على مساكين المدينة صدقة .

وهم على وشك الأنصراف ، أراد أمير سيركا أن يضحك ، فقال للوزير ، هذه القصص التى قدمتها ، لو أنهيتها لى بالشعر لكان أجمل ، أنى أريد أن أسمع صوتك الجميل .

قال الوزير الببغاء " اليوم أنا مصاب بالزكام ، ومع ذلك ، الآن تسمع " ، وهز رأسه ، وبدأ ينشد الشعر.

الكلام رأسمال

فى الكتاب الثـاني ذكرنا لكم أنه تم اختبـار الوزير الببغاء وحـاذق ، وقد فاز الوزير الببغاء فى هذا الاختـبار وازداد تعظيما ، فى هذا الاختبار ، وبعد أن عاد أمـير سيركا إلى بلده، ومضت عدة أشهر ، كان الوزير الببغاء يتنزه ، فطار وأخذ يتنقل فى المدينة ، وأثناء الطيران. وصل إلى إحدى أشـجار التمر هندى بالقرب من مـصبغة ، فهبط ليـستريح ، لأنه ظل فترة طويلة لـم يطر بجناحيه ، وأثناء وقوفـه على شجرة التمر هندى ،رأى رجلا عجوزا صباغاً ، يتجه إلى مكان ابنه الصغير الذى يعلمه الصباغة ، فوجده قد صبغ قطعة قماش فـصارت غير جـيدة ، فأمسك يده وأخذ يـعلمه كيف تكون الصبـاغة ، إذا أمسك الولد قطعة من القماش بطريقة خاطئة رأى الرجل العجوز ينهره ، ويقول له " ليس هكذا تمسك ، تمسك هكذا" .

بعد أن انتهى الوزير من مراقبته ، ولا أحد يراه ، طار وقصد حى هابى ،وهناك رأى عالما يضـرب ابنه ضربا مبـرحا ، لأنه اخطأ فى القـراءة ، ولم يكن هذا الخطأ جسيـما ، ولكنه بدلا من أن يقول حاء وفتـحه حَ قال حاء وفتحة حِ ولكن الأب أخـذ يضمه كأنه لا يريد أن يتركـه حيا ، ثم طار الوزير وقـصد منزله ، وهو يفكر ، وقـبل أن يصل ، وجد حلاقا يسب ابنه لأنه جرح صبيا كان يقص له شعره.

عندما رأى الوزير ذلك قال "أهكذا يفـعل كل إنسان مع ابنه ، ليرثه؟" ، وسكت ثم قال "أنـا ليس لى صناعة إلا الكلام ، وهى التى سـأعلمهـا لابنى ، والكلام رأسـمال ، وهى رأسمال كبـير الذى أخرج طيراً من عشه ، وجـعله يتولى وزارة الناس ، هل توجد صناعة تفوقها ربحاً؟ "

فلما وصل إلى المنزل نادى ابنه الذى تحدثنا عن ولادته فى نهاية الجزء الأول ، والذى أطلق عليه اسم "فصيح" وقال له "تعال أعلـمك القراءة ، بدلا من أن تتبع اليمامات فى الطيران بـلا فائدة . ها الطعـام ألوانا ، ولكن أنت تفضل سـرقة مزارع النـاس ، وعندما تتقابل مع النسر لا تستطيع أن تفعل شيئا فيأكلك. "

قال فصيح "بابا ، إني أتعلم القراءة منذ مدة ، وإذا كنت تريد أن تعلمنى شيئا علمنى" .

ابتسم الوزير وقال "أى قراءة تتعلمها منذ مدة ؟، كذب لا فائدة منه " .

قال فصيح "اقسم بعظمة الأمير عبد الرحمن ، أستطيع ، تعلمت هنا عند المعلم إيرو ، إذا سمعته يعلم التلاميذ ، اختبئ وأتعلم معهم ، وبقى قليل وأدخل نفسى المدرسة مع هؤلاء الأولاد الذين يعلمهم ، إلا أنني رأيته ذات يوم يشترى صوتا ، وهو ما جعلنى أرفض الذهاب . "

انفجر الوزير فى الضحك ، فقال فصيح "الله ، لا يوجد ما يضحك ، إنى أقول لك الحق ، انتظر لأقرأ وتسمع ، صعوبة القراءة أنها ليست واحدة ، إذا جلسوا كل له قراءته ، ولكنى أستطيع قراءة الجميع ، لأنى لا أستطيع سماع ما يقوله الأولاد الصغار، لم أحفظ قراءتهم ، حتى وأنا متأكد أن المعلم نفسه لا يستطيع لأنهم يقرأون معا فى وقت واحد ، أما سندا الأخ الأكبر لجمعه ، ينظر فى اللوح ، أما أنا رغم أنه ليس لدى لوح أفوقه فى القراءة ، وأراه دائما يعانى من القراءة فيه ، أحيانا يقول ب فتحه تحت تكون بِ، وسكون فوقها سين لا يستطيع قراءتها ، وأحيانا اريد أن أقول له ، لأننى اختبئ عادة فوق الشجرة التى يجلسون تحتها ، ولكن إذا تذكرت غضب هذا المعلم ، أمسكت خشية أن يرمينى إذا قلت ذلك ، وأسمع دائما كبيرهم يقول "بابٌ" فيقول المعلم "تقديره هذا باب" ، أما تنكو عندما كنا نلعب معا دائما له . . "

غضب الوزير وقال "كف عن هذه الثرثرة ، قراءتهم مختلفة ، أريد أن أعلمك شيئا مختلفا" .

قال فصيح "وهو كذلك ، لقد قلت أنك ستعلمنى شيئا ، ولكن غير القراءة ، قرأت القرآن كله ، لأنك لم تنتظر حتى أنهيه كله لك" .

ابتسم الوزير وقال "لقد اجتهدت طالما أنك حفظت ، وهو كذلك ، يجب عليك أن تهتم بما سأقوله لك ، هذه القراءة التى سمعتهم يقرأونها ثمارها آجلة ، وهم يحاولون أن يغفر الله لهم حتى لا يكونوا وقودا للنار ، اللهم احفظنا ـ أما أنت طالما انتهى من حسابك فتصير ترابا"

قال فصيح "ترابا يا أبى؟"

قال الوزير "ما سأقوله لك هو أن تحاول أن تكون بليغ اللسان"

قال فصيح "بابا ، أستطيع الكلام الآن ، حتى أننى أستطيع أن اتغلب على موسى ومحمود إذا بدأنا ، انتظر لتسمع : أنت طائر صغير قف معتدلا ، إذا دارت معركة بين دجاج كتسينا ودجاج كنو عند بئر الصباغة من الذى سيهزم الآخر ؟ هل صدام القادم من دجاج ".

نظر إليه الوزير وقد اندفع فى الثرثرة فانفجر فى الضحك وقال "إنك تستطيع الكلام ولكن دعنى أزيدك تعليما ، إذا قال الإنسان أنه الآن سيعيش عيشة المؤمنين فى هذه الدنيا مهما كانت معرفته أترى الناس يحاولون أن يكسروا البيض الفاسد فوق رأسه ، ويلعنوه ، أو قول: الأمراء الآن لايحبون أحدا إلا المثقفين البلغاء مثلك؟"

قال فصيح "نعم".

قال الوزير "وهو كذلك ، سأزودك بعشرين نصيحة ، ضفها إلى ما بدأت تتعلمه ، حتى بعد موتى إذا توليت الوزارة لا شيء سيحيرك طالما ترعاها".

قال فصيح "وهو كذلك".

قال الوزير "**الأولى** : اعتمد على الله ونبيه فى كل ما تفعله ، وطالما اعتمدت عليه، لا تخف مكر أى مخلوق."

" **الثانية** : إذا ساعدك الله ، لا ينبغى أن تشكر الله بكبرياء ، وما تفعله هو أن تنظر لمن هو دونك وتساعده".

" **الثالثة** : كل ما ترى فرصة لفعله أفعله ولكن بدون تكبر فهو ينقص رزق الإنسان دون أن يعرف".

" **الرابعة**: لا تحتقر الناس ، الغنى والفقير ، المسلم والكافر ، الأمير والمواطن كل من تره عظمه بقدر الإمكان ، ولكن دون أن تحقر نفسك ، دون أن تحتقر ، تذكر أن الرجل الأول فى هذه المدينة هو الأمير ثم ، أنا الذى انجبتك ".

" **الخامسة** : ما جعلنى أقول لك أن تعظم الناس لأن هبة الله ، ليست حيث لا يضعها ، فأحيانا ترى إنساناً عظيما ، فتعظمه ولكن إذا تتبعت خلقه ، ترى أنه لا يستحق التعظيم ، وكثيرا ما ترى إنسانا شابا ، فتحتقره ، ولكن إذا تتبعت خلقه تراه وليا ، أو عالما كبيرا ".

"**السادسة** : افعل الخير فى الجميع وجزاؤك عند الله ".

" **السابعة** : أسوأ خلق في الإنسان أن يكون منافقا ، أى شيء تفعله ابحث عن الحق، وإذا أراد أن يقتلك فليقتلك كل هذه المنزلة التى ترى أن الله وهبنا إياها لعدم نفاقنا ".

"**الثامنة**: إذا أصابتك مصيبة ، لا تخطئ وتذل نفسك طمعا فيما في يد الناس ".

" **التاسعة** : إذا جلست بين الناس ، وتوليت رئاستهم كحالى الآن يجب أن ترعاهم، فإذا رأيت طبلهم تغير فأسرع وغير طريقة رقصك ، فلا يتفاهم مع إنسان هذا الزمان إلا إنسان هذا الزمان ، العاشرة وإذا عاملك الإنسان بأسلوب ظالم ، فأظهر له أنك أكثر منه ظلما ، وإذا سلك لك طريق القبح ، فأظهر له أنك أقبح منه" .

"**الحادية عشرة** : ولكن مع قولى لك ألا تفعل الشر ، كل من مسك ، لا تتركه ، لأن الناس قالوا ، "ابن الحلال مثل الباوباو لا يصبر على الدفع بالقوة" .

" **الثانية عشرة** : كل مصيبة تصبك لا تتضايق ، كثيرا ما يريد الإنسان شيئا فإذا جاءه يكون شرا له ، وكثيرا ما يرفض الإنسان شيئا فإذا جاء يصير خيرا له ، وهاك مثال صغير، أنت تعرف أننى فقست فى كهف ، وفصلونى عن إخوتى وأنا أبكى وهم يبكون، ولكن انظر اليوم المبنى الذى أقيم فيه ".

" **الثالثة عشرة** : كل عمل تقوم به ، اسأل الله التوفيق فالحظ قبل رأس المال ".

"**الرابعة عشرة** : أى نوع من الرزق ترى الله قد وهبه لعبده ، إن لم تستطع أن تقول اللهم زده ، لا تقل اللهم انقصه ، ولا تعمل ما يزيل هذا الرزق ".

" **الخامسة عشرة** : كل ما عزمت فى نفسك أن تفعله ، افعله ، لا تخش شيئا عمله وعدم عمله كله بأمر الله ".

" **السادسة عشرة** : على الرغم من أننى قلت لك لا تخش شيئا ، ومع ذلك إذا رأيت الهلاك واضحا ، لا تلق نفسك فيه ، تتباهى باقتحام الصعاب ، ولقد رأى الناس قبر الضعيف ولم يشاهدوا قبر الجبان ، الله يساعد من ساعد نفسه ".

"السابعة عشر : أنت ترى أننا طيور ، والقدر جاء بنا إلى هنا لنعيش بين الناس ، لا تخطئ يوما من الأيام وتحتقر هذه الخلقة التى خلقنا الله عليها ، عندما ترى خلقة بنى آدم ، اصبر على النعمة التى وهبك الله إياها ، والسعى للرزق الذى كلفك الله به ، واشكر الله دائما على ذلك ".

"الثامنة عشر : إذا شاء الله أن أنجب كثيراً مستقبلا ، طالما أنك الأكبر ، يجب أن تحاول إصلاح ما بينكم من محبة ، حتى لو كان فيكم من ليس من أم واحدة ، ولا تدع أحدا يعرف ما بينكم هذه آخر النصائح " .

قال فصيح "لا ليس هذا آخرها ، بقى اثنان ، لأنك قلت عشرين ،الآن أعد ما قلت، أرى أنك وصلت إلى الثامنة عشرة وقلت انتهت"

قال الوزير "بقى إثنان لن أقولهما لك ، حتى تكبر" .

قال فصيح "وهو كذلك"

قال الوزير "طالما أنك تستطيع الكلام ، هكذا ، ينبغى أن تحفظ هذه الأشياء التى قلتها لك كلها ، وقبل الغد تأتى أبدا أعطيك أمثلة لها . "

قال فصيح "وهو كذلك ، طار الوزير ، وقصد الحاشية حيث موسى.

عندما طلع النهار ، وأقبل الظهر ، جاء فصيح إلى الوزير وقال "ها أنا ذا "

قال الوزير "هل حفظت الأشياء التى قلتها لك ، وهى سبعة عشرة ؟"

قال فصيح "ثمانية عشرة ، عدا الاثنين قلت ستقولها لى عندما أكبر ، حفظتها كلها"

قال الوزير "لقد قلت سبعة عشرة ، لأعرف ما إذا كنت حفظت عددها أم لا ، طالما أنك قلت أنك حفظتها ، اقرأ لنسمع" .

حفظها فصيح كلها ، ولكن نسى التاسعة، قال الوزير "وهو كذلك ، التاسعة التى نسيتها؟"

قال فصيح "هذه طويلة جدا ، ولذلك تركتها ، أرى أن سبعة عشرة تكفينى مساوى للأسبوعية فى الدنيا" .

غضب الوزير من كلام فصيح وقام.وزجره ، كما رأى هؤلاء الناس يفعلون مع أبنائهم ، فانفجر فصيح فى البكاء ، وقال "قبل العصر يكون حفظها"

قال الوزير "وهو كذلك ، سمعت ، قل الأولى مرة أخرى لأسمعها" قال فصيح ، فقال الوزير "إن لم تفهمها هاك مثالها. "

كل من يعتمد على الله لا يخاف حاسدًا ولا حقودًا

كان يعيش فى بلاد السودان أمير ، لم يكن له مثيل فى الشراء فى كل البلاد ، وقد خلق الله لهذا الأمير قلبا يختلف عن باقى الأثرياء ، لأن كل الأثرياء يكنزون أموالهم لا يأكلون ولا يشربون ما عدا هذا الأمير ، كان كل يوم يجمع العميان والمساكين ، ويتصدق عليهم وإذا جاء أحد الأغراب ، لا سيما إذا كان ذا علم ، فيغدق عليه الهدايا حتى يعجز عن شكره لشدة السرور.

وذات يوم جاءه رجل عالم يسمى عبده أجو ، وحياه ، فرحب به الأمير وسأله عن البلد الذى جاء منها ، وما صناعته ، وما أخبار بلاده ، قال عبده أجو أنه رجل من الغرب ، وهو على علم ، فلما سمع الأمير ذلك سر به ، وبدأ يختبره ، فوجده عالما ككل العلماء ، فلما رأى ذلك رفع منزلته ، ولم يكن هذا الأمير في حاجة إلى شيء كحاجته للعلماء المشهورين . وكان كلما احتاج إلى مشورة سأل هذا العالم.

وكان فى هذه المدينة وزير لا يضايقه شيء كالخير الذى ينفقه هذا الأمير على العجزة. فإذا رآه قدم لأحد خيرا ، يغضب كأنه أخذ من ماله الخاص ، وكان غضبه قبل ذلك كالمزاح ولكن منذ أن رأى الأمير يعظم العالم عبده أنجو أخذ غضبه يزداد . وأخذ يصب عليه جام غضبه ، وعندما رأى أنه بالرغم من كل هذا الحسد يزداد رفعة فى نظر الأمير ، يكاد يقتل نفسه من شدة الغيظ ، وذات يوم بلغ به الحقد مداه ، حتى لم يستطع على ذلك صبرا ، فذهب إلى الأمير وقال إن لديه كلاما يريد قوله ، فتفرق كل الناس وتركوا له المكان ، فانحنى وقال للأمير "أطال الله حياتك ، أريد أن أتكلم معك منذ مدة طويلة ، ويمنعنى الخوف".

قال الأمير "إذا كنت تخشى الآن أن تقول لى كلاما ، فمن إذن يستطيع ؟، لقد جعلتك وزيرا لأنى أراك قادراً."

قال الوزير "حقيقة - نصرك الله - أن أمرنا مع أفراد الشعب أرى أنه قد تجاوز الحد وأرى أنه إذا زاد ، سيسبب لنا الضعف فى السيطرة على شئون الملك".

نظر إليه الأمير بعين غير راضية وازدراء ، وقال "أهكذا؟"

أدرك الوزير أن الكلام لم يعجب الأمـير ، فغير من جلسته وقال "نعم ، أطال الله حياتك، تسامحك مع أفراد الشعب أمر تجاوز الحـد ، أنت الآن أمير بن أمير حفيد أمير ، لا ينبـغى لمثلك أن يكون ليس له أصـدقاء مـقربين سـوى ، من لا أصل لهم ، الذين لا يبغون إلا الشهـرة ، إذا حضر الآن بعض الأمراء ، ووجدوا أن الحاشيـة مملوءة بالمغمورين سنشعر حـينئذ بالخجل ، ولكن أقول لـك الحقيقة ، نصـرك الله إذا كان هذا الكلام آلمك اغفر لى "، وحنى الوزير رأسه .

هز الأمير رأسه ، وحـرك قدمه ، وقال "ماذا تقول ؟ لأننا نساعد العـجزة من عباد الله، سيضعف هذا من شأن الملك ، قل لى ما هو الأمر الذى ضعفنا فيه، من أمور الملك وإلا يكون كلامك هذا كلاما فارغا؟"

حنى الوزير رأسه وقال " "هدأ الله من روعك ، تبت ، تبت"

قال الأمـير "وهو كـذلك ، لقد قلت أن مـثلى لا ينبغى أن أبث الأمـر مع الأشرار الذين لا أصل لهم ، وهو كذلك ، أنا من ؟، بأى شيء أفوقهم ؟، إذا كرهت الناس هل أمارس الملك على الأشجار؟، كلام فارغ، كل مـا تقوله حسد من أجل الخير القليل الذى أقدمه ليتامى الله والعجزة ، هل إذا مت يوجـد الوريث لثروتى الذى يضايقه ما أفعل ؟، قم واترك هذا المكان ، ودع هذا الكلام الفارغ".

قام الوزير ، وانحنى وقال " "هدأ الله من روعك ، اعف عنى ، تبت ، تبت"

قال الأمير "وهو كذلك ، لا بأس ، اذهب ، ولكن عليك أن تعرف الكلام الذى تقوله لى".

قام الوزير خجلا ، وذهب إلى بيته ، وكأن الحزن سيقتله ، وقال فى نفسه ، "طالما أحرجنى هكذا ، من أجل هذا الحقير الفاسـد الذى يسمى عبده أنجو إن شاء الله ، سأرى آخرته ، إذا لم أواجهه بشدة سيكون سببا فى فضح الأمير لى فى هذه المدينة.

وبعد حوالى شهر هدأت نفس الأميـر من هذا الغضب الذى سببه الوزير ، ثم دخل عليه بعد ذلك وهو يضـمر فى نفسه أمرا لعبده أجـو ،وذات يوم هداه تفكير إلى حيلة ، كان عبده أجو إذا ذهب إلى القصر مع الوزير يجعله أمامه احتراما ، ويسير خلفه.

وذات يوم ، قبل أن يذهب يصطحبه ليذهبا إلى القصر ، آتى الوزير ببصل شديد الرائحة ، وكسره ووضعه فى العسل والتوابل ، وغطاه وعندما جاء الظهر ، جاء عبده أجو ليذهبا معا إلى القصر ،ودخل لتحية الوزير ، فرد الوزير قائلا "يا شيخ عبده هل حضرت؟"

قال عبده أجو "نعم ، أطال الله حياتك".

قال الوزير "عندما جئت أمس شعرت أن الزكام يكاد يصيبك ، لذلك أمرت أن يعد لك دواء ، مثل الدواء الذى أتناوله إذا شعرت أنه سيصيبني".

قال عبده أجو "والله أشكرك ، أطال الله حياتك، لم تغمض لى عين أمس، الزكام ليس مريحا ، رويدا رويدا يجعل الإنسان يرقد".

قال الوزير "الزكام ، أخبار الزكام أنا أعلم بها ، احضروا له هذا البصل" فأحضروا لعبدو أجو البصل فى العسل ، فجلس وأخذ يأكل منه ، وعيونه تدمع ، والمخاط يتنزل من أنفه لشدة التوابل.

وعندما انتهى من الأكل ، قال للوزير "أطال الله حياتك ، انتهيت ، ينبغى أن نذهب إلى القصر ، حتى لا يسبقنا الأمير.

قال الوزير "صدقت" واستعد للقيام ، ثم عاد وجلس ، وقال "لقد نسينا، ليتك تركت أكل البصل ، حتى نعود من القصر ، لأن الأمير لا يكره شيئا مثل رائحة البصل ، عندما يشمه لا يكف عن القئ.

قال عبده أجو "وهو كذلك ما العمل؟"

قال الوزير "الأفضل أن ننتظر الجارية حتى تأتى لك بالصابون لتغسل يديك وتمضمض فمك جيدا ، ربما تقل الرائحة"

قال عبده أجو "وهو كذلك أطال الله حياتك".

وارتدى الوزير الحذاء وهم بالخروج ، ثم انتظر وقال "الأمر المؤكد لرائحة البصل ، مهما غسلت فمك لاتخرج الرائحة ، والأفضل ، عندما تتكلم مع الأمير اليوم ، تلتفت برأسك دائما، وتغطى فمك بكم قميصك ، وذلك أفضل من ان تجعل الأمير يتقيأ وسط الحاشية".

قال عبده أجو "أطال الله حياتك ، والله هذه حيلة مفيدة"

قال الوزير "ومع ذلك يجب أن تنتظر قليلا ، لتجـرب الغسيل ، حتى إذا لم تنقطع الرائحة كلها ، تقل ، وسأسبقك ، ، وتلحقنى هناك"

قال عبده أجو "وهو كذلك بلغه التحية".

ذهب الوزير ، فوجد القصر قد امتلأ ، وبعد قليل سـمعوا أقدام الأمير قادما ، فقام الوزير وقابله ، وحياه وكانت العـادة إذا أقبل الأمير ، قـبل أن يصل إلى مكان الناس ، ينادى عبده أجو ليستقبله ، ويتبادلا التحية.

عندما رأى الأمير الوزير وحده ، قال "أين هذا الضيف اليوم؟، لم أركما اليوم معا؟ هل هو مريض؟"

قال الوزير "لا ، صـحته جـيدة ، فى منزلى منذ الصـباح تركتـه هناك يصلى ، ثم يصل"

قال الأمير "هل وصل به التجول حتى منزلك؟"

قال الوزير "لا يفـصلنا عن بعض سوى الليل فـقط ، يقص على أخبار مـدينتهم ، قال أنه مل الإقامـة هنا ، ويريد أن تعطيه ما ستـعطيه ليرحل ، إنه أضحكـنى عندما قال أنك حتى الآن لم تعـطه شيئـا طيبا ، سـوى الوليمة التى تـقيمـها له دائما، كـأن الجوع يطارده."

قال الأمير "بالله يقول هذا يا وزير؟"

قال الوزير "هل هذا الأمر البسيط يجعلك تغضب عليه ، رغم ما بينكما من علاقة ؟، لو سمعت الكلام الذى يقوله كله لطردته الآن".

قال الأمير "بالله عليك زدني بكل الكلام الذى سمعته يقوله ، لأعرف كيف أتعامل معه"

قال الوزير "أطال الله حياتك ، لعلك تعرف مدى علاقتى بك ، والعاقل لا يقبل أن يسئ إليك أمامنا ، ولكن سمعته يوما يخطئ فى حقك خطأ غير مقصود، قال أنه لا يكره شيئا ككرهه أن تتكلم معه ورائحة فمك كريهة ، يقول أنك إذا دعوته لتشاوره فى أمر ما، يشعر كـأنه سيتقيـأ من رائحة فمك ، ويقول أنه وجد حـيلة لذلك ، وهى أن يغطى أنفه

بكم قميصه إذا تكلم معك ، حتى لا يضيق صدره ، ويتقيأ ، حتى أنه يتعجب كيف أتحدث معك وجها لوجه هكذا ، وقد قلت له أننى لم أشعر أبدا برائحة فمك الكريهة ، والله - أطال الله حياتك - لو قال شخص آخر هذا الكلام أمامه لسجنته قبل أن تسمع ذلك ، ولكن عبده أجو طالما أنت راض عنه ، إذا فعلت شيئا له ستقول أننى أحسده ، وهذا ما أخشاه ، عندما جئت لاتشاور معك منذ أيام مضت ، أخذت تلومنى ، والآن أقسم بعمامتك ، كل المدينة تتحدث عنه ، وإذا كنت حتى الآن تظن أننى كاذب ، فإنهم يقولون حبك الشئ يعمى عن رؤية العيب ، اتركه وعندما يأتى استدعه كأنك ستتكلم معه فى أمر سرا ، سترى ما يفعل."

عندما وصل الوزير إلى هذا الحد ، طلب من فصيح أن يقول ما حفظ ، ويكرر ما قاله دون أن يترك شيئا حتى يستمر الوزير فى الكلام.

وصل الأمير إلى المجلس ، وتربع والناس جميعا يحيطون به ، وبعد قليل دخل عبده أجو ، فانحنى وأدى التحية ، فرد الشرطة ، فنظر إليه الأمير وقال "عبده أجو قرب هنا لنسمع".

قال عبده أجو "أطال الله زمانك ، ها أنا" وذهب أمام الأمير وجلس القرفصاء فجذبه الأمير فى الحديث ليعرف ما إذا كان يريد العودة إلى بلدهم ، فأخفى فمه بكم قميصه وطأطأ رأسه ، حسب الخطة التى قالها له الوزير ، حتى لا يشم الأمير رائحة البصل ، وقال

"نصرك الله ، هل لى أمنية الآن أن أذهب إلى أى بلد وأعيش فيه سعيداً إلا بلدكم؟

عندما لاحظ الأمير كيف يتكلم عبده معه وفمه مغطى بكم قميصه ، غضب وبعد وتركه ، واجتمعت الحاشية وتفرقت ، وأخذ الأمير يفكر فى طريقة يقتل بها أجو ، فلم يجد ، إذا أمر أن تقطع رقبته فى السوق ، سيلومه الناس ، لأنه رضى به حتى جعله من المقربين ، وبعد قليل فكر الأمير فى أفضل طريقة وهى أن يعطيه مظروفا مغلقا ، ويكتب فيه أن يقتل حامله.

وبعد حوالى ثلاثة أيام ، كتب الأمير رسالة إلى كبير السيافين ، يطلب فيها قتل من يحمل الرسالة ، وختمها ، ووضعها فى المظروف وأغلقه ، ونادى عبده أجو وسلمها له ، وقال "حتى الآن لم أقدم لأحد خيرا عظيما ، منذ أتيت ، خذ هذه واحملها إلى الأمير

قرايا ، وتأخذ مـا يعطيك ، وإذا عدت تستعد للعـودة إلى بلدك ، لتأتى بأولادك ، حتى تهدأ نفسنا" ، ولم يقل الأمير لأحد ما يقصده.

انحنى عبده أجو وشكره ، وخرج بالرسالة مسرورا ، دون أن يعرف ما فيها ، وعند خروجه ، رآه الوزير بالرسالة فقال له أن يذهب إلى منزله وينتظره حتى يأتى ، وبمجرد أن تفرق المجلس ، توجـه الوزير إلى منزله بسرعـة ، ما بالك بالحسـود ظن أن الرسالة التى نادى الأمير عبـده أجو وسلمها له ، سينال بهـا شيئا عظيما ذا قيـمة ، لذلك عندما رأى عبده أجو متشوقا للذهاب ، فكر أن يذهب ويمكر به.

عندما وصل الوزير إلى المنزل وجد عبده أجو يجلس ينتظره ، فتبادلا التحية ، وقال الوزير وهو يبتسم "لعل الأمير سمح لك بالسفر بهذه الرسالة الكبيرة؟"

قال عبده أجو ، نعم ، طلب أن أسلمها إلى أمير قرايا ، سيعطينى بعض الأشياء ، وعندما أعود أرحل إلى بلدنا ، لآتى بأولادى إلى هنا".

عندما سمع الوزير ذلك ، ظن أن المؤامرة التى دبرها له منذ أيام فشلت فبدلا من أن يطرده قـدم له مكافـأة ، لأنه سيـذهب ويأتى بأولاده ، وبدأ يفكر كـيف يمكر به ويأخـذ الرسالة ، ويحـملها هو ، فإذا أعطاه مكافـأة يسرق نصفـها ، ويعطى عبـده أجو النصف الآخـر ، لذلك قال له "إن هذا الطريق ليس سـالما ، يوجـد بعض اللصوص فى الغـابة الصغيـرة التى بين ينا وبوجابرى ، وأنت لا تعرف الطريق جيـدا ، ففيه تفرعات كـثيرة ، وأرى أن الأفـضل لنا ، أن تعطينى الرسـالة ، إذا ركـبت الآن وذهبت بهـا ، أصل قـبل العشاء وإذا سلمنى الأمير شيئا استريح قليلا ، واركب الحصان فى الصباح الباكر وأعود ، وأصل قبل أن ينادى للصلاة".

قال عـبده أجـو "لا ، من أنا حـتى أرسلك ؟، أذهب أنا أفضل من أن يقـال أننى بعثتك ، طالما أننى اعتمد على الله ورسوله إن شاء الله لن يصيبنى شيء"

قال الوزير "طالما أننا نعرف ذلك ، مـا بيننا من ود لا يعلمه إلا الله وحده"، وألح عليه ، حتى يأخذ الرسالة ، وأمر أن يعد لـه الحصان ليركب ، كمن سيذهب إلى نزهة ، وذهب بها ، وذهب عـبده أجو إلى المنـزل ليسـتـريح ، ولم يخرج حتى لا يراه الأمـير ، فيقول لماذا أرسله، فرفض الذهاب.

عند وصول الوزير فى الليـل سلم أمير قرايا الرسـالة فقرأها ، ورأى خط الأمـير ،

وخاتمه ، فلم ينتظر قليلا وأمر بقطع رقبة الوزير ، وكتب أنه نفذ أمر الأمير ، وأمر أحد خدمه أن يركب حصان الوزير ، حتى يصل قبل أن يخرج الأمير فى الصباح.

وعندما خرج الأمير سلمه الرسالة ، فقرأها وقال "الحمد لله"، ونظر إلى الحصان ، وقال "هذا حصان الوزير ، من أين جئت به؟"

قال الخادم "هذا الحصان كان يركبه الذى بعثت به"

غضب الأمير وطلب أن ينادى الوزير ، ليسأله عن السبب الذى جعله يعير عبده أجو حصانه ، فأسرع رئيس الحرس إلى منزل الوزير ، فقالت الجارية "لم تر الوزير منذ أمس عندما خرج للنزهة عصرا، ونحن مشغولون لعله خير"

عاد رئيس الحرس وقال للأمير ، قال الأمير "كيف حدث هذا ؟، اذهب إلى منزل ميتساميا ، حيث ينزل عبده أجو وانظر هل هو موجود"

عندما ذهب وجده قد انتهى من صلاة الضحى ، ويقرأ الورد ، فقال له "يا شيخ عبده ، أقبل مسرعا الأمير يناديك".

فقطع الورد ، واتبع الحرس ، وقلبه يخفق ، لأن الأمير بعثه فأخذ الوزير الرسالة وذهب بها ، ويخشى أن يظن الأمير أنه رفض الذهاب عند وصولهما ، انحنى عبده أجو، وحياه ، فنظر إليه الأمير غاضبا ، وقال "أين الرسالة التى سلمتها لم لم تحملها إلى أمير قرايا؟"

انحنى عبده أجو وجسمه يرتعش ، وقص للأمير كل ماحدث بينه وبين الوزير ، حتى أعطاه الرسالة ، عندما سمع الأمير ذلك ، أدرك ما حدث وتعجب وقال "الله أكبر"، إذا بحثنا هذا الأمر الذى بين الوزير وعبده أجو سنجد فيه كيداً"، والتفت إلى عبده أجو وقال "بالله عليك ، أتذكر أنك تكلمت مع الوزير وقلت له أن فمى رائحته كريهة؟"

قال عبده أجو "والله والله ، لم أقل هذا"، وسكت وبعد قليل قال "والله لم أقل هذا أبدا"، وصمت ، وبعد قليل قال "لعلك أطال الله حياتك تقصد الكلام الذى حدث بيننا بأنك لا تحب رائحة البصل؟"

تعجب الأمير وقال "متى قلت أننى لا أحب رائحة البصل؟"

قال عبده أجو "حتى أنه منذ أيام عندما ذهبت إلى منزل الوزير قدم إلى البصل لآكله كعلاج للبرد ، وقال" إذا جئت لأتحدث معك أن أخفى أنفى بكم قميصى ، حتى لا تشم الرائحة، فتتقيأ ؟أطال الله حيـاتك ، ولعلك تتذكر أنه عندما سبقنى الوزير فى المجئ إلى القصر ، وجئت فناديتنى لتسألنى ، هل أريد العودة إلى بلدى ، تلاحظ أننى عندما كنت أتكلم معـك فى هذا اليوم كنت ألفت رأسى ،وأغطى فـمى بكم قميـصي ، وقد سـبقني الوزير في الحضـور إلى هنا ، لأنني انتظرت في منزله أغســل فمي بالصابون وأمـضمض فمي ، لعل الرائحـة تنقص ، فلا تشم الرائحـة إذا جئت إليك ، ولكن كل ما فـعلته بلا فائدة" .

عندما سمع الأمير ذلك ، قال "لا حول ولا قوة إلا بالله" ، ولم يشعر إلا والدموع قد تسـاقطت من عينيه شـفقة وقال "هذه القـصة صارت تحـذيراً للرؤساء ، ولكل رئيس يحاول أن يمكر ببني آدم ، ويشي به سيندم ، والأفضل للرؤساء كل من يأتي لهم بوشاية، أن ينتظر حتى يتحقق ، فإن بعض الظن إثم"

وفي الحـال أمر الأميـر بجمع النـاس ، ولم يعرف عـبده أجو أي شئ ممـا حدث ، وقص لهم الأمير كل ما حدث بين الوزير وعبده أجو ، منذ البداية حتى النهاية.

قال الناس "لا حول ولا قوة إلا بالله" ، وتعجبوا ، وأترك لكم تخيل ما فعله عبده أجو عندما علم بهذا الأمر ، وعندما علم أهل الوزير أنه مات بكوا كالعادة ، ونظر الناس إلى الأمير وقالوا "نصـرك الله ، طالما أن الله قدر أن يحدث هذا الأمر ، لم يبق الآن إلا أن يعين عبده أجو وزيراً ، لقد أعطاه الله ، وليس لنا أن نحسده على ما قدر الله"

قال الأمـير "هذا ما كنا نريد" ، وعين ، وعنـدما دخل منزل الوزير أقيـمت الأفراح الكثيرة ، وأخذ الطبالون يمدحونه .

واتبعه كل أهل المـدينة ، يستمتعـون بحياتهم مع أميـرهم ، وإذا أراد الأمير أن يمزح ، وأغلق مظروفا ووضع عليه خـاتمه ، وجاء الوزير ليسلمه له ، قال خذه بسـرعة واحمله إلى أمير قرايا " ، فيضحكون ، ويقول الوزير "أطال الله حياتك ، لن أحمل ظرفا مغلقا أبدا"

قال فـصيح "هذا المثـال تحذير جمـيل ، زدني بالمثال التـحذيري الثانـي أستطيع أن أحفظهما"

قـال الوزير "احـفظ هذه ، وغـدا أقص عليك أخـري ، الآن الأمـيـر ينتظرني في

الحاشية" ودخل المنزل ، ولبس النظارة وجلس على الكرسي ، وحملوه إلى القصر.

وفي اليوم التالي ، قبل أن تتوسط الشمس السماء ، جاء فصيح إلى مقر الوزير وكاد يدخل فقالت أمه زوجـة الوزير ، "لا تدخل ، إنه نائم ، أنت تعرف أنه إذا نام لا يحب أن يدخل أحد عليـه ، أو يسمع حركة توقظه ، طالمـا أن وقت يقظته لم يحن وعليك أن تنتظر في الممر ، حتى يستيقظ ويكلمك".

عاد فـصيح إلى الممـر ، وقرب الظهـر استـيقظ الوزير ، وقـبل أن يحمل إلـيه الماء ليغتـسل ، طلب أن ينادي فصيحاً ، وعندمـا جاء سأله ليقول التـحذير الأول الذي ذكره أمس، فقاله تماما ولم يخطئ.

قال الوزير هاك التحذير الثاني:

إذا ساعدك الله فساعد من دونك

كان رجل يملك بغلا وحماراً ، وذات يوم خرج للتجارة ، فأحضر بضاعة كثيرة ووضعها على ظهر دابتيه ، وساقهما وسار حتى بقي قليل على وقت الظهيرة ، ولم ينزل هذه البضاعة ، وكان الطريق غير بعيد ، كثير الصعود والهبوط ، ولعلك تعرف أن قوة الحمار ليست كقوة البغل ، والبضاعة التي وضعت على ظهره كانت فوق طاقته ، وظل يتحمل حتى خارت قواه فأخذ يئن ، وفي نهاية المطاف قال للبغل.

"بالله عليك يا أخي ، خفف عني هذا العبء ، أنت تعرف أن الله خلق لك ركبتين قويتين"

قال البغل "لماذا أخفف عنك؟"

قال الحمار " للتي هي أحسن أنهم يقولون أن الحسنة تجعل الإنسان يسحب الثور بخيط رفيع"

قال البغل "إذا كنت ستسير ، سر ، وإلا تكن كالنسر الذي يطمع في أكل حطام السيارة"

قال الحمار "بالله عليك ساعدني ، لقد خارت قواي"

قال الحمار "يا إلهي ، يا أخي ساعدني ، لقد خارت قواي"

قال البغل "كيف أكون أنا أخوك؟ ، لا يوجد ما يجمعني بك ، إن أخي هو الحصان، إن الصبي إذا رأي المدينة يعرف أنها أفضل من قريتهم."

قال الحمار "لا ينبغي أن تفرح الدجاجة إذا رأت أنهم يذبحون أختها"

قال البغل وهو يقهقه ذاكرا المثل القائل "قال الموت عندما رأي العمامة ملفوفة على رأس المؤذن ما هذا التصرف الأحمق؟" ، يقولون "إذا تجاوز الحجر رأسك فلابد أن يسقط على رأس غيرك"

لقد خارت قوي الحمار ، وأخذ يسير وهو لا يكاد يري ، وهو يئن من الجوع والعبء الثقيل وضرب صاحبهما ، وأثناء السير سقطت رجله في حفرة لم يرها ، فوقع ممددا على الأرض ، وسقط المتاع عليه ، فتنهد وقال "اليوم انتهي عمري"

قال البغل "لا أبالي"

أسرع التاجر ورفع المتاع من فوق الحمار وهو راقد ، ووضعه جانبا ، وأمسك ذيل الحمار وأخذ يشده ، فلم يستطع القيام ، وأخذ يئن ويتنفس بصعوبة .

والبغل ينظر إليه ويقول "بعض الأشياء لا يقدر عليها إلا القوي"

فذهب التاجر وقطع فرع شجرة وأخذ يضرب الحمار ، ويقول "قم قم"، فلم يتحرك الحمار ولما اشتد التعب مات ، فلما رأى التاجر ذلك ، أخذ يعض على شفتيه ، ويقلب كفيه ، وأمسك البغل ، وجمع أحمال الحمار كلها ، ووضعها على ظهر البغل ، ونظر إلى حماره الميت وهو يقول "لقد منع الأوربيون ترك الجيفة على الطريق ، فلأحملها قبل أن يراني أحد ، وإذا وصلت بها إلى المدينة أعطي أحد العمال نقودا ليحفر لها حفرة ويدفنها ، ويغطيها ، قبل أن يراها مفتش الصحة فأدفع غرامة"

وأخذ الحمار ووضعه على ظهر البغل ، وقطع فرعا جديدا وأخذ يضرب البغل به إذا رآه يسير ببطء ، وذاق البغل الضرب وها العبء قد زاد ، ومنذ الصباح حتى بعد العصر لم يأكل شيئا ، وبمشقة وصل المدينة ، ولم يعرف ما في الأمر فلما أنزلوا المتاع من فوق ظهره ، وقدموا له الماء فشرب ، واستراح قال "اليوم حذرت تحذيرا ، إن من يساعده الله، ويرفض مساعدة من دونه يستحق ما يعينه"

عندما سمع فصيح أن الوزير وصل إلى نهاية القصة قال "هذه قصيرة ولكن الأمثال التي بها جعلتها صعبة ، لقد سمعت القصة ولكن لم أفهم الأحداث الجارية بها"

قال الوزير "هل تستطيع الكلام" ، وشرح له معاني الأمثال كلها ثم صرفه.

عندما طلع النهار ، جاء فصيح إلى والده الوزير وقال "إنه حفظ ما قيل له أمس" ، وقالها كلها تماما

قال الوزير "التحذير الثالث ، عن أي شئ قلته لك؟"

قال فصيح عن الكبر

قال الوزير "وهو كذلك"

الفقر ملازم للمتكبر

كان يعيش رجل عالم كبير في بلاد برنو إلـى الشرق منا، وكان يسمي الشيخ سيدي إبراهيم ، وهبه الله من العلم والورع ما لا يستطيع الإنسان أن يتـحدث عنه ، حتى اعتقد الناس أنه ولى ، فقد بلغ هذا الشيخ مبلغ شيوخ العلماء ، ولكن ابنه تجاوز مبلغ الفاسدين ، وكان اسم هذا الولد وووو ، ومنذ كان صغيرا لم يترك والده أسلوباً من أساليب العقاب إلا لجأ إليه حتى يقيده ، ليقرأ ، ولكن تعذر الأمر عليه فيئس وصبر.

واستمر الحال حتى وصل الولد سن الخامسة عشر ، ولكنه كان يزداد فسادا إلى درجة لا يمكن وصفها ، عندما تلتقي به تشعر كـأنه مجنون ، وكان دائما يغسل ثيابه ويكويها ، ويرتدي حذاء جميـلا ، ويضع على رأسه القبعة ويغطي بها حـاجبه ، ويرتدي السروال وينزله أسفل صرته ، ويرفع أحد أكمام قميصه عـلى كتفه ، ويأخذ آلته الموسيقية ويدخل المدينة متكبرا مختالا ، وإذا حصل على المال ذهب حيث يبـاع الخمور فيشرب كثيرا ، ثم يخرج وهو يترنح ، ويهـذي بما يخرج من فمه ، عندما يراه الناس وقـد سكر ، يسخرون منه ويقولون وووو بن العالم يرفض أخلاق العالم، وأصبح كالخروف الذي له ذيل كلب، ابن العالم ، مصلى الذئب كـلها عظام ، الشيخ سيدي ، العـالم ملازم للمصلي ، وأنت ملازم لمنزل الساحر ، فإذا سمع ذلك يتجشأ ويقول " أنا أبحث عن الخير أيها الصبي "

وأخذ البعض يقول له "ولد يرى براز الخفاش ساقطاً ملفوفاً" فيقول خواتم "ثور في بطته الشئ الكثير ، هاك القولون النازل ، والرئة ، وأجزاء من المعدة والكبد " ، فلا يقول شيئا سوى "أحييكم أيها الشباب ، نبحث عن الخير أيها الولد"

وأثناء هذا الاستهتار والشقاوة ، ذات يوم رقد الأب في مرض الموت ، فلما رأى أنه لن يقوم من هذا المرض ، طلب من هؤلاء العلماء الذين يعاودونه لتـمريضه والتبرك به ، أن ينادوا له ابنه ليقول له وصيته ، فذهبوا ونادوا وووو،فجاء ووقف أمام أبيه.

كشف الأب عن وجهه ، ونظر إليه وقال "أنت وووو؟"

قال وووو "أنا يا أبتي"

قال الأب "لقد حاولت أن أعلمك ، فرفضت فصرت شريرا بين الكذب والحقيقة ، ما أريد أن أقوله لك ، كل ما تفعله الآن هو الوقوف مع أندادك ،أما القراءة فمنذ أنجبتك وأنت ترفضها ، اذهب واسرح ، إذا استقمت الخير الذي تناله في الحياة الدنيا كثيرا ، لا يمكن التحدث عنه ، فما بالك بالآخرة ، وإن كنت لم تتعلم وأصلحت قلبك ، اطمأننت ولم تكفر ، والله كما تراني اشتهرت هنا في هذا البلد ، ستصير أنت كذلك ، ثم غطي وجهه بملاءة ، كمن غلبة النوم ، وبعد ذلك مات.

عندما تأكدوا من ذلك ، ذهبوا وأخبروا الأمير ، وكل الناس ، فاجتمعوا حيث تشيع الجنازة ، وتم تشييعها، وتفرقوا بعد ذلك.

وانتهي الناس من الدعاء وهموا بالانصراف ، إذا بأحد العلماء الذين قال لهم سيدي إبراهيم أن ينتظروا حتى يقول وصيته لابنه ، أقترب وقال لأمير المدينة "عندما أحس الشيخ بالوفاة ، قال لووو وصية ، لماذا لا تسأله ، لتسمع ما قاله؟"

ظن الأمير أن وصيته كلام ، رأى هذا العالم ، أنه يجب أن يقولها للناس ، لذلك نظر لووو وقال "ماذا قال العالم في وصيته؟"

رأى الولد أنه لا شئ يعني هؤلاء العلماء ، مما قاله له أبوه ، حتى يقولوا أن الأمير يسأله ليبين للناس ما قاله أبوه ، لذلك نظر للأمير وقال "نصرك الله، ما قاله لي لا ينبغي أن أبينه للناس ، حتى لا يفزع الناس الذين شيعوه"

قال الأمير " ما هو الأمر الذي تخشى قوله إلى هذا الحد؟، الأفضل أن نقوله هنا أمام الناس ، ليعرف الجميع ما في الأمر"

قال ووو "الأفضل أن نترك السر مستورا"

قال الأمير "طالما أنني أسألك ، فيجب أن تقول ، إذا قال لك أنه ستقع مجاعة ، فقل لنا نستعد بالقمح ، وإذا قال لك أن وباء سيصيبنا ، الأفضل أن توضح لنا ، ونطلب النجاة من خالقنا".

قال ووو "لم يقل شيئا من هذا كله"

قال العالم الذي جذب هذا الحديث "إن الأمير يتحدث معك ، قل له ماذا قال أبوك، تقف أمامه تتهرب من الكلام"

نظر ووو إلى الأمير وقـال "نصرك الله ، لست أتهرب من الكلام عبثـا ، لقد قال لي بعد أن تنتهي الجنازة ، كل من يبدأ في القيام برأســه بعدها ، سيلحق به بعد سبعة أيام ، قال لي هذا الكلام حتى لا أبدأ برفع رأسي"

عندما سمـع الناس ذلك ، أخذ كل منهم ينظر إلى الآخر ، وأخذ الأمـير ينظر إلى الإمام ، ويقول "أيها الإمام هيا قم لتنصرف"

قال الإمام "لا ، أقوم، أنت الكبير ، ابدأ بالقيام أنت ، ثم نقوم من بعدك"

عندما رأى الأطفال أن الكبار يجلسون ، ولم يجدوا من يبدأ بالقيام ، وكل ينظر إلى الآخر أخذوا يزحفون وقصدوا منازلهم وهم يقولون "ظلوا يقولون لا نقوم ، وهو كذلك لم يقوموا"

عندما رأى الأمير والناس الأطفال زحفـوا ووصلوا إلى منازلهم ، وارتاحوا ، فشمر كل منهم سرواله ، وسار الأمير أمامهم زحـفاً ، وباقي الناس يتبعونه ، حتى وصلوه إلى منزله .

ثم أخـذ كل واحد يزحف إلـى منزله ، وباقي الأطفال الـذين لم يذهبوا ، أخـذوا يضحكون على الكبار.

وبعد سبعة أيام ، جاءوا ليقسموا الميراث الذي تركه الشيخ ، وقد تم الأمر بسهولة ، لأنه لم يترك أحـدا يرثه ، سوي ابنه ووو وزوجتـه أم الولد ، فلما أخرجـوا الثروة التي تركها قسـمت ثمانية أجزاء ، وأخذ جزءاً واحداً وسلمـه للزوجة ، والباقي سلم لووو ، لأن الشريعة تقضى بذلك.

عندما قالوا لحاكم المدينة مقدار ما تركـه سيدي إبراهيم ، تعجب جدا، كيف قل إلى هذا القدر ، لأن الناس كانوا يظنون أنه على الأقل أكثـر مما وجدوه خمس مرات ، وكانوا على حق ، فعندما رأي سيدي إبراهيم أنه هرم ، أحـضر صندوقا من حديد ، وبني حفرة في مكان ما ، وجمع المال الذي لديه جميعـا ، وأخفاه ووضعه في هذا المكان وغطاه فلما رأي أنه رقـد رقدة الموت ، نادي أحـد تلامـيذه المخلصين وكـان يسـمى طنثنا ودله على المكان، وقال له "هذه أمـانة الله ورسوله ، احفظها عندك لأن الحـياة حق والموت حق إذا شاء الله وسبـقتك في الموت ، أريد أن تقدمها لـووو ، ولكن لا تقل لأحد هذا الأمر ، حتى الولد نفسه ، ولا تلمح له بوجودها ، إلا إذا رأيته قد استقام"

أنت تعلم أنه إذا علم بهذا الآن وهو على حـاله ، ينفقها كـلها في سبعة أيـام يصير مفلسا ، ويعود لسؤال الناس ، فيعيرونه بذلك.

قال طنتنا "لقد تحملت أمانتك يا شيخ ، وصـار النبي قاضياً بيننا ، إذا حدثت خيانة بيننا بخصوص هذه الأمـانة ، هذا الأمر لم يعرف به أحد سواهما فقط عـندما اتفقا على هذا الأمر حتى حدثت وفاة سيدي إبراهيم" .

بعد أن مـات ظل الشيخ طنتنا يرعى وووو بعـينه من بعيد ، لعـله يراه قد تحلل من سوء حاله ، ليـريه ماله ، ويريح نفســه ، ولكن هذا لم يحدث ، وبدلا من أن يقلل من سوء خلقه أخذ يزداد يوما بعد يوم ، ومنذ أن ناداه إمام المدينة وكلمه ، أخذ ينصحه حتى تعب ، فتركه.

وذات يوم بعد وفاة سيدي إبراهيم بخـمس سنوات رقد الشيخ طنتنا في مرض الموت وظل مريضا أياما وأياما ، لا يستطيع الحركة ، وذات يوم عندما رأى أنه لن ينجو من هذا المرض ، قال في نفسه ، يجب أن أعطي وووو ماله ، قبل أن أموت فيخسره ، وبدلا من أن يحدث هذا الأفضل أن أعطيه ماله ، يفعل فيه ما يشاء ، وبعث من يناديه.

عندمـا ذهب الرسول وجده فـي منزل الأشرار ، يعزف عـلى الكمان ، فـقال له إن الشيخ طنتنا يناديك ، فـأقبل مسـرعا ، فنظر إلى الرسول نظرة ازدراء ، ووضع السيـجار الذي كان في يده في فـمه وأخذ يسـحب الهواء ثم ينفث الدخان فـيخرج من أنفه وفـمه ويقول "أيهـا الشاب ، اذهب وقل له ، لم أضرب ابن أحـد ، ولم اسب ابن أحد ، ولا أرى ما يجمعني به حتى يبعث من يناديني له بسرعة هكذا"

قال الرسول "إنه هنا بين الحـياة والموت ، الأفضل أن تذهب إليه ، ربما سـيقول لك أمراً" نهـره وووو ، ثم وضع السيـجار في فـمه مرة أخـري ، وأخذ يجـذب الهواء إلى صدره، ويقـول "بالله عليك اذهب وأبعدني عن هذه المشاكل ، فليـذهب ويمت ، ما هو الأمر الذي يريد أن يقوله لي ولم يقله أبي؟"

عاد الـرسول مـرة أخري ، وقـال للشيخ طنتنا "إنه حـاول كثـيرا ، فـرفض وووو الحضور ، وطلب الا يضايقه ، وقال أن أباه الذي أنجبه ، تركه يفعل ما يشاء ، فما بالك بالآخرين.

عندما سمع الشيخ طنتنا ذلك ، قال "لا حول ولا قوة إلا بالله" ، وسقطت الدموع

من عينيه ، وقال "عد مسرعا ، وقل له أن مال أبيه سيدي إبراهيم ، التي رأي أنها ليست كثيرة ، تبلغ حوالي ألفى جنيه ، دفنها في حفرة وأراها لي وحدي ، وتركها لدي أمانة أقدمها له إذا اهتدي ، ومازال حتى الآن علي حاله ، وأري أن هذا المرض لن أشفي منه لذلك اردت أن يأتي لأدله على مكان ماله ، لا أطلبه لأمر سوى ذلك، حاول أن تسترضيه لعل الله يهديه ويأتي ، حتى لا أموت وهذه الأمانة في عنقي ، وقل له إنه يعرف مدي أهمية هذا الأمر طالما أنه متعلق بالمال لا ينبغي أن أريه لأحد، وأقول له إذا رآه يدله عليه أفضل من أن أراه وجها لوجه ، لا أريد أن يدخل بيننا أحد ، حتى لا ارتكب إثمين" ذهب الرسول مسرعا ، فوجد ووو ما زال يرفض مغادرة هذا المنزل ، فناداه خارج المنزل ، ليقول له في السر ما جاء من أجله ، فرفض الولد الخروج ، وطلب أن يدخل ويقول له ما يريد ، وإذا كانت هذه الرسالة لاتهمه ، فليعد إلى حيث أتي.

عندما سمع الرسول ذلك دخل ، ووقف أمامه ، وقال له كل ما قاله الشيخ طنتنا ، فلما سمع الولد ذلك قال "أشعر بذلك في نفسى ، كما أعرف أنني سأموت ، عرفت أن أبي ترك أكثر مما ورثت عشر مرات" ، ثم قام وأخذ يجري ، وقصد منزل الشيخ طنتنا ، ليسمع نداء الثروة ، ووصلا فوجد الرجل قد مات.

وضع ووو رأسه بين يديه أسفا ، وأخذ يبكي بكاء شديد ، حتى كاد يجن ليس حزنا على وفاة طنتنا ولكن لأنه لم يعش ، حتى يقول له أين وضع الثروة التي تركها ، فأخذ الناس يواسونه بالصبر ، ظن الناس في البداية أن هذه الخسارة ستجعله يخفف من انحرافاته ،ولكنه سرعان ما عاد لحاله ، وصار أسوأ مما كان.

واستمر على هذه الحال وذات يوم بعد أن مضى حوالي ثلاثة أشهر من وفاة الشيخ طنتنا ،أخذ ووو آلته الموسيقية الصغيرة ، وقصد منزل اللهو والمجون ، وأشعل سيجارة، وأخذ يسير وهو ينفث الدخان ، وقد أنزل القلنسوة حتى وصلت حاجبيه ، وسار مغترا بشبابه ، وإذا قابله الناس ينحرفون ويتركون له الطريق ، حتى لا يصطدمون به ، ويقولون "لا حول ولا قوة إلا بالله" ، ويقولون "لا بأس هذا هو حال الدنيا ثراء وفقر"

وأثناء سير ووو دخل منزل اللهو فتقابل مع شيخ عجوز غريب ، يحمل حقيبته ، ويسير محنيا وكان يظن أن ووو لكونه صغيراً سينحرف ويفسح له الطريق ، ولم يعرف سوء خلقه ، فلما رأى الولد أن الرجل العجوز لم يفسح له الطريق ، سار في طريقه وصدمه ، ولم ينحرف له ، وضربه بكتفه حتى أخذ العجوز يترنح ، وكاد يسقط ولكنه أعتدل ، والتفت ونظر إلى الصبي وقال "أيها الصبي ألا تراني؟، تصدمني هكذا"

نفث الولد دخان سيجارة ونظر إلى الشيخ العجوز ، وقال "ماذا تريد؟، اذهب قد جُعل هذا الطريق لعامة الناس وليس للأمراء"

نظر العجوز إلى الولد ، والدموع تتساقط من عينيه وقال "وهو كذلك اذهب سترى، لن تسب أحدا بعد ذلك"

التفت إليه الولد غاضبا ، ووضع المنديل على فمه ، وأخذ يسعل كما يفعل المثقفون ويقول "كل نفسك، إننا لم نأكل ونشرب من أجلكم ، لن أرى إلا الخير افعل ما تشاء واشرب من الماء القذر ، رجل عجوز قذر "، فمضي العجوز وهو يبكي من شدة الحزن،ولم ينتظر لشراء الطعام الذي جاء من أجله وانصرف.

الله أكبر ، لو عرفت أن الكبر والشر سيئان مكروهان، لم يمضى شهر واحد على هذا الولد منذ لقائه بهذا الشيخ العجوز ، إلا وأصيب بالجنون ، لم يعرف الناس كيف بدأ هذا الأمر ، وفي ضحى يوم من الأيام ، خرج من منزله عريان ـ اللهم احفظنا من ذلك ـ يحمل فأسه على كتفه ، وسار يهذى بكل ما يخرج من فمه ، وأخذ الناس يقولون "اللهم زده إننا نعرف أن هذا سيصيبه"

ومنذ هذا اليوم أصيب الولد بالجنون وأخذ يسير في المدينة ولا يجد مكانا ينام فيه سوى السوق ، ومن وقت لآخر تحمل له أمه الطعام ، وإذا قابل أحدا أثناء تجوله في المدينة يقول له "أرني أين وضع أبي لي الثروة ، فإذا قلت له أنك لا تعرف ، يظل يضربك حتى تتخلص منه"

وكان بعض الناس إذا سألهم يأخذونه إلى مكان كثير العشب ، أو خلف منزلهم أو مزرعتهم ويقول له "هنا دفن سيدي إبراهيم الثروة ، مائة جنيه تماما ، إذا كنت تريدها احفر هذا المكان جيدا ، وابحث جيدا ، فستجدها ، وبالله عليك إذا وجدتها أعطني قرشا"

فيقول الولد "وهو كذلك، سأعطيك نصف قرش يكفيك"، فيحفر المكان جيدا ، وإذا لم يجد شيئا ينغص فأسه ، ولينتقل إلى مكان آخر ، قائلا "هذا لم يعرف المكان الذي أخفى فيه أبى الثروة ، يكذب على، لن أعطيه نصف القرش الذي وعدته به"، وهكذا ظل الناس يستغلونه حتى تغيب الشمس وربما ما زال حتى الآن هناك ، يبحث عن الثروة ، الله أكبر، الكبر عمامة الفقر.

قال فصيح "أنا أحيانا أتكبر على الطيور ، لأني ابنك ، حتى إذا تكلموا معي من بعيد ، لا أرد عليهم ، وطالما أن هذا غاية التكبر فسأتوب من اليوم.

وفي اليوم التالي عندما رأى فصيح أنه الخميس امتنع عن الذهاب إلى الوزير وطار وأخذ يتجول ، وبعد ذلك سأله الوزير ، لماذا لم يأت للقراءة؟.

قال فصيح "لأنه يوم الخميس ، ولا قراءة في يوم الخميس ، فهذا اليوم عطلة عند كل أولاد المدرسة"

قال الوزير " قلت لك ، قراءتك من نوع مختلف ، لا تعرف يوم جمعة ولا خميس، أجلس الآن لتقرأ ، التحذير رقم كم اليوم.

قال فصيح "الرابع ، الذي قلت أن الإنسان لا يحتقر أي مخلوق"

قال الوزير "وهو كذلك"

كل من يحتقر مخلوقًا يرَ نهايته

كان يعيش أحد الأمراء في بلاد الشرق وكان له ابنة تسمي ماما ، كانت فتاة جميلة جدا ولكن الكبر والتفاخر والغباء أفسدها، كلما جاء ابن أمير يطلبها تنظر إليه بازدراء وتقول أنها لا تريده ، وقد ضايق هذا الأمر أباها ، ها هى الفتاة قد بلغت سن الزواج ، ولكن الاستهتار منعها من أن توافق على أحد، عندما تعب الأب جمع أبناء أمراء البلد كلهم لتختار من تريده ، وتزين ابن كل أمير بأجمل زينة ، وتجمعوا كثيرا في بلاد الشرق، دعك من أبناء الأمير ، لقد اجتمع كل الأثرياء في قصر الأمير، كل هؤلاء من أجل واحدة ، وهى ماما ، حتى أخذ الناس يمدحونها ، الإبرة في بحر عميق من ينالها إلا صاحب الحظ السعيد.

عندما رأى الأمير أنهم اجتمعوا ، أخرج الكراسي وأعدها لهم وغطيت بالفرش وجلس ابن كل أمير وتاجر على واحدة منها ، ثم استدعيت ماما لتأتي ولتختار واحدا، فخرجت تختال ، وكأنها لا تأكل كما يأكلون ، وبمجرد رؤية ماما تشعر أنك رأيت فتاة غاية في الجمال ، من كانت تحمل صفاتها كان لها الحق أن تختال بها ، ولكن اختيالها تجاوز الدين الإسلامي.

عندما وصلت أخذت تطوف حولهم وتنظر إليهم واحدا واحدا ، وتمشى ناظرة إليهم بازدراء معجبة بجمالها ، ونظرت إلى ابن الأمير الأول ، وقالت "هذا ازداد وزنه ، وصار كالقربة" ،ونظرت إلى الثاني وقالت "وهذا ليس له رقبة ، انظر عبد الله هذا ، إنه ولد جميل ولكنه قصير كأنه حمل سلة فخسفته ،ولد قصير ، لو كان هذا الطويل القريب منك أعطاك شيئا من طوله لصرت فتي غاية في الجمال" ، ثم التفتت إلى آخر جالساً وقالت "وأنت ألا تضحك ، وتقلب شفتيك ، كأنك جمل؟" ، لا أطيل عليك ، لم تجد ماما من تختاره ، وبدلا من أن تتركهم ينصرفون دون إساءة أخذت تتبعهم بالكلام السيئ واحدا واحدا ، ولما انتهت من طوافها نظرت إليهم جميعا ، وبصقت وقالت ، إذا كان الرجال قباح المنظر هكذا ، لن أتزوج حتى أموت"

وانصرف أبناء الأمراء، كل يعض نواجـذه، هل جمعتهم لتسخـر منهـم ، وكاد أمير بلاد الشرق يقتل نفسه من الخجل ، ونادي ماما ولامها.

قالت ماما "يا أبتي اغفر لي ، طالما أنك قلت أتزوج ، فسـأتزوج ، ولكن لم أجد من أحبه في هذه الدنيا لجماله والأفضل أن أجرب حكمتهم ، ومن وجدته يفوق الآخرين سأتزوجه ، مهما كان"

قال الأمير "أية حكمة ستجربينها ، هذا الـكلام الفارغ؟، وأية حكمة لديك أنت ، حتى تجربي آخرين؟"

قـالت مامـا "انتظر وسترى ، يا أبتى ، السـؤال الذي سأسـأله كل من يجب عنه سأتزوجه"

قال الأمير "أي سؤال ستسألين؟ قولي لنسمع غباءك؟"

قالت ماما "سأسألهم ، أين الفصل الجاف أثناء العام ، وأين يكون الفصل المطير؟"

نهرها الأمير ، وقطب جبينه ، وقال "ماذا تقصدين بهذا الغباء؟"

قالت ماما "ألم تفهم إذا جاء الفـصل الجاف ، أين يذهب الفصل المطير وينتظر قبل أن يمضى؟، وإذا جاء الفصل المطير أين يذهب فصل الجفاف لينتظر حتي يمضي وقته؟ لأننا لا نري الفصل الجاف والمطير يأتيان معا ، أين يذهب الأول وينتظر الآخر؟"

غضب الأمير عندما سمع هذا السؤال الغبى ،ونظر إليها، وقال لها عبارات "يذهبون إلى بيتكم أيتها الفاسدة"

انحنت مامـا ، وسألت أباها المغـفرة ، ولعلك تعـرف البنت وأباها ، غفـر لها في الحال ، وطلبت من الأمير أن يكتب هذا السؤال ، ليبعث به إلى كل البلاد شرقا وغربا ، جنوبا وشمالا ، لعله يوجد من يجيب عنه ، فيتزوج ماما ، ويطمئن قلب أبيها"

كان من بين أبناء هؤلاء الأمراء الذين أخجلتهم ماما أمـير قصير، الذي قالت له كأنه خسف بالسلة ، كـان أكثرهم غـضبا مما قـالت ، منذ أن ذهب إلى المنزل وهو يفكر فيـما يفعله مع هذه الفتاة ، لينتقم منهـا ، ولم يجد وسيلة ، وهو في هذه الحال سمع عن هذا السؤال ، وسـمع خبرا يقـول أنه يوجد عفـريت ، ولكنه رأس فقط بلا جـسم في إحدي الغابـات البعيـده ، فعـزم ابن هذا الأميـر على أن يذهب إلى هذه الغابـة التي فيـها هذا

العفريت ، ومرت الأيام حتى شاء الله أن يصل إليه ، فلما وصل إلى الجبل ألقى السلام، فرأى رأسا كبيرا يتدحرج من الكهف ونظر إلى ابن الأمير وقال "حظ سعيد، اليوم هبط علينا طائر مشوي من السماء"

انحنى ابن الأمير ليحيي الرأس ، فقالت له الرأس "أنا خادم العفريت أمير الرؤوس، ولست الأمير ، دعني أذهب إليه واقول له أن شخصا يستأذن"، وتدحرج ودخل ، ومضت فترة ولم يرد ، ثم خرج وقال "لقد سمح أن تدخل"

قال ابن الأمير في نفسه "اليوم أتيت بنفسي إلى الهلاك ، ولا مفر من ذلك واعرف حال العفاريت ، وأن فرارى لن ينقذني ، ثم انحنى وزحف ، ودخل فوجد الأمير على كرسى ،والرؤوس مبعثرة حوله ، فركع وحياها.

قالت باقي الرؤوس " قرنجو أمير الرؤوس يحييك"

ثم تدحرجت رأس ذات أسنان بارزة ، ورفع عينيه إلى أعلى ، ونظر إلى الأمير وقال" قرنجو انجو أمير الانتصار ، لا تنس أنى أريد العيون "

قال الأمير " أنت تطلب العيون ، وأنا الأمير ماذا آكل ،من يشرب ماء عين الإنسان يأكل ألذ شئ "

فأخذت بطن ابن الأمير تمغص ، فانحنى وقال للأمير " أبتى أمير الانتصار ، إذا كنت ستقتلني ،دعني أقول لك ما أتى بى إلى هنا "

قال أحد أفراد الحاشية يتنحى جانبا " قل بسرعة لنسمع ، إن رؤيتك أثارت شهوتنا جميعا إلى الأكل ، وصار لعابنا يتساقط من أفواهنا "

قال ابن الأمير قصة ماما كلها للعفريت ، وقال " كل ما دفعنى إلى أن أضحى بنفسى وآتى إليك ، هو أننى أرى أنها لا تناسب أحدا سواك "

قال الأمير "ماذا سأفعل بها ، أنا الآن عندى سبعون امرأة ، وكان عندى بالأمس عروسة أكملت السبعين"

قال ابن الأمير " ومع ذلك ، قرنجو أمير الانتصار ، كل واحدة لها يومها ، ترى الآن كل الأعمال التى تعملونها ، تعملونها بأفواهكم ، وها أنت قد وصلت حيث يصل كل أمير ، ولكن لا أظن أن عندك ما تركبه ، ترى أنك لو تزوجتها ، حيثما تريد

الذهاب، تحملك فى سلة على رأسها ، فتستريح من الشمس ، والتدحرج فوق الأشواك " .

قال الأمير " نعم ، صدقت ، ولكن ما يفسد الأمر ، الوصول إلى إجابة هذا السؤال الصعب ، ولكن دعنى أنادى جدى ، لنسمع لعل الشيوخ يعرفون " ، ونادى رأسا وطلب منه أن يذهب مسرعا وينادي ، ونظر الأمير إلى باقى الرؤوس وقال " إذا كنت ستنال هذه الفتاة ، بلغت المراد ، رغم أنها لا تأكل رؤوس الناس ، ولكنها تأكل ما يأكلونه من طعام ، وتصنع لنا الطعام الذى نأكله . "

قالت الرؤوس الأخرى " ستكون الحياة حلوة ، ولكن الأمر الصعب هو معرفة الإجابة عن السؤال الذى تسأله: أين يكون فصل الجفاف والمطر طول العام "

وأثناء جلوسهم يتحدثون إذ برأس تدخل شديدة البياض ، ذات شعر رمادي ، ولحية وعارضين ، ووجه كله مجعد ، وبمجرد وصوله أفسحت الرؤوس له الطريق ، ونزل الأمير من فوق الكرسى ،وصعده هذا العجوز ، إنه جدهم ، ونظرت إليه كل الرؤوس ، وقالت " كيف أصبحت ؟ "

قال العجوز " صحة تامة "

وقام ابن الأمير واقفا وانحنى ، وحيا جد الأمير ، فرد عليه بلسان عذب ، وقال الأمير كل القصة التى جاء من أجلها ، تعجب الرجل العجوز وقال " كل من أجاب الفتاة عن هذا السؤال يعتبر حكيما حقا " ، ونظر العجوز إلى باقى الرؤوس وقال " انتظرونا حتى نجتمع ، وأقول له الإجابة عن السؤال سرا ، حتى لا يذهب أحد ويسبقنا ويجيب عن السؤال " ، قامت الرؤوس الأخرى كلها مع ابن الأمير ، ونظر العجوز إلى حفيده ، وقال " شجرة الجاوو ،هى الإجابة عن سؤال هذه الفتاة . "

قال الأمير " شجرة الجاوو ، أهكذا تكون الإجابة عن هذا السؤال ؟ "

قال الجد " ألم تفهم ، الصغير دائما صغير ، فى الفصل المطير عندما تورق كل الأشجار وتكبر ، عندئذ شجرة الجاوو تجف ، الذى يجعلها تجف ، لأن الجفاف يغطيها ، ينتظر انتهاء الفصل المطير ، حتى ينزل هو الآخر ، وفى فصل الجفاف عندما تجف الأشجار لعدم وجود البلل ، فى هذا الوقت تورق شجرة الجاوو ، بسبب البلل الذى يصيبها فى فصل الأمطار ، وتنتظر نهاية فصل الجفاف لتترك ، وهى التى تجعله يورق " .

قال الأمير " نعم ، إن هذا السؤال لا يستطيع الإجابة عنه إلا مثلك ، وسأذهب غدا فى الصباح ، وسأذهب وحدى "

وقال له الجد الحيلة التى سيفعلها ، وكل الأشياء الأخرى التى سيفعلها قبل الإجابة عن السؤال ، ولما انتهوا من الاتفاق ، نادوا ابن الأمير ، وقالوا "غدا يأخذ الرأس ، ويختصر له الطريق ، ويحتويه ويوصله إلى مدينة الفتاة ، ويضعه على باب المدينة"

قال ابن الأمير "وهو كذلك ، يحيينا الله إلى الغد "

قال الأمير " آمين" ، وتدحرج حتى وصل إلى جحر ، وأخذ يخرج قمصانا وأقمشة بفمه ويقدمها لابن الأمير ، وأخذ حقيبة واحدة مملوءة بالمال وقدمها إليه ، ثم طلب منه أن يأتى كلما احتاج لأية مساعدة سيأتى إلى هنا ويستأذن ، يجد ما يريد ، ولا يخاف منهم أحد فقد صار أخا لهم .

قال فصيح " لدى سؤال يا ابنى ، هل تسمح لى أن أسأل ؟"

قال الوزير " اسأل ، السائل لا يضل أبدا "

قال فصيح " لقد قلت أنهم بلا أيدى ، ولا أرجل ، كيف جمعوا هذا المتاع ؟"

قال الوزير " لك حق أن تسأل هذا السؤال ، إنهم يسرقون ، إذا اجتمعوا على تاجر واحد ، واحد يعض عرقوبه والبعض الآخر يقفز ويمسك أنفه ويلتصقون به ، والبعض يمسك البطن ، والبعض يغرس أسنانه ويمتص عينيه ، والبعض يقفز إلى أعلى وينطحه ، وهكذا حتى يموت ، فيجمعون المتاع ، ويأخذونه بأسنانهم ، كما تأخذ النملة الحشرة ، ويجرونه إلى المنزل ويأكلونه" .

قال فصيح " ألا يقتلهم التجار ؟"

قال الوزير " تعودوا على الصعاب ، حتى لو ضربتهم بعصا غليظة ، لا يشعرون ، بسبب التعود ، والعلاج الذى يتناولونه ضد العصى ، والحديد ، كل هذا تعودوا عليه ، ومهما كان طول الإنسان لا يتجاوز قدرتهم على القفز ونطحه ، لأنهم إذا وقعوا على الأرض ، وقفزوا لا يشعرون بالألم ، ولا يتأثرون بالشوك ولا حرارة الشمس ، ولا يهتمون بها . وأنت تعرف أنهم ليسوا آدميين، إنهم عفاريت ، ولا يبالون بكل ما يصيب الإنسان من مضايقات "

تعـجب فصـيح وقال " ها أنت تقـول أنه ليس لهم جـسم ، وقلت أنهم لا يأكلون الطعام ، ألا يتبرزون ، ولا يتبولون ؟"

صمت الوزير ، وأخذ يفكر فى الإجابة عـن هذا السؤال ، وبعد قليل قال "اسكت واستمع لما أقوله لك الآن ، عندما تكبر أبين لك كل ما تسأل عنه الآن . "

قال فصـيح " وهو كذلك " ، استمر الـوزير قائلا : قدم لابن الأمير حـصيرة ، فنام، وعندما طلع النهار ، أخذ الرأس وقـصد به مدينة الشرق ، ومرت الأيام ، ولم يدع لأحد فرصة أن يطلع على ما يحمل ، حتى وصلوا بالقرب من مدينة الشرق ، ووضعه ، وقال " ها هى المدينة " ، واستأذنا ، وعاد ابن الأمير إلى مدينتهم .

لقد تفـرقا عن بعـضهمـا عند الفجر ، لأنهـما لا يسيـران إلا بالليل ، وبدأ الرأس يتدحـرج ، وقصد المدينة ، والتـفت خلفه فرأى امـرأة عجوزاً قـادمة ، وكانت العـجوز مسرعة لتصل إلى المدينة مبـكرة ، ولم تنتبه إلا وهى تصطدم برأس ، فلما اصطدمت بها قالت "يا شيخ ابن فوديو" ، ونظرت لترى ما تعثـرت فيه ، وفجأة رأت رأسا بلا جسد ، فتراجعت إلى الوراء من شـدة الخوف ، وانحرفت لتمضى فسـمعت الرأس تقول "خذيني واحمليني إلى منزلك "

فلما شعرت العجوز بذلك قالت " هل أنا مجنونة ،من الذى يأخذ رأسا مقطوعة بلا جسد ، هكذا ويحملها إلى منزله " ، وقصدت المنزل وهى تجرى ، وهى لـم تعرف أن هذه الرأس تتبـعها ، تتـدحرج وتقفـز ، فلما وصلت قالت لحـفيديهـا اللذين تركتهـما " ألا تعلمون، اليـوم نجوت بحياتى ، عندمـا وصلت إلى ساحة الطويلة ، إذا برأس بلا جـسد تطلب منى أن أحملها إلى منزلى "

وهنا قالت الرأس " كيف نجوت ؟، حتى الآن لم نفـترق عن بعضنا ، لقد اطمأننت أنى لن أضرك ، ولكن إذا ظننت إنك ستفرين منى ، لو خالفت ما أقوله ، فكل ما أفعله معك ستكونين السـبب ، وطلب منها أن تحضر حصيرة بالـقرب من النار ، لأن الجو كان باردا فى هذا الوقت .

وأخذوا يـنظرون إلى الرأس أثناء جلوسهم ، ويسـبونهـا فى سرهم ، وكـانت المرأة العجوز تعـد العرض لتحمله إلى السـوق ، فإذا باعته تشتـرى طعاما ، ولكن هذه الرأس

منعتها اليوم من الذهاب ، لذلك أخذوا يتضورون جوعا حتى الظهر ، فلا يوجد أى طعام بالمنزل ، إلا بعض الفواكه ، والثمار فأخذ الأولاد يأكلونها ، فلما رأت الرأس قدوم المغرب ،وليس فى نية ربة البيت أن تعد طعاما ، فقال العجوز " يا جدتي ، أنتم هنا ألا تأكلون طعاما ؟، منذ جئت إلى هذا المنزل لم أر أحدا منكم يضع شيئا من الطعام فى فمه"

قالت العجوز " هل توجد فرصة نضع شيئا فى فمنا ؟"

قالت الرأس " لماذا ؟"

قالت العجوز " لأنه ليس لدينا مليم واحد نشترى به "

قالت الرأس " هل هذه هى عادتكم دائما ، لا تأكلون الطعام ؟"

قالت العجوز " لا ، كل يوم أحمل الدخن إلى السوق وأبيعه لأشترى طعاما ، وها أنت اليوم منعتنى من الذهاب إلى السوق ، وليس علينا إلا الصبر" .

قالت الرأس " معنى هذا أنكم تلعنونني اليوم لأنني سبب فى الجوع الذى تشعرون به ؟"

قالت العجوز " لا أخفى عليك ، والله أنت السبب"

قالت الرأس " إذا كان على الأكل ، جففوا دموعكم ، واستريحوا من مشاكل البحث عن الطعام ، لقد قالوا قديما: معرفة الرجال ثروة ، انتبهى لما سأقوله لك ، إذا انتصف الليل ، قومى واقصدى القنطرة حيث التقيت بك ، ولا تخافى شيئا ، ونادى بصوت مرتفع وقولى "زريقان" ثلاث مرات ، ستجدين أحد الجن قد خرج ، فقولى له أن سيدك الأمير قرنجو يقول لك أن تفتح الخزنه الصغيرة ، ويعطيك حقيبة المال الزرقاء والتى فيها ،

قالت العجوز " وهو كذلك " ، انتصف الليل ، فقامت وقصدت القنطرة ، ووقفت وقالت " زريقان ،زريقان ،زريقان" ،وإذا بأحد الجان يخرج ، ولكن فى صفة الإنسان،وقال "من ؟"

قالت العجوز وهى ترتعش خوفا ، " سيدك الأمير يقول لك افتح الخزانة الصغيرة ، وأعطني حقيبة المال الصغيرة ، التى فيها لأوصلها له "

ركع الجن وقال " أطال الله حياة الأمير " ، ونظر إلى العجوز وقال " انتظرينى حتى

أخرج "، ثم رأت الأرض تنشق ، وغطس ، وبعد قليل خرج بالحقيبة ، وسلمها لهما فأخذتها وهي مسرورة ، وأحضرتها إليها ، وركعت وقالت " هاهى " .

قالت الرأس " اتركي الركوع لى ،إنك كوالدتى ، خذوها ، وهبتها لكم ، ولكن إذا صنعتم طعاما ، دائما تذكرونى ولا تقولوا أن مثلك لا يستطيع الأكل . "

أخذت العجوز المال ، ورقصوا فرحا ، وفى الحال طلع النهار ، اشترت نوعا من القماش ، وأحضرته لحفيداتها ، واشترت حليا حديثة ، وأعطتها لحفيدها ، واشترت لنفسها نوعا من القماش للكبار ، وأمرت بهدم سور المنزل ، وبنى آخر جديد، وهدمت الحجرات ، وصنع لها قش جديد ، وطلى جيدا ، وجمعوا أوانى الطهى القديمة ورموها وابتسمت فى وجوههم الحياة ، وقال الناس الذين لا يعرفون ما فى الأمر ، لابد أن بيع التوابل اكسبهم مالا كثيرا "

إن من لا يعرف قيمة الشيء ، لا يحافظ عليه ، فأخذوا يسرفون ، ولم يتنبهوا إلا بعد أن نفد المال كله ، ولم يتبق معهم شئ وصاروا مفلسين .

عندما رأت الرأس أنهم عادوا يشربون الحساء بلا لحم ، وتركوا الشربة باللحم ، ولاحظت أن العجوز لم تعد فرحة كما كانت من قبل ، فقال " يا أمى لعل المال قد نفد"

قالت العجوز "انتهت من مدة ، يابنى ، مال النصارى لا بركة فيه "

قالت الرأس " وهو كذلك لماذا لم تقولى ؟،عودى اليوم فى الليل ، ولكن إذا ذهبت ، لا تنادى على زريقان ، لأنه غير موجود ، نادى على دندمو ، وقولى له كما قلت لزريقان ، ولكن اليوم سيعطيك الحقيبة الحمراء ، وليست الزرقاء . "

قالت العجوز "وهو كذلك" ، وانتصف الليل ، فقامت وقصدت القنطرة ، ووقفت حيث وقفت المرة السابقة ، وقالت " دندمو، دندمو، دندمو ، دندمو "

خرج الجن ، فقالت له، فانحنى وقال " قرنجو أمير الانتصار ، الكبير "، وذهب وأخذه ، وأعطاها لها ، وأحضرتها إلى الرأس ، وأمر أن يذهبوا لينفقوها .

قالت العجوز فى سرها " إن هذا المال لا ينوى أن ينتهى ، هيا نعمل حائطا بالمسلح، قبل أن ينتهى بلا فائدة ، وفى الحال بنى لها حائط بالمسلح ، وصب له السقف، وتركت حائط القش .

وذات يوم كـانت تجلس ، فقـال لهـا الرأس " يا أمى ،اليـوم تذهبين إلى المدينة ، وتسألين عن أمير مدينة الشرق ، أريد أن أتزوج ابنته .

دقت العجـوز على صدرها وقالت " مـاذا ؟، بالله عليك كف عن هذا الكلام، لا تجعل الأمير يقتلني فى الحال ، ها أنت رأس بلا جسد ، تأتى وتقول أنك تريد الزواج من ابنة الأمير ؟، وإلى أين تأخذها ، إن لم يكن هذا جلباً للمشاكل ؟.

قالت الرأس " تتذكرين منذ البداية قلت لك ، إذا كنت تريدين أن نعيش فى سلام، فلا تجادلينى فيما أقول ؟، قومى واذهبى، بالتى هى أحسن "

تزينت العـجوز ، وخـرجت وهى تقول " اليـوم وقعت فى مـشكلة ، فأمـامي نمر وخلفى ذئب "

وصلت إلى الحاشية ، وطلبت أن ترى الأمير ، فأوصـلوها ، فقالت له ما كلفتها به الرأس ، ولكن لم تكشف عن صفته ، نهرها الأميـر ، وقال رجال الحاشية ، " هل أنت مـجنونة ؟، طالما أن مـاما قـالت أنها لن تـتزوج إلا من يجـيب عن سـؤالها ، تقـومين بشيخوختك ، وتقولين أنك تطلبينها للزواج بابنك ؟"

قالت العـجوز " نصـرك الله ، الذى يخطب ابنتك هذه ليس ممن يقـهرونه فى هذه الحياة الدنيا "

قال رجال الحـاشية " وهو كذلك ، بماذا تتباهـين ؟، ألا تعرفين السؤال الذى طلبت ماما الإجابة عنه ؟ ، فليأت ويجيب عن سؤال لنسمعه "

قالت العجوز " وهو كذلك" ، وخرجت، وقالت الرأس ما قاله الأمير ، وقالت لقد سبق إن قلت لك أن هذه الفتـاة لن تتزوج ، قبل أن تصل حاول كـثير من الناس من لهم أجساد ولكنهم فشلوا ، فـقالت أنهم غير مناسبين ، بعضهم قـال أن فصل المطر والجفاف يعيشان معا ، لا يذهب أحـدهما فى أى مكان ، يقولون أنه عندما تمطر يكون هنا الفصل المطير ، وإذا انقطع يكون الفصل الجاف ، فقالت: كل هذا غير صحيح ، وقد وعد الأمير أن من يحاول ويفـشل ، يسجن ، أو يدفع غرامة مـائة جنيه ،ها نحن نعيش حـياتنا فى سلام ، لا ينقـصنا شئ ، ستـجلب لنفسك المصـائب ، حتى يمسنا هذا البـلاء ، وها قد سمح لك أن تذهب وتتكلم ، ولا فـرصة لذلك ، وأخجلتنى ، وأخجلت نـفسك ، إنها لا تريد مالا ، فلا تحتاج أن نريها المال ، إنها تبحث عن الذكاء ، وهذا هبة من الله .

انفجرت الرأس فى الضحك وقالت " لا تغضبى يا أمى ،إن شاء الله لن أخجلك ، غـدا فى الظهر عندمـا يجتـمع رجال الحـاشيـة ، حـينئذ إذهبى وقـولى أن ابنك أرسلك واجمـعي الناس شهودا ، وعندمـا تخرج مامـا ،قولى لها ، كـل من يجب عن سؤالك ستتزوجيه ، مهما كان قبح منظره ؟ ، وكررى السؤال ثلاث مرات ، فإذا سمعتها تقول " نعم" ، فقولى ابنك يقول أن أقول لك شجرة الجاو ،واسمعي ماذا ستقول "

نظرت العـجوز إلى الرأس وقـالت " ماهـى شجـرة الجاو؟، ألا تتـعب من الكلام الفارغ، رجل لا يعقل ، أتعرف أمر الحاشية ؟، إن أمراءنا ليسوا كأمرائكم من الجن "

قالت الرأس " يا أمى ، للمـرة الثانية أقول لك ، لا تجادليـنى أكثر من ذلك ، ولا تجعلينى أحذرك التحذير الثالث بعد ذلك ، ما شأنك بما سيصيبنى ؟"

قامت العجوز فى هدوء ، وذهبت إلى الحاشية ، وعملت كل ما قالت لها الرأس أن تفعله ، بمجـرد أن سمعت مـاما الإجابة عن سـؤالها ، هبت قـائمة ، وعانقت العـجوز ونظرت إلى أبيها وقالت " يا أبتى ،وجدت الرجل الذى أتزوجـه ، مازالت فى الدنيا بقية من الحكماء . "

طلب الأميـر شرحا لهذه الإجـابة ، قالت له مامـا الإجابة كاملة، وكمـا قالت من قبل، الرأس العجوز لهذا الحفيد قرنجو .

تعجب الأمير ورجاله كيف وصلت هذه الـفتاة لهذا السؤال ، وكيف وصل ابن هذه المرأة العجوز إلى الإجابة عنه ، وأخذوا يقولون " نريد أن نرى هذا الولد ، هل هو قصير ؟"

قالت العجوز " اسكتي "

قال الأمـير " وهو كـذلك ، قولى له أننى وافـقت ، وعليه أن يأتى بلوازم الخـطبة غدا، وإذا كانت لديه فرصة نعقد مـرة واحدة ، ونضع الحناء ونزفها ، ونستريح من كلام الناس "

قالت العجـوز " هذا أمر سهل بالنسبة له ، كم مـائة تكفى لهذا كله ، لأرسله مرة واحدة وأرتاح من هذا التردد؟"

قال الأمـير " هل يسـتطيع أن يدفع خمـسمائة جنـيه صداقـاً ؟، ثم ينتظرها وليس مطلوباً منه شئ بعد ذلك ؟"

قالت العـجوز " إن خمسمـائة جنيه مثل خمـسمائة قرش لديه ، غـدا آتيك بها " وهمت بالقيام ،

قال الأمير " متى تكون لديه فرصة ليأتى لنراه ؟"

قالت العجوز " هذا أمـر صعب ، لابد أن أشاوره فى الأمر ، لأن الملك الذى لديه لا يطأه أحد بقدمة ولكن آخذه إلى حيث يريد ، ولكن إذا انتهى العرس ألح عليه أن يأتى . "

قـال الأميـر " إنهم الحكام ، أحسـنت إذ فـعلت ذلك ، وبلغيـه تحيـاتنا ، حتى نلـتـقى " ، ودعت المرأة العجـوز الأميـر ، وذهبت ، وحملت البـشرى للرأس بكـل ما حدث ، فسر سرورا بالغا .

وعندما انـتصف الليل ، طلبت الرأس أن تذهب إلى القنطرة ، وتـنادى اسم دكدك ثلاث مرات ، فإذا خـرج تقول له ، يبحث فى المخزن الصـغير ، ويأخذ ستـمائة جنيه ، بيضاء ويأتي بها معه ، لأنها لا تستطيع أن تحملها وحدها فقط .

ذهبت العجوز وفعلت كل ما قاله لهـا ، وفى الحال أعطاها الجنى ستمائة جنيه، فى اليد ، وركع أمام الرأس حياه ، وقدمها وعاد .

وعندما طلع النهار ، أعطى الرأس للعجوز خمســمائة جنيه ، لتوصلها إلى الأمير ، ومائه طلب منها أن تحفظها لديها ، ربما يحدث أمر عاجل فقامت بتوصيله بسرعة .

عندما فتح الأمير عينيه ، ورأى المال كله نقدا ، نظـر إلى الفتاة وقال" يا ماما ،لقد كنا نغضب مـعك عمـدا : عندما كنت ترفضين السـرعة فى اخـتيار الزوج ، لقـد صدق الناس عندما قـالوا ، فى السرعة التأخـر ، على الرغم من أننا لم نر الزوج ، ولكن أنت سعيدة "

قال الوزير " أترى أننا أسرعنا عبثا ، إنهم يقولون أن الذهاب المبكر أفضل من المال"

قال الأمـير " يجب أن نسكت ، لقـد وفقت مـاما ،ووافقت ، نسـأل الله أن يوفق أخواتها الصغريات هكذا "

قال رئيس الحاشية " آمين ، ولكن وجود فتاة سعيدة الحظ مثل ماما شئ قليل

إن ماما تبحث عن اللذة ، وستتزوج ثريا ، وقالت للأم " لقد سبق أن قلت لكم لـم أتمهل فى اختيـار الزوج عبثا ، إنني أعـرف ما اشترط فيـه ، أبناء أمراء هذا البلد ، ليس

لديهم سوى التكبر الكاذب ، وعند عقد الزواج سألوا العجوز عن اسم الزوج وأبيه ، فلم تعرف ، ولكن حتى لا يضحكونا عليها ، ويقولوا أنها لا تعرف اسم ابنها ، فاخترعت اسما وقالت اسمه ناكروا ، وأسم ابيه أبو الرؤوس ، فتعجبوا من هذين الاسمين، لأنهم لم يتعودوا على مثل هذه الأسماء ، ولكنها تشبه الأسماء العربية ، ولم يهتم الأمير ، وفى الحال أمر بجمع الناس ، واعلنت الخطبة وعقد القران معا .

قال الأمير للعجوز " عليك أن تذهبى وتخبرى العريس أننا نريد أن نراه "

ذهبت العجوز وأخبرت الرأس ، أن كل شىء قد تم ، ولكن الأمير يريد أن يراه ، وقالت " وهنا سيفسد الأمر ، إذا رأوك "

قالت الرأس " لا بأس ، ضعينى فى إناء ، واحملينى "

وضعته العجوز فى الطاسة ، أخذتها ووضعتها ، أمام الأمير وجسمها يرتعش ، وقالت " نصرك الله ، هاهو ابني "

تراجع الأمير بالكرسى إلى الوراء ، وتراجع كل أفراد الحاشية إلى الوراء وقال الأمير " ما هذا الذى أراه ؟، لن أزوج ابنتي ماما لهذا العفريت أبدا ، نادوا ماما ، لترى ما جلب علينا طمعها "

وعندما خرجت الفتاة ورأت الرأس ، قالت لن تتزوجه أبدا

قال الرأس " ، لقد تم زواجنا ، وطلبتي أن أجيب عن سؤالك وقد أجبت عنه " ، فماذا بقى ؟ ، وقد تم عقد القران "

استدعى رجال الحاشية الأمير واتخذوا جانبا ، وقالوا " نصرك الله ، لم يبق شئ إلا الدخلة ، إذا رفضنا تزويجه ، سنهلك جميعا ، لأنه من الجن ، ولكن طالما أنه يحبها ، فلن يضرها . "

عجز الأمير والفتاة عما يفعلانه ، فتم الفرح فى بكاء ، لا طبل ولا زغاريد ، وعندما تم كل شئ قالوا للعجوز قريبة الزوج أن تأتى ، لتأخذ العروسة ،قالت العجوز للرأس ، فأرسل للجن فجمعوا حوالى مائة رأس من الكهف ، وجاءوا إلى بيت العجوز وهم يتدحرجون ، منهم ذو اللحية ومنهم الجرودى ،ومنهم الجميل والقبيح، حتى قصر الأمير ، وامتلأ بهم باب القصر تماما .

لا يمكن وصف مقدار حـزن الأمير ووالدى الفتاة ، ووضـعت على جمل ، وذهبوا بها ، وذهبت الرؤوس تقفز ، وترقص وتقول "

قرنجو أمير الرؤوس ** ابن زلزلو من يعلو عليك ؟

الكبير ذو السلطة على الرؤوس ** الانتصار سيأتى إليك

من يحتقر كل الناس ، ير نهايته" .

قال فصيح " هذه القصة عجيبة جدا ،وسمح له الوزير بالانصراف.

وفى اليوم التالى عندمـا طلع النهار ، الجمعة ، انتظر فصيـح ، حتى يذهب الجميع إلى الصلاة ، فجاء إلى الوزير ، وبدأ يذكر له التحذير الخامس .

ما تستهين به من قذى يطرف عينيك

ذات يوم حمَّل أحد الوثنيين ثورة ، وساقه أمـامه وذهب به إلى السوق ، حيث تباع السلعة بسعر مرتفع ، فإذا وصل بحمولة ثورة إلى السوق باعها إما بثلاثين شلنا أو خمسة وثلاثين شلنا .

وذات يوم كان يسير بثوره محملا ، فـرآه أحد القصابين ، جاءوا لشراء بعض الأبقار ولكن منذ الصباح لم يروا ثورا واحدا ، فلما رأوه قادما من بـعيد قال أحدهما لأخيه ، " هل هذا القادم بثور هوساوى ؟ أم ماذا ؟"

ونظروا ، فقـال أحدهم " كيف؟، هو هوساوى ، ألا تعـرفون الوثنى ،انظروا إلى نوع بضاعته ، ومع ذلك فإنه يتكلم بطلاقة مثل الكنوى "

وهنا قـال أحـدهم وكـان يسـمى أنونو "ويحك أى ذكـاء لدى هـذا الوثنى ؟، إننا نجاملهم فقط" .

قال أحـدهم " إذا كان على الذكاء فهم أذكـياء ، ألم تسمع أن أحـدهم أنجب طفلا ذات يوم فمـات وأنجب آخر فمات ، وثالثـاً فمات ، فـقابل أحد الهوسـاويين وقال له " حدث لى كذا وكـذا ، وأسألك وأرجو أن تقول لى الحقيـقة ، هل من يميت الناس هكذا عنده أولاد ؟"

قال الهوساوى " الله أكبر من ذلك ، لم يلد ولم يولد "

قال الوثنى " ليس له أحد ؟"

قال الهوسـاوى " ليس له ابن وليس له حفيد ، سلطته لا تحتـاج وزيرا ، ولا وكيلا وكل ما عنده عبيد فقط ، ونحن جميعا عبيده "

قال الوثنى ،"وهو كذلك ، فى كل هؤلاء العبيد ، من الذى يحبه أكثر ؟"

قال الهوساوى " نحن جميعا لا نعرف من يـحبه أكثر ، لأنه لا مثيل له ، يفعل ما يريد ، لا يسـأله أحـد ، إذا رأى أمـرا ، يعز الفـقـيـر ويذل الأميـر ، وإذا شاء أذل

الثرى ورفع الفقير ، ولكن من غبائنا نقول أنه يحب العلماء أكثر ، لأننا نراهم يعبدونه أكثر منا " .

قال الوثنى " فقط ، إننى أبحث عن أمثالهم ، ماذا أفعل لأرى أحد هؤلاء العلماء، إذا ذهبت إلى المدينة ؟"

قال الهوساوى " إذا دخلت المدينة ووجدت شخصا بعمامة يجلس ويحيط به الأولاد ويتكلمون كلاما ولا تفهم ما يقولون ، هذا الرجل هو العالم "

قال الوثنى " الحمد لله ، هذا الرجل انتهى عمره "، ثم ذهب إلى المنزل وأخذ القوس والحراب ، وقصد المدينة ، فلما دخل من بوابة المدينة وجد عالما ، والأولاد يحيطون به ، يعلمهم القراءة ، فلم يقل له الوثنى شيئا ، وصوب عليه الحربة وهم بإطلاقها .

هب العالم قائما ، وقال " انتظر ، انتظر ، ماذا دهاك ؟"

قال الوثنى " أين هى السلامة ؟"، وقص كل ما حدث للعالم ، وقال " هذا هو السبب الذى أبحث من أجله على عبد من عباد الله ، لأقتله وأنتقم ؟"

فلما سمع العالم ذلك ، قال " الله أكبر ، إذا فعلت ذلك تكون قد أذنبت بقتلى وقد حررنى الله من قبل (يقول فى سره) من دخول النار ، طالما أن قلبى ممن يحبون النبى "

لم يسمع الوثنى كل ما قاله العالم ، فقام وقال " حظك سعيد ، لو لم تقل أنه حررك ، لطعنتك الآن "، ووضع السهم فى الجراب ، وعاد إلى المنزل .

قال أنونو " أمن أجل هذه القصة تقول أن الوثنيين أذكياء ؟ ، لا أرى فى هذه القصة إلا الغباء ، ماذا فعل هذا الوثنى ؟ ، دعك من هذا الكلام لترى ما سيفعله أبناء المدينة ، بمجرد وصول الوثنى ، قال له أنونو " كل هذا الثور بكم تبيعه لى ؟ ،مع أن الجوع متفشياً ، ومع ذلك ، فثمن البقر بخس ، لأن مرض البقر منتشر .

رأى الوثنى أنهم جاءوا ليتسوقوا ، وظن أنه سيبيع لهم بسعر مرتفع ، ثم يذهب ويشترى ثورا آخر ، فرد قائلا " كم ستدفع ؟ ، كل ما عندنا للبيع . "

قال أنونو " أريد أن أشترى كله ، لا أريد أن تنقص منه شيئا "

لم يفهم الوثنى ماذا يعنى ، وقال " طبعا كـله للبيع ، هل بيع الثور مرة ، واستثنى شئ منه ؟"

وكان يظـن فى هذا الوقت أن ثمن الثور لا يتـجاوز ثلاثة عـشر شلنات إذا اشـتدت الحاجة إليه ، فسمع أنونو يقول " هل توافق بخمسة عشرة شلنا ؟"

قال الوثنى " لا أوفق"

قال أنونو " بعت لك على أن يدفع المشترى الهبة "

قال الوثنى " لا أوفق "

قال أنونو " أظن أنه للبيع مهما كان ؟"

قال الوثنى ، " حتى القرن " كأنه يقول حكمة ،

قال أنونو " وهو كذلك ، اشتريت بثمانية عشر خالية من الهبه "

قال الوثنى " لم تصل إلى الثمن الذى أريده ، وإذا قبلت تكون الهبة خارج هذا الثمن .

قال أنونو " لماذا تمدح نفسك ، اشتريت بالمبلغ الذى ذكرته ، ثـمانية عشر خالية من الهبة . "

قال الوثنى " مـوافق" ، وفرح بأنه حقق ربحـا ، وأخذ أنونو جنيـها وأعطى الوثنى ثمانية عـشر شلنا ، وأعطى أخاه شلنين هبة ، وقال الـوثنى ، وهو كذلك" ، هيا نذهب إلى الوزان ، لأنزل الحبوب ، وأسلمك الثور "

قال أنونو " أى حـبوب لك ؟ ، لقد قلت أننـى اشتريت الثـور كله ، لا يؤخذ منه شىء ، وقلت أنك بعت لى ، ماذا لك فيه ؟"

قال الوثنى " لا ، بعت لك الثور فقط ، ولم أعرف أنك تقصد الثور وما فوقه ، ها هو مالك ، كيف أوافق ، إن حبوبى التى فوقه تزيد عن ثلاثين شلنا "

قال أنونو " ويحك ، طالما أننى قلت اشتريت ، ونطقت كلمة بعت، لا يمكن لأحد أن ينقص هذا الاتفـاق ،إلا إذا ذهبنا إلى الأميـر ، هيا نذهب " ، وذهبا ، فـرأى الوثنى أنهم غيروا الطريق وذهبوا إلى السوق.

قال الوثنى " هل أنت ذاهب إلى السوق ؟، ألم تقل نذهب إلى منزل الأمير ؟"

قال أنونو " نعم ، تعال ، هو فى السوق الآن "

تعجب الـوثنى مما يأتى بالأميـر إلى السوق ، واتبـعه ، حتى وصلـوا إلى المجزر ، حيث أمير القصابين .

قال الوثنى " قلت أننا نذهب إلى الأمير ، فكيف وصلنا إلى أمير القصابين ؟ "

قال أنونو " هذا هو الأمير الذى تحـدثت عنه ، هل عندنا من هو أفضل منه ؟ تعال ليقضى بيننا "

جلس الوثنى ،وكرر أنونو الحديث كله كما حدث ، سأل أمير القصابين الوثنى وقال " أهكذا ؟ "، شرح له الوثنى ما كان يظن قصد أنونو عندما قال له موافق .

قال أميـر السوق " شريعتنا نحن أبناء الـسوق إذا سمعنا كلمة اشـتريت وبعت لك، انتهى الأمر "

فلم يجد الوثنى ما يقوله ، وفكر فى أن يشكوهم إلى القاضى أو إلى الأمير ، ورأى أنه لن يستفيد شيئا من ذلك ، فتردد ، ولقـد قال الحكماء ، معامله السفيه بالمثل واجبة ، وقام ونفض ثيابه وسار وهو يتمتم بكلام لا يفهم .

وعندما انصرف نظر القصابون الآخرون لأمير القصابين وإلى أنونو وقالوا " ابن حرام إنك يا أنونو، قد اثبتت أنك قصاب متحضر . "

قال أنونو " ويحك ، إذا ســمعت الناس يقولون فلاناً شـجاعاً ، فلأنه لم ير شـيئا مخيفا ، نحن نشأنا فى المدينة ، ثم يقال أن شخصا وثنيا يأتى يفوقنا ذكاء ؟ ، ويحك من هو الوثنى؟ ، إذا رأيت الكلـب يلعب فإنما وقـع فى أيدى أهل العلم وعندمـا يقع فى يد وثنى يصير لحماً "

قال أمير القصابين " لقد نلت ثروة "

قال أنونو " اننى سعيـد ، وسأستمتع بكل شىء "، قال الذئب "قتل كبـير الخصية آكل هنا، واشرب هناك "

قال له أحد الجـزارين " ألا تخشى أن يرفع شكوى ضدك ؟ ، قـد يكون أخذ درسا عما حدث ".

قال أنونو " يشكونى ، أليس لى فم ؟، إنى أعـرف أمام من سيذهب ، وسـأنتصر عليه"، وحمل الحبوب إلى المنزل ، وذبح الثور وأخذ يبيعه .

عندما وصل الوزير إلى هنا ، سمع فـصيح أذان الصلاة الثانى فى المسجـد الكبير ، فلما سمع ذلك قال الوزير "صعد الإمام المنبر ، فسكت، ولم يتكلم مرة أخرى .

نهره الوزير وقال " وما شأنك ، هل أنت تصلى ؟"

قال فصيح " الأستاذ إيرو الذى قلت لك أننى كنت أختبئ وأسمعه وهو يعلم تلاميذ المدرسة القراءة ، سمعته وهو يقول لولد كبـير ، إذا صعد الإمام المنبر ، يتوقف عن عمل أى شىء ، حـتى ولو لم تذهب إلى المسـجد، حـتى التجـارة تتـوقف فى هذا الوقت ، وسمعت أنها تبطل ، لذلك أذكرك بهذا لتنتظر حتى ينزل "

ضربه الوزير على رأسه ، وقـال " هذا فيه مغالطة ، عـندما قال يمنع الناس من أى عمل فى هذا الوقت ، هل سمعته يقول تمنع الطيور من الغناء ؟".

وتظاهر الوثنى بأنه ترك الأمر ، ومـضى حوالى عشرين يومـا حتى نسى الموضوع ، وذات يوم ارتدى ملابـس بيضاء كـالتى يلبسـها الهوسـاويون، وأحضـر عمامـة وأعطاها لشخص لفها له ، وأحضر مسبحة وأمسكها فى يده، وأخذ يسبح بها ، رغم أنه لم يعرف ما يقال فى مثـل هذه الحالة ، وعندما انتهى المصلون من الصلاة تبعـهم ، وكأنه خرج من المصلى ، وقـصد السـوق ، ولم يتـوقف إلا عند القصـابين ، وتصـادف فى هذا الوقت وصول أنونو ولكنه لم يعرف الـوثنى ، لأنه عندما حضر السوق من قـبل كان يلف ملاءة على جسمه واليوم يحضر بعمامة .

ذهب الوثنى إلى أنونو ، فوجده يبيع رأس مـعزة وضعها أمامه ، وكان مـعروفا ببيع هذا وكان يوم جمعه وقد اشترى كل أهل القرية ما عدا هذه الرأس ، وعند وصوله ضغط على رأس أنونو ونظر إلى رأس العنزة وقال " بكم هذه الرأس ؟"

رفع أنونو عينيه ونظر إليه وقال " لماذا تضغط على رأسى هكذا ؟، إنكم أيها العلماء تحتقروننا ، هاهى ، قل ، كم ستدفع "

قال الوثنى " قل لى كم تبيع ، إذا سمعت وكنت قادرا سادفع "

قال أنونو " بالله عليك أترك رأسى ، ياسـيدى "، ونظر إلى رأس العنزة وقال "إذا كنت ستدفع قرشا ونصف ، ادفع ، هكذا بعت أختها "

هز الوثنى رأس أنونو ، وقال " هذه الرأس تقول بقرش ونصف ؟، بقرش إذا وافقت هذا هو الثمن" .

رفع أنونو ونظره إلى الوثنى وقال " لولا أنك عالم ، لقلت لك اضربنى وخذها "

قال الوثنى " صبرك بالله ، لم آت لقتالك ، أشتريها بقرش ومليمين" .

قال أنونو " منذ خلقنى الله لم أر أبدا أحدا يحب المال ، مثل العلماء ، مهما تعطهم صدقة يقولوا إعطنا لوجه الله ، ولا يعطون لأجل النبى ، إذا دفعت قرشا ومليمين أوافق"

قال الوثنى " اشتريت " ، وأحضر قرشا ومليمين ، وسحب سكينا من وسطه ووضعها على عنق أنونو ، وحز ، فصرخ أنونو وهب واقفا ، وقام وأخذ يجرى ، والدم يسيل من حيث بدأ الوثنى يقطع بالسكين ، فتبعه الوثنى بالسكين مسلولا ليقطع رأسه التى اشتراها بقرش ومليمين ، وأخذ الوثنى يصيح " بالله عليكم امسكوه لى ، لقد اشتريت وباع لى ، حتى دفعت الهبة ، وها هو يجرى منى بما اشتريت "

وأخذ أنونو يصيح ويقول " أيها الناس أنقذونى ، سيذبحنى المجنون"

عندما سمع الشرطة ذلك اتبعوه وأمسكوهما معا ، وأخذوا السكين من يد الوثنى ، وقادوهما إلى منزل الأمير ، قال الوثنى " ما شأن الأمير بشريعة القصابين ، خذونا إلى أمير القصابين ، لأنه الأمير المسئول عن أمور السوق "

قال أنونو " لا ، خذونا إلى الأمير " ، ولكن الوثنى رفض تماما ، وأصر على أخذه إلى أمير القصابين ، وحتى هذه اللحظة لم يعرف أنونو الوثنى "

عندما وصلوا ، سأل أمير القصابين أنونو ، ما بينه وبين هذا العالم ، لأنهم لم يعرفوا أن هذا الوثنى هو الذى خدعوه وأخذوا منه الثور والحبوب، وقال أنونو كل شيء .

نظر أمير القصابين إلى الوثنى وقال " أنت اشتريت رأس العنزة بقرش ومليمين ، وتقول أنك ستأخذ رأسه ؟، إننا نراك كالعالم ، هل انت مجنون ؟"

قال الوثنى " أنا لم أشتر رأس العنزة ، لقد اشتريت رأسه ، والجميع ينظرون إلينا وقد ضغط عليها ، وأننى اشتريتها ، وهو باع لى ، فلابد أن أقطعها "

قال أمير القصابين " الجنون أنواع مختلفة ، رأسه اشتريتها بقرش ومليمين ؟"

قال الوثنى " نعم " وباعها لى "

تظاهر أمير القصابين بالغضب ، وغمز للوثنى بعينيه وقال " اتركوه لنرى ، كيف يذبحه ويأخذ الرأس؟ "

قام الوثنى ، وهجم على أنونو ، وأوقعه على الأرض ، فصرخ أنونو وقال " ياخلق الله أنقذونى ، والله هذا مجنون ، إذا تركتموه سيقتلنى ، ها هو قد بدأ يذبحنى" ، قام الجنود ، وأخذوا الوثنى بالقوة من فوق أنونو ، وهموا بوضع يديه فى القيد الحديدى ، فقال " لماذا تضعون لى القيد ؟ ، إنى سليم تماما ، أنتم لم تسألونى لتعرفوا حجتى ؟"

قال أمير القصابين "وما حجتك ؟، قل لنسمعها " ، خلع الوثنى عمامته ، وقص كل ما حدث بينه وبين أنونو وأمير القصابين ، للجنود .

نظر القصابون المحيطيون بهم إلى الوثنى وقالوا " الوثنى السابق مرة أخرى ، صادق فيما قاله ، هكذا حدث منذ أيام"

قال الوثنى " وأمير القصابين هو الذى حكم " ، ضحك الجنود وطأطأ الأمير رأسه. قال الجنود " قوموا جميعا لنذهب إلى أمير المدينة ، وذهبوا به إلى منزل الأمير ، عندما كرروا الكلام أمام أمير المدينة" ، كاد يغص من الضحك ، ونظر إلى أنونو وقال "هذا الحكم الذى قضى به أمير القصابين، وقال إن هذا هو حكم أبناء السوق ، عندما يسمعون قولهم اشتريت وبعت لك ، انتهى الأمر ، أيها الوثنى خذ سكينك وأتمم قطع الرقبة ، أو أعط أنونو ليقطع لك رقبته ، حتى لا يقول أنك قطعت الرقبة حتى العنق "

أخذ الوثنى سكينه ، من يد الجنود ، وتوجه بها إلى أنونو ، هب أنونو واقفا وذهب إلى مقعد الأمير ، وهو يصرخ ، ويقول " نصرك الله ، إذا تركتموه سيذبحنى ، انظروا كيف بدأ "

نظر الأمير إلى الوثنى وقال " انتظر ، استسمحك مرة واحدة أتبيع له ؟"

قال الوثنى " إننى أفضل الرأس عن أى شىء لأحملها إلى ضحى ، ليشرب دمها ولكن طالما أنك قلت أبيع له ، سأبيع له ، إذا رأيت السعر مناسبا "

قال أنونو " نصرك الله ، اشتريت وسأربحه على ما اشترى القرش عشر مرات "

نظر الأمير إلى الوثنى وقال " وافقت هكذا ؟، أى بشلن تماما "

قال الوثنى " كما اشتريت رأسه هذه ، إن لم يربحنى كل مليم بجنيه واحد ، لن أبيع له" ، انفجر الأمير فى الضحك وقال الوثنى " أحييك "

قال أنونو " نصرك الله أرجوك ، اجعله يخفض لى ، موافق على أن أعطيه ماله وثمن الغلال كلها "

قال الوثنى " لولا أن الأمير تدخل ، حتى لو كنت أمهر السحرة ، لقطعت هذه العنق وأخذت رأسى "

قال أنونو " نصرك الله، لقد وافقت على أن أدفع اثنى عشر جنيها ، ولكن يؤجل لى عدة أشهر "

نظر الأمير إلى الوثنى وقال " هل سمعت ، تستطيع ؟"

قال الوثنى " نصرك الله ، إن لم يدفع قبل أن يقوم من هنا قطعت رأسه طالما أن هذا هو حكم شريعة أبناء السوق "

انفجر الأمير فى الضحك وقال " أحييك يا رجل "، ونظر إلى أمير السوق وقال يا أمير السوق طالما أنك الذى قضيت بالحكم الأول ، يجب عليك الآن أن تذهب وتحضر الاثنى عشر جنيها الآن وتقدمها للوثنى ، وتكون دينا على أنونو يرده لك ، وإذا لم توافقوا يقطع الوثنى رأسه "

قال أمير القصابين " لا أوافق على ما قاله أنونو ، دعهم ، ما يريدون فعله ، يفعلونه بعيدا عنا "

قال أنونو " لا تتركه يقطع رأسى ؟ ، أنت الذى قضيت بهذا الحكم أولا ، فكل ما يحدث هو مسؤليتك" ،وشب النزاع بينهما ، فلما رأى الأمير، أن أمير القصابين أخذ يتهرب أصر الأمير أن يذهب ويحضر مائتين وأربعين شلنا ، وأعطيت للوثنى ، فقام وشكر الأمير ، وذهب ، وانصرفوا مع أمير القصابين .

عندما وصلوا إلى السوق ، وسمع باقى القصابين ما حدث وأخذوا يسخرون من أنونو، ويقولون " أنونو قصاب المدينة ، انتصر عليه الوثنى وضايقه ، فأخذ يسبهم ، وكلما زادهم مضايقة ، يقولون له " الأرنب لا يغضب ممن سلخه ويغضب ممن أمسكه "

ولما انتهى الوزيـر من رواية هذه القصة ، دخل المنزل ، وترك فـصيـحاً يبكى ، لأنه ضربه على رأسه .

وعندما جاء فصـيح فى اليوم التالى عصرا ، قال الوزير " اليـوم سأعطيك مثالا من قصص الكتاب العربى الذى يسمى ألف ليلة وليلة "

قال فصـيح " لا ، لقد سمعت مرة قـصة من كتاب ، اسـمه مثل هذا الاسم الذى قلته ، إلا أن الإسم الذى سمعته أطول من هذا قليلا "

قال الوزير " أى كتاب سمعته مثل هذا ، إن لم يكن كذبا ؟"

قال فصيح " أقسم بعظمتك ، ليس كذبا ، الذى سمعته يسمى ألف ليله وليلة "

انفجر الوزير فى الضحك ، وقال " عند من سمعت هذه القصة ؟"

قال فصيح "ذات يوم فى ليله الأحد سمـعت ضوضاء فى ممر الأستاذ إيرو ،فذهبت ، واختبأت فى النافذه ،لأسمع ما يضحكون عليه ، فوجدت أهل الحى كلهم مجتمعين ، منهم الأستـاذ إيرو ، والأستاذ عـثمان، والأستـاذ حسن ، والأستـاذ محمود ، ومـعهم الأستاذ موسى الذين كانوا فى حى هابى ، جلسوا وكان الأستاذ إيرو فى الوسط ، ويقص عليهم القصة من الكتاب. "

قال الوزير " هل تعرف هؤلاء العلماء كلهم ؟"

قال فصـيح " كل العلماء الكبار فى هذه المدينة أعـرفهم ، لأننى ألعب مع أولادهـم ، الأستاذ موسى ابنه تكر ، وابنه بلا كنو ،عرفانى بمنزلهمـا ، والأستاذ احمد ابنه متقى ، وابنه ميتركى ، عرفانى منزلهما ، والأستاذ إيرو، ميكيوومى كطى ، الأستاذ محمد مأندى ، . . .

قال الوزير " انتظر ، كف عن هذه الثرثرة ، أى قـصة سمعتهـا من الأستاذ إيرو ، يقصها للعلماء الذين تقول أنهم اجتمعوا عنده ؟

قال فصيح :

الخير لا يقع على الأرض عبثًا

كان يوجد رجل ثرى ، له ابن واحد يسمى حسن ، مات بعد أن زوج ابنه لفتاة تسمى رقية ، وورث حسن ثروة كثيره جدا ، ولعلك تعرف حال الصبى إذا ورث ثروة ، أخذ يجمع حوله الأولاد ، وينفقون الثروة فى الملذات فيشترى لهذا قميصا ، ولهذا سروالا ، ويعطى هذا مالا ، ويزوج البعض الآخر ، ولعلك تعرف طبيعة المال ، وإذا كان البخيل قد ينفد ماله فى وقت ما فما بالك بالمبذر ، لم يمض وقت قصير حتى نفذ ماله وتفرق كل أصدقائه ، وحيثما يذهب ، يرهم يتجهمون فى وجهه .

وبدأ حسن يفتقر ، وذات يوم حضر بعض عبيد والده ، الذين كان أبوه قد بعث بهم للتجارة فى الإبل قبل وفاته ، ولم يعودوا من هذه التجارة إلا اليوم ، فلما وجدوه قد مات ، أعطوا لحسن البضاعة ، فلما شعر أصدقاء حسن أنه استرد ثراءه ، تلقوه بلسان معسول ففرق عليهم هذا المال لأن الله خلقه محباً لفعل الخير ، وجمع متاعه ونساءه وهجر هذه المدينة ، وقصد مدينة كبيرة تسمى بغداد حيث يعيش الخليفة هارون الرشيد وعاش فيها ، وكانت زوجته تصنع له كل يوم ألوانا من الطعام فيخرج إلى طريق التجار وينتظر ، فإذا رأى التجار يدخلون المدينة ، دعاهم وأخذهم إلى منزله ، ويأتى بهذا الطعام ويقدمه إليهم ، فيأكلون ويقصون عليه أخبار الدنيا فيستمتعون فإذا شبعوا قام حسن وأخذ أيديهم واحد واحدا وغسلها لهم ، وأحضر ثمار الكولا وقدمها إليهم فينصرفون وهم يدعون له بالبركة .

وكان من عادة الخليفة هارون الرشيد أن يخرج هو ووزيره يتعسسان بالليل ، وبينما كانا يتجولان فى المدينة ، ليعرفا ما يحدث بين الرعية ، ذات يوم بعد مضى شهرين على هذه العادة ، دعا الخليفة ووزيره دون أن يعرفهما ، وكانا يرتديان ثيابا كقادة القوافل ، فجلسا يأكلان معه الطعام ، فجذب الخليفة الحديث ليعرف ما يضايقه فى هذه الحياة ، ودون أن يعرفهما حسن أو ما يقصدانه قال " يا أخى ،والله لا يضايقنى فى هذه الحياة إلا جارى هذا السيىء الذى يسمى باليه ، لو ملكت السلطة يوما ، لأمرت أن يجلد مائة جلده" ، انفجر الخليفة فى الضحك ، وقال "لماذا كل هذا؟"

قال حسن "ويحك، ضيقى وكراهيتى له، لأننى دائما أدعو الناس لضيافتى رياء وليس لوجه الله، علاوة على ذلك ، ها هو يدعى أننى منعهم من النوم بسبب سمر الناس الطويل بلا فائدة"

عندما سمع الخليفة ذلك، تركه، ولما انتهيا من تناول الطعام، غافلا عين حسن، ووضعا له مخدراً فى الماء الذى أحضر ليشربه، وقدماه إليه ليشرب، فلما رفع الإناء إلى فمه، وشم المخدر، سقط مغشيا عليه ، كالميت، فأمر أن يحمل إلى منزل الخليفة، ووضعوه على سريره، وأمر الخليفة الحاشية وكل الناس وأولاده أن يعاملوه على أنه الخليفة، ويفعلوا معه كل ما يفعلونه مع الخليفة ، لم يعرف حسن ما حدث ، وعندما أفاق من المخدر ، تمطى وعطس ثلاث مرات ، وحمد الله ، وظن أنه فوق سريره القديم ، ولكنه أحس أنه يغوص فى الفراش ، فنظر فوجد جارية تهوى له ، من اليمين ، ونظر شماله فوجد أخرى تهوى له من اليسار ونظر عند قدميه فوجد الثالثه تدلك أصابعه ، عندما رأى ذلك أغمض عينيه ، وقال لعله فى حلم ، ثم فتحهما فرآهن ، فنظر إلى الحجرة والسرير ، فرأى أنهما ليسا فراشه ، فتجرأ وقال لهم " أين أنا ؟"

فقالوا " فوق سريرك ، يا أمير المؤمنين "

قال حسن " من أمير المؤمنين ؟ "، فقالوا " أنت أطال الله حياتك "، عندما سمع ذلك ، قال لإحداهن " أنت عضى أذنى ، لعلى أستيقظ ، فأمسكت أذنه وعضتها بأسنانها حتى صرخ ، وتحير فيما يفعل بنفسه ، ثم تذكر وقال " لابد أن الناس الذين استضفتهم أمس ليسوا إنسا، ربما هم من الجن وقد فعلوا معى ذلك ، حسبى الله ، وسأل الجوارى الثلاث عن أسمائهن ، ليرى ما إذا كانت أسماؤهن مثل أسماء بنى آدم ، فقالت الكبيرة أن أسمها رقية ، والثانية رلينتو، والثالثه ، ابنة ياقوت ، فسمع أن أسماءهن ليست كأسماء الجن ،وظل كذلك حتى طلع النهار ، فأحضروا له ماء دافئا ، ليغتسل ، فقال لن يستحم بماء الجن أبدا ، فألحوا عليه حتى اغترف غرفة بيده ، فأحضروا له الطعام ألوانا ، فتردد فى الأكل ، فشعر أنه إذا لم يأكل سيهلكه الجوع عبثا ، فقال " لابد أن الموت سيدركنى ، طالما أننى وقعت فى يد الجن ، ولا مخرج ، وإذا كان الأمر كذلك ، بدلا من أن أموت من الجوع آكل وأشبع "، فجلس وأكل الطعام .

وعندما انتهى من تناول الطعام ، وإذا ببعض الجوارى يأتين لأداء تحية الصباح ، إذ قالوا "أطال الله حياتك ، نوم العافيه يا أمير المؤمنين "، فيقول لهم " أنتم تقلن أيضا أمير المؤمنين ، أنا اسمى حسن ، زوج رقية "، فلا يهتمون بذلك .

ولما انتهوا من تحيته ، دخلت جارية الأمير ، وقالت لحسن " عليك أن تستعد لتخرج إلى الحاشية ، الوزير والقاضى والجميع اجتمعوا وينتظرون وصولك" .

قال حسن " بصفتى من ؟!"

قالت الجارية " أنت أمير الأمراء "

قال حسن " أنت التى أمير الأمراء ، أنا حسن " ، فهدأوا من روعه ، وأعطوه ثيابا مثل ثياب الأمراء ليرتديها ، وأجبروه ، فخرج يتفقد المنزل ويحدق بعينيه ، كأنه قروى دخل قصرا ، ودلته الجارية على طريق الحاشية .

عندما خرج رأى الإصطبل، فوقف ينظر إلى الخيل الكثيرة ، فقالوا له أن كلها ملكه ، والشرطة التى تمسكها ، يقولون " خيرا أمير المؤمنين ، خطوات السلامة يا أمير الأمراء " ، وكاد يندفع ليعود إلى المنزل مسرعا ، ولكن الحرس دفعوه، فدخل الممر ، فوجد بعض الناس وقد لف كل واحد منهم عمامته جيدا ، فلما رأوه دخل، قاموا وانحنوا ، وقالوا " رفع الله ملك الدنيا " فوقف حسن ينظر إليهم فى ذهول ، وقد عجز عن الكلام، وهَمَّ بالجلوس على الأرض ولكن الشرطة أسرعت وأوقفته ، وأجلسوه على الكرسى ، وبمجرد جلوسه غاص به الكرسى ، فجلس يحدق بعينيه فى المكان ، ويتعجب من قدرة الله ، وإذا تحرك قليلا سمع الشرطة الذين يقفون خلفه يقولون " حركة العافية ، أمير المسلمين " .

وفى هذه الأثناء تذكر جاره بالية فقال " لو كنت الأمير حقا وليس كذبا لذهبوا وضربوا بالية مائة جلدة واجعلوه مفلسا ، وأعطوا رقية زوجة حسن مائة جنيه " ، فسمع الشرطة يقولون " سمعا ، أطال الله حياتك "

وبعد قليل عادوا وقالوا أنهم نفذوا أمر الأمير كله ، فنظر إليهم حسن ومص شفتيه ، وقال " اذهبوا بكذبكم . . " ، وهكذا عانى كثيرا من هؤلاء الناس ، وأخذ يحدق فيهم بعينيه ولا يقول شيئا حتى حان وقت المغرب ، فطلبوا منه أن يدخل المنزل ، فكاد يرفض الدخول ، فدفعوه ، وقدمت الجوارى له الطعام فأكل ، وأوصلوه إلى السرير فنام ، وما كاد يضع جنبه على السرير حتى غلبه النعاس ، لأنه شعر أن السرير ليس كسريره .

حدث كل هذا والأمير مختبىء يراقبه ، فلما رآه استغرق فى النوم ، أمر أن يشمم المخدر ، وينقل إلى سريره فى منزله ، وكانت زوجته قد بحثت عنه بالنهار ، فلم تجده ،

فلما استيقظ بالليل ورأى نفسه فى الظلام، تحسس السرير فلم يجد شيئا حتى الوسائد ، وإذا تحرك يسمع صوت السرير ولا يغوص فيه ، فلما رأى ذلك نادى بصوت مرتفع ، قائلا " مرجانة ، الا تسمعين ؟ ، أين رولينتو ؟ ، لم أسمع أحدا يرد "

عندما سمعت زوجته ذلك خرجت وذهبت إلى حجرته وقالت " ماذا أصابك اليوم ياسيدى ؟ ، أين ذهبت منذ مغرب الأمس ؟ "

سبها حسن وقال " من السيد ؟ ترين أمير المسلمين وتقولين له سيدى؟ " ، ثم نام ، فإذا تحرك يقول لنفسه " العافية ، أمير المسلمين ، حركة العافية أمير الأمراء " ، وظل على هذه الحال حتى الصباح فقالت الزوجة " إنى متأكدة أن الجن خطفته فى ليله أمس" ، ثم قامت على أنها ابنه العلماء الذين يعالجون مس الجن ، جاءت وزحفت عند رأسه وأخذت ترقيه ، فلما سمع تلفظها بالرقية ، الأولى وهمت بالثانية قام وانهال عليها ضربا ، وهو يقول " هل تحتقرين أمير المسلمين وتبصقين عليه ؟ ، حقا لا يوجد من يحتقر الناس مثل النساء" ، عندما سمع الجيران صراخها أسرعوا وخلصوها من يده بصعوبة وأمسكوه وقيدوه فى المنزل ، فنظر إليهم وقال " لعنكم الله ، طالما أنكم تقيدون أمير المسلمين "

عندما ربطوه سمعته رقية يهذى ، فجاءت وقالت " هدىء من روعك، أمس عندما كنت غائبا عن المنزل ، بعث الأمير من جلدوا بلية مائة جلدة ونهبت داره وبعث إلينا صدقة مائة جنيه ، ها هى ، ولا أدرى كيف سمع عن الخير الذى نقدمه للناس" .

فلما سمع حسن ذلك قال " أى أمير ؟ ، أنا الذى بعثتهم ليفعلوا ذلك" ، وازداد حيرة ، وظل مقيدا ، وبعد خمسة أيام ، رأى أنه لا فائدة من ذلك، فشفى ، وأطلقوا صراحه ، فعاد إلى حاله ، يأكل مع الناس ، ولم ينس ، حتى بعث له الأمير مائة جنيه صدقة لهذا الخلق .

عندما وصل فصيح فى القصة إلى هنا ، قال الوزير " هل هذه التى قصها الشيخ إيرو؟ ، أم كان يقرؤها من كتاب ألف ليلة ويترجمها ؟ "

قال فصيح "كان يقرؤها ويترجمها "

ابتسم الوزير وقال " لقد أخطأ فى الترجمة ، لقد أخطأ كثيرا ولم أكن أعرف أنه لا يعرف العربية جيدا ، هذا الوزير كان يسمى جعفر ، ومع ذلك لا بأس ، استمر لنسمع كيف ترجمها" ، فاستمر فصيح قائلا :

وذات يوم وهم على هذه الحال ، استضـاف هذا الأمير ووزيره ، دون أن يعرفهم ، لأنهما غيرا الملابس ، واستضافهم كالمرة السابقة ، وفعلا معه كما فعلا فى المرة السابقة ، فلما استيـقظ كالمرة السابقة ، وجد الجوارى يحـيطون به ، يهوين له ، ويدلكن رجليه ، فقال "لا حـول ولا قوة إلا بالله"، وقال " هؤلاء الذين ضايقونـى ، إذا كنتم تحبون الله ونبـيه ، أعيـدونى إلى المنزل هكذا ، لقـد كنت سبـبا فى سـجنى من قبل أن أسـجن ، وأوضع فى القيد لمدة خمسة أيام" .

عندما سمع الأمـير كلامه ، خرج من حيث يـختبىء ، ليسمعـه ، وشرح له كيف حدث هذا الأمر ، وذكر له السبب الذى جعله يفعل ذلك ليفعل ما تمنى أن يفعله مع جاره بالية، انحنى حسن وشكره ، وأخذوا يضحكون مع الأميـر ، وقام بنفسه واصطحبه حتى المنزل ، وأيقظ زوجتـه وأخبرها بالأمـر كله ، حتى لا يخطر أمر ببـالها بشأن زوجـها ، فتعجبوا وصار الأمر كالتسلية.

وفى الصباح أرسل الأمير يستدعى حسن ، وعينه مهرج الأمير ، وكان كل يوم يأتى ليضحكهم ، فيحسنون إليـه ، ونال الحظوة فى القصر ، ومرت الأيام على هذه الحال ، حتى نالت رقيـة الحظوة عند ربة بيت الأمير، وكان مـا يقوله حسن عند حاشيـة الأمير ، تقوله رقـية عند ربة بيت الأميـر ، وبهذا نالا الثروة الكثـيرة ،وذات يوم خطرت على بال حسن حـيلة تجعل الأمير يضـحك ، فقال لزوجتـه ما سيـفعلانه ، فلما طلع النهـار قال لزوجته أن تذهب وتخبر ربة بيت الأمير أن مغـصا أصابه ، فمات ، فذهبت وقالت لها ، فحـزنت حزنا شديدا ، وقدمت إليـها لوازم الكفن ، فعـادت إلى المنزل ونامت ، وخرج حسن يبكى ، وقال للأمير أن زوجته أصابهـا مغص وماتت ، فحزن الأمير حزنا شديدا ، وأعطاه لوازم الكفن ، وعاد حسن ، وجلس مع رقية يراقبان الطريق إلى منزل الأمير .

عندما دخل الأمير قال لربة البيت أن مغصا أصاب زوجة المهرج وماتت ، وقالت ربة البيت " لا ، ليست الزوجـة ، المهرج هو الذى مات، الآن جاءت زوجـته وقالت لى أن زوجهـا مـات ، وأعطيتها لوازم الكـفن "، قال الأمير " بدأت فى الجـدال الذى تعودت عليه " .

قالت ربة البيت " ليس جدالا"

قال الأمير " أنتن أيتها النسوة جدالكن يفوقكن ، لقد جاء المهرج الآن وأعطيته لوازم الكفن لزوجته ، الحق واضح لدى وها أنت تجادليننى كذبا "

غضبت ربة البيت وقالت " نحن اللائى نحاول نجادل أم أنتم ؟، هاهى الحقيقة واضحة ، وترفضونها "

وهنا أمر الأمير أمير المنزل أن يذهب ليعرف من الذى مات ، أسرع أمير المنزل وذهب إلى منزل حسن ، فلما رآه حسن قادما قال فى نفسه ، "لابد أن الخلاف تشب بين الأمير وربة البيت ، لذلك بعث الأمير هذا الرجل ليعرف من الذى مات منا "، لذلك قال لرقية أن ترقد كالميتة .

ولما جاء رب المنزل رأى حسن يجلس حزينا وحيدا ، فقال " هكذا لست أنت الذى مت ، لقد نشب الخلاف بين الأمير وربة البيت ، فهى تقول أنت الذى مت ، والأمير يقول زوجتك التى ماتت ، لأنك ذهبت الآن وأخذت ثمن الكفن "

قال حسن " نعم ، لقد سبقتنا رقية إلى دار الحق ، هكذا ذهبت وأخبرت الأمير ، وهاهى الآن لا تحرك ساكنا "

عاد أمير المنزل وقال للأمير أن رقية هى التى ماتت ، وليس الزوج ، نظر الأمير إلى ربة البيت وقال " هاهى الحقيقة ، إنكم لا تعرفون الأمر وتجادلون فيه "

قالت ربة البيت " أين هو الجدال ، إن أمير البيت يكذب ، لأنه منك"، لذلك بعثت جارية من طرفها لتعرف الحقيقة .

رآها حسن قادمة ، فقال لرقية " لابد أن ربة البيت بعثتها ، لأنها لا توافق على كلام أمير المنزل ، لذلك رقد كالميت ، ووضعت رقية بجواره الكفن ، وعادت وانتحت جانبا ، وجلست حزينة تبكى ، فلما وصلت الجارية ، قالت لها رقية ، " أترين، لقد مات زوجى ، والآن أنا وحيدة ماذا سأفعل وحدى ؟ ، ها أنا فى المدينة بلا أم ، ولا أب، إلا رب البيت "، ثم انفجرت فى البكاء الكاذب .

قالت الجارية " الله أكبر ، اصبرى ، كل حى سيموت ، ولكن أنت لا تعرفين، الرجال منافقون ، لقد ذهب الآن أمير المنزل وقال أنك مت ، وليس زوجك الذى مات ، وها هى كذبته ستدفع الخلاف بين الأمير وربة البيت "

قالت رقية " لا بد أنه كذب ، هاهو راقد ، حتى الآن لا يتحرك ، افتحى وانظرى، أصابه مغص الموت منذ مساء أمس "

فلما فتحت الجارية لتنظر ، قالت لا حول ولا قوة إلا بالله ، واندفعت تجرى ، وقالت لربة البيت ، فالتبس الأمر على الأمير وربة البيت، حتى وصل إلى الخلاف والغضب ، حينئذ قال الأمير " لنجعل مبلغا من المال للصادق"

قالت ربة البيت " لا مانع "، فخصصوا مائة جنيه ، ثم قاموا هم الأربعة ، وقصدوا منزل حسن ، ليعرفوا من مات منهم حسن أم رقية .

قال الأمير " إذا كانت الجارية تكذب لابد أن أقطع رأسها ، "

فلما رآهم حسن قادمين ، قال لرقية أن يناما معا ، كأنهما الاثنين قد ماتا ، فلما وصل الأمير ، ورأوهما هكذا ، قالوا لا حول ولا قوة إلا بالله، وقالوا " مات الإثنان ، هذا هو سبب الجدال" .

قالت ربة البيت " ومع ذلك، المهرج الذى مات أولا "

وقال الأمير " كذب، زوجته التى ماتت أولا "، واشتد الخلاف بينهما ، وهنا قال الأمير "

والله لو قال أحدهما من الذى مات فيهما أولا ، سأعطية خمسين جنيها ، لنفض الخلاف ويستريح الجميع . "

عندما سمع حسن ذلك هب قائما وقال " والله أنا الذى مت أولا "،

فلما سمعوا ذلك نظروا إلى بعضهم ، وانفجروا فى الضحك ، وقال الأمير لحسن " لقد بلغت الغاية فى الإضحاك "

وذهب الأمير إلى المنزل وأعطى حسن خمسين جنيها ، لأنه قال أنه هو الذى مات أولا ، وهبت رقية هى الأخرى واقفة وانحنت وحيت ربة البيت ، فكافأتها وقدرتها ، وكافأ الأمير حسن مرة أخرى . وعاشا حياتهما وكل طلباتهما مجابة .

قال الوزير " لقد اجتهدت فى حفظ هذه القصة الطويلة ، وإن كانت ليست كما كتبت فى كتاب الف ليةه وليلة ، يكفى هذا لأقدم لك مثالا للتحذير السادس ، الذى أقدمه لك ، اذهب إلى الغد "، فطار فصيح وذهب .

وفى ظهر اليوم التالى جاء فصيح وجلس فى الممر ينتظر أن يستيقظ الوزير، وبعد

قليل سمع صوت جـرس وأحضروا له الماء ، فاغتـسل ثم دخلت الجارية وقالت " ها هو فصيح فى الممر، هل يدخل ؟"

قال الوزير " ينتظر قليلا ، حتى أنتهى من وردى "

وبعد قليل دق الجرس مرة أخرى ، فجاءت الجـارية ، فقال "يدخل فصيح"، فلما وصل قال الوزير " اليوم التحذير رقم كم ، سنبدأ فيه ؟"

قال فصيح " السابع "

قال الوزير " وهو كذلك "

النفاق عفريت يأكل صاحبه

كان يعيش فى مجندا أمير عظيم يسمى ثابتاً ، كان له ثلاثة أولاد كلهم ذكور ، الكبير يسمى الأول ، والذى يليه يسمى سانى ، والابن الصغير ثالث ، ولكن أكثرهم شجاعة وشهرة أصغرهم وهو الذى تذاع أخباره إذا ذهب إلى ميدان القتال فقد فعل فعلا عجيبا ، فعندما كان عمره عشر سنوات ذهبوا بهم إلى ميدان القتال ، ليس للقتال ، ولكن ليجعلوهم قريبا من القتال فيتعودوا على رؤية الناس وهم يقتلون بعضهم بعضا أمامهم حتى إذا كبروا لا يخافون الحرب، وبينما هم جالسون فى مكان واحد ، عندما نشبت الحرب ، تسلل ثالث دون أن يشعروا ، وأخذ سيفه ، وطلب أن يضعوه على ظهر الحصان ، وانطلق، ودخل وسط الفرسان وقصد حيث الأمير المعادى ، فظنوا أنه جاء بأمر، فلما رأوه صبيا صغيرا ، لم ينتظر وهجم على الأمير وحاول قطع رأسه .

فلما التفت الأمير ورآه أثار ضحكه ، فقال " بالله عليك يا غلام ، اذهب وابحث عن مكان آخر وأجلس فيه ، فهنا ملتقى الكبار" .

نظر ثالث إلى الأمير ، وحدق فيه باستعلاء وقال " من هو الغلام ؟، انظر إلى جيدا، الغلام يلعب خلف أمه "، ثم طعنه مرة أخرى ، فانفجر الأمير فى الضحك ، وأمر بالقبض عليه وأعادوه إلى معسكر أبيه ، وأمر أن يحرسوه ، ولا يتركوه يخرج مرة أخرى.

فربما يلتقى بمن لا يرحم ، وقال "إذا أطال الله حياة هذا الغلام ، سيرون فيه فارسا لم ير مثله" .

وذات يوم خرج الأمير وأبناؤه للنزهة ، وقصدوا إحدى مزارع الأمير التى تبعد مسافة قصيرة من المدينة ، وأثناء السير تقابلوا مع رجل ، يرتدى خرقا بالية ، كالمجنون ، وعند رؤيته ، ظن الأول أنه مريض ، لذلك جذب زمام حصانه ووقف ، وقال للأول " ماذا أصابه ؟"

قال الأول " نصرك الله ، إنه يقول أنه عبد لفولانى ، يتشاءمون منه، فغادروا وتركوه يكاد الجوع يقتله، وسألته عن اسمه فقال ميسنجو. "

قال الأمير " وهو كذلك ، قل له إذا وصل بوابة المدينة ، ينتظر ، قبل أن أعود " ، فقال الأول لميسنجو ، فركع وشكر الأمير مع أنه لم يعرف أنه الأمير ، أو تجرى فى عروقه دماء السلطة فقط .

بعد أن وصل الأمير إلى المزرعة ، وطاف حولها ورأى العمال عاد ، فلما وصل إلى بوابة المدينة ، وكاد الأمير ينسى مشكلة ميسنجو ، وهم بالدخول فرأى الأول ميسنجو جالسا القرفصاء ، فأسرع وذكر الأمير بقصته، فقال الأمير ، فليسر أمامنا .

فلما وصلوا إلى المنزل ذكر الأول الأمير ، فأحضروا لميسنجو ثيابا وألحق بالعبيد واستمر الحال على ذلك ، وبعد يومين شبع ، وبدأ يظهر نفسه بين العبيد ، وأخذ يتوسل لدى الأول حتى يجعله فى خدم الإصطبل، وأثناء وجوده بين خدم الإصطبل أخذ ينافق كعادة عبيد الفولانى حتى وصل إلى الأمير ، وساعده الأول على ذلك ، حتى صار من حراسه، حيثما يذهب الأمير يسير معهم ويكون فى المقدمة .

وكان الأمير لا يحب الأول كثيرا ، لأنه كان يكره السلطة ، مع أنه ولد فى الإمارة وأمير أصيل ، ولكنه يهرب منها ، ولم يتعلق قلبه إلا بالعلم ، ويتمنى أن يصير من كبار العلماء ، لذلك كان إذا جمعهم الأمير ليخرجوا للنزهة أو بحث شئون الملك ، كان ينتظر فى المنزل يدرس العلوم التى تلقاها ويحفظها .

وإذا تحدثوا أو نشب خلاف ، إذا قال أخوته هذا هو الأفضل ، ورأى أن هذا الرأى لا يتفق مع الحق ، يقول " الشريعة لا تقول ذلك ، إلا إذا تركتم الحكم الشرعى واتبعتم ما تميل إليه السلطة " ، لذلك كان الجميع يبتعدون عنه ، حتى والدهم لم يكن يهتم به ، إلا فى بعض الأمور التى كانت الأبوة تحتم عليه أن يفعلها له .

وكان الأمير لا يحب إلا سانى وثالث ، كان يحب سانى لأنه يحب السلطة ، أما ثالث فكان يحبه لأنه الصغير ، وشجاع ، كأن عنتر بن شداد قد أنجبه ، وكان لشجاعته يطلق عليه الناس اسم " البقرة الوحشية التى تنظر للكل نظرة ازدراء للأول "

لم يكن لميسنجو ولى أمر سوى الأول ، ولكن رأى أنه ليس له فى السلطة ، لذلك أخذ يبتعد عنه ، ويميل إلى جانب سانى ، وبدأ ينافقه ، فيذهب إلى بيت الأول للسمر ، ولا يقول له الأول شيئا ، فيذهب ويقول لسانى أن الأول قال كذا وكذا ، كذبا .

واستمر الحال على هذا ، وذات يوم رأى ميسنجو رجلا ساحرا ، فذهب إلى سانى وقال له " هاك أحد السحرة ، دعنى آمره أن يدخل اليوم عند اجتماع الحاشية لتحية

الأمير، ونجـعله يصف له الأول ، وأقول له بعد تبادل التـحية مع الأمير يـنظر إليه ويقول له، أن الأول لن يتولى السلطة بعد أن يموت الأمير ، فإذا سمع ذلك وسط هذا الجمع مع الناس ، والحاشية ، سيبدأون فى التحول إليك من الآن ، حتى الأول نفسه "

قال سانى " وهو كذلـك، استدعه ، وأخبره أننى سأعطـيه أجره ، إذا قال ذلك . نادى ميسنجـو الساحر ، وقال له ، وعندما رأى الساحـر الحاشية قد اجتـمعت ، وذهبوا جميعا بما فـيهم الأول لتحية الأمير ، ذهب وطلب الوصول إلى الأمير ، فـخرج ميسنجو وأحضره أمـام الأمير ، فركع وحيـاه ، فقال ميسنجـو " الأمير يحييك أيهـا السـاحر" ، فانحنى الساحر جانبا وجلس.

وبعد أن توقف الجـميع عن الحديث ، نظر الســاحر إلى أبناء الأمير وقــال " نصرك الله، كل هؤلاء أولادك !؟"

قال ميـسنجو " وماذا يهمك فى هذا السؤال ؟ ، نعم هم أبناؤه ، إنه عـدم حيائكم أيها الكهـان ، لماذا تسأل هذا السـؤال عند رؤيتهم ؟ ، إذا كنت تريد أن تسـأل ألا تسألنا نحن بدلا من أن تسأل الأمير؟ ، كاهن سيىء عديم الحياء . "

نظر الأمـير إلى مـيسنجـو وقال " دع لومـه ، ربما لديه أمر ، يريد أن يقـوله ، لا تتسرع" ، ونظر للساحر وقال " ماذا ترى ؟"

نظر الكاهن إلــى الأول ، وقال " نصـرك الله ، أرى أن هـذا لن يرثك، وإذا تولى السلطة فى البلاد بعدك ستفســد الأمور ، ولكن اغفر لى" ، لقد قلت لكم أن الأول ليس مقربا إلى الأمير ، لذلك لـم يهتم بهذا الكلام، وأخذ الناس ينظرون إلى بعضهم ، وعندما انفض الناس ، أعطى سانى الساحر أجره ، أما الأول فلم يهتم بهذا الكلام .

بعد أن أعطى ســانى الساحر أجـره ، قال ميـسنجو أنه يريد أن يعـرف المكافأة التى ستقدم له لأنه هو الذى رسم الخطة ، فسأله سانى ماذا يريد ، فقال إنه لا يريد شيئا سوى أن يعين رئيس الساسـة ، ورسم لسانى الخطة التى يقوم بـها ليحدث هذا الأمـر ، ونفذوا الخطه وأبعد رئيس الحرس السابق وتولى مكانه ميسنجو.

عندما رأى مـيسنجو أنه نال الحظوة عند سانى ، تقـرب إليه ، وكان دائما مـعه فى جلسات السمر ، وكان من طباعه المكـر والدهاء - كما سبق أن أشرت- ، وكان دائما فى ازدياد ، .

وذات يوم بينما كان نائما ، بدأ يتخيل السلطة التى يحلم بها إذا تولى سانى السلطة، ويتخيل الأمور التى سيفعلها كلها ، ويراها فى نفسه كانها ستقع فى الغد القريب ، ولكن عندما يتذكر هذا الأمير العجوز القوى ، الذى يزداد قوة يوما بعد يوم ، يمتعض لأنه يتذكر أن موعد المناصب التى يحلم بها لا يعرف أحد موعد حدوثها ، وهو على هذه الحال فى حزن ، خطرت على خاطره حيلة ، ومنذ هذا اليوم بدأ يستميل شابا يستأمنه الأمير، يسمى سليمان فحيثما ذهب الأمير يصطحبه معه فهو الذى يحضر الطعام للأمير ، ويضعه فى الحجرة التى لا يتناول الأمير طعاما فيها إلا من يد سليمان خوفا من أن يضع أحد سُمًّا فيه .

عندما رأى ميسنجو أن سليمان ألفه ، دأب يأخذه للسمر فى منزل سانى ، وهمس فى أذن سانى ليقدم لسليمان هدية ، كلما جاء ، ونفذ سانى مشورة ميسنجو .

ولما رأى ميسنجو أن قلب سليمان اطمأن لسانى لكثرة ما يقدم له من هدايا ، أخذ يستدرجه فى الكلام إذا اختلى به قبل أن يخرج سانى ، ويقول له " أنت تعرف الله وتعرف أن سانى يكن لك من الحب ماليس له حدود ، وتعرف أننى أفخر بأننى مقرب إليه، أقسم لك بعمامة الأمير أنك تفوقنى فى ذلك "

قال سليمان " أنا أعرف ذلك ، وأعرف أن الأمير لا يحبنى بقدر ما يحبنى سانى "

قال ميسنجو " عجبا، لاحظت ذلك ، انتظر أقل لك الحقيقة ، تعرف أنه لو مات سانى، عرف أنه لن يتركك وسط العبيد ، كما أنت الآن.

قال سليمان " والله صدقت ، طالما أن الإنسان لم يتجاوز كونه خادما، تناديه المرأة وتبعته إلى أى مكان ، لا تكون الحياة سعيدة "

والآن لم يمض ثلاثون يوما إلا واستمال سليمان فتاة ، وقالت أنها لا تحب أحدا إلا هو، وطلب أهلها أن يدفع عشرين جنيها للخطيب السابق ،فقال للأمير ، فرفض أن يدفع له ، وظلت الفتاة تلمح عليه كل يوم على هذا الموضوع ، وليس لديه ما يرد به عليها وكان يعيش فى حزن بسبب هذا الأمر .

وكان ميسنجو يعرف ذلك ، فقال له " هاك مثال بسيط ، لو كان لديك شىء تملكة، لكان أمر هذه الفتاة التى لم ترض بأحد سواك قد انتهى ، والأمر الذى يثير دهشتى هو كيف تكون مع الأمير هكذا ، ويمنع عنك مبلغ عشرين جنيها ولكن الأمر لا يستدعى

الدهشة ، فهو رجل قد شاخ الآن ، وصار كالطفل الصغير ، لا يرعى الشخص كما ينبغى ، والأمر الأكيد ، أن الأمير لو كان صبياً صغيراً لنلت منه ما تتمنى ، فماذا تكون العشرون جنيها بالنسبة له ؟ "

قال سليمان " هذا الأمر يجب ألا يعرفه أحد ، وكفانى ما توجهه إلى الفتاة من عقاب" ، ولكن ميسنجو شجعه على الكلام فى مثل هذا الأمر .

وذات يوم كان على موعد للذهاب إلى سانى ، فنادى سليمان ليذهبا معا كما تعودا ، وبعد أن تبادلا التحية مع سانى ، تطرق الحديث إلى مشكلة السلطة ، فقال " حفظك الله ، إذا توليت السلطة ، ماذا ستفعل لنا ؟، حتى نعرف مبكرا "

ضحك سانى ، وقال " إذا توليت السلطة غدا ، كل واحد منكما أعينه حيث يريد " ، صرخ ميسنجو ونظر إلى سليمان وقال " هذا العجوز لا يريد أن يموت ، ويترك للناس المكان، ليعرف كل إنسان منصبه ، ويأخذ نصيبه ، ويعيش كما يعيش الناس ، وابتسموا ، ونظر ميسنجو مرة أخرى إلى سليمان وقال " ألا تعرف ، فى بلدنا حدث أمر مثل هذا الأمر الذى نتحدث عنه الآن ، كان أحد الأمراء له ولد واحد ، وعاش هذا الأمير حوالى أربعين عاما ، وهو يتولى الحكم ، ولم يشعر مرة بالمرض حتى ولو كان صداعاً ، ولم يتوقع أحد يوم وفاته ، فنال نصيبه من السلطة واستولى على نصيب ابنه بطول حياته ، وظل الولد ينتظر السلطة بوفاة والده ، ولكنه رأى أن والده سيلتهم نصيبه فى السلطة بطول عمره ، لذلك اتفق مع الجارية التى يثق فيها أبوه ، فأحضرت سما ووضعته فى طعام الأمير ، فلما أكله ، لم يمر عليه اليوم إلا ميتا وارتاح الجميع ، ولم يعرف أحد سبب وفاته ، وعين الابن ، وعاش حياة سعيدة .

قال سانى " لقد أساء هذا الابن إلى والده "

قال سليمان لميسنجو " وهو كذلك ، وماذا فعل لهذه الجارية مكافأة لها عما فعلت ؟"

قال ميسنجو " جعلها جاريته المفضلة ، وأحضر خمسين جنيها وقدمها لها ، وسلم لها أمور المنزل كله . "

قال سانى " لقد وفَّى بالوعد ، ولكن لا يوجد ما يحمد عليه فى هذا الأمر . "

قال ميسنجو " نعم ، هكذا ، ولكن مع ذلك لا يوجد فى كل هذه المدينة من

يجرؤعلى أن يفعل ذلك ، ولم يهتم الناس إلا أن ينالوا الخير فقط " ، وهنا صمت سليمان وأخذ يستمع إليهم.

وهنا قال سانى " وأنا أعد كل من يساعدنى فى تولى السلطة وأكون أميرا ، أى منصب يختاره سأعينه فيه ، وأى شيء يحتاجه سأقضيه له . "

قال ميسنجو "وهذا الشاب ، وفقك الله" ، واستأذن وانصرف ، لم يمض وقت طويل على هذا الحديث ، حتى رأوا أن الأمير بعد أن انتهى من تناول الطعام أخذ يتلوى من شدة المغص، ففتحت محلات الأدوية للأطباء والكهنة ، ولكن دون جدوى ، فقد كان المرض يشتد عليه ،ولما رأى ميسنجو ذلك ، ذهب إلى سانى ، وقال له " لو ساعدتك فى تولى الحكم ، ماذا ستقدم لى ؟، لأعرف مبكرا ، لأشعر بالقوة وأضحى بنفسى . "

قال سانى " لقد قلت لك ، أيه سلطة تريدها أوليكها ، حتى لو كانت أميرا للحرس" .

قال ميسنجو " ويحك ، أطال الله حياتك ، ما هى أهمية أمير الحرس ؟، أريد أن تعيننى حاكما ، إذا وافقت ، سأضحى بنفسى ، وأخطط لك حتى تستطيع تولى السلطة . "

قال سانى " موافق ، مكان أى حاكم تريده سأعينك فيه ، وعندما أكون أميرا سترى ذلك " وهم على هذه الحال والأطباء يمرضون الأمير ، أخذ ميسنجو يمارس مكره ويتظاهر بتمهيد الطريق ليتولى سانى السلطة إذا مات هذا الأمير العجوز ، رويدا رويدا أخذت حيله تؤثر فى كبار رجال المدينة ، وأخذوا يهمسون أنِ الأمير إذا مات خير من يتولى بعده هو سانى ، وبعد أيام قلائل توفى الأمير ، فبكى الناس عليه ثم انفضت الأحزان ، وأخفى ميسنجو سروره ، لنجاح خطته ، وذات يوم أخذ يدبر خططه الجديده ، ويأخذ المال من سانى ويقدمها إلى كبار المدينة فى صورة هدايا من سانى .

وعندما انتهوا من اختيار سانى وتنصيبه أميرا للبلاد ، بعد أن قالوا " إذا ولى الأول ستفسد أمور البلاد ، ونحكم على أنفسنا بالهلاك ، فما هى فائدة اختياره ؟"

فلما سمع الأول ذلك قال " أنتم ونفاقكم ، أنا لم أقل لكم أننى أريد السلطة ، طالما أننى حفظت القرآن كله ، فقد قضى الله حاجتى" .

أخذ الناس يغتابون الأول ويقولون " اسمعتم أنه يقول لا أريد السلطة ، وكيف يكره الإنسان أصله ، والسبب فى وجوده ؟ ، أنه كالأعمى الذى يقولون له هاك عينان ثم يقول رائحتها كريهة . " ثم يضحكون عليه .

بعد أن انتهت مشاكل ولاية السلطة ، انتظر ميسنجو أن يعين حاكما اليوم ، أو يعين غدا ، ولكن لم يظهـر فى الأمر شىء ، حتى منصب رئيس الحرس لم يـعين فيه ، وذات يوم نفد صبره ، فوجد الأمير سانى وحده ، فركع وحياه وذكره بالأمر .

نهره سانى وقـال له " هل أنت غبى ، كيف أعينك حاكمـا ؟، ولـم ترثه، اصبر بما قسم الله لك ، مادمت على قيد الحياة ، سوف لا تحرم أنت وأولادك من شىء "

قام ميسنجو غاضبا وقال فى نفسه " ألست أنا الذى عينته ؟، فطالما أنه رفض أن يفى بالوعد الذى وعـدنى به ، فلابد أن ينتهـى أمره ، فاتجه بمكـره إلى ثالث ، لأنه عرف أنه حاول مع الأول فأخفق ، وإذا نظرت إليه وهو واقف أمام الأمير سانى رأيته يتمتم بشفتيه، يجلس ويقوم وينفذ كل مـا تقتضيه ، فيـقسم من يراه أنه أخلص الناس للسلطان ، ولكن السلطان لا يعرف أنه رأس المنافقين .

وبعد قضاء الأمـير حوالى عامين فى السلطة ، مات أميـر الحرس الذى عين فى عهد والده ، فعين سانى ميسنجو أميرا للحرس ، دون أن يعرف ما يدبره مع ثالث .

ولما تولى ميسنجو السلطة ، ذهب إلى ثالث ، وقال " بالله هل علمت أننى وصلت إلى أن أكون حارسا ، بعد أن وعدنى أن يعيننى حاكما ، هل لأنى شكرته يفعل هذا بى، وهو كذلك ، باستثناء الشكر ، هل كل هذه المتاعب التى واجـهتها لا تساوى إلا أن اكون حارسا ؟" ، ثم انفجر فى الضحك مع ثالث .

قام ميسنجو واقفا ليبحث عن سحر ، فخرج من عند هذا العراف ، وذهب إلى هذا العالم ، حتى اسـتطاع أن يحصل على حجاب جناح اليمامـة ، - وهو حجاب يعلق فى جناح اليمامة حينما تطير المعـمول له يسير وراءها ، وأحضره إلى ثالث ، وقال " يقال أن هذا مـفعوله أكـيد ، فـإذا أمسكت اليـمامـة وربطت لها الحـجاب ، وأخـذت إلى منزله واطلقت منه ، وأى جهة تطير إليها ، يقوم هو الآخر ويتـبعها ، حتى لو كان الطريق غير ممهد يختـرق الغابات ، ولا يحب العودة إلى وطنه إذا سمع اسـمه ولا يفكر فى العودة ، حتى تنتهى حياته ويموت ، هذا هو ما يسمى " اليمامة " .

قال ثالث " وهو كذلك ، الحمد لله ، ولكن كما يقولون ، ليس صيد الفيل صعبا، ولكن الصعوبة فى إيقاعة على الأرض ، ماذا نفعل حتى نصطاد يمامة ، ونربط الحجاب بها ، ونوصلها إلى باب قصر الأمير ونطلقها ، دون أن يرانا أحد ؟"

قال ميسنجو " ويحك، الذين اسمعتهم يقولون ذلك ، كذابون ، كيف يقولون ان اصطياد الفيل أسهل من إيقاعها على الأرض وسلخها ؟ وسترى ، فقد قلت لك أنك ستكون ملكا على هذه البلاد ، حتى إذا، استدعى الأمر أن يصنع السحر بأمعاء الانسان للوصول إلى هذا الهدف سوف نفعله لتكون سلطانا " .

ابتسم ثالث وقال " وهو كذلك ، الحمد لله ، اللهم وفقنا ، آمين "

لم يتوقع الأمير أن يحدث كل هذا الأمر ، لذلك أمر ميسنجو أولاده فى هذا اليوم أن ينصبوا شركا ، ووفقوا فى اصطياد يمامة ، ثم أخذ هذا الحجاب وربطه فيها ، وقرب المغرب أخذها ، وخبأها ، وذهب إلى قصر ثالث ، وعرضها عليه ، ولما انتهى أذان المغرب ذهب إلى قصر الأمير ، متسللا باليمامة ، فلما دخل القصر أطلقها ، فطارت قاصدة جهة الجنوب ، وجاء وأخبر ثالث أن كل شيء تم على أحسن وجه .

عندما طارت اليمامة ، شعر الأمير كأنه يطعن فى المدينة ، ولا يحب الإقامة ولا دخول قصره ، ولا رؤية أولاده ، ولم يأت الليل إلا وقد جمع كل ما يريده ، وهام على وجهه فى الدنيا ، هذا هو سحر اليمامة .

وبعد قليل جاء موعد عودة الأمير إلى القصر ، وأخذ النساء والعبيد يحدقون بعيونهم ليعرفوا من أين سيخرج عليهم الأمير ، فلم يعرفوا ، وبعد منتصف الليل جاءت الجارية وأمرت العبيد أن ينتشروا فى المدينة ، ليتعرفوا أين ذهب الأمير بعد المغرب ، ولم يعد حتى الآن ، فبحثوا عنه فى كل مكان فلم يعثروا عليه .

وفى هذه الليلة ركب الفرسان خيولهم واتبعوا كل الطرق ، فلم يسمع أحد شيئا عنه حتى طلوع الفجر .

وعندما طلع الفجر ولم يره أحد انتشر الناس فى كل مكان فلم يجدوا أحدا سمع عنه أو رآه ، وظلوا يبحثون عنه فى كل مكان لمدة سبعة أيام ، حتى تعبوا فصبروا ، فقال ميسنجو " منذ أن عدنا من المزرعة ، وسبقنا الأمير وجرى بحصانه وجاء أسفل شجرة التمر هندى التى يسكنها الجن ، ونزل وصلى ، فلما جئت ورأيته فى هذا المكان انقبض

قلبى ، وأردت آن آكلمة ولـكنى خشيت من غـضبه ، حـتى لو حاولت كانت مـحاولتى ستذهب سدى ، وأقسم بقـبر الأمير أنه منذ هذا اليوم الذى ذهب فيه أسـفل شجرة التمر هندى ، وقد اختل عقله "

قال الناس " لابد أن الجن قد مسه " ، وأخذوا يتشـاورون فيمن سيخلفه ، وأضيفت ثروة سانى إلى بيت المال ، وانتظروا لسماع خبر عنه من أى مكان ، ليبعثوا من يأتى به ، ويؤخذ من ماله لعلاجه .

عندما انتهـوا من مشكلة ثروة سانى ، عادوا إلى مشكـلة الحكم ، قال البعض أنهم يفضلون الأول على الثالث ، فـبدأ ميسنجو يمارس خبـثه ، ويطعن فى الأول ، ويقول ، لايجب أن يولى من قيل أن البلد ستفسد إذا تولى السلطة ،وهو كذلك ، أما الناس الذين خجلوا أن يتركـوا الأول ورشحوا ثالث يخشون أن يرشحـوا الأول لأنهم يعرفون أن ثالث فارس ماهر ، والآن وهم على هذه الحال يعرفون أن ثالث يغلب مائة فارس .

ولما انتظر الأول ليـسمع تعيين ثالـث اميرا ولم يسـمع ذلك ، قام وذهب إلى كـبار المدينة وقال " لماذا لم تعينوا حـتى الآن لنا أميرا ، هذا الزمان الذى يثور فـيه الناس كيف نعيش هكذا بلا أمير ؟"

نظر إليه الناس وابتسموا ، وقالوا " هذا أمركم ونتبع ماتقولون "

قال الأول " إذا كـان على السلطة من أجلي أبيعـها فى السوق ، كل من ترشـحونه أوافق عليه طالما كان قادرا على حمل أمانة أبنائنا " ، فسيطر الخجل على الناس وابتسموا.

وعندمـا أجتـمع الناس مرة أخـرى ، قالوا " طـالما أن الأول رشح ثالث للسلطة ، نعينه" ، فعين وأقيمت الأفراح وانتهى الأمر .

وانتظر ميسنجو أن يعين حاكما ، ولكن لم يحدث ، حتى أتم ثالث ثلاث سنوات ، فى السلطة ، ومع أن ثالث لم يعينه حـاكما ، فقد كـان كل ما يقوله ميسنجـو فى القصر ينفذ .

وذات يوم ، ذهب ميسنجـو وقابل الأمير ثالث وذكره ، لـقد سبق أن قلت لكم أن ثالث شجاع ، ولذلك كان كل من يطأ له قدما ، يغـضب منه ، فلما جذبه ميسنجو بهذا الكلام بدأ يسبه ، حتى يكف عن الكلام ، وقـد كان قبل ذلك ابن القصر ولكن منذ هذا اليوم بدأت أموره تضطرب .

ومضى على ذلك الحال عندما رأى ميسنجو أن الأمـير ثالث يحاول تحقيره ، قال فى نفسه ، " لا ، كيف أعين رجـلا ، ويستمر فى الإساءة إلى هكذا ، فيـعدنى بأن يعيننى حاكما ، ولا يفى بوعـده ، ولماذا يكرهنى ؟ ، إن هذا كذب ولا بد أن أقضى عليه ، ولا أدعه يقضى على " .

ثم قام وقصد منزل الأول ، وركع أمامه ، وقال " نصرك الله " .

قال الأول " لوقلت حفظك الله تكفيـنى ، أما نصرك الله هذه ، فهى لكم ، إن لم تكن قد جئت لتمكر بى" .

قال ميسنجو " لماذا تقول ذلك ؟، نصرك الله ؟"

قال الأول "إذا كنت تـريد أن نتكلم ، لا تقل لى هذه العبـارة مرة أخـرى ، نصرك الله فأنا لست أميرا ، ولا وزيرا ، ولن أكون أمـيرا ولا وزيرا ، فلماذا تقول لى ، نصرك الله ، إن لم يكن نفاقا لتنقل كلامى إلى غيرى" .

قال ميـسنجو ليغريه بـالكلام ، ويظهر له أن له السلطة فقال " إن شـاء الله غدا فى مثل هذا اليوم ، يقولون لك "نصرك الله " فكما أعـتلى غيرك السلطة ، يجب أن تعتليها أنت كذلك" .

قال الأول "عـجبـا ، بالله عليك اذهب من هنا، واترك الناس ، أنت الذى تعـيننى غدا أميرا ؟، قلت لك أننى لا أريدها ، فتقول لى كلاما معسولا ، لا تملك تنفيذه" .

قال ميسنجو "والله طالما أننى قلت ، على أى حال سأحقق قولى" .

قال الأول "هل أنت تعرف الله ؟، بالله عليك اذهب واترك المكان" .

ذهب ميسنجو وهو يقول فى نفسـه" لا بد أن أحاول مع هذا الغبى ليتولى السلطة ، لأرتاح لأننى أعرف أن الأمور كلها ستكون فى يدى ، فهذا لا يهمه إلا أن يملأ بطنه ويقرأ كأنه الهدهد ، وأتدخل أنا فى شئون الحكم ، ويصبح لى السلطان على كل شيء" .

لذلك ، عندما انتصف الليل خرج ميسنجو وأحضر رمادا وطينا وخلطه ودهن به كل جسمه ، وبحث عن فأس ووضعها على كـتفه ، وذهب إلى منزل أحد المقربين إلى الأمير فى المدينة واستأذن.

قال "أنا ميسنجو ، اذهبى استأذنى من جلايما بالدخول" .

قالت الجارية "هل أنت بخير حتى تأتى الآن فى هذا الوقت من الليل؟"

قال ميسنجو "اذهبى أنت".

ذهبت الجارية وأخبـرت جلاديما ، فقال "هل عضنى الكلب ، حـتى يأتى عبد عند الأمير ويستأذن فى ثلثى الليل هكذا لأخرج ؟، هل بعثـه الأمير ليقتلنى ؟، اذهبى واسأليه لماذا جاء؟"

عندما عـادت الجارية وقـالت لميسنجو هذا ، أعـادها لتقـول له أن يخرج إذا أراد أن يحدثـه من ثقب الباب ، خـرج جلاديما وأطل عليـه من الباب فـرآه مغـبرا فـقال "أنت ميسنجو، لماذا أراك هكذا ؟ خيرا؟".

قال ميسنجـو "أين هو الخير ، الأمير ثالث جعلنا نحفر بئـرا فى منزله ، ليرمى فيه غدا كل كبـار هذه المدينة ، وقال أنكم منعتـموه من الحكم المطلق عندما واتتـه الفرصة ، وهذا سر أقوله لحبى لك، وهو ما جعلنى آتى بنفسى فى هذا الوقت من الليل. إذا كشفت هذا الأمر وعلم الأميربذلك لعلك تعرف أنه سيهلكنى والأفضل أن تفعل ما ينجيك".

قال جلاديما "وهو كذلك ، عليك أن تذهب وتخبر قورا ، لعلك تعرف علاقتى به، فلا يفرق بينى وبينه سوى الليل ، وأخبره بكل الكلام الذى قلته لى".

ذهب ميسنجو إلى منزل قورا واستأذن فخرج ، فقال له كل ما قال لجلاديما.

سأله قورا كم عـدد الذين يريد قتلهم ، فعد له ميـسنجو ستة رجال من كـبار رجال المدينة ، وفى الحال تبعه وقالا للجـميع كل ما فى الأمر ، وفى هذه الليلة أيقظ الرجال ، وذهبوا إلى القرى وجمعوا المحاربين ، وقبل الصـلاة كان فناء القصر قد امتلأ بالفرسان ، وكلهم يصيحون قائلين نحن الكلاب الذين يقبضون على الصيد ، من الذى خدعه علماؤه فيذهب إلى المنزل ويدعى أننا جبناء.

عندما استـيقظ الأمير وسمع ذلك قال "لا حـول ولا قوة إلا بالله ، لم أضرب ابن أحد ولم أسب ابن أحد فما سبب هذا التمرد ، هل كل أهل الأرض الذين خلقهم الله لا يقدر عليهم ، ولكن دعونى أخرج لأعرف ما فى الأمر" ، وخرج إلى أول الممر ووقف ، فلما رفع الفـرسان عيونـهم ورأوه ، انهالوا عليه رميـا بالحراب ، ولكن لم تصبـه واحدة منها، فالتفت وعاد إلى القصر ، وعلم ألا معين له سوى الله ورسوله.

وأمسك حصانه وربط السرج وأخذ الجراب والدرع ولبس ثياب الحرب والأحجبة ودخل ، واستل سيفه الذى يفخر به والذى يطلق عليه عبارة "قل للدماء أنى قريب" ، وركب حصانه وخرج ، ونظر شرقا وغربا فلم ير نهاية الجمهور ، فقال لا حول ولا قوة إلا بالله ، وقال "ها أنا أمامكم، وثنيون عابثون، أنا فارس مجند يا ذئاب الوثنيين حتى الصبى الرضيع يدف الذباب " ، وهجم عليهم ، وأخذ يقتل فيهم ، سبحان الله لم ير فارس مثله ، منظر غير سار ، إذا قضى على هؤلاء ، تبعهم آخرون فيلتفت إليهم ، حتى صاروا وجها لوجه ، فأخذ كل يدفع الآخر ويقولون "نحن الرجال الأقوياء ، وأخذ يمدح نفسه ويقول "لا أحد يقضى عليكم سواى ، فأنا الديك الخطير الذى يموت صاحب المنزل إذا ذبحه ، وإذا تركه فسد بيته" .

لأختصر لك الخبر أقول ، عندما رأى أهل المدينة أن الأمير سيقضى عليهم وحده ، تشاوروا واجتمعوا جميعا ، وهجموا عليه مرة واحدة ، وأظهروا له أن الكثرة تغلب الشجاعة، ولم ينتظروا لبحث الأمر ، فقالوا يجب أن نقتله ، فقال أخوه الأكبر الأول "لا ، لا نقتله ، نخرجه من المدينة ، وننقله إلى قرية جنزو ، ليعمل بالزراعة هناك" ، وتم إخراجه .

ولما انتهوا من الأمر وانتهت المشكلة ، بدأوا يتشاورون من سيولونه الأمر بعد ذلك ليكون أميرا، قال ميسنجو "لا ، هل هذا الأمر يحتاج إلى المشاورة؟، كان الأول من قبل لا يتكلم، حينئذ انتظرنا وأخذنا نتشاور" .

قال الناس "صدقت يا ميسنجو" .

سمع الأول الكلام وأدرك أن ميسنجو مدبر المؤامرة ، حتى دفعهم إلى التمرد على ثالث، لذلك عندما فاتحوه فى أمر الحكم، وافق فى الحال ، فتعجب الناس من موافقته بهذه السرعة ، فقال ميسنجو "كان لا يوافق قبل ذلك لأنه لا يستطيع أن يتولى السلطة أما الآن فهو يريدها ، لمن تكون السلطة فى بيته ويقول أنه لا يريدها، فهو كاذب" .

عين الأول ، وأقيمت الأفراح الكثيرة ، وصارت الحاشية فى يد ميسنجو ، ولم يقل الأول شيئا ، وينفذ كل ما يقوله ميسنجو ، وكأن الأول أمير فقط، وأخذ يتفاخر ميسنجو بأنه انتصر ، وكان هذا هو هدفه منذ البداية فى تولية الأول للسلطة ، وهو أن كل من يعتلِ السلطة يحتقره ، لابد أن يرى نهايته ، حتى يخاف الأول من أن يقضى عليه ،

وأصبح الناس لا يخافون إلا من ميسنجو وليس الأول ، وأخذ الناس ينظرون إليه على أنه أمير غبى ، ولا يعرفون ماذا ينوى فى نفسه إلا فيما بعد حتى وجد رجالا مخلصين فبعثهم يبحثون فى كل مكان عن سانى .

ومرت الأيام وتقابل أحد الرجال الذين بعثهم مع أحد التجار فسأله ، فقال أنه يعرف مكانه ، وقال أن المسافة تبعد عن مجندا مسيرة عشرين يوما دون توقف فى أية استراحة وقال أنه هناك فى صحة جيدة ، يخيط الثياب ويبيعها .

جاء هؤلاء الناس بالتاجر إلى الأمير ، وقال له ، سر الأمير بهذا الخبر غاية السرور وأتى بكثير من الهدايا وقدمها إليه ، وأعاده مع هؤلاء الرجال إلى المدينة التى يعيش فيها سانى ، وحاولوا أن يعود معهم ولكنه رفض ، فسأل أحد العلماء عن موضوع سانى ، فقال "الله الملك لقد سحروه باليمامه ، ولن تجدى أية محاولة لعودته إلى مجندا إن لم يفسد هذا السحر" .

فقدموا إليه المال ، ليفسد لهم هذا السحر ، وبعد ذلك وافق سانى على العودة معهم، وقصدوا مجندا .

عندما علم الأول أن سانى ومن معه اقتربوا بعث لهم بألا يدخلوا المدينة إلا بالليل ، حتى لا يشعر بهم أحد ، فلما وصلوا ، بعث الأول من يثق فيه من الخدم إلى جنزو ، ليعودوا بثالث سرا ، وسعد الأول باجتماعهم ، وأنزلهم فى حجرة فى قصره وطلب منهم ألا يخرج أحد منهم حتى لا يراه أحد.

وبعد ذلك ذهب حيث أخويه وبعد أن انتهوا من تبادل التحية ، سأل سانى فقال له الحقيقة ، وما فعل حتى يتولى السلطة ، وذكر كل الحيل التى فعلها مع ميسنجو والكاهن ، ثم سأل ثالث ، فقال له هو الآخر كل ما فعله ، وكيف عمل ميسنجو سحر اليمامة ، والحيل التى قام بها حتى يتولى السلطة ، فتعجب الأول ، وما فعله ميسنجو حتى تمرد الناس على ثالث وطلب الأول أن يغفروا لبعضهم ، فتبادلوا المغفرة وهم يبكون.

وبعد أن جفت دموعهم أمر الأول أن يجمع له كبار رجال المدينة عند باب القصر وفى مقدمتهم ميسنجو ، وكبار الخدم أصحاب الكلمة المسموعة وخرج الأمير الأول ، وجلس وجذب الناس إلى الحديث فى مشكلة الخراج وأخذوا يتشاورون كيف يجمعونها مبكرا ، وأخذ ميسنجو ينفث سمومه ، فكلما رأى الأمير رأيا ، ينقضه ، ويقول رأيه ، ليظهر الأول بأنه لا يهتم بشئون الملك.

ولما انتهوا من حديث الخراج ، نظر الأول إلى الناس وقال "وهو كذلك ، بالله عليكم كل أمر تعلمونه راعوا فيه العدل ، وقد أمرنا بذلك النبى فى كل أحاديثه"

ولما هموا بالقيام قال لهم الأول "انتظروا لأختبركم وأرى مدى عدالة كل منكم ، ذات يوم خرج أحد التجار للتجارة ، فوجد رجلا على حافة الطريق ، ضربه اللصوص ، وسلبوا متاعه ، وتركوه مضرجاً فى الدماء تكاد روحه تصعد إلى بارئها ، فأشفق عليه وحمله إلى منزله ، وأخذ يمرضه حتى شفى ، فلما علم أنه غريب وليس له أقارب أنزله فى منزله ، وأحضر له الثياب ، وزوجه ، ولم يتركه يحتاج شيئا من الخيرات ، وجعله كابنه ، وذهب إلى تجارته وتركه مع أولاده ، وقال لهم عاملوه بما تعاملون به أنفسكم".

فلما رأى هذا الرجل رب البيت قد سافر أخذ يدبر المؤامرات حتى يستولى على كل ما فى هذا المنزل ويضعه تحت يده ، ثم أخذ يتدخل فى شئون الأولاد ، وأخذ يدفعهم إلى طريق السوء وأخذ يضمر لهم الشر ويجمعهم بالأمراء ويوقع بينهم فينقل كلام هذا إلى ذاك ، حتى يفسد ما بينهم ، حتى يرث المنزل وكل ما فيه .

فلما رأى أن هؤلاء الإخوة قد تفرقوا ووضع أمراء البلاد فى يديه ، أظهر حقده صراحة ، وهجم على هؤلاء الأولاد مباشرة ، واليوم يمكر ويحاول أن يجعل الأمير يطرد هذا اليوم ، ويسجن هذا غدا حتى يتفرق كل أهل البيت ، ويرث المنزل كله ، ويستولى على السلطة ، ويسعد فى حياته ويحتقر الناس.

فلما عاد هذا التاجر ، فوجد هذا الرجل الذى قدم إليه كل خير ، يرد له الخير شرا فبماذا تحكمون عليه إذا كنتم أنتم القضاة؟.

وأخذ يقول له كل فرد "إذا كنت أنا الحاكم أسجنه ، ويذبح كما يذبح الخروف" وآخر يقول "لا ، الأفضل أن نقطع رأسه" وقال ميسنجو "كلكم لا تعرفون ما يجب ، لو كان لى السلطة ، لأمرت أن تبرى العصا ، وأطعنه فى السوق وأتركه كذلك حتى يموت".

نظر الأمير الأول إلى ميسنجو وقال "أهكذا تفعل يا ميسنجو؟"

قال ميسنجو "والله أفعل ذلك ، أطال الله حياتك ، إن لم أفعل ذلك لا أشفى غليلى".

قال الأمير الأول "وهو كذلك، الحمد لله"، وفتح الممر فخرج سانى وثالث فتعجب كل الناس لرؤية سانى ، وكيف اجتمعوا هنا".

قال الأمير الأول لسانى أن يقص كل ما فعله هو وميسنجو حتى ينال السلطة، فقص كل شيء ، فنظر الأول إلى ميسنجو وقال "أليس هذا ما حدث ؟"

ظن ميسنجو أن الأمر مزاح ، ورأى أنه سيطر عليهم فقال "هذا ما حدث"

فنظر الأمير إلى ثالث وطلب منه أن يشرح للناس الحيلة التى فعلها مع ميسنجو ضد أخيه سانى ، حتى يتولى السلطة ، فقص كل شيء للناس" .

نظر الأمير إلى ميسنجو وقال "أليس هذا ما حدث؟"

قال ميسنجو "هذا ما حدث ، نصرك الله"

قال الأمير "وهو كذلك ، الحمد لله أسمعتم أيها الناس" ، وذكر كيف التقط ميسنجو ، وكيف رفعه ، وكل المؤامرات التى دبرها ضد ثالث مع كبار رجال المدينة حتى تمردوا عليه وسأل ميسنجو "أليس كذلك"؟

قال ميسنجو "وهو كذلك أيها الأمير، منذ أن مات الأمير ، لا يتم شيء فى القصر إلا بمشورتى ، وكل من نال السلطة نالها بالاتفاق معى ، وهذا عمل الشيطان ، أراد الله حتى يحدث هكذا" .

قال الأمير "كلام فارغ، هل خلقك الله ، وقال أن تأتى إلى هذه الدنيا لتكون منافقا ؟ ، نشعر بالرحمة ، وقدر الله ، وهو كذلك، وأنت كذلك كل ما يصيبك قدره الله ، ولا مفر منه ، لقد قدر الله أنه يصيبك" .

نظر الناس إلى ميسنجو وتعجبوا ، وقالوا "لا حول ولا قوة إلا بالله ، وبعد قليل نظر الأمير إلى الناس وقال "لم آتولَّ السلطة من أجل نفسى ولكن لأجمع إخوتى ، عندما رأيت أن الحظ السيئ فى هذه الحياة الدنيا فرقهم ، والآن قد تحقق هدفى وأشكر الله" .

ونظر إلى سانى وقال للناس "هل عرفتم أن هذا هو التالى لى؟ لذلك أعطيته السلطة ثم نظر إلى ثالث وقال للناس "عرفتم أن هذا هو أصغرنا ، لذلك عينته جلاديما" وقال "أما أنا فسأكون إمام المدينة" ونظر إلى الناس وقال "هل توافقون؟"

قال الناس "هذه هى الأخوة ، ماذا يثير الغضب فى هذا ؟، كنا نريد ذلك ولكن لم يحدث، والله هذا ما نريده ، هذا ما نريده" .

ونزل الأول من فوق كرسـى الإمارة ، وأمر بحمل سانى وإجـلاسه وجلس هو على الأرض ، وقـال "الآن فى يدك السلطة ، كل مـا تريد أن تفعله مـيـسنجو لا يوجـد من يعترض عليه".

ابتسم سـانى وشكر الله ، ونظر إلى الشرطة ، وأشار إلى مـيسنجو وقـال "اقطعوا رقبته".

وفى غمضة عين نفـذ الشرطة الأمر ، وهكذا انتهت حياته ، النفـاق عفريت يقضى على صاحبه.

وبعد قليل ، بعـد حوالى ستة أشهـر ، بعث الأمير سانى من يأتون له بـهذا العالم الذى أفسد له سـحر اليمامة، وكافـأه كثيرا ، وأذن له بالانصراف ، وعاشـوا حياتهم فى طمأنينة ، كل منهم يطيع من هو أكبـر منه ، وتفرغ الأول لأمور الدين ، حتى وصل إلى درجة لا مثيل لها فى البلاد ، وتحقق هدفه ، وحفظ القرآن .

عندما وصل الوزير إلى هنا ، نظر فوجد أن فصيح نائم ، ولم يسمع ما قال الوزير، ولم يعرف شيئا عما قيل ، لذلك رفع صوته وسأل "ماذا قلت الآن؟"

فزع فصيح وفتح عينيه وقال "سمعت كل شيء ، قلت أن سانى قال أنه موافق على المنصب الذى يريد أن يوليه إياه ، طالما ساعده فى تولى السلطة"

نهره الوزير وقال "كل هذا كنت نائما، ما قلته الآن تركناه مـنذ عشرين دقيقة ، لقد تكلمت كثيرا حتى تعب لسانى ، غدا فى الصـباح سأقصه عليك مرة أخرى ، وعليك أن تأخذ ورقة وتكتبه عشر مرات ، وتحضره لى ظهرا" .

وعندما حان ظهـر هذا اليوم ، جاء فصيح بالعمل الذى كلف بعـمله فى الصباح ، وقال للوزير "يا أبتى ، أليس اليوم هو يوم العطلة ؟، لأنى أحسب موعده" .

قـال الوزير " نعم ، يوم توليت الوزارة لا شك أنك تسـتريح فى هذا اليـوم ، هذا اليوم هو الخميس" .

قال فصيح "وهو كذلك ، الحمد لله ، أى يوم هذا؟"

قال الوزير "الثلاثاء" .

قال فصيح "لا ، لقد كدت أنسى فى الأيام القليلة الماضية أن التحذير الثانى كان يوم الثلاثاء ، وقد أخذت مثاله" .

قال الوزير "وهو كذلك ، أنصت ، ستستريح مستقبلا إذا دار هذا اليوم" .

قال فصيح "الحمد لله ، غدا لأنه هو الاثنين" .

قال الوزير "نعم ، استمع إلى المثال التحذيرى الثامن" .

الطمع مفتاح الصعاب ، ولولا الطمع ما كان الازدراء

كان يعـيش فى إنداكى رجل يسمى طندمـو ، كان الناس يسمـونه دولو لشدة غـبائه ولسوء حالة رفع عنه الأمير ضريبة الخراج.

وظل أعواما لا يدفـعها ، وذات يوم اختلف مع رئيس حاشـية المدينة ، وكان رئيس حيـهم ، فقيدا اسـمه ضمن من يدفـعون الخراج فى هذا العـام ، وحدد له مبلغ ثمـانية شلنات وقال أن غـباء دولو يفيـده لو كان غـباءه حقـيقة مـا وجد ما يعـيش به ، ويعول زوجته، ويستر نفسه؟ "

واستعـد دولو للخروج للبحث عن المال ، وأخذ يبـحث حتى وصل إلى تنجر داود وذهب إلى أحـد النجارين فـى هذه المدينة ، وأخذ يصنع لـه أيدى الفئـوس ، ويدفع له التجار أجرا، ولأنه كان يعرف حاله ، وما أخرجه من بلده ، لم يعطه أجره مرة واحدة ، بل كان يدخـر له جزءاً . فلما وجـد مدخراته بلغت ثمـانية شلنات سلمهـا له ، ليذهب ويدفع الخراج ، وإن شاء عاد إليه ليكسب ما ينفقه على أسرته إذا رجع إلى مدينته.

ولما اقترب من المنزل سمع نقيق الضفادع فى أحد المستنقعات ، وما أدراك ما الأبله ، ظن أن الضفادع تحـدثه ، لذلك نظر إلى المستنقع وقال "حتى هؤلاء الأغبيـاء يعرفون كم شلنا مـعى ، أنهم يذكرون المبـلغ حتى سـمع الناس إنهم يكذبون ، إنهـا تسعـة شلنات وليست ثمانية" ، واتخذ طريقه ومضى ، ولم تهتم الضفادع بما تقول واستمرت فى النقيق وظلت تقول كوس كوس كوس – وهو يظنها تقـول تكوس تكوس رأى ثمانية بلغة الهوسا – فغضب وقال "اليوم التقيت بالأغـبياء ، إننى قلت لكم أنها تسعة شلنات ، ثم تقولون مرة أخرى أنها ثمانية ، ألا تعرفون سوى المخالفة. "

وهم بالمضى ، فاستمرت الضـفادع فى النقيق تكوس تكوس تكوس ، فقال "إن لم توافقوا على العـدد دعونى أعدها أمامكم لتروا بأنفسكم ، انظروا إلى هـذه الحشرات إنها تريد أن تكذب جمـيع الناس". وفك كيس النقـود وعدها تسعة شـلنات تماما ونظر إلى المستنقع وقال "هل رأيتم ، لا أقبل أن أكذب عليكم "، ولم تـدرك الضفادع ما يقول وما يفعل واستمرت فى النقيق.

عندما سمع دولو ذلك غضب وقال "شاء الله اليوم أن ألتقى بالأغبياء ، إذا كنتم تظنون أنكم تعدون أفضل منى ، ها هو المال عدوه أنتم بأنفسكم ، لتروا" ، وجمع المال كله وألقاه فى المستنقع ، وانتظر حتى يعدوه ويردوه إليه ، ولكنه رأى أنهم يستمرون فى النقيق . ولم يردوا إليه ماله ، فقام وأخذ يسبها ويقول "إن لم تنتهوا فقولوا لى انتظر ودعونى أذهب لأن البرد كاد يقتلنى ، ها هو المغرب قد اقترب ، وانتم مختلفون ، الا تستطيعون عد تسعة شلنات ، هل تعذر عليكم هذا العد وتسليمها إلى بعد عدها ، إذا كنتم لا تقدرون ردوا إلى مالى ، لأذهب حيث أريد" ، ثم جلس مرة أخرى ينتظر.

فلما رأى أن المغرب قد أقبل ولم يردوا إليه ماله ، قصد منزله وهو يقول "من حسن حظكم أن الأمير غير موجود ، لشكوتكم إليه ، ولكنه أوشك على العودة ، ويقطع أيدى السارقين وأن هنا بعض اللصوص الذين لا يعرف الأمير شيئا عنهم "

عندما وصل المنزل وجد الأمير قد بعث الشرطة لأخذ مال الخراج ، فقال دولو "إنى أبحث عنها" ، وعندما مضى اليوم جاءت زوجته وانحنت أمامه ، وقالت "سيدى ، ليس لدينا شيء نأكله" .

فقام صاحبنا وأمسك خروفا له وهم بأخذه إلى السوق ، ثم فكر فى ذبحه ، وسلخه وأخذ لحمه وبيعه لكبير القصابين ، بعد خصم قيمة الخراج وشراء ما يحتاجه أهله من الطعام ، ثم يعود لبيع الجلد.

وأثناء السير وجد بعض الكلاب مجتمعه عند بوابة المدينة متتبعين كلبه ، فشمت الكلاب رائحة اللحم ، فنظرت إلى دولو وأخذت تنبح عليه ، فقال "حتى لو كنتم أكثر من الذباب لن أعطيكم شيئا ، إنه للبيع ، وليس للإهداء" ، واستمر لشانه ، وكان من بين هذه الكلاب كلب ضخم أسود قمحى لكبير القصابين ، قد تتبع دولو ، وكاد يوقعه ويخطف منه اللحم بالقوة ، فلما التفت دولو وراءه وعرف أنه كلب أمير القصابين دائما يلازمه لذلك قال "هل أنت؟ لو لم أكن رأيتك لذهبت إلى منزلكم لتوصيل هذا اللحم ، أما الآن إذا كنت تريد أن تريحنى فسوف أعطيك فلا فرق بينكما فأنت وأمير القصابين واحد ولكن الكلاب الأخرى لن أعطيها لأنى لا أعرفها ، إلا إذا ضمنتها" ، فأخذ الكلب ينبح فظن دولو أنه يقول أنه موافق ، فأنزل الخروف إلى الأرض ، وقال "وهو كذلك ، ها هى ، ولكن بعد ثلاثة أيام ، أى يوم الجمعة ، تجمع لى المال ، وتحضره لى فى الصباح ، أنت تعرف أن المنزل هنا فى شمال مصلى الجمعة" ، واستمر فى السير ، وترك اللحم تلتهمه الكلاب.

وفى يوم الجمعة قـال لزوجته أن تغسل الأوانى منذ الصباح ، واليـوم سيدفع له ثمن الخروف الذى باعه ، وخرج وجلس على باب المنزل ، ينتظر كلب أمـير القصابين الأسود القمـحى ، فلم يره حتى الظهـر ، فقـال "لقد انتشـر الكذب فى هذه الأيام ، إذا أهمل الإنسان حقه ضاع عليه ، لنصبـر ونرى "، ثم قام وذهب إلى أمير القصابين فى السوق ، وقال "كيف يحـدث هذا يا كبير القـصابين؟، لقد أخذت الكلاب لحم الخـروف وضمنهم كلبك ، ووزعه عليهم ، وحتى الآن لم يجمع منهم الثمن ، أهكذا يفعل معى؟"

ظن كبير القصابين أنه يمزح ، فنظر إليه وابتسم ، وقال "ها هو الكلب اسأله يعطيك المال".

نظر دولو إلى الكلب وقـال "أين المال الذى قلت إنك ستأتينى بـه اليوم؟، فلم يرفع الكلب راسه ، فـأخذ دولو يكلمـه ، ولكن الكلب لم يرد عليه ولم يرفع رأسـه ، وأخذ الناس يضحكون عليه.

نظر دولو إلى كلب القصـابين وقال "الله أكبر، لقـد أصيب بالصمم بعـد أن تركته يجب أن تدفع أنت."

أخذ كبير القصابين عـصا وضرب دولو ، وقال "بالله عليك اغرب عن وجهى ، إذا لم يكن لديك عمل تعمله ، فنحن مشغولون ، وهاك الكلب امسكه واسأله يعطيك"

نهر دولو أمير القصابين وقال "لا ، لا تقل هذا ، الشهر الماضى ، عندما ارتكب

نانا بن جيـا جناية شكاه حتى دفع الـدية ، وأنت قلت أنه ليس لك ابن ولا حفـيد سواه ، ولأنه لم يف اليوم بالدين تقول لن تدفع ؟، وطالما أن المدينـة بها أمير، لن يضيع حقى"، ثم قصد الأمير، وسمح له بالدخول ، فدخل فانحنى وحياه .

وكان الأمير يـجلس وابنته تجلس بجواره ، ولا أحد بالحجرة سـواهما ، يهدىء من روعها بسبب غضبها الشديد ، بعـد أن أدى التحية قال للأمير "أطال الله حياتك ، أشكو إليك ضفادع مستنقع ميو ، وكلب أمير القصابين الأسود ، أنت تمنع الظلم ، ولكن الناس لا يمتنعون حتى الآن ، عندما ذهبت إلى أمير القصابين أشكو كلبه الأسود إليه ، بدلا من مساعدتى فى الحـصول على حقى ، ضربنى بالعصا علـى رأسى"، وقال له كل ما حدث بينه وبين الضفادع ، وبينه وبين كلب القصابين .

عندما سمعت ابنة الأمير ذلك انفجرت فى الضحك ، وكاد الأمير يقع من فوق الكرسى من شدة الضحك ، ونظر إلى دولو وقال "بما أنك رميتها لهم ، سأعطيك ابنتى زوجة عوضا عما ضاع منك، لم تضحك منذ ماتت أمها منذ خمس سنوات ، أن أزوجها لمن يضحكها لأول مرة ، وأنت الذى أضحكتها فقد وهبك الله إياها. "

قال دولو "أطال الله حياتك ، أنا لى زوجة بالمنزل وهى تكفينى ، إذا أضفت لها أخرى سيصير كل ركن فى المنزل أنظر إليه لا أرى إلا نساء".

فلما رأى الأمير دولو يرفض الزواج من ابنته ، غضب وقال "إذا كنت لا تريدها ، تأتى غدا فأعطيك مائة على جسمك لما أحدثت لى من خسارة"

قال دولو "وهو كذلك" وشكره ، وقام وبعد خروجه قابله رئيس الحاشية ، فسأله عما أعطاه الأمير عندما سمع أنه أضحك ابنته".

قال دولو "لم يعطنى شيئا ، ولكن أمر أن آتى غدا ليعد لى مائة فآخذها".

ظن رئيس الحاشية أنه سيعطيه مائة شلن ، لأنه يعرف أن من يضحك ابنته لن يتركه يخرج خالى اليدين ، ولعلك تعرف أن دولو غبى ، لذلك أطلق عليه هذا الأسم فأضمر رئيس الحاشية أن يمكر به ، ونظر إليه وقال "سيعطيك مائة شلن ، ولكن ماذا ستفعل بهذه الشلنات ، التى إذا حاولت أن تغيرها سيصعب عليك؟"

تعال معى نذهب إلى منزلى أعطيك ملاليم بدلا من المائة شلن ، وعندما يعطيك الأمير غدا تردها إلى".

قال دولو "وهو كذلك"، وسار خلفه .

ملأ رئيس الحاشية إناء بالملاليم ، بمقدار عشرين شلنا ، وقدمها إلى دولو ، فأخذها وقصد منزله وهو مسرور .

وفى الصباح الباكر ، ذهب رئيس الحاشية إلى منزل دولو واستأذن ، وعندما خرج قال له "استعد بسرعة لنذهب إلى قصر الأمير ، حتى يسلمك المال قبل أن يجتمع الناس"

قال دولو "وهو كذلك"، ودخل واستعد وخرج وسار رئيس الحاشية أمامه حتى وصلا إلى القصر ، وانتظر ، وفتح القصر، ودخلا الممر الكبير ، وجلسا ، يتعجلون المائه.

وعند الضحى خرج الأمير إلى الممر الصغير ، وفي الحال دخل رئيس الحاشيه وقال له أن دولو يستأذن للدخول ، فأمر الأمير أن يدخل وخرج رئيس الحاشيه . وعاد إلى الممر الكبير ، فقال الأمير "لقد أردت بك خيرا ، ولكن بؤسك حال دون ذلك"، ونادى على رئيس الشرطه وأمر أن يجلد دولو مائة جلده ، "لقد سبق أن قلت له أن يأتي لأخذها" .

وهم رئيس الشرطة أن يجرده من ثيابه ، فقال "انتظر ، نصرك الله ، إذا كنت ستعطينى مائة جلده ، فقد استبدلها رئيس الحاشية"، وقص كل ما حدث بينه وبين رئيس الحاشية.

وفى الحال جاءوا برئيس الحاشية ، وطلب الأمير من دولو أن يردد القول الذى حدث بينهما كله ، وسأل الأمير رئيس الحاشية أحداث ذلك ، فقال "نعم"، نظر إليه الأمير وضحك وقال "الطماع لا يشعر بالسعادة ، لقد كنت أنوى إعطاءه مائة جلدة ، طالما أنك استبدلتها ، فعليك أن ترقد وتأخذها" .

أخذ رئيس الحاشية يقول "تبت ، تبت" ، فزجر الأمير الشرطة ، وقبل أن يغلق فمه كانوا قد جردوه من ملابسه ، وانهالوا عليه بالسوط ، وهو يصرخ حتى أتموا المائة.

نظر الأمير إلى دولو وقال "لقد جعلك الله سعيد الحظ ، تهرب من الرزق فيتبعك اذهب إلى الخزانة ، وخذ ما تشاء من الشلنات ، واذهب ، أقدمها لك بدلا من التى أخذتها الكلاب والضفادع" .

ذهب دولو وقدم له الصراف سلة مملوؤة بالمال ، فقال دولو "لا أقدر على هذا العبث، وأحمل المتاع الذى لا استطيع حمله"، ومد يده وملأ جيبه ، وفرش كم قميصه وملأه ، واحتضن ما تبقى.

وقبل أن ينصرف أمره الصراف أن يذهب ويشكر الأمير ، فذهب وشكره وخرج وجلس فى الممر الكبير يعده ويتمتم ويقول "لم يف الأمير بوعده ، طالما أنه حرمنى من حقى الذى استحقه ، وأعطانى حق شخص آخر ربما لو اتبع حكم الشرع تماما لأعطانى حقى الذى يكون ضعف هذا" .

لقد كان رئيس الحاشية مختبئا يسمع كل ما يقول فقال "أذهب وأمشى به ربما أخذ الأمير المال الذى قدمه له وأعطاه لى" ، وأسرع إلى الأمير وانحنى أمامه وقال كلاماً كثيرا شيئا ونسبه إلى دولو ، وادعى أنه يقول هذا بالخارج" .

عندما سمع الأمير ذلك ، ظن ذلك حسدا ، ولكنه قال لرئيس الحاشية أن يناديه، وتصادف أن سمع شقيق دولو الأصغر كل ما قال رئيس الحاشية للأمير ، عندما أسرع ووشى بأخيه، لذلك قبل أن يستدعيه ، قال لأخيه الأكبر ما يقوله أمام الأمير ، وما يفعله إذا استدعاه الأمير.

وما كاد أن ينتهى من الكلام معه حتى جاء رئيس الحاشية يستدعيه ، قائلا "أنت يا دولو لا تفرح ، تعال، الأمير يطلبك ، ابن حرام ، اليوم ستعلم أن كتمان السر مفيد".

وقف دولو ونظر إلى جيبه المملوء بالمال وأخذ يسير بتعقل ، لذلك قال لرئيس الحاشية "لا أستطيع أن أذهب إلى الأمير بهذه الثياب الرثه ، لا بد أن أذهب وأستعير ثوبا".

وكان رئيس الحاشية متعجلا ولا يريد أن يتركه يذهب إلى أى مكان ولو لوقت قصير ليستعير ثوبا ، فتهدأ ثورة الأمير ، لذلك خلع ثوبه وقدمه إليه وقال "ها قميص أعيره لك، البسه بسرعة لتذهب ، أنت تعلم أنك صرت صديقى الآن" ، أخذه دولو وارتداه ، ووصلا إلى الأمير .

وعند وصولهما تلقى الأمير دولو باللوم والسب بسبب ما قاله رئيس الحاشية له ، فقال دولو "أطال الله حياتك ، اقسم بعمامتك أنه يكذب ، إنه يحسدنى على الخير الذى نلته منك ، نحن نعرف أخلاق رئيس الحاشية ، أنت وحدك فى المدينة الذى تستطيع مجالسته ، والآن يمكن أن ينظر إلى هذا القميص ويدعى أنه قميصه".

نظر رئيس الحاشية إلى دولو وقال "ماذا تقول ؟، أليس هذا قميصاً ؟ ألم أعرك إياه الآن حتى تدخل على الأمير فى مظهر جميل؟"

قال دولو "أطال الله حياتك ، أسمعت ماذا يقول ؟، إن هذه هى أخلاقه ، لقد قلت لك ذلك".

تعجب رئيس الحاشية من ذلك ، وأخذ يقلب كفيه ، فزجره الأمير وقال "دعك من هذا الكلام الكاذب ، عليك أن تدفع قيمة مائة جلدة بسبب هذا القذف ، وإلا جلدتك الآن وزدت على ذلك".

دفع أمير الحاشية قيمة مائة جلدة مكرها وأعطى دولو نصيبه ، فبنى منزلا ومنذ هذا

اليوم سقطت منزلة رئيس الحاشية فى نظر الأمير ، وأصبح لا يوافق على أى شيء يقوله ، واحتفظ به فقط لأنه ألفه.

حمل دولو ماله إلى منزله ، وأخذه أخوه الأصغر وحفظه لديه ، وأخذ يتاجر له فيه، ولما كان يصرف بحكمه ، زاد هذا المال ، واختفى اسم دولو ، وصار الناس يقولون له حيثما ذهب: يا سيدى قدوم مبارك".

وكلما رأى رئيس الحاشية دولو ، يعض على شفتيه ، وينظر إليه ويقول "بالله انظر ، إنه يتباهى بما سرق من مال ، الذى كان يعجز عن شراء الثوب ، مدعى الغنى ينفث الدخان ويتعالى على الناس ، كأننا لا نعرف أصله".

عندما سمع فصيح آخر هذه القصة أخذ يضحك حتى دمعت عيناه ، وقال "هذه أجمل من القصة التى قصصتها أمس ، والى اللقاء بعد غد ، لأن غدا يوم راحة."

قال الوزير "نعم"، طار فصيح وذهب.

وعندما طلع فجر يوم الثلاثاء ، دخل فصيح المدينة منذ الصباح وأخذ يلعب مع الأولاد ، كل من فى المدينة يعرفه من الصغار حتى الكبار ، وفى منتصف النهار عندما تعب عاد وتناول الطعام وقبل أن يستيقظ الوزير عاد خارج المدينة فوجد أصدقاءه من الحمام وقد وقفوا فى مكان ظليل ، وأخذوا يلعبون بالأرقام ، وإخوته يتفرجون عليه وبعد قليل وهم على وشك الانصراف جاء الهدهد وسألهم مسألتين ، فعجزوا عن الإجابة ، فطلب فصيح أن يعطوه مهلة حتى الغد ، ليسأل الوزير.

وقرب المغرب عاد إلى المنزل ، فاستقبله الوزير باللوم قائلا "أين كنت اليوم منذ الصباح ؟"، لأنى قلت لم لا قراءة اليوم تقضى اليوم خارج المنزل؟

قال فصيح "لقد كنت مع بعض أصدقائى من الحمام فى بجويرى ، لم نقض الوقت عبثا ، كنا نتعلم الحساب ، حتى أن الهدهد هو ذكر لنا مسألتين فعجزنا عن حلهما ، فقلت ندعهما حتى آتى إليك وأسالك".

قال الوزير "اذكرهما أعطك الإجابة عنهما ، دون أن انتظر للتفكير فيهما ، وتذهب الآن وتذكر له الإجابة ، لأن الناس يطلقون عليه معلم الطيور، يظن أنه لا يوجد من هو أعلم منه؟"

قال فصيح "المسألة الأولى ، ذات يوم ذهبت فتاة لترد الماء فوجدت بعض البقرات قد ذهبت لتشرب من النهر ، فنظرت إليها الفتاة ، وقالت "مرحبا بالمئه" ، فقالت لها البقرات "لم نكمل المئه ، حتى إذا جئت بمثلنا ، ونصف مثلنا ، وأضفتها إلينا ، حينئذ نكمل المئ"ه ، فكم بقرة جاءت؟"

صمت الوزير ، وأخذ يضرب برأسه ، ثم قال "ما هو السؤال الثانى؟"

قال فصيح "أليس لهذه المسألة إجابة"

"لديه الإجابة ، جاءت ثلاثون بقرة"

قال فصيح "يا أبتى ، هذا الحساب صعب علينا ، دعنا نحسب ، اجمع ثلاثين على ثلاثين يكون الناتج ستين ، وأصف إلى الناتج نصف الثلاثين أى خمسة عشر سيكون الناتج خمساً وسبعين" ، نظر إلى الوزير وقال "كيف ذلك ؟، لا يصل الناتج إلى مائة".

قال الوزير "لقد أخطأ الهدهد ، قل المسألة الثانية لأسمعها".

قال فصيح "ذات يوم، كانت الفتاة تجدل شعرها ، فسمعت الجادلة صوتا يطير فوق رأسها ، فرفعت رأسها ، فرأت حماما ، فنظرت إليه ، وقالت "مرحبا بكم يا مائة"، فقالت الفتاة التى تجدل شعرها ، لم تكمل المائة حتى تأتى بمثل نصفهم وتضيفها إليهم ، وأضيف إليهم الحمامة التى أرعاها لدى ، حينئذ يكتمل عددها مائة"

صمت الوزير وأخذ يفكر طويلا ، وبعد قليل قال "اذهب وأرحنى من هذه الحسابات الخالية من الفصاحة، ولكن أجلس لأقول لك واحدة إذا ذهبت ألـقها عليهم ، لنعرف هل يستطيع أحد منهم معرفتها ، وقل لمن يعرفها أننى سأعطيه جوالا من الغلال".

أيها الغلام ابذل جهداً عظيمًا لتشتهر

فى إحدى بلاد الشرق البعيد عن هنا ، كـان يعيش رجل يسمى عبد الله ، كان ثريا وعالما كـبيرا ، وكـان من بين ثروته سبع عشـرة جملا مـختارين مـن بين الإبل كلها نوق متساوية فى الحجم فلا تزيد واحدة عن الأخرى.

عندما شعر هذا العالم أنه على وشك الوفاة ، نادى أولاده الستة ، وقال لهم إذا مت لا تضموا هذه الإبل إلى الميـراث الذى ستوزعونه ، لم أنو أن أجمعهـا لنفسى ، فى نيتى إذا كبرت ، أعطى ابنى الأكبر النصف ، والذى يـليه الثلث ، والابن الأصغر التسع ، إن عددهم ليس كبيرا ، ولكن مع ذلك يجب أن توزع على هذا النحو ، ولا تدعوا أى عالم يغير فى هذه القسـمة التى قسمتها ، وأن يقـول هذا ليس بالحلال، إنى أعلم بما نويته فى نفسى".

احتضن الأولاد أباهم وهم يبكون ، وبعد قليل شعـروا بالبرودة تسرى فى جسمه ، فأخـذوا ينظرون إليه حتى أسلـم الروح ، دون أن يعرف أحد ، فـاجتمع الناس وشـيعت الجنازة ، وانتهى الأمر.

وبعد سبعة أيام بعث القاضى بالساعى ليحـضر بهم لتوزيع الميراث، فقال له الشهود ما قال عبد الله بالنسبة لتوزيع الإبل التى تـركها ، فعندما هم بالقسمة ، جنب هذه الابل فى مكان ، ووزع باقى الثـروة ، وعند توزيعـها قـال الأولاد "يجب أن توزعـها حـسب الوصية التى تركها أبونا ، حتى ننتهى من القسمة نهائيا" .

"ما يسمى النصف هو ٢/١ وما يسمى الثلث هو ٣/١ أى يقسم الواحد ثلاثة أجزاء ويؤخذ جزء واحد ، وما يسمى التسع هو ٩/١ أى يقسم الواحد تسعة أجزاء ويؤخذ جزء واحد" ، صمت الساعى ، وأخذ يحسب الإبل ، فوجد أنه لا يمكن تقسيمها كما أراد هذا الأب ، فقال لهم "هذه الإبل لا يمكن تقسيمها كما أراد أبوكم ، إلا إذا ذبح بعضها ووزع لحمـها عليكم ، أو يصبـر أحدكم ويرضى بنصيـبه ، ويأخذ أحدكـم أكثر من نصيـبه ، فكروا، وقرروا ، نصف السبعة عشـر، ثمانية ونصف ، فكيف نجد نصف جمل ، إن لم

يذبح ويقسم ، أو يباع ويقسم ثمنه ؟، أو توافقون أن يأخذ كبيركم أكثر من النصف فيحصل على تسعة".

قال الأخوان "لا ، لم يوص أبونا بذلك ، لم يرد أبونا أن ينال أحدنا أكثر من الآخر" قال الساعة "وهو كذلك ، لعله يوافق على النصف لكم ويأخذ ثمانية".

فأجاب هو الآخر قائلا "لا أوافق أن يزيدوا عنى ، قال أبى لا يختلف نصيب عن الآخر، ..

صعب الأمر عليهم وتحير الساعى فى الأمر ، فأخذهم وأخذ الإبل معهم وذهبوا جميعا إلى القاضى ، وعرضوا الأمر كله عليه.

فلما سمع القاضى القصة ، صمت وبعد قليل قال "وهو كذلك ، هيا نخرج لرؤية الإبل"، وخرجوا ورأوها ، وعدها ، وهز رأسه وقال "هذا أمر يسير"

قال الشباب "غفر الله لك يا سيدى ، لا ينبغى ان يأخذ أحد أكثر من حقه ، ولا تنقص من حق أحد".

قال القاضى "أتقولون لى هذا الكلام ، هل أنتم أول من أقسم لهم الميراث ، انحنى الشباب وقالوا إنهم آسفون ، فعفا عنهم القاضى ، ثم نادى أحد خدمه ، وقال "اذهب واحضر ناقتى التى أركبها". وفى الحال جاء الخادم بها ، فقال القاضى "ضمها إلى نوق هؤلاء الشباب، وافعل ما أقوله لك ، ففتح كل فمه تعجبا ، ونظر لما سيفعل.

والتفت القاضى إلى الابن الأكبر وقال "كم عدد هذه الإبل؟"

قال الابن الأكبر "ثمانية ، غفر الله لك يا سيدى"

قال القاضى "حسنا كما من الإبل أوصى لك أبوك؟"

قال الشاب "النصف ، أحسن الله إليك يا سيدى"

قال القاضى "الحمد لله ، ما هو نصف سبع عشرة ناقة؟"

قال الشاب "ثمانية جمال ونصف وجمل ، غفر الله لك يا سيدى"

قال القاضى "وهو كذلك ، كم نصف الثمانية عشر ناقة؟"

قال الشاب "تسعة"

قال القـاضى "إذا حصلت على تسع نوق ، وأنت تريد ثمـان ونصف ، ألا يكفيك هذا؟"

قال الشاب "غفر الله لك يا سيدى ، هذا فاق الحد ، لقد زدت بهذا نصفا ؟"

قال القاضى "وهو كذلك ، سق الناقة ولكن لا تضـيفها إلى ناقتى، أعرف أننى وإن لم أمنعك من ذلك ، سوف لاتفعل ، لأنها أصغر من الباقى" .

بدت السـعادة على وجـه الشاب وابتـسم ، وساق النوق التـسع ، وذهب إلى منزله مسرعا ، خشية أن تنقص القسمة ، ويطلب منه إعادة واحدة.

نظر الأخوة الباقـون الأصغر منه إلى القاضى فى غـضب يظنون أنه طالما زاد نصيب أخيهم الأكبر أن نصيبهم سينقص.

نظر القاضى إلى الآخر الذى يلى الكبيـر وقال "وأنت كم عدد الإبل التى أوصى بها لك أبوك؟"

قال الصبى "قال أن تقسم ثلاثة أجزاء وأنال جزءاً واحداً ، غفر الله لك يا سيدى" .

قال القـاضى "إذا قـسـمت الثمـانى عشـرة ناقة إلى ثلاثة أجـزاء كم جزءاً سـيكون نصيبك؟"

قال الصبى "أحسن الله عملك يا سيدى ، سيكون كل جزء ستة ستة ستة"

قال القاضى "إذا أخذت ستة أجزاء ألا ينقص هذا من نصيبك؟"

قال الصـبى "أين هو النقص؟، إذا لم تعطنا ناقـتك ، يكون خمسـة إبل وثلثين من الإبل أنا لها" ، فأخذها ومضى.

لعلك تذكر أن إبلهم كانت سبعة عشر ، وأمر القاضى أن تضاف إليهم ناقته فصارت ثمانى عشرة ، الكبير أخذ تسعة ، والأصغر منه أخذ ستة ، وهو كذلك تسعة وستة ، إذا جمعناها يكون الناتج خـمسة عشر ، وإذا انقصـنا من الثمانية عشر واحـدة ، يتبقى ثلاثة إبل.

نظر القاضى إلى الابن الأصغر وقال "وأنت كم ناقة قال أبوك أنها نصيبك؟"

قال الأبن الأصـغر "قال إذا قـسمت هذه الإبل السـبعة عـشر ، تسعـة أجزاء يكون نصيبى جزءاً واحداً أى سيكون نصيبى جملا واحدا ، وثمانية أتساع"

قال القاضى "أنـت تريد جملا واحدا ، وثمانيـة أتساع جمل فمـا بالك لو حصلت على جملين".

قال الابن الأصغـر "إذا حصلت على جملين ، أحسن الله عملك يا سيدى كل ما تفعله طيب"

قال القاضى "وهو كذلك ، سق جملين ، ولكن اترك جملى"

ساقهما الابن الأصغر ومضى مسرورا .

ثم نظر القـاضى إلى خـادمه وقـال "خذ ناقـتى التى أحـضرتـها ، وارجـعهـا إلى أخواتها" ، فأخذها وذهب ، وتعجب الناس من مهارة هذا القاضى.

قال فصيح "لم أر فى هذا الرد المطلوب على السؤال الذى سألته"

قال الوزير "تريد أن تعرف السبب الذى جعل كل واحـد منهم يعتقد أنه نال أكثر مما كان يظن أنه نصيبه كما أن ناقة القاضى عادت إليه دون أن يخسرها" .

قال فصيح "هذا الحساب صعب جدا ، ما هى إجابته ؟، حتى لا أذهب وأطرح هذه المسألة دون أن أعرف حلها" .

صمت الوزير وبعد قـليل قال "إذا ذهبت وقلت لهم ، نسمع لنعرف هل فـيهم أحد يفهم أنى أعرف الإجابة ، ولكن لن أقول لك الآن ، حتى تكبر" .

قال فصيح "وهو كذلك" ، وخرج يتجول.

وعندما طلع النهار ، ذهب فصيح إلى بوجابرى ، حيث الحمامات اللائى قضى يوم أمس معها ، فلما رأوه قالوا "هل قال لك الوزير الإجابة عن هذه المسائل" .

قال فصـيح "لا ، قال إن من قال هذه المسألة اخطأ فى الإجـابة عن واحدة ، يجب أن يكون ثلاثين" .

قال الهدهد "أين الخطأ ؟، لقد قلتها كما هى تماما ، والإجابة هى أربعون ، والثانى ستة وسـتون ، احسبـها تر ذلك ، الأولى أربعون طائرا ، أضف مـثلها فتصيـر ثمانين ، وأضف نصف مثلهم ، أى عشرين ، فتصير بذلك مائة فأين الخطأ هنا؟"

"الثانية ، ستة وستون طائراً ، ضف إليـهم نصف مثلهم ، أى ثلاثة وثلاثين فتصير تسعين ، ضف إليها حمامتها التى ترعاها ، فيصير عدد الحمام مائة أم ليس كذلك؟"

قالت الطيور فى وقت واحد "هكذا هكذا "، وأخذت تضحك على فصيح.

عندما رأى ذلــك غضب ، وقال "وأنا أيضــا سمــعت واحدة وســأقولها لــكم حتى خصص الوزير جوالا من الغلال لمن يعــرفها ، ويجيب عنها" ، فقالوا قل لنســمعها فقص عليهم القــصة التى سمعــها بالأمس ، فلما رأوا أنهم لا يســتطيعون الإجابة عنهــا ، قالوا إنهم عجزوا ، وطلبوا منه ذكر حلها ليسمعوه.

قال فــصيح "أنا أيضا لـم أعرف ، ســألت فقال الوزير عندمــا أكبر سيــقول لى الحل فانفجروا فى الضحك ، وطاروا جميعاً، وتركــوا فصيحاً يعود إلى منزله ، يعض جناحيه ، وقص للوزير ما حدث.

قال الوزير "لابد أنك تجهمت فى وجههم ، حــتى جعلتهم يحتقرونك ، إن لم تكن أنت ابن وزير هذه البلاد كلها ، يقف ويجادل الحمامات حتى يجذوا الفرصة للإساءة إليك ؟، دع الكلام عن الطيور ، لو أساء إليك أحد من الناس لا تتردد فى رد الإساءة ولا تدع هذه الإساءة يومــا واحدا ، وهذا مــا يتفق مع المثال الــذى أستعــد لقوله لك فى التــحذير التاسع ، إذا كنت تعيش بين الناس ورأيت دقات طبولهم تغيرت ، فغير رقصك.

لكل زمان ما يناسبه

في إحدى المدن وكانت تسمى رنداجي كان يعيش اثنان من الأثرياء أحدهما من الإبو يسمى نوانكو ، والثاني من الهوسا يسمى بلا وكان الأخير يعمل بائعا جائلا ، بينما كان نوانكو يعمل بائعا جائلاً ومرابيا ، يقرض الشلن بشلن وربع ، ولعلك تعرف أن الهوسا يألفهم الناس ، ومع ثراء بلا لم يكن في ثراء نوانكو ولكن لحلاوة لسانه ومعرفة حال أهل البلد، فاق نوانكو في التجارة ، حيثما يسمع أن نوانكو كسب نصف قرش يذهب ويسد عليه طريق الكسب ، إذا باع نوانكو مقطعا من القماش بمبلغ خمسة شلنات ، يذهب بلا ويخفض ثمن المقطع نصف شلن ، ولعلك تعرف أن الناس يميلون إلى من يبيع بسعر أرخص ، لذلك كان الكل يقبل على بلا ويتركون نوانكو ، حتى أصبح يقضي عشرين يوما لا يربح فيها شلنا واحدا ، فبحث عن حيلة لينتقم من بلا فلم يجد.

ومضت الأيام وهما على هذه الحال وإذا زاد تساهل المرء مع الناس كثر ندمه ، ولكن تساهل معهم بلا حتى خسر ، وأصبح لا يملك ولا مليما ، وليكن ما يكون ، حتى ضاقت الدنيا في وجهه ، ولم يعرف ما يفعل ، ففكر أن يذهب ويطلب قرضا من نوانكو ولكنه كان يخشى أن يريق ماء وجهه دون أن ينال ما يطلبه ، لذلك ذهب إلى أحد العلماء وسأله أن يعمل له تميمة تفتح له قلب المدين ، ثم ذهب وسأل نوانكو قرضا قيمته عشرين جنيها ، ليتاجر بها ، على أن يقتسما ما ينال من الربح.

عندما رأى نوانكو ذلك فرح ، لأنه وجد السبيل ليشفي غليله من بلا ، وأحضر له المبلغ المطلوب نقدا ، شلنا ينطح شلنا ، وقدمه له ، فشكره ، وقال "سآتيك بعد أربعة عشر يوما لنسوي حساباتنا ، ونقتسم ما نلته من ربح ، ثم أعود للتجارة"

فلما سمع نوانكو ذلك قال "لا أحتاج أن نقتسم الربح ، إذا وافقت على شرط واحد".

فغر بلا فاه وانفجر في الضحك ، وقال "أي شرط؟"

قال نوانكو "إذا وافقت بعد شهرين إن لم ترد عشرين جنيها قيمة الدين اقتطع جزءاً من لحمك".

عندما سمع بلا ذلك ، ضحك وقال "إذا كان هذا هو الشرط ، والله موافق" ، جمع نوانكو العلماء وشهدوا على ذلك ، وعاد بلا إلى منزله مسرورا ، وأعطى زوجته عشرة جنيهات لتدخرها ، وأخذ عشرة جنيهات وذهب إلى القماش واشترى مقطعا من القماش ، وحمله إلى القرى لبيعه ، وصار الأمر فى البداية طيبا ، ولم تعرف الزوجة العهد الذى قطعه على نفسه ، وأخذت تبذر فى المال ، فلا تطهى طعاما إلا إذا كان السمن يغطى وجد الإناء ، وعندما يعود الزوج من تجواله تذبح له دجاجة وتقدم له ما لذ وطاب ، وتنثر عليها التوابل ، فلم يهتم بما وراء هذا الأمر ، ولا ترتدى إلا أفخر الثياب وباختصار ، قبل مضى الأربعين يوما ، لم يتبق من العشرة جنيهات سوى خمسين شلنا ، ولم يهتم صاحبنا بهذا الأمر ولا يعرف كم من المال تبقى ، فهو غارق فى الملذات ، ولم يكن يحب أن يشير أمرا يغضب زوجته ، وها هو قد أنفق فى الأربعين يوما العشرة جنيهات التى أخذها ، وربحت حوالى خمسة عشر جنيها .

وبعد أن بقى خمسة أيام ويذهب بلا لتسوية حساباته ، بعث نوانكو بعض اللصوص إلى القرية التى ينزل فيها بلا فسرقوه ليلا ، ولم يتركوا له سوى بعض القروش التى وضعها فى جيبه الذى ينام عليه ، فاستيقظ فى الصباح كالمجنون ، وصبر ، وعاد إلى منزله وقص على زوجته ما حدث ، وقال "أعطنى ما معك من المال لأذهب قبل مضى الخمسة أيام لأسوى حساباتى ، إن شاء الله ، حتى إذا لم أربح استطيع تسديد الدين ، ثم أحصل على دين آخر" .

قامت الزوجة وأحضرت قليلا من المال ووضعته أمام زوجها ، فقال الزوج "أحضرى كل المال ، إنى متعجل الآن ، أريد أن أذهب إلى السوق لأشترى بعض السلع" ، فقالت الزوجة "هذا كل ما تبقى" .

قطب بلا جبينه وقال "ماذا تقولين ، هذا كل ما تبقى؟" ، وعده فوجده خمسة وأربعين شلنا فقط ، فنظر إلى زوجته ونهرها ، وانهال عليها ضربا ، وخلصها الجيران من يديه بصعوبة.

جلس بلا فى ذهول ، وهو يشعر باليأس ، وبعد قليل قال "لماذا أضايق نفسى هكذا، فليكن ما يكون ، حتى لو انطبقت السماء على الأرض ، فلن يستطيع أن يقتطع من جسمى قطعة واحدة ، إلا إذا فارقت الحياة" ، وجمع الخمسة وأربعين شلنا الباقية وأنفقها.

ولما اكتملت الخمسة أيام ، بعث نوانكو يطلبه ، فلما ذهب إليه ، وجده يمسك سكينا كبيرا فى يده اليمنى ، وحقيبة المال فى يده اليسرى ، وبعد أن تبادلا التحية ، مد نوانكو الحقيبة لبلا وقال "حان وقت السداد، عد المال" قال بلا "ليس لدى مال ، ولا أثر له" ، وقص له كل ما حدث من اللصوص وزوجته المبذرة.

هز نوانكو رأسه وقال "لم اتفق معك على هذا ، أرنى الجزء الذى لا تحبه فى جسمك لأقطع منه قطعة اللحم التى اتفقنا عليها" .

جلس بلا فى جانب ، وقال "لا يمكن هذا ، لو اجتمعت كل الدنيا فى هذا المكان، لن يستطيع أحد أن يقطع قطعة من لحمى ، وأنا أحس وأرى" .

وحاول نوانكو كثيرا ، فلما رآه يصبر على الرفض ، تقدم بشكوى إلى قاضى راندجى، أمر القاضى باستدعاء الشهود ، وسألهم ، فقالوا "نعم ، هكذا تم الإتفاق ، غفر الله لك يا سيدى ، تم هذا على أعيننا" .

قال القاضى "وهو كذلك ، هل سمعت يا بلا ، عليك أن تصبر حتى يقتطع ، هذا أمر بسيط ، أيخاف رجل مثلك ؟، لو كنا فى زمن الحرب ما فعلت شيئا"

انحنى بلا وقال "غفر الله لك يا سيدى ، حتى لو كان عنتر لن يسمح بأن يقتطع قطعة من جسمه ، وهو يحس ويرى ، عليك أن تقيم الصلح بيننا"

قال القاضى "وهو كذلك ، إذا وافقت يا نوانكو ، سآخذ منه وعدا ، إن لم يحضر المال، سأسجنه" .

قال نوانكو "غفر الله لك يا سيدى ، لا أقبل التأجيل ، لقد وعدنى أنه يستطيع ، إن الفم هو الذى يقطع العنق ، لقد نصحته نصيحة واحدة ، حيث أننى الذى اخترتك لتقضى بيننا ، وقضيت ولم يقبل حكمك ، فليذهب ويحكّم القاضى الذى يرتضى حكمه، لنذهب إليه ليقضى بيننا ، وإذا وافقت ، نذهب إليه حتى لو انطبقت السماء على الأرض سأقطع القطعة"

قال بلا "إنه موافق على هذا الرأى ، لنذهب إلى العالم ، قاضى دواكى ، ونسمع ما سيقول" ، وكان هذا العالم قد اشتهر بالذكاء والعلم والفصاحة ، وخرجوا من رنداجى قاصدين دواكى ، وأثناء السير رأوا بغل أحد التجار أوقع متاعه وجرى ودخل الغابة ،

فطلب التاجر أن يحيطوا به ويمسكوه ، فأحاطوا به ، فرفض البغل التوقف ، ولسوء الحظ أمسك بلا حجرا صغيرا وقذف به البغل حتى لا يجرى ، ويعود إلى الوراء ، فأصاب عين البغل تماما ، وفقأ الحجر عينه ، فطلب صاحب البغل من بلا ألا يتحرك حتى يدفع ثمن البغل الذى فقأ عينه ، طالما أنه عابه هكذا.

عندما رأى نوانكو أن هذا التاجر سيعوقهم قال له "إذا كنت ستشكوه سنذهب إلى دواكى فأت معنا ، فنحن سنشكوه هناك ، أما الآن فليس معه مليم واحد يدفعه لك"، فانضم إليهم صاحب البغل .

لما أدرك بلا أن أمره اليوم تجاوز حدود الحزن ، أخذ يصرخ ، ويدق الأرض بقدميه ويقول "ليكن ما يكون ، أنا مستعد لكل المشاكل"، ونظر إلى نوانكو وقال "ليتنى تركته، إذا كان يريد قتلى ، لنرى آخر الشقاء" ، فتركوه وأخذوا يدفعونه إلى دواكى.

وواصلوا السير ، فوجدوا رجلا انغرس حماره فى الطين ، وحاول صاحبه أن يخرجه فلم يستطع ، فلما رآهم مع بلا استحلفهم بالله أن يساعدوه ، فأمسكوه ، وأمسك بلا الحمار من ذيله ، وحاولوا رفع الحمار ، فانخلع الذيل الذى يمسكه بلا ، أمسك صاحب الحمار قميص بلا، وقال "لا تتحرك حتى تدفع لى ثمن الحمار طالما أنك أعبته هكذا" .

فلما رأى نوانكو أن صاحب الحمار سيؤخرهم ، قال له "نحن أيضا سنشكوه لدى قاضى دواكى ، إذا كنت تريد أن تشكوه أقبل معنا" ، فتبعهم وأخذوا يدفعون بلا أمامهم.

وبعد قليل وصلوا إلى دواكى فى الليل ، فوجدوا المدينة كلها قد نامت ، ولم يجدوا منزلا يأوون إليه ، فقال صاحب البغل وصاحب الحمار "الأفضل أن يذهبوا إلى السوق ويناموا حتى الصباح" ، فقالوا إنهم دائما يفعلون ذلك.

فلما وصلوا وجدوا بعض التجار يتسامرون فى العريش فاستأذنوهم فى أن يدخلوا ويناموا ، وبعد قليل قال بلا أن البعوض يضايقه ، لا يستطيع أن ينام داخل العريش وأنه سيصعد فوق العريش ، وقد تعود على هذا فى المنزل.

فلما سمع مرافقوه من الناس ذلك ، ظنوا أنه يستعد للهرب ، فقالوا إنهم سيصعدون معه ، فصعدوا وناموا ، وبعد قليل شعر أحد التجار الذين ينامون فى العريش أن البعوض يضايقه ، فأخذ حصيرة ، ونام فى الخارج لعله يشعر ببعض الراحة ، وبينما

هم نائمون ، وفى الصباح جاء أحد اللصوص ودخل المكان الذى ينام فيه التجار داخل العريش ، فصرخوا ونزل الناس النائمون مع بلا فوق العريش ، ولكن القدر شاء أن ينزل بلا فوق الرجل الذى ضايقه البعوض فنام بالخارج ، وكانت هذه الرقدة آخر أيامه ، وقبل الصلاة كان هذا الرجل قد مات.

وكان التجار الذين ينامون فى العريش أخوة كلهم أغراب عن المكان ، وكان اثنان منهم ابنين للقتيل ، واثنان شقيقان له ، ولما كان بلا قد نزل فوق أخيهم وقتله ، قالوا أنهم سيقطعون رقبته فى الليل ، وإذا أراد قاضى دواكى أن يقتلهم غدا فليقتلهم.

فلما سمع نوانكو وصاحب الحمار وصاحب البغل ذلك ، قالوا "هذا لا يمكن إلا إذا دفعتم عشرين شلنا ثمن الحمار ، وثلاثة جنيهات ثمن البغل ، وعشرين جنيها التى اقترضها من نوانكو ، لقد سمعتم المال المطلوب منه ، لذلك جئنا معا لنشكوه ، إذا كنتم تستطيعون الدفع لنا ، أحضروا معنا ، عندما يطلع النهار نذهب إلى منزل القاضى".

فقالوا "ليس معنا الآن أربعة وعشرين جنيها ، والأفضل أن نذهب إلى منزل القاضى غدا عندما يطلع النهار".

وعندما طلع النهار ذهبوا إلى منزل القاضى وكان بلا فى المقدمة وهم يسيرون خلفه فالتفت فرآهم ، فأضحكه الأمر ، وأخذ يقهقه ، ويسير وينفض حذاءه ، ويقول "أنا الجمل كثير الأحمال ، عشر مشاكل فطور صباحى".

قال إخوة المقتول "ويحك، اليوم علمت أن فطور الصباح عشر مشاكل"، ومضوا حتى منزل القاضى.

وبعد أن جلسوا قليلا خرج القاضى فقاموا وحيوه ، فنظر إلى بلا ، فوجد الجميع ممسكا به ، فقال "ماذا جمعكم بعبد الله هذا؟".

فقالوا فى وقت واحد "نحن قتل أخانا ، وأنا رمى بغلى بحجر ففقأ عينه ، وأنا جذب حمارى من ذيله فقطعه ، وأنا ضيع لى عشرين جنيها".

وكان قاضى دواكى صديقا لبلا ، لذلك قال أنه لا يريد أحدا يحاكمه إلا هو ، فلما رأى القاضى أن الضوضاء قد زادت ، قال "انتظروا ، انصتوا جميعا ، تكلموا واحد واحدا ، هنا ليس سوقا" ، فسكتوا جميعا.

وهنا أسرع صاحب البغل فقال "غفر الله لك يا سيدى ، عندما كنت أسير بالبغل ، القى الحمل وجرى ، فطلبت أن يحيطوا به لأمسكه ، فأخـذ هذا حجراً ورماه به فانفقأت عينه ، لذلك شكوته ليدفع لى ثمنه".

فلما سمع القاضى ذلك ، التفت إلى بلا وقال "هل أحدث هذا ؟"

قال بلا "غـفر الله لك يا سـيدى ، حدث هذا ، لقـد طلب أن نحيط به ، فـرأيته سيهرب إلى الغابة ، فأخذت حجرا صغيرا وقذفته به ، ليعود إلى الطريق ، ولسوء حظى انحرف الحجر، وجاء فى عينه".

قال القاضى لصاحب البغل "إنك على حق ، ولكـن بالله عليك بكم اشتريته عندما كان سليما؟"

قال صاحب البغل "والله ، بثلاثة جنيهات ، غفر الله لك يا سيدى".

قال الـقاضى "وهو كـذلك طالما أنه عابه هكذا ، الأفـضل ، هاك السيـف ، خذه واقطع البـغل نصفين ، وأعطه النصف الذى فـيه العين التى قـذفهـا ، ويدفع لك ثلاثين شلنا".

فلما سمع صـاحب البغل ذلك صمت ، ورأى أن البغل الآن يسـاوى خمسين شلنا فقال "غفر الله لك يا سيدى ، إذا كان الأمر كذلك عفوت عنه".

قال القاضى " لا ، لـيس الأمر كذلك ، تأخذ الرجل من مـدينة إلى مدينة للحكم عليه، وعندمـا أحكم عليكم ، فتقـول أنك عفوت عنه ؟، إذا كان الأمـر كذلك تدفع له عشرة شلنات ، أجر المشقـة التى تكبدها من رنداجى إلى هنا ، إلى جانب أنك لم ترض بالحكم الذى قضيت به".

دفع صاحب البـغل عشـرة شلنات ، واتخذ جانبـا وجلس ، ليعـرف ما سيـحدث للآخرين.

وهنا دفع التجار الذين قتل أخاهم نوانكو ، وتقدموا وقالوا "غفر الله لك يا سيدى، كنا ننام فى السـوق أمس ، فرفض أن ينام داخل العـريش كمـا ننام ، وقال أن البـعوض كثير، وصعد فوق سقف العريش ، وفى الليل شـعرنا بلص ، فصرخنا ، وبسبب سرعته سقط فوق أخينا الذى كان ينام خارج العريش ، فكسر عنقه ومات".

سأل القاضى بلا وقال "هل حدث هذا؟.

قال بلا "حدث هذا ، أحسن الـله عملك يا سيدى ، سمعتـهم يصرخون ، فنزلت لأنقذهم لأنهم يقولون إنما المسلمون إخوة ، فقدر الله أن يحدث هذا".

قال الـقاضى "طالما أن الأمـر كذلك ، هذا أمـرٍ يسيـر" ، وطلب منهم جـميـعا أن يصعدوا فوق سطح منزله ، وطلب من بلا أن ينام تحته ، فقام ، فقال القاضى "من فيكم يطالب بدم أخيه ، ويقفز فوق عنقه ، ليموت فنستريح".

فنظروا إلى الأرض وقالوا "غـفر الله لك يا سـيدى ، من يقفـز من فوق هذا المكان سيموت هو الآخر ، لا نستطيع ، إذا كان الأمر كذلك ، نرضى بحكمك".

قال القاضى "لا ، اتتـبعون الرجل من السوق حتى هـنا ، ثم ترفضون الحكم الذى أقضى به علـيكم؟ ، عليكم أن تدفعـوا له عشرة شلنات ، تـعويضا لسـبكم له طول الليل وحبسـه ، ومنعه من النوم ، بالإضافة إلى اتهـامكم له" ، فدفعوا عـشرة شلنات واتخذوا جانبا وجلسوا ، ليعرفوا ما سيحدث للآخرين،

ونظر القاضى إلى الآخرين ، وهَّم نوانكو بالكلام ، ولكن سبـقه صاحب الحمار ، فقال "غفر الله لك يا سيدى ، عندما انغرس حمارى طلبت أن يساعدونى فى إخراجه من الطين ، فأمسك ذيله عمدا وخلعه".

نظر القاضى إلى بلا وقال "أنت يا عبد الله ، هل ما قاله حق؟"

قال بلا "رحم الله الشيخ ، لم يكذب ، لقـد خرجت اليوم فى يوم نحس ، عندما أمسكت لأساعده ، رأيت ذيل الحمار ينخلع بسهوله ، وكأنه لم يكن ملصقا"

قال القاضى "لابد أن هذا الحمار ليس كحميرنا فى هذا البلد ذات ذيول".

ونظر إلى صاحب الحمار وقال "حمارك هذا لا أظن أن له ذيلا".

قال صاحب الحمار "والله له ذيل ، هل رأيت مرة حمارا بدون ذيل؟"

أمر القاضى أن يأتوا بحمار من منزله ، وطلب من صاحب الحمار أن يمسك ذيل هذا الحمار ويشده ، فأمسكه وأخذ يشـد ويشد ، فلم يحدث شيء ، إلا أن الحمار رفع رجليه وأخذ يرفسه ، فتوقف وقال للقاضى "رضيت بحكمك ، لا استطيع خلعه".

قال القاضى " لا ، إنك قلت أنــه خلعه ، فلا بد أن تخلعه" ، قام صــاحب الحمار وأخذ يشد ويشد ، والحمار يرفسه برجلـيه ، حتى أدماهما ، وحاول ، وحاول حتى يأذن له القاضى أن يترك ذيل الحمار ، فرفض القــاضى وأصر على أن يخلع ذيل الحمار ، فلما رأى أن الحمار سـيكسر رجليه دون فائدة ، تركــه وقال "أحسن الله عمل الـقاضى ، لقد كنت أمزح معه ، إن حمارى لم يكن له فى الأصل ذيل".

فنهره القاضى وقال "طالما أنك تعـرف أن حمارك فى الأصل لم يكن له ذيل ، لماذا تأخذ هذا المخلوق من رنداجى حـتى هنا ، فى موضوع تعـرف أنه ليس له أساس ؟، هل تظن أن هنا مكانا للهو ؟، عليك أن تدفع له عشرة شلنات تعويضا للمشقة التى تحملها".

أحضر صاحب الحمار عشرة شلنات ودفعهــا ، واتخذ جانبا ، ليعرف ماذا سيحدث لنوانكو ، الذى كان سببا فى كل هذه المشاكل.

اقترب نوانكو وحنى رأسه ، وقال "رحم الله القاضى ، أعطيته عشرين جنيها بشرط أن يدفع المال دفــعه واحــدة ، بعــد شهــرين ، وإذا خلف الوعــد أقطع قطعة واحــدة من جسمــه، وها هو قد أخلف الوعد ، وقال أن كل المال قــد ضاع، لذلك أريد أن تأذن لى لأقطع . هذا الأمر لا زوراً ولا قذفاً ، وشهودى سـبعه ها هم ، وكلهم علماء ، وقد أمر قاضى رنداجى أن أقطع ، ولكن بلا قال أنه لا يقبل حكم أحد سواك.

قال الـقاضى "انتظر لم أســألك عن كل هذا ، هذا الأمر حـتى إذا لم تأت بشــهود حكمه يسير ، وأمر بإحضار سكين ، فأحــضروا سكينا ، فقال القاضى "سنها" ، فبدأوا فى سنها ، نظر بلا إلى السكين وهى تلمع ، ونظر إلى جـسمه ، ونظر إلى القاضى ، ثم غير من جلستــه ، وعيونه تحدق فى جلده ، ولم يرد الهرب خوفا من الفضـيحة والاتهام بالجبن ولكنه ضــغط على نفــسه وجلس ليـرى قدرة اللــه ، فلما تم سن السكين أخــذها القاضى وقــدمها إلى نوانــكو وقال لبلا "أره أين تريد أن يقطع" ، وكــاد بلا يرفض ولكن أحد الشرطة زجره ، رفع بلا رأســه وحدقوا جميعهم فى الـقاضى ، وبدا عليه الخجل ، فمد لنوانكو كعبه.

وضع نوانكو السكين وهم بالقطع ، فـقال القاضى "لابد أن تتريث حـتى لا تخرج قطرة من الدم ، لأن الوعد الذى اتفقتم عليه لم يتضمن الدم ، أم أنكم اتفقتم على اللحم والدم."

قال بلا "لا ، والله لم نتفق على الدم ، قطعة لحم فقط" .

تجمد نوانكو بالسكين فوق كعب بلا ، ولم يعرف ماذا يقول ، قال القاضى "اقطع بسرعة ، وحاول ألا تدع قطرة من الدم تقطر ، إذا تركت الدم يخرج وقعت فى مشكلة كبيرة" .

عندما رأى نوانكو ألا مفر من هذا الشرك الذى نصبه القاضى ، سحب السكين وانحنى للقاضى وقال "غفر الله لك يا سيدى ، تركت له المال كله ، إنه صديق التجارة منذ زمن ، هل من أجل عشرين جنيها نفترق" .

قال القاضى "كلام فارغ ، علمت أن عشرين جنيها لا تفرقكم ، تأتى به من رنداجى حتى هنا ؟، دعك من هذا التراجع، عليك أن تدفع له جنيها ، تعويضا عن مشقة السفر ، كما تدفع له جنيها تعويضا عن التعب الذى تكبده هؤلاء الناس ، لأنك أنت الذى جلبت هذه المشاكل لهم" .

دفع نوانكو جنيهين ، وتفرق الجميع.

عندما سمع الناس عن مهارة هذا القاضى ، قالوا "إنه لا يستطيع التعامل مع أبناء هذا الزمان إلا أبناؤه ، لو أن رجلا من أهل زمان حكم فى هذه القضية ما حكم هكذا .

عندما انتهى الوزير من تقديم هذا التحذير ، طلب من فصيح أن يعيد ما سمع ، فلما رد قال دعنى أقص عليك المثال العاشر ، لأنى أرى أن مثال اليوم يسير ، ثم بدأ يقول

إذا كنت تحفر حفرة للشر فلا تعمقها

كان يعيش فى إحـدى المدن شاب قصير وأبيض اللون ، وكان يسـمى منصوراً وكان يصطاد الطيور ، وذات يوم اصطاد عصفور كنارى ، وصنع له قفصا ، وأخذه وعلقه على باب منزله.

وذات يوم كان رئيس حاشـية المدينة يمشى فسمع هذا الكنارى يغـرد ، فوقف وسأل هذا الشـاب هل يبيـعـه ، فرد عليـه أنه ليس للبـيع ، إلا أن رئيس الحـاشيـة أحب هذا الكنارى، فقال إذا وافق منصور سيعطيه خمسة شلنات ويأخذ هذا الكنارى.

عندما سمع منصـور أنه سيعطيه خمسة شلنات وافق ، فطلـب منه رئيس الحاشية أن يحمله ويـأتى ليأخذ ثمنه ، مـشى منصور وأمـامه رئيس الحاشـية ، فلمـا وصلا إلى ممر المنزل، أخذ رئيس الحاشية الطائر ودخل المنزل ، كأنه سـيحضر المال ويقدمه إلى منصور ، فلما دخل المنزل علق القفص ، وانصرف لشأنه وكأن شـيئا لم يكن ، وكأنه لم يترك أحدا على الباب . وبعد وقت مل منصـور الانتظار ، فقام وأخذ يقرع الباب ، ويـستأذن قائلا "السلام عليكم ، السلام عليكم" ، ويعـد قليل سمعه أحد الخدم ، فـأسرع إلى الباب ، فوجد منصور فقال له "خيرا ، لماذا تقرع الباب هكذا؟"

قال منصور "أين هو الخير ، رب بيتك اشـترى عصفورى ودخل وتركنى هنا ، ولـم يرجع العصـور ولا ثمنه ؟، أدخل وقل له أن يعطينى مالى ، وإذا كان لن يشـترى ، يرد لى العصفور ، لم أقل له أنى أريد بيعه ، حتى يتكبر على"

فقال هذا الخادم "استـر على نفسك ، اذهب بالتى هى أحسن ، وإلا والله ، إن لم تنصرف ، وواجهته فسوف تندم"

غضب منصور وقال "رب منزلكم هذا ، ليس إلا رئيسا للحاشية؟"

قال الخادم "ألست من هذه المدينة حتى لا تعرف بَرَوْ ، الذى من ظلمه يسميه الناس "ابن الشيطان"؟، حتى نسى الناس الآن اسم برو وأصبح يعرف باسم ابن الشيطان ، وإذا ناداه الناس بهذا الاسم لا يغضب ، ولكنه يرد عليهم ، بل صار يفضل هذا الاسم".

نظر منصور إلى هذا الخادم وقال "قل له إذا كان هو أبو الشيطان وليس ابن الشيطان يدفع مالى ، قل له ذلك ، وقل إن كان لا يريد أن يدفع ، يرد إلى عصفورى ، فقد نقضت البيع ، وإذا كان يفخر فليقله لى."

قال الخادم "إذا سمعت مشورتى ، اذهب لحالك وأنت مبتسم ، قبل أن يصيبك الضر، يبدو أنك لم تعرف ابن الشيطان ، لا يوجد فى كل هذه المدينة من لم يخفه ، كثير من الناس فى هذه المدينة يحبون الآن أن يطأوا ذيل الثعبان ولا يغضبون ابن الشيطان."

قال منصور "ما شأنك أنت حتى تتدخل فى هذا الأمر ؟، بلغ أنت الرسالة وادخل وقل له ، أننى أرسلتك ، إذا كان يتباهى بأنه شيطان فسأفعل ما بدا لى ، إذا كانوا يسمونه شيطانا وأنا أقول له إذا كان للشيطان أب ، فأنا أبوه".

عندما رأى الخادم أن منصوراً لا يبدو عليه الخوف ، قال "وهو كذلك، دعنى أدخل وأقوله له من كان له نصيب فى الضرب لا يستمع إلى النصح" ودخل ، فدخل منصور يتسلل خلفه ، انحنى الخادم وقال لابن الشيطان ما قاله منصور .

فلما سمع ذلك عض شفتيه ، وضرب الأرض بقدميه ، ونهر الخادم وزجره وقال "أين هذا الولد؟، بسرعة استدعه".

عندما سمع منصور ذلك اندفع ودخل ، ووقف أمام ابن الشيطان وجها لوجه ، يضرب الأرض بقدميه ، وينظر إليه نظرة ازدراء ، وقال "ها أنا، ادفع لى ثمن عصفورى، أو رده إلى ، كى أعرف ما سأفعله"

غضب ابن الشيطان من شجاعة منصور ، و بعد قليل تنهد وقال "أيها للشاب ، اذهبْ لشأنك ، لقد رأيتنى دخلت المنزل ، إذا انتظرت حتى أخرج وأجدك ، أقسم بعمامة الأمير ، الآخرة أفضل لك من الدنيا" ، وقام ونفض حذاءه ودخل .

وقف منصور وكأنه يريده أن يخرج ليعرف ماذا سيفعل له ، وإذا أراد أن يدمره فليفعل ، ثم تذكر أن الناس يقولون التراجع يوم الحرب جبن ، لذلك خرج وهو يتمتم كما يفعل أبناء هذا الزمان.

خلف منزل ابن الشيطان كان يوجد بئر حيث تملأ نساء المدينة منه الماء ، ولأن ابن الشيطان يجب أن يتطلع عليهن منه ، أمر بعمل نافذة تطل على البئر من الدور العلوى .

وكان كل يوم يصعد ويطل على نساء الناس ، فلما عرف منصور ذلك ذهب ذات يوم بعد أن انتصف النهار ، وارتدى ثيابا جميلة من ثياب النساء ، وتزين ، حتى إذا رأيته تقسم بالله أنه امرأة جميلة . وأخذ إناء جميلا وذهب إلى هذا البئر ، وجلس على فوهتها ، وأخذ يلعب بالإناء.

وكان ابن الشيطان كلما عاد من القصر يمر بهذا البئر ، حتى ولو لم يكن فى طريقه، وجلس منصور قليلا ، حتى يرى من بعيد ابن الشيطان عائدا من القصر مسرعا ، فلما رأى أنه اقترب منه ، ترك الإناء يسقط فى البئر وأخذ يقلب كفيه ، ويتحسر ويقول "والآن ماذا أفعل حتى أخرج هذا الإناء؟"

فلما رأى ابن الشيطان ذلك ، وهو يحب النساء ، وقف يساعدها ، لقد قلت لك أنه لا يحب شيئا كحبه للنساء ، فلما نظر شرقا وغربا ، فلم ير أحد أخذ حبلا صغيرا كان فى مدخل البئر وربطه بعمامته ، وربط خشبة ذات شعبتين ، وانحنى ومد يده فى البئر ، حتى يصل الحبل ، عندما رأى منصور أن كل قوته تركزت فى البئر ، تسلل من الخلف ، وأمسك قدميه، وقال "أنا منصور الذى استوليت على عصفوره"، ثم دفعه داخل البئر ، وجرى ، دون أن يراه أحد ، وذهب إلى المنزل معتقدا أنه مات.

أراد الله أن يكون لابن الشيطان نصيب فى شربة ماء ، فقد جرح فقط ، ولكن لم يمت، ولم يكن فى البئر ماء غزير ، لذلك لم يغرق ولكنه أخذ يصرخ ، ولكن دون جدى . فلم يسمعه أحد ، وبعد قليل سمع بعض النسوة جئن ليغترفن الماء ، ففرح وقال "بالله ساعدونى"، وهو يضرب الماء بيديه.

عندما سمعت النساء كلا ما داخل البئر ، خفن وتراجعن للخلف بسرعة ، يظنون أنه جنى ، فرفع ابن الشيطان صوته مرة أخرى ، وتكلم معهن ، وهنا جاءت إحداهن مسرعة ، ووقفت وتقدمت قليلا وقالت "إنسان أم شيطان؟"

وهنا اندفع ابن الشيطان قائلا "أنا ابن الشيطان ، بالله عليكم مدوا إلى حبلاً ، لأخرج"، ظن أنه عندما ينطق الاسم الذى يطلق عليه ، ستعرفه النساء .

فلما سمعت اسمه تراجعت إلى الخلف ، وقالت "أخرجك ؟"، اللهم احفظنى ، الشياطين فى الحياة الدنيا أرهقونا ، من يعرف عددكم ، حتى أخرجك وأزيد المصائب مصيبة؟، طالما أن الله شاء أن يقذفك إلى هنا ، فامكث هنا حتى يوم القيامة . وسأذهب

وأقول للناس ، الا يأتى أحد ويغترف الماء هنا منذ اليوم ، طالما أنك فى البئر، اللهم فرق بيننا وبينك" .

وعندما همت بالانصراف بدأ يرجـوها ، ويقول لها ، أنه ليس شيطانا حقـيقيا ، إنه رئيس الحاشيـة ، فأخذت هذه المرأة حجرا ، وقـذفته فى البئـر ، وهى تقول "اللهم فرق بيننا وبين ذريتهم" ، وجرت وهى تتلفت خلفها.

عندما ذهبت النسوة وأذعن الخبر فى المدينة ، جاء بعض النـاس للتأكد من الحقيقة ، فلما عـرفوا أنه لم يقصـد شيطانا حقـيقيـا، ولكنه يقصـد ابن الشيطان رئيس الحاشـية ، أحضروا حبلا وأخـرجوه ، وحملوه إلى منزله كالميت ، فأخذوا يمرضونه حـتى كان يتقيأ دما ، وعملوا له كمادات من الرمـال ، وظل ينازع ولا يستطيع النوم ، ولكن كل ما كان يهمه هو ماذا يفعل لينتقم من منصور حتى يشفى غليله قبل أن يشفى .

عندما سمع منصور الأخبار لم ينم ، وقال "إن المشكلة لم تنته بعد ، إذا تركت هذا التاجر يفيق ، لابد أنه سيقتلنى" ، وتحير فى هذا الأمر.

وذات يوم كان يتـجول ، فـخطرت على فكره حيلة ، فـذهب إلى السوق واشـترى سكينا، من نوع معين ، وارتدى ثيـاب أطباء الأعشاب ، وغطى رأسـه ووجهه بقبـعة من ريش النسور، وملأ جسمه بالتمائم ، وذهب إلى الغـابة ، وأخذ يحضر ويستخرج جذور النباتات ، واشـترى سلة وملأها بالجـذور والنباتات الطفيليـة ، وعلقها فى عنقه وأحـضر عصا قوية وأمسكها ، وقصد منزل ابن الشيطان ، وقال إنه طبيب ، لديه جميع الأدوية.

عندما سمع أحد الخدم ذلك ، أخذه إلى ابن الشيطان لعله يستطيع مساعدته ، وبعد أن تبادلا التحية ، قال ابن الشيطان يريـد أن يركب له علاجا لإخراج الدم الفاسد ، سأله منصـور عمـا أصابه ، فـقال له كل شيء ، فلـما سـمع منصور ذلك ، نظر إلى الخـدم الموجودين ، وأرسـلهم ، وقال «هذا يذهب بسـرعة ويأتى بلحـاء شجر الكـوكا ، وهذا يذهب ويحضر لحاء شجر كذا ، وهذا يذهب ويحضر جذور كذا».

عندما وزعهم منصور كـلهم ، وصاروا وحدهما فقط فى الحجرة ، قـام وقصد سرير ابن الشيطان ، وقـال "يا ابن الشيطان لدى علاجان ، يجب أن تبـدأ بشربهما لاكـتساب القوة ، ولكنهما شديدا المرارة ، هل تستطيع أن تشربهما؟"

قال ابن الشـيطان "لا ، هل أنا صبى صـغيـر ؟، مهمـا كانت مـرارتهما اسـتطيع شربهما، الصحة تفوق كل شيء."

قال منصور "قل لى الآن ، منصور هو أكبر عدو لك فى هذه الدنيا" .

قال ابن الشيطان "هذا الكلام لا قذفا ولا زوراً" .

قال منصور "ومع ذلك ها أنت الآن بين الحياة والموت ، ليس فى نفسك سوى أن تنال العافية ، وتنتقم مما فعله فيك ، أليس كذلك؟»

قال ابن الشيطان "لقد كنت أريد أن انتقم منه ، فأقتله ، وأقتل أمه ، وأباه إذا كانا على قيد الحياة ، وإذا لم يكن له أبوان ، أقتل إخوته ، حينئذ أشفى غليلى" .

قال منصور "سمعت ، ولكن أنت تعرف إذا نوى الإنسان شرا فى حياته ، لا يفيد الدواء معه ، ما أريده منك أن تغفر لمنصور ، حتى يفيد معك الدواء . فقل غفرت له ، حتى يفيد علاجنا ، هذا الغفران هو الدواء الأول ، لقد قلت أنك تستطيع شربه ، مهما كانت مرارته، اشرب ، حتى تشفى ، وقل غفرت له" .

قال ابن الشيطان "أغفر له ؟ ، ماذا تقصد بهذا الكلام أيها الساحر؟ ، لن أغفر له مطلقا ، اكبر شيء يرغبنى فى الشفاء هو الانتقام منه ، لن أغفر له إلى الأبد ، من الآن بدأنا العداوة حتى يوم القيامة ، قدم لى دواءك إذا كنت تستطيع ، وإلا اخرج واتركنى . "

عندما سمع منصور ذلك ، قام وجلس فوق بطنه وخنقه وكشف عن وجهه وقال "كافر ، كلب ، ظالم ، ابن حرام ، لو قلت أنك غفرت لى ، ما فعلت لك شيئا ، ولكن طالما قلت أنك لن تغفر لى حتى لو هلكت ، حتى والدى اللذان لم يفعلا بك شرا ، ها هو الدواء الأول الذى قلت سأقدمه لك ولكنه مر" ، وأحضر سكينا حادا وطعنه فى قلبه وتركه ، ميتا ، واتخذ طريقه وتسلل قبل أن يراه أحد .

عندما انتهى الوزير من هذه القصة ، سمع أذان الظهر ، لذلك دخل المنزل واستعد للذهاب إلى القصر .

وفى اليوم التالى عندما جاء فصيح ، قال له الوزير "هل فهمت ما قصصته عليك أمس ، أهل هذا الزمان الآن لا يناسبهم إلا الظالم ، إذا لم يحب الإنسان يحقد عليه ، ومع ذلك يقولون "اقتل المؤذى قبل أن يقتلك" .

قال فصيح "أى لغة هذه التى تتكلم بها الآن ؟ ، هل هى فلاتا أم بربرية ، لم أفهم . "

ابتسم الوزير وقال "الله أكبر ، ألم تسمع اللغة العربية ؟، ما أعنى بذلك اقتل عدوك قبل أن يضربك".

قال فصيح "وهو كذلك ، ولكن يا أبتى ، مع أنى لا أعرف اللغة العربية ، أعرف اللغة الانجليزية ، الأستاذ إيرو جاو ، الذى يعلمنى ، انتظر لتسمع ما تعلمته".

قال الوزير "وهو كذلك ، لقد تعلمت ثلاث كلمات باللغة الانجليزية ، ثم تقول أنك تعرف اللغة الانجليزية ؟، أنا الآن أعرف على الأقل ثلاثين كلمة باللغة العربية ، وغير اللغة العربية، أعرف الفلاتا ، ولغة نوفى ، وباقى لغات بلاد السودان ، لا توجد لغة لا أعرفها ، حتى لغة اليونان ، خلف البحر المالح ، فى كل هذه اللغات التى حدثتك ، لا أستطيع أن أقول لك عشر كلمات الآن.

قال فصيح "لا أريد أن أتعلمها ، ها هى المحبرة والورقة ، اذكر لى عشر كلمات ، عشر كلمات من هذه اللغات التى قلتها لأ تعلمها ، وغدا زدنى عشراً عشراً ، لقد وجدت ما يجعلنى أكف عن اللعب" ، وأخذ القلم والورقة.

وبدأ الوزير "باللغة الفولانية ، إذا سمعتهم يقولون "إناً" معناها أم.

قال فصيح "هذه هوسا" ، غضب الوزير وأمسك الورقة ومزقها ، وقال "نحن نتعلم القراءة ، وليس اللغات ، اسمع".

الانتقــام من المؤذى عبــادة

فى إحدى المدن كـان يوجد رجلان يشتـريان القمح من الريف ويبيـعانه فى المدينة ، وكان اسـمهما تـيلو ، كان أحدهمـا أسود والثانى أبيض ، وكـان لدى تيلو الأسود ثلاثة حمير ينقل عليها القمح ، أما تيلو الأبيض فكان يملك حمارا واحدا ، لذلك كان كل يوم يناديه . فيأخذ الحمير الثلاثة إلى جانبه حـميره ويحملان عليها الغلال إلى السوق ، لكن يوم الأحد فله أن يأخذ الحمير كلها ويحمل عليها قمحه.

واستمـر على هذه الحال ، وذات يوم تقابل تيلو الأسـود مع تيلو الأبيض فى الغابة وهو يحمل الغـلال إلى السوق ، وكان يغنى أثناء سيـره ، ويقول "هيا بنا يا حـميرى" ، فلما سمع تيلو الأسود ذلك تملكه الغضب ، وقـال " لا أحب أن أسمعك مرة أخرى يقول "يا حميرى" ، ليس لك فيها إلا حـمار واحد ، فكيف تقول "حميرى"؟، هذا هو الذى يجعل من يسمـعك يظن أن هذا حقيقة ، إذا كنت تريـد أن تسلى نفسك ، قل "أسرع يا حمارى ، حتى يعرف الناس أن لك حمارا واحدا فيها" .

واستـمر على هذه الحال ، وبعد عـدة أيام نسى تيلو الأبيض هذا التحذير ، فـقابله تيلو الأسود فى الغابة ، وسمعه يكرر هذا القول ويقول "هيا أسرعوا يا حميرى" .

فلما سمع تيلو الأسود ذلك ، خرج مسرعـا من حيث كان يختبئ ، وقال "بعد أن قلت لك لا تقل هذا مـرة أخرى ، تكرره ؟ ، إذا كنت لا تشـعر بالخـجل ، إذا سمـعتك تنطق بهذا الكلام مرة أخرى سأقتل حمارك ليرتاح الجميع" .

قال تيلو الأبيض "خطأ بالفم ، إن شاء الله لن أكرره مرة أخرى" .

واستمـر على هذه الحال ، وبعد أسـبوعين أخذ تيلو الأسود يتـتبع تيلو الأبيض فى الغابة ويـختبئ ويراقـبه أثناء سـيره فى الغـابة ، وذات يوم سمـعه يقول "هيـا نذهب يا حميرى" .

عندما سـمع ذلك خرج تيلو الأسود فجـأة من الغابة ، وقصد حـمار تيلو الأبيض وضربه بالرمح فسقط الحـمار ميتا، وأخذ تيلو الأسود حـميره ، وترك تيلو الأبيض يبكى

حمــاره، وعندما تعب من البكاء ، جلس يسلخ جلد حمــاره ويجففــه ، ولما جف حمله على كتفه وقصد المدينة لعله يبيعه.

وأثناء السير هبت عاصفة ممطرة ، وقــد غربت الشمس ، وقد كان ينتظر حتى يجف الجلد ، لذلك توجه إلى منزل فى الغابة على حافة الطريق ، واستأذن ، فخرجت امرأة ، فقال لها تيلو الأبيض أنه يريد مكانا ينام فيه ، وفى الصباح يمضى لشأنه.

قالت المرأة "إن زوجى غــير موجود ، ولا أستطيــع أن أنزل شخصا كبــيرا فى منزله وعليك أن تواصل السير"، ثم أغلقت الباب جيدا ، ودخلت.

تحير تيلو الأبيض ولم يعرف أين يــذهب ، فنظر فرأى كوخا متهدما حــيث يجمعون بعض النبات فدخل فيه ، وبسط جلد حماره ونام فوق سيقان البنات ، ولأن العشب الذى ينام عليه مرتفع ، كــان يستطيع أن يرى ما يدور فى حجــرة هذه المرأة ، لأن النافذة كانت مفتوحة، وأن المصباح المشتعل أضاء الحجرة كالنهار.

فلما رأى تيلو الأبيض ذلــك ، ونظر إلى هذه الحجرة من بعــيد فرأى أنها أحــضرت الطعــام الوانا ، وباختــصار ، رأى هذه المرأة تجلس على كــرسى ، مع رجل يجلس على حصيرة ، ويأكلان الطعام ، فلما حدق فى هذا الرجل ، أدرك أنه كبير قصابى مدينتهم ، فقــال تيلو الأبيض لو كان لى هــذا الطعام ، لأكلت وشبــعت حتى أعــجز عن القــيام أو الحركة . "

وأثناء وجوده فى الكوخ ، ينظر إلى الحجرة ولعــابه يسيل ، سمع رب البيت يعود ، يسير ويسوق حماره أمامه،

فلما سمعوه قادما ، تملكهم الخوف ، لأن الجميع يعرفون أنه لا وفاق بين رب البيت ورئيس قصابى المدينة ، مما جعل هذه المرأة نادية لأن زوجها غائب عن المنزل.

قالت الزوجة "سبحان الله ، لقد عاد زوجى"

قال أمــير قصــابى المدينة "وهو كذلك ، ما العــمل ؟، أنت تعرفين أنه ليس أمــامه سوى القتل" .

قالت الزوجة "ادخل بسرعة فى هذا الصندوق ، ولا تحاول أن تتحرك"

فأسرع ودخل الصندوق ، وجسمه يتصبب عرقا ، وأحضرت غطاء وغطته .

وقامت وجمعت الطعام كله ، وصبته فى إناء قديم ، وغطته ، وحملت الباقى خلف حجرتها ، وأخفته ، ونقلت المتاع ، وكأنه مضى عليها وقت طويل ولم يؤكل شيء، كل هذا حدث على عينى تيلو الأبيض ، ويراه من النافذة الخارجية.

وكان رب هذا البيت رجلا طيبا ، فلما وصل قال له تيلو الأبيض "مساء الخير" ، نظر إليه رب البيت بين الأعشاب ، وقال "من؟"

فقال له تيلو الأبيض "ضيف ، حبسنى المطر ها هنا".

قال رب البيت "لما لم تدخل المنزل ، وتنتظر هنا بالخارج يبلك المطر؟، لماذا إذا بنينا منزلا على الطريق ، أليس لهذا الغرض؟"

قال تيلو الأبيض "كيف أدخل المنزل؟، لقد أستأذنت ، فقيل لى أنك خارج المنزل ، والشرع لم يسمح لى بالدخول فى هذه الحالة".

قال رب المنزل "لا بأس ، يجب أن تدخل ، ما عدا كبير القصابين ، كل من يسلك هذا الطريق يعرف أننى لا إمنع أحدا من الدخول"، وأخذ يد تيلو الأبيض ودخلا حيث تجلس المرأة، فلما رأتهم قامت وجسمها يرتعش ، وأشعلت النار لزوجها وجلسوا يستمتعون بالدفء"

عندما شعروا بالدفء قال رب البيت "ألم تصنعى لنا طعاما ، ألم تعلمى أننى عائد اليوم؟"

قالت الزوجة "كدت أقوم لأعد ، ولكن المطر عاقنى ، ولكن يوجد بقية من الثريد أبقيتها لك" ، وقامت وأخذت إناء رب البيت ووضعت فيه مشروبا وأحضرته أمامه وانحنت ووضعته ، وأحضرت الماء ووضعته أمامه، وانحنت ووضعته وصبت الماء فى الإناء وأحضرته إليه.

نظر رب البيت إلى تيلو الأبيض وقال "بسم الله"، وبدآ يشربان ، ويملأ رب البيت المغرفة ، لأنه كان فى غاية الجوع ، أما تيلو الأبيض ، فكان يأخذ القليل من الشراب ، كأنه يطعم طفلا رضيعا . فقد كانت روحه متعلقة بالمقليات التى كان يراها نم بعيد عندما أخفتها المرأة فى السلة.

عندما نشر تيلو الأبيض جلد حماره بالنهار ، بحث عن جوال ليضع الغلال فيه ، حتى يسهل حمله إلى المدينة وبيعه، فلما دخل حجرة رب البيت كان الجوال على كتفه ، فوضعه تحت السرير ، وجلس أمام السرير.

فلما أحضرت لهما الثريد جلسا يشربان ، فإذا أخذ رب البيت الثريد ومد يده ليقدمه إلى تيلو الأبيض ، مد تيلو قدمه إلى الوراء ، فيطأ غرارته التى وضع فيها جلد حماره فيحدث صوتا ، فلما شعر تيلو الأبيض أنه يتحرك كثيرا ، قال له "أنت تحب الحركة كثيرا" ، واستمرا فى شرب الثريد، ولم يقل رب البيت شيئا ، وبعد قليل مد تيلو الأبيض قدمه مرة أخرى فحرك الجوال ، فتحرك جلد الحمار وأحدث صوتا ، فقال تيلو "ويحك، أنت أيها القصير ألا تستطيع أن تستقر فى مكانك" .

فلما سمع رب البيت ذلك ، قال "ماذا لديك ، تحمله فى الغرارة هكذا؟"

قال تيلو "لا أحمل هذه الغرارة عبثا ، إن فيها عفريتاً ، يقول أنه لا يشرب الثريد فى هذا البرد، وانظر فى الإناء القديم الموضوع هناك ، ففيه أنواع مختلفة من الطعام ، لنأكله أحضره الجن" .

قام رب البيت ، وفتح الإناء ويده ترتعش ، فأخرج أنوعا مختلفة من الطعام ، فاستولت عليه الدهشة ، ها هو طعام حقيقى، ولم تستطع الزوجة الكلام ، وجلسا يأكلان في سرور وشبعا ، وبعد قليل ، حرك تيلو الغرارة مرة أخرى ، فلما تحركت سأله رب البيت "ماذا قال لك الآن؟"

قال تيلو "قال لى إذا كنا نريد المزيد ، يوجد طعام آخر خلف هذه الحجرة" .

قام رب البيت ، يبحث ، ونظر خلف الحجرة ، فرأى بعض الأوانى المملوءة بالطعام فأخذها ، وأكلا ما لذ من الطعام.

وعندما شبعا ، وغسلا أيديهما وجلسا يتسامران وسأل رب البيت تيلو عن حماره فأخذ يقول له الأكاذيب ، وبعد قليل وخز.جلد حماره فتحرك ، فقال رب البيت "ماذا يقول الآن؟"

قال تيلو "إنه يسألنى ، أنت قدمت إلى خيرا ، إذا كنت ثريداً ، لا تخف ، سيريك الجن، لأنه عرف أنك سمعت أخبارهم ، ولم ترهم أبدا" .

قال رب البيت "قل له ، إذا لم يضرنى ، يسمح لى بالنظر إليه" .

والتفت إلى الزوجة وقال "ألا تريدين أن تنظرى إليه؟"

ضاقت الدنيا فى وجه الزوجة لأنها تعرف ما يعد تيلو لها ، لذلك أخذت ترجو زوجها كى لا يظهره لهم ، فهى تخاف ، فقال الزوج ، أنه يريد أن يراه" .

قال تيلو "طالما أنك لا تريدين رؤيته ، لن أخرجه" ، ثم وخز الجوال فتحرك ، ونظر إلى رب البيت وقال "العفريت يقول إذا كنت تريد أن ترى الجن افتح ذلك الصندوق ، ولكن لا تخف من قبح وجهه" ، وأشار له على الصندوق، ذلك الصندوق الذى يختبئ فيه كبير القصابين.

قام رب المنزل ورفع غطاء الصندوق قليلا وأطل ، فرأى عينى كبير القصابين تلمع فأسرع بغلقه ، ونظر إلى زوجته وقال "ألا تعرفين أن الجن يشبه الإنس تماما ، إلا أنه قبيح الشكل ، كأنه كبير القصابين إذا نظرت إلى رأسه ، وقد حلقها حديثا ، ولكنه جرودى" ، وأخذا يسمران وقد أخذت الدهشة رب البيت.

وبعد قليل قال رب البيت لتيلو "بسم الحب بيننا ، يا أخى ألا تبع لى هذا العفريت؟"

قال تيلو "لا ، لا يمكن هذا، ألا ترى الأشياء التى استفدتها بسببه؟"

قال رب البيت "أعرف ذلك ، ولكن استحلفك بالله أن تبيعه لى ، بأى مبلغ تريده، أقترض هذا المبلغ من زوجتى لأعطيه لك ، لأن لديها مالا كثيرا ورثته الشهر الماضى ، نظرا لما بيننا من أخوة" .

قال تيلو "وهو كذلك ، دعنى أسأله ، لأعرف ما إذا كان موافقا أم لا؟"

وحرك الجوال وقال "يقول أنه موافق على أن يبيعه ، ولكنه يقول طالما أنك قدمت لنا خيرا ، لا تدفع شيئا ، يريد أن تدفع زوجتك عشرة جنيهات وتشتريه لك ، لأن زوجتى هى التى اشترته لى ، العفريت لا يقبل أن يشتريه رجل مثله ، ويقول إن حدث هذا يدل على الاحتقار ، ولكنه يقول إذا اشترته لك ، لا ترد الثمن لها ، ولو أخطأت يوما ودفعت لها الثمن ستموت حتما.

فرح رب البيت ، وأعطته الزوجه المال ، وقامت ، وأخذت عشرة جنيهات من الإناء مرغمة وقدمتها إلى تيلو ، وهى تعلم أنه ينصب عليه ، ولكن ليس لديها الفرصة لتقول ذلك فيعرف الزوج أن كبير القصابين فى الصندوق وليس لديها الفرصة لتقول ذلك حتى لا ينكشف أمرها.

وعندما دخلوا للنوم ، صعد تيلو فوق الصندوق الذى فيه كبير القصابين ونام ، وكان يسمعه وهو يتألم طوال الليل ، ولكنه تركه ، وعندما طلع النهار ، استعد تيلو للرحيل ،

وقال لرب البيت ، " العفريت الذى رأيته داخل الصندوق أمس من الجن الأسود ، لم يخرج حتى الآن ، الأفضل أن تضع الصندوق على رأسى لأخرج به ، فقد تعودت عليه، وأسترضيه ليخرج حتى لا أتركه هنا فيؤذيكم . "

قال رب البيت "صدقت" ، فصنع تيلو حواية ، ورفع الصندوق هو وزوجته ووضعاه على رأس تيلو ، واتخذ طريقه وخرج ، والمرأة فى غاية الحزن ، فقد أخذ منها عشرة جنيهات، كذبا ، وليس لديها فرصة لتقول الحقيقة ، كما ذهب تيلو بكبير القصابين دون أن تعرف ماذا سيحدث له عندما يدخل به تيلو الغابة .

وبمجرد أن حمل تيلو الصندوق على رأسه ، وسار حتى دخل الغابة ، ووصل إلى إحدى القناطر ، ولشدة الأمطار التى هطلت أمسّ فاض النهر ، ووصل تيلو إلى وسط القنطرة بصعوبة ، فألقى الصندوق من فوق رأسه ، وفيه كبير القصابين فتألم من شدة الرمى .

وتظاهر تيلو بأنه لم يسمع شيئا ، وقال " حمل ثقيل بلا فائدة ، هيا ألقه فى النهر وأستريح من هذا العذاب " ، وأخذ الصندوق وتظاهر بإلقائه فقال كبير القصابين " بالله عليك ، لأجل النبى ، أنقذنى ، لست جنيا ، أنا أنس ، أخوك "

تراجع تيلو إلى الخلف ، متظاهرا بالخوف وقال " إنسان ، لا ،كيف دخل الإنسان فى الصندوق ؟ ، وماذا فعلت حتى تدخل المنزل ؟ ، هل تريد أن أفتح لك فتؤذينى ، لن أفعل " ، ثم امسك الصندوق وتظاهر بالرغبه فى إلقائه فى النهر "

قال كبير القصابين " يا إلهى ، تبت واتبعتك ، أنقذنى ، لقد ذهبت أحتمى فى هذا المنزل من المطر ، وعندما سمعت رب البيت قادما ، خفت فدخلت فى الصندوق ، أما قولك أنى عفريت ليس حقيقة ، أنا لست عفريتا ، افتح أخرج ، والله سأعطيك عشرة جنيهات . "

قال تيلو " وهو كذلك ، وإذا رفضت أن تعطينى ، سأذهب وأخبر رب هذا البيت أنك كنت فى منزله " ، وفتح الصندوق ، وخرج كبير القصابين وقد انحنى ظهره وتقوس، وأخذ يمد رقبته ويقول " لقد حفظنى الله اليوم " ، وسار ، وسار خلفه تيلو حتى منزله ، وأحضر عشرة جنيهات وقدمها إلى تيلو ، حتى لا يكشف سره ، وبذلك حصل تيلو على عشرين جنيها وعاد إلى منزله .

وبعد عودته ذهب إلى السوق ، واشترى قميصا وسروالا مزركشا ، وعمامة وقبعة ، وخمسة حمير ، وعاد إلى المنزل ، وأخذ يشترى الغلال من القرية ويبيعها فى المدينة كعادته.

وفى يوم الجمعة تزين وقصد المسجد ، وسار متكبرا ، فلما رأى تيلو الأسود ذلك ، قال فى نفسه " لا ، كيف وجد هذا البائس هذا المال الكثير هكذا ؟، الذى قتلت له حماره الوحيد أمس ، اليوم يشترى خمسة حمير ؟ ، هل بدأ يحترف السرقة ؟ ، لابد أن أعرف ما فى الأمر ، إذا كان قد بدأ يمارس السرقة لابد أن أخبر الأمير ليسجنه . "

ثم ذهب إلى تيلو الأبيض وكأنه يحييه ، فتبادلا التحية ، وبعد ذلك قال له " بالله عليك أيه حرفة احترفتها مربحة هكذا ؟، حتى صار المال يكثر فى يدك هكذا ، وتركتنا هنا نعانى من شدة البرد ، وبصعوبة نحصل على القرش "

قال تيلو الأبيض " لم يعرف أحد منا قبل ذلك ، أمبورزن ، لا يحبون شيئا مثل جلد الحمير ، عندما قتلت حمارى أمس أخذت جلده وذهبت إلى محلهم ، هذا الجلد الصغير اشتروه منى بثلاثين شلنا ، فلما رأيت ذلك عدت إلى السوق واشتريت ثلاثه حمير وذبحتها وسلختها ، وأخذتها لهم فاشتروها ، ودفعوا ثمانية وعشرين شلنا قيمة كل واحد منها ، والآن سأخذ هذه الحمير الخمسة وأبيعها لهم ، ولكن بالله عليك لا تخبر أحدا بذلك ، حتى لا يفسدوا علينا السوق فى هذا البلد. "

قال تيلو الأسود "والله لن تسمع هذا الكلام يخرج من فمى لأحد ولو خطأ ، ويحك أنا لست من هذا الصنف من الناس ، ولكنى أعجب ماذا يصنعون بجلود هذه الحمير" .

قال تيلو الأبيض "عجبا، حتى الآن لا تعرف حال هؤلاء الأوربيين ، الأحذية التى يلبسونها وتسمعها تصدر أصواتا هى من جلد الحمير ، وهم يعرفون كيف يصنعونها ، هؤلاء الناس لهم أفكار لا تخطر على بال أحد" .

فلما سمع تيلو الأسود ذلك ، أسرع إلى المنزل ، وقتل حميره الأربعة وسلخ جلدها، فلما جفت حملها وذهب إلى محل أمبرزن وعرضها للبيع، قائلا، جلود ، جلود الحمير الجيدة" .

فلما رأى عمال أمبرزن الجلود ، ظنوا أنه يبيع شيئا جيدا ، فأقبلوا عليه ، ولكنهم عندما فتحوا ووجدوا البضاعة عبارة عن جلود الحمير ، ثار غضبهم ، وقالوا لصاحب

المحل الأوربى أن رجلا شريرا أحضر لنا جلود الحمير ليبيعها ، فلما سمع الأوربى ذلك ، أمرهم بضربه، وقال أنه لم يأت هنا ليلعب مع هؤلاء الناس السود. "

هذا ما كان يرجوه هؤلاء العمال الذين يظلمون الناس بلا ذنب ، فما بالك عندما يجدون عذرا؟، فقد أشبعوا تيلو الأسود ضربا ، فلما لم يجد منقذا له سوى الله ، ذهب إلى المنزل ولم يرجع لتجارة الجلود أبدا، ونجا وهو مصاب بجرح فى جبهته ، وقال فى نفسه "هكذا يفعل معى تيلو الأبيض؟، وهو كذلك ، لا بأس هو يعرف أنه فعل ذلك بابن المدينة وليس بغريب عنها" .

فى اليوم الذى حدثت فيه هذ الواقعة توفيت جدة تيلو فى العشاء ، وحتى لا يتعب الناس فى الليل ، حملها ووضعها فوق سريره ، ونام على الأرض ، انتظارا لطلوع النهار فيدفنها.

وظل تيلو الأسود ساهرا يسمر حتى ينام تيلو الأبيض فيأتى ليقتله ليشفى غليله ، مما فعله معه ، وأحضر فأسا وحملها على كتفه ، وتسلل فلما وصل إلى منزل تيلو الأبيض ، دخل الحجرة ، وقصد سريره ، فوجد شخصا يرقد فوقه ، وكان ذلك فى الليل فظن أن النائم هو تيلو الأبيض ، فرفع الفأس وهوى بها على رأس المرحومة ، وخرج وهو يقول "اليوم عرفت أن الاستعباط لا فائدة منه" .

وكان تيلو الأبيض نائما ، وقد هرب الدم من عروقه ، فلما رأى ما حدث قال "الله أكبر ، لو كنت أنا النائم ، لكنت الآن ضيفا فى الآخرة" ، لذلك قام وقابل أخاه الأصغر تيلو الصغير ، وقص له كل ما حدث ، وأخبره بكل ما ينوى عمله مع تيلو الأسود ليقتله، طالما أنه لم ينتصر عليهم .

وعندما طلع النهار ، وقبل أن يخرج الناس ، بحث تيلو الأبيض عن مكان واختبأ فيه، وذهب أخوه الصغير إلى تيلو الأسود ، وكأنه لم يعرف شدة الخلاف بينه وبيم أخيه الأكبر ، وقال "كيف جئت بالليل إليك لأخبرك أن اللصوص جاءوا وقتلوا صديقك مساء أمس ، وعندما كان حيا ، أوصانى ، إذا مات ألا أدعهم يدفنوه ، وطلب أن أبحث عن شخص ونأخذه ونلقيه فى نهر جوراجى خلف المدينة ، وحاولت أن أعرف سبب ذلك ، فرفض الكلام ، وكثيرا ما رأيته يغافل الناس ويذهب إلى هناك وينزل النهر ، وكنت أظن أنه يستحم ، ولكنه لم يكن يستحم فقد كان هناك سر يخفيه عنى فى هذا النهر ، لأنه

كان كلمـا ذهب ليستـحم وعاد ، أراه يعود بحـقيبـة مملوءة بالمال ، وما أريده الآن هو أن تساعدنى فى حـمله إلى هناك لنرميه فى النهر ، لأفى بالوصيـة التى وصانى بها، طالما أن المنية وافته ، لا يوجد من أبوح له بهذا السـر سواك. لأنه منذ فتحت عيناى فى هذه الدنيا رأيتكما صديقين" .

وانتظر لتـسمع المـنافق ، لما سمع تيلـو الأسود ذلك ، قـال "لا حول ولا قـوة إلا بالله" ، وأخذ يبكى ويدلك عـينيه كاذبا ، لأن صاحـبه قد مات ، ولما سـمع أن تيلو كلما ذهب ليستحم عاد بحقيبة مملوءة بالمال ، تعجل الذهاب لعله يجد وسيله توصله إلى معرفة السر ، فنظر إلى تيلو الصغير وقال "هل نذهب؟"

قال تيلو الصغير "وهو كذلك"

أحضرا سريرا من الحطب ، وذهبا فوجدا تيلو الأبيض أحضر ثيابا ولف فيها جدته ، وخاطه ، واختفى ، فلمـا وصلا وجداها فوق السرير ، فحملاها ووضـعاها فوق السرير وحملاها ومازال تيلو الأسود يظن أنها جثة تيلو الأبيض.

وعندما وصـلا إلى شاطئ النهـر ، وضعا السـرير ورفعا الجـثة واسقطـاها فى النهر فجرفها التيار وهما ينظران إليها حـتى غاصت فى النهر ، فعاد ، وكان تيلو الصغير حزينا لوفاة جدته ، أما تيلو الأسـود ، فكان يفكر فى حيلة يقوم بها ليحتـال على تيلو الصغير ويسلب منه المال الذى تركه تيلو الأبيض.

وفى الفجر خرج تيلو الأبيض من حيث يختبئ ، واشترى ملابس جديدة مزركشة ، ومشى يختال فيها حتى وصل إلى مدخل منزل تيلو الأسـود ، فوجده جالسا فوق حصيرة صغيرة مستديرة ، يلعب بصفارة فلما رفع عينيه ورأى تيلو الأبيض خفق قلبه ، ونظر إليه فقال "من هذا الذى يشبه تيلو الأبيض؟"

قال تيلو الأبيض "هو أنا ، ولست شبيها له"

قال تيلو الأسود "ألم يقتلك اللصوص ، وذهبنا وألقيناك أمس فى نهر جواراجى؟"

قال تيلو الأبيض "نعم أنا"

قال تيلو الأسود "إذا كنت أنـت ، ماذا حدث حتى عادت لك الحـياة ؟" وهل يعود الميت مرة أخرى؟"

قال تيلو الأبيض "انتظر لتسمع القصة ، إن الأمر عجيب ، لقد كنت أنام على سريرى مساء أول أمس ، وكنت مستغرقا فى النوم ، فرأيت من يضربنى بالفأس على رأسى وشاء الله ألا تصيبنى هذه الضربة فى مقتل ، وبعد ذلك توقفت عن التنفس ، ولم أعرف كيف حدث ذلك، إلا أننى رأيت نفسى فى حجرة جميلة فى منزل أمير مياه نهر جوارجى ، حيث كنت أذهب كل يوم".

قال تيلو الأسود "أمير أبناء الماء صديقك؟"

قال تيلو الأبيض "لست وحدى، إنه مسلم ، ولا يحب أحدا كما يحب المسلمين ، كل هذا الرزق الذى نلته كله ، أتظن أنه من التجارة ؟ ، كل ما تراه لدى من عنده ، لقد كنت أغافل عيون الناس ، وأذهب وأغوص حتى أصل إلى منزله ، وليس هذا الذى كنا نشعر به فقط ، سأقص عليك ما كنا نفعل مع أمير أبناء الماء ، عندما استيقظت شعرت أننى لا أستطيع الحركة ، وكأن رقبتى انفصلت عن جسدى ، وما أدرك ما أبناء الملك أخذونى فى الحال ، وأعطونى دواء لأشربه فأخذت أتقيأ قطعا من الدم ، ولما انتهيت ، أحضروا شيئا ومسحوا به على الجرح الذى أصبت به ، وما كادوا يمسحون حتى شعرت وكأننى لم أمرض أبدا فى هذه الحياة الدنيا ، وأخذت مرآة ونظرت فيها ، فلم أجد أثراً للجرح ، وعندما أعطونى طعاما وأكلت ، عاد إلى هدوئى ، ونظرت فرأيت نفسى وسط الماء فسألتهم ماذا فعلوا حتى جئت إلى هنا ، بينما كنت نائما على سريرى؟

قال أبناء الماء أنهم لا يعرفون ما حدث ، سوى أنهم وجدونى مغمى على ، وكانوا يظنون أننى مت ، فلما فحصونى جيدا رأوا أننى أتنفس ، عرفوا أننى لم أمت ، فأخذوا ينثرون على وجهى ماء باردا ، ويهوون على ، حتى أفقت وأنا نفسى كنت أتعجب كيف حدث هذه ، وصرفنى أمير الماء وقدم إلى مالا ، أنا شخصياً لا أعرف مقداره ، وأعطانى هذا الثياب التى ترانى أرتديها ، وقال كلما أردت رؤيته ، أو احتجت شيئا ، أذهب إليه ، وأنه لا يمل رؤية آل النبى ، وأمرهم بإخراجى إلى شاطئ النهر ، فأخرجونى ووضعونى فى المكان الذى تعودت أن أكون فيه.

قال تيلو الأسود "ويحك ، أعرف أن ثروتك التى تتفاخر بها وراءها أمر آخر ، لعلك تعرف أحوال الدنيا، أنا أسالك عما فعلت حتى نلت هذه الثروة ، فقلت أنك بعت جلد حمارك الذى قتلته ، وجعلنى أقتل حميرى بلا فائدة ، وأخذتها وذهبت بها إلى محل أمبرزن ، فظنوا أننى أسخر منهم ، فجعل الأوربى عماله ينهالون على ضربا ،

كذئب المتسول ، وتركتنى فى حزن ، شديد لخسارة حميرى وتورم جسدى ، ولولا أننى صبرت ، وتذكرت كيف كنا أصدقاء ونحن صغار ما صبرت وسلمت أمرى إلى الله ، وأنت الآن تفوقنى حزنا" .

قال تيلو الأبيض "لقد غضبت عندما قتلت حمارى ، وهو الذى جعلنى أنتقم منك ، والسؤال الذى سألتنى لا أستطيع أن أجيبك عنه ، حتى لا يعرف الناس خبر أمير أبناء النهر ، فيأتوا إليه أفواجا ، وأريد كل هذه الثروة التى لديه عبارة عن خزائن رويدا تصير كلها ملكى . واليوم ما جعلنى افتح لك قلبى، هكذا ، هو أمر واحد ، لا ثان له ، عندما تركت أبناء الماء اليوم فى الصباح ، جئت إلى المنزل فوجدت أخى تيلو الصغير ينظر إلى ويتعجب فسألته عن سبب هذا التعجب ، وقصة إستيقاظى فى نهر جوارجى ، وكل ما أعرفه هو أننى نمت فوق سريرى ، وقال ما حدث بينى وبين كل اللصوص وكيف ناداك، وكيف دار الجدال حتى تفى بالوصية التى أوصيت بها ، وقال لى أشفقت عليك من التعب الذى كابدته من أجلى ، لذلك جئت لأقول لك أغمى على ولم أمت ولأشرح لك ما حدث لى ، حتى تهدأ نفسك إذا رأيتنى" .

تعجب تيلو الأسود وقال "لابد أنك سعيد الحظ ، لذلك يجب أن يحذر الأمير اللصوص لأنهم قد أصيبوا بالجنون" .

قال تيلو الأبيض "لقد كثروا، وقد أحسن الله إلى إذ لم يسرقوا منى ولو إبره" .

قال تيلو الأسود "الحمد لله" ، وقام وأخذ تيلو الأبيض حتى المنزل وأثناء السير حاول أن يجذب تيلو الأبيض بالكلام الطيب ، كأنه مسرور لأن صديقه لم يمت ، وتصافحا وانصرفا .

ولما حان المغرب ، إذا بتيلو الأسود يأتى إلى منزل تيلو الأبيض ، ويستأذن ويدخل ، وبعد أن تبادلا التحية ، قال "جئت أتوسل إليك ، وأشعر بالخجل من إهدار كرامتى بدون أن تقضى حاجتى" .

قال تيلو الأبيض "هل يوجد بيننا ما يمنعنى من اعطائك ما تريد ، اذكره لنسمع" .

قال تيلو الأسود "بسبب الصداقة والمحبة التى بينى وبينك أريد أن أتعرف على أمير أبناء الماء كما تعرفت أنت عليه ، وأن تذهب بى إليه اليوم أو غدا لعله يألفنى ، وأن تدلنى على ما أقوله له ، وما أفعل له ، وأن تعطينى رسالة ، لأذهب إليه وأحييه ، حتى يألفنى مستقبلا" .

صمت تيلو الأبيض وأخذ ينبـسن الأرض ، ويردد فى نفسه أن الطائر الذكى يقع فى الشرك لحبه للحب .

قال "وهو كذلك ، سأقدمك إليـه ، ولكن على شرط ، لا أحب أن أسمع أن أحدا عـرف هذا السـر ، أنت تعـرف مـا بينى وبينك ، لن أذهب إليـه الآن ، حـتى لا أبدو كالطماع ، وغدا سأعطيك رسالة لتـوصلها له ، ولكن انتبه ، إذا كنت ستذهب عليك أن تحضر جوالا لأضعك فيه وأغلق فمك جيدا ، وأرميك ، لأنه إذا لم أفعل ذلك أخشى أن يحـملك تيـار الماء ، ويمر على المكان الكائن فـيـه ، ولا تدخل حيث أعـدائه الكفـار ، فيهلكوك . "

فرح تيلو الأسود ، وقـام ، وعاد إلى منزله وهو يقول "إذا عقدت صداقـة مع أمير أبناء النهر ، مـا قيمة تيلو الأبيض بعـد ذلك ، وبعد ذلك أقتله وأصبـح وحدى صاحب الحظوة لدى أمير أبناء النهر ، وأقيم الأفراح فى هذه المدينة" .

عندما طلع النهار ، جاء تيلو الأسود بجوال كبـير ، ليصل فيه إلى أمير أبناء النهر ، وأحضر تيلو الأبيض رسالة وكتب فيها :

من تيلو الأبيض إلى ابن جميدا ، أمير الأمراء ، تحية كثيرة وحب وتوفيق وتعظيم ، أمـا بعد لـقد عـدت إلى المنزل بسـلام ، ووجـدت كل إخوتى فى سـلام ، ولم يسـرق اللصوص شيـئا من متاعى ، حامل هذه الرسالة أخى ، يسـمى تيلو الأسود ، إذا ذكرت قصة الخير والحب الذى تكنه لجماعة النبى ، يدعو لك دائما بالعافية ، واليوم قال أنه يريد أن أحاول بعثه لـزيارتك ، لينال البركة منك ، وهو ليس أجنبياً ، إنه أخى حـقيقة ، أدام الله ملكك والسلام" .

ولما انتهى من كتابة الرسـالة قدمها إلى تيلو الأسود ليقـرأها ، ومن شدة السرور قام وعانـق تيلو الأبيض ، وشعـر بلذة المزاح معـه ، وقصـد النهر بالجـوال فى يده ، وعند وصولهـما، دخل تيلو الأسود فى الجـوال ومعه الرسـالة وأحضر تيلـو الأبيض خيطا من الكتان وخـاط الجوال جـيدا ، وألقاه فى النـهر، وقال "الحـمد لله ، الانتـقام من المؤذى عبادة" .

قال فصـيح "لقد بلغ تيلو الأسود الغاية فى الغبـاء" ، وانحنى واستأذن من الوزير ، وخرج .

وعندما حان الظهر جاء فـصيح ، ودخلت الجارية على الوزير ، وخرجت بعد قليل وقالت "انتظر قليلا حتى ينتهى من شرب الشاى" .

ولما انتهى ، دخل فصــيح ، فسأله الوزير "كم رقم التحـذير الذى سنبدأ به اليوم ، قال فصيح "الثانى عشر" قال الوزير.

سعيد الحظ يبيع الماء على نهر كوارا

فى مدينة أزبى إحدى بلاد الطوارق - كان يعيش رجل وزوجته ، ولم يكن هذا الرجل ثريا ، وقد وهبه الله ابنا أبيض وغاية فى الجمال اسمه باوا . كما وهبه الله خفة في الروح ، حتى كان كل أهل المدينة يحبونه ، وكان يجذب قلوب الناس وهو ابن سبع سنين ، ومع ذلك كان رحيما وعطوفا ، ومطيعا لوالديه وكان مثيرا للعجب ، ولشجاعة يفوق أترابه إذا حاولوا مباراته ، وإذا هم بعمل لا يتركه خوفا من أحد ، ولم يحدث أن أفعل ذلك أبدا. وكان لا يهاب الشعبان ولا العقرب ، فقد كان يمسكها بيديه كانه يشرب دواء ضد السم ، لذلك حيثما يذهب يناديه الناس ، ويكافئونه على شجاعته.

ولم تكن لأم هذا الغلام حرفة سوى طهى الطعام وبيعه فى السوق ، وذات يوم كانت هذه المرأة تجلس مع ابنها باوا فى السوق ، فجاءت إليهم امرأة ذات أتب ، كانت نحيلة العنق، ولكن رأسها كانت كبيرة كالزير ، وعيناها كبيرتان ومستديرتان ، وشفتاها كأنهما زوج من الأحذية ، ولها أنف طويل ، وأسنان بارزة ، ولا ترتدى سوى بعض الخرق البالية، عندما جاءت إلى المرأة وضعت يدها فى الطعام وقالت " بكم القطعة؟"

قالت المرأة " كل قطعة بقرش"

رفع باوا رأسة ونظر إليها وضحك ، فنهرته العجوز وقالت " أتسخر منى ؟" قالت الأم " بالله عليك اتركى الولد ، إذا كنت ستشترين ، اشترى "، ثم أخذت العجوز قطعة من الطعام ، ورفعتها إلى أنفها وأخذت تشمها ، وقالت " هذا الطعام غير جيد ، لعله طهى أمس ، وأشعر أنه لاذع "

أغضب باوا كلام هذه العجوز ، لأنه لا يحب أحدا يحتقر الحرفة التى من الله بها عليهم ، لأنها مقدسة لديهم ، لذلك قال للعجوز " بالله عليك اذهبى واتركينا إذا لم تشتر ، لماذا تشمين هذا الطعام الذى نبيعه بأنفك القذر ؟ ، إذا رآك الناس لن يشتروا "

عندما سمعت المرأة ذلك غضبت ، ونظرت للصبى وقالت " أتسخر منى هكذا ؟ ، ألا تعرف أننى مثل جدتك ؟ ، لا بأس ، إن شاء الله سترى ، كما تسخر منى سيسخر الناس منك"

عندما سمعت أم الصبى ذلك غضبت ، وقالت " ماذا سيرى ؟، لن يرى إلا كل خير ، كلى نفسك واشربى من البحر "

وعندما سمعت العجوز ذلك ، قالت " أواه ياأختى إذا كان ما قلت قد أغضبك اغفرى لى ، واعطنى بنصف قرش لأذهب ، ولكن بالله عليك أجعلى هذا الغلام الصغير يحملها لى ويذهب بها معى ، أنت تعرفين أننى الآن لا أقدر على حمل شىء ، ولا أستطيع السير بنفسى لولا اعتمادى على هذه العصا . "

عندما سمع باوا ذلك هب قائلا " والله يا أمى ، إذا لم تشتر تترك ، نحن لم نعد هذا الطعام من أجلها فقط . ولن أذهب معها ، كل هذه الرأس الكبيرة وتقول أنها لا تستطيع حمل طعام بنصف قشر ، فما فائدتها؟"

نظرت الأم إلى العجوز وأدركت أنها غضبت من هذا الكلام ، فألحت على ابنها ليذهب معها ، ولما كان الولد لا يريد أن يفعل أمرا يغضب والدته ، ذهب معها ، وسار أمامها، والعجوز خلفة ، وأخذت تسير خطوة خطوة كأنهما يدخلان المنزل .

بعد أن سارا حوالى ساعة وصلا إلى منزل عبارة عن مكان خرب ، فى آخر المدينة، ووجدا المنزل مغلقا ، فأخذت العجوز مفتاحا من جيبها وفتحت الباب ، فلما دخلا لاحظ باوا أن هذا المنزل من الخارج قبيح المنظر ، ولكن من الداخل كأنه قصر أحد الأمراء، ولا شىء فيه سوى السجاد والقطيفة ، والأسرة الحديديه ، وتناولت العجوز بوقا ونفخت فيه ، فخرجت فى الحال مجموعة من الفئران الكبار ، فأمرتها أن تذهب وتعد الطعام لهذا الغلام فذهبت ، وقد سيطرت الدهشة على باوا ، وأخذ يتعجب من قدرة الله، وأخذت الفئران تقوم بعمل شاق لإعداد الطعام له ، فهذا يحضر الماء، والآخر يشعل النار، ثم قامت المرأة العجوز، ونفضت نفسها، وفى الحال تحولت إلى امرأة سوية تماما، واختفى الأتب، وصار أنفها ورأسها ككل الناس، وقد أدهش هذا التحول الغلام وتعجب ولم يعرف ما يقول، لم تكن هذه العجوز من الإنس، ولكنها كانت من الجن، وتحولت فى الهيئة السابقة لتخرج إلى السوق لتتجول.

والتفت فرأى هؤلاء الفئران قد انتهت من إعداد الطعام، وقدموه إليه، وطلبت منه العجوز أن يأكل ، ثم يعود إلى منزله، فرفض وحاولت كثيرا وقالت أن هذا أجر مالقيه من تعب معها، ولكنه رفض، وقامت وكأنها ستأكله نيئا ، فمد يده وقطع لقمة واحدة

ووضعها فى فمه ، وما كاد يبتلعها حتى سمع من يقول "ها ، منذ أن خرجنا ، لم نخرج أى إنسان ، واليوم سيموت هذا ، والباقى بعده".

وفى الحال شعر أن الكسل سيطر عليه ، ونعس ليرتاح قليلا ، ثم يقوم بعد ذلك ، ثم غلبه النوم ، وبعد ذلك استيقظ ، فوجد نفسه راقداً فى الشمس واختفى المنزل الجميل تماما، وشعر برأسه وقد ثقلت ، وأنفه طال ، وصار له أتب ، من الأمام والخلف ، أى ان الخلقة التى كانت عليها المرأة العجوز عندما أحضرته تحول إليها هو نفسه ، بسبب سخريته منها عندما قالت له سوف ترى.

وذهب إلى السوق حيث تبيع أمه الطعام ، فلما رآه الأطفال ساروا خلفه ويقولون يوقولن "ها هو ذو الأتب ، ها هو ذو الأتب ، انظروا إلى أنفه"، وعجز عما يفعله.

ووجد أمه جالسة ، فقال "يا أمى ، لقد عدت"

فالتفتت وقالت "من هى أمك ؟ اذهب واتركنا"

فنظر إليها وانفجر باكيا ، وقال "تذكرى انا أبنك ، الذى أرسلته مع المرأة العجوز لأحمل لها الطعام ، هى التى حولتنى هكذا ، لقد قلت لك لا اريد أن أذهب ، ولكنك الححت على".

فلما رأت هذه المرأة أنه ضايقها ، نادت زوجها ، ولما حضر ورآه باوا اذهب إليه وعانقه ، وهو يقول "يا أبتى ، أنا ابنك باوا".

فلما سمع الزوج ذلك ، أخذ عصا ، واخذ يضرب الغلام ، حتى جرى وهو يقول "الم تبعثى باوا الآن مع المرأة العجوز ليحمل لها الطعام إلى المنزل؟، ربما توقف فيالطريق ليلعب كما يفعل الأطفال ، ولولا ذلك لعاد الآن ، فيأتى ولد ويضايق الناس هكذا ؟، لعنة الله على أعمالكم.

عندما جرى باوا تبعه الأطفال يرمونه بالتراب ويصيحون ، فلما بعد عنهم اتخذ طريقا دون أن يعرف إلى أين ينتهى ، وبعد قليل أقبل عليه الليل فرأى نارا وسط الغابة المظلمة ، فقصد مكانها ، وقال "هيا، أذهب مهما يكن الأمر ، فربما هلكت وارتحت من هذا الحزن".

وعندما وصل ، خرجت امرأة عجوز وسألته عما جاء به ، فقص عليها كل أخباره من البداية حتى النهاية.

فلما سمعت ذلك تنهدت وقالت "أعرف الجنية التى فعلت معك هذا ، إسمها إناً ، ما فعلته بك أمر بسيط ، طالما أنك تستطيع السير، بعض الناس إذا أصابهم الشلل لا يستطيعون السير ، فيجرون جسمهم على الأرض"

نظر إليها باوا وقال "يا جدتى أنت وحدك فى هذا المنزل؟"

ابتسمت العجوز وقالت "هل رأيت أن العزلة طالت على وحدى؟"

قال باوا "نعم ، أخشى عليك من الحيوانات المفترسة"

عادت الابتسامة إلى العجوز وقالت "من أجل هذا لا تخف على ، كل الأعمال السحرية التى يقوم بها الجن لا يخفى على شيء منها ، إلا دواء إناً حتى الآن لم يرد الله أن أعرفه ، ولكن سأرسلك إلى من يستطيع أن يخلصك من سحرها ، هل علمت ذلك؟"

انحنى باوا وشكرها ، فأخذت يده ودخلا المنزل ، وقضى يومين معها ، حتى استراح، ثم أحضرت حذاء من الحديد وقدمته إليه ، وقالت "عندما ترتدى هذا الحذاء تجد نفسك تجرى مسرعا ، حتى لو ظللت تجرى عشرة أيام، فلن تتعب أبدا" ، ودلته على المدن التى يسأل عنها حتى يصل إلى الغابة التى يجد فيها أيأنا كبير السحرة، وقالت أخبره ما جرى بينك وبين الجنية وأره هذا الحذاء وسوف يساعدك ويردك إلى شكلك الأول.

انحنى لها باوا أخرى وشكرها، وأحضرت تميمة صغيرة تقيه من شر المصائب وقدمتها إليه، وهو على وشك الرحيل سألها عن اسمها فقالت "اسمى أوانى" ، فانحنى مرة أخرى وحياها ثم رحل.

عندما غاب عن المرأة العجوز ارتدى حذاءه، وبدأ فى الجرى منذ الصباح حتى العصر دون أن يتعب، حتى وصل إلى مدينة اسمها ليلى، فلما وصل إلى بوابة المدينة توقف، وخلع حذاءه ودخل وقصد القصر، وكان كل من يره من الأطفال يتبعه وهم يقولون " ها القزم، ها القزم" ، أى أنه ذو أنف طويل" .

عندما رأى أحد رجال الشرطة أن الأطفال سيخرجونه ، أخذ يده وسار به حتى وصل إلى منزل الأمير ، انحنى باوا وحياه ، فنظر إليه الأمير وانفجر ضاحكا ، وقال "من أين جئت يا طويل؟"

قال باوا "أطال الله حياتك ، ها أنا خرجت أهيم على وجهى فى الدنيا ، جئت من الغرب" ، فأعطاه حجرة فى الإصطبل فنزل فيها ، وأحضر له الطعام فأكل.

وعندما طلع النهار ، جاء لتحية الأمير ، فسأله هل يحب أن يبقى معه .

قال باوا "إذا وجدت فرصة للبقاء ، رفعك الله ، ماذا يمنعنى؟"

قال الأمير "وهو كذلك ، أى عمل تريد أن يسند إليك ؟، أم تريد أن نتركك لتستريح ، ويأتى الناس يرونك ليشاهدوا قدرة الله؟"

قال باوا "لا ، أريد أن أكون ساعيك"

انفجر ضاحكا وقال "ما شأنك بهذا اين أنت ومهمة الساعى؟"

أصر باوا على هذا العمل فقال الوزير "يُكلف بالعمل الذى يريده".

قال الأمير "وهو كذلك"، وقام باوا بعمل الساعى ، كنوع من المزاح، وعندما طلع النهار أعطى رسالة ليوصلها إلى إحدى المدن ، إذا قام الإنسان منذ الصباح مهما كانت سرعته يحين المغرب قبل أن يصل إليها.

عندما خرج باوا ارتدى حذاءه ، وجرى ، وجرى كما يجرى الكلب، وقبل أن يحن الظهر إذ به يعود بالرد على الرسالة ، تعجب الناس ، وقالوا "إن هذا الرجل أمره عجيب، إذا تتبعته تجده يسخر الجن ، إن خلقته هذه ليست هباء" .

وجعل الأمير باوا كبير السعاة مرغما ، ورفعه رفعة كبيرة ، حتى صار كل ما يقوله فى القصر ينفذ ، فلما رأى شأنه ارتفع هكذا ، غرته طفولته وأخذ يقدم الهدايا والعطايا لحاشية الملك وعبيده ، حتى يحبوه.

ولم يعرف أن الحب الحقيقى لا يوجد لدى الناس بسبب الهدايا إلا بالأخلاق الحميدة.

قال فصيح "لا ، إنهم يقولون باليد الكريمة يعرف العلماء ، كيف أعطى الناس شيئا ثم يرفضون حبى".

قال الوزير "إنهم يحبونك ، حتى لو كان حبا غير صادق ، لو تكلمت ترى كل إنسان أسرع ينفذ أمرك ، والبعض تشعر أنهم يتملقونك ويقولون لا يوجد مثيل لك فى كل هذه المدينة، ولكن إذا افتقرت تعرف حبيبك من عدوك ، انتظر لتسمع ، الجزاء الذى ناله باوا".

على الرغم من أن باوا كان يعطى أهل المدينة المال ليحبوه ، كان الحب الذى يبدونه

له من طرف اللسان فقط ، ولا يحبونه من قلوبهم ، لأنهم كانوا يشعرون بالحقد لأنه سلب مركزهم فى القصر ، وكان أكبر عدو لباوا فى مدينة ليلى هو الوزير ، إلا أن باوا لم يكن يدرك ذلك ، ولم يكن هذا الوزير يكره باوا فقط ولكنه يكره كل من يتعامل مع الأمير ، ولم يكن يخفى حقده وشره ، فقد كان يحتقر كبار المدينة ، وكان الأمير لا يرد له طلبا كأنه قد سحره ، فلو وضع فى سبيله عقبة وطلب منه ألا يتجاوزها ما خالف أمره.

وذات يوم طلب من الأمير أن يخرجا بالليل يتحسسون على الناس ، بعد أن ينام الجميع ، ليسمعوا من يلعنهم ، ولكن الأمير لم يكن يحب هذا الأمر ، ولكنه وافق حتى لا يغضب الوزير ، وظلا يخرجان للعسس وذات يوم كانا يمران أمام أحد المنازل فسمعا بعض الناس يغتابون الأمير والوزير ، وفى الصباح ألح الوزير على الأمير ليأتى بهم ، فقبضوا عليهم ووجه لهم الأمير لوما شديدا ، وقال لهم إن الأمير أمر بجلدهم ، فضايق هذا الأمر كل أهل المدينة كما ضايق الأمير نفسه ، ولكن الأمير لم يكن له أية حيلة فيما يفعله الوزير .

وذات يوم اتفق الوزير مع جارية الأمير العجوز أن تسرق عقد ربة بيت الأمير المرجان، وأخذه وأخفاه أسفل سرير باوا ، فلما طلع النهار بحثوا عن العقد فى كل مكان، فلم يجدوه ، وقالت الجارية، نبحث عنه فى كل مكان فى القصر ، حتى حجرات الخدم ، فعملوا بمشورتها وبحثوا فى كل الحجرات فلما دخل رئيس الحرس حجرة باوا ، ونظر تحت السرير وجد العقد المرجان فصاح ، فتجمع الناس ، ودلوا الأمير على مكان العقد ، فتعجب كل خدم الأمير وأخذوا يغتابون باوا ، على ما فعله وما لم يفعله، وأخذ يقسم ويجادلهم ولكن أمير الشرطة نهره ، وتركه.

استدعى الأمير الوزير وقال له "هل سمعت عما فعله باوا ، لقد اتضح أنه لص".

قال الوزير "لقد سبق أن حذرتك من هذا".

نظر الأمير إلى الوزير وقال "صدقت وما هو عقابه على ذلك؟"

قال الوزير "هل يوجد عقاب أفضل من قتله ، ليرتاح الجميع؟"

قال الأمير "طالما أننى أعطيته الأمان ، فلن أقتله ، ولكن ابعثه مع الشرطة ليخرجوه من هذا البلد الآن".

نظر باوا إلى الأمير وانفجر فى البكاء وقال "حسبى الله".

أمر الأمير الشرطة أن يأخذوه ، ولكن الوزير قابلهم خارج القصر وأمر أن يتركوه ، وأمر أطفال المدينة أن يحيطوا به وهم يهللون قائلين "حرامى حرامى" ، ولولا حذاؤه الذى يساعده على الجرى السريع لقتله الأطفال رميا بالحجارة.

وكان باوا يخشى أن يأمر الوزير الفرسان أن يطاردوه بالخيل ، فلما رأى أنه بعد عن الأطفال ، شق طريقه فى الغابة وأخذ يسير فيها جريا منذ الصباح حتى الظهر ، دون أن يعرف له وجهة ، حتى حان وقت الظهر دون أن يرى منزلا واحدا ، فقال فى نفسه "طالما أننى لا أشعر بالتعب فماذا يضايقنى؟" ، وأخذ يسير فى الغابة لا يسمع أحدا ولا يرى شيئا.

وقرب غروب الشمس ، وصل إلى سفح أحد الجبال ، فنظر إلى أعلى فرأى منزلا ، فشمر عن ساقيه وأخذ يصعد الجبل حتى وصل إلى باب المنزل ، فوجد شابا على المدخل يدق بعض الجذور ، فسلم عليه باوا فرد الشاب التحية ، وسأله من أين جئت؟"

قال "من الشمال ، خرجت أبحث عن منزل كبير السحرة أيانا ، فضللت الطريق ووصلت إلى هنا ، إذا سمحت أن أقضى الليل هنا ، وغدا تدلنى على الطريق الذى أسلكه لأدخل الشارع ، وإن شاء الله وسمعت عن أيانا تدلنى على المنزل".

عندما قال ذلك سمع هذا الشاب ينفجر ضاحكا ، ويقول "كف عن البحث عن الطريق، لقد وفقك الله ، هنا منزل أيانا ، وأنا ابنه الأكبر ، دعنى أدخل وأخبره" ، وقام ودخل المنزل.

جلس باوا واجما ، يتعجب ، ونظر جهة الشرق ودعا الله الذى كتب له التوفيق فى مسعاه.

وبعد قليل خرج الشاب وقال "أنه يسمح لك بالدخول" ، فقام باوا ودخل.

فلما دخل رأى رجلا عجوزا نحيفا صغير الجسم ، يجلس على فروة من جلد الذئب، فلما رآه باوا أخذ قلبه يخفق ، ظن أنه من الجن ، لأنه أشبه بالجن منه ببنى آدم ، فانحنى وحياه فى أدب.

قال العجوز "لقد سمعت أنك خرجت تبحث عن منزل أيانا؟، قال باوا "نعم".

قال أيانا "وهو كذلك ، أنا أيانا ، بماذا جئت؟"

حنى باوا رأسه ، وهم بالكلام ، فقال أيانا "وهو كذلك ، استرح من الكلام ، لقد سبق أن علمت بحضورك ، وبكل ما جئت من أجله منذ أخبروني بحضورك ، لولا شقاوة الأطفال التي جعلتك تتوقف في الطريق ، والطمع الذي جعلك تعمل ساعيا ، لتم كل شيء الآن وشفيت، أين أواني ؟ أرجو أن تكون بخير؟"

حنى باوا رأسه وقال "إنها بصحة طيبة ، وتحييك".

نظرا أيانا للولد وقال "حظك طيب ، مع إناً التي لم تشل لك رجلا ويدا ، لكنت لا تستطيع المشي ولا الحضور إلى هنا".

ثم قام ودخل المنزل ، وجاء ببعض الماء كعلاج وخرج ، ووقف على رأس باوا يقول:

إناً أيتها الأم سوف نقدم لبنا

المشي ليس لك تبحثين عن الحذاء

أيتها المرأة التي تتدخل فيما لا يعنيها

نانا ذات القوة التي تغتصب ملك غيرها

العفريتة التي تمتص الدم وتترك الجلد

السحر حق لدى صاحبه

كل من يترك البيت يتركه البيت

لقد تزوجتك أيتها العفريتة وتزوجتني.

ليس بيننا طلب يرفض

ثم نثر الماء على باوا ، وفي الحال عاد إلى هيئته الأولى ، ولد جميل الأنف والفم ، فانحنى الولد وشكره.

طلب منه أيانا أن يكف عن الشكر ، فلا بأس ، وطلب أن تقدم له حصيرة لينام يومين حتى يستريح ، ثم يدله على الطريق ليعود إلى مدينتهم.

وأقام باوا مع أيانا يساعد أبناءه فى ربط الغلال التى يحصدونها ، وبعد أن مضى عشرة أيام ، قال إذا لم يكن هناك عمل آخر يريد أن ينصرف .

قال أيانا "طالما أن هذا الشهر كاد ينتهى ، انتظر حتى يظهر الهلال ، فإنى أرى أن الرحيل فى هذا اليوم أفضل"، لذلك انتظر باوا خمسة أيام أخرى وعندما حان الرحيل أحضر أيانا تميمة وقال "هاك، علاج الجن يفيدك مستقبلا" .

شكره باوا وقال "وهو كذلك، ليس معى شئ لأقدمه لك أجرا فما العمل؟"

قال أيانا "أنا لم أساعدك من أجل المال ، ولكن لما رأيته فيك من الأدب ، ولكن عندما تصل إلى منزلك ، عليك أن تتصدق بديك أحمر".

قال باوا "وهو كذلك ، الحمد لله"، واستعد ، ودلوه على الطريق ، فسافر ولما اختفى عن هذا الجبل ، ارتدى حذاءه ، واندفع فى الجرى ، حتى مدينة لالى ، المدينة التى أمر الوزير الأطفال أن يطاردوه منها من قبل.

لقد سبق أن قلت لك أن وزير هذه المدينة رجل ظالم ، وقلت لك أنه جعل الأمير يتجسس على الناس فى الليل ، حتى يسمع من يغتابونه.

وذات يوم أثناء تجوالهما ، انتظر الأمير والوزير فى المسجد ، وخلع الأمير خاتمة الذهبى ، ووضعه أمامه ، حتى يتيمم ويصلى صلاة القيام ، ولما انتهيا من الصلاة ، خرجا وسارا فى المدينة ، وما كادا يسيران مسافة قصيرة حتى تذكر الأمير أنه نسى خاتمه فى المسجد ، فعادا مسرعين وكان أحد الفئران الكبيرة قد رأى الخاتم يلمع ، فظنه شيئا طيبا وجذبه إلى جحره ، فلما عادا وجدا رجلين كانا يصليان فى المسجد وخرجا ، فدخل الأمير وبحث فلم يجد الخاتم ، فخرج مسرعا واتبع هذين الرجلين وأخذا يناديان عليهما ليتوقفا.

فلما سمع الرجلان النداء خافا ، وظنا أنهما من المجانين ، لذلك اندفعا فى الجرى، وكان الأمير والوزير شابين قويين ، فاتبعوهما حتى قبضا على واحد منهما ، وسألاه وجدت خاتماً من الذهب فى المصلى ، فقال أنهما لم يريا شيئا ، وحاولا معه ، ولكنه أصر على قوله، وأنه لم ير شيئا فتركه الأمير ، وراقب المنزل الذى دخله وذهبا.

عندما وصل الوزير إلى هنا سمع فصيح الأطفال يصيحون فى الخارج ، فأصغى فسمع طائرة تطير لذلك قال للوزير "اريد أن أبول" .

قـال الوزير "وهو كذلـك ، إذهب وعد مـسـرعا"، خـرج فـصيح وأخـذ يراقب الطائرات، حتى اختفت عن الأنظار ، فعاد ، واستمر الوزير فى رواية القصة ، ولم يهتم بشيء.

وعندما طلع النهار ، بعث الأمـير من يأتى بهذا الرجل ، وسأله عن اسمـه ، فقال "أمنى" وفاتحه فى ضـياع الخاتم ، فقال لم يره مطلقـا ، فأمر الشرطة أن تستـجوبه حتى يقول الحـقيقة ، فلمـا أشبعـوه ضربا ، وأدرك أنهم سيهـلكونه دون ذنب قال "انتظروا ، انتظروا ، لقد وجـدت الخاتم ، وهو الآن لدى نيـتو ، الذى رأيتمـوه معى ، أعطيـته له ليحفظه أمانه".

وفى الحال بعث الأمـير من يأتى بنيتـو ، فلما حضـر طلب الأمير أن يحضـر الخاتم فقال أنه لا علم له بهذا الأمر ، فـأمر الأمير الشرطة باستجوابه ، فلما أشـبعوه ضربا قال "انتظروا ، انتظروا، عندما أعطاه لى ، أعطيته لإنجا ليحفظه".

قبضوا على إنجـا ، فسأله الأمير ، ولكنه أنكر ، فأمرهم بضـربه ، فلما شعر بالألم قال إنه سلمه إلى عاشرو ، فأمر الأمير بإحضار عاشروسأله ، فقال أنه لم يعرف شيئا عن هذا الأمر ، وهم الأمـير بالأمـر بضربه ، قـال القاضي "نصرك الـله ، أرى أن الأفضل إرسالهم إلى السـجن، حتى نبـحث أمرهم غدا ، ولتـخويفهـم قال إذا امتنعـوا عن قول الحقيقة ، نقتلهم غدا جميعا".

وافق الأمـير على رأى القـاضي ، وأرسلوهم إلى السـجن ، فلما أخـرجوا ، قـال القاضى للأمير سيعمل حـيلة ، ويكشف المشكلة قبل طلوع النهار ، فلما تفرقوا طلب أن يحمل صندوق كبير ويوضـع في حجرة الحجز ، وفي المغرب استدعى أحد خـدمه صغيرا لجسم ، وأنزله في هذا الصندوق وأغلقـه عليه ، ونبـه عليـه أن يصغي جـيدا لكل مـا يقولون، وذهب إلـى السجن وقال لرئيس الـسجانين "لماذا أحـضروا هؤلاء المتـهمين إلى السجن ، طالما أنـهم لم يسرقوا شـيئا؟ يجب وضـعهم في حـجرة الحجـز". ، وأخذوهم ووضعوهـم في الحجرة الكبيرة التي وضع فيـها القاضي الصندوق الكبير الذي أدخل خادمه فيه.

فلما شعروا أن الجـميع قد ناموا ، نظر عاشر إلى إنجـا ، وقال له "انظر حالي ، لم أفعل شيئا ، ولم أسرق أحدا ، ومع ذلك وضعوني في الحجز لمدة يومين ، بدون ذنب ، حسبي الله ونعم الوكيل".

قال إنجا "لماذا تتحسبن علي ، اتحسبن على نيتو ، أنت حظك سعيد ، لأنهم لم يضربوك ، لقد كنت في السوق عند القصابين ، ولم أفعل شيئا ، وفجأة رأيت الشرطة يقبضون على ويقودوننى إلى منزل الأمير ، وسالوني ، فقلت الحقيقة ، ولكنهم ظنوا أننى أكذب ، فأخذوا يضربوننى ، كما يضرب القرداتى القرد ، وخوفا من أن يقتلونى من الضرب بلا جريرة ، تذكرتك أنت ، لأن أسمك هو الذي خطر على بالى ، ونطق به لسانى ، فلا تلومنى ، يجب أن تلوم نيتو ، اللهم لا تجمعنا به إلى يوم القيامة"

قال نيتو "الله أكبر ، لقد قالوا في المثل "الأرنب لا يغضب ممن ذبحه ولكن يغضب ممن علقه ، اتق الله يا إنجا؟، والله لم أكن في تمام عقلى ، قلت ذلك لما أصابنى من عذاب شديد ، فقلت كما اتهمنى أننى بدون ذنب شخص آخر سئ الحظ ، فشعرت أن اسمك خطر على قلبى ، فنطقته ، كل هذه المشاكل لم يجرنا إليها سوى أمنى ، وبحرمة النبى محمد ربنا يخلص ذنبنا منه ، لا نرضى عنه في الدنيا ولا الآخرة.

نظر إليهم أمنى ، وتساقط الدمع من عينيه وقال "لو عرفتم كيف بدأ هذا الأمر ما علقتم الذنب في عنقى ، مساء أمس من سوء حظى ، كنت أتوضا وخرجت إلى المصلى عند باب المنزل ، وعندما انتهيت من الصلاة وخرجت سمعت صوتا كأنه من السماء يقول "انتظر" ، فالتفت فرأيت رجلين من بعيد فظننت أنهما من الجن ، واذا لم يكونا من الجن من اللصوص أو المجانين ، لذلك لم أتوقف ، وأخذت أجرى مسرعا ، فلما رأيا ذلك أسرعا وقصدانى ، فلما التفت ورأيتهما يتبعانى جريت ، وقبل أن ادخل المنزل ، لحقنى أحدهما وأمسك عنقى ، وقال "أين الخاتم الذي أخذته من المصلى الآن؟" ، فاحترت وأخذ قلبى يخفق ، وقلت والله لم آخذ الخاتم ، فقالا أننى أكذب، إننى أخذته ، ولما رأيا أننى مصر على قولى تركانى وانصرفا.

وعندما طلع النهار، جاء رجال الشرطة وقبضوا على ، وذهبوا بى إلى القصر وقد علمت أن هذين الرجلين اللذين امسكانى امس هما الأمير والوزير ، وسالانى عن الخاتم، فقلت لهما أننى لم آخذه حقيقة ، فأمر الشرطة أن يستجوبونى ، ولعلك تعرف لإصرارهم على الاتهام أخذت اكذب واقول من هول التعذيب أننى أعطيته لك ، حتى يتركانى لأستريح ، ولكن الحقيقة ، والله لا أعرف شيئا عن هذا الخاتم ، إنها مصيبة وقعت على رؤوسنا ، وعلينا أن نصبر ، وبعض القضايا لا يفصل فيها إلا يوم الحشر ، قال عاشر "غدا قبل أن أعذب سأقول أننى أعطيته لشخص إذا أراد أن يعرف المكان الذى يوجد به الخاتم بهذه الوسيلة سوف يسجن جميع أهل المدينة".

قال إنجا "طالما أن هذا الأمر حدث في منتصف الليل لابد أن يبحثوا في هذا المصلي، حتى لو استدعى الأمر أن يرفعوا السقف ، يرفعونه ، ويتتبعون جحور الفئران في المصلى ويحفرونها ، بالتعقل يمكن أن يجدوه ، طالما أنه لم يدخل أحد غيرك يا أمنى"

قال أمنى "حقيقة صدقت ، يا إنجا ، ودعك من الفئران الصغيرة ، هناك فئران كبيرة، في المصلى"

قال نيتو "صدقت، الفأر الذى أمسك زمام الجمل وقاده حتى وصل إلى جحره ، فما بالك بالخاتم" .

حقد هذا الأمير عندما يتحرك لا يستطيع أحد أن يمنعه ، إنه مسلم ولكن قلبه كقلب الكافر لعدم الإيمان"

قال عاشر "يذهب ويبحث، إنها الدنيا يوم معك ويوم عليك ،غدا تسمع أنها انقلبت عليه ، أمير تبوك قد ملك وفعل ما شاء في عصره ، ورأيناه نهايته فما بالك بهذا الحقير"

قال أمنى "كل هذا الأمر لا دخل للأمير فيه ، إذا رأيت شرا يقع لا تجد أحداً وراءه سوى الوزير ، فهو مصدر الشر" .

قال الباقون "هذا معروف ، كأنه سحر الأمير ، كل ما يقوله لا يستطيع مخالفته ، وقضوا الليلة يتبادلون الحديث حتى طلع الفجر ، وقد سمع الخادم داخل الصندوق كل هذا الكلام" .

وعندما طلع الفجر ، أخرجوهم ليكنسوا المكان، وخرج الخادم من داخل الصندوق، وذهب إلى القاضي ، وأخبره بكل ما سمع من حديث ، فقال القاضي "أعلم أن هذا سيحدث .

وعندما خرج للمجلس ، قال القاضي للأمير على الحيلة التى قام بها ، وكل ما قاله له الخادم ونودى الخادم ، فقال الأمير ما حدث بنفسه ، أمر الأمير أن يذهبوا إلى المصلى ليحفروا جحور الفئران الكبيرة ويبحثوا فيها ، وقبل أن يبدأوا في إزالة السقف وقبل أن يتموا إزالته رأوا الخاتم يلمع ، فأخذوه وقدموه إلى الأمير ، وأخبروه بالمكان الذى وجدوا فيه الخاتم، فتعجب الناس من هذا الأمر ، فأمر الأمير بإطلاق صراح المتهمين من الحجز،

فقال الوزير طالما أنهم سبوني مساء أمس ، لا بد من معاقبتهم" ، وأمر أن يجلد كل واحد منهم أثنتى عشرة جلدة ، ثم إطلاق صراحهم.

وبعد إطلاق سراحهم بيومين وصل باوا إلى المدينة ، ولم يعرف ما حدث ، وذات يوم خرج يتسول في الليل وسمع الناس يتكلمون في المنزل الذي ذهب يتسول منه ، فتسلل ليسمع ما يقولون ، فسمع بعضهم يقولون ، أنه في منتصف الليل سيقطعون الطريق على الأمير والوزير في السوق » ويقتلونهما طالما أنهما يظلمانهم بلا ذهب ، وكان هؤلاء الناس هم أمنى ونيتو وإنجا ، جلسوا يتشاورون ، عندما سمع باوا ذلك تسلل ولم يتسول من هذا المنزل ولم يسمعوه ، وبحث عن منزل آخر.

ولما انتهى عاد إلى مسكنه ، وهو يردد هذا الكلام ، ويقول في نفسه "اليوم شبعت من شئ اشتهيت آخر ، واليوم كما أحسن إلى هذا الأمير ، لا يجب أن أتركه ليقتلوه على مسمع منى ، وأكون بذلك قد خنت أمانته ، ورغم أنه طردني وآذاني ، فإننى أعلم أن هذا بسبب مرق الحاقدين ، فالأفضل الآن أن أتشجع وأخوض المخاطر إن شاء الله أساعد هذا الأمير كما ساعدنى عندما تجهم لى كل الناس عنى حتى والدى ، اللذين الجبانى حتى لو هلكت ، أحمد الله أننى مت وأنا أحاول مساعدة حبيبى"

لذلك ذهب إلى أحد رفاقه في السفر ، ورجاه أن يعيره سيفا كبيراً ورجاهأن بعيده سيئا كبير ليحتفظ به في مسكنه ، وقبل أن ينتصف الليل قصد السوق ، وبحث عن مكان يختبئ فيه، وأثناء اختبائه سمع همسا ، وتمتمه ، فلما أنصت أدرك أنهم مقبلون مع إنجا ، فلما وصلوا لجأوا إلى تعريشه بالقرب من مخبئه ، واختبأوا فيه ، وبعد أن مضى ثلث الليل ظهر الأمير والوزير يتجولان كما تعودا ، فلما رأوهما هجموا عليهما ، واشبعوهما ضربا ، وامسكوا الأمير والقوه أرضا ، كانوا يهابونه من قبل وحده ، وركب أمنى وإنجا على بطنه ، وأخذ نيتو يرفع الوزير ويلقيه على الأرض ، وصعد فوق بطنه الكبير ، وملأوا فم الأمير بالرمال ، حتى لا يتأوه فيسمعه أحد ، واستلوا سكينا ، وقالوا لهما أنهم هم الذين أمر الأمير أن يضربوا بدون ذنب . لذلك فسيذبحانهما الآن ، ليثأروا منهما بسبب الضرب الذي وقع عليهم.

حدث كل هذا وباوا ينظر إليهم ، وأخذ يفكر هل يتشجع ويخرج إليهم أم يكتم سره وينجو بنفسه ويهرب ، ولكنه عندما رآهم يسحبون السكينه ويحاولون قطع رقبة الأمير ، تسلل مسرعا وقبل أن ينتبهوا قطع رأس أمنى وإنجا اللذين كانا فوق الأمير ، وهم نيتو

بالجرى ولكن تبعه باوا وقطع رأسه ، وجرى الأمير والوزير ظنا أنه سيعود عليهما ، فطلب منهما باوا أن ينتظرا فوقفا فتقدم أمامهما وأدى تحية لهما ، وجسمهما يرتعش ، فسأله الأمير عن اسمه والحى الذين يسكنه ، وكيف عرفهما حتى يساعدهما هكذا ، وينقذهما من الهلاك ، فذكر باوا للأمير اسمه وقال إنه غريب ، جاء أمس إلى هذه المدينة، وكان يتجول ، .

قال الأمير "أنت الغريب ، كيف أنك عرفتنا رغم حضورك أمس فقط؟، وكيف عرفت أن هذا الأمر سيحدث هكذا ، وكيف أعددت نفسك للحضور هنا؟"

قال لهم باوا كيف شاء الله أن يسترق السمع ، ويسمع ما يضمره هؤلاء الناس عندما ذهب يتسول ، فعانقه الأمير ووزيره من شدة السرور ، وعجزا عما يقولانه في هذا الأمر الذي أراده الله ، وفاضت عيناهما بالدمع وسأله الأمير عن الحى الذي ينزل فيه ، فأخذهما باوا حتى المنزل الذي يسكن فيه ، فقال الأمير "والآن نحن في الليل والأفضل أن نصطحبك حتى المنزل لأكافئك خيرا ، وفي الصباح تأتى إلى القصر لتقول للناس ، كيف حدث هذا الأمر".

انحنى باوا وقال ، وهو كذلك ، أسأل الله أن يحيينا إلى الغد"،وخلع الأمير خاتمه الذهبى وقدمه إلى باوا ، وطلب منه أن يحفظه لديه ليعيده ليلة غد ، فأخذه باوا ، ووصلوا إلى القصر ، فدخل الأمير ، وأمر الوزير أن يسير معه حتى يوصله إلى منزله ، وأثناء السير هجم عليهما كلب خارج من أحد المنازل ، فظن الوزير أن إنجا أفاق وتتبعهم، ولما اندفع الوزير جاريا فزع الكلب وجرى وراءه.

فتبعه باوا وأخذ ينادى عليه ويقول له أن هذا كلب ، ولكن دون جدوى ، فلما وصل إلى ممر المنزل أغلق الباب ولم يجد الفرصة ليودع باوا ، وأسرع إلى داخل منزله.

وعندما طلع النهار وجد الناس ثلاث جثث ، فتعجبوا وظنوا أن اللصوص قتلوهم وأخذ إخوتهم يبكون ، فذهب رئيس الحى إلى الأمير وأخبره فأمر أن يدعى كبار رجال المدينة للاجتماع عند باب قصر الأمير في الضحى ، فلما حان وقت الضحي حضر الجميع ، وبعث الأمير من يستدعى هذا الكلام ، فلما حضر جلس في جانب الأمير ، وقص للناس كيف سلك أمنى مسلك اللصوص عندما فقد الأمير خاتمه في المصلى ، الأمر الذى جعله يهمهم ، فألقى التهمة على نيتو ، الذى اتهم بدوره إنجا وهذا بدوره اتهم عاشرو ، ونظر الأمير وقال "وهو كذلك ، فما هو الخطأ في هذا ؟ ، أليست الشريعة تحل اتهامهم"

قال الناس "نعم أطال الله حياتك ، صدقت في هذا ، ولكن لماذا أمرت بجلدهم؟، أم أن هذا من سلطاتك؟"

قال الأمير "لا ، اسألوا الوزير، أقسم بالله أن هذا ليس من شاني"

فقال رجل عجوز "إذا كان هذا من شأن الوزير فلنستمر في موضوعنا، هذا أمر واحد بالنسبة لنا ، وليس لدينا إذن في الكلام فيه ، ولو بكلمة واحدة وإلا حق علينا الموت الآن"

قال الأمير "كل ما قلت لكم هو غاية علمي في هذا الموضوع ، وعليكم أن تسألوا هذا الغريب يخبركم بباقى القصة"

سألوا باوا ، فقال لهم كيف استرق السمع مساء أمس ، وسمع ما يقولون ، وكيف استعار السيف وذهب إلى السوق واختبأ ، وأنه لم يعرف أن الذي هاجموه هو الأمير ، ووزيره ، إلا بعد أن أوقعوه.

قال الأمير "لا تخجل من القول ، قل لهم كل ما حدث ، فقص باوا القصة تماما ، ولم ينقص منها شيئا.

قال الناس "لا حول ولا قوة إلا بالله"، وتعجبوا ، وأخذوا يباركون للأمير على السلامة، وكان أهل المدينة يكتمون غيظهم من الوزير

ومع أنه كان يجلس بالقرب من الأمير إلا أن أحدا لم يهتم بسلامته.

نظر الأمير إلى الناس وقال "أيها الناس لدى ما أقوله لكم ، فصمت الناس ، ثم نظر إليهم مرة أخرى وقال لدى ما اقوله لكم فأنصتوا.

حينئذ قال الوزير "الأمير يتكلم معكم وانتم لم تردوا عليه ، بنعم أو لا ، وأخذ كل منكم يمسك لحيته كأنها لحية جدى"

فقال الرجل العجوز "أيها الوزير، الأمير يتكلم معنا بهدوء ، وأنت تسخر منا بكلامك هذا؟، لم تأت هنا لتتكلم وتسمع أنت ، لولا أننا جديرون بالحضور إلى الحديث معنا ما دعانا ، احذر من التدخل في الحديث الذي لم يطلب منك الأمير التدخل فيه ، إذا كنت قد سحرت الأمير ولا يستطيع إبداء رأيه وأنت حاضر هل سحرتنا كذلك؟، فشب الخلاف بينهما وكاد يحدث مالا تحمد عقباه فمنعهما الأمير.

ما دفع هذا الرجل العجوز ألا يحترم الوزير أنه مكر بأبيه وهو صغير ، وجعل الأمير يقتله ، علاوة على ذلك فإن الوزير يحتقر جميع أهل المدينة ولا يحترم أحداً حتى الأمير، وها هو قد ضايق الأمير ، والأمير يخشاه لخشية القطن من النار.

نظر الأمير إلى الناس وقال "أنا أسألكم هل لديكم كلام، ولم أطلب منكم القتال" ، قال إمام المدينة "هل يوجد لديكم كلام"

قال الأمير "أى كلام لديكم؟"

قال الإمام "ما نريد أن نقوله هو أننا لا نحب الوزير لا لشئ إلا لسوء خلقه ، كلنا نحن كبار المدينة ، حط من كرامتنا جميعا ، يطأ كرامتنا كما يطأ الأرض بقدميه، أهكذا يكون التعايش بين الناس ؟، كان ينبغى الآن أن نكون قد بلغنا منزلة من يحترم حيثما ذهب".

قال الناس في وقت واحد ، صدقت يا إمام ، إما أن نخرج الآن ، وأما أن نجمع متاعنا ونغادر المدينة ، هذه الدنيا ملك لله ، طولا وعرضا ، طالما أننا سبقنا وقلنا هذا الكلام ، ليس لدينا فرصة للبقاء.

غير الوزير من جلسته ، ونظر الأمير إلى الناس ونظر مرة أخري للوزير ، وصمت ثم قال "سمعت كلامكم ، ولكن إذا أخرجت الوزير ، من تريدون توليته بدلا منه" ، قال قاضي السوق "نصرك الله ، حتى لو عينت هذا الصبى الصغير باوا نتبعه"

نظر الإمام إلى قاضي السوق وقال "بالنسبة لهذا الأمر ، حتى لو عين هذا الصبى نرضى به ، فالله هو الذى أراد ذلك ، وليس أحد ، فهو الذى عينه حتى لو كان ابن كبير اللصوص ، وإذا كان في هذا الجمع من يعارض حكم الله نسمعه"

قال الناس "لا يوجد من يعارض ذلك ، فهو الذي عينه ، وعلى الوزير أن يجمع متاعه البسيط ، ويبحث عن مكان آخر ، وإذا كان له حظ في هذا البلد ، لن يتنتهى النميمة ، لقد بدلنا مشكلة بأخرى".

وفي الحال أخرج الأمير الوزير وقد كان الأمير ينتظر الفرصة فأتته، وعين باوا وزيرا، وعاد الوزير إلى منزله ، وجمع متاعه القليل ومن يستطيع أن يتبعه من أولاده ، واختار المكان الذي يريد أن يتوجه إليه ، وأخرجته الشرطة من المدينة ، وبعد ثلاثة أيام أخرجوه

من الحدود ، هذا أقصى ما حدث للوزير ، وهذا هو الجزاء الذي جعله الله لكل من أصاب الناس بالشر.

وآل الأمر إلى الوزير باوا ، وأقيمت الأفراح لتوليه السلطة ، وأخذ المداحون والمغنون والطبالون يطبلون ويغنون.

وبعد مضى شهر بعث الوزير باوا لأبيه وأمه ليأتيا ، فلما حضرا وعلما أنه لم يمت ، فرحا فرحا عظيما ، وقد نسيه أبوه إلا أن أمه ما زالت تذكره ، ولم يغب عن ذاكرتها، فقد مضى على غيابه سبع سنوات وشهران ، حتى يئسوا من العثور عليه ، وابتسمت لهم الحياة ، وأخذوا يستمتعون بها.

وفرح الأمير وأهل المدينة بالوزير الجديد فرحا عظيما ، والتحم الناس بالأمير وصار لا يفرق بينه وبين الناس إلا الليل* فقط ، ورغم هذه السلطة والنفوذ الذى آل إليه لم ينس أيانا كبير السمر ، وأوانى العجوز التى منحته الحذاء السحرى، وأشارت عليه أن يبحث عن منزل أيانا فبعث للجميع ليأتو لهذه المدينة ، وبنى لهم المنازل ، وأغدق عليهم بكل ما يريدون ، وصاروا مساعدين في شئون الحكم ، ومنذ تولى شأن الوزارة تصدق بالديك الأحمر الذي طلب أيانا أن يذبحه ، أما صديق الرحلة الذي أعاره السيف ، في الليلة السابقة لم ينسه ، حتى الشرطي الذى اصطحبه حتى منزل الأمير ، حينما كان الأطفال يضايقونه ، أمر بتعيينه رئيسا الشرطة ، عندما مات رئيس الشرطة السابق.

ولما اجتمع الوزير مع والديه ، أخذ يقص لهم المتاعب التي عاناها ، عندما جاء في هيئته أتب في المقدمة وآخر في المؤخرة ، فكانوا ينفجرون في البكاء.

وذات يوم كانا يتحدثان مع الأمير ، فقال للوزير " والله إنى أعجب كيف غامرت بنفسك وخلصتنا ، دون وجود أي سبب لذلك"

قال الوزير "لم أقل لك ، أنه يوجد سبب لذلك ، إذا تذكرت شخصا ذا أتب جاء إليك هنا ، وأحسنت إليه ، من قبل والذي اتهمه الوزير بالسرقة ، حتى جعلك تطرده ، إنه أنا " ، وقص له كل ما حدث له ، منذ فارق أمه حتى جاءوا إليه بعد أن تولى السلطة، فقال " ومن أجل هذا الخير الذي أغرقته على ، شعرت بالهمة لإنقاذك ، ومن أجل هذا ساعدت الوزير"

عندما سمع الأمير ذلك ، تعجب وصمت ، اغرورقت عيناه بالدمع شفقه عليه عندما رأى الوزير أنه تألم لذلك ، جذب الحديث إلى أمور المملكة وقال "أتذكر يوم أن أمرتهم بطردى ، وأخذت أجري ، في هذا اليوم لم أتوقف عن الجري إلا في المغرب " فانفجر الأمير في الضحك وعاد إليه هدؤه.

وكلما رأى الوزير الأمير في ساعة مرح يقول له "أطال الله حياتك في مساء اليوم ربما تخرج للنزهة في المدينة؟"

فيقول الأمير "هل بدأت تعمل عمل الوزير؟ أنا الآن لا أخرج ليلا حتى للبول "

عندما سمع فصيح آخر هذه القصة ، انفجر ضاحكا.

قال الوزير "وهو كذلك ، قبل أن يأتى الغد تكون قد فكرت في قصة تخترعها وتقصها على ، لأرى مدى قدرتك على القصص"

قال فصيح "وهو كذلك ، وانحنى تحية له وانصرف"

وعندما دخل فصيح في اليوم التالى قال الوزير "فكر في القصة التى ستقصها على اليوم ، لأعرف ما إذا كانت لديك القدرة على أن ترثنى أم لا؟"

لم ينتظر فصيح ليفكر في شئ وقص قصة "واستعد الأمير للقيام وإذا بالوزير "

منعه الوزير البيغاء عن الكلام ، وقال أية قصة هذه التى ليس لها بداية ، أى أمير؟، وفي أية مدينة؟:

قال فصيح "هذا ما ضايقنى من قبل منذ أن قلت لى بالأمس أن أفكر في قصة اقصها عليك ، وأنا في حيرة منذ المغرب حتى وصلت إلى منزل الأمير الورو فسمعت أحد العمال يقص عليهم القصة ، ووجدته قد بدأ وقد سمعت القصة من هنا ، فلم أسمع اسم المدينة ، ولكن سمعت اسم الأمير جاتو أمير مشهورمن الوثنيين" .

قال الوزير " وهو كذلك ، فلنسم القصة بهذا الاسم"

قصة الأمير جاتو

في ظهر أحد الايام استعد الأمير جاتو للذهاب إلى مكان ما ، فجاء له وزيره بالأحكام التى أصدرها هذا الأسبوع ، ولما تقدم إليه الوزير بها ، بدا عليه الغضب إذ شعر أنه سيعطله عن الخروج ، فنظر إلى الوزير وقال له أن يقرأها ، فبدأ الوزير في القراءة ، فإذا توقف ليوضح له أمرا فعله ، فيقول له استمر ، فهمت كل هذا رغم أنه لم يفهم أي شئ ، فقد كان عقله منصرفا في أمر آخر.

فلما قرأ الوزير الأحكام ، قال الأمير "ضع الختم ، سمعث ووافقت" ، فيضع الوزير الخاتم ويبدأ في قراءة ورقة أخرى ، فيقول له الأمير "ضع الخاتم" فيبدأ في قراءة ورقة أخرى ويأمره بوضع الخاتم حتى قبل أن يتم قراءتها.

وبعد قليل قال الوزير "انتهينا" ، ولف الأوراق ووضعها في جيب،. وأخذ خاتم الأمير وهم بوضعه في مكانه ، فقال الأمير ، "ها هي ورقة أخرى ، اكتب، لقد أمرت بأن يقتل فلان ، ولكن اترك مكانا أضع فيه اسم شخص ما ، وإذا كتبت ضع الخاتم ، وبعد أن تنتهي من الكتابة اعطنى هذه الورقة في يدي ، سأكتب بنفسى اسم هذا الشخص.

نظر الوزير إلى الأمير في ذعر ، وقال متلعثما "ستقتل شخصا؟"

قال الأمير "وهو كذلك ، ما شأنك أنت ، هل لديك السلطة بأن تمنعني مما أريد؟ ، إني أنا الأمير ، وأنت وزيري ، فالزم حدودك ، لا تضع نفسك حيث لا ينبغي أن تكو".

قال الوزير "دام النور على ملكك ، تبت" ، وأخذ الورقة وكتب فيها كل ما قاله الأمير ، وختمها بخاتم الأمير ، وقدمها إليه ، ووقع عليها ، وبعد أن وقعها أخذها ووضعها في جيبه ، وقال "على رأس سيىء الحظ"

قال الوزير "نصر الأمير ضوء القمر"

لقد كان هذا الأمير ظالماً وفاسقاً ، يعرفه الجميع بذلك ، لا يشعر بالخجل مطلقا ،

لذلك بعد أن ختم الوزير الورقة وقدمها إليه ، نظر إليه بلا خجل ولا خوف وقال "لقد طلبت منى امرأة أن أعد لها هذه الورقة ووعدتها بذلك ، أنت تعرف أن مثلى لا ينبغي أن يخلف وعده"

قال الوزير "هذا الأمر لا يمكن حدوثه ، إذا قتلت رجلا من ألف رجل ماذا يمكن أن يحدث؟"

قال الأمير "وهو كذلك ، هل فهمت؟، سأرسل لها هذه الورقة وأي شخص تريده تكتب اسمه اقتله ، لعلك تعرف أنهم يقولون "رضا الأمير لمدة ساعة تفوق التجارة والزراعة" ، أكتب هذه الحكمة في الكتاب الذي يتضمن حكمي ، واكتب الحكمة التي قلتها أمس ، أم نسيتها؟"

قال الوزير "أضاء القمر قبرك لقد كتبتها"

قال الأمير "وهو كذلك ، اقرأها لنسمع ، إذا كنت كتبتها جيدا أم لا"

فتح الوزير الكتاب وقال الأمير "إنسان طويل ، لا يستطيع الإنسان ركوبه ، وهو مرفوع الرأس ، وأنت تركب من تشاء وتجلس مستقيما كما تشاء".

ابتسم الأمير، وأصلح عمامته وقال "هل كتبته جيدا ، إني أحبك لعدم النسيان" ، وقام وقصد حديقته خلف المنزل.

لقد كان هذا الأمير متشوقا للذهاب إلى الحديقة لأنه يريد أن يذهب ليرتكب الفحشاء في منزل أبوكى ابن وزير المدينة ، لأنه يحب زوجته حتى أنه أمر أن يبنى له منزل في هذه الحديقة ، وطلب من أبوكى أن ينتقل إليه هو وأسرته عندما يريد أن يتنزه، وأمر أن يقدم له هذا المنزل هدية ، لأنه أبدى شجاعة عظيمه في الحرب التي خاضها معه ، وينظر الناس إلى الأمير على أنه رجل محسن ، ولم يعرفوا السر وراء هذه الهدية ، وهي موقع زوجة أبوكى في قلب الأمير ، مما جعلها لا تحب زوجها ، لذلك أمر الأمير الوزير أن يكتب أمرا بقتل شخص وترك مكان اسمه شاغرا ، وختمه ووقع على الأمر ، وتركه لها لتكتب فيه اسم زوجها ، وأعطاه للشرطة ليقتلوه حتى يستريح الجميع ، وتركه لها لتفعل به ما تريد ودون أن يعرف الوزير أنه كتب الورقة وختمها بخاتم الأمير بعده ، وكان الأمير يعرف أنها ستضع أسم أبوكى ليقتل فيرتاح الجميع ، والأمر الذي جعله لم يكتب اسم أنه لا يستطيع الكتابة ، لا توجد فرصة تجعله يكتب بخط يده لأنه ابنه ، فجعل شخصا آخر

يكتبه حـتى إذا اكتشف الأمر فلا يلام على ذلك ، فينـظر إليه على أنه حاكم ظالم ، لأنه بنى له منزلا منذ أيام وشكره الناس لذلك.

عندما أطل الأمير برأسه من القصر ذاهبـا إلى الحديقة أخذت ثيابه تخطف الأبصار ، لأنه كان يرتدى ثيابا من القماش الجيد وسروالا مزيـنا بالقصب ، وكانت قبعته محلاة بماء الفضة والذهب ، فلمـا رآه الناس أخذوا ينحنون احتراما له ، ويقـولون "غمر الله ملكك بضوء القمر" ، وأخذ كل جندي يلوح بيده تحية له ويقول "أضاء القمر ملك الملك"

كـان يظن أن ثيابه لا تبـهر الـناس فقط ولكنهـا تبـهر الشـمس والقمـر والأشجـار والأزهار. إذا سمع الطيور تغرد ، أو حفيف الشـجر ، أو سقوط أوراق الأشجار يظن في نفسه أنها تحيـيه، لذلك كان يقول في نفسه "إن الناس عندما يقـولون لي يا أمير الدنيا لم يكونوا كاذبين ، ودعك من قول الناس ها هى الحيوانات والأشجار بسطت ملكي عليها ، أنظر إلى الأرض ، وهي تكاد تنشق عندما أطؤها بقدمي ، وانظر إلى الشمس كيف تخفي نفسـها حتى تبـرد الدنيا لأشـعر بلذة السيـر ، كان يظن أن له القـدرة على تأويل صوت الرعد، والناس والنباتات والحيوانات لعظمة ملكى هذا ، والهيئة التي خرجت فيها اليوم ، وعندما يسـمعـون الأشجار والأزهار تمدحـني بنفسهـا والشمس تبـاركني في سمـائها ، والأرض ترفع من شـأني ، والطيور تقـول سير الـسلامة يا أمـير الدنيـا ، ووقف الناس يتعـجبون ما الـذي جعل الأمير يسـرع بهذه الصورة قـاصدا الحديقـة ، ويمنع الحراس من اتباعه؟.

ولما دخل الأمير البستان أمر شرطيا أن يحرس البوابة حتى لا يدخل أحد ، حتى ولو كان الوزير ، عليه أن ينتظر بالخارج حتى يخرج ، ضرب الشرطي الأرض بقدميه تحية له، وقال "سمعا كبير الدنيا" ، ودخل الأمير البستان.

وعند دخوله نظر الوزير إلى ابنه أبوكى الذي كان يجلس في الحاشية يكتب ، والذي أعطاه الأمير كتـابا في الأحكام ليتصفحه قبل أن يعـود ، فلما نظر إليه قال "ألا تعلم أنه توجد صفحة في جيب الأمير أمرني أن أكتبهـا سيأمر فيها بقتل شخص ، ووضعت عليها الخاتم ، ولكن لم يجعلني أكتب اسم المقتول ولا أعرفه"

عندما سمع أبوكـى ذلك ، خشي في نفسه أن يقع هذا الأمر عـليه ، لأنه يعرف أن الأمير زيرنساه ويجرى خلف زوجته ولا يحبان بعضهما ، ولم يعرف الناس ما في الأمر،

لذلك ترك الكتابة ، وتبع الأمير ، ووصل إلى باب الحديقة ، وطلب من الشرطى الذى يحرسه ، أن يفسح له ليدخل.

نظر إليه الشرطي ، وهز رأسه ، وقال "حفظك الله ، ليس لدي أمر ، لقد قال الأمير حتى لو جاء الوزير لا أدعه يدخل"

قال أبوكى "الا تعلم أنه منزلي؟، كيف يمنع المرء من دخول منزله؟"

هز الشرطي رأسه وقال "لا ، حفظك الله ، طالما أن الأمير أمر بمنع الدخول لعلك تعرف أنه ليس لدى السلطة للسماح لك ، إذا أخطأت وعاد الأمير وعلم أننى خالفت أمره، قبل أن يطلع الصباح أكون خبرا يروى"

نهره أبوكى وقال "رجل عابث ، غبي لن يقتلك الأمير إذا عاد ، إذا رفضت الآن سأقضي عليك ، وأدخل بالقوة"

أدرك الحارس أنه لا مفر ، وأن أبوكى سريع الغضب ، ففتح له الباب ليدخل ، دخل أبوكى وتسلل خلف الأمير حتى وصل إلى بوابة القصر الذي وهبه إياه في البستان ، فلما دخل أخذ صفارة من حقيبة ثوبه وصفر بها ، فخرجت زوجة أبوكى إلى مدخل القصر ، ووجهها يلمع كأنها بدر في يوم التمام ، وعند رؤيتها حبس العجوز الصوت في صدره وقال "مرجانه"

قالت "نعم، أضاء البدر ملكك ، لعلك اليوم أردت أن تتأخر"

قال الأمير "لقد عطلني الوزير اليوم بكلامه الفارغ ، لقد كلفت أبوكى بكتابة الأحكام الكثيرة التي حكمت بها هذا الشهر ، وأمرته الا يتحرك حتى ينتهي منها، وأنت ترين اليوم أمورنا هادئة ، لا شئ نخاف منه ، إذا رأيت الفرصة ، إذا خرج لن يعود ، لأنني جعلت أباه يكتب أمرا بقتله ويختمه بيده، ولم يبق إلا أن يكتب اسمه ، وأبعث بالورقة إلى رئيس الشرطة.

قال مرجانه "أنت تعلم أن الناس يقولون أن الجهل يفوق الليل ظلاما ، هل كتبه الوزير، ووضع الخاتم عليه بيده؟".

قال الأمير "كيف استطاع بنفسه؟" طالما أنني قلت يفعل ذلك فلابد أن يفعل وإذا قلت يترك هذا ، فلابد أن يترك ، ماذا تظنيننى ، إن الأشجار والأرض نفسها تطيعنى ، فما بالك بالإنسان؟.

وكان أبوكى مختبئا يسمع كـل شئ ، فقال في نفسه "هكذا كـاد أبي يهلكني بيديه دون أن يعرف"

قالت مـرجانه "نصرتك الشـمس والقمر ، انتظرني هنا في الممـر حتى أدخل المنزل لأحضر الثريد الذى كنتِ أطحنه لأضيف له الحساء وأغتسل وأستعد ثم أخرج إليك"

قال الأمير "لا إنك ستعطلينني كثيرا ، لابد أن تسـرعي ، وبدلا من ضياع الوقت عبثا فلأذهب إلى البحيرة حيث يسقى الزرع لأستحم ، لعلى أخفف من حرارة الجو وشدة العرق اليوم "، ثم قام وذهب إلى البحيرة ، وخلع ثيابه تماما ووضعها جانبا ، كان ابوكى قريبـا منه مختبـئا بين أشجار الحـديقة يرقبه ، نظر الأمـير شرقا ، وغـربا ، فلم ير أحدا فدخل الماء وأخذ يستحم ، لم يهتم بثيابه التي وضعها على حافة البحيرة.

ولما رأى الشمس قد غابت وشعر ببـرودة الجو ، وتوقع أن مرجانة لابد أن تكون قد انتهت من الأشياء التى يريدها ، خرج من البحيـرة مسرعا ، وقصد المكان الذي وضع فيه ثيابه ، فلم يجدها ، فظن أنه نسي المكان ، لذلك أخذ يبحث هنا وهناك ، فلم يجدها ، وكأن الثياب قد استدعت خاطفها فـأخذ قلبه يخفق ، ووقف واجما يقلب كفيه ، ويقول "أين ثيابي؟. من سرقها؟ لابد أن من سرقها ليس من البشر ، لأنني دخلت هنا وحدي، من سيـجرؤ ، لشدة ما سـيري من هلاك ، إذا تتبـعني ، ولاسيمـا أنني أمرت الوزير أن ينتظر بالخارج حتى أخرج؟، وقد أمرت الشرطي بحراسة المكان ، ولا يترك أحدا يدخل ، حتى ولو كان وزيرنا"

ثم غضب ونظر إلى الأرض غـاضبا وقال "أنا مـتأكد أن الذي أخـذ ثيابي ليس من البشر ، أيتها الأرض تعقلي إذا كنت قد ابتلعت ثيابي ، فالفظيها ، قبل أن أغضب ، وإذا أبيت فـسآمر بقطـع كل الأشجار أو الأعـشاب التى تغطـيك ، وسآمر علـى كل المجاري والأنهار التي تغـطي الأرض ، حتى تعرفي أن سلطانـي فوق الجمـيع ، وأعيدك صـحراء جرداء ، وسط هـذا الصيف ، لا تجعلـيني أفعل هذا وأكـشف سرك ، وتحرقك الـشمس بحرارتهـا ، وتعرفين أنهم لم يطلقوا على لـقب ملك الدنيا كلها عـبثا"، وقفـز وضرب الأرض بقدميه ، وجذبهما وضربها مرة أخرى دون جدوى.

وهو على هذه الحال في حيرة ، ظل صامتـا دون جدوى حتى أقبل الليل ، وغربت الشمس وبزغ القمر ، فلما رأى الأمير أن الظلام قـد عم ، رفع رأسه ليرى القمر ، فقفز

وأشار إليـه بيده قائلا "زد من ضـوئك أريدك تضيء أكثر من الشـمس لعلى أرى ثيابي ، ولا تظل شيئا صغيرا هكذا، أنت تعـرف أنك إذا رفضت أن تظهر ضوءك كله حتى يفوق ضوء الشمس ، أقسم بعظمتي أن أجـعلهم يكسرون الصنم الذي أقمته لك ، وأمنع الناس من عبادتك ، وتتحول إلى عبادة الشمس أو النجوم"

القمـر لم يعرف ما في الأمر ، فـبدلا من أن يزيد من ضوئه جـاءت بعض السحب وحجبت ضوءه ، كل ما حدث زاده تعقيـدا ، وأخذ الأمير يفكر فيما يقوله لو ذهب إلى منزل أبوكي ليـستعـير ثوبا ، لأنه يعـرف أنه لا بد أن يكون قد عـاد في هذا الوقت ، ثم أخذت السماء تهطل مطراً غزيراً ، فلم ينتظر لاستكمال التفكير ، وجري إلى بوابة أبوكى عريان ، فلم يجد أحدا في المنزل ، وقد أغلقت الأبواب كلها ، فأخذ ينادي ولكن ما من مجيب ، فطاف حول المنزل لعله يجد مكانا للتسلق ، ولكنه لم يجد ، حتى مدخل بوابة المنزل الذي كان يمكن أن يجده ويختبئ فيه قد امتلأ بالماء ، وأغلق وقد أثار دهشته أن يجد ممر الباب الخارجي مغلقا وليست فيه ، ولا يظن أنهم بالداخل وقد غلبهم النعاس.

ولما رأى أن كل ما حـدث يثير خجله ، وتخـيل ما يحدث لو عـاد إلى منزله عريان هكذا وقد خلع ثيابه ، وإذا قـصد منزله هكذا كما ولدته أمـه ورآه أولاده وخدمه هكذا ، لابد أنهم سيعيرونه بذلك فيما بعد.

وبينما هو يفكر فـي هذا الأمر ، فكر في حيلة ، وقـال "إذا استطعت أن أصل إلى المنزل هكذا عريان ، حتى ارتدي ثيابي ، أقتل كل من رآني عريان في صباح اليوم التالي، حتى لا يشيعوا الخبر بين الناس"

وهو على هذه الحـال ، دون أن يشعـر طلع الصـباح ، فـقـام مسـرعا وخـرج من البستان، وقصد منزله ، ودخل من باب الـعبيد ، ومن حسن الحظ أن لم يره أحد ، فلم يخرج أحد في هذا الوقت غيره ، إلا متسول واحـد فقط ، اسمه سامو كان يرقد في هذا المدخل، فلما رآه تسلل ودخل وأيقظه وقال له "أعطنى قميصك لارتديه"

وهو ينظر إليه بازدراء فـهو الأمير يأمـر فيطاع ، استـيقظ سامو مـذعورا ولم ينتظر وسحب عصاه وانهال بها على رأس الأمـير ضربا قائلا "اذهب واتركني وإلا أنهال عليك ضـربا حـتى تقطع النفس ، الناس نائمـون فـتـأتي وتضايقـهم ، حـتى المجنون يعـرف الضرب" .

فلما رأى الأمير أنه أخفق ولم يأخذ قميص سامو أو يوقعه على الأرض ويأخذه بالقوة، وأنه إذا انتظر سيتكشف سره عبثا ، تسلل وخرج ، ووصل إلى بوابة المجلس فوجد الشرطي الذي يحرس المكان يغط في النوم ، ويصدر شخير النائم فدفعه الأمير بقدميه ، وقال "قم"

هب الشرطى قائماً ، فرأى أمامه رجلا عاريا دون سترة ، فقال "من؟ ماذا أدخلك إلى هنا في هذا الليل؟"

قال الأمير "أعطني قميصك لأرتديه ، وأدخل".

ظن الشرطي أنه مجنون ، ثم أخذ يمزح معه ، ونظر إليه بسخرية وقال "ماذا تريد سوى قميصى؟ ، ألا تصبر، لا يوجد دار للمجانين قريبة هنا لأوصلك إليها ، أو طعام لأقدمه إليك ، ارقد هنا حتى الصباح لأقدمك إلى رئيس الحرس".

غضب الأمير ، إنه أمير يعطى الأوامر ولا يتلقاها ، وقال "كلام فارغ ، قلت إعطني ثوبك ، تعطلني بهذه الثرثرة السخيفة ، هل تظنني رفيق صباك؟"

سحب الشرطي عصا غليظة وقال "لقد كنت أظن الأمر مزاحا ، فحاولت مساعدتك، ابعد من هنا وإلا جعلتك تصاب بالجنون"

نظر إليه الأمير وقال "ألا تعرف من أنا؟"

قال الشرطي "لا أعرف"

قال الأمير "أنا أميركم جاتو"

قال الشرطي "أنت؟، أضاء القمر زمانك، أمير غبي ، أقول لك الحقيقة ، حتى لو كنت أمير هسكو وليس جاتو ، اذهب واترك هذا المكان ، حتى لا أقفز في بطنك هذه الآن ، من حسن حظك أنني أشفق على المجانين لجعلتك الآن تفر من أمامي".

ولما رأى الأمير أنه إذا خرج مع هذا الشرطي إلى بوابة القصر لا يكون جميلا ، أخذ يلاطفه ويقول "أنك تهتم بعملك جيدا ، غدا أعينك رئيسا للحرس أو في منصب كبير ، ولكن استمع لما حدث حتى صرت عريان ، أمس في المغرب ، عندما كنت أتجول في حدائقى ، خلعت ملابسي ووضعتها على حافة البحيرة ، ونزلت فيها لأستحم فتسلل رجل كافر وسرق ثيابي وتركني كما تري الآن بدون ثياب ولا سترة ، وأقسم بالشمس والقمر وسائر النجوم أنني أميركم جاتو"

فلما سمع هذا الشرطي ذلك نهره وابتسم ، ووضع يده في جعبته وأخرج علبة تبغ كبيرة ، ونظر إلى رأس الأمير التى حلقها حديثا وضربه ، طأطأ الأمير رأسه ووضع التبغ في فمه ، وأغلق العلبة ، وأخرج لعابه وقال "بالتبغ يقاوم الإنسان النوم" ، ونظر إلى الأمير نظرة امتعاض وقال "الجنون فنون، إن لم يكن غباؤكم جنوناً فتأتي إلى عريان هكذا، وتدعي أنك الأمير؟، قبل أن تغرب الشمس دخل الأمير المنزل عندما جاء من الحديقة ، أم أن لنا أميرين ، واحد للمجانين وآخر للعقلاء؟ السوق قصركم أنت الذى أبيت دخوله ، وهناك شرطتكم من الكلاب يحرسونكم حتى الصباح ، فدفعه الأمير من مؤخرة الرأس، وتركه وعاد وهو يقول "إذا عدت ورأيتك سأضربك ولن يمنعني عنك سوى الأمير"

عاد الأمير وجلس أسفل أحد الأسوار ، وهو يرتعش من شدة البرد ، والمطر يسقط فوق رأسه ، وهو يفكر فيما يفعله ويقول "لو وجدت ثوبا يسترنى لقتلت كل أهل هذا البلد عندما يطلع الصباح ، وآتى بأهل القرى إلى المدينة بسبب وقاحة أهلها إلى هذا الحد، إنها بلدى، يحتقرنى في عبيدى إلى هذا الحد ، الأن الأمير خلع ثيابه يحتقر هكذا؟، لولا عدم الخجل، هل الثياب هي التي تحكمهم ولست أنا؟، لابد أن هذا الأمر تم تدبيره لى"

وأثناء هذا التفكير وإذا سامو المتسول يخرج من المخبأ الذى كان به متجها إلى محل لبيع البيرة ووقف على المدخل ، ينتظر أن يفتح الحانوت فيدخل ليشرب ربع قدح قبل أن يتجمع الناس ، فرآه الأمير ، فقال "باسم حبك للشمس والقمر والنجوم أعطني ثوبك عيرة لأستر به جسمي"

فنظر إليه سامو بازدراء ، وقال "لماذا ترهن ثيابك؟، لعله من أجل الشرب؟، لا أكثر من ذلك ، لو أن صانعي الجعة بدأوا يفضحون الناس هكذا ، يكونون قد ارتكبوا إثما ، ولو كنت أميرا وسمعت ذلك لقتلتهم جميعا"

قال الأمير "أقسم بضوء الشمس والقمر لأفعل ذلك ، أعرنى ثوبك ستراهم الآن ينضمون إلى الكلاب الضالة".

نهره سامو وقال "ماذا ستقتلهم؟ من أنت؟"

قال الأمير "أنا الأمير" ، نظر إليه سامو وضحك ، فقال الأمير "أنظر إلى جيدا سترى أنني لا أكذب"

قال سامو "حتى لو نظرت إليك جيدا ، ماذا سأري؟ طالما أنني لم أقترب من الأمير أبدا ، العامة من أمثالي ، من أين يجدون هذه المقدرة؟ أراه فقط إذا ركب وهم بالخروج ، أليس كذلك ، وطالما أنك حلفتني بعظمة القمر سوف لا أمنعك ها هو ، ولكن عندما يطلع النهار وتصل إلى المنزل اخلعه ورده إلى ، فهو الوحيد الذي لدى ، عدا هذه الملابس الداخلية ، صبرت على ذلك وأعرتك إياه لأنك أقسمت على بالقمر ، ليس لدي القدرة أن أمنعك"

وما كاد الأمير يرتدي هذا الثوب حتى طلع النهار تماما ، وخرج كل الناس ، وها هم عبيده الذين طردوه يرونه في الصباح ، فقصد القصر يسير خطوة خطوة ، إنه الأمير بقميص بلا سروال ، يقرع الباب ويقول "أين رئيس الحاشية ، افتح ، أنا الأمير".

فسمع كبير المنزل يقول " اغرب عن وجهي ، بالتي هى أحسن يا مجنون" "

التفت الأمير إلى باقي الخدم في الإصطبل يغسلون عيونهم وقال ألا تعرفون من أنا؟، لماذا لا تأتون لتحيتي؟، أنا أميركم جاتو "صمت الجميع ، وبعد ذلك ضحكوا جميعا ، فقال "مبارك ، تذكر أنني حررتك في العام قبل الماضي ، فكيف أحدثك طويلا وتتركني؟ ، وأنت يا ناسامو ، ألا تذكر أن والديك تركاك أثناء المجاعة ، وأمرت برعايتك حتى كبرت؟، والآن تتركني وتفر مني؟، أما كل هؤلاء الخدم لم يعرف أحد فيهم الأمير فكانوا يظنون أنه مجنون سمع أخبارهم فهو يرددها.

وقد استيقظ كل واحد في المدينة ، والأمير جالس القرفصاء يقلب كفيه ويقول "وهكذا بني آدم ، لا يفوقه أحد في كل هذه الدنيا في نكران المعروف ، إذا لم تعرفوني افتحوا لي الباب ، إذا وأنني زوجاتي سيتعرفنني أو نادوا لي مرجانة هنا ، فهي تعرفني"

ولم ينته من كلامه حتى رأى رأس مرجانة على سن الرمح ، فقال للأمير "أنت مجنون ها هي مرجانة التي تتكلم عنها والتي قلت أنها ستعرفك ، وقد قتلت".

الجميع يعرف أنها كانت فاسقة ، وكان الناس يسيرون خلفها ، ويقولون "تستحق ، أن ما فعله الأمير هو الصواب"

رفع الأمير رأسه ونظر إلى أعلى الرمح ، فرأى رأس مرجانة ، فتعجب ، وقال "من له السلطة أن يفعل هذا الأمر في هذا البلد غيري؟" ، فلم يستمع إلى كلامه أحد ، ولكنهم ظنوه مخبولا.

أثناء وقوفه يتعجب ممن أمر بأن تقتل ، أخرج رئيس الشرطة الورقة التي أمر الوزير فيها بقتل مرجانة وختمها بخاتمه أمس ، وتوقيعه الذي أمر وأذن بذلك ، لعلك تتذكر أنه أخذها بيده ليوصلها إلى مرجانة ، لتكتب فيها اسم زوجها أبوكى ، وتبعث بها إلى رئيس الشرطة لينفذ ما فيها ولكنها لم تبادر بأخذها ، وقالت للأمير أن ينتظرها حتى تنتهي من عملها ، ويذهب هو ليستحم والورقة في جعبة ثيابه.

والصق رئيس الشرطة هذه الورقة على الحائط ، ليرى الجميع خاتم الأمير وتوقيعه عليها ، وكيف أنه أعطي أمراً بقتل مرجانة.

نظر الأمير فرأى خاتمه وتوقيعه ، واسم مرجانة في الفراغ الذي تركه ليكتب فيه اسم أبوكى ، فقلب كفيه عجبا ، وقال "ألست أنا الأمير جاتو.، أم أن الجن مسنى"

وبينما كان الأمير واقفا ، توافد الناس لقراءة الأمر الذي أصدره الأمير بقتل مرجانة، ويروها مقطوعة الرأس ، وها هم رجال الحاشية ، وخدمة يدفعونه ليتجمعوا في القصر ، وإذا رأى أحداً ممن يعرفهم يمر ، يمسك قميصه من الخلف ، لعله يلتفت فيراه ويعرفه ، ولكن كل من شعر أنه قد أمسك قميصه التفت غاضبا وضربه على يده ، وربما احتقره أحد فلطمه على وجهه.

فلما رأى سامو أن الأمير دخل وسط الناس ، يبحث عمن يعرفه ، تبعه وجذبه ، وقال "أنت ، ارجع إلى الخلف ، إنك إلى حيث لا ينبغى الدخول ، تعال حتى لا تمزق قميصى بلا فائدة ، إذا رأيتهم يجرحون كرامتي في قميصى ، لن ترفع قدمك من هنا حتى تخيطه ، لا يكفيك ما رأيته هنا ، فتدخل وسط هذا الجمع من الناس الكبار؟" ، فتراجع الأمير إلى الوراء ، لأنه لا يملك أن يعارض سامو ، فيأخذ قميصه ويتركه عاريا.

وبينما كان واقفا يتعجب ، رأى من بعيد الوزير مقبلا ، والناس يتبعون خطاه قاصدا القصر ، فلما رآه جري نحوه وهو مسرور ، وهو يرتعد من شدة البرد ، وأسنانه تصطك، والمخاط ينزل من أنفه من شدة البرد الذي أصابه أمس ، ويكاد صوته لا يخرج وقال "يا وزير يا وزير ، انتظر لأنى معك ، من حسن حظى أننى وجدتك"

فلما رأى الوزير أنه يجري وراءه ، زاد من سرعة سيره ، يحسبه مخبولا ، ولم يلتفت إليه ، وهو يقول "كيف عرفنى المعتوه اليوم؟"

قال الأمير "لا ، عجبا أيها الوزير ، لم أكد أعرف أنك غبى حتى أنت أيضا تقول أنك لا تعرفنى ، ألست أنا الأمير جاتو؟"

ومضى الوزير وهو يضحك ، ويقول " حتى لو قلدت صوته ، لقد شابهته ، لولا أنك لا تخرج الكلام جيدا " ، وقبل أن يصل أحاط به الناس الذين كانوا يتبعونه ، ومنعوه من الوصول إليه ، فظل يعارضهم بعناد ، ذاكراً أنه الأمير ، فانهالوا عليه ضربا ، فمنعهم الوزير ودخل إلى القصر وهو يقول "لولا الرحمة لضرب المجنون؟، إذا لم يضربه الناس لأسمعهم كلاما فارغا فيضحكون"

ولما وصل الوزير إلى الممر الكبير انحنى الخدم وأخذوا يحيونه، وفتحوا له الباب ليمر فذهب إلى ممر آخر ، فحياه الخدم وتجاوز هذا الممر ، حتى وصل إلى مكان انعقاد المجلس.

بينما كان الوزير في انتظار دخول الأمير ، ويذهبان معا إلى المجلس ، ظن أن حدثا عجيبا وقع ، وعندما سمع وقع الأقدام ، هب قائما ، ظن الأمير مقبلا ، فرفع عينيه ، واقتربتا من أبنه أبوكى ، يرتدي ثياب الأمير كلها"

سأله الوزير "كيف حدث ذلك؟!"

ركع أبوكى أمام والده ، وقص له كل ما حدث ، وقص له كيف تتبع الأمير ، في الحديقة واختبأ ، وسمع كل ما يدبره مع مرجانة ، وقص له كيف سرق ثياب الأمير وارتداها ، ودخل القصر عشاء ، والكل يحسبه الأمير ، وكيف كتب اسم مرجانة على الورقة التي وقعها الأمير ووضع عليها الخاتم ، حيث ستكتب مرجانة اسمه وتبعثها إلى رئيس الحرس ليقتله ، أمسك الوزير لحيته وأخذ يتعجب من هذا الأمر.

نظر الوزير إلى فصيح وقال "سمعتك تسكت ، استمر وأكمل"

قال فصيح "فيما استمر، والله هذا هو نهاية القصة التي سمعتها ، نصرك الله"

قال الوزير "أية قصة تنتهى هكذا ؟ ، ماذا حدث للأمير جاتو؟، ومذا حدث لأبوكى؟، وما هي قصة قميص سامو؟ ، تظن أنك أنهيت هذه القصة وهى لم تنته."

قال فصيح "لقد قلت أننى استرقت السمع من منزل الأمير الارو ، وقد وصلوا بالقصة إلى هنا حيث توقفت ، ثم رأيتهم يغلقون الباب كأنهم سينامون ، أو ضايقهم البرد ، وهذا ما منعنى من سماع باقي القصة ، كنت أظن أنك لو سمعت منى القصة إلى هذا الحد تكملها لى حتى آخرها"

قال الوزير "ليس لهذا مغزى مفيد يجعلني أكمل لك القصة ، الأفضل أن أقص لك التحذير الثالث عشر.

قال فصيح " وهو كذلك"

بدأ الوزير "ربما أنك لم تسمع قصة المدينة التي تسمى ، ليس هنا في الجنوب ، التي يفخر الناس باسمها قائلين "مدينة كل واحد أمير"

قال فصيح "لم أسمع شيئا عنها حتى اسمها إلا اليوم".

قال الوزير "الله أكبر ، إنها مشهورة"

ساعة الحظ التى تفوق المتاع الكثير

كان يعيش في هذه المدينة رجل يسمى عبده يانا ، وكان له ابن يسمى سومالى ، كان ولداً مؤدباً ومطيعاً ومجتهداً ، ومع ذلك ، لم يهبه الله ذرة من الذكاء ، لا يستطيع أن يفهم شيئا من نفسه ، إلا ما يقال له ، ولم يكن متكبرا ، ولا يرفض شيئا ، وكان كل أهل المدينة يدعون له بالبركة.

ولكن انتظر لتسمع أخبار غبائه ، ذات يوم بعثه أبوه إلى السوق ليشري له ثمار الكولا ، فذهب ووضعها في فمه حتى لا تضيع ، ولما وصل إلى أبيه أخرجها وقدمها إليه، فقال له الأب "أنت غبى ، لوثت لي الشئ بغبائك، لما لا تضعها في جعبتك؟"

قال سومالى "سأراعى ذلك مستقبلا"

وذات يوم بعد مرور عدة أيام ، بعثه أبوه ليحضر لأمه بعض النار ، وكانت قد صنعت له ثوبا جديدا ، فلما ذهب رمى الشقفة ووضع النار في جعبته ، وبعد قليل اشتعلت النار فيها ، فخلع الثوب وألقاه على الأرض محترقا ، وعاد إلى المنزل خالي اليدين ، عدا ما يستر عورته.

ولما رآه الأب قال "أين النار التي بعثتك لتحضرها؟"

قال سومالى "احضرتها ووضعتها في جعبتى كما أمرتنى أن أفعل دائما ، فاشتعلت وأحرقت الثوب تماما"

غضب الأب ، وقام وأمسك أذنه وعركها وقال "كان عليك أن تذهب الشقفة وتضعها فيها ، يا أكبر غبي"

قال سومالى "تبت يا أبتى ، لن أفعل بعد اليوم إلا ما يسرك"

وهو على هذه الحال بعثه أبوه ذات يوم إلى كبير القصابين ، وسلمه ثلاثة جنيهات كانت دينا عليه ، فأخذ شقفة صغيرة وقصد محل القصاب في السوق ، وقابل كبير القصابين ، وبلغة رسالة عبده ، أخذ كبير القصابين ثلاثة قروش من الجنيهات الثلاثة ،

وقدمها له ، فأخذ يضعها على الشقفـة ، فلم تأخذ أكثر من عشرة مليمات وامتلأت وقام وهم بالانصراف ، فقال كبير القصابين " وهذه؟"

قال سومالى "قال أبى أن أضع الدين الذي عليك في الحائط ، وها هى قد أمتلات " .

قال كبير القصابين "خذ ، ضع الباقي في جعبتك" .

قال سومالى "لا ، لا أضـعه في جعبتى ، ما أدراك مـا حدث لى عندما قلت ذلك اول أمس ، ثم جمع الباقي ووزعه صدقة على الناس ، وأخذ الباقي في الشقفة ، وقدمه إلى والده ، وذكر له كل ما حـدث ، ولم يخف شيئا ، فلما سمع الأب ذلك عـجز عما يقوله ، ووقف سومالى ينتظر ان يمدحه أبوه فقد أحسن اليوم عملا .

صمت الأب واخذ يفكر فيما يفعله ليربيه فـقد صار مثقفا ، ثم تنهد وقال والأفضل ان تأخذ مشورة السيد زرقيه بن محمد(*)"

انحنى سومالى وقال "إذا كنت تعرف مكانه يستطيع أن يقول لى الأشياء التي أفعلها لتـدخل السـرور على قلبك ، دلنى على مكـانه لأذهب إليـه ، حتى لا أظل أفـعل مـا يغضبك"

قال عـبده يانـا "لا أتمنى أن يزداد أمرك سـوءاً حتى تضطر للذهاب بك إليـه ، من يعمل عمله هذا توفي من قبل عصر الجهاد؟، لذلك أريد أن تتبع هذه المشورة وأستطيع أن أذكر لك تلك المشورة هنا ، ذات يوم جاءه فتى كـسلان جبان وطلب منه أن يساعده بدواء ليكون مجتهدا ، لأن جـميع أقرانه يسخرون منه لأنه جبان ، قال له الأسـتاذ زرقيه يوجد العلاج لذلك ، وهو دواء فعال ، إذا تم خلطه بدقـه ، في البداية قال له السبب في ذلك هو فقدان بعض أعـضاء جسم الولد ، قال إذا لم يؤت بها وتستكمل لن يـكون شجاعا ، طاطأ الولد رأسه وقال للمعلم زرقيه إنه يطلب المساعدة مهما كلفه الأمر من مال .

قال السـيد زرقيـه "إن غاية علمنا أنه لا يوجد في حـيوانات الغابة مـا يفوق الذئب شجاعة وعظمة.

قال الصبي "نعم ، غفر الله لك يا سيدي"

قال له السيد زرقيه "ولعلك تعرف أن أقوي ما في الذئب أسنانه؟"

قال له الغلام "نعم"

قال السيد زرقيه "حسنا ، إذا وجدت ذئبة ميتة ، قبل أن تسلخ ، حاول أن تنزع أنيابها اليمنى ، وتطحنها أو تدقها ، وتخلطها بلحمها وتأكله ، وإذا مضت سبعة أيام على ذلك ، افعل هذا مرة أخري ، لمدة سبعة أيام ، وبعد ذلك عد إلى سأزودك بما يمكن أن تفعله.

فرح الصبي ، وهم بالانصراف فقال له السيد زرقيه ، انتبه، لا أريد أسنانا عجوزة ، لا يمر عليها يوم واحد قبل طحنها ، هذا أول ما يخلع من جسدها بعد موتها ، ويؤكل.

شكره الصبي وانصرف ، وبمجرد خروجه لم يتوقف إلا في السوق عند العطارين وأخذ يسألهم عن أسنان الذئب اليمنى ، فأعطوه ما احتفظوا به من أسنان لمدة سنوات ، فقال أنه لا يريدها عجوزة ، يريدها قد قتلت الآن ، ظن العطار أنه يسخر منهم ، فسبّه ، وقالوا له عليك أن تذهب إلى الغابة ويقتلها هناك إذا كنت تريد شيئا حديثا ، أم أنك لست شجاعا؟ ، طاف في السوق يسأل العطارين فكان يضحك عليه الناس ، أما سريعو الغضب فكانوا يضربونه.

ظل يطوف الأسواق ويسأل ، ولكن دون جدوى ، حتى تأكد أن هذا الطلب لا يمكن الحصول عليه بهذه الوسيلة ، ولشدة التعب الذي أصابه من جراء هذا والضرب الذي ناله من الناس ، جعله يتعود الصبر على الصعاب ، لذلك قال في نفسه "لابد أن هذه الأسنان لا وجود لها في هذا السوق ، ولابد أن أذهب وأقتل ذئبا بنفسي" ، لذلك ذهب إلى كبير الصيادين ، وطلب م نه أن يلازمه خادما له ، وعلمه كبير الصيادين كيف يصطاد ، وأمده بتميمة تخفيه عن الأنظار ، وغير ذلك من المساعدات اللازمة للصيادين.

عندما رأى الصبي أنه مهر في الصيد ، خرج ذات يوم في منتصف الليل ، وتوغل في الغابة وحده ، وبحث عن شجرة صغيرة وتسلقها واختبأ فوقها ، وقلبه يخفق من شدة الخوف ، وبعد قليل رأى الذئاب قادمة ، فثبت السهم في القوس وأطلقه على إحداها وجسمه يرتعش ، فتفرق الباقي أما هي فماتت ونزل وفتح فمها ، ووضع الفأس وخلع الأسنان التي طلبها السيد زرقيه ، وجاء بها إلى المنزل ، وفي الليل دقها ، وأكلها كما ذكر له ، وعندما طلع النهار طلب من كبير الصيادين أن يقتفى أثره لأخذ الذئاب التي اصطادها.

ولما رأى أنه انتصر في هذا اليوم ، جمع متاعه وعاد إلى الغابة وعزم على الا يقيم في المدينة بعد ذلك ، وجمع ما طلبه منه السيد زرقيه ، وعاش حياته هناك يصطاد

حيوانات الغابة ويشويها ويأكلها ، أو يبحث عن الشجيرات الصغيرة ، وعندما حان الليل أخذ يتجول في الغابة وكأنه ليس إنسانا ، ويصوب الحراب يصطاد كل ما يقابله.

وبعد أن مر سبعة أيام ، أخذ يبحث عن ذئب آخر ، ولم يأخذ معه في هذه المرة القوس ، فيما عدا الرمح يطعن به ما يقابله ، ويأكل الناب ويقضى حياته داخل الغابة في المكان الذي يخاف كبار الصيادين الاقتراب منه ، وأصبح هذا المكان المفضل للسمر عنده ، ولقد استبطأ مرور الأسبوع ليكتمل الأسبوع الثالث ، فلما كان أول يوم من الأسبوع الجديد لم ينتظر حلول الليل ، وفي الفجر خرج يبحث عن الذئاب في كل مكان ولم يجدها ، لقد خافت كل الذئاب منه ، وهربت ، وبينما كان يتجول في الغابه سمع صوت إحدي الذئاب ألتي ترعي أطفالها في أحد الكهوف ، فرمي القوس ، وأطل برأسه في الجحر ثم دخل ولم يكن معه حتى العصا ، فلما فتحت هذه الذئبة عينيها ورأته ، قالت "لم أتلق أمرا بمقاتلة أحد سواك"

وهجمت عليه ، فأمسك عنقها ولواه ، وضرب راسها بالحجر، وألقاها على الأرض ميتة ، وانتزع الأسنان التي يريدها ، وطحنها وأكلها.

واستعد وذهب إلى السيد زرقيه يأخذ معه جلود الذئاب التي قتلها ، فلما رآه قال له "أحييك أيها الرجل ، عليك أن تعود إلى قريتك من اليوم لن تشعر بأن أحداً من أخوتك يحتقرك"

قال الصبي "قريتنا؟، ما شأني بالأولاد؟، يجب أن تطلب من الأمير أن يجعلني ضمن الفرسان."

ولما أخبر السيد زرقيه الأمير قصة هذا الولد ، تعجب من هذا الأمر ، وعينه أميراً للحرب ، وظل يذهب مع الفرسان إلى ميدان القتال ، ومنذ هذا اليوم ، إذا خرجوا إلى ميدان القتال ، وإذا صرخ هذا الغلام صرخة الحرب ، وهجم على الأعداء ، رأيت كل واحد منهم يولى الأدبار.

عندما رأى سومالى أن إياه انتهى من هذه القصة ، وكيف أن هذا الطفل الجبان صار شجاعاً جداً ، كل هذا ولم يدرك مغزى هذه القصة ، ولا السبب الذي جعل أياه يقصها عليه ، ونظر إلى أبيه وقال "لابد أن السيد زرقيه هذا بلغ الغاية من العلم ، ولكن للأسف لا يوجد ذئاب هنا في هذه المدينة ، حتى أقتض أثر هذا الغلام حتى اصل إلى سدة الحكم"

عندما أدرك عبده يانا أن مع كل ما قاله لم يدرك ابنه مغزى الحديث ، وأنه كان ليضرب له مثلا فقط ، وليس ليتبع ما قاله تماما ، قال له "صدقت ، لا يوجد ذئاب في هذا البلد ، وطالما الأمر كذلك سابعثك إلى الحي السوري في مدينة كنو ، حيث يوجد كثير من الذئاب ، وهناك تستطيع أن تجد من تعيش معه ، وتتعلم الأشياء التي إذا فعلتها تسرني" وجهزه ، وقال له أبوه "لا يوجد لدى وصايا أزودك بها أفضل من هذه الوصايا الثلاث التي علمتك إياها وأنت صغير ، التي تساعد الإنسان في الحياة الدنيا وعليك أن ترددها الآن لأعرف مدى حفظك لها"

قال سومالى "هذه الوصايا ، حتى لو كنت نائما أستيقظ وأقولها، الأولى حب الأمراء ، الثانية ، طاعة الوالدين ، الثالثة حب الرفاق."

قال عبده يانا "إنها هى كما علمتك تماما ، عليك أن تستعد للرحيل ، أعادك الله إلينا سالما ، ويوفقنا بقدر نيتنا آمين"

وكان هدف عبده يانا ، أن يبعث هذا الغلام فيختلط بأبناء مدينة كنو ، الذين تثقفوا في الحياة الدنيا ، فيعلموه الذكاء.

قال فصيح للوزير "من هو السيد زرقيه هذا ، الذى اشتهر هكذا؟ ، لم أسمع أسمه".

قال الوزير "ماذا، أتعيش في هذه المدينة وتقول أنك لم تسمع قصة السيد زرقيه ابن محمد؟ ، ألم تقرأ قصة الحاج أبو بكر إمام الذي حصل على الماء الشافي؟"

قال فصيح "لا ، لم أقرأها من قبل"

قال الوزير "سبحان الله ، أنت هنا والناس يذهبون للاستمتاع بالحياة الدنيا ، ويتركونك وراءهم ، الأشياء في كل مكان رخيصة، بالله عليك اشتر واحداً وأقرأه لتعرف كل الأخبار التي لم تسمعها في الحياة الدنيا ، حتى الآن لم تسمع أبدا قصصا ممتعا سوى قصة السيد زرقيه والحاج إمام في قصة الماء الشافي ، وطالما أنها تباع في السوق لا ينبغى أن تتوقف لأقول لك ذلك، أو تستمر في قصة سومالى التى نحن بصددها"

قال فصيح "فلنستمر ، إن شاء الله غدا ، أشترى هذا الكتاب ، حتى لا يجعل حب الماء الإنسان أجهل من السمك في الماء"

قال الوزير "صدقت فيما قلت"

استمرّ سومالى في طريقه حتى وصل إلى الحي السوري في مدينة كنو ، فلما وصل رأى منزلا جميلا ، ويجلس في أحد المحلات رجل لبناني ، فقال له سومالى إنه رجل غريب ويبحث عن مكان يعمل فيه خادما ، فسأله اللبناني عن اسمه والبلد التي جاء منها، فقال له سومالى على كل شئ ، فسأله اللبناني هل يرغب أن يقيم معه ، فرد عليه سومالى بالإيجاب ، فأعطاه حجرة ونزل فيها.

وكان هذا اللبناني يقدم لعب الأطفال ، لتباع له ، على سبيل المثال ، يقدم السيارات الصغيرة ، والسيارات التي تسير بالزمبلك ، أو الطائرات الصغيرة ، أو الجمال أو الطيور الصغيرة ، وغير ذلك ، وكانت هذه اللعب لها سوق مربح في مدينة كانو ، لأن أطفال الأثرياء يشترونها ليلعبوا بها ، ولأنها كانت مطلوبة كان هذا الرجل الشامي يبحث عن الأطفال ليأخذوها ويمروا بها على الأسواق في مدينة كانو ليبيعوها.

وكان هذا اللبناني يعاني كثيرا من الأطفال الذين يقدم لهم هذه اللعب ليبيعوها لأن كثيرا منهم كان يعود ويقول له أن اللصوص سرقوه ، أو سرقوا المال الذي باع به ، والبعض الآخر كان يصرفها ، ويدعون أن نهر كذا فاض وجرفها ، ونجا بصعوبة وجرف التيار اللعب ، وكثيرا من هذه الأكاذيب كانوا يخترعونها دائما فكان يعاني منهم ، وبينما كان يبحث عن ولد أمين أرسل إليه الله سومالي إلى المنزل ، ومع ذلك لم يقل له الشامى أي شئ وتركه حتى يرتاح ، ويعرف المدينة وإذا اختبر عقله وأدرك أنه أمين ، بدأ يعطيه السلعة ليبيعها في السوق.

وبعد حوالي سبعة أيام ، جاء أحد خدم الشامي الذي لم يفارق سومالى ، وقال له منذ خلقه الله ، لم ير أحدا غبيا مثل هذا الشاب الضيف الذي يسمى سومالى ، فهو غبى ومدلل مثل الابن الأول.

قال الشامي "كيف ، لعله يكذب؟ وهل تراه سيئا؟"

قال هذا الخادم "يا سيدى حتى لو أراد الكذب لا يستطيع ذلك ، فهو من شدة غبائه لا يعرف موضع الله ، فكيف يفكر في الأمر السيىء؟، إنه من النوع الذي يفضله الشوام، لأنه لا يضرهم"

وطلع النهار واشتاق هذا الشامي أن يجد ولدا طيبا ، ثم نادي سومالى ، وجمع له بعض اللعب في هيئة الديوك التي صنعها ، ووضعها في إناء كبير ، وأخذ يعلمه كيف يصيح كالديوك ، ولما رأى أنه أجاد الصياح ، طلب منه أن يذهب إلى السوق ، إذا جاء الأطفال للشراء يستمر في الصياح ، وإذا لم يكن عندهم وعى ، إذا سمعوا صياحة يظنون أنه صياح الديك.

قال سومالى "وهو كذلك" ، وأخذها وتوجه إلى إحدى أسواق الريف ، وطلب الرجل الشامى ألا يعود حتى يبيعها كلها ، أو يعود بالباقي الذي لم يبعه.

وكان صاحبنا هذا يذهب كل سوق ، ويطوف فيه حارة حارة ، والإناء الذي به الديوك على رأسه وهو يصيح ، ولم يدرك أن الصياح عندما يأتى الأطفال للشراء فقط عند ذلك يبدأ الصياح خفية ، عندما رآه الأطفال يطوف الشوارع وهو يصيح ، أقبلوا عليه وساروا وراءه يضحكون ، ويقولون أنه يجيد الصياح ، إذا سمعته يخيل إليك أنك ديك ، من لديهم قليل من المكر من الأطفال كانوا يطلبون منه أن يستمر في الصياح بصوت مرتفع، حتى يأتى غيرهم للشراء.

فكان صاحبنا هذا يستمر في الصياح منذ الصباح حتى العصر ، ولم يرفع طفل واحد رأسه ليرى الديوك التي في السلة ، ولكنهم كانوا يلهون مع سومالى فقط ، ويرون كيف يحرف فمه ، ويصيح مثل الديك ، فيضحكون ، فلما رأى أنه طاف السوق ، ولم يحاول أي طفل الشراء ، يعود بها إلى المنزل حيث الرجل الشامي دون أن يبيع منها شيئا ويقص له كل ما حدث.

فلما سمع الرجل الشامي منه ذلك نهره وقال له "الله يلعنك يا سومالى، التى ولدتك ارتكبت إثما بولادتك ، طالما أنها لم تعلمك شيئا من أمور الحياة الدنيا"

ركع سومالى وقال "ليس لأبى ذنب ، لأنه حفظني ثلاثة أشياء تساعدني في الحياة الدنيا ، وهي حب الرؤساء وطاعة الوالدين وصداقة الأخوة دائما تكون على لسانه " ونظر إلى الشامي وقال "وإذا تأملت ما فعلته لك ، إذا تأملتها ووجدت أنني خالفت واحدا منها ، عليك أن تلومنى ، فأكون قد أذنبت في حقك"

نظر إليه الشامي وقال "هذه الأمور الثلاثة التى تساعد الإنسان في الحياة الدنيا ، هل سمعت أنها تساعد التاجر الجائل في بيع بضاعته؟، إذا سمعتك تقول هذه الأمور الثلاثة

مرة أخري ، سأضربك الآن " ، ولشدة غضبه رفض أن يقدم له شيئا حتى الطعام ، ولا أجر المشقة التي لقيها أثناء الذهاب إلى القرى ، ثم أخذ بعض الطاسات وقدمها إلى سومالى ليتوجه إلى أحد الأسواق لبيعها ، وكان بعض هذه الطاسات مربعة ، والبعض الآخر مثلثة وبعضها مستدير ، ولما هم سومالى بالقيام حذره وقال له "وبالله عليك أن تجتهد ، ولا تعد دون أن تبيع واحدة ، هل سمعت" ، وظن سومالى أن الشامي يريد أن يعود دون أن يبيع واحدة ، لذلك قال "وهو كذلك" ، ولكن الشامي لم يسمع هذه الكلمة.

وسار سومالى حتى وصل إلى القرى التي طلب الشامي أن يصل إليها ، وعندما وصل إلى السوق ، ونثرها أمامه ، وجلس يحرسها ، بينما هو جالس أخذ الناس يقبلون عليه للشراء ، إذا أخذوها ليتفرجوا عليها ، عابوا أشياء فيها كعادة من يريدون شراء شئ حتى يأخذوها بثمن بخس ، وإذا نظر إليها أحدهم قال "هذه جميلة ولكنها عميقة" وآخر يقول "لولا أن هذه أكثر اتساعا ، لكانت مثل التي أريد شراءها" ويقول آخر "لماذا صنعوا هذه مربعة؟ ، هذه الطاسة جميلة ولكن هذا الشئ أفسدها" ويقول آخر "هذه جميلة ، ولكنها لا تلمع ، انظر هذه جميلة جدا ولكنها ثقيلة"

فلما سمع صاحبنا هذا ، قال "إنني أوافق على ما تقولون ، وألا حظ ذلك أيضا ، الأفضل أن أعود وأقول لصاحبها ذلك ، لعله يصلحها" ، ثم جمع الطاسات ، وعاد إلى المنزل.

وعند وصوله انحني وحيا رب البيت ، وقال له كل ما عابه الناس في هذه الطاسات ، ولما رأى الغضب قد سيطر على الشامي ، صمت وظن أنه يفكر ، ثم قال "إذا أمعنت النظر تري أنهم محقون ، وأنا موافق على كلامهم ، يجب أن تصلح حتى تصير جيدة ، فأعود لبيعها ، إذا أصلحت هذه الأشياء لا بد أن سعرها لا ينخفض ، لأنني كنت أري كثيرا من الناس يحيطون بى"

لم يجد الشامي ما يرد به عليه ، ثم قام ينظر إلى جسم سومالى ، وفمه ، وخزه بإبرة ليرى ما إذا كان يشعر أم لا ، أو أن صحته جيدة أم لها ، فلاحظ أنه بحالة جيدة ، فتعجب من أمر هذا الولد ، فلم يستطع أن ينطق كلمة واحدة ، ثم خطرت على باله فكرة وهي كيف يعلمه دون أن يسبب له حرجا ، لذلك كظم غيظه ، ونظر إليه وقال "لا شك يا سومالى أنك منتبه ، لم أر ولدا حكيما مثلك ، وسأعمل على إصلاح هذه العيوب التي فيها ، والربح الذي ستناله من هذه الطاسات لا نهاية له"

شعر سومالى بالسرور عند سماع هذا الثناء ، وابتسم وقال "الآن ترى ما رأيته"

قال الشامي "لا ، كل ذى عقل يري ذلك ، ولكن ما رأيتـه أكثر ، لقد مضىّ وقت لا فائدة من قبل أن نصلحها ، والأفضل أن أعطيك بعض السلع القيـمة ، لتحملها لبيعها في أى بلد، ولكن عليك أن ترعـاها جيدا ، ولا آمن أن أعطيـها لأحد يبـيعهـا سواك ، سأعطيـك بعض الحشرات ، إذا رأيتـها تظنهـا جرادا ، ولكنهـا ليست جـرادا ، تأخذها وتبيـعها إلى القرب من هنا، في بلدة أحـد الأمراء اسمه همـريا ، ولا شئ مربح في هذا البلد مثلها ، تباع الواحدة في السوق بشلن واحد وأحيانا تباع بشلن وثلاث مليمات" .

قام الشامي وجـعل الأطفال يمسكون له الجراد ، وأحضر صندوقا ووضـع فيه جرادا كثيرا وغطاه ، وقدمه إلى سومالي وودعه.

عندما شعر سومالى بذلك فرح وشعر أنه لقي القبول عند رب المنزل ، واستعد وأخذ الصندوق وذهب ، ولعلك تعرف أن الأميـر همريا لا يضايقه شئ مثل الجـراد ، لقد قتل كثيرا من هذا الجراد ولكنه كان يزداد ، وبسـبب هذا الجراد يعاني الناس من المجاعة وكادوا يأكلون التراب ، وصـاروا من شدة الجوع كـالفئران ، وأصـبحوا لا يفـعلون شيئـا سوى الدعاء لله أن يخفف عنهم هذا البلاء؟

وكان الشـامي يقصـد من وراء ذلك أن يذهب سومـالى بالجراد ، فـيظن الناس أنه يسخر منهم فيطردونه ، وربما يحملها إلى السوق فيهلكه الأطفال ، فيرتاح منه.

وأثناء رحيل صاحبنا هذا ، تحدث في نفسـه قائلا "لابد أن القصة التى قصها له أبوه عن الولد الذي نال السلطة بعـد قتل الذئاب ، تكاد تحـدث له ، ولذلك قص له أبوه هذه القصة وليـعرف أن هذا سيحـدث له ، فبيع هذه الديوك الحديدية تماثل الذئاب التـى قتلها الولد في بداية الأمر ، وبيع الطاسـات هي الذئاب الثانية ، والإقـامة في الريف هي هذه الرحلة الطويلة ، ولا شك أن بيع هذا الجراد هو بديل لقـتل الذئب الثالث ، أى أن القدر الذي ينتظره بعـد بيع هذا الجراد هـو السلطة" ، ثم صاح من شـدة السرور ، ولما كـان لا يستطيع الغناء أخذ يصـيح ، لأن الصياح هو الشئ الوحيد الذى تعلمـه ، ثم زاد صياحة متمنيا أن يصل إلى المدينه حتى يحقق مراده.

وكان كلما أشتدت حرارة الشمس ، يتوقف ويبحث عن أوراق خضراء وماء ويقدمها

إلى الجراد ، وإذا أراد أن يروح عن نفسه ، إما أن يؤذن كالديوك أو يسمع الأمور الثلاثة التي تجعل الإنسان يشعر بلذة الحياة الدنيا ، وذات يوم بينما كان يسير خطر على فكره أن يعلم سلعته هذه بعض الحركات التي تجعل الناس يقبلون على شرائها ويبيعها بثمن مرتفع ، وتعود كلما قدم لهذا الجراد لا يرميه لهـا مبعثرا ، ولكن يصبه لها على الأرض ، وينتحى جانبا بأوراق النباتات ويقلبها ويصفر ، فتخرج إليه فلما تره تجري وتتسابق ، وتحاول الوصول إلى الطعام رويدا رويدا كما تعودت على هذا ، حتى إذا لم يوجد طعام إذا رأت أنه وضعها على الأرض ، وصفر تسرع وتذهب إليه جريا ، وكانت لا تستطيع الطيران لأنه انتزع أجنحتها التى تطير بها

ولما رأى سومالى ، أنها تستطيع هذا ، أخذ يداوم على تعليمها ، فكلما سمعته يصفر تخرج كلها من الصندوق إذا فتحه لها ، وإذا سمعته يقول "شت"، يسرع الكل بالعودة إلى الصندوق ، وأشياء أخري صغيرة علمها لها ، ومن هنا ندرك أن لكل مخلوق عقلاً إلا أن بعض التعليم يحتاج إلى صبر.

وذات يوم كان سومالى يجلس على شاطئ أحد الأنهار ، يعلم هذا الجراد كل ما يريده، ويصبغ ريشها باللون الأحمر ، ورفع رأسه فرأى رجلا أسود واقفا خلفه ، ينظر للأشياء التي يفعلها ، فتملكه الخوف فجمع الجراد ووضعه في الصندوق ، وهم بغلقه.

فقال له هذا الرجل " لا تخف ، يوجد رجل عظيم نحن نتبعه ، إذا تتبعتني وأريته هذا الجراد ، وهذه الأمور التي علمته إياها وأنت غلام صغير هكذا ، ستنال المال الذي تشتري به الثريد أليس هذا أنفع لك؟".

قام سومالى وجمع الصناديق وتبع الرجل ، دون أن يعرف من هو ، ولا إلى من سيأخذه ، لقد كان رئيس قصر أمير هذه البلاد كلها ، لقد قضوا وقتا طويلا يطوفون في البلاد، فلم يجدوا شيئا يسر فى كل هذه البلاد ، وكان هذا الأمير رجلاً يحب المرح ، لذلك كلف رئيس قصره أن يطوف البلاد ليبحث عمن يدخل السرور إلى نفسه ، ولما لم يجد ظل قلب الأمير في حزن ، وقد آلم هذا الأمر رجال الحاشية ، وحاول كل رجال الحاشية والساسه أن يجدوا مخلوقا يدخل السرور على قلبه فلم يجدوا ، وعملوا له كل الأشياء التي تدخل السرور على قلبه حيثما يكون في القصر ولكن كلما رأى الأمير أنهم يقلدون الأشياء التي يعرفونها كان يزيده الأمر حزنا ، لأنهم لا يعرفون كيف يؤدونها جيدا:

وكان شئ واحد الذي يجيده أمير القصر ، كان يضحك الأمير به إذا ذهبوا إلى المدينة، وهو أن يقفز إلى أعلى ، ويضرب الأرض بقدميه ، ويفعل كالضفدعة إذا أمسكها الثعبان ، واليوم عمل هذه الأشياء كلها حتى تعب ، ولم يضحك الأمير ، حتى قال له "ما هى هذه الحركات التي تفعلها اليوم ، كأنك مطعون بسكينه والأفضل أن تطعن فعلا بالسكين حتى يكون ذلك مبعثا للضحك"

فلما رأى رئيس الحاشية الأمير على هذه الحال فزع ، وخرج وهو يفكر فيما يفعله حتى وفقه الله وتقابل مع سومالى ، ولما وصلوا إلى معسكر الأمير، نظر سومالى إلى الخيول والأكواخ ، ولاحظ أنها كثيرة ، فأثار هذا الأمر دهشته ، وبينما هو يفكر فيما سيفعله وماذا يقول إذا سأله ، رأى رئيس القصر يدخل به كوخا كبير ووجدوا شخصا يتربع على كرسى ، يشبه في جلسته حرف الكاف ، يبدو عليه الحزن وكل رجال القصر يحيطون به ، الشرطة على الأرض واقفين ينحنون ويؤدون له التحية.

نظر أمير القصر إلى سومالى وقال "ها هو الذي ستريه ما وجدتك تفعله "، جلس سومالى وفتح الصندوق ، وأحضر بعض الحجارة وعيدان القصب ونظم بينها الصناديق ، ولف الجراد ، وتراجع للوراء فجعلها تخرج ، فلما شعرت أنها خرجت ، أسرع الجراد وانتظم وصعدوا فوق هذا الحجر الصغير ، وتدحرجوا وصعدوا فوق عود القصب الصغير وتدحرجوا ، كل يحاول أن يسبق الأخر ليصل إلى سومالى ، ويذهبون ، فإذا مضت هذه تأتي الأخرى وتمضى ، فضحك الأمير كثيرا ، فقام سومالى وأمسك التي سبقت وقدمها إلى الأمير وأخذ الكل يصفق لها.

ادهش هذا الأمر ، رئيس القصر ، فهب قائما ، وقفز إلى أعلى كما تعود، صرخ صرخة ضعيفة ، مما أدهش سومالى ، فرفع رأسه من خلفهم فرأى رئيس القصر حينما كان يقفز ، ولم يشعر هو أيضا حتى صاح بأذان الديك.

وكان رئيس القصر في مكان مرتفع ، لم يبادر بالنزول ،فسمع صياح الديك من خلفه ، فالتفت ليرى مصدر الصياح ،فسقط على ظهره ، فانفجر الأمير ورجاله في الضحك.

عندما انتهى سومالى من عرض كل الأشياء التى علمها للجراد أمام الأمير ، نظر الأمير إلى رئيس القصر وقال له "يا رئيس القصر في ذكاء مثل ذكائك أيهما أصعب: تعليم الجراد العلم أم تعليم بنى آدم؟»

صمت رئيس القصر ، لأنه يعرف أن أميره ، لا يعرف حقيقته ، كثيرا ما يتكلم كأنه يسأل ، ولكن لا ينتظر الإجابة عن سؤاله ، حتى إذا أسرع أحد بالإجابة يسبه.

عندما رأى الأمير أن رئيس القصر لم يرد علـيه ، وكان في نفسه يتمنى أن يرد على هذا ، فنظر إلى الوزير وقال "هل كنت كمن يختار شيـئا في الظلام؟ ،لقد اخترت جاهلا ورفعته حتى جعلته رئيسا للقصر"

والتفت إلى رئيس القصر وقال "قلت أنك لا تستطيع الإجابة عن هذا السؤال، أليس كذلك؟"

قال رئيس القصر "أطال الله حياتك ، كنت أظن أنك لا تطلب ردا على سؤالك."

قال الأمير» اغرب عن وجهى ، لست في حاجة إلى إجابتك ، هل سألتك؟ بكل تأكيد كل ما يقال حقيقة ، إن أعين الأمراء قد غطيت ، إذا أريد اختيار المساعدين ، لا ينظرون إلى من يستحق هذا المكان فيأتوا بالجهـلاء ويحاولوا وضعهم في المكان الذي لم يعدهم الله له ، وهذا ما رأيته ، وطالما أن هذا الصبي وهبه الله القدرة على تعـليم هذا الجراد شيئا حتى أجاده ، لابد أن تعليم الناس لن يتعـذر عليه ، لذلك لن يصلح أن يكون كبيـرا للعلماء ، إلا هذا الغلام ، وطالما أنه ليس قرويا فإنه يعلم ما المطلوب في شئون السلطة"

ونظر إلى سومالى وقال "اقترب وأخبرنا ما تعرفه عن شئون الملك"

اقـترب سـومالى ، ولكن كل هذا الحـديث ولم يعـرف صاحـبنا أن هذا الرجل هو الأمير، ولم يدرك المراد منه ، ولماذا طلب منه هذا القول ، ولماذا قرب من الأمير فقال في نفســه ، ربما يكون المطلوب منه أن يردد هذه الأمور الثـلاثة التي تساعد الرجل في الحـياة الدنيـا" ، لذلك بعد أن اقـترب أخـذ يقول "أولا حب الأمـراء . ." وهم يقول الأمـرين الآخرين، طلب منه الأميـر أن يتوقف ، وصفق له من فرط الإعـجاب ، وقال هذا الذي بدأ به القول تغنى عن كل ما يريد أن يعرفه الآن، كل الأمور التي سيـضيفها يغنى عنها ما قاله ، وفي الحــال قام الأميـر وأخذ العـمامة والقلنسـوة وعين سومالى كـبيـراً للعلماء ، وأقيمت الاحتفالات الكبيرة.

أرأيت كيف ساعد الله هذا الصـبى على أن ينال الرزق بلا تعب ، ولا اجتهاد ولكن إذا جاء أهل مدينتـه ، وسأله عن السبب الذي رفعه إلى هذا المنصب مـرة واحدة ، يقول لهم ليس بحكمـته وذكـائه فقط ، ولكن بفـضل حفظه لهـذه الأمور الثـلاثة ، التي تعين الإنسان في الحياة الدنيا.

وبعد فترة بعث كبير العلمـاء ، لكل علماء البلد للاجتماع ، وجعلهم يحفظون هذه الأمور الثـلاثة ، التي تساعدهم في الحـياة الدنيا ، وأخـبرهم بالعلاج الذي أعطاه السـيد زرقيه للطفل الجبان حتى صار شجاعا ، وطلب منهم أن يذهبوا ويعلم كل منهم تلاميذه ، لعلهم يجدون طفلا مجتهدا يقتـفي أثره ، فينال السلطة.

ضحك فصيح ، فطلب منه الوزير أن يستعد للذهاب إلى القصر.

وفي اليوم التـالي استعد فـصيح للذهاب ، فسـمع في أحد الأحيـاء في مدينة هبي تطبيلا ، فاستـدار وقصد هذا الحي ، فوجد شجيرة صغيـرة بالقرب من المكان الذي أختبأ فيه ، يطل على بعض الناس يحتفلون ، فاستهواه الأمر ، فطار وقصد المنزل ، وأخذ مالا وأخذ يقدمه للسائلين والطبالين ، فأخـذوا يمدحونه ، ويقولون «فصيح بن الوزير الكبير ، تولى أبوك الوزارة في هذا البلد ، ونسأل الله أن تكون مثله.»

وأخذ المنشدون ينشدون.

وقرب المغـرب عندما انتـهوا ذهب إلى الوزير ، فلمـا لامه على ذلك ، قـال "لقد هممت بالحضور فسمعت صوت الطبول ، ويرتفع في كل مكان في حي هبي ، فتوجهت إلى هناك لأرى ما يحدث ، فوجدتهم يحتفلون، فدخلت"

قال الوزير "وهو كذلك طالما أنك قلت لي الحقيقة"

قال فصيح "الرابع عشر"

قال الوزيـر "وهـو ذلـك طالما أن المغرب قـد حان ، اجلس لأقـول لك ، اجلس لتسمع"

الحسد لصاحب النصيب كالسماد لصاحب المزرعة

كان يعيش تاجر غريب في مدينة تسمى سامانا ، وكان كثير الثراء ، وله كلب يحبه حبا جما ، فاق طبيعة البشر ، وما دفعني إلى هذا القبول أنه مهما كان حب الإنسان للكلب فإنه يدعه يرقد على الأرض ، ولكن هذا الكلب كان مرقده على سرير عليه أثنتى عشرة مرتبة ، وغاية علمنا أن الكلب يتبع صاحبه فحيثما سار يسير عدوا ، أما هذا الكلب فقد كان صاحبه يضعه في صندوق كبير وحيثما ذهب يحمل معه الصندوق ، فإذا ذهب به إلى أي مكان ينصب خيمة ويضعه تحتها حتى لا تضره الشمس ، وغاية القول أنه وضع خمسة خدم في خدمته لا يعملون شيئا سوى رعايته.

ولما رأى الناس ذلك ، أخذوا يلومونه على هذا الأمر ، وظن الجميع أن الصلاة التي يؤديها رياء ، وأن الكفر في قلبه ، وأنه يعبد هذا الكلب ، وأخذ الناس ينادونه بعبد الكلب، وكان هذا التاجر يعرف ذلك ، ولكن لا يعيرهم اهتماما ، وإذا ضايقه الأمر يتنهد ويقول "الله وحده يعلم ما في قلب كل إنسان ، وأخذ يعبد الله ولا يهتم بكلام الناس"

وذات يوم ماتت ابنته الصغيرة ، فدعا العلماء لتشييع الجنازة ،فرفضوا جميعا ، وحدثوا أنفسهم "كيف نذهب ونصلى على ابنة الكافر؟، أتدفعنا بشدة الطبع إلى أن نأخذ أنفسنا ونلقى بها إلى الهلاك؟ ، وإذا سئلها يوم القيامة ، بماذا نبرر ما دفعنا إلى ذلك؟"

وحاول التاجر كثيرا ولكنهم رفضوا ، وقالوا حتى لو فاق قارون مالا لن نصلى على ابنته ، إذا كان سيبنى لها قبرا ويدفنها فيه فليفعل ، فليصلي عليها هو وخدمه.

ولما رأى أن الحزن كاد يقتله ، فها هى ابنته وقد عجز عن أن يجد واحدا يغسلها ويسترها ، فقام وسألهم عن السبب الذي جعلهم يكفرونه.

قال العلماء يوجد سبب ، فمنذ أن خلقنا الله لم نر أبدا في أي مكان من يفعل مع كلبه ما فعلت مع كلبك ، لذلك ظننا أنك تعبده"

قال الرجل الثري "هل سألتموني عن السبب الذي جعلني أعتني بهذا الكلب ، وأفعل معه ذلك ، رفضت أن أقول لكم ، ولكم بعد سماع السبب أن تقولوا ما شئتم

وتكونوا محقين ، أما الآن ، فأمكث بينكم وأنا برئ ، وترمـونني بتهمة الكفر ، ولعلكم تعرفون أن بعض الظن إثم"

قال أمير سمانا "لقد سمعنا كلامك ، إذا وافقت قلنا السبب الذي جعلك تفعل مع هذا الكلب ما فعلت ، فإذا رأيناك على حق ، نقم الآن معك ونذهب ونصلي على ابنك ؟ »

هز التاجر رأسه ، وقال "لولا أنكم أرغمتموني اليوم ما قلت لأنني وعدت الا يعلم إنسان القصة أبدا"

نظر إليه الأمير وقال "أنك ستقول من أجلى"

هز التاجر رأسه وتنهد وأخذ يقول:

"نصرك الله ، اسمى ليس تاجراً ، ولا عـبد الكلب ، كل هذا أطلق على أخيرا ، اسمي الحـقيقى منصور ، ولى أخـوان كبيران ، وأمـهما واحدة، أمـا أنا فلى أم أخري ، واسم الكبير ظالم ، والذي يليه أظلم ، ولما توفي أبونا ترك لنا ثروة كبيرة ، ووزع الميراث ونال كل منا نصيـبه ، وقد خلق الـله الأخوين الآخرين مـختلفين عنى ، فأخـذا يبذران ميراثهـما ، وكان لا عمل لهـما إلا أن يجمعا المـوسيقيين والطبالين والمومـسات ويأكلون ويشربون وينفقون الأموال ، ويشربون جـهارا ، وكان كل منهم يسكر وينتشي ، ويجعلان الطبالين والزمارين يسبونني ، ويقولون "أموال الناس لا تجمع لتكتنز بل تنفق في اللهو"

ورويدا رويدا انفض الناس مـن حولهـمـا ، وانصـرف كل الناس إلى أعـمـالهم ، وتركوهما لا يملكان شيئا ، وكانا حيثـما ذهبا يسخر الناس منهما، ويقولون ربما قد جنا ، وكلما قـصد أحد الأصـدقاء الذي كانا يعـرفانه من قبل يقـول لهما "بالله عليكمـا اذهبا واتركاني ، هل أنا الذى بددت مالكما ؟، فيتضايق بالسؤال ، يكفنى الآن هموم منزلي"

ولما ضاق الأمر ، ولم يجـدا مكانا يلجآن إليه ، ورأيا الخرق لا تكاد تسـترهم ، لجآ إلى بكلام معسول ، لأعطى كـلا منهما عشرة جنيهات ليذهبا حـيث يباع الفول السوداني بثمن بخس ، ويشتريان لى قبل أن يرتفع سعره ، فجمعت عشرين جنيها وأعطيتها لهما ، فذهبـا إلى إحدى المدن وبددا المال فيـها في لعب الميسـر ، ولما لم يجد أظلم طعامـا أخذ يكنس السـوق ، أما ظالم فقد كان يغسل للمومسات الأواني ، مقابل ثريد يأكله.

وبعد مـضى حوالي ثلاثة أشهـر ولم أسمع خبـرا عنهما ، بعـثت إليهمـا من عادوا

وأخبروني حالهما ، فأرسلت من يذهب ويأتيني بهما ، فلما علمت أنهما قد وصلا إلى باب المدينة أعددت بعض الخيل والثياب وقابلتهما بها ، وعادوا بهما في صورة طيبة ، دون أن يعرف الناس ما هم فيه من حال ،أخذ يدعيان أنهما استقاما ، وها هما قد أخذا المال وتاجرا فيه وعاد مستورين.

وسألتهما كيف أخذا يسرفان المال ، قال أظلم «اللصوص هجموا عليه في الغابات وسلبوا المال منه ، وقال ظالم «لقد اشترى خمسة عشر كيسا من الفول السوداني ، وكان يشعل النار فالتهمتها ، فاحترقت كلها ، وأحرقت النار باقي المال ، وشعرا بالخجل لذلك لم يعودا ليخبراني بذلك ، وهذا ما جعلهما يفضلان الهيام في الدنيا ، يعاني كل منهما من الأحزان ، فأشفقت عليهما عندما أخبراني بذلك ، فسألتهما أيحدث كل هذا ولم يصب أحدكما بأى أذى؟ ، فقالوا لقد ستر الله"

وبعد أن مكثا حوالي عشرين يوما معي ، نأكل الطعام معا ، طلبا منى بعض المال ليذهبا لشراء القطن حتى أخزنه ، وكأنني تحت تأثير السحر أعطيتهما ثلاثين جنيها.

وانصرافا ، الطبع لا يفارق صاحبه ، بعد أن أخذا المال أنفقاه في الشرب وعلى المومسات.

وبينما كنت أجلس في أمان الله ، علمت أنه بعد أن أنفقا هذا المال ، لجآ إلى السرقة فقبض عليهما وسجنا ، فلما علمت بذلك قمت بنفسى وذهبت إلى المدينة التي سجنا فيها، وتوسطت لدى وزير هذا البلد ، وحاول مساعدتي فوافقوا على أن أدفع بعض المال، حتى يطلق سراحهما ، فاشتريت بعض الثياب وقدمتها إليهما ، ورجعنا إلى المدينة مستورين ، ومنذ هذا اليوم عزمت على ألا أعطيهما مالا مرة أخري.

وبعد أن مكثا معى أربعين يوما ، دون خجل ، قدما إلى دون حياء وطلبا منى أن أمدهما بالمال مرة أخري ليذهبا للتجارة ، وهما كالكلاب المسعورة ، فرفضت وقلت لا أوافق طالما أن الربح سيكون بأيديهما ، فلما أدركا أننى لم أوافقهما بالرغم من الاصرار ، سألاني أن نذهب معا ، وقدر الله أن أجمع كل مالي وأذهب معهما ، وركبنا السفينة ، وتركت الخدم جميعا ورائى في المنزل ولم آخذ معي إلا هذا الكلب الصغير الذي تلوموني عليه ، وتركاني حتى توغلنا في البحر الأبيض المتوسط ، وتحيط بنا الأمواج في كل مكان، دفعاني في البحر، دون أن ينتبه الناس ، فلما رأى هذا الكلب ذلك قفز ورائى

واتبعني ، فأمسكت بذيله ، وأخذ يسبح بي حتي وصلت إلى مدينة كبيرة ، فشكرت الله الذي نجاني.

بدأت أخدم في منزل أحد النساجين ، وأتجول لبيع سلعته ، وكان هذا الكلب كلما وضعت قدمي في أي مكان تبعني ، وكل مكان يطرد فيه إذا كان معي لا أذهب إليه ، وهكذ ، وذات يوم كنت أتجول في السوق بالسلعة ، وفجأة رأيت أظلم ، مع ظالم ، وقد ارتديا ثيابا نظيفة ، وحرفا الطاقية ، يختالان في السوق فلما رأيتهما خفق قلبي « فقالا ، الفار عجبا لم يمت »، ثم استدعيا شرطيا وطلبا منه أن يقبض على بحجة أنني لص.

قبض على الشرطي ، وذهب بي وقضيت هذه الليلة في السجن مع المجرمين ، في هذه الليلة ذهبوا بي إلى القاضي وقدما إليه رشوة وطلبا منه أن يقتلني ، بتهمة أننى قتلت أخاهم في المدينة التي نقيم فيها ، ونحن نعيش في زمن لا يصدق فيه إلا صاحب المال وتحيرت ولم أجد مخرجا ، ولم أستدع لأية جلسة وكل ما حدث أن أمروا الشرطة بالقبض على وذهبوا بي إلى حفرة سحيقة ، التي عرفوها جدا عن جد ، ويلقون فيها كل من يحكم عليه بالإعدام.

ولما وصلنا ، أخذني رجال الشرطة والقوني كالحجر وانصرفوا ، وهم متأكدون أن كل من يلقي في هذه الحفرة يموت قبل أن يصل إلى الأرض ، أما أنا فقد شاء الله الا يصيبنى أدني أذى ، فلما وصلت الأرض سقطت على جثة ، وأخذته هكذا انتظر الموت ، كل هذا والكلب يتتبعني حتى في المعتقل فلما رأى ما حدث لي سمعته وكأنه يبكى بكاء لم أسمعه من قبل ، فاشفقت عليه أكثر من شفقتى على نفسى ، حتى انفجرت في البكاء، وأخذت أقول له « اصبر ، ما قضى الله لا راد لقضائه ، هيأ الله لك سيدا طيبا »

وعندما رأى الشمس قد طلعت ذهب إلى السوق وسرق طعاما وجري، فاتبعوه فهرب منهم ، حتى وصل إلى حافة الحفرة ، وأخذ ينبح، وعندما سمع أنني أحثه على الصبر ، وسمع صوتي ألقى إلى الطعام ، فسمعت شيئا يسقط فزحفت إليها فوجدتها طعاما ، فأخذته وأكلته ، وأخذتني الشفقة عليه.

بعد أن ألقي إلى هذا الطعام، عاد يطلب لي الماء ، فذهب إلى امرأة عجوز تغترف الماء في قدر وتأتي به إلى المصلى لتنال الثواب ، فذهب إلى النهر فرآها والإناء مملوء

بالماء، ولم يكن معـها أحد ، فمـد فمه وأخذ الإناء منهـا وهم بالجري، فانكسر مـقبض الإناء، ووقع على الأرض وانكسـر ، فأخذ إنـاء آخر ، فقـالت المرأة أن وراء هذا الكلب أمراً ، فأخـذت الإناء وسار الكلب أمامـها وهي تتبعـه حتى مدخل الحفـرة ، وأخذ ينبح فسمـعت شخصا يتكلم، فنظرت شرقـا وغربا فلما لم تجد أحـد ردت على ، وقالت أنها ستحضـر لى الطعام مساء كل يوم ، حتى يقع ما قـدر الله أن يقع لى وبحثت عن حبل، وأنزلت لي الماء فوضعـته لأشرب منه ، حتى تتسلل وتحضـر لى الطعام ، ولم يكن لديها فرصة لتأتي نهارا ، لأنهم إذا شاهدوها سيقتلونها.

ولما رأى الكلب ذلك ، كان يذهب إليها ويهز لها ذيله ، وتبعها حتى عرف منزلها ، فكانت تطعمني وتطعمه ، ومع ذلك كـان هذا الكلب ينام على حافة الحفرة ، ولم يرض أن يدخل المدينة ويتركني.

ونحن على هذه الحال ، شـعرت ذات يوم أنهم احضـروا شخصـا ليلقوه، فبـعدت وتركته يسقط ، حتى لا يسقط فوقى ، فلم يسقط إلا ميتا، فلمسته لأعرف ما إذا كان حيا أم لا ، فشعرت أنه قـد فارق الحياة ، وقد تكسرت عظامه ، فـقلت يا خسارة لو كنت أنا لارتحت من هذا العذاب.

وذات يوم عنـدما انتصف الليـل سمعت من يقـول عـلى حافة الجب "هل ما زلت حيا؟"

فقلت "نعم"

ثم رأيت حبلا يتدلى فأمسكته وجذبوني ، فلما خرجت وجدت التي سحبتني فتاة ، فنظرت إلى عدة مـرات ودقت صدرها وقالت "سـبحان الله، الله يلعنك ، فـاسد لست أنت الذي جئت من أجله ، أنا جئت لآخذ بارف"

فقلت لها "الذي رمى أمس؟"

قالت "نعم"

قلت لها "هذا لم يصل إلى الأرض حـيا ، عندما أحسـست جسمه لم أجـد عضوا واحدا لم يجرح" ،فـوجمت ، وانهمر دمعهـا ، ونظرت إلى وقالت "وأنت بالله عليك لماذا ألقيت في هذا الجب ، ومـاذا حدث حتى أنك لم تمت حتى الآن؟ "،فقـصصت لها كل أخباري ، فانهمرت دموعها شفقة على وعلى هذا الكلب.

وكانت هي الأخرى ابنة أمير هذه المدينة ، وبرو الذي جاءت لتنقذه هو الأخ الأصغر للأمير ، ولم يكن الأمير وأخوه على وفـاق ، وبينهما ما بين النبى والكافر ، وبسبب هذه العداوة وجدا رجلا مقتولا وادعوا أن برو الذي قـتله ، فأمر الأمير بقتله ، وأحضروه إلى هذا الجب ورموه ، وواسيـتها في قتل برو ، فـقالت لى "لن أتركك هنا الآن ، عليك أن تذهب معي الآن لأعد لك الزاد"

قلت ، وهو كذلك ، ولكن أخشى أن التقى بأخوتي"

قـالت "لا بأس ، علينا أن نتـرك هذا الكلب أمـامنا ، حتى يـوصلنا إلى منزل هذه المرأة العجوز ، وتقـيم فيه ، ولا تخرج "،جعلنا الكلب يسيـر أمامنا ، حتى وصلنا إلى منزل العـجوز، ذهب الكلب حيـث ترقد ، وأخذ ينبـح ، فقامت ، وأخـذ الكلب ينظر إليهـا، وينظر إلى ، ويهز ذيله ، فـقالت لها إننى الذي تحـمل له الطعام وقـصت لها كل اخباري ، وشكرتها ابنة الأمير ، وقالت "كلما أردت رؤيتها ابعث هذه العجوز"

ولما أرادت ابنة الأمير أن تنصرف ، كان ألفجر قد ظهر ، فـسألتها عن أسمها فقالت "لورتو"، وخـرجت وتركتني في منزل الـعجـوز ، وأخذت كل يوم ترسل لي بالطعـام والثياب ، وتطور الأمر رويدا رويدا ، حتى تحول من شفـقة إلى محبة بيننا ، وكانت كلما وجدت فرصة، كانت تأتيني فتذهب إلى المرأة العجوز ولنسمر عندها ، وذات يوم أشارت على بأن نهرب مـعا ، ونذهب إلى أي مدينة ينعـقد فيـها قراننا ، فكنت كـمن يتمنى أن يذهب إلى قصـر الأمير ، فـما بالك لو دعي إليه ، فـقلت لها "وهو كـذلك" ،فذهبت واختلست لى مائة جنيه ، واستعدت للرحيل ، وجاءت إلى فأخذت خمسـة عشر جنيها وقدمتهـا إلى المرأة العجوز التى عانت فى احضار الطعام إلى الحـفرة ، ولما رفضت أخذها قلت لها إنها صـدقة ، وليست أجرا على مشقـتها ، فأخذتها واستـعدينا وهربنا ، وسرنا حتى وصلنـا إلى مدينة تسمى مـروجو ، فـذهبنا إلى قاضي المدينة ، وعـقد لنا الزواج ، ومكثنا فيها ، وأخذت احترف التجارة ، وكما يقولون المرزوق يبيع الماء على شاطئ النهر، قـبل أن نكمل العـام ، أصبـح يشار إلى في المـدينة بالبنان ، ولا حـديث للناس إلا عن ثرائي.

تمهل حتى تسـمع المقدر نصـرك الله . .وذات يوم ذهبت إلى السوق لأرى مـا يفعل خدمي وكثيـر من الناس يسيرون خلفي ، كأنني أحد الأمـراء ، فلما وصلنا إلى السوق ، سمعت الإعلان عن شئ ، فـذهب أحد الشباب المرافقين لى ليستطلع الأمـر ، فعاد يقول "سيقام الحد على شابين"

فلما سمعت ذلك شعرت بقلبي يخفق ، فقلت له " ماذا سمعت عن جريمتهما؟"

قال "سمعت أنهم يقطعان الطريق على الناس ما بين مدينتى كومو وكسفا ، فيقتلان الناس ويسلبان متاعهما ، أحدهما يسمى أظلم والآخر ظالم.

فلما سمعته يذكراسمي أخواي خفق قلبي، وذهبت لأري ، فلما وصلت واقتربت من أظلم ، رأيته قد طأطأ رأسه والدمع ينهمر من عينيه ، والأطفال الذين لا يعلمون ما فعل يصيحون حوله "حتى لو بكيت اليوم دما ، سيقطع السياف رأسك ، ألم تشعر بالألم عندما كنت تقطع على الناس الطريق؟"

فلما رأيته ينظر إلى ويبكى ، رأيت الدمع ينهمر من عيني ،غافلت أعين الناس ومسحت دموعي ، وأنا أراقب وأتذكر وأرى ، بدونهما لن يكون لي إخوة في هذه الدنيا، لذلك أسرعت إلى الأمير ، وكنت إذا تكلمت يستمع الجميع لرفعة مكانتي ، وهمست إليه وشرحت له الوضع ، وأخبرته باستعدادي لدفع دية كل من قتلاهم ، وتعجب الأمير كيف انحرف أخواي هكذا ، وأخذ يلومنى بحجة أننى لم أساعدهما ، فسكت ولم أقل شيئا.

وبعد أن رشيت حكام المدينة ، بعثوا إلى السوق من يحضرونهما بسرعة وكانوا قد صلبوهما استعدادا لتنفيذ حكم الأمير ، وأحصوا كل من قتلوهما فكانوا سبعة رجال واحدي عشرة امرأة ، فحسبت ديتهم جميعا وفي الحال دفعتها ، ووزعت على إخوتهم حسب حكم الشريعة.

وقمت بأخذ أخواى ، وأنزلتهما في منزل ورفضت أخذهما إلى منزلي حتى لا تراهما زوجتى ، فيثور بيننا خلاف ، وكنت كل يوم أذهب للسمر معهما ومع أننى دفعت دية القتل إلا أنهما لم يجرآ على الخروج حتى لا يراهم الأطفال فيتجمعوا حولهما ، ويقذفوهما بالحجارة.

ومكثت معهما فترة كانا كالبوم لا يخرجان إلا في الظلام ، ولما رأيت أن الأطفال ضايقوهما ، تقدمت بشكوى إلى القاضي ، فبعث إلى السوق من يزجرهم ، بعد ذلك استراحا.

سبحان الله اللهم قنا شر السوء ، وذات يوم ذهبت إليهما في المساء ، ولم أعلم ما كانا يضمرانه لى ، ذات يوم ذهبت للسمر معهما ، وطال بنا السمر حتى انتصف الليل ،

وعند ذلك انهالا على ضربا بالأيدي وطعنا بالسكين ، فلما رأى الكلب ذلك ، هجم عليهما وعض كعبي اظلم ، وأوقع ظالم وأخذ يعضه ، فأخذ اظلم سكينا وطعنه ، وتركاه راقدا.

عندما رأياني وكلبي لا نتحرك ، وغارقين في الدماء ، أخذانا ووضعانا في صندوق كبير ، كنت قد أحضرته لهما ليضعا فيه متاعهما خشية اللصوص ، وشاء الله ألا يكون له غطاء ، ووضعانا خارج المدينة ، داخل الغابة ، وعادا وسلبا كل متاعي وهربا.

ولما بدأت رياح الصباح تهب علينا ، أفقنا ، ولعلك تعرف أن الكلب شديد التحمل، وأكثر ضعفا ، ولكن أشد صبرا منى ، تمدد ، وكنا غارقين في الدماء ، فأخذ يلعق جراحي وبعد ذلك أخذ يلعق جراحه ، ونحن الاثنين في صندوق واحد ، لا فائدة منا ولا نستطيع الخروج رغم أن الصندوق مفتوح ، هذه هي قصتنا،

أما زوجتي ، ظلت تنتظرنا حتى انتصف الليل ، فلما رأت أننى لم أعد ، دخلت ونامت كعادتها ، لأنها تعلم أنني أطيل السمر.

ولما طلع النهار ، وأدركت زوجتي أنها لم ترني ، وعلمت أنني لم أبت الليلة في فراشي ، ونظرت إلى متاع المنزل فوجدت أن كل ماله قيمة قد سرق ، فخرجت وأخبرت الخدم ، سبحان الله ، لم يترك اللصوص لنا شيئا ، أين قضيت الليل يا زوجي.؟، ولما أسرع الخدم إلى المنزل وجدوا الدم في حجرة الضيف وكأنك قد ذبحت ثورا ، فعادوا مسرعين ، وقالوا لسيدتهم ، فلم تنتظر أن ينتهوا من بحث الأمر ، دخلت الغابة وهي تصرخ وتقول «لا حول ولا قوة إلا بالله »، مما جعلها تجن.

أسرع الخدم ، وقصوا للأمير كل ما حدث ، حزن الأمير ، وقال "الله أكبر ، لقد قدر الله أن يكون أجله على أيديهما ، لقد هممنا بقتلهما ليرتاح الجميع ، فجاء وألح علينا ، حتى وافقنا أن يدفع لهما الدية ، اذهبوا واطلبوا من زوجته أن تصبر.

وبعث الشرطة إلى كل مكان ، ولم يجدوا علامة تدل على مسلكهم، حتى يئسوا ، وأخيرا ، وجدوني في صندوق مع الكلب ، لا يستطيع أحد منا الخروج ، فأخذونا إلى الأمير ، وأمر الأمير بتمريضنا حتى أتم الله الشفاء التام ، فقال الأمير «أرأيت ما سببت لنفسك من مشاكل "،فقلت قدر الله إذا وقع لا مؤخر لقضائه.

ولما رأيت أنني قويت استعددت للبحث عن زوجتي لورتو في مدينتها، قد وفقني

الله ، لقد علمت أنهم عثروا عليـها في الغابة وأعادوها إلى مدينتها ، ولكنهـا قد أصيبت بالجنون ، ومكثت تبكى بلا طعـام أو شراب ، وقـد عجز أبوها الأمـير عن إسـعادها ، وبعث إلى كل أطباء الجنون ليأتوا لعلاجهـا ، ولكن دون جدوى حتى يئس الأمير ، وقال كل من يعالجها ، سأعطيه كل ما يطلب في هذه الحياة الدنيا حتى ملكى.

عندما ذهبت وعلمت بـهذه الأخبار ، دخل السـروز إلى قلبي ، فبحـثت عن ورقة وكتبت كل مـا حدث لي من أحداث ، وذهبت إلى الأمير، وأخـبرته أنني طبيب ، وأريد أن أقدم إليـها الدواء المعروف في بلدنا، قـال الأمير "وهو كـذلك ، لا نمنعك ولكن أرح نفسك ، أن أفضل منك حاولوا واخفقوا.

فـقلت له "لا يعرف أحـد أين تكون السـعادة" ، وأخـذت الورقة التي كـتبـتهـا ، ووضعتها في ذرات الخشب التي جمعـتها من الطريق ، وطلبت منهم أن يأخذوها وتتبخر بها ، فلما أعطوها لها وفتحتها ورأت خط يدي، هبت قائمة ، وقرأت كل ما كتبت فيها، ثم طلبت ذرات الخشب ، وأدعت أنه بخور ، وقالت أنها شفيت، تعجب الأمير وسر من هذا الأمر.

قال الأمير اطلب كل ما أريد ليعطيني إياه ، فقلت "كل ما أريده ستهبنيه" .

قال الأمير "كل ما تريد ما عدا ملكي.

قلت له "إذا كان الأمر كذلك ، التي شفيتها أريد أن أتزوجها"

أمسك الأمـير رأسـه ، وقال "لا ، ما عـدا هى ، اختـر شيـئا آخر ، مـهمـا كان سأعطيك"

قلت له "هي التي أريد ، وإذا كان العمل الذي قمت به لا يكفي أن يكون أجراً لي؟ وإذا كان ليس لي حق فيه ، فعلي أن أصبر" .

صمت الأمير ، فقال رجال الحـاشية "نصرك الله ، نحن الذين تسببنا في هذا ، إذا لم تسـتثنهـا من قبل وقلنا كل مـا يريده عـدا الملك ، وهذا ليس ملكا ، ولا مخـرج إلا الاستجابة له ، حتى لا يكون لنا كلمتان"

دخل الأميـر القصر ، وتـشاور مع أم الفتـاة ، فقالت "طالما أنك أخـطأت بلسانك واتخذت هذا العهد أمام الناس ، لا مفر من أن تفي به"

وعقد قرانها مرة أخري ، وأقيمت الأفـراح ، وكانت فرحة الزواج ، وفرحة الشفاء لورتو ، وبعد قليـل قال الأمير ، طالمـا أنك حدث مهرى ، لـن أدعك تعيش هكذا دون سلطة" ، وعينني وكـيلا للمديـنة وكانت مهـمتى أن أطوف حول كل الأعـمال في المدينة والسوق ، والشرطة تتبـعني ، وحيثما أجد الفساد ولو قليـلا أو أجد خلافا في أي مكان إذا لم يستفحل الأمر ، أوفق بينهم ، وإذا كان هذا الأمر فوق طاقتي أرفعه إلى الأمير.

وذات يوم خرجت إلى المحطة لأتجول ، لأنني سمعت بوجود لصوص، ماذا تظن؟، وإذا بظالم وأظلم كأنهما هبطا من السماء يحـملان للناس المتاع ، لم أرهما بنفسي ، فقد رآهما الكلب قـبلى ، حتى هجم على أظلم وكل مـا معه من متـاع ، وأنهال عليه عـضا وخدشا.

فلما نظر ورأيته ، ضربته فقصد ظالم ، وقـبل أن أنظر إليهما بدهشة أوقعهما وجن الكلب بين الكذب والحقيقة وصمم على قتلهما ، فأمسكته، فقاما ملطخين بالدماء ، ولم يعرف الناس حـقيقة الأمـر ، وقلت أنني سآخذهمـا إلى منزلي ، ولكن الكلب لم يوافق وحال دون ذلك ، ولما رأي أنني أمـسكته ، وحاولت الذهاب بهـما إلى المنزل هجم على وأخذ يعض يدي ، فلما شعـرت بالألم تركته ، فهجم عليهـما مرة أخري وأوقع أظلم ، وفصلت بينهما بصعوبة ،

وكان الناس يتعجبـون ، ويقولون لابد أن في الأمر شئ ، لأنه ليس بينه وبين الناس إلا كل مـعروف ، فـإنه يكره ظالم وأظلم فقط ، إنـه يطاع في كل ما يقـول بالمدينة ولا فرصة لضربة.

وحاول الناس كثيرا إبعاده فلم يستطيعوا إلا شيئاً الأنفس ، فأمرت بأخذهما إلى أحد المنازل ، ومسحوا أجسامهما بعلاج للجـروح التي أصابتهما من عض الكلب حتى شفيا ، وأخذت أبعث إليهمـا بالطعام والثياب ، وكلما أردت أن أذهب للسمر مـعهما منعني هذا الكلب ، إنه حيوان ولكن الله وهبه عـقلا خاصا به ، عندما كان يعرف أخـلاقهما منعني من الذهاب إليهـما ، وحتى لا أتسلـل وأذهب إليهمـا كنت إذا أردت أن أبول ذهب معى إلى دورة المياه ، حتى إذا انتهيت نعود معا.

ولم يكن لدي فرصة لربطه ، ومـكثت معهما في المدينة ولم يسـتطيعا رؤيتي ، ولم تكن لدي الفرصة لرؤيتهما ، وإذا رأياني اقصد المكان الذي يقـيمان فيه ، يقومان ويهربان خوفا من هذا الكلب.

ونحن على هذه الحال ، لم يكن ينقصهما شئ من الخير ، ولم يترك الناس سؤلا إلا وسألوني إياه عن السبب الذي جعل هذا الكلب يكره هذين الرجلين بهذه الصورة ، فرفضت أن أقول لهمّ أي شئ نصرك الله ، أقسم بعظمتك ، في مساء هذا اليوم سمعت في منتصف الليل باب الحجرة التي أنام فيها يفتح ، وكان خدمى يغطون في نوم عميق ، وإذا بهما ومع كل منهما سكين كبير ، ولولا أن شاء الله ، لولا التمريض الذي أجري لي من قبل عندما ساعدني أحد الفلاتا بأعطائي دواء ضد الحديد أنا وكلبي ، لكنا خبرا يروى ، فهجما على ، فتشجع كلبى ودفعه بصدره فأوقعه ، وتركه وتوجه للآخر ، وأخذ يطعنان الكلب ولكنه كان قد أشبعهما عضا ، وصار الهجوم غير مجد ، صرخت ، فاستيقظ الخدم وأمسكوهما قبل أن يهربا ، أقسم بعمامتك ، منذ هذا اليوم لم يجرؤ أحد أن يقترب منى ، وقد تتبعهما هذا الكلب ، وأصابهما بالجراح في كل مكان وصار منظرهما مقززاً.

وفي الصباح أرسلوا إلى الأمير ، وقال له الناس كل ما شاهدوه بينهم وبين كلبي ، وقالوا إن الأمير إذا سألني ، سيعرف ما حدث بيني وبينهما ، ليس من الممكن أن يصر هذا الكلب أن يعضهما دون سواهما.

وقد ألح على الأمير حتى يسمع هذه القصة مني ، كما تصر أن أقص عليك القصة الآن ، فلما سمع الأمير هذه القصة ، وقبل أن أنتهي ، أمر السياف أن يذهب لقتلهما ، ولما انتهيت من رواية القصة له ، لم يشعر الجميع متى سال الدمع من عينى ، وقال الأمير لى "أقبل لترى ، منذ اليوم سيهدأ بالك" ، فتبعته فوجدتهما راقدين ، وقد قطعت رأساهما ، فحزنت حزنا شديداً وبكيت لقتلهما.

نصرك الله ، أعلمت الأمر الذي بيني وبين هذا الكلب.

لم يجد أمير سمانا ما يقوله ، وقام وشيع المرحومة.

قال الوزير لفصيح "هل سمعت رعاية الله ، إذا أردت أن يحفظك الله من السوء لا تصب الناس بالسوء ، ولكن اجلس هنا حتى تحفظ هذه القصة ثم تنصرف" ، وتركه يرددها.

وعندما طلع النهار في هذا اليوم ، ومنذ الضحى ، قال موسى لفصيح "سنخرج اليوم في نزهة إذا كنت ستحضر لا نذهب بعيدا ، لنركب معا"

قال فصيح "سأحضر" ثم طار فوجد الوزير وقال له.

قال الوزير "وهو كـذلك ، طالما أن الأمر كذلك ، عليك أن تقـرأ من الآن حتى لا تعطلهم في وقت الظهر"

قال فصيح "وهو كذلك"

وبدأ الوزير يقص عليه التحذير الخامس عشر.

الديك الذى أراد الله له أن يؤذن يؤذن حتى لو كان أمامه قط وخلفه صقر

كان يوجد رجل فقير يعيش في مدينة كـونا ، بلغ سن الشيخوخة ، لم تحمل زوجته أو يسقط حملها من قبل ، وكلما جلـس وحده كان يقول "اللهم ارزقني بمن يساعدني إذا هرمت"

وهو على هذه الحال ، شاء الله أن تحمل زوجته ، ولما بلغ الحمل سبعة أشهر أخذت زوجته الإناء ذات يوم وذهبت لتـرد الماء من البئر ، وكانت النسوة تنتظر عند البـئر ، فلما وصلت وجدت النسوة كثيرات هناك، فانتـحت جانبا وجلست حتى يرد الماء من سبقنها ، ثم ترد بعـدهن ، وبينمـا النسوة يردن الماء ، جـاءت إليـهن امرأة عـجوز ، وقـالت لهن "السلام عليكم" فلم يرد أحد عليها.

فقالت المرأة الحامل "ألم تسمعن من تلقي عليكم السلام؟"

نظرت المرأة العجوز إلى المرأة الحامل وقالت "أريد قليلا من الماء لأشرب ، لقد اشتد الظمأ على"

قالـت المرأة "ما المانع؟ ، حـتى لو كان بالمنزل وطلبت الماء، هل يمـنعك أحد؟ فـما بالك وأنت على البئر"

نظرت المرأة إلى من يردن الماء وقـالت "بالله عليكن أعطينني قليـلا أبل به الصدا ، لقد جف حلقي. . "

فقلن "أيتـها المرأة إذا كنت ستذهبين إلى المدينة اذهبى ، نحن هنا نـقاسي العذاب ، كيف ننتظر لنعطيك الماء؟"

وقالت أخري "ويحك ، موتي إذا كنت ستموتين ، هذا هو حال العجائز ، يكبرون ولا ينتظرن ، كل هذه الشيخوخة وتفوقنا طمعا في الحياة ، ولا تنتظر ذات الثلاثين عاما، ثم أطلقن الزغاريد وصفقن ، فنظرت إليهـن المرأة الحامل ، وقالت "بالله عليكن اسقوها لتنصرف، إنكن في عمر الشباب"

فنظرت إليها إحـداهن وقالت "حتى لو قبل أحـد أن يسقيها ، فـمن الذي يقبل أن تضع فمها القذر على فم إنائها"

قـالت المرأة الحـامل "إذا كـان علـى الإناء فـهـا كن إنائى ، بالله عليـكن أعطوها لتنصرف. "

فالتفتت امرأة وقـالت "أنت تضايقيننا ، من أنت؟ هل أنت أرحم منا؟ إذا كان على الرحمة ، هل منعها أحدٌ ، اتركيها حتى يأتي دورك وأسقيها"

نظرت المرأة الحامل إلى العـجوز وقالت "يا جدتي ، انتظري قليـلا حتى يأتي دوري فأعطيك لتشربي ، وبقي أمرأتان وأرد الماء ، ها هي حوايتي اجلسى فوقها ، المكان مملوء بالحشرات الضارة. "

أخذت العجوز الحواية وجلست فوقها دون حركة ترقب البئر ، وهي ترتعش ، وبعد قليل جاء الدور على المرأة ، فقامت واقتربت من البـئر ، وبعد أول غرفة جاءت إلى المرأة العجـوز وركعت وقـدمت إليهـا الماء فأخـذت الإناء وشربت ، ونظرت إلى المـرأة وقالت "أشكرك ، أشكرك تلدين بالســلامة" ، ونظرت إليها مـرة أخرى وقالت "سـتلدين ما في بطنك ذكرا ، إن شاء الله ، سـيكون ثريا وسيسمع الناس قصته فـي كل البلد، وسيتزوج ابنة أمير هذه البلاد ، ويتولى السلطة فيها. "

زغردت كل النسوة على البئر ، وأخذت النسوة تسخر وتقول "أفسحن لها ، ها هي أم الأمير مقبلة ، نوم العافية يا أمير البلاد"

قامت العجـوز ، وانصرفت ، ومنذ هذا اليوم أخذن يسـخرن من هذه المرأة ، حتى ضايقتـها ، فوضعت القـدر وأخذت حوايتهـا وشدت خصرها ، ونظرت إلـيهن وأخذت تسـبهن ، وتقـول :كل من لم تتكلم مـعي بالحسنى وتـعتـرض على أمر الله ، نسـوان فاسدات ، إذا تكلمت واحدة منكن سألقيها على الأرض وأطأها بقدمي"

وعندما نظرن إليها وأدركن أنها قوية البنية ، وأنهن لن يـقدرن عليها سكتن جميعا ، ولجأن إلى استرضائها ، فاغترفت الماء وعادت إلى منزلها ، وقصت لزوجها كل أخبارها ، فابتسم وقال "لـولا أن قدرة الله تفوق ذلك، لقلت كيف يكون أناس فقراء مـثلنا ينجبون أميرا ، الله وحده يعلم ما في الأمر"

وعندما عادت النسوة إلى منازلهن أخذن يغتبن المرأة الحامل ويرددن ما حدث بينهن وبين المرأة العجوز على حافة البئر ، رويدا رويدا وصلت القصة إلى الأمير ، فاستدعي الأمير الوزير وقص عليه الأمر ، وقال "ما العمل؟ ، إذا قتلت هذه المرأة الآن ، سيعلم كل الناس ، ويرمونني بالظلم، لعلك تعلم أن هذا لا يفيد ، فما رأيك؟"

قال الوزير "صدقت، نصرك الله ، طالما أن الأمر وصل إلى هذا الحد، الأفضل أن نتركها حتى تضع حملها ، فإذا أنجبت ذكراً ، يكون هذا الكلام صدقا ، عندئذ ندبر الأمر لسرقته وقتله دون أن يعلم أحد"

قال الأمير "هذا الرأى هو الذي ينجينا ، لرجاحة عقلك هذا أمرت أن تأتي لأستشيرك"

ومرت الأيام وأنجبت هذه المرأة مولوداً ذكراً ، وبصعوبة اشتري الأب خروفا ، وسمي المولود عيسى ، وأخذت النسوة اللاتي سمعن ما قالته المرأة العجوز أن هذا المولود سيصير أميراً يسخرن ، حتى لقبن هذا المولود "صاحب الدولة ، وأخذ الكل في المدينة ينادين بهذا اللقب ، حتى اختفي أسم عيسى وبقى أسم "صاحب الدولة"

وعندما علم الأمير أن هذه المرأة قد ولدت وسمي مولودها ، استدعي الوزير وقال له "هل سمعت أن هذه المرأة قد أنجبت وماذا سنفعل؟"

قال الوزير "هدئ من روعك ، واترك الأمر على" ، وقام وخرج ، وأمر أحد عبيده المخلصين أن يذهب إلى السوق ، ويأتي له بجرو صغير، وأمره أن يأخذه ويذهب به إلى منزل هذه المرأة في منتصف الليل ، وإذا أدركهما الثبات تسلل ليسرق هذا المولود ، ويضع الجرو الصغير بجوار أم الولد ، ويغطيه ويأخذ الغلام إلى الأمير ، وفي منتصف الليل خرج الأمير والوزير ووضعا المولود في صندوق وحمله الوزير وذهبا به وألقياه في نهر قريب من المدينة ليموت ، وقبل أن يأتي الصباح استيقظت المرأة لتعطيه ثديها ، فسمعت نباحا فنظرت فرأت جرواً ، وفي الحال أيقظت زوجها ، وأرته الجرو ، فظنا أن طفلهما تحول جروا ، فاحتضناه وأخذا يبكيان .

وبينما هي في هذه الحال ، وباب المنزل مغلق عليهما ، هبطت عليهما امرأة وكأنها من السماء وقالت "دعا البكاء، أتعرفينني، إنني المرأة التي سقيتني الماء إنني لست آدميه ، إنني جنية ، ابنكما حي لقد ألقوه في الماء ، ليموت حتى لا ينال الملك ، ولا يعرفون أن

القلم قد جف ، خذوا هذا الجرو واقتلوه وكفنوه ، واجمعوا الناس ، وأخبروهم أن صاحب الدولة قد مات ، لقد قتلته أعين الناس ، حينئذ تستريحان من كلام الناس ، فشكرا هذه الجنية ، واختفت، فقاما وفعلا كل ما قالته ، ولما طلع النهار جمعا العلماء وأخبروهم أن طفلها قد مات' ، فصلوا عليه ودفنوه.

ولما سمع الأمير ذلك ، قال للوزير 'أسمعت ما فعل والدا هذا الغلام؟، حتى لا يضحك عليهما الناس ، ويقولون أن ابنهما تحول جروا ، أعلمت أيها الوزير أن الله هداهما إلى هذه الحيلة'

تعجب الوزير وقال 'أهل هذا الزمان كلما خرجت عليهم بحيلة غلبوك'

وسار الصندوق الذي وضعا فيه الغلام مع التيار حتى الصباح ، وفي الضحى وصل إلى قرية صغيرة ، حيث كان يعمل أحد المزارعين ، وتصادف أن وصل هذا الصندوق عندما كان أحد المزارعين يغتسل ، فلما رأى هذا الصندوق يطفو على وجه الماء ، ذكر الله، وكان يظن أن شخصا أغرقه النهر ، ونظر خلف الصندوق لعله يجد شخصا طافيا على سطح الماء، فلم ير أحدا ، فقام في الحال ، وقفز في الماء ، وأخرج الصندوق ، فلما هزه أدرك أنه ثقيل ، فقال 'الحمد لله'

وأخذ فأسا وفتح الصندوق ، فتسرب الماء من الثقوب ، ويكي الغلام فرمي الفأس وهم بالفرار ، وتصادف أن جاءت زوجته لترد الماء ، فقالت 'ما الذي أفزعك هكذا يا كبير المزارعين؟'

فقال الزوج 'تعالى ، وانظري لترى. '

فجاءت ونظرت فوجدت طفلا راقدا يبكي ، فقالت لزوجها 'أين وجدت هذا الغلام' ، اقترب وصلي على الرسول ، وقص لها كيف وجده ، وقال لها 'هل هو إنس أم جن ، الله وحده يعلم'

قالت 'أهكذا يكون الجن في بلدكم ، انظر إليه جيدا لتعرف ، لقد رحمنا الله وبعث إلينا بهذا المولود ، لأنه لم يشأ أن ننجب ، الأفضل أن نحمله إلى المنزل لأشرب الردة حتى يدر ثديي لبنا ، وأرضعه حتى إذا شاء الله وكبر يرحمنا'

قال الزوج 'والله صدقت إنه جزاء مضاعف' ، وحملا الغلام إلى المنزل وشربت الزوجة الردة حتى سال لبنها ، وأخذت تحمل الطفل ، ولما بلغ سبعة أيام ، أحضرا خروفا

وذبحاه وأطلقا عليه اسم ناصرو ، وهكذا حتى بلغ الثانية عـشر فختنوه وكان كلما سألهما أحد أين وجدتما هذا الغلام يقول الزوج "ابن أخ أمه يفطمه".

واستمـر الحال على ذلك حتى بلغ الطفل الخـامسة عشر ، وبرع فـي الزراعة جدا ، وفي الوقت الذي كان يفلح عشرة خطوط كـان أبوه يفلح خطا واحدا ، وإذا خرج للصيد كان كأنه شرب دواء البراعة في الصيد ، وفي الشجـاعة والصبر كأن عنتر قد أنجبه ، وإذا نظر الإنسان إلى صـورته التي خلقه الله عليهـا يعرف أنه لم يخلق جبانا ، وفي الـرحمة والأدب والفصاحة إن لم تتكلم معه وتسمع حديثه لا تقل أنه نشأ في القرية.

بين المدينة والمكان الذي فيه الغلام مسيـرة يومين ، ولكنها تتبع بلاد الأمير ، وذات يوم خرج الأمير الذي ظن أنه قتله يتجول في هذه البلاد ، وقاده الطريق إلى منزل المزارع، فلما سمع صوت حاشية الأمير ، نادي ابنه وطلب منه أن يخرج ليحييه ويري أميرهم.

فلما ركعوا وأدوا التحية نظر الأمير إلى صاحب المزرعة وقال "أين وجد الأبن ، ألم تتـعب من تربيتـه ، كان عليك أن تقنع بما أعطـاك الله ، ولكن فضـولك تغلب عليك ، على كل حال ولدك هذا جميل جدا"، وانفجر الجميع في الضحك ، وانحني المزارع وقال "نصرك الله ، لـيس هذا فضولاً ، أنتم الذين تـقولون من يرحم شخـصا يرحـمه الله ، أليس كذلك؟، أطال الله حياتك، وإذا لم نساعد أمثال هؤلاء ، لا تحبوننا."

قال رجال الحاشية "نعم ، أيها المزارع"

قال الأمير "أي مساعدة؟، كي لا نقاطعك بسرعة"

قال المزارع "نعم أطال الله حياتك ، لقد مضي خمـسة عشر عاما وهذا الغلام يعيش معي ، والذي جمعني به أنني نزلت استحم مرة في النهـر ، فرأيت صندوقا صغيراً يطفو على صفحة الماء ، ويسير مع التيار ، وكنت أظن أنه متاع جرفه التيار ، فنزلت والتقطته، لأحمله إليك ، فشعرت أنه ثـقيل جدا ، وبدلاً من أن أحمل شيئا ثقيلا ، فـتحته لأعرف ما بداخله، فلما فتحته وجدت طفلا رضيعا يبكي ، فناديت زوجتي وعرضته عليها ، وقد عـزمنا على أن نحمـله إليك في هذا الوقت ولكن رأينا الأفـضل أن نربيـه حتى يكبـر ثم نحمله إليك ، وها قد أتي بك الله إلينا لتراه بنفسك"

لما سـمع الأمـيـر ذلك تنهـد ونظر إلـى الوزير ونظر إلى صـاحب المزرعـة، وقـال "الصندوق الذي أخرجتموه منه موجود لديكم؟"

قال صاحب المزرعة "نعم ، دعني أحضره "وأسرع وأحضر الصندوق، فلما رأى الأمير والوزير الصندوق ، تعرفا عليه وتأكدوا أن هذا الطفل هو الذي ألقي في البحر.

نظر الغلام إلى صاحب المزرعة وقال "لا ، يا أبتي أنت الذي أنجبتني ولم تجدني لقيطا"

ابتسم الأب وهمس وقال "لا تبكِ إني أمزح معهم"

عندما سمع الأمير صاحب المزرعة قال الغلام "أحياك الله"

قال الأب "آمين ، أطال الله حياتك ، هل تسمح لي أن احتفظ به حتى يظهر أبوه؟"

قال الأمير "نعم ، دعني أبعثه إلى المدينة ، ليشتروا لك قميصا صغيرا، هذه المساعدة التي قدمتها أسعدتني " وركع صاحب المزرعة وابنه وشكراه ، فقال رجال الحاشية "أحييك يا صاحب المزرعة ، الأمير يشكرك، بارك الله في هذا الغلام " ، فقال الأب وباقي الناس "آمين" ونزل الأمير ، ونزل كل الناس.

ونادى الأمير الوزير واتخذا جانبا ، وقال "هل رأيت هذا الأمر العجيب ، والأفضل الآن أن أكتب رسالة وأعطيها له ليوصلها إلى الوكيل الذي تركته ، بأن يقتله عندما يصل إليه، ثم أرسل إلى صاحب المزرعة رسالة أخبره أن الغلام عندما وصل أصابه مغص شديد وقضي عليه.

قال الوزير "أطال الله حياتك ، هذا كلام سليم ، لأنك إذا قتلته ، سيشعر الناس ، ويلوموننا ، ولن تكون لديك فرصة للتبرير"

قال الأمير "أترى ذلك"، وكتب رسالة وأعطاها للغلام لينصرف ، وركب الحصان وسار أمام رجاله.

وأثناء سير الغلام ضل الطريق ، واتبع طريقا آخر قصيراً ، وإذا به في أحد المنازل داخل الغابة ، ووجد امرأة عجوزا وحيدة في المنزل ، فسلم عليها ، فقالت "أيها الشاب من أين جئت ؟، اذهب لشأنك ، هنا منزل لصوص ، إذا انتظرت حتى يعودوا ويروك سيقتلونك"

وهم الغلام بالعودة ، فقال في نفسه ، إذا خرجت في هذا الليل فإلى أين أذهب؟، أفضل من أن أخرج للحيوانات تفترسني ، انتظر مع إخوتى البشر فيقتلونى" .

ولم يقل لهذه العجوز شيئا ، واستند على الحائط ، وبعد قليل غلبه النعاس بالرسالة التي في يده.

وبينما كان الطفل يغط في النوم ، عاد اللصوص ، فسألوا العجوز عن الغلام النائم، فقالت لهم كل ما تعرف، وكان من بينهم رجل يستطيع القراءة، فلما حدق بعينه رأى ورقة صغيرة فى يد الغلام أخذها وقرأها، فعلم أن بها أمراً بقتل هذا الغلام، فقال لرفاقه، فقالوا "قتل هذا الغلام الجميل، ماذا فعل؟"

قال هذا الرجل "إذا دققت فى هذه الرسالة والله تجد أن هذا الغلام لم يفعل شيئا، ألا تعلمون طبيعة هذا الأمير، لقد سمعتم كل أخباره، ولكن دعونى أغير ما فى الرسالة وأقول أنه ابن أمير كبير وقد حمل أمانة، وأقول إذا وصل يؤخذ من بيت المال مبلغ كذا ويرسل معه وأن يزوجه من ابنة الأمير، التى منع حب المال أن يتزوجها أحد وأقول له أن يقام الحفل ويتم الزواج قبل أن يعود"

عندما سمع كبيرهم ذلك انفجر ضاحكا ، وقال "والله لقد أحسنت، أو يعود ويزوجها ثيب، وليست عذراء

ثم قال أحدهم "بعد أن تتم العدة ثلاثة أشهر ، تعرف أن قدرها قد نقص ، بالله عليك اسرع واكتب هذه الرسالة ، قبل أن يستيقظ ، وفي الحال قام وكتبها ، كما قال الأخير ووضعها في يد الغلام.

وبعد قليل استيقظ الغلام ، وفتح عينيه ورأى هؤلاء اللصوص يأكلون الطعام ، فقام وركع أمامهم وحياهم واحدا واحداً ، وسألوه عن وجهته ، فقال إن الأمير قد بعثه برسالة ليوصلها إلى الوكيل ، وأعطى والده ثوبا سيأخذه.

ثم ابتسم كبيرهم وقال "لعل هذا الثوب أحمر مثل الدم؟"

قال الغلام "والله لم أعرف لونه ، يا رئيسنا ، ولكن أعطى ثوبا أحمر ، كأنه شرطي؟"

وهنا قال الرجل الذي كتب الرسالة "هذا الأمير ، كما سمعت الناس يقولون حيثما يكون العدل نجده ، وربما أغدق عليك خيرا كثيراً لأنك حملت له الرسالة"

قال الغلام "هذا يعلمه الله وحده"، وقدموا له الطعام فأكل ، وأعطوه حجرة لينام فيها، وفي الصباح الباكر استأذن منهم ، وقصد المدينة والرسالة في يده.

وبعد ثلاثة أيام وصل ، ولم يتوقف إلا في القصر ، وسلم الوكيل الرسالة ، ففتحها وقرأها ، وجمع كبار رجال المدينة وتلاها عليهم ، فسمعوها ، ودخل المنزل واستدعي ابنته وأمها وأخبرهما كل ما في الرسالة، ولما رأيا أن الغلام جميل ، فرحا بهذا الأمر ، وفي اليوم التالي تم الزفاف وأقيمت الأفراح ، وأعد لهما منزل كبير ، وأقاما فيه قبل أن يعود الأمير ، وغمرت الفرحة الغلام ، وعجز عن الكلام مما هو فيه من شدة الدهشة ، وكان كل ما يرجوه أن يعود الأمير ، ليبعث لأبيه وأمه ليأتيا إلى المدينة ، طالما أن الله أنعم عليه بهذه السلطة.

ولما ذاع الخبر في المدينة ، تعجب الناس ، وأدرك والدا الطفل الحقيقيان أنه أبنهما، لأن الأمير ليس له أبن ، ولا حفيد ، إلا هذه الفتاة ، وإذا كان قول هذه الجنية حقيقة ، فلابد أن يكون ابنهما ، لأنها قالت أنه سيتزوجها ، ثم قالت الأم للزوج ، إذا كان هو إذا رأته تستطيع أن تعرفه ، لأن يوم تسميته وقع ماء مغلي على وجنته اليسرى ، وأسفل حاجبه ، حتى تسلخا وصارت موشومة ، ونذكر أن مطحن كحلي سقط على إصبعه الخنصر الأيمن حتى تقوس ، وربما لم يستقم حتى الآن ، وسأحاول إذا ذهبت لبيع سلعتي أن أراقب هذه الأشياء"

قال الزوج "والله صدقت" ولما طلع النهار أخذت إناء وخرجت تبيع الثريد ، وذهبت إلى المنزل ودخلت ، فلما وصلت إلى الممر الثاني ، وجدته وقد أحاط به كل الناس، يتحدثون ، وانحنت وحيته ، وأمعنت النظر في كل العلامات ، فرأتها كما تعرفها ، فعادت في الحال وأخبرت زوجها، فصمتا وأخفيا الأمر.

ولعلك تعرف أن البلاد كثيرة جدا وواسعة ، لذلك لم يكمل جولته لكل البلاد ، لذلك وتأخر عن الموعد الذي حدده سبعة عشر يوما ، ثم عاد فجأة في اليوم السابع عشر، فلما وصل إلى القصر ما كاد يدخل حتى سأل الوكيل "هل رأيت الغلام الذي بعثته بالرسالة؟ ، وهل فعلت كل ما أمرتك به؟"

قال الوكيل "نعم، أطال الله حياتك ، وانزلتهما في القصر الصغير قبل أن تعود"

قال الأمير "لماذا حفرت ودفنت الجثة في المنزل ، ألم تحمله إلى المقابر؟ من هو؟"

قال الوكيل "أطال الله حياتك؟، سلامتك ، كيف تطلب أن أزوج الغلام ابنتك ، ثم تطلق عليه كلمة جثة؟"

قال الأمير "أية ابنة لى"

ظن الوكيل أنه يمزح ، فابتسم وقال "سليمة"

فلما سمع الأمير ذلك طرد الوكيل ، ودفعه من قـفاه ، ودخل القصر فوجد أم الفتاة فناداها وسألـها ، فقـالت له كل ما قرأوه فـي الرسالة ، وشرحت له كل مـا فهـموه من الرسالة ، وله كل ما فعلوه من البداية حتى النهاية"

قال الأمـير "أين الرسالة؟" ، وشـاء الله الا يمزقوها ، فـذهبت وأحضرتهـا له ، فلما قرأها قال لا حـول ولا قوة إلا بالله ، وعجز عن الكلام ، ولبس حـذاءه وخرج إلى الممر، فلما خرج وجد شيوخ المدينة اجتـمعوا كلهم ، وجاءوا يشكرونه ، بكل سرور على ما أبداه من عدالة وحب ، وكان من بينهم هذا الغلام ، وقد ارتدي ثيابا مزركشة وجلس في جانب.

قبل أن يأتي الأميـر ، قابله الوزير ، جلسا يتحدثان عمـا قلب الأمور هكذا ، حتى فعل الوكيل مالا يريده الأمـير ، ولا يمكن إصلاحه وتحير الأمـير، ولم يدرك ما يفعل من شدة الحـزن ، فقـال الوزير "الأفضل أن نقـول أن الزواج صحيح ، ولكن لا تـقبل هذا الصـداق ، الذي حـدده ، وأن تطلب صـداقهـا أن يأتي لك بشـعـرة واحدة مـن شعـر العفريت، وإلا فسد الزواج ، لأنه لا يتم الزواج إلا بالصداق. "

قال الأمير "هكذا أيها الوزير"

وقام وقصد الممر الكبير، فقام الحـاضرون وأدوا له التحية ، حتى العريس ، وأخذوا يعبرون للأمير عن السرور والشكر ، فقـال "لم تنته المسألة، إن الصداق الذي حدد للفتاة لا أرضي به ، إذا كان يحب ابنتى ، يأتي لى بشعرة واحـدة من شعر العفريت ، وإذا لم يستطع يفسخ عقد الزواج ، لأنه لا زواج إلا بصداق".

صمت الناس جميعا ، وأخذ كل منهما ينظر للآخر ، والتفتوا جميعا ونظروا للولد، فركع وقال "أطال الله حياة الأمير ، سمعا وطاعة ، إن شاء الله سأذهب غدا ، وإن كان لي أن أعيش معهـا ، سأعود إليك بما تطلب ، وإذا شاء الله وكانت حياتي مـعها أحمده على ذلك واشكره وأسأله أن يرحمنا كما رحمتني"

وودع الحاضرين وعاد إلى القـصر ونادي الفتاة ، وأخبرها بكل مـا حدث ، فأخذت تبكي لأنها أحـبته حبـا جما ، واستدعـت أمها فحضـرت ، وأخبرتها بكـل ما حدث ،

وشـرحت الأم لابنتهـا ، أن كل مـا يحدث من أمـر قـدره الله ، وليس بإرادة الأميـر ، وأخبرتها بنية الأمير ، والسبب الذي دفعه إلى هذا الأمر ، من أول الكلام الذي قالته المرأة العجوز أثنـاء الحمل في هذا الولد حتى الآن ، وبعثت في الليل من يسـتدعي والدي هذا الغلام الحقيقيين ، وشرحت لهما كل ما حـدث ، فشكراها وعادا إلى منزلهما متعجبين ، ويقولان "من كتب له أن يعيش العام القادم ، يعش حتى لو دقت رأسه"

وقالت أم الفتاة للصبي ، "لا تجعل أمراً يضايقك ، اذهب وعد ، طالما أنك وعدت بحكم هذه البلاد إن شاء الله ستحكمها" ، وأستأذنت وعادت إلى منزلها.

وطلع النهار ؛ وذهب الـغلام ليودع الأمـيرْ ويسأله المغـفرة ، وعاد وودع زوجـته ، واستعد واتخذ طريقه وسار وتركها تبكى ، وتوغل في الغابة.

وبعد ثلاثـة أيام وصل إلى منزل العفـريت ، داخل غابة مظلمـة فوق ربوة عـالية ، فوجـد العفريت قـد خرج يقتنص بعض البـشر ، ولا يوجد سوي امـرأة عجوز أمـسكها واختفظ بها لتطهى له الـطعام ، فدخل وسلم عليها ، فقالت "أيهـا الشاب ماذا جاء بك إلى هنا؟ مـا الذي أضلك حـتى جـئت إلى مـهلكك ؟ ، ألا تعـرف أن هذا المنزل منزل عفريت؟ ، اقبل مسرعا لأدلك على الطريق ، واهرب قبل أن يأتي"

قال الـغلام "كـيف أهرب ، يا أمي ، لقد جـئت إليك ، لتسـاعدينـي ، أو أموت لأرتاح" وقص لها كل أخباره ، من البداية حتى النهاية.

قالت العـجوز "طالما أن الأمـر كذلك ، سأسـاعدك" ، وأدخلتـه في صندوق كبـير وأغلقت عليـه ، ووضعتـه أسفل سريرها وأخـفته ، وأمـرته الا يكح ، وإذا كح هلك ، وأخفته ، وبعد قليل سمع العفريت قادما يغني ، ويقول " أكل الإنسان وأشرب دمه ، أنا العفريت بن العفريته ، "فلما دخل الحجرة وشم الهواء ، قال "أشم رائحة آدمى"

قـالت المرأة العجـوز "ألست آدميـة؟ ، وهؤلاء الذين اقـتنصتـهم من أين؟ ، أليسـوا آدميين؟"

والقي الآدميين الذين كسر عظامهم عـلى الأرض ، وأمر العجوز بأن تشوي له ثلاثة منهم ليأكلهم ، والباقي يحتفظ بهم حتى الصباح ، ليفطر بهم قبل أن يخرج.

وعندما أقبل الليل صعد فوق السرير لينام ، فقالت المرأة العجوز "أطال الله حياتك ،

اريد أن أبقي هنا بجوار سريرك ، وأنام هنا ، الليل كله ، لأني أري بعض الأحلام التى تزعجني'

قال العفريت 'وهو كذلك، اصعدي' فصعدت ونامت فوق السرير.

وبعد قليل أثناء النوم ، سمعته يغط في نوم عميق ، فأخذت شعرة من رأسه وجذبتها ، فحدق بعينيه ، وقال 'لماذا توقظيننى؟'

قالت : 'رأيت رجلا الآن في المنام يسألني ، إن لم أقل له ماذا يفعل الإنسان ليتخلص من شر الملوك ومكرهم سيقتلني'

قال العفريت 'إذا رأيت المنام مرة أخري فقولي له 'لو وجد شعرة واحدة من رأسي ينجو سواء في السماء أو الأرض ، فما بالك لو أمسك سيفا واحدا من السيوف الأحد عشر التي ورثتها'

قالت العجوز 'الأحد عشر أم العشرة؟'

ثم رقد مرة أخري وأخذ يغط في نوم عميق ، فلما أدركت أنه استغرق في النوم جذبت الشعرة الثانية ، فهب مستيقظا وقال 'إذا أيقظتنى مرة أخرى سآكلك'

قالت العجوز 'يا ابن العفريته إذا قتلتني مع من تعيش؟، ولقد رأيت مناما آخر ، لابد أن أقول له ماذا يفعل الإنسان إذا أصبح أميراً ، حتى يسيطر على مملكته ، ويلازموه كالسروال'.

قال العفريت 'هذا أهون أمر ، إذا خلط برازى مع براز أسد ، واستحم به حتى لو أراد أن يقتلني سيقتلني ، ولكن لا تخبرى أحدا بذلك'.

فقالت 'ويحك، من الذي أراه حتى أخبره بذلك؟'

فلما حصلت على هذه الشعرات الثلاث من رأسه وهو نائم ، تسللت وأخرجت الصندوق الذي بداخله الولد وفتحته ، فخرج وحياها وشكرها ، فأعطته الشعرات الثلاث، وسرقت أحد سيوفه وقدمته إليه ، وأمدته بمزيد من المساعدات التي حصلت عليها من العفريت.

وأعطته براز العفريت ، وقالت له إن شاء الله ، ستتولى العرش ، فوعدها أن يأتي ويقتل العفريت وينقذها ، وودعها وخرج ، ولما أقبل الليل عليه ، صعد فوق شجرة ونام، وهكذا حتى وصل إلى المدينة.

وقصد القصر فوجد الحاشية مجتمعة فحياهم ، وسلم الأمير شعرة واحدة ، وأخفي الباقي ، فلما رأي الأمير الولد بالشعرة ، نظر إلى الوزير ، وتعجب كل رجال الحاشية ، وغضب الأمير غضبا شديدا ، وقام ودخل القصر غاضبا ، واستدعي الوزير ، وتشاجر معه وأخذ يقول له "ها هى نصيحتك الفاسدة ، لقد رأيت قتله في الحال ، فقلت نعطيه رسالة ، رجل منافق"

غضب الوزير وهب قائما وقال "أنت عجوز مخرف ، ولست أنا الظالم تريد معارضة حكم الله ، كافر"

قال الأمير "أنا تقول لى كافر؟" ، ثم قام وأمسك الوزير وألقاه على الأرض ، فقام الوزير وتلفت فرأى فأسا ، فأخذها وضرب الأمير على رأسه فشقتها ، فلما شعر الأمير بالألم جذب الفأس وضرب بها الوزير حتى شجت رأسه ، وسقطا ميتين ، دون أن يشعر أحد ، وظن الناس أنهما يتشاوران.

وقرب العصر ، عندما شعروا أنهما تأخرا ، أطل أحد الخدم في الحجرة ، فرآهما ميتين ، فتراجع صارخا ، وأخبر الناس ، عم الصراخ القصر ، ولكن عم السرور المدينة، لأنهم كانوا في ضيق منهما ، وقبل المغرب كان قد تم دفنهما ، وأخذ الناس يفكرون فيما حدث، فشرحت لهم أم الفتاة كيف حدث الأمر من بداية الحمل في هذا الغلام حتى الآن ، واستدعى كبير المزرعة ، وسألوه ، فقص لهم كيف وجد هذا الطفل ، وشهدت النسوة في المدينة بكل ما قلنه على أمه على حافة البئر ، وشرح الخادم كيف سرق المولود وكيف وضع مكانه جروا صغيرا.

فلما رأى الناس أن الأمر تحقق قالوا "لا تجادل في حكم الله" ، وبعد شهر ولى الصبي السلطة فعين صاحب المزرعة وزيراً ، وبني لوالديه قصراً كبيراً وأنزلهما فيه ، ولما علم أن هؤلاء اللصوص بدلوا الرسالة ، بعث من يستدعيهم ، وولاهم السلطة ، وطلب منهم ترك السرقة .

وعاشوا حياتهم يفعلون ما يريدون ، وبعد حوالى شهر خرج وحده فقط وقتل العفريت وعاد بالعجوز إلى المدينة ، في دهشة من الجميع ، وأخذت الجنية التي قالت أنه سيكون أميراً تأتي إليه كل ليلة تساعده ، إذا أصابه مكروه ، وكان كلما دار الحديث يضحك الأمير مع الوزير لأن زوجة الوزير تقص له قصة زوجها عندما جري ، بعد أن

فتح الصندوق وسحبه من الماء ، وتقول أنها أرجعته بصعوبة ، وجعلته يحمل الأمير إلى المنزل.

عندما انتهي الوزير من هذه القصة ، قال فصيح 'إن هذه القصة جميلة' ، دخل الوزير المنزل لينام ، ولما جاء فصيح ، قال له الوزير 'أريد أن تفكر في القصة التي ستقولها غدا ، يبدو أنك سترثني' ، قال فصيح 'أحيانا الله' قال الوزير 'تستمر اليوم في تقديم التحذير الحادي عشر'

منْ قدر له أن يضرب لا ينفعه التحذير

ذات يوم كان سعيد أمير المسلمين جالسا بين حاشيته ، ويحيط به كل الناس ، يتحدثون فى أخبار الدنيا ، فوصل وزيره وحياه ، وأدرك ان الأمير يشعر بالمرح فى هذا اليوم ، وعندما هم بالخروج رأى تاجرا جائلاً على باب القصر ، يبيع سلعته فلما حيا الأمير قال " ها تاجر جائل على باب القصر ، لديه سلع مختلفة ، لعلنا نشترى شيئا للأطفال "

قال الأمير " ناده " ، فاستدعاه فدخل رجل قصير وسمين ، لايرتدى شيئا سوى الخرق البالية ، ممسكا بطاسة فى يده ، حيث سلعته سلعة الجائل، فأخرج للأمير السلع التى يبيعها، ووضعها على الأرض ، فاشترى الأمير لأطفاله بنادق صغيرة للعب ، واشترى لأبناء الوزير أحذية صغيرة ، ثم رأى شيئا يلمع تبقى فى السلة ، فقال له " وماهذا ؟ "

أخرج التاجر طاسة صغيرة حمراء من الحديد ، وقدمها للأمير ، وقال " لا أعرف ماهذه ومافيها ، توجد علبة صغبيرة ، وبها شئ ناعم كالنشوق ، ومغلق بورقة ، أحضرها لى شخص من سوق مكة ، وقدمها إلى ، أحتفظ بها لجمال الإناء فقط ، أطال الله حياتك ، إذا أردتها أبيعها لك بأى ثمن "

دفع الأمير ثمنها وطلب من التاجر أن يقرأ ما كتب عليها ، فقال " لا أعرف القراءة " فطلب الأمير من كاتبه فعجز هو الآخر عن فهم معنى الكتابة ، وكذلك عجز كل رجال الحاشية .

قال الوزير " أطال الله حياتك ، يوجد أحد العلماء هنا بالقرب من المسجد ، لاتستعصى عليه أية لغة ، حتى أطلق عليه الناس أستاذ العلم ، هل نستدعيه لنعرف؟ " ، قال الأمير " استدعه " .

فلما جاء قال " سمعت أنهم يطلقون عليك أستاذ العلم ، إن لم يكن ذلك كذبا اقرأ لى ما فى هذه الورقة ، إذا فهمت معناها سأعطيك كل ما تريد ، وإذا أخفقت سأجلدك أثنتى عشرة جلدة بالسوط "

أخذ العالم الورقة ، ونظر فيها ، وقال " إنها تقول، كل من يجد هذا الدواء ، يشكر الله ، فكلما أراد الإنسان أن يحول نفسه حيوانا يشمه ويتجه إلى جهة الشرق " ويقول "موتابو " فيرى نفسه قد تحول إلى هذه الدابة ، وإذا أراد أن يعود إنسانا يتجه إلى جهة الشرق ، ويسجد ثلاث سجدات ، ويقول " موتابو " وفي الحال يعود كما كان ، ولكن عندما يتحول الإنسان إلى دابة عليه ألا يضحك ، فإذا ضحك فلن يعود إنسانا مرة أخرى إلى الأبد".

ضحك الأمير ، وقدم لهذا العالم هدايا كثيرة ، وكذلك التاجر ، وصرف الناس ، وبعد أن خرجا نادى الوزير وقال له " إذا كان هذا الأمر كذلك فنحن سعداء ، إنه أمر مسلٍ ، إذا كنا سنسمع كلام الحيوانات ،وأن نحول أنفسنا إلى دواب ".

قال الوزير " حقا ، ولكنى أخاف "

قال الأمير " ويحك ، ليس فى الأمر شئ ، غدا فى الصباح ، أحضر لنذهب إلى الغابة ونجرب "

قال الوزير " وهو كذلك "

وفى الصباح جاء الوزير ، وخرجا خلسة ، والعلبة الصغيرة فى جعبة الأمير ، ودخلا مزرعة الأمير ، وتوجها خارج المدينة ، فلم يعجبهم المكان ، إذا تحولا ، فتوغلا فى الغابة حتى وصلا إلى بحيرة ، حيث يتجمع كثير من الطيور ، فشاهدا البجعة تتمشى ، تبحث عن الضفادع ، وتسير ببطء ، وكأنها رجل عجوز ، وهم على هذه الحال نزلت واحدة وقصدت مكان الأخرى ،وبدا كأنهما يتحدثان مع بعضهما .

فلما رأيا ذلك، قال الوزير " انظر إلى هؤلاء، إنهما يتحدثان مع بعضهما ، كيف لو صرنا مثلهما، أنذهب لنعرف ما يقولان ؟ "

قال الأمير " وهو كذلك ، انتظر لنشم "

قال الوزير " لا، علينا أن نتذكر كيف نعيد أنفسنا بشرا بعد ذلك حتى لا نندم "

قال الأمير " ويحك ، ألا نستطيع أن نقول " موتابو " فنعود إلى هيأتنا ؟ ، ولكن بالله عليك لا تضحك . "

قال الوزير " أخشى أن تضحك أنت ،لأنك تضحك على كل شئ. "

قال الأمير " ويحك أيها الوزير ، هل أنت تفوقنى صرامة ؟ ، فلنشم ثم نرى"

وشم الأمير النشوق ، وسلمه للوزير ، فشم هو الأخر ، واتجها جهة الشرق ، وقالا "موباتو "

وفى الحال تحولت أقدامهما وصارت أيديهما أجنحة ، وصارت لحيتهما لغدا ، وتحولت ثيابهم ريشا .

نظر الأمير إلى الوزير وقال " الا ترى كم صرت جميلا ، والله إنك تفوقنى جمالا فى هذه الهيأة ، كما هو الحال وأنت بشر "

نظر الأمير إلى الوزير مرة أخرى وقال "هيا نذهب إلى إخوتنا هناك لنسمع حديثهما"

وعندما وصلا سمعا واحدة تقول للأخرى " صباح الخير يا طويلة الساقين "

فردت الأخرى عليها وقالت " صباح الخير يا طويلة العنق "

قالت الأولى " لقد تأخرت اليوم ، هاهي الضفادع الصغيرة التى تركتها ، هل تبدئين بها ؟ "

فأجابتها قائلة " والله لقد شبعت ، لم آت من أجل الصيد ، لقد جئت لأجرب ، هل سأستطيع الرقص جيدا ، لأني مدعوة اليوم إلى عرس ، وقال أبى إننى سأرقص لبعضهم ليرونى"، ثم أخذت ترقص ، وتتمايل وترفع قدما ، وتدور وترجع للخلف .

وعندما رأيا ذلك ، لم يعرف الأمير والوزير كيف انفجرا فى الضحك ، وقال الأمير " هذا شئ مضحك ، ولكن يا خسارة لقد فرقهما ضحكنا ، ولولا ذلك ، لاستمرا فى الرقص وربما سمعنا بعض غنائهم. "

وهنا تذكر الوزير أنه لا ينبغي الضحك ، فنظر إلى الأمير وقال " سبحان الله ، أطال الله حياتك ، الا تعرف أننا إذا ضحكنا لا نعود مرة أخرى بشرا ، ها نحن قد ضحكنا ، فما العمل ؟ "

قال الأمير " ويحك ، هل الأمر اكثر من أن نتجه جهة الشرق ونقول " مو- مو- مو " ويحك هل رأيت كيف تحير الإنسان هذه الكلمة البسيطة . مو-مو-مو ، أيها الوزير أليس عندك عقل ، اسكت ،ألا تتذكر ، هاهو أنت لقد بدأت تضحك . "

قال الوزير " والله لست أنا الذى بدأ الضحك ، لقد سعلت فقط ، فانفجرت أنت ضاحكا"

قال الوزير "والله لست أنا الذى بدأ الضحك ، لقد سعلت فقط ، أنت الذى انفجرت فى الضحك "

والتفتا جهة الشرق وأخذا ينقران الأرض ويحاولان نطق الكلمة ، حتى تعبا

وجرحا منقارهما ، دون أن يتذكرا ، وظلا على هذه الحال ، دون أن يتذكرا ويجدا الفرصة للعودة بشرا ، ونسيا الكلمة ، ولا توجد فرصة للعودة إلى المدينة بهذه الصفة ،ويقولان أنهما الرؤساء ، وإذا عادا وقال أنهما الأمراء من سيصدق هذا ؟ ، ومن يستطيع أن يقول أن أمراءهم هى هذه الطيور ؟، وأخذا يتجولان داخل الغابة ، ويأكلان ثمار الأشجار ، وينامان داخل الكهوف .

وفى اليوم الثالث طارا وقصدا المدينة ، وصعدا فوق سطح قصر الأمير ، حتى يسمعا ما يدور ، فأدركا أن الكل حزين ، ويقولون " لقد خطف الجن الأمير "

وبعد عشرة أيام ، عادا مرة أخرى ، فشاهدا فرحا كبيرا لقد عين أمير جديد ، والجنود يتبعونه ويقولون له " فى خطواتك السلامة ، حمزة بن بوايه "

عندما سمع الأمير سعيد ذلك غضب وأدرك أن كبير السحرة ، عدوه اللدود ، قد بعث إليه فى الخفاء بسحر ، وزعم أنه دواء للتحول ، لأن ابنه هو الأمير الجديد الذى تولى الحكم ، فأخبر الوزير بذلك ، ثم قال لا بأس ،الأفضل أن نزور قبر أفضل الخلق بالمدينة المنورة ، وندعو الله أن يعيدنا بشرا كما كنا ، وطارا قاصدين الرسول .

وبعد أن طارا حوالي ساعتين ، قال الوزير للأمير " لقد تعبت ، لعلك تعرف أنني لم أتعود الطيران ، وقد طرنا لمدة يومين ، وقد دخل علينا الليل . "

فهبطا ، فرأيا خرابه لبيت كبير متهدم ، وسط الغابة وليس فيه بشر ، فدخلا لعلهما يجدان مخبأ فيه فيختبآن ،وأثناء تجولهما فى المنزل ، سمعا شيئا يتنفس ، فى إحدى الحارات ، فوقفا يتسمعان ، فقال الوزير " هل سمعت هذا التنفس ، أطال الله حياتك ؟، أخشى ان يكون عفريتا "

قال الأمير " ويحك أيها الوزير العجوز ، أمثلك يقول أنه خائف من العفريت! ،

وماذا يفعل العفريت مع البجـعة ؟، هيا ندخل ونرى، وذهب الوزير إلى مصدر النفس ، ليرى ماهو ، فجذبه الوزير بمنقاره حتى اقتلع شعره ، ليمنعه من التضحية بنفسه ، فرفض الأمير التـراجع ، ودخل ، وأطل من إحدى النوافذ المغلقة والتى يخـرج منها الصوت ، فمد منقاره وفتحه ، فإذا بإحدى البوم تجلس ، وأدرك أنها هى التى تصدر الصوت .

وهنا تبعـه الوزير ، فلما رأتهـما بكت ، ونظرت إليهـما ، وقالت " مـرحبا أيتـها البجعة ، ربما أنجو بمساعدتكما ، لأنه سبق أن نبئت ، سأسعد بوجود البجعة "

تعجب الأمير عندما سمع كلام البومة ، ثم قال " يا خسارة ،إذا كان علينا لا تظنى أنك ستنجين ، لو علمت قصتنا ستعرفين أننا مثلك نبحث عن النجاة "

فطلبت البومة من الأمير أن يـقص لها قصتهما ، فقص عليهـا كل ما حدث لهما ، حتى دخولهمـا هذا المنزل ، فلما سمعت قصـتهما ، قالت " حقا إنكـما فى حزن شديد ولكن إذا سمعـتما قصتى ، لعـرفتما أن حزننا مـتقارب ، إننى ابنة أميـر الشرق ، اسمى نريلا ، كبيـر السحرة هذا الذى سحـركما هو الذى سحـرنى هكذا والسبب فى ذلك أنه جاء يوما إلى أبى ، وطلبنى زوجـة لابنه حمزة ، فرفض أبى ،ولشدة غضبه أمر الشرطة تطرده طرد الكلاب ، فلما رأى أن أبى احتـقره هكذا ، تحول ذات يوم إلى قطة ، ودخل قصـر الأمير ، ووصل إلى حجـرتي ، فوجدني نائمـة ، فمسح على بدواء ، فتـحولت هكذا، وأخـذني بفمـه حتـى جاء بى إلى هنا ، وقـبل ان يمضى قـال " أبقى هنا ، ابنة فاسدة، كما احتقرني أبوك ستبقين هنا للأبد شيئا حقيرا ، مع الحيوانات ولن تجدي وسيلة للخلاص ، إلا إذا جاء رجل ورآك فى هذه الصفة وطلبك للزواج . "

نظر الأمـير للوزير وقـال " هكذا اتضح الأمر ، وأمـرنا سواء ، وربما طريق نجـاتنا واحد ، الله وحده يعلم . "

نظرت إليهـما البومة وقـالت "محتمل ان يكون واحـدا ، لأننى اعرف الطريق الذى ربما يساعدنا "

قال الأمير " أى طريق ؟ "

قالت " أعرف المكان الذى يسمر فيـه السحرة مع إخوتهم كل يوم ، ويتحدثون عن كل الأعمال السيئة التى فعلوها ، فإذا دللتكما على الممر تسـللا واختبئا ، فربما تسمعانهما فى الحديث ينطقون الكلمة التى تنسونها "

فلما قالت ذلك ، قال الأمير " بالله عليك ، لأجل النبى ، قولى لنا الوقت الذى يجتمعون فيه " ، سكتت البومة ، وبعد قليل قالت " سأقول لكما ، على أن تعدانى بأمر واحد "

فهب الأمير قائلا " قولى ،والله مهما تقولين سأفعل . "

قالت " يعدني واحد منكما أن يتزوجني ،لأنجو أنا كذلك"

فجذب الأمير الوزير ، واتخذا جانبا ، يتشاوران ، ثم قال الأمير " أزوجكها "

قال الوزير " كيف أتزوج ابنة أمير ، إنى لا أقوى على ذلك وأنت موجود "

قال الأمير " لا شئ ،لابد أن تتزوجها "

قال الوزير " لا ، إنى عجوز ، ماذا سأفعل مع فتاة جميلة كهذه ؟، لا تناسب أحد سواك، وأنت شاب صغير مثلها . "

قال الأمير " هذا ما كنت أشك فيه ، من الذى يعرف الأمر الخفى ،إلا أن يقوم بالمغامرة ، وعليك أن تفعل ذلك ، لأنك لا تعبأ بشيء الآن"

قال الوزير " أنا لا أهرب من قبحها ، لأننى متزوج ابنتك ، وإذا جمعتهما معا لن يعيشا فى سلام "

حاول الأمير كثيرا معه ، ولكنه رفض ، وفضل أن يبقى بهذه الصفة طول حياته عن أن يتزوج هذه البومة ، ثم سكت ، ودخل الحجرة ، وقال " وهو كذلك ، أنا الذى سأتزوجك ، إذا ساعدتنا على ان نعرف هذه الكلمة. "

قالت " أنتما سعيدا الحظ ، إن اليوم موعد لقائهما ، فهيا أوصلكما إلى الممر " ، وطارت بهما كثيرا حتى وصلوا إلى إحدى الحارات ،وأطلوا من النافذة ، فوجدوا مصباحا فى أحد الممرات ، ويحيط به الناس جميعا ، وقد لاحظ الأمير أن فيهم العطار الذى باع لهم الدواء المسحوق ، وبينما هما فى المخبأ سمعوا كل واحد منهم يتكلم عن الأمور التى عملها ، وسمع أحدهم يقول لكبير السحرة" أية كلمة كتبتها لأمير المسلمين ، وقلت إذا نطقها سيرجع إنسانا ؟"

قال الساحر " كلمة صعبة وهى "موتابو" ، والآن مهما بقى لايهمنى ، ربما أكلهم الآن أحد الوحوش "

فلما سمعوا هذه الكلمة عادا إلى حيث تكون البومة ، واتجها جهة الشرق وسجدا ثلاث مرات وقالا "موتابو" ، وبمجرد نطقهما بهذه الكلمة ، تغيرت طبيعتهما ، وعادا بشرا كما كانا ، وبعد أن انتهيا شكرا البومة ، لمساعدتها لهما ، وعانقا بعضهما من فرط السرور .

قالت البومة " لا مجال للشكر ، أين وعدنا ؟ "

نظر الأمير إلى الوزير وقال لها الوزير " لعلك تعرفين أن الأمير لا يخلف وعده"

فلما سمع الأمير ذلك قال " حقا يا وزير ،اعقد لنا القران"

دعا الوزير ، ومسحا وجهيهما ، وبمجرد المسح رأيا البومة قد تحولت إلى فتاة لامثيل لجملها فى كل الدنيا ، فتراجع الأمير إلى الوراء وقال " أنت انس أم جان"

فقالت " زوجتك البومة"

فنظر إليها من أسفل إلى أعلى ، وتنهد ، وقال " تبارك الله الملك الذى خلق الجن والإنس ، إن تحولنا إلى بجع أراد الله لنا به خيرا" ، وعانقا بعضهما من شدة السرور.

ونظر الأمير فى جيب ثوبه ، فوجد علبة الدواء ، فاتخذ الثلاثة السبيل، وساروا أياما حتى وصلوا المدينة ، ودخلوا القصر ، فوجدوا حمزة على العرش ، فلما رأى الناس عدل أميرهم قد عاد ، عمت الفرحة المدينة ، وأخرجوا حمزة ابن كبير السحرة ،وأعادوا أميرهم ووزيره ، فقد ضايقهم حمزة وأبوه.

ولما اعتلى الأمير العرش ، جمع كبار المدينة وقص لهم كل شئ ، ثم قال " أيها الناس، ماذا تظنون جزاء هذا الساحر الآن"

فلما سمعوا ذلك ، قالوا لا حول ولا قوة إلا بالله ، وقالوا " ليس أفضل من أن يقتل شر قتلة ، هو وابنه " ، فأمر الأمير بربطهما ، وأخذ الساحر إلى السوق حيث طعن بالسيف ، ثم أمر أن يأتوا بحمزة ، وقال " اختر ما تفضله ،أن اقتلك ،أم تشم هذا الدواء "

قال " أشمه "

فقدم إليه الأمير الدواء فشمه ، وقال له قل " موتابو "

فقال حمزة " موتابو " وفى الحال تحول إلى بجعة فأمر الأمير بأخذه وصنع له قفصاً كبيراً ،ووضعه فيه على باب القصر ليراه الجميع .

وأخذ الأمير والأميرة والوزير يتمتعون بحياتهم ، وإذا أراد الأمير ان يمزح قام وأخذ يقلد الوزير عندما كان بجعة ، وأخذ يمد عنـقه ويمشى خطوة خطوة ،ويمد يديه ويحركهما ، كما كان يفعل الوزير إذا رأى ضفدعة، أو يركع ويمد عنقه ، وينقر بمنقاره فى الأرض ، ويقول " مو - مو - مو - "

أى كمـا كان يفعل الوزير عندمـا كان يريد أن يتـذكر الكلمة ، فـيتفجر الجـميع فى الضحك ، وكان الوزير إذا أراد ان يتركه الأمير ، يقـول " أقول لزيلا ما كنا نتشاور فيمن سيتزوجها . "

فيـتركه الأمـير حتى لا يكشف سـره . انفجر فـصيح فى الضـحك ، وقال " كل القصص التى سمعتها ، لم أسمع أبدا ما تفوق هذه القصة جمالا " ، ثم طار وانصرف .

وعندما طلع النهار ، لم يذهب فصيح طول النهار خارج القـصر ليضيع وقته عبثا ، ولكن مكث فى المنزل يفكر فى القصة التى يقدمها ، فـيسر الوزير منها، وبعد قليل عندما رأى أن الظهر قد اقترب ، طار وقصد منزل الوزير ، ودخل ، وحياة .

فرد الوزير وقال " هل مستعد لتقديم القصة "

قال فصيح " نعم "

قال الوزير وهو كذلك " ابدأ بسم الله "

بدأ فصيح قصة " سو سو سو ، وشا شا شا "

قال الوزير " يا ابن الحرام ، هل سمعت مرة أن رجلا يسمى بهذا الاسم ؟ "

قال فـصيح " نصـرك الله ، إنها قصـة ، وأنت قلت أى اسم أراه مناسبـا أذكره ، وانتظر لتسمع كيف اخترعت هذا الاسم . "

قصة سوسو وشاسا

كان يعيش فى إحدى القرى صديقان ، أحدهما كان يسمى سوسو، والآخر شاسا ، وكان لكل منهما زوجة ، وكـان الرجلان يحبان بعضهما، ولكن الزوجـتان كانتا دائما فى شجار كالكلاب ، وكان شئ واحد فقط يسبب هذا الشجار ، كانت كل امرأة تظن زوجها يفوق زوج الأخرى غباء.

وذات يوم قالت امـرأة سوسـو لزوجة شاسـا ،انتظري لتسـمعي مـاذا يفعل زوجى ،فأنت كل يوم تثيرين معى خلافا بلا فائدة، انظري ،ذات يوم وجدته يصنع ثريدا ليقدمه للرضيع ليشربه عندما سمعـه يبكى ، ولولا أن الله أحضرني بسرعة لحدث أمر سئ ،ومع أنه صب جزءاً من الثريد فى فمه وبدأ يتسلـخ ، ولكن استمر ، وأخذ يضع له الثريد يظن أنه لم يشبع. "

قالت زوجة شاشا ، " نعم ، لابد أن زوجك لديه بعض الغباء مثل زوجى ، ولكن إذا سمعت كيف أعاني من زوجى تتعـجبين ، اسمعي ما حدث ، ذات يوم طلبت منه أن يشترى لنا كسافا فذهب وأحضـر لنا نباتا ساما ، وطلب أن نطهيه ، سيكون له طعم لذيذ ، اسمعـي أيضا فذهب وجاء بنبـات سام وقال جربى هذا سـيكون لذيذا ، وفى مثل هذا اليوم من الأسـبوع الماضي ، طلبت منه أن يبـيع لنا خروفا ، وكـان أقل ما يمكن بيـعه به ثمانية شلنات ، ولكن عندما ذهب وثمن بشلن ونصف، قبل المبلغ ووضـعه فى جعبته ، واشترى لنا تسـعة عشر صاعا من الحـبوب، انظري غباءه لأنه كان بإمكانه شـراء أكثر من هذا بكثير بما معه من المال .

قالت الزوجة سـوسو " لست أرى غباء فى هذا ، الأفضل أن نجـرب من هو الأكثر غباء فيهما .

كان لـدى سوسو مـنسج ،وكانت زوجـته تجـيد النسج ،لذلك عندمـا دخلت المنزل قصدت المنسج فوجـدت زوجها قد قطع الخيوط التى ربطهـا أول أمس ،ولا توجد خيوط فى النول ، وهو ما كـانت تريده الزوجة ، فهـيأت المنسج وجلست عليه، وأخـذت تحرك المكوك كأنها تنسج ، وبعد ذلك جاء زوجها ، فاجتهدت فى النسج ولم ترفع رأسها إليه.

فلمـا دخل الزوج ورآها قـد نشطت فى النسـج ، ولكن لم ير خـيطا ولا أثر له ، فوقف على رأسـها صامتـا فاغرا فاه من الدهشـة يرى قدرة الله ، وبعد قليل دلك عـينيه وفتحهما ، ونظر إلى المنسج فلم ير أثرا للخيط .

فقال للزوجة " هل جننت ، تجتهدين هكذا فى نسج الهواء ، ولا أرى خيطا ؟

قالت الزوجـة " لا يوجد خـيط؟، هل مسك الجن ؟، هاهو الخيـط قد اشتـريته لأ صنع لك ثوبا ، لن ترى مـثله أبدا ، فتـقول لا يوجد خـيط على المنسج ،؟أنت الذى لا تهتم بذلك ، وإلا لرأيت لأن الخيط ممتاز ، وهو السـبب الذى جعل الأغبياء من الناس لا يستطيعون رؤيته بسهوله إلا إذا أمعنوا النظر .

فتح الزوج عينيـه فلم ير شيئا ، فقـال " إنني سعيد الحظ بزوجـتي الحكيمة ، بالله لولا أنك قلت لى لقلت انـه لا يوجد خـيط فى المنسج ،ولكن بعـد أن أخبـرتني الآن ، بدأت أرى أثر الخيط، تنسجين شيئا فشيئا .

ابتسمت الزوجة ، وكاد يغلبها الضحك ، فأخفته ، وقامت بعد قليل وأخذت سكينا وكأنها تقطع خيطا بعد أن انتهت من النسج ، ولم يتـبق إلا الحياكة ، فأخذت خيطا وإبرة وأخذت تخيط الهواء ، فجـاء الزوج وركع أمامها ، وفغرفاه يتعـجب ، وبعد فترة قالت أنها تشعر بالنوم ، ستتركه حتى تتم الحياكة فى الصباح وتقدمه إليه .

ذهب الزوج إلى الفراش وهو مـسرور ، يتعـجل طلوع الفجـر ليرتدى هذا الذى لا يمكن أن يرى أحـد من الناس أجـمل منه . وعندمـا طلع النهـار أخـذت الزوجـة المقص وأخذت تقص الهواء ، ثم وضعت المقص وأمسكت الإبرة وعملت كـأنها تخيط شيئا دون أن يكون شئ فى يدها، وزوجها راكع يراقبها .

وبعـد قليل وضعت الـزوجة الإبرة ، وقـالت "لقد انـتهـيت"، ونظرت إلى الزوج وقالت " هيا نجرب"، فخلع ثوبه وسرواله ، ولـم يبق على جسده سوى السترة ، وقامت دون أن يكون فى يدها شئ ، وقالت إنها تحمل الـثوب ولكن لجودته لا يستطيع أن يراه ، وادعت أنها ستلبسه الثوب، وقد وقف زوجها فاغرا فاه من الدهشة .

ولما قالت زوجته إنها ألبـسته ، نظر إلى أكتافه فلم ير شيئا قـد لبسه ، فقال " والله إننى أحس كأن لا شئ على جسمي " فقالت الزوجـة " لقد قلت لك لأن الخيوط جيدة، لذلك لا ترى شيئا ، ومثل هذا الثوب لا مثيل لجماله فى وقت الحر . "

فحاول الزوج أن يمسكه ، فـرأى أنه لا يمسك إلا جلده ، فقال " طالما أنك قلت أنه جيد ، لابد أن يكون كذلك ، دعك من جماله الآن ، إنني أعلم أنني لو دخلت به المدينة لن يكون أحد أكثر مني جمالا وزينة ، لأن الأمير نفسه لا يرتدى أحسن من هذا. "

قالـت الزوجة " دعني أنادى زوجـة شاشـا ، لتسـمع ماذا تقـول" ، وذهبت إليـها وقصت لها كل ما حدث ، فأخذا يضحكان وطلبت منها أن تأتى لتراه .

فلما جاءت زوجـة شاشا ورأت سوسو تعجبـت وقالت " بالله عليك يا أختي، أين وجدت هذا الخيط حتى صنعت لزوجك ثوبا منه ؟، سأحاول شـراء مثله مهما كان الثمن ،لأصنع منه ثوبا لزوجي "

فلما سمع سوسـو ذلك ، قال لزوجته ، " لا تقولي لها ، إيهـما لا يحبون أن يريا زوجة أحد اشترت شيئا للعرض إلا وجاءا بمثله ، لا تقولى لها "

خرجت زوجة شاشا مسـرعة وكأنها غاضبة ، لأنها رفضت أن تقول لهـا ، فأتبعتها زوجة سوسو وكأنها تهدئ من غضبها ، وسوسو يقول لها ، " اتركيها تذهب إلى الجحيم وتموت بسببنا ، هل زوجها يرتدى مثل هذا الثوب " .

ولما أعطيـا ظهريهـما لـسوسـو ، قالت زوجـة شاشـا ، " بعـد قليل تعالى لتـرى صاحبي" ، وعادت الزوجة فقال سـوسو " يجب أن نريه للناس ، حتى يعرفوا أن الله لـم يعط أحدا من الناس الحكمة مثلك "

فقالت الزوجة " هذا رأيك ؟ ، أنا لا أضيع المال الذى أنفقته من أجلك سدي. "

بينما كانت زوجة سـوسو تعانى فى صناعة الثوب لزوجها ، كـانت زوجة شاشا مع زوجها ، فلما دخل المنـزل قامت وفى فمها بعض البصل الذى كانت تـأكله خفية والدمع ينساب من عينيها ، ونظرت إلى شاشا وهى مذعورة ، والدمع يسيل من عينيها .

فلما رأى شاشا أنها تحدق فيه هكذا وكـأنها حزينة ،وقف ونظر إليها وقال "ما الذى حدث وأثار غضبك هكذا حتى سال الدمع من عينيك وتحدقين فى وجهي وتبكين ؟"

قالت الزوجة " اذهب بسرعة واسترح إنك مريض . "

رأى شاشـا أن صحته جـيدة ، ولكن زوجتـه تخبره أنه مـريض ، لذلك قال " إن زوجتي لا تكذب ، ربما إنني مـريض وصحتي ليست جـيدة ، ولا أدرك ذلك " ، وتوجه إلى السرير ورقد وهو ينهج.

ولكثرة التـفكير والتعجب لم تـغمض له عين حتى طلع الفجـر ، وإذا أراد أن يبول أحضـرت له زوجته إناء صغـيرا من الفخـار تبول فيه ، مع أن صـحته جيـدة ، وكان إذا أخذت سـوطا وضربته به أو إذا جـرى من الصباح وحـتى الظهر لا يتـعب ،ولكن عندما قالت له زوجـته أنه مريض تمدد فوق السـرير ، دون حركه ، وأخذ الناس يأتون لعـيادته وهو ينهج ويرد بصعوبة.

فلما رأى أنه رقـد في السرير منذ ظهر أمس وقـد طلع النهار قال لزوجـته " هل أنا مازلت مريضا حتى الآن ولم أشف ؟ "

قالت الزوجة " أين الشفاء ، إنك تزداد سوءاً . "

قال شاشا " بالله عليك قولي لى ماذا يؤلمني فى جسمي؟ ، أنا لا أعرف"

قالت الزوجة " الا تـعرف؟، ألم تشعر قبل أن أنـتهى من طهي الطعام، كأن شـيئا يمغص فى بطنك ؟ "

قال شاشا " أشعر به دائمـا ، قبل أن أقوم بهذه الرحلة الطويلة ، أو فى اليوم الذى لم تنته فيه من طهى الطعام بسرعة، ولكن بعد أن أكلت الطعام ، لم أشعر به . "

قالت الزوجة " إنه مرض قيللى ،إن لم تأخذ العلاج بسرعة ، يهلك الإنسان حالا"

قال شاشا " بالله عليك الا تساعدينني بالعلاج ؟ "

قالت الزوجة " سأحاول ، ولـكن أخشى أن يضعفك هذا المرض ، لماذا لم تقل لى فى حينه ، إلا بعد أن علمت بنفسى"

صدق شـاشا أنه مـريض ، فقال لزوجـته " لقـد كنت أظن من قبل أننى سـأشفى بسرعة، وهو الذى جـعلني أفعل كالرجال ، وتركت كل التعب الذى أشـعر به ، حتى لا أقول لك فتقلقي ،وإن هذا المرض من النوع الذى يشـعر الإنسان معه أنه سليم ، لو أعلم أننى مريض لقلت لك قبل ذلك. "

قالت الـزوجة " لا بأس ، الحمـد لله ، لقد عـملت كل ما أسـتطيع ، وعليك أن تنام" ، سكن الزوج ولم يتحرك، وإذا دخلـت الزوجة ، وسألته عن صحتـه ، قال لها " إن المرض يزداد" .

أحضرت الزوجـة هذه الأوراق ، وقدمتها إليـه ليمسح جسمـه بها ، وقطعت بعض

لحاء الشجر ليمسح به جسمه ، وبعد قليل جاءت زوجة سوسو ، لترى غباء شاشا ، فقالت المرأة لأختها ما فعلت به ، فخرجا وهما يضحكان.

قالت زوجة سوسو ، " إن زوجك اسم على مسمى "

قالت زوجة شاشا " كيف عرفت أنه اسم على مسمى؟، انتظري لتعرفي ماذا سيحدث مستقبلا ، ثم افترقتا .

ولما حان وقت الظهر جاءت زوجة شاشا وهو راقد على السرير ، وانفجرت فى بكاء كاذب ، فهب شاشا واقفا فوق السرير ، ونظر إلى الزوجة وقال " ماذا أصابك حتى تبكين ؟ "

قالت الزوجة " ارقد بسرعة ، ستموت ، حتى لا تموت واقفا ، فتقع وتجرح"

قال شاشا " سأموت ، والله لقد شفيت ،انتظري حتى أذهب وآخذ الفأس ، واذهب إلى الحقل ، إني أشعر وكأن جسمي لم يمرض أبدا" ، ثم نزل من فوق السرير .

قالت الزوجة " عد ونم لأنك ستموت قبل العصر ، اغمض عينيك، وتمدد ، انك تعرف، لا يستحب أن يموت الإنسان واقفا "

أصاب شاشا الرعب عندما سمع كلام زوجته ، فعاد إلى السرير ورقد، وتمدد ، لأنه طالما قالت زوجته انه سيموت ، فلابد أن يموت ، وهو لا يعرف ماهو الموت ، وذهبت زوجته .وقالت لزوجة سوسو ، وأخذا يضحكان. ثم ذهبت وأخذت تبكي بكاء كاذبا ، وقالت للناس أن شاسا قد مات ، وبعث خالها بعض الناس يحفرون القبر ، وقبل أن يأتوا ذهبت واشترت كفنا ، ونادت زوجة شاسا وقاما بحياكته ، ووضعا فيه شاسا ، وظل صاحبنا لا يتحرك كأنه قد مات .

عندما جاء الناس ، وجدوا أنه قد وضع في الكفن ، فقالوا "هل أتممتم كل شيء ؟" قالت الزوجة " لقد مات منذ الظهر ، حتى جاء إخوته وغسلوه وكفنوه ، ولم يبق الا أن يحمل النعش ويدفن "

ولم يعرف الناس ما في الأمر ، وفي الحال أحضروا الكفن ، وحمل، وتعجب شاسا كثيرا في نفسه ، وقال "إذا مات الإنسان سمع كل ما يقولون؟، إن الموت لذيذ ، وكان الناس يحبونني في المدينة في الوقت الذي مت فيه ، ولولا أن كل من على الأرض سيموت لفضلت الحياة في الآخرة على الدنيا ".

وحمل إلى حيث حفر قبره ، وأخذ وألقي فيها ،وبدأوا يهيلون عليه التراب ويضعون الحجارة ، وإذا بسوسو يخرج ويتمخطر بالسترة يسير مختالا اعتقادا أنه يرتدي الثوب الذي لا يراه أحد ليشيع جنازة صديقه .

لما رآه الناس عارياً هكذا انفـجروا في الضحك ، فلما سـمعهم شاسا يـنفجرون في الضـحك أطل برأسـه من القـبر ليـرى عـلام يضـحكون ، وقـال "والله لولا أنني مت لضحكت على غبائكم "

تراجع الناس إلى الوراء وقالوا " ألم تمت ؟ "

قال شاسا " لقد مت ، قالت زوجتي أنني مت منذ الظهر "

فلما بدأ الناس يضحكون دمعت عيونهم.

قال فصيح " هل سمعت القصة التي اخترعتها ، عن سوسو و شاسا نصرك الله" ، طار الوزير وأخذ فصيح وعانقه وهو يفخر به ، ويمدحه على هذا الاجتهاد .

وعندما انتهى قال " دعني أقـص عليك مثالا للتحذير السابع عشـر" ، قال فصيح " وهو كذلك" ، وبدأ الوزير .

كل من قلد غيره فقد شخصيته

كان أحد الرجال يعيش في بلدة ، وكان يفوق كل الناس جبنا ، وغضبا ، وحقدا ، وتذمرا ، وجحودا ، وكان دائما يضايق زوجته ، ويدعي أنها لا تبذل أقصى طاقتها ، يقول " اذهبي ، جبانة ،أنت لا تعملين عملا مهما ،ومع ذلك لا تعملين للإنسان ما يريح نفسه ، كل يوم أعمل هناك في الحقل منذ طلوع الشمس حتى غروبها ، وحرارة الشمس فوق رأسي ، حتى تغيب ، أزرع وأحصد ، وإذا نضج الزرع أحمله إليك وأنت جالسه تطهين فقط ، هذا أقصى ما تفعلين "

فتقول الزوجة " هذا كل ما تراه يا سيدي ؟ "

يقول الزوج " إذا لم يكن هذا كل ما أراه فماذا تفعلين سوى الغناء والتطبيل الذي تلحين به علي؟"

قالت " يا سيدي ، درس الحبوب دائما أقوم به كل صباح ، والطحن للثريد ، وفصل الحب لصناعة الثريد ، كل هذا ليس عملا ؟ "

قال رب البيت " ماهو العمل في كل هذا ؟، كل هذه الأشياء تتم وتنتهي قبل الضحى ، ليس قلة عملك هو الذي يغضبني ، ولكن إذا فرغت من صنع الطعام تجعلين نصيبي مثل نصيبك ،أمس كان الحساء أسود جدا ، أما حساؤك فقد وضعت فيه السمن ، حتى يمكنك رؤية وجهك فيه"

قالت " يا سيدي انظر إلى هذا الطفل الذي أمامي ، إني أعاني كثيرا من حمله ، وانظر إلى هذا الحمار ،كل خدمتهم تتم بيدي "

قال الزوج " كلام فارغ ، أية خدمه لهذا الحمار ، سوى أخذه للرعي، وتقديم الماء له؟، أما الطفل فمن الذي لا يستطيع حمله ، إن الشخص الذي كان السبب الأول في جعل النساء يعملن عمل المنزل والرجال يعملون في الحقل قد أساء القسمة "

قالت الزوجة "هذا كل ما تراه الآن ؟، هل نسيت ورود الماء ، وكنس المنزل ؟ "

قال رب البيت " كفي عن هذا الكلام السخيف وإلا سأضربك ضرب الكلاب، هل هذا عمل ؟ هل يعمل الرجال في المنزل وتعمل النساء في الحقل ، ويحك ألست ترين جسمي ؟، انظري لجسمك كم هو ناعم ، وانظري لجسمي الخشن كم هو خشن ، ومشقق ، ومتسلخ من العمل ، أعجب كيف لا تتعبين من الراحة "

قالت الزوجة " يا سيدي هل أنت صادق في كلامك هذا ؟، أم هذا الكلام للمزاح فقط ؟، إذا كان للمزاح ينبغي أن تكف عنه فإن كلامك قد زاد عن حده "

غضب الزوج لأن كل هذا الكلام الذي قاله تظنه مزاحاً ، فزجرها ، وقال " أنت امرأة فاسدة عابسة أيكون المزاح هكذا ؟، أعمل كل يوم في الحقل ولا أتركه حتى أعرق وأتعب"

نظرت إليه الزوجة وركعت وقالت " اغفر لي إذا كان كلامي أغضبك، من أنا حتى أجادلك ؟، ولكن كل ما أريده هو أن نغير العمل غداً ، تنتظر أنت في المنزل وتعمل كل الأعمال التي أقوم بها ، وأنا أذهب إلى الحقل ، وأكمل الزراعة والعزقة الأولى التي بدأتها اليوم ، وإذا شعرت بالتعب الذي تعانيه ، حينئذ أجعل نصيبك من الطعام ضعف نصيبي "

مص الزوج شفتيه وقال " امرأة رقيقة جداً مثلك ، مالك أنت والزراعة، إن والديك دللاك ، لو ربياك تربية النساء الريفيات اللاتي يسابقن أزواجهن في المزرعة ما صار فيك أمر سيئ "

قالت الزوجة " لا بأس اتركني أعمل "

قال الزوج " أين أتركك تأتين وتفسدين علي اليوم كله عبثاً ، وتجعلين الجيران يتفوقون علي ؟ "

قالت الزوجة " لقد قلت لك اتركني وسترى نشاطي ، إن المثل يقول من يقول لك أنه يستطيع أن يبتلع الفأس جربه بيدها ، لا أذهب إلى الحقل لإحضار شيء منه ولكن لأذوق ما تذوق فأشفق عليك ، وأضع لك طعاماً أكثر من طعامي ، وإذا ضايقني أمر ، يوجد كثير من الناس يساعدونني ، ويعلمونني كيف أعمل "

قال الزوج " نعم ، إن الذين يحدوننا من جهة الشرق والغرب أناس طيبون ،

ستجدين مساعدتهم إذا طلبت ذلك ، ولكن إياك أن تخطئي ، وتطلبي مساعدة من الذين يحدوننا من الجنوب ، إنه جار ظالم ، لا يعـمل شيئا سوي الغيـبة والجور على الحدود ، وسترين أمراً غريبا ، إنه يخرج منذ صلاة الفجر ، ولا يعود إلا الظهر ، ومع ذلك زراعته أفضل من زراعتنا قليلا ، أنا الذي أقوم وقت الضحى"

قالت الزوجـة "لا يضايقك هذا ، انتظر أنت واسترح إذن ، وقم بعـملي ، فأذهب أنا وأقوم بعملك ، ولكن لا تنسى أن تطهي لي الطعام ، وتذكر أنه عندما تغرف ، اغرف لي أكثر منك ، لأنك اليوم تستريح ، وسأقوم أنا بالعمل".

قال الزوج "إذا كان على الطـعام ، لا يقلقك هذا ، سأنتهي قبل أن يـنتصف النهار وسآتي وأدعوك"

قالت الزوجـة " لا تتعب نفسك وتناديني ، عندمـا أري الشمس تتوسط السـماء ، سآتي كما تفعل أنت عادة"

قـال رب البـيت "لا ، لا تأتي ، انتظري حـتى أنـاديك ، وإلا سـتكررين الذهاب والعودة ولا تجيدين عمل المنزل ولا الزراعة.

قالت الزوجـة "ما كنت آتي لأدعوك ، بل عندمـا كنت تشعر بحرارة الشـمس قبل منتـصف النهار كنت تعـود ، الآن الأمر قـد عاد إلى، تقول أنـني يجب أن أستـمر إلى منتصف النهار؟"

قـال الزوج "لا أريد أن تأتي الظهـر ، ولا أريد أن تأتي قـبل أن أنتـهي، حـتى لا تضايقـيني بقولك أعمل كـذا ، أعمل كذا ، أريد أن أعمل حـاجتي بنفسي ، سـتذوقين حساء لم تذقى مثله من قبل، واعلمى حتى في الطهي لا توجد امرأة تفوقني"

قالت الزوجـة "وهو كذلك ، سأفـعل ما قلت ، غدا استـعد لشرب الحـساء اللذيذ وليس مثل حسائي غير اللذيذ"

قـال الزوج" إن شاء الله، وهذا الولـد الصغـير سـأردف ، وسـأعد له الطعـام من الضـحى ، ولن أتركه حـتى ينتـصف النهـار ، ولا يضايقنـي بالبكاء، وأنا لا أحب بكاء الأطفال ، وإذا رأيته قد استيقظ أعطيه إناء صغيراً يلعب به"

قالت الزوجة " لابد أن تستطيع تربيته هكذا ، ولكن أفضل أن أذهب به إلى المزرعة حتى لا يضايقك"

قـــال الزوج "لا ، لا تأتي به ، إذا ذهبت بـه من يمسكه لك ، ومـن يفلح الأرض لك؟، أنت تقصدين عدم العناية به".

قالت الزوجـة "لا ، سأذهب به ، وأنيـمه في الظل عندمـا أعمل ، وإذا سـمعـته يبكي، آتى وأرضعه ، وسأذهب بكلبنا الأسود ليـرقد بالقرب من الطفل إذا وضعته ،ولماذا تشغل نفسك بهذا؟، وعليك أنت أن تهتم بالعمل."

قال الزوج "يبـدو أنك لا تريدين أن تتركي هذا الولد معي ، ولا تعلمين أنني أكـثر منك اهتـمامـا به ، ولكن طالما أنك تريدين الذهاب به ، وهو كـذلك ، أحيـانا الله إلى الغد"

عندما طلع النهار ، استعدت المرأة للزراعة ، وخرجت ، وتركت الزوج يغط في نوم عميق لأنه يري أن العمل قـليل في المنزل ، ولما وصلت المرأة إلى الحقل ، وضعت الطفل أسفل شجرة التمرهندى ،وتركت الكلب راقـدا بالقرب منه ، وذهبت لتبدأ الزراعة ، ولما رآها الناس تفلح الأرض ، قالوا "أين زوجك ، هل هو مريض؟"

قالت الزوجة "هو طيب جـدا ، ولكن تبادلنا الأعمال لأنه دائما يضـايقني ، بحجة أنني لا أعمـل شيئـا في المنزل سوي النوم ، وهو كل يوم هـنا يعاني من حـرارة الشمس ،ويقول أنني لا أجعل طعامه أكثر من طعامي، لأنني لا أشعر بالمشقة التي يعانيها ، لذلك قلت له أن يمكث في المنزل ، ويؤدي العمل الذي أقوم به ، وآتي له إلى المزرعة"

انفجر النـاس في الضحك ، وقالوا " ما هو العـمل الذي يضايق الناس هكذا، كم حزمة من الذرة ربط العام الماضي؟"

قالت الزوجـة "لقد اجتـهد العام الماضي ، وربط أربع حـزم من الغلال وثلاث من الدخن"

انفجر الناس في الـضحك وقالوا "هكذا قال لك؟، إنه يكذب ، لقـد ربط حزمتين فقط من الغلال ، وواحدة وقليل من الدخن ، والباقي ساعـدناه فيه ، لأنه كان يحضر لنا الماء إذا شعـرنا بالعطش ، ولكن طالما الأمر كذلك ، اذهبي أنت واسـتريحي في الظل ، لأن العـمل القليل الذي كان يعـمله كل يوم نحن نعـمل لك ضعـفه الآن"، وفي الحـال ساعدوها ، رحمة بها.

وصاحبنا الآخر لم يستيقظ من النوم إلا بعد أن توسطت الشمس السماء ، فلما استيقظ شرب الشريد ، ودخن التبغ ، وهو يقول "إن النساء يتمتعن بحياتهن كلها ، أستريح حتى يزول النوم من الجفون ، ثم أقوم في الضحى ، وأنهى العمل المطلوب.

وبعد قليل حان وقت الضحى ، فقام وأخذ إناء الحبوب وراح يزن عيارين ،وذهب إلى المطحن وأصلح الحجر وأخذ يطحن ، وقد شعر بلذة الراحة ، وهو في الظل ، وأخذ يمرح ويغني.

وكلما تعب من أغنية انتقل إلى أخري ، واستمر يغني حتى غني حوالي اثنتى عشرة أغنية مختلفة ، ولكن لم يطحن ولو قدحا ، حتى أتعب يديه وكتفيه وركبتيه التي يركع عليها ، ولمس الدقيق الذي طحنه فوجده لا يصلح للثريد لأنه ما زال خشنا ، وقد تصبب العرق وأخذ يلهث، فقال في نفسه ، أيكون هذا الأمر الذي رأيته يسيرا بهذه الصعوبة؟، هيا اعمل حيلة ، لا أصنع ثريدا ، أعمل فرا تكفينا ، لأنه ماذا يحدث إذا لم تأكل ثريداً لمدة يوم واحد؟" ، وترك الطحن وأخذ إناء ليحضر فيه الدخن.

ولما وصل إلى الحجرة تذكر أنه ترك الإناء مفتوحا عندما ذهب لإحضار الحبوب ، فدخلت الماعز وبعثرتها ، وأكلت بعض الدخن وبعثرت باقي الغلال ، فتألم وراح يضرب الماعز ، فخرجت تجري ، فأخذ المكنسة وكنس الحجرة تماما ، وأخذ باقي الفرا التي كانت في الإناء ، ووقعت على الأرض، جمعها ورماها ، وعاد يقول "ها هى الحجرة عادت نظيفة كما كانت ، وستأكل الماعز باقي الحبوب ، ولكن لا بأس ، لقد كاد ينتهي ، الفم الذي خلقه الله لا يمنع عنه الطعام" وذهب إلى الرحا.

فلما رآه حماره أخذ ينهق ، ليأخذه إلى المرعي ، فقال " لك حق ، لقد أنسيتك" ، وذهب وأخذ الحبل الذي يقيده به ، وفكه ، ووقف يفكر في المكان الذي يربطه فيه ، وقال في نفسه أين احسن مكان أربط فيه هذا الحمار؟ المستنقع بعيد م.ا سيضيع الوقت في الذهاب والعودة ، وحتى الآن لم أعد ما سنأكله ، وقد بدأت أشعر بالجوع ، وقد بعثرت الماعز الملعونة الثريد الذي أعددته ، وإذا تكلمت يقولون أنني ثرثار ، وما جعلني أحقد عليها هو أنني لا أملك مثلها ، ولولا أنه بعيد لأخذته إلى النهر، وإذا تركته هنا لا أدري ما يصيبه ؟، ووقف يفكر في نفسه، ورغم أن هذا الرجل لم يكن ثريا كان لمنزله سقف ، وليس من العشب ،

وعندما كان ثريا كان منزله مكوناً من حجرتين ، والآن بعد أن تحول الحال عجز عن إصلاحها كلها حتى انهارت إحدى الحجرتين ، وخلق هذا الانهيار مكانا كالسلم ، استطاعت الماعز أن تصعد فوق السقف بسهولة ، وقد نبت العشب فوق سقف الحجرة المنهارة بسهولة وكثرة، وكان هذا الجزء المنهار سليما من الخلف.

وقف الرجل يفكر في المكان الذي يربط فيه الحمار ، فلم يجد ، وفي النهاية فكر في هذا المكان فسحب الحمار ، واستدار به وبحث عن المكان الذي يربطه فيه ، فتعذر الأمر عليه ، فلا توجد شجرة في هذا المكان ، ولا أثر له، لذلك ألقي الحبل من النافذة، ودار ودخل الحجرة وأمسك الحبل وربطه في أحد الأعمدة ، الذي يحمل سقف الحجرة خشية أن ينهار.

ولما أدرك أنه وجد مكانا ليربط الحمار فيه ، قال "لاشك أن حيلي كثيرة ، وعاد إلى طحن الحبوب ، ولشدة التعب الذي عاناه ترك الغناء، أخذ يعمل مرغما ، وهو يلهث والعرق يتصبب من جبهته فيمسحه ، ثم سمع حركة في الخارج ، فجذب الحبل الذي ربط الحمار فيه ، ثم رأى دعامة السقف تتحرك ، فترك الطحن في الحال وفك الدعامة حتى لا يجذبها الحمار بشدة من الخارج ، فتسقط الدعامة وينهار السقف ، ولعلك تعرف أنه لم يكن قويا ، ولاسيما أنه في فصل الخريف.

فك الرجل الحبل وأمسكه في يده ، ولم يعرف أين يربطه ، ورأى أنه لو ظل ممسكا به في يده لا يجد فرصة للعمل ، لذلك فكر في حيلة ، وربطه في قدمه ، ولما عمل هذه الحيلة ، قال "والله أنا في غاية الذكاء ، أرأيت أفكاري المتنوعة؟" ، ونظر إلى الحبوب فوجد أنه لم يطحن حفنة واحدة حتى الآن ، فضلا عن الطحنة الثانية ، فأعد إناء ليضع ثريدا وحساء، وأدرك أن الشمس توسطت السماء ، فقال "لدي حيلة ، إذا انتهيت من صنع الثريد لا أصنع حساء وأعمل عصيدة، من أراد أن يأكل ليأكل ومن أبى لا أبالي" ، ثم عاد إلى طحن الحبوب.

وأثناء انشغاله في العمل ، ملأ إناء من الطحنه الأولي ، فشعر أن كتفه أخذ يؤلمه ، ولا يستطيع أن يتم العمل ، لذلك جمعه وقال "لماذا تصنع المرأة نوعا واحدا من الطعام كل يوم ، فتصنع ثريدا كل يوم دون أن تغير نوع الطعام ، سأصنع اليوم حساء ولا أبالي بمن يرفض الشرب".

ولمس بعض الدقيق الذي طحنه فوجـده خشنا لا يصلح ، فقال "هيا أسـتريح قليلا وأطحن بسرعة ، فقد كادت الشمس تتـوسط السماء ولم أعمل شيئا ، تكرار الطحن ليس مشكلة ، استريح قليلا ثم أعمل".

وبعد أن اسـتراح ، قـام وعاد للعمل ، وأثـناء العمل ، أغرى العـشب الذي خلف الدار الحمار فجذبه حتى وصل إلى سقف الحجرة المربوط فيها، دون أن يشعر رب البيت، المشغول في الطحن ، ودودن أن يدرك مـا في الأمر ، فشعر أنه يجـذب ويسقط من فوق النافذة فتشبث بـحجر الطحن ، والإناء الذي وضعته زوجته لتعـجن فيه العجين ، ولكن دون فائدة فـوقع زرع بصل: رأسه في الأرض ورجلاه إلى الأعلى ، وقـد ربطت إحداها في النافذة ، وقد جرح فمه وأنفه ورأسه ، وأخـذ الدم يسيل منها ، وتلوث جسمه وثيابه بالعجين ، عندما جذبه من القدر ، إذا كان يتشبث بما يقع تحت يديه.

والسـبب في هذا الحـادث عندما هم الحـمـار يرعى ما فـوق السـقف ، رأى بعض العشب، قد تسلق فوق الحائط ، فمد عنقه ليأكله ، وما أدراك ما كبير الحجم ، ومد عنقه أكثر حتى سقط خلف المبنى ، ولشدة السقوط انجذب رب البيت ، حتى وصل إلى النافذة وظل معلقا ، ورأسه أسفل ، الآن الحبل المربوط في رجل الحمار مربوط في رجل صاحبه من الناحية الأخـري ،ولم يكن الحبل طويلا حتى يصل الحمـار إلى الأرض ، فظل معلقا يتدلى ، ولما كان الربط في أرجل الحـمار الأمامية ، كانت رأس الحـمار إلى أعلي وليست أسفل كرأس صاحبه.

كان الرجل ورأسه في الأرض ، فحـاول أن يمسك الحبل ويربطه ولكن لم يستطع ، لأن يده لا تصل فتعب وصبر على هذا الوضع ، وظل مـعلقا وقد برزت عيناه من التعب وهو يشعر وكأن أمعاءه ستخرج من فمه ، ورأسه فوق الموقد مباشرة ، فملا الدخان أنفه، وأخذ الدمع ينساب من عينيه ويبكي من شدة الدخان.

وقبل أن تتـوسط الشمس السـماء ، انتـهي من العمل كل الذين يسـاعدون المرأة في الحقل ،وتركـوها تنفض العشب الذى زرعوه ، ولما رأت الشـمس مالت عن سمتـها ولم يأت الزوج ، قـالت لجيـرانها الذين سـاعدوها" سـأذهب إلى المنزل ، لأرى لماذا لم يأت زوجى حتى الآن بالطعام؟"

قال الناس "صـدقت، إنه قد تأخر في عن المنزل حتى الآن ، ولكن انتظـرى نحضر

لك الطعام الذى جاءنا، كلى منه ، حتى لا تحرمى من الأكل هنا وفى المنزل ، ولكن إذا كان على زوجك فاصنعى له الطعام ، ربما لم يطه الطعام حتى الآن"

ولما منعها الحياء ألحوا عليها أن تتوقف لتأكل ، وترعى الطعام لكلبها دنا حتى يأكل، فلما شبعوا ، أخذت الفأس وحملت الطفل ، وتبعها الكلب ، وهمت بالسير فقال لها الناس " هيا نتبعك ، لنرى كيف ركع وأخذ يشعل النار"، ونفضوا فئوسهم ، واتبعوها حتى المنزل .

ودخلوا الحجرة مرة واحدة ، وظنوا أنهم سيرون رب البيت يطهى الطعام ، فلم يروه، وسمعوا كأن صوتا من السماء من ناحية النافذة يقول لهم " الحمد لله ، جئتم ، بسرعة خلصينى"

عندما سمعوا هذا الصوت أصابهم الرعب ، وتراجعت الزوجة إلى الخلف ، ونظروا، فرأوا الزوج تتدلى رأسه على الأرض ، وتلوث بالعجين ، والدم يسيل من أنفه وفمه ، وفوقه الذباب ، ودمعه يسيل ويبكى ، فانفجر الناس فى الضحك العالى ،وبدا على المرأة البكاء ، ودقت صدرها وقالت " سبحان الله ، ماذا أصابك يا سيدى"

قال الزوج " كفى عن الثرثرة ، وخلصيني"

وجمعت هؤلاء الناس الذين بعثهم الله ليخلصوا زوجها ، وهى تقول "خذوه برفق حتى لا يسقط منكم فتزداد جراحه"، فقال الناس " فليمت ولا نبالى "

ومدت الزوجة يدها وفكوا الحبال من حول قدميه ، وتركوه يسقط برأسه فارتطم أنفه بالأرض ، ونزل صامتا من ألم السقوط ، فأخذته الزوجة وعانقته وهى تبكى ، وكانت سقطة الزوج شديدة ، ثم سمع الناس شيئا يسقط خلف الحجرة ، فأسرعوا ليروا ماذا حدث ، فرأوا حمار الزوج قد سقط لأنهم فكوا رجل صاحب المنزل ، وكان ثقل الحمار هو الذي يمنع الزوج من السقوط.

عندما أسقط الحمار أخذ يجري ، وجري الناس إلى رب البيت وهم يضحكون ، وعندما رأت الزوجة أن زوجها أفاق ، ركعت أمامه وهو ملطخ بالدماء وقالت "سلامتك يا سيدي كيف حدث هذا؟"

فنهرها صاحبنا ، وقال "إذا لم تغلقي فمك هذا الآن ، سأنهال عليك ضربا"، إذا

كنت تشعرين بقلة الأدب فإنى أكثر منك، ما شأنك أنت وما قد حدث؟، لا أحب الكلام الكثير ، من اليـوم انتظري لتعملي عمل المنزل الذي تعودت عليـه ، واتركينى لعملي في الحقل ، امرأة فاسدة ، وإلا سأشبعك ضربا ، امرأة عابثه".

خرج الجيران ، وهـم يضحكون ، ويقولون "بالله عليكم انظروا كيف يريد أن يشفي غليله منها ،هل هي التي أمرته أن يتعلق"

ولم تجد المرأة ما تقوله ، فقامت وأكملت الطحن لتصنع له الطعام.

أسمعت ما أصاب رب هذه البيت ، ومنذ هذا اليـوم تحسن طبعه ، وترك كل طباعه السيئة ، وصار زوجا صالحا ، وكأنه ليس هو.

وعندما انتهي الوزير ، سر فصيح وأخذ يقول "هذه القصة أجمل من قصة الأمس ، وهذا الشعر الذي أنشده الزوج ، أدخل السرور على نفسي".

وقبل أن يحين وقت الظهر ، وإذا بأحـد رجال الأمير يأتي يستدعي الوزيـر، استعد الوزير ، وخرج وحمل كرسي العرش رجال كبار ، وخرجوا به من الباب وإذا برجل يقف في الشارع ، فقام كل من رأي الوزير تحية له ، ولكن هذا الرجل لم يتحرك ، وأخذ ينظر إلى الوزير ويضحك.

فلما رآه الوزير هكذا ، قال للناس "من هذا؟"

قال الناس الذين يتبعونه "ابن الوزير المرحوم ، نصرك الله"

فنظر الوزير إلى رجل ضخم الجسم ممن يتبعونه وقال له " اضربوه ضربا شديدا حتى يموت" ، فانهال عليه الناس ضربا ، حتى سقط على الأرض يتألم.

فـأمرهم الوزير بالتـوقف ، ونظر إلى ابن هذا الوزيـر وقال "لماذا تضـحك على؟، ألست كوالدك. "

قال "نعم ، نصرك الله"، وركع وأخذ يقول "تبت".

قال الوزير "اذهبوا به إلى المنزل وأعطوه قـميصا مزركشا ، وسـروالا مزيتا ، ومائة شلن يشترى خبا"

فركع الرجل وأخذ يحييه ، ومضى الوزير إلى القصر.

ولما عاد مـن القصر ، جـاء فصـيح ، فقـال الوزير "اليوم سـتنهي ، سنذكـر المثال التحذيري الثامن عشر"

قال فصيح "نعم"

وبدأ الوزير.

إذا انشق الحائط تجد السحلية مكانًا للدخول

كان لرجل أربعة أبناء ، الكبير كان يسمى الأول ، والذي يليه ثانى، والذي يليه ثالث ، وأصغرهم كان يسمي رابع ، وكانت أمهم واحدة ، وكان ما يضايق الأب في أمرهم ، أنهم منذ صغرهم لم يكون متحدين ، فما يريده أحدهم لا يريده الآخر، إذا قال أحدهم شرقا ، يقول الآخر غربا، وكان الأب يحاول دائما هدايتهم ويجعلهم متحدين ، ولكن دون جدوى.

وذات يوم مرض أبوهم مرض الموت ، فلما أشرف على الموت نادى هؤلاء الأولاد ، ووعظهم ، وقال لهم أهم ما يفعلونه لوجه الله أن يتحدوا ويعملوا معا ،لا ينفرد أحدهم بنفسه.

وليوضح لهم معنى كلامه ، طلب منهم أن يجمعوا له أربع عصى قصيرة ، ولما أحضروها ربطها معا ، وطلب من الكبير أن يكسرها ، فوضعها على ركبته ، وحاول كسرها فأخفق ، فسلمها الأب لمن يليه ، فحاول هو الآخر ، فعجز ، فأعطيت لكل واحد منهم فعجز عن كسرها ، فقال الأب "فرقوها ، لتروا هل ممكن كسرها؟ ، فلما تفرقت أخذ كل واحد عصا فكسرها ، فقال الأب "إذا رفضتم الاتحاد ، ما حدث لهذه العصي عندما تفرقت سيحدث لكم" ، فركعوا جميعا وسألوه المغفرة ، فغفر لهم، ولما هموا بالانصراف قال لهم ، "أرايتم ما حدث لهذه العصي عندما تفرقت؟، قال الأبناء "نعم رأينا يا أبانا"

قال الأب " وهو كذلك ، انتظروا أخبركم بسر ، كنت أخفيه عنكم منذ زمن طويل" ، فركعوا مرة أخري ، فقال "واحد منكم ليس ابني ، ابن حرام ، ولكن لا تفشوا هذا السر لأحد ، طالما أنه لا يعرفه أحد ، فاكتموا هذا السر في قلوبكم ، وتصرفوا كأنني أنجبتكم جميعا ، وإذا تركتم أحدا يسمع فلا تلوموا إلا أنفسكم.

وحاول الأبناء كثيرا ليقول لهم من هو ، وقالوا أنهم لن يكشفوا سره ، فقال الأب إنه لا يستطيع أن يخبرهم ، فإنه يخشى أن يجرح مشاعره وقال "إذا كنتم لا تحبون إثارة

المشاكل فما الفائدة من معرفة من هو؟، وكانوا كلهم يقصدون هدفا واحدا ، فلما هموا بالقيام قال لهم مرة أخري "انتظروا، بقي أمر واحد، فى مستنقع من ناحية الباب الشرقي دفنت بعض المال ، منذ مدة ، ولكن نسيت الجهة التي دفنته فيها ، إذا ضاقت عليكم الدنيا فاجتمعوا واحفروا هذا المستنقع جيدا ، فسوف تجدون ما يكفيكم في الحياة "، فرد الأولاد على كلامه بدموعهم.

نظر إليهم الأب وقال "اغفر ولي ، وقد غفرت لكم في الدنيا والآخرة ، بارك الله فيكم"، وجذب الملاءة وغطي وجهه ، ونام ، ثم فارق الحياة ، فأموا الجنازة وانتهي الأمر.

وبعد أن تصدقوا عليه سبعة أيام ، أخذ الأولاد يوزعون ثروته التي تركها لهم ، يفعلون كل أمر معا ، وأخذ الناس يتعجبون كيف انتهى امرهم هكذا ، بينما كانوا لا يحب أحدهم الخير لأخيه ، في حياة أبيهم وكأنهم من أب واحد ولكن غير أشقاء.

وذات يوم وهم على هذه الحال ، كانوا يتناولون الطعام ، نظر ساني إلى رابع وقال " وأنت تشرب حساء أكثر مني ، وكذلك لا تأكل من أمامك ، فتأكل من أمام هذا ، وتأكل من أمام ذلك ، أكل الطعام بهذا الأسلوب ليس مستحبا"

ونظر إليه الأول وقال "انظر إليه، كيف يجلس على ساقيه كالمرأة ، ويربع كأنه ابن أمير استنبول ، الإنسان مهما كان مثقفا لا يتكبر على الطعام".

وهنا قال ثالث "إذا نظرنا إلى حال رابع ، لا يستطيع أن يعيش معه ، الذي نشا على الشراهة؟ ، انظر، لا يستطيع أن يمضغ الطعام ، ويبطئ في الأكل كالكلب ولا يقطع اللقمة جيدا بفمه ، ويقطعها دائما بأسنانه"

تركه رابع ، ورأى أن إثارة المشاكل كثرت ، لذلك قال " كل الطيور تأكل القاذورات"

قال ثالث "وهو كذلك ، من غيرك تراه يأكل الطعام هكذا؟، قلت أن الطيور كلها تأكل البراز ، أتعرف أن الولد لا يحترم من هو أكبر منه مباشرة؟"

نظر رابع إلى ثالث وقال "وأنت ، ألست تأكله بكل حرارته؟"

قال رابع "لا ، الحقيقة أنت الكبير تتكلم ، تتدخل في الكلام"

عندما سمع ثالث ذلك غضب وقال "من الدجاجة ؟، أنت الولد الصغير، أنني أعرف أنك ابن حرام"

ولعلك تعرف الصبي ، لم يعرف رابع ما يقصد ثالث بقوله "إنه يعرف أنه ولد ابن حرام"، فظن أنه يقصد أنه الابن الذي قال أبوه أنه ابن حرام ، لذلك غضب وقال "هل قال أبى قبل أن يموت أنني ابن حرام؟ ، لا شك انك أنت ابن الحرام ولست أنا"

ثم قاما وهما بالقتال ، وفصل بينهما الكبار ، وقبل أن يفصل بينهما استولى الغضب على ثالث حتى لطم رابعاً ، ولكن لم يصبه ، فأصاب وجه الساني.

شعر ساني بالألم ، فرفه بقدمه ، وقال "هل رأيت هذا الولد ابن الحرام ، هل لديك القلب الذي يغضب بسرعة دون سبب ، ونفصل بينكما فتضرب؟"

قال الأول الذي كان يفوقهم حظوة عن ثالث ، قال لساني "مهما تقل له ، دع قولك له ابن حرام ، طالما أن بابا مات ولم يوضح لنا من فينا ابن الحرام ، فلا تطلقها على أحد"

هذا الكلام أغضب ساني ، فقال "اذهب، لقد قال فقط ابن حرام ، أنت ابن الحرام، لأنه لم يوضح ، وهو الذي جعله يكرهك وهو حي"

قال الأول "لا ، مشاجرتكما وصلت إلى؟" ، ثم نشبت بينهما معركة مصارعة وملاكمة ،وصفع بالأكف ،بين أول وساني.

فأمسكهما ثالث ورابع ، وحاولوا كثيرا حتى أصابا أنفسهما بالجراح ، وأخذ كل من المتشاجرين يقول أنه ابن الحرام ، وأخفي أبوه عنه الخبر.

ولما سمع الجيران في الحي ضوضاء في المنزل ، دخلوا ليروا ما في الأمر ، فوجدوا أنهم جرحوا بعضهم ، ويقول كل منهما "أنت ابن حرام"، فلما رأى الناس أن الأمر وصل إلى هذا الحد ، تملكهم الرعب واستدعوا الشرطة فساقهم حتى منزل الأمير، وقال له ما يقولون ، وكيف وجدهم.

قال الأمير "لماذا يقول كل واحد منكم للآخر أنه ابن حرام؟ ، هل يوجد شخص ابن حرام بينكم؟"

قام الأول بصفته الكبير ، ينكر ذلك ، حتى لا يكشف السر كما قال أبوهم فصفعه رئيس الشرطة بيده ، فاستغرب ، ثم سألوا ساني ، فقال كل ما قال أبوهم"

فلما سمع الأمير ذلك ، وكان رجلا ظالما ، فقال "لقد كشفكم الله ، هل ستخفون علينا وتوزعـوا الثـروة على ابن حـرام؟ ، فلابد أن تروني الآن ابـن الحرام فـيكم ، وإلا سآخذ ثروتكم كلها ، وأتركـكم فقراء"

وجم الأطفال ، وهنا نظر أول إلى ثانٍ ، وقال "لماذا تنظر إلي، هل أنا ابن حرام؟، لماذا لا تكون أنت ، ولست أنا؟"

وهنا التبس عليهم الأمر ، هذا يقول هذا ، وهذا يقول هذا"

قال الأميـر "اتركوا هذا الإتهام ، لقـد كشف الله سركم ، وأمر الشـرطة ان يذهبوا بهم إلى السجن ويجـردوهم تماماً ، وطردهم الأميـر من المجلس ، فخرجـوا وكل يهاجم أخاه ، واشتـغل الأول حمالا ، وينال قـرشا يأكل به وأخذ ساني يبـيع اللحم المجفف ، وذهب ثالث إلى منزل أحد الطبالين ، يشد له الطبول الصغيرة ، ولكن رابع كان ضعيفا ، فكان يقطع العشب ويبـيعه ، كل هذه كانت حـرف تجول بالنهار ، فإذا أقـبل الليل عادوا إلى منزلهم وباتوا فيه.

واستـمروا على هذه الحال ، وذات يوم ، حمل سـاني اللحم المجفف وذهب يبيـعه كعـادته كل يوم ودخل المدينة ، فنادي عليـه بعض التجـار ، وظلموه وأكلوا عليـه ثلاثة قروش دون أن يعرف ، ولما حان المغرب عاد إلى كبيـر القصابين ، فعد المال فوجده ينقص قرشا فأخذ يسبه ،وقال له أن ما سرق هو أجره ، وقال إذا تكرر هذا سيطرده".

عاد ساني إلـى المنزل ، وكان في هذا اليوم لا يملك نصف قرش يشـترى به ثريدا ، فصعد سريره ونام ، فعجز عن النوم ، واشتد الجوع عليه ، وأخذ يفكر فيما سيفعله غدا، إذا طرده كبيـر القصابين ، وأثناء التـفكير خطر على فكره قول أبيه ، عندمـا قال أنه دفن بعض المال في مستنقع القـصب ، لذلك عندما طلع النهار قام وأخذ فـأسه ، وتوجه إلى المستنقع ، وأخذ يحفر فيه ما شاء الله ، ولم يخرج شيئا ، فعاد إلى المنزل ، وصبر.

ولـم يمض يومان حتى حـاول الأول أن يجد ما يحمله ، فلم يجـد ، فعاد إلى المنزل ولم يجد ما يأكله من طعام ، فنام وأخذ يعد خـشب السقف ، وقرب الصلاة تذكر الثروة التي قـال أبوهم أنه دفنهـا في المستنقع ، فـتـسلل ، حتى لا يـعلم أخوته ، وتوجـه إلى المستنقع ، وأخـذ يحفر حـتى توسطت الشمس السمـاء ، فلم يحفر إلا القليل فـعاد إلى المنزل ، وصبر.

وذات يوم تذكر رابع ، فـذهب ، وأخذ يحـفر هو الآخر ، ولم يكـن في قوتهم ، فعجز وتعب ، وعاد:

وذات يوم ، ضاق الأمـر في المدينة على ثالث ، فذهب هو الآخر ولكنه عـجز عن حفـر أي شئ ، فقال في نفسـه "لو اجتمعنا وحـفرنا هنا المستنقع جـيدا ، في كل مكان يحتمل أن يكون دفن أبونا فيه المال ، ثم سكت ، ولم ينطق شيئا".

وعجزوا جميعا وظن كل واحد منهم أنه عجز وحده ، فرأى أنه لو اجتمعوا جميعا، وحفروا المستنقع ، وحفروا كل شئ فيـه ، وتحمس كل واحد فيهم ، ولا يستطيع أن يبادر الآخر بالقول ليجتمعوا ويحفروا جميعا ، وبعد عدة أيام عندما أدرك ثالث أن الله فعال لما يريد ، أشار على الباقين أن يجـتمعوا ويحفروا هذا المستنقع ، لعلـهم يجدون ما قال لهم أبوهم أنه قـد دفنه ، فقـال كل منهم ، لقـد كنت أريد أن أستـشيـركم في هذا ، ولكن خشيت أن ترفضوا ، لذلك سكت"

وأحضروا الفئوس ، وأخذوا يحفرون المستنقع ، وظلوا يعملون حتى حفروا تماما ، فلم يجدوا شيئا ، لذلك صبروا ، وقالوا "هيا نزرعها بقصب السكر حتى لا يضيع عملنا هباء"

منذ كان هذا المسـتنقع لم يجد من يسـتصلحه مـثل هذا اليوم ، لذلك كـان القصب الذي زرع هذا العـام لا يعلم جـودته إلا الله ، وأن هذا هو الـثروة التي كـان يقـصـدها أبوهم، ولكن لم يدركوها ، وقـالوا إن هذا هو المال الذي قال أبوهم أنه دفنه ، ومن هذه اللحظة غيروا ما في قلوبهم ، واجتمعوا وركـزوا اهتمامهم في الزراعة ، وفي وقت قصير عادوا كما كانوا ، أغنياء جدا ، وذات يوم اجتمعوا ليأكلوا الطعام ، وجلسوا يتسامرون ، فقال ثالث "أرأيتم مـا قاله أبونا " ، ثم قال "إننا لو وافقنا على أن نتفـرق ، نخسر ، أن نتحـد أفضل من أن نتفرق عن بعـضنا ، كما قال ، إذا تـركنا يعرفون سرنا فـلا نستطيع النجاة بثروتنا".

قال الباقون "رأينا ما حدث بيننا ، إن كل واحد يرفض كلام من هو أكبر منه ، يندم حيث لا فائدة من الندم".

قال ثالث "أرأيتم هذه الثروة التي هبطت علينا ، والتي جلبها علينا اتحادنا ، وطاعتنا والاهتمام بالزراعة".

فهرس	رقم الصفحة

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

ص.ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس

WWW maktabetelosra org. eg

E - mail . info @egyptianbook org eg





مازلت أحلم بكتاب لكل مواطن، ومكتبة فى كل بيت، لأن الثقافة هى وسيلة الشعوب لتحقيق التقدم والتنمية بما لها من قدرة على تحويل المعارف المختلفة إلى سلوك متحضر وإعلاء المثل العليا، وقيم العمل، وإشاعة روح التسامح والحرية والسلام التى دعت إليها جميع الأديان، وتكوين ثقافة المجتمع يبدأ بتأصيل عادة القراءة وحب المعرفة، وستظل وسيلة المعرفة الخالدة هى الكتاب الذي يساهم فى إرساء دعائم التنمية وتحقيق التقدم العلمى المنشود.

سوزان مبارك



ISBN# 9789774202087


٥ جنيهات